

تراثنا

نهائية التراث

في

فنونه الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

السفر الأول

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراقات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة لكتب التراث العربى

بقلم السيد الدكتور محمد عبد القادر حاتم

وزير الثقافة والإرشاد القومى

إن الأمم العظيمة لا ترضى، ولا تستطيع، أن تنسلخ عن تاريخها، وتاريخها هو وعاء ثقافتها وحضارتها، فى حقب هذا التاريخ نشأت ونمت وتطورت، واجتازت معنا، وحقت مجدا. وكما أن سجل هذه الأحداث تشهد به الآثار الباقية من عمارة ومشروعات فإن الكلمة المكتوبة كانت منذ قديم سجلات لترات الأمم، سردا لتاريخها، وتصويرا لآمالها وعواطفها شعرا ونثرا، وتسجيلا للآراء السائدة فى عصورها المختلفة، مما يرتفع أحيانا الى مرتبة الحكمة والمذهب الفلسفى، ومما لا يزيد على أن يكون خطرات لأفراد.

ونحن هنا الحاضرة، التى انبثقت فى جميع ميادين الحياة، منذ فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، لم ننكر لمناخ أمتنا العربية، ولم تغفل تراثنا الإسلامى العريق. وفى الوقت الذى تعمل فيه على التطور تحت راية العلم، وفى ركبه الزاحف، ترى تراثها العريق الذى كانت أشعته تضيء ظلام العالم فى أيام أزدهار ماضينا.

فكما أن رئيسنا وقائد ثورتنا يعلن فى "الميثاق الوطنى" أن العلم هو السلاح الحقيق للإرادة الثورية، ومن هنا الدور العظيم الذى لابد للجامعات ولما كثر العلم على مستوياتها المختلفة أن تقوم به.... والعلم هو السلاح الذى يحقق النصر الثورى، يعلن كذلك أن العمل العظيم الذى تمكن الشعب من إنجازه بالثورة الشاملة ذات

الاتجاهات المتمدة، قد تحقق بفضل ضمانات تمكن النضال الشعبي من توفيرها ،
ومنها وعيه العميق بالتاريخ وأثره على الإنسان المعاصر من ناحية ، ومن ناحية أخرى
لقدرة هذا الإنسان على التأثير في التاريخ، ومنها إيمان لا يتزعزع بالله ، وبرسله ،
ورسالته القدسية التي يعنها بالحق والهدى إلى الإنسان في كل زمان ومكان .

وأن مشعل الحضارة انتقل من بلد إلى بلد ، لكنه في كل بلد كان يحصل
على زيت جديد يقوى به ضوءه على امتداد الزمان .

وأن شعبنا ، إلى جانب ما قام به من تحمل المسؤولية المادية والعسكرية
في صد أول موجات الاستعمار الأوربي ، ورد غزوات التار ، قد تحمل كذلك
المسؤولية الأدبية في حفظ التراث الحضارى العربى وذخائره الخافلة .

وأنه يتعين علينا أن نذكر دائما أن الطاقات الروحية التي تستمدّها الشعوب
من مثالا العليا التابعة من أديانها السماوية ، أو من تراثها الحضارى ، قادرة على
صنع المعجزات .

وفي ضوء هذه التوجيهات تقوم المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر بمساهمتها في نشر التراث العربى، بجزء من برامجها التي تساهم فيها
بنشر الثقافة الحديثة بجميع فروعها .

وهى في ذلك تقدم هذه الخدمة الثقافية للأمة العربية في جميع أجزاء الوطن.
العربى الكبير، فإن هذا التراث ثمرة العقول العربية في خمسة عشر قرنا من الزمان،
وفي جميع الوطن العربى من غربيه إلى شرقيه، ومن شماليه إلى جنوبيه، متضمنة
ما كتبه أسلافنا في إفريقيا وآسيا وأوروبا نفسها في الأندلس العظيمة .

وحسبنا في بيان أهمية هذا التراث أنه باللغة العظيمة التي تجمعنا — نحن العرب جميعا — وأنه يتصل بتاريخنا ، نحن العرب جميعا .

فلقد قال الرئيس جمال عبد الناصر في ” الميثاق الوطني “ :

” يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكر والعقل ...

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير والوجدان “ .

والله الموفق فيما تقصد وما نعمل .

الدكتور
محمد عبد القادر حاتم

{ المحرم سنة ١٣٨٢ هـ
الناصرة في { يونيو (حزيران) ١٩٦٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب "نهاية الأرب"

تصدير

إن كتاب "نهاية الأرب"، في فنون الأدب، كتاب جامع لفنون شتى للأدب بأوسع معانيه في عدة أجزاء . فهو يتحدث عن السماء وما أنتظمت ، والأرض وما أقلت ، وعن الإنسان والحيوان والنبات ، وعن أحداث التاريخ، كما يعرض لفنون الطب المعروفة لمهد مؤلفه .

وهو في شأنا ذلك يذكر نقولا عن مؤلفين قداماء لم تصل إلينا كتب بعضهم ، وبذلك يحفظ لنا بعض الأصول الأدبية التي فقدناها .

ومؤلف هذه الموسوعة هو العالم المصري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نسبة إلى : (نُويرة) قرية من قرى بني سويف، بصعيد مصر . وقد عمل للملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٧٧ - ٧٣٣ هـ) وناب عنه .

وقد شرعت دار الكتب المصرية في نشر هذا الكتاب الكبير منذ سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م ، ومضت في إخراج أجزائه تباعاً، حتى أنجزت منه الجزء الثامن عشر في سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

وحين تأسست المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، هذا الكتاب من دار الكتب المصرية ، فيما تسلمته من الكتب الأخرى التي أنتقل العمل في تحقيقها ونشرها من دار الكتب للؤسسة ، كانت ثمة أجزاء ناقصة منه لم تُحقق وتبلغ أربعة عشر جزءاً .

ولما كانت الأجزاء التى طبعت من الكتاب قد نفذت منذ زمن طويل ، فإن المؤسسة ، فى الوقت الذى تقوم فيه بتحقيق ما بقى من الكتاب ونشره ، ستعيد طبع الأجزاء السابقة ، لتكون جميع الأجزاء فى متناول يد القراء .

وبما أنه لم تظهر مخطوطات جديدة للكتاب ، تقتضى تعديلا فى الأجزاء التى صدرت عن دار الكتب المصرية — فيما عدا الجزئين السابع عشر والثامن عشر — فإن المؤسسة آتت فى نشر الكتاب ما يأتى :

(١) تصوير ما طبع من أجزاء الكتاب ، مع إضافة التصويبات التى كشفت عنها المخطوطتان الجديدتان فى الجزئين السابع عشر والثامن عشر .

(٢) تحقيق الأجزاء الباقية من الكتاب على يد الأمانة المتخصصين .

(٣) وضع فهرس فنية للأجزاء الجديدة ، على أن تضم إليها فهرس الأجزاء التى سبق طبعاها ، لتخرج كلها فهرسا موحدا .

وكانت دار الكتب قد رسمت لتحقيق الكتاب خطة فيما يتعلق بالأخبار الصريحة ، فخلصت طبعها منها ، لتضمنها طبعة خاصة . وقند سارت المؤسسة على هذه الخطة ، وسوف تجمع هذه الأخبار فى مجلد مستقل يشار فيه إلى مواضعها من الكتاب .

والمؤسسة ترجو بنشر هذا الكتاب كاملا أن تكون قد قامت بخدمة إحياء تراثنا العربى الذى يربط ماضينا المجيد ، بمحاضرنا العتيده ، ومستقبلنا المرجو ، وأن تكون قد يسرت للقراء فى الأمانة العربية ولنفرهم من المهتمين بالأدب العربى ، سبيل الحصول على كثر من الكنوز التى كانت دفينة ، فى طبعة تجمع بين الدقة العلمية والإنحراج الفنى ، والتمن المبسر . وعلى الله قصد السبيل »

المؤسسة المصرية العامة

٥١٣٨٣/٣/١١

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

٩٦٣/٨/١

مطابع کوستاتوماس وشركاه

• شارع وقف الخريوطي بالقاهره - ٤٤١١٨
القاهره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- الحمد لله رافع السَّيِّءِ وفاتق رُفُفِهَا ، وَمُنْثَى السَّحَابِ وَمُوكِبَ وَدِفِهَا ، وَجُجْرِ
الْأَفْلَاكِ وَمُدِيرِهَا ، وَمُطْلِعِ النَّيَّاتِ وَمُكَوِّرِهَا ، وَمُرْسِلِ الرِّيحِ وَمُسْخِرِهَا ، وَمُزِينِ
سَمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَحَافِظِهَا عِنْدَ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بِإِرْسَالِ الشُّهُبِ الثَّوَابِقِ ،
وَهَادِي السَّارِي بِمَطَالَعِ نَجْمِهَا فِي ظُلْمِ الْغِيَابِ ؛ وَجَاعِلِ اللَّيْلِ سَكَنًا وَلِبَاسًا ، وَمُبَدِّلِ
وَحْشَةِ ظُلُمَاتِهِ بِفَلَقِ الْإِصْبَاحِ إِنْسَانًا ، وَمَاخِي آيَتِهِ بِآيَةِ النَّهَارِ الْمُبْصَرَةِ ، وَمُذْهَبِ دُجَّتِهِ
بِإِسْرَاقِ شَمْسِهِ النَّيِّرَةِ ، وَبَاسِطِ الْأَرْضِ فِرَاشًا وَمَهَادًا ، وَمُرْسِي الْجِبَالِ وَجَاعِلِهَا
أَوْتَادًا ، وَمُفَجِّرِ الْعُيُونِ مِنْ جَوَانِبِهَا وَخِلَافِهَا ، وَمُضْحِكِ ثَغْوِرِ الْأَزْهَارِ بِبِكَاءِ عَيُونِ
الْأَمْطَارِ وَأَنهَامِهَا ، وَمُكَرِّمِ بَنِي آدَمَ بِتَفْضِيلِهِمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَمُذَلِّلِ الْأَرْضِ
لَهُمْ لِيَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَلِيَأْكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ، وَحَامِلِهِمْ عَلَى ظَهْرِ الْيَمِّ فِي بَطُونِ الْجَوَارِي
الْمُنْشَأَتِ ، وَمُعَوِّضِهِمْ عَنْ أَعْوَادِ السُّفُنِ غَوَارِبَ الْيَعْمَلَاتِ ^(١) . خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ
وَأَوْدَعَهَا مِنْ خَفَى حِكْمِهِ مَا أَوْدَعَ ، وَبَيْنَ بَيْنِ أَشْكَالِهِمْ (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) . وَهَدَى الطَّيْرَ إِلَى مَا اخْتَصَدَّتْهُ
مِنَ الْأَوْكَارِ وَأَخَذَهَا مِنَ الْمُبَانِي ، وَجَعَلَهَا مِنْ رَسَائِلِ الْمَنَآيَا وَوَسَائِلِ الْإِمَانِي .
- أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي كَمْ أَوْلَتْ مِنْ مَنِّهِ وَمِنَّتِهِ الَّتِي كَمْ وَآلَتْ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَأَشْكُرُهُ
عَلَى الطَّائِفَةِ الَّتِي كَمْ كَشَفَتْ مِنْ عَمِّهِ ، وَأَزَالَتْ مِنْ رِقْمِهِ .

(١) الْعَمَلَةُ (فَتْحُ الْيَاءِ وَالْمِيمِ) النَّاتِجَةُ النَّجْبِيَّةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْجَلِّ بِمَثَلٍ . وَهِيَ أَسْمَاءٌ لَا وَصْفٌ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبيد نطق بها لسانه وقلبه ،
وأُتِيَ بها صغيره ولبه .

- وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الذي جعلت له الأرض مسجدا وتربتها طهورا ،
وأُنزل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ
وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ . صلى الله وسلم عليه وعلى آله الذين رُفُوا بنسبهم إليه أعلى المراتب ،
وتسّموا من ذِروة الشرف والثناء كاهل الكواكب ، وعلى أصحابه الذين اتّطعت
بهم قواعد الشريعة وعلا منارها ، وهُدِمت معاقل الكفر وعُفّت آثارها ، وأنفقوا من
قَبْلِ الفتح وقَاتَلُوا وجادلوا في دين الله وجادلوا : صلاة ترفع منار قائلها ، وتُرسل عليه
سحاب المغفرة بوابها !

- وابعد ، فمن أُولَى ما تدبّجت به الطروس والدفاتر ، ونطقت به ألسنة الأقلام عن
أفواه المحابر ، وأصدرته ذوو الأنفذان السليمة ، وآتستبت إليه ذوو الأنساب الكريمة ،
وجعله الكاتب ذريعة يتوجّصل بها إلى بلوغ مقاصده ، ومحجّة لا يضلّ سالكها
في مصادره وموارده : فنّ الأدب الذي ما حلّ الكاتب بؤاديه ، إلّا وعمرت بؤاديه ،
ولا وردّ مشارعه ، إلّا واستعذب شرائعه ، ولا نزل بساحته إلّا وآتستبت له رحابها ،
ولا تأمل مشكلاته إلّا وتنبّت له أسبابها .

وكنّت ممن عدل في مبادئه ، عن الإلصاق بنأديه ، وجعل صناعة الكتابة فنّه
الذي يستظلّ بوارفه ، وفنّه الذي جمّع له فيه بين تليده وطارفه . فعرفت جليها ،
وكشفت خفيها ، وبسطت الخرائد ونظمت منها الارتفاع ، وكنّت فيها كوكب ناري على

(١) لها : الخرائد . أي جرائد الحسابات التي يستخرج منها الارتفاع أي مقدار الإيراد . وبقيّة
الكلام يدل على ذلك لأنه استعار اصطلاحات أهل الحساب .

يُضَاعَ - وأسترفتُ القوانين، ووضعتُ الموازين، وعانيتُ المقرّحات، وأعتمدتُ على
المقاييسات، وفذلكتُ على الأصل وما أضيف إليه، وحررتُ ما بعد التدلّكة فكان
العمل على ما أستقرتُ الجملة عليه، وأستخرجتُ وحصلتُ، وجملتُ من عرضه
وخصلتُ، وسقّتُ الحواصل، وأوزدتُ المحاسيب وفذلكتُ على الواصل، وطردتُ
ما أنساق إلى الباقي والموقوف، ونضّلتُ شواهد المصروف، وشطبتُ شواهد
الارتفاع، وقرّنتُ أعمال المبيع بالمبتاع، وأستوفيتُ أعمال الانحصار وتوالى
الفلات، وتاملتُ سياق الأصناف والآلات، ونظرتُ في سياقات العلوفات
والعوامل، وأجبتُ عن المخرّج والمردود فاعجزتُ المناظر والمناضيل، وأتمتُ مواد
هذه الصناعة، وتاجرتُ فيها بأحسن بضاعة.

ثمّ نبذتها وراء ظهري، وعزمتُ على تركها في سريّ دون جهرى، وسألتُ الله
تعالى الثّنية عنها، ونضرعتُ إليه فيما هو خيرٌ منها. ورغبتُ في صناعة الآداب
وتعلّقتُ بأهلها، وانتظمتُ في سلك أربابها، فرأيتُ غرضي لا يتمّ بتلقيا من أفواه
الفضلاء شفاها، وموّردي منها لا يصفو ما لم أجرد العزم شفاها.

فأتمّطيتُ جواد المطالعة، وركضتُ في ميدان المراجعة. وحيث ذلّ لي مرّكبها،
وصفا لي مشربها، آثرتُ أن أجرد منها كتابا استأيس به وأرجع إليه. وأعول فيما
يرضى لي من المهمات عليه. فأستخرتُ الله سبحانه وتعالى وأثبت منها خمسة فنون
حسنّة الترتيب، بقية التقسيم والتبويب: كل فن منها يحتوي على خمسة أقسام.

الفن الأول

في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية
ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول — في السماء وما فيها .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول — في مبدأ خلق السماء .

الباب الثاني — في هيئتها .

الباب الثالث — في الملائكة .

الباب الرابع — في الكواكب السبعة .

الباب الخامس — في الكواكب الثابتة .

القسم الثاني — في الآثار العلوية .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول — في السحاب، وسبب حدوثه، وفي الثلج، والبرد .

الباب الثاني — في الصواعق، والنيازك، والرعد، والبرق .

الباب الثالث — في أسطُقس الهواء .

الباب الرابع — في أسطُقس النار، وأسمائها .

القسم الثالث — في الليالي، والأيام، والشهور، والأعوام، والفصول،

والمواسم، والأعياد .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول — في الليالي، والأيام .

الباب الثاني — في الشهور، والأعوام.

الباب الثالث — في الفصول.

الباب الرابع — في المواسم، والأعياد.

القسم الرابع — في الأرض، والجبال، والبحار، والجزائر، والأنهار، والعيون.
وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول — في مبدأ خلق الأرض.

الباب الثاني — في تفصيل أسماء الأرض.

الباب الثالث — في طول الأرض، ومساحتها.

الباب الرابع — في الأقاليم السبعة.

الباب الخامس — في الجبال.

الباب السادس — في البحار، والجزائر.

الباب السابع — في الأنهار، والفتيان، والعيون.

القسم الخامس — في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها، وخصائصها، والمباني
القديمة، والمعقل، والقصور، والمنازل.

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول — في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها.

الباب الثاني — في خصائص البلاد.

الباب الثالث — في المباني القديمة.

الباب الرابع — فيما وُصِفَتْ به المعقل.

الباب الخامس — فيما وُصِفَتْ به القصور، والمنازل.

الفن الثاني

في الإنسان وما يتعلق به

ويشتغل على خمسة أقسام :

القسم الأول — في اشتقاقه ، وتسميته ، وتنقلاته ، وطبائعه ، ووصف

أعضائه ، وتبسيبها ، والفزل ، والنسيب ، والمحبة ،

والعشق ، والهوى ، والأنساب .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول — في اشتقاقه ، وتسميته ، وتنقلاته ، وطبائعه .

الباب الثاني — في وصف أعضائه ، وتبسيبها ، وما وُصف به

١٠ طيب الرّيق ، والنّكهة ، وحسن الحديث

والنّعمة ، وأعدال القدود ، ووصف مثني

النساء .

الباب الثالث — في الفزل ، والنسيب ، والهوى ، والمحبة ، والعشق .

الباب الرابع — في الأنساب .

١٥ القسم الثاني — في الأمثال المشهورة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وعن جماعة من الصحابة (رضي الله عنهم) ، والمشهور

من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة .

والزجر ، والقال ، والطيرة ، والقراسة ، والذكاء .

والكليات ، والتعريض ، والأخايج ، والألغاز .

٢٠ وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول — في الأمثال .

الباب الثاني — في أبواب العرب .

الباب الثالث — في أخبار الكهنة ، والزجر ، والأقال ، والطيرة ،
والفراسة ، والدلالة .

الباب الرابع — في الكايات ، والتعريض .

الباب الخامس — في الأحاجي ، والألغاز .

القسم الثالث — في المديح ، والمهجور ، والمجون ، والفكاهات ، والملح ،
والعجز ، والمعاقرة ، والنذمان ، والقيان ، ووصف آلات
الطرب .

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول — في المديح .

وفيه ثلاثة عشر فصلا . وهي :

حقيقة المديح ، وما قيل فيه .

ما قيل في الجود ، والكرم ، وأخبار الكرام .

ما قيل في الإعطاء قبل السؤال .

ما قيل في الشجاعة ، والصبر ، والإقدام .

ما قيل في وفور العقل .

ما قيل في الصدق .

ما قيل في الوفاء ، والمحافظة .

ما قيل في التواضع .

ما قيل في الفناعة ، والنزاهة .

ما قيل في الشكر، والثناء.

ما قيل في الوعد، والإنجاز.

ما قيل في الشفاعة.

ما قيل في الاعتذار، والاستعطاف.

الباب الثاني - في الهجاء.

وفيه أربعة عشر فصلاً:

ما قيل في الهجاء، ومن يستحقه.

ما قيل في الحسد.

ما قيل في السّماية والبقى.

ما قيل في الغيبة والنميمة.

ما قيل في البُخل واللُّؤم، وأخبار البخلاء،

وأحتجاجهم.

ما قيل في التطفّل. ويتصل به أخبار الأكلّة

والمؤاكلة.

ما قيل في الجُبْن، والفرار.

ما قيل في الحق، والجهل.

ما قيل في الكذب.

ما قيل في الفدر، والخيانة.

ما قيل في الكِبَر، والعُجْب.

ما قيل في الحرص، والطمع.

ما قيل في الوعد، والمُطْل.

ما قيل في البَيّ، والحَصَر.

الباب الثالث — في المَجُون، والتوارد، والفكاهات، والمُلَح.

الباب الرابع — في الخمر، وتحريمها، وآفاتهما، وجنباياتها،

وأسمائها. وأخبار مَنْ تَزَه عنها في الجاهلية،

ومن حَدَّ فيها من الأشراف، وَمَنْ أَشْتَهَر بها،

وليس ثوبُ الخَلَّاعة بسببها. وما قيل فيها

من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلاتها،

وآتيها، وما قيل في مبادرة اللذات، وما

وُصِفَتْ به المجالس، وما يحري هذا المجرى.

إلياب الخامس — في التَّدْمان، والسُّقاة.

الباب السادس — في الغناء، والسَّماع، وما ورد في ذلك من الحُظُر

والإباحة، وَمَنْ سَمِعَ الغناء من الصَّحابة

(رَضوان الله عليهم) والتابعين، والأئمة،

والعباد، والزُّهاد، وَمَنْ غَنَّى من الخلفاء،

وأبنائهم، والأشراف، والقواد، والأكابر،

وأخبار المُغَنِّين مَنْ نقل الغناء من الفارسية

إلى العربية.

الباب السابع — فيما يحتاج إليه المُغَنِّي، ويُضطرُّ إلى معرفته،

وما قيل في الغناء، وما وُصِفَتْ به القِيَّان،

وما وُصِفَتْ به آلات الطرب.

القسم الخامس — في الملك ، وما يشترط فيه ، وما يحتاج إليه ، وما يجب

له على الرعية ، وما يجب للرعية عليه . ويتصل به ذكر

الوزراء ، وقادة الجيوش ، وأوصاف السلاح ، وولاية

المناصب الدينية ، والكتاب ، والبلاء .

وفيه أربعة عشر بابا :

الباب الأول — في شروط الإمامة : الشرعية ، والعرفية .

الباب الثاني — في صفات الملك وأخلاقه ، وما يفضل به

على غيره . وذكر ما تُقَل من أقوال الخلفاء

والملوك النالّة على علوّ همتهم ، وكرم شيمتهم .

الباب الثالث — فيما يجب للملك على الرعايا من الطاعة ،

والنصيحة ، والتعظيم ، والتوقير .

الباب الرابع — في وصايا الملوك .

الباب الخامس — فيما يجب على الملك للرعايا .

الباب السادس — في حسن السياسة ، وإقامة المملكة . ويتصل

به الحزم ، والعزم ، وآتيهاز القرصة ، والحلم ،

والعفو ، والعقوبة ، والانتقام .

الباب السابع — في المشورة ، وإعمال الرأي ، والاستبصار ،

ومن يُعتمد على رأيه ، ومن كره أن يستشير .

الباب الثامن — في حفظ الأسرار ، والإذن . والحجاب .

الباب التاسع — في الوزراء، وأصحاب الملك،

الباب العاشر — في قادة الجيوش، والجهاد، ومكايد الحروب،
ووصف الوقائع، والرباط، وما قيل
في أوصاف السلاح.

الباب الحادي عشر — في القضاء، وأحكام.

⑤

الباب الثاني عشر — في ولاية المظالم، وهي نيابة دار العدل.

الباب الثالث عشر — في نظم الحسبة، وأحكامها.

الباب الرابع عشر — في ذكر الكتاب، والبلغاء، والكتابة، وما تنزع

عنها من الوظائف والكتابات، وهي: كتابة

الإتشاء، وكتابة الديوان، والتصرف، وكتابة

الحكم، والشروط، وكتابة النسخ، وكتابة

التعليم.

الفن الثالث

في الحيوانات الصامت

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول - في السباع، وما يتصل بها من جنسها.

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول - في الأسد، والبيتر، والثور.

الباب الثاني - في الفهد، والكلب، والذئب، والضبع،

والتمس.

الباب الثالث - في السنجاب، والثعلب، والدب، والهر،

والخنزير.

القسم الثاني - في الوحوش، والظباء، وما يتصل بها من جنسها.

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول - فيما قيل في الفيل، والكركدب، والزرافة،

والمهاة، والإيل^(١).

الباب الثاني - في الحمر الوحشية، والوعل، والألمط.

الباب الثالث - فيما قيل في الغنم، والأرنب، والقرد، والنعام.

(١) ويقال أيضا : الأيل والأيل (قاموس) .

القسم الثالث — وفيه ثلاثة أبواب:

- الباب الأول — في الخيل.
- الباب الثاني — في البغال، والحمر.
- الباب الثالث — في الإبل، والبقر، والغنم.

القسم الرابع — وفيه بابان :

- الباب الأول — في ذوات السموم القواثل.
- الباب الثاني — فيها هو ليس بقاتل بفعله، من ذوات السموم.
- القسم الخامس — وفيه سبعة أبواب: ستة منها في الطير، وباب في السمك.
- (وذيلت عليه بباب ثامن، أوردت فيه ما قيل في آلات صيد البر، والبحر).

١٠

- الباب الأول — في سباع الطير، وهي: العقبان، والبوازي، والصقور، والشواهي.
- الباب الثاني — في كلاب الطير، وهي: النسر، والرخم، والحيدة، والغراب.

- الباب الثالث — في بهائم الطير، وهي: الدراج، والحباري، والطاوس، والدبك، والدجاج، والإوز، والبط، والنعام، والأنيس، والقارند، والخطاف، والقيق، والزرزور، والسائي^(١)، والهنجد، والمتقى، والمصافير.

١٥

(١) في الأصل السمان. وقال في الصحاح والسائي ولا مشد الميم.

٢٠

الباب الرابع — في بُغَاث الطير، وهو : القُمَيْرى ، والدَّبْسِيّ ،
والوَرَشَاتُ ، والقَوَاخِثُ ، والشَّفِينِ ،
والعَبْطَطُ ، والنَّوَّاحُ ، والقَطَاةُ ، واليَمَامُ ،
وأصنافه ، واليَبْقَاءُ .

الباب الخامس — في الطير الليليّ ، وهو : الخُفَّاشُ ، والكِرْوَانُ ،
والبُومُ ، والصَّدَى .

الباب السادس — في الهمج ، وهو : النخيل ، والزنبور ، والمنكبوت ،
والجراد ، ودود القز ، والدُّبَابُ ، والبَعُوضُ ،
والبراغيث ، والخُرْقُوصُ .

الباب السابع — في أنواع الأسماك .

الباب الثامن — يشتمل على ذكر شيء مما وُصِفَتْ به آلات الصيد
في البرّ ، والبحر ، ووصف زُمَالة البُنْدُقِ ،
وما يجرى هذا المجرى .

الفن الرابع

في النبات

ويستعمل على خمسة أقسام :

(وذيلتُ على هذا الفن ، في القسم الخامس ، بشيء من أنواع الطيب ، والبُخُورَات ،
والنوالى ، والتدود ، والمستقطرات ، وغير ذلك) .

القسم الأول — في أصل النبات ، وما تختص به أرض دون أرض .
(ويتصل به ذكر الأقوات ، والخضرَاوات ، والبقولات) .
وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — في أصل النبات ، وترتيبه .
الباب الثاني — فيما تختص به أرض دون أرض ، وما يستأصل
شأفة النبات الشاغل للأرض عن الزراعة .
الباب الثالث — في الأقوات ، والخضرَاوات ، والبقولات .

القسم الثاني — في الأشجار .

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — فيما ثمره قشر لا يؤكل .
الباب الثاني — فيما الثمرة نوى لا يؤكل .
الباب الثالث — فيما ليس لثمره قشر ولا نوى .

القسم الثالث — في الفواكه المشحومة .

وفيه بابان :

الباب الأول — فيما يُشْمُ رَطْبًا، ويُستَقَطَر .

ويشتمل على أربعة أنواع : وهي "الورد،

والنَّشِيرُ، والخَلَّافُ، والنَّيْلُوفَرُ" .

الباب الثاني — فيما يُشْمُ رَطْبًا، ولا يُستَقَطَر .

ويشتمل على ما قيل في البَنْفَسَجِ، والترجمس .

والياسمين، والآس، والزعفران، والحبّيق .

القسم الرابع — في الرياض، والأزهار .



(ويتصل به الصموغ، والأمانان، والمصائر) .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول — في الرياض، وما وُصِفَتْ به نظرًا، وثرًا .

الباب الثاني — في الأزهار، وما وُصِفَتْ به .

الباب الثالث — في الصموغ .

وفيه ثمانية وعشرون صنفًا .

الباب الرابع — في الأمانان .

القسم الخامس — في أصناف الطيب، والبخورات، والموالي، والندود .

والمُستَقَطَرَات، والأدهان، والنَّضُوحَات، وأدوية

الباه، والخواص .

وفيه أحد عشر بابًا :

الباب الأول — في المسك، وأنواعه

الباب الثاني — في التعبير، وأنواعه، ومعادنه .

الباب الثالث — في العود، وأصنافه، وأنواعه، ومعادنه .

الباب الرابع — في الصنل، وأصنافه، ومعادنه .

الباب الخامس — في السبيل الهندى، وأصنافه، والقرنفل،

وجوهه .

الباب السادس — في القسط، وأصنافه .

الباب السابع — في عمل الفوالى، والتدود .

الباب الثامن — في عمل الزامك، والسك من الزامك والأدهان .

الباب التاسع — في عمل النضوحات، والمياه المستقطرة، وغير

المستقطرة .

الباب العاشر — في الأدوية التي تزيد في الباه، وتلذذ الجماع،

وما يتصل بذلك .

الباب الحادى عشر — فيها يفعل بالخاصية .

القرن الخامس

في التاريخ

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول — في مبدأ خلق آدم (عليه السلام) وحواء ، وأخبارهما ،

ومن كان بعد آدم إلى نهاية خبر أصحاب الرّس .

وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول — في مبدأ خلق آدم (عليه السلام) ، وموسى

(عليه السلام) ، وما كان من أخبارهما إلى

حين وفاتهما .

١٠ . الباب الثاني — في خبر شيث بن آدم (عليهما السلام) ، وأولاده .

الباب الثالث — في أخبار إدريس : النبي (عليه السلام) .

الباب الرابع — في قصة نوح (عليه السلام) ، وخبر الطوفان .

الباب الخامس — في قصة هود (عليه السلام) مع عاد ، وهلاكهم

بالريح العقيم .

١٥ . الباب السادس — في قصة صالح (عليه السلام) مع عود ،

وعقرهم الناقة ، وهلاكهم .

الباب السابع — في أخبار أصحاب البئر المعطلة ، والقصر المشيد ،

وهلاكهم .

٢٠ . الباب الثامن — في أخبار أصحاب الرّس ، وما كان من أمرهم .

القسم الثاني — في قصة إبراهيم، الخليل (عليه السلام)، وخبره مع نمرود؛
وقصة لوط؛ وخبر إسحاق، ويعقوب؛ وقصة يوسف؛
وأيوب؛ وذى الكفل؛ وشُعيب (عليهم السلام) .

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول — في قصة إبراهيم - الخليل (عليه الصلاة
والسلام)، وأخبار نمرود بن كنعان .

الباب الثاني — في خبر لوط (عليه السلام) مع قومه، وقلب
المدائن .

الباب الثالث — في خبر إسحاق، ويعقوب (عليهما السلام) .

الباب الرابع — في قصة يوسف بن يعقوب (عليهما السلام) .

الباب الخامس — في قصة أيوب (عليه السلام)، وأتلائه، وعافيته .

الباب السادس — في خبر ذى الكفل بن أيوب (عليهما السلام) .

الباب السابع — في خبر شُعيب (عليه السلام) ، وقصته مع
مَدْيَن .

القسم الثالث — يشتمل على قصة موسى بن عمران (عليه السلام) ،

وخبره مع فرعون؛ وخبر يوشع، ومن بعده، وحزقييل،

وإلياس، وأليسع، وعيلا، وأشمويل، وطالوت،

وجالوت، وداود، وسليمان بن داود، وشعيا،

وأرميا، وخبر بُحْتَنَصَّر، ونحراي بيت المقدس،

وعمارته؛ وما يتصل بذلك من خبر عزير؛ وقصة

٤

١٠

١٥

٢٠

يونس بن متى ، وخبر بلوقيا ، وزكريا ، ويحيى ،
وعمران ، ومريم ، وعيسى (عليهم السلام) ، وقصص
الحواريين ، وما كان من أمرهم فيمن أرسلوا إليه ،
وخبر جرجيس .

وفيه ستة أبواب :

(ردت على هذا القسم ذيلاً يشتمل على أربعة أبواب ، ذكرت فيها
ما قبل في الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى — عليه السلام — إلى
الأرض ومدة إقامته بها ، ووفاته ، وما يكون بعده ، وشيئا من أخبار
المختار والمعاد) .

- ١٠ الباب الأول — في قصة موسى بن عمران ، وهرون ، وغرق
فرعون ، وأخبار بني إسرائيل ، وأخبار
قارون ، وخبر بلعم بن باعوراء ، والجبارين ،
وغير ذلك .

الباب الثاني — فيما كان بعد موسى بن عمران (عليه السلام)

- ١٥ من أخبار يوشع بن النون ، ومن بعده ، وخبر
حزقييل ، وإلياس ، وأليسع ، وعيلا ،
وأشمويل ، وطالوت ، وجالوت ، وداود ،
وسليمان .

الباب الثالث — في أخبار شعيا ، وأرميا ، وخبر نبوت نصر ،

- ٢٠ وخراب بيت المقدس ، وعمارته ، وما يتصل
بذلك من خبر عذير .

الباب الرابع — في قصة ذى النون يؤتى من متى (عليه السلام) ، وخبر بلوقيا .

الباب الخامس — في خبر زكريا ، ويحيى ، وعمران ، ومريم أبنته ، وعيسى بن مريم (عليهما السلام) .

الباب السادس — في أخبار الجواريين الذين أرسلهم عيسى (عليه السلام) ، وما كان من أمرهم بعد رخصه ، وخبر جرجيس .

التذييل على هذا القسم — ويشتمل على أربعة أبواب :

الباب الأول — في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم .

الباب الثاني — في خبر نزول عيسى إلى الأرض ، وقتل الدجال ، ونزوح أجوج ، ومأجوج ، وهلاكهم ، ووفاء عيسى (عليه السلام) .

الباب الثالث — في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى ابن مريم إلى النسخة الأولى .

الباب الرابع — في أخبار يوم القيامة والحشر ، والمعاد ، والنسخة الثانية في الصور .

القسم الرابع - في أخبار ملوك الأصقاع، وملوك الأمم، والطوائف؛
وخبر ميل العرم، ووقائع العرب في الجاهلية .
وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول - في أخبار ذى القرنين، المذكور في سورة الكهف .

الباب الثانى - في أخبار ملوك الأصقاع، وهم : ملوك مصر،
والهند، والصين، وجبل الفتح .

الباب الثالث - في أخبار ملوك الأمم من الأعاجم، وهم : ملوك
الفرس الأول، وملوك الطوائف منهم؛
والملوك الساسانية؛ وملوك اليونان والسريان؛
والكلدانيين؛ والصقالبة؛ والبولكردي؛
والإفريقية؛ والجلالقة؛ وطوائف السودان .

الباب الرابع - في أخبار ملوك العرب .

(ويتصل به خبر سبيل العرم) .

الباب الخامس - في أيام العرب، ووقائعها في الجاهلية .

القسم الخامس - في أخبار الملة الإسلامية؛ وذكر شيء من سيرة نبينا محمد
(صلى الله عليه وسلم) ، وأخبار الخلفاء من بعده
(رضى الله عنهم) ؛ وأخبار الدولة الأموية؛
والعباسية؛ والعلوية؛ وذول ملوك الإسلام،
وأخبارهم، وما فتح الله سبحانه وتعالى عليهم - على
ما سنين ذلك - إن شاء الله (تعالى) .

وفيه اثنا عشر بابا :

الباب الأول — في سيرة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

الباب الثاني — في أخبار الخلفاء من بعده : أبي بكر، وعمر،

وعثمان، وعليّ، وأبنة : الحسن (رضى الله

عنهم أجمعين) .

الباب الثالث — في أخبار الدولة الأموية بالشام وغيره .

الباب الرابع — في أخبار الدولة العباسية بالعراق، ومصر .

الباب الخامس — في أخبار الدولة الأموية بالأندلس، وأخبار

الأندلس بعد انقراض الدولة الأموية .

الباب السادس — في أخبار إفريقية، وبلاد المغرب، ومن ولّوها

من العمال، ومن استقل منهم بالملك .

الباب السابع — في أخبار من نهض في طلب الخلافة من

الطالبين، في مدة الدولتين : الأموية،

والعباسية، فقتل دونها، بعد مقتل الحسين

آبن عليّ (رضى الله عنهما) .

الباب الثامن — في أخبار صاحب الزنج، والقرامطة، والخوارج

بالموصل .

الباب التاسع — في أخبار من استقل بالملك، والملك، بالبلاد

الشرقية والشامية، في خلال الدولة العباسية،

وهم : ملوك نُرّاسان، وما وراء النهر،

والجبال، وطبرستان، وغزنة، والغور

٥

١٠

١٥

٢٠

وبلاد الهند، والهند : كالدولة السامانية .
والصقارية، والغزنوية، والغورية، والدليمية
الختلية .

الباب العاشر — في أخبار ملوك العراق . وما والاد ، وملوك
الموصل . والديار الجيزية، والبكرية، والبلاد
الشامية، واخيلية : كالدولة الحمدانية .
والديلمية البويهية، والسلجقية، والأتابكية .
الباب الحادي عشر — في أخبار الدولة الخوارزمية . والحكرخانية،
وهي دولة التتار، وما تفرع منها .

- ١٠ الباب الثاني عشر — في أخبار ملوك الديار المصرية الذين ملكوا
في خلال نبوة العباسية، نيابة عن خلفائها،
وهم : الملوك العبسيديون الذين آتسبوا إلى
على بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وما كان
من أمرهم، وما ملكوه من بلاد المغرب،
١٥ وكيف استولوا على الديار المصرية، والبلاد
الشامية، والختلية، والفتور، والسواحل،
وغير ذلك إلى أن أقرضت دولتهم بـ وقيام
الدولة الأيوبية، وأخبار ملوكها بمصر، والشام
إلى حين أقرضها بـ وقيام دولة الترك، ومن
ملك منهم من أبنائهم، وما حازوه من الأقاليم،
٢٠ وما فصحوه من الممالك، وغير ذلك من

أخبارهم، وما آستقر في ملك مملوك هذه الدولة
إلى حين وضعنا لهذا التأليف في سنة ...
وسبعمائة (في أيام مولانا السلطان السيد
الأجل المالك الملك الناصر، ناصر الدنيا
والدين، سلطان الإسلام والمسلمين،
أبي الفتح محمد، بن السلطان الشهيد، الملك
المنصور، سيف الدنيا والدين، أبي المظفر
قلاوون، الصالح، خلد الله ملكه على ممر
الزمان، وسقى عهد والده صوب الرحمة
والرضوان، بركة سيد ولد عدنان !)

هذا مجموع ما يشتمل عليه هذا الكتاب، من فنون وأقسام وذيول وأبواب.
ثم ينطوي كل باب منها على فصول وأخبار، ويحتوى على وقائع وآثار.
ولما آتته أبوابه وفصوله، وأخلصت جملته وتفصيله، ترجمته:

بهاية الأرب في فنون الأدب

وأثبت فيه بالمقصود والغرض، وأثبت الجوهر ونصبت الأرض، وطوقته بقلائد
من مقول، وورصته بفرائد من منقول. فكلامى فيه كالسارية تلتها السحاب، أو السريّة
رديفتها الكئاب. فما هو إلا مترجم عن فنونه، وحاجب لبيونه.

وما أوردت فيه إلا ما غلب على ظنى أن النفوس تميل إليه، وأن الخواطر تشتمل
عليه. ولو علمت أن فيه خطأ لتبخت بنانى، وغضضت طرفى، ولو خبرت طريق

المتعز لعطف عاني ، وثبت عطفي . لكنني تبعْتُ فيه آثار الفضلاء قبلي ،
وسلكتُ منهجهم فوصلتُ بمجالهم جلي . فإن يكن اعتراض ، فعليّ علام لا على
العار . وقد علمتُ أنه من صنف كتابا فقد استهدف ، وأصمَّ الأسماع وإن كان
لبعضها قد شنف .

وخلق للواقف عليه أن يسد ما يجد به من خلل ، وأن يفر ما يلمح فيه من زلل .
فأسيل عليها ستر مهروفك الذي سترت به قدما على عواري . والذي أدنى إليه
اجتهادي من تأليفه قد أصدرته ، والذي وقفت عنده غايي فقد أوردته . قد
تبلفتُ فيه وسعى ، لكن ليس من عثرة الكتاب أمان . وبالله سبحانه المستعان !
وعليه أتوكل ، وإليه أتضرع في التيسير وأتوسل ؛ ومن فضله أستمد الصواب ،
وباسمه أستفتح الكتاب^(١) !

١٠

(١) ورد في النسخة الفوتوغرافية التي أعتمدنا الطبع عليها (وهي المحفوظة بكتبخانة الكوبري على بالنسطينية)
مانصه في هذا الموضع : "هذا آخر الفهرست لهذا الكتاب . ولنبتلي إن شاء الله تبارك وتعالى عما بدأ به
مؤلفه عفا الله تعالى عنه وهو الفهر الأول . ونرجو بكون الله وحوله وقوته الإتمام بسلام . وصل الله
رسلم على أشرف الأنام ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام" - وهي من زيادات الناصخ .



الفن الأول

في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية

وقد أوردت في هذا الفن نبذة من وصف السماء، التي هي قبلة الدعاء، وباب
الرجاء، والكواكب السيارة ذوات السنا والسناء، والملائكة الذين هم أولو أجنحة،
مثنى، وثلاث، ورباع، والسحاب التي تجود بوبلها فتعدل في قسّمها بين السهل
واليفاع، والرعد الذي إن وثت يثثها، والريح الذي إن اجتمعت يثثها، والبرق الذي
شبهه بنيران الحاسب والكف الخضيب، والثلج الذي خلع على الأرض رداء المشيب،
وقوس السحاب الذي تنكبه الجوفاء فرغ عليه مصبغات الحلل، ورعى الجذب ببنادق
البرد فتباشرت بالخصب أهل الحلل، والنيران وعبادها وعددها، والمياه وأمدادها
ومددها، والليالي والأيام، والشهور والأعوام، والسنة وقصولها ومبادئها، والأعياد
والمواسم ومثخنيها، والأرض والجبال، والبراري والرمال، والجزائر والبحار، والعيون
والأنهار، وطبائع البلاد، وأخلاق من سكنها من العباد، والمباني والمعاقل،
والتصور والمنازل.

وجعلته خمسة أقسام يستدل بها عليه، ويتوصل من أبوابها إليه.

القسم الأول

في السماء وما فيها
وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول

من القسم الأول من الفن الأول

١ - في مبدأ خلق السماء

قال الله تعالى : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا .

وَالسَّمَاءُ تَذَكَّرُ وَتُؤَنِّثُ .

فشاهد التذكير قول الله (عز وجل) : (السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ) ؛ وقول الشاعر :

فلو رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيهِ قَوْمًا ، لَحَقْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ !

وشاهد التأنيث ، قوله (تبارك وتعالى) : (إِذَا السَّمَاءُ انْفِطَرَّتْ) ؛ وقول الشاعر :

• يَلُوبُّ ، رَبِّ النَّاسِ فِي سَمَائِهِ !^(١)

(١) هكذا في الأصول ، أى بالهاء الختاة . ولو حُرِزَتْ ، لكانت الشاهد .

٢ - ذكر ما قيل في أسماء السماء وخلقيها

قد نطقت العرب للماء بأسماء .

منها : الجُرَاء . وَصِيَتْ بذلك لكثرة النجوم بها .

ومنها : الخَلْقَاء . للاستواء .

وبرق . والرَّقِيع . ومنه قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن مُعَاذ :

«لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة» . أى من فوق سبع سموات .

ومنها : الطرائق . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ .

والسما غلوجة من دُخَان .

٣ - حكي في سبب حدوثه

أن الله تعالى خلق جوهره ، وصف من طولها وعرضها عظم . ثم نظر إليها فنظر

هيبة ، فأماغت ، وعلاها من شدة الخوف زَبَدٌ ودُخَان . فخلق الله من الزبد الأرض ،

وفتحها سبعا ، ومن الدُخَان السماء ، وفتحها سبعا . ودليله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ . قال : ولما خلق الله تعالى السموات ، أوحى في كل سماء أمراها .

وآخلف المفسرون في الأمر ، ما هو ؟ فقال قوم : خلق فيها جبلا من برد وبحارا ؛

وقال قوم : جعل في كل سماء كوكبا ، قدر عليه الطلوع والأفول ، والسير والرجوع .

وقال قوم : أبهى ملائكة يتفرعون للعالم السفلى ، فوكل طائفة بالسحاب وطائفة

بالريخ ، وجعل منهم حَفَظَةً لِبَنِي آدَمَ وَكَاتِبِينَ لأَعْمَالِهِمْ وَمُسْتَغْفِرِينَ لَذُنُوبِهِمْ .

الباب الثاني

١ - في هيئتها

ذهب المفسرون لكتاب الله عز وجل أن السماء مسطوحة ، بدليل قوله تعالى :
(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) .

وقال تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) .

ويطلق على مجموعها فلک ، لقوله تعالى : (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) .

(١٧)

وذهب الحسن إلى أن الفلك غير السماوات ، وأنه الحامل بأمر الله تعالى للشمس
والقمر والنجوم .

قالوا : ولما فتق الله تعالى رتق السماوات ، جعل بين كل سماء وسماء مسيرة
خمسمائة عام .

وروى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، قال : " بيننا رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) جالس هو وأصحابه ، إذ أتى عليهم سحاب . فقال النبي (صلى الله عليه وسلم)

هل تدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا السنان ، هذه رَوَايا الأرض ،

يسوقها الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه . ثم قال : أتدرون ما فوقكم ؟ قالوا :

الله ورسوله أعلم . قال : هذا الرقيق : سقف محفوظ ، وموج مكفوف . ثم قال : هل

تدرون ما بينكم وبينها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة .

ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : سماء في بُعد ما بينهما

خمسمائة سنة . قال ذلك حتى بلغ سبع سموات ، ما بين كل سماءين ، ما بين السماء والأرض . ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنَّ فوق ذلك العرش . وبينه وبين السماء بُعد ما بين السماءين . ثم قال : هل تدرون ما تحتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنَّها الأرض . ثم قال : أتدرون ما تحت ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنَّ تحتها أرضاً أخرى ، بينهما مسيرة خمسمائة سنة . حتى عدت سبع أرضين ، بين كل أرض وأرض خمسمائة سنة . أخرجه أبو عيسى الترمذی ، في "جامعه" .

ويروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان جالساً بالبطحاء ، بين أصحابه ، إذ مرَّت عليهم صحابة . فنظروا إليها . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هل تدرون ما اسم هذه ؟ قالوا : نعم . هذا السحاب . فقال (صلى الله عليه وسلم) : والمُزَن . قالوا : والمُزَن . قال : والعنان . قالوا : والعنان . فقال : هل تدرون ما بين السماء والأرض ؟ قالوا : لا ندري . قال : خمسمائة عام . وبينها وبين السماء التي فوقها كذلك . (حتى عدت سبع سموات) . ثم قال : وفوق السماء السابعة بحرٌ ، بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء (وفي لفظ : كما بين السماء والأرض) . وفوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أطلانهم وركبتهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ظهورهم العرش ، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض .

وجاء في رواية أخرى ذكر الكرسي ، وقال : « ثم ما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام . ثم ما بين الكرسي إلى السماء مسيرة خمسمائة عام . والعرش فوق السماء . » ولم يذكر الأوعال .

وجاء في رواية أخرى ذكر الكرسي ، وأت السماوات في ضمنه . وهي بالنسبة إليه
حكمة ملقاة في أرض فلاة ، والكرسي بالنسبة إلى العرش كذرة ملقاة في أرض فلاة
فيحاء . (وفي رواية حكمة) .

وروى أن أبا ذر (رضي الله عنه) قال : "يا رسول الله : أي آية أنزلت عليك
أعظم ؟ قال : آية الكرسي . ثم قال : يا أبا ذر ! أتدري ما الكرسي ؟ قلت : لا ؛
فجئني يا رسول الله ، مما علمك الله . فقال : ما السماوات والأرض وما فيهن
في الكرسي ، إلا حكمة ألقتها ملئي في فلاة . وما الكرسي في العرش ، إلا حكمة ألقتها
ملئي في فلاة . وما العرش في الماء ، إلا حكمة ألقتها ملئي في فلاة . وما الماء في الريح ،
إلا حكمة ألقتها ملئي في فلاة . وجميع ذلك في قبضة الله كالحبة ، وأصغر من الحبة ،
في كف أحدكم . تعالى الله سبحانه " . رواه أبو حاتم في كتاب السطمة .

والقول في هيئة السماء ، على مذاهب أصحاب علم الهيئة ، كثير . أغضينا عنه ، لأنه
لا يقوم عليه دليل واضح . فلذلك اقتصرنا على ذكر المنقول دون المعقول .
فلنذكر ما جاء في الأمثال التي فيها ذكر السماء ، وما وصفها الشعراء به وشبهوها .

٢ — أما الأمثال

فقولم : أرفع من السماء ، ^{١٥} .

وقول الشاعر :

من ذا رأى أرضاً بشير سماء ؟

إن السماء تُربى حين تتخشب .

إن السماء ، إذا لم تبك مُقلتها ، * لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر .

٣ - وأما الوصف والتشبيه

لمنه قول عبد الله بن المعتز :

كَانَتْ سَمَاءَنَا، لَمَّا تَجَلَّتْ * خِلَالَ مُجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ،
رِيَاضٌ بِنَفْسِجِ خَضِيلٍ، نَدَاهُ * تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقَاحِ .

وقال آخر :

كَانَ سَمَاءَنَا، وَالشَّهْبُ فِيهَا، * وَأَصْفَرُهَا لِأَكْبَرِهَا مُزَاجِمْ،
بِإِسَاطٍ زُرْدٍ ثَرَتْ عَلَيْهِ * ذَنَابِيرٌ تُحَالِطُهَا دَرَاهِمُ .

ونحوه قول الآخر :

كَانَ سَمَاءُ الْأَرْضِ نَطْعُ زُرْدٍ، * وَفَدْفُرَتْ فِيهِ الدَّانِيرُ لِلصَّرْفِ .

وقال آخر :

وَرَأَيْتُ السَّمَاءَ كَالْبَحْرِ إِلَّا * أَنَّ مَرَسُوبَهُ مِنَ الذُّطَافِ .
فِيهِ مَا يَمْلَأُ الْعُيُونَ كَبِيرٌ * وَصَغِيرٌ مَا بَيْنَ ذَلِكَ خَافِ .

وقال التَّنَوُّحِيُّ يَصِفُ لَيْلَةً :

كَأَنَّمَا مُجُومُهَا ، * نُصَبَّ عُيُونُ الرُّمَقِ .
دَرَاهِمٌ قَدْ ثَرَتْ * عَلَى إِسَاطِ أُرْزَقِ .

وقال أبو طالب الرُّقِّي :

وَكُنْتُ أَجْرَامَ السَّمَاءِ، لَوَامِعًا، * دُرَرٌ تَرِنُ عَلَى إِسَاطِ أُرْزَقِ .

وقال ظافر الحنَّاد :

كَانَ مُجُومُ اللَّيْلِ، لَمَّا تَبَلَّجَتْ، * تَوْقُفٌ جَمْرٌ فِي خِلَالِ رَمَادِ .
حَكِيٌّ، فَوْقَ مِمْتَدِّ الْمَجَرَّةِ شَكْلُهَا، * قَوَاقِعَ تَطْفُو فَوْقَ بَخَّةِ وَاِدِي .

وقال آخر:

كَأَنَّ النُّجُومَ ، نَجُومَ السَّمَاءِ ، * وَقَدْ لُحِنَ لِلْعَيْنِ مِنْ قَرُوطٍ بَعْدَ ،
مَسَامِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ سُمِرَتْ * عَلَى وَجْهِ لَوْحٍ مِنَ الْأَزْوَادِ .

وقال محمد بن عاصم :

رَأَى صَفْحَةً انْخَضَرَاءَ ، وَالتَّعْجُمُ فَوْقَهَا ، * كَكَفِّ سُوسَى بَدَأَ فِيهِ دَرَاهِمُ .
رَأَى ، وَعَلَى الْأَفَاقِ أَثْوَابٌ ظُلُمَاءُ ، * وَأَزْرَارُهَا مِنْهَا شِمَالٌ وَمَرْزَمُ .

٤ - وَمَا قِيلَ فِي الْفَلَكَ

قال أبو العلاء المَعْرِيُّ :

بَالَيْتَ شِعْرِي ! وَهَلْ لَيْتَ بِنَافِعَةٍ ؟ * مَاذَا وَرَاعَكَ أَوْ مَا أَنْتَ يَا فَلَكَ ؟
تَكْمُلُ خَاصَّ فِي أَثَرِكَ الْأَقْوَامُ وَاخْتَلَفُوا * فِدَمًا ! فَمَا أَوْحَوْا حَقًّا وَلَا تَرَكُوا .
شَمْسٌ تَغِيْبُ وَيَقْفُو أَثَرَهَا قَسْرٌ ، * وَنُورٌ صُبْحٍ يُؤَافِي بَعْدَهُ حَلَكٌ .
طَلَعَتْ طَحْنُ الرِّحَى مِنْ قَلْبِنَا أُمًّا * شَيْءٌ ، وَلَمْ يَدِرْ خَلْقُ آيَةٍ سَلَكُوا .
وَقَالَ ، إِنَّكَ طَبَعَ خَامِسٌ ، تَقَرَّرَ * عَمْرِي ! لَقَدْ زَعَمُوا بَطْلًا وَقَدْ أَفْكُوا !
رَأَوْا سَرَائِرَ الرَّحْمَنِ حَجَّيْنَاهَا * مَا نَظُنُّ نَبِيًّا ، لَا وَلَا مَلِكًا .

وقال الرئيس أبو علي بن سينا :

بِرَبِّكَ ! أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمُدَارُ ، * أَقْصِدْ ذَا الْمَسِيرِ أَمْ أَضْطَرُّ ؟
مُدَارُكَ ، قُلْ لَنَا ، فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ * فَنِي أَفْهَامِنَا مِنْكَ أَتَبْهَرُ !

(١) المزمع : الثالث القائم على الأرض .

(٢) قال صاحب عيون الأنباء (ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩) إن بعض الناس يفسر هذه القصيدة

لأبي سيبويه . وليست له . ونفس على أنها لأبي النضر البغدادي وقد أوردتها في خمسين بيتا .

وَعِنْدَكَ تُرْفَعُ الْأَرْوَاحُ؟ أَمْ هَلْ * مَعَ الْأَجْسَادِ يُدْرِكُهَا الْبَوَارُ؟
 وَفِيكَ الشَّمْسُ رَافِعَةٌ شُعَاعًا ، * بِأَجْنِيَةٍ قَسَادِيهَا قِصَارُ؟
 فُطُوفٌ، ذِي النُّجُومِ أَمْ اللَّالِ؟ * هِلَالٌ أَمْ يَدٌ فِيهَا مِسْوَارُ؟
 وَنُشُبٌ ، ذِي الْمَجَرَّةِ أَمْ ذُبَالٌ * عَلَيْهَا الْمَرْخُ يُقَدِّحُ وَالْعَنَارُ؟^(١)
 وَنَرَصِيخٌ ، نُجُومُكَ أَمْ حَبَابٌ * تُؤَلِّفُ بَيْنَهَا اللَّجَجَ الْغِزَارُ؟
 تُمَدُّ رُقُومُهَا لَيْلًا وَتُطَوَّى * نَهَارًا، مِثْلَ مَا طَوَّى الْإِزَارُ!
 فَكَمْ يَصِفُهَا لَهَا صَدِيقُ الْبَرَايَا ! * وَمَا يَصْنَعُ لَهَا أَبَدًا غِرَارُ.
 وَتَبْدُو ثُمَّ تَحْتَسِرُ رَاحِيَاتِ * وَتَكْلِسُ مِثْلَ مَا كَلَسَ الصُّوَارُ.^(٢)
 فَبَيْنَا الشَّرْقُ يُقْدِمُهَا صُغُودًا * تَلْقَاهَا مِنَ الْغَرْبِ أَيْحُدَارُ.
 هِيَ السَّمَاوَاءُ، مَا خَبِطَتْ هَيْشِمٌ * هِيَ السَّجَّاءُ، مَا جَرَحَتْ جُبَارُ.^(٣)

وقال أبو عبادة البُحَيْرِي :

أَنَاءُ! أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمُنْدَارُ! * أَنْتَبُّ مَا تُصَرِّفُ أَمْ خِيَارُ؟
 سَتَبِلُ مِثْلَ مَا نَبِلُ، وَتَغْنَى * كَمَا تَغْنَى، وَيُؤْخِذُكَ نَارُ.

(١) القِيَال : القِيَالِ .

(٢) الْمَرْخ : غير سريع الورد كثير . وقد وصفه المؤلف في أبيه (ص ٣٩) بأنه شجر تحتك بعض أغصانه يبيض خضرة نارا .

(٣) السَّجَّاء : شجر ينفذ منه الزناد وهو من شجر النار .

(٤) الصُّوَار كالضياء يكثر الصاد ومنها : القطيع من البقر .

(٥) الْجِبَار (ضم الجيم) المَدَر .

الباب الثالث .

من القسم الأول من الفن الأول

١ - في ذكر الملائكة

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أَطَلَّتِ السَّمَاءُ ، وَحُقَّ هَذَا أَنْ تَنُطَّ . (١)

ما فيها موضع أربع أصابع ، إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد .

والملائكة أولو أجنحة : متى ، وثلاث ، ورباع ، وأكثر من ذلك . فإنه قد

ورد أن جبريل (عليه السلام) له ستمائة جناح . وهى الصورة التى رآه النبي

(صلى الله عليه وسلم) فيها مرتين :

إحدهما فى الأرض ، وقد سد ما بين الخافقين . ووصفه الله تعالى بالقوة .

فقال تعالى : (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) . ومن قوته ، أنه أدخل مدائن

قوم لوط ، وكانت خمس مدائن ، من الماء الأسود ، وحملها على جناحه ، ورفعها إلى

السماء ، حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم ، وأصوات دجاجهم ، ثم قلبها .

والمرتة الثانية ، رآه (صلى الله عليه وسلم) عند سيّدة المنتهى . قال الله تعالى :

(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ) .

وكان هبوط جبريل (عليه السلام) على الأنبياء (صلوات الله عليهم) ورجوعه

فى أوحى^(٢) من رَجْعِ الطَّرْفِ .

(١) أط : موت .

(٢) أسرع .

وعظماء الملائكة أربعة ، وهم : إسرافيل ، وميكائيل ، وجبرائيل ، وعزرائيل .
وأقربهم من الله تعالى منزلةً ، إسرافيل .

فإذا أراد الله تعالى يوحي ، جاء اللوح المحفوظ حتى يقرع جبهة إسرافيل ، فيرفع رأسه . فينظر فيه . فإن كان إلى السماء ، دفعه إلى ميكائيل ، وإن كان إلى الأرض ، دفعه إلى جبرائيل ، وإن كان بموت أحد ، أمر به عزرائيل . صلوات الله عليهم !

وقد روى في قوله تعالى : ﴿ فَالْمُذَّبَّرَاتِ أَمْرًا ﴾ ، هم أربعة من الملائكة :
جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل . بجبريل على الجنود والرياح ،
وميكائيل على القطر والنبات ، وعزرائيل على قبض الأرواح ، وإسرافيل يبلغهم ما يؤمرون به .

وحمل الله تعالى لهم أن يمتثلوا للبشر على ما شاءوا من الصور ، كما كان جبريل يمتثل
لسيدتنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على صورة دحية الكلبي مرارا ، وفي صورة
غيره من الرجال ، وكما تمتل لمريم عليها السلام بشرا سويا . ونزلت الملائكة في غزوة
بدر على الخيول المسومة ، وقد سدلوها ذوائب عمائمهم على مناكبهم . وهم مخلوقون من
نور . سنوات الله وسلامه عليهم أجمعين !

الباب الرابع

من القسم الأول من الفن الأول

١ - في الكواكب السبعة المتحيرة

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِي الْكُنُوسِ ﴾ . ذهب المفسرون إلى أنها هي الكواكب السبعة : زُحَلُ ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر .

وقالوا : إن هذه الكواكب هي المعنية بقوله تعالى : ﴿ فَلَمُذَبَّرَاتٍ أَمْرًا ۖ ﴾ .

وسميت كُنُوسًا لأنها تجري في البروج ثم تَكُنُسُ أى تستتر كما تَكُنُسُ الظباء ، وكُنُوسًا لاستقامتها ورجوعها . وقيل الْخُنُوسُ وَالْكُنُوسُ منها نجمة ، دون الشمس والقمر . وسميت كُنُوسًا لأن الْخُنُوسَ في كلام العرب الانقباض . وفي الحديث الشريف ١٠ " الشيطانُ يُوَسْوِسُ للعبد ، فإذا ذكر الله تعالى خَنَسَ " أى انقبض ورجع . فيكون في الكوكب معنى الرجوع . وكُنُوسًا من قول العرب كَنَسَ الظبي إذا دخل الكناس ، وهو مقزّه ، ويكون في الكوكب أخفائه تحت ضوء الشمس .

وأسماء هذه الكواكب عند العرب مشتقة من صفاتها .

§ فقالوا في زحل : زَحَلُ فلان إذا أبطأ ، وبذلك سُمِّيَ هذا الكوكب لبطئه في السماء . ١٥ وقيل الزَّحَلُ والزَّحِيلُ الحقد وهو في طبعه . وهذا الكوكب عند المفسرين هو المعنى بقول الله عز وجل ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ الْحَجُّمُ الثَّاقِبُ ﴾ .

(١) الفضل الذي بمعنى الحقد بالذال المسجمة ولم يذكره أحد من أئمة اللغة في الزاى . فهو أشبه على الناظر .

والذي " في اللسان " أنه سمي بذلك لعده .

§ وقالوا في المشتري : إنه إنما سُمِّيَ بذلك لحسنه، كأنه اشترى الحسن لنفسه. وقيل لأنه نجم الثبراء والبيع، ودليل الأموال، والأرباح .

§ وقالوا في المِزْخ : إنه مأخوذ من المِزْخ (وهو شجر تحثك بعض أغصانه ببعض فتورى نارا) فسُمِّيَ بذلك لآحمراره . وقال آخرون المِزْخ سُمِّيَ لاريش له إذا رُمِيَ به لا يستمر في مِزْه . وكذلك المِزْخ، فيه آلتواء كثير في سيره وحكمه، فشبه بذلك .

§ وقالوا في الشمس : إنها لما أن كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية وثلاثة سفلية، سميت بذلك لأن الواسطة التي في الحقيقة تسمى "شمسة" .

❦

§ وقالوا في الزهرة : إنها مشتقة من الزاهر، وهو الأبيض النير من كل شيء .
§ وقالوا في عطارد : إنه النافذ في الأمور، ولهذا سُمِّيَ بالكتاب . وهكذا هذا الكوكب كثير التصرف مع ما يلاقيه ويقارنه .

§ وقالوا في القمر : إنه مأخوذ من القمرة، وهي البياض، والاقمر الأبيض .
§ والفرس سُمِّيَ هذه الكواكب بلفتها "كيوان"، ويعنون به زحل ؛ و"نير"، ويعنون به المشتري (وبعضهم يسميه "الريجيس") ؛ و"بهرام" ويعنون به المِزْخ ؛ و"مهر" ويعنون به الشمس ؛ و"أناهيد" ويعنون به الزهرة (وبعضهم يسميها "سِيْدُخْت") ، و"هرمس" (يعنون به عطارد)، و"ماه" (يعنون به القمر) .
§ وقد جمع بعض الشعراء أسماء هذه الكواكب في بيت واحد من بيتين يمدح بهما بعض الرؤساء فقال :

لَا زَلَّ تَبْقَى وَتَرْقَى لِلْعُلَا أَبَدًا * مَا دَامَ لِلسَّبْعَةِ الْاَفْلَاكِ أَحْكَامُ !
مِهْرٌ، وَمَاهٌ، وَكِيَوَانٌ، وَنِيرٌ مَعًا * وَأَنَاهِيدٌ، وَبَهْرَامُ !

وقال أبو إسحاق الصابي :

نَلِ الْمُنَى فِي يَوْمِكَ الْأَجُودِ * مُسْتَنْجِعًا بِالطَّالِعِ الْأَسْعَدِ !
وَأَرَقِّ كَرَفَى زَحَلٍ صَاعِدًا * إِلَى الْمَعَالِي أَشْرَفِ الْقَصِيدِ !
وَفَضْ كَفَيْضِ الْمُشْتَرَى بِالنَّدَى * إِذَا أَعْتَلَى فِي أَفْقِهِ الْأَبْعَدِ !
وَزِدْ عَلَى الْمِزْيَجِ سَطَوًا بِمَنْ * عَادَاكَ مِنْ ذِي تَحْوَةٍ أَصِيدِ !
وَأَطْلُعْ كَمَا تَطْلُعُ شَمْسُ الضُّحَى * كَأَسْفَافِ الْخُنْدِيسِ الْأَسْوَدِ !
وَاخُذْ مِنَ الزُّهْرَةِ أَفْصَلَ مَا * فِي عَيْشِكَ الْمُسْتَقْبَلِ الْأَرْغَدِ !
وَصَاحِ بِالْأَقْلَامِ فِي جَرِيهَا * عُطَارِدَ الْكَاتِبِ ذَا السُّوَدِ !
وَبَايَ بِالْمَنْظَرِ بَدْرَ الدُّجَى * وَأَفْضَلُهُ فِي بَهْجَتِهِ وَأَزْدِ !

وقد اختص كل كوكب من هذه الكواكب بقول . سنذكر من ذلك ما تقوم به
الحجة ، وينهض به الدليل من الكتاب والسنة ، وما يُثْبِتُ به ما فيه ذكرها ، وما ورد
في ذلك من الأوصاف والتشبيهات : نظماً ونثراً مما وقفت عليه في أثناء مطالعتي لكتب
الفضلاء وتصانيفهم ودواوينهم . وعدلت عن أقوال المنجمين لما فيها من سوء الطوية
وقبح الاعتقاد : لأن منهم من يرى أن للنجوم في الوجود تأثيرات وأفعالا . أعاذنا الله
تعالى من ذلك !

١٥

٢ - ذكر ما قيل في الشمس

(والشمس هي النير الأعظم)

وقد ذهب بعض المفسرين لكتاب الله تعالى إلى أن نور الشمس والقمر في سائر
السموات بدليل قول الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي تُوْنٍ وَأَجْعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾ .

وجاء في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "الشمس والقمر وجوههما إلى السماء وأقفاؤهما إلى الأرض" وفي حديث آخر "وجوههما إلى العرش وأقفاؤهما إلى الأرض". وفي حديث آخر "إن الشمس تكون في الصيف في السماء الخامسة، وفي الشتاء في السماء السابعة تحت عرش الرحمن".

§ وزعموا أن حركتهما وحركة سائر الكواكب مستقيمة غير مستديرة، وأن الشمس تقطع سماء الدنيا في يومها، وتنيب في الأرض في عين حَيْثَةٍ. ومعنى حَيْثَةٍ ذات حَمَاءَ. وقد جاء في تفسير قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآ﴾ أى إلى موضع قرارها، لأنها تجرى إلى أبدد منازلها في الغروب، ثم ترجع؛ ومن قرأ "لامستقر" لها أى هي دائبة السير ليلا ونهارا. وهي قراءة شاذة.

وقد قال الله تعالى ﴿وَنَحْنُ لَكُمْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَاشِيَيْنِ﴾ وروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنها تجرى لمستقر لها تحت العرش، فتصخر ساجدة؛ فلا تزال كذلك حتى يُؤذَنَ لها في الطلوع. ويوشك أن يقال لها: أرجعي من حيث جئت؛ وذلك طلوعها من مغربها.

وذهب وهب بن منبه إلى أن الشمس على عجلة لها ثلثمائة وستون عروة، وقد تعلق بكل عروة ملكٌ، يميزونها في السماء ودونها البحر المسجور في موج مكفوف كأنه جبل ممدود في الهواء، ولو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت ماعلى وجه الأرض من شيء حتى الجبال والصخور. وروى عن كعب أنه قال: "خلق الله القمر من نور وخلق الشمس من نار".

(١) هذا الرأي هو الذي استقر عليه علماء الفلك أخيرا، بعد التحقيق والتدقيق. فلهذا درصاحبه! فإنه، وإن كان قد خالفه فيه القدماء، لكنه قد أجزه الراغبون في العلم الآن.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۖ وَالسَّارِجَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نَارِهِ وَهُمَا مُضِيَّانَ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ بِمَا يَضِيَّانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ۖ

وقد تقدم الدليل على ذلك .

٣ - ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الشمس

يقال : أشهر من الشمس ، أحسن من الشمس ، أدل على الصبح من الشمس .

ومن أنصاف الآيات :

- « وَهَلْ شَمْسٌ تَكُونُ بِلَا شُعَاعٍ »
- « فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ رُحِيلٍ »
- « وَلَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهَارِ، لَمَلَّتِ »
- « الشَّمْسُ تَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادٌ »
- « الشَّمْسُ طَالَعَةٌ إِنْ غُيِبَ الْقَمَرُ »
- « وَرُبَّمَا تَنَكَّسِفُ الشَّمْسُ »
- « وَالشَّمْسُ تَحْطِقُ فِي الْحَجَرِ وَتَرْقُبُ »
- « إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَقْرُبْ، فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ »

ومن الآيات قول الطائي :

فإني رأيت الشمس زبدت بحجة * إلى الناس إذ ليست عليهم بمرمد .

وقال علي بن الجهم .

والشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد .

وقال أبو تمام :

وإن صريح الرأي والحزم لأمرئ * إذا بلغت الشمس أن يتحوّل .

وقوله :

وَكُلُّ كُصُوفٍ فِي الدَّرَارِي شَيْعَةٌ ، * وَلِكِنَّهُ فِي الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ اشْتَعٌ .

وقوله أيضا :

أَعِنْدَكَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَنَازِلِهَا ، * وَأَنْتَ مُشْتَفِلُ الْإِلْخَاطِ بِالْقَمَرِ ؟

وقال البُحْتَرِيُّ :

كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى ، * وَيَذْنُو الضُّوْءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ .

وقال ابن الرومي :

وَرَأَيْتُهُ كَالشَّمْسِ : إِنْ هِيَ لَمْ تُنَلِّ * فَالْدَفْءُ مِنْهَا وَالضِّيَاءُ يُنَالُ .

وقال أيضا :

كَالشَّمْسِ لَا تَبْدُو فِضِيلَتُهَا * حَتَّى تُنْقَى الْأَرْضُ بِالظُّلَمِ .

وقال أيضا :

كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ مَحَلُّهَا ، * وَشُعَاعُهَا فِي سَائِرِ الْآفَاقِ .

وقال العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُونُهَا فِي السَّمَاءِ ، * فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلًا !

وقال أبو عبيد البركي :

وَالشَّمْسُ يُسْتَفَى ، إِذَا طَلَعَتْ ، * أَنْ يَسْتَضَاءَ بَغْزَةَ الْبَدْرِ .

وقال أبو الطيب المتنبي :

كَالشَّمْسِ لَا يَتَبَنَّى بِمَا صَنَعَتْ * مَنَفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا .

وقال ابن لَنَكَّك البصري :

وَهَبْكَ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنِ أَلَمِّهَا * يُفَرِّغُ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَى الضَّرِّ؟

وقال ابن عَبَّاد :

فَقُلْتُ : وَشَمْسُ الضُّحَى تُجْتَمِئُ * إِذَا بَسَطَتْ فِي الْمَصِيفِ الْأَذَى .

وقال ابن مسويه الخالدي :

لَا يُبْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَرْلُهُ * فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا .

وقال أبو الفتح البُيُوتِيُّ :

فَالْحُرُّ حَرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ تَوَى ، * وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ .

٤ - ذكر ما جاء في وصف الشمس وتشبيهها

§ من ذلك قول الوزير المهلبي :

الشَّمْسُ فِي مَشْرِقِهَا قَدْ بَدَتْ * مُنِيرَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبُ .

كَأَنَّهَا بَوْدَقَةٌ أُحْمِيَتْ ، * يَحْكُلُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبُ .

وقال ظافر الحنّاد :

أَنْظُرْ لِقَرْنِ الشَّمْسِ بَارِعَةً * فِي الشَّرْقِ تَبْدُوهُمْ تَرْتِفِعُ !

كَسَيِّدَةِ الرَّجَاجِ ذَائِبَةٍ * حَمْرَاءَ يَنْفُخُهَا فَتَنْفِيعُ .

وقال أبو هلال العسكري :

وَالشَّمْسُ وَاسْخَةٌ الْجَيْنِ كَأَنَّهَا * وَجْهُ الْمَلِيحَةِ فِي الْخَمَارِ الْأَزْرَقِ !

وكانها عند أنيساط شمعائها * تير يدوب على فروع المشرق!

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي :

أو ما ترى شمس الأصيل عيلة * تزداد من بين المغارب مغرباً؟

ما لت لتجرب تنقصها فكانها * مدت على الدنيا فلا مذهباً!

§ ومما وصفت به — وقد قابلت القمر — قول الشاعر :

أما ترى الشمس، وهي طالمة * تمنع عنا إدامة النظر؟

ممرء صفراء في تلونها * كأنها تستكي من الشهر.

يمثل عروس غداة ليلها * تمسك مراثها من العمر.

وقال مؤيد الدين الطغرائي، عفا الله عنه ورحمه :

وكانما الشمس المنيعة إذ بدت، * والبدر يفتح للغييب وما غرب،

متحاربان : لذا يحن صاعه * من قصة، وإذا يحن من ذهب.

§ ومن أحسن ما وصفت به في الطلوع والزوال والغروب قول أعرابي :

محبأة : أما إذا الأيل جنها * فتحن وأما في النهار فمهن.

إذا أشرق عنها ساطع الفجر وأقبل * دجى الليل وأنجاب المحجبات المسيرة

والنيس عرض الأفق لو أن كأنه * على الأفق الغربي ثوب مخصر

عليها ذروع الرعفرات، يسوبه * شعاع لآل فهو أبيض أصفر:

ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة * تراه إذا زالت عن الأرض ينشر.

فأفنت قرونا، وهي في ذلك لم تزل * تموت ونحيا كل يوم وتشر!

وقال آخر:

وبدأ لنا ترُس من الذهب الذي * لم يُنتزع من معدن بتعمل .
 صرّاة نور لم تُسن بصباغة * كالأولاجليت بكف الصبيل .
 نسمعو إلى كيد السماء كأنها * تبني هناك دفاع أمر مفضل .
 حتى إذا بلغت إلى حيث انتهت * وقفت كوقفة سائل عن منزل .
 ثم آتشت تبني الحذور كأنها * طير آسف مخافة من أجل .

وما وصفت به ، وقد قابلت الغيم ، قول ابن المعتز :

تظل الشمس رمقنا بطرف * خفي لحظه من خلف ستر .
 نحاول فتق غيم وهو يابى * كمين يحاول نيل بكر .

وقال آخر:

وعين الشمس رنو من بعيد * رنو البكر من خلف الستور .

وقال محمد بن رشيقي :

فكان الشمس بكر حجت * وكان الغيم ستر قد ستر .

٥ - ذكر شيء مما وصفت به على طريق الذم

١٥ فن ذلك ما قاله عبد الملك بن عمير ، وقد سئل عنها فقال : مظهره للذاء ، مثقلة للهواء ، مباله للشوب ، جالية للهب .

وقال آخر : الشمس تسحب اللون ، وتغير العرق ، وتزني البدن ، وتغير الميزة .
 إذا احتجعت فيها ، أمرضتك ؛ وإن أطلت النوم فيها ، أفلجتك ؛ وإن قربت منها ، صرت زنجياً ، وإن بعدت عنها ، صرت صقيلاً .

٢٠ (١) كذلك بالأصل ولعل يد النسخ حرفته عن "سئل" كما هو ظاهر .

وقال ابن سينا الملك :

لا كانت الشمس ! فكَمْ أَصْدَأَتْ ٥ صَفْحَةً خَدَّ كَالْحُسَامِ الصَّقِيلِ !
وَكَمْ صَدَتْ بِوَادِي الْكَرَى * طَيْفَ خِيَالٍ جَاءَنِي عَنْ خَلِيلِ !
وَأَعْدَمْتَنِي مِنْ نُجُومِ الدَّجَى ٥ وَمِنْهُ رُوضَا بَيْنَ ظِلِّ ظَلِيلِ !
تَكْذِبُ فِي الْوَعْدِ وَبُرْهَانُهُ ٥ أَنْ سَرَابَ الْفَقْرِ مِنْهَا سَلِيلِ .
وَهِيَ إِذَا أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ ٥ حَدِيدُ طَرَفٍ رَاحَ عَنْهَا كَلِيلِ .
يَا عِلَّةَ الْمَهْمُومِ ، يَا جِلْدَةَ السَّمْحُومِ ، يَا زَفْرَةَ صَبَّ نَيْمِلِ !
يَا قَرْمَةَ الْمَشْرِقِ عِنْدَ الضُّحَى ٥ وَسَلْمَةَ الْمَغْرِبِ عِنْدَ الْأَمِيلِ !
أَنْتِ تَحْجُوزُ ٥ لَمْ تَبْرَحِي لِي ٥ ٥ وَقَدْ بَدَأَ مِنْكِ لَعَابُ يَسِيلِ ؟

وقال التيفاشي : عفا الله تعالى عنه ورحمه :

فِي خِلْفَةِ الشَّمْسِ وَأَخْلَاقِهَا ٥ شَتَّى عُيُوبٌ سِتَّةٌ تُذَكِّرُ .
رَمْدَاءُ ، عَمْشَاءُ ، إِذَا أَصْبَحَتْ ٥ عَمِيَاءُ عِنْدَ اللَّيْلِ ، لَا تُبْصِرُ .
وَيَقْتَدِي الْبَدْرُهَا كَاسِفًا ٥ وَجِرْمُهَا مِنْ جِرْمِهِ أَكْبَرُ .
حُرُورُهَا فِي الْقَيْظِ لَا تُنْقِي ٥ وَذِفُوفُهَا فِي الْقُرْ مُسْتَحَقَرُ .
وَخُلْفُهَا خُلُقُ الْمَالِكِ الَّذِي ٥ يَنْكُثُ فِي الْعَهْدِ وَلَا يُبْصِرُ .
لَيْسَتْ بِحَسَنَاءَ ، وَمَا حُسْنُ مَنْ ٥ يَحْمِرُ عَنْهُ الْخَطُّ لَا يُبْصِرُ ؟

وقال أبو الطيب المتنبي :

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مَنْ بَيَضَ أَوْجُهَا * وَلَا تُسَوِّدُ بَيَضَ الْعَذْرِ وَاللِّمَمِ .
وَكَانَ حَالُهَا فِي الْحَكَمِ وَاحِدَةً * لَوْ اخْتَصَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ .

٦ - ذكر ما قيل في الكسوف

روى أن الشمس كُست في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووافق ذلك موت إبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال الناس: إنما كُست الشمس لأجله فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنَّمَا لَا يَكْشِفَانِ مَوْتَ أَحَدٍ وَلَا حَيَاتَهُ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا حَتَّى يَكْشَفَ مَا بَكُمْ".

وقال محمد بن هاني في الكسوف .

هي الحوادثُ لا تُتَبَقُّ ولا تُدَرُّ * ما لِلْبَرِيَّةِ مِنْ مَحْتَمِهَا وَزَرٍّ
لو كان يُخَيَّ عُلُوٌّ مِنْ بَوَاقِيهَا * لم تُكْشَفِ الشَّمْسُ بل لم يُخْصَفِ الْقَمَرُ

٧ - ذكر أسماء الشمس اللغوية

والشمس أسماء نطقت بها العرب . فمنها : ذُكَاءٌ ، والجارية ، والجنونة ، والفرالة ،
والآلهة ،^(١) والضحى ، والضحج ، ويوح (بالياء المتناة والياء الموحدة) ، والشرق ، وحناذ ،
والعين ، والمؤوبة ، والسراج .

(١) الذي في كتب اللغة أن الآلهة اسم للحيّة . وأما الشمس فأسمها إلهة مثلثة رأيت . فكل ما هنا

تصحيح من النسخ .

٨ - ذكر عباد الشمس

قال الشهرستاني في كتابه المترجم "بالمثل والنحل": إن عبادة الشمس طائفة من الهنود يسمون الدييكتية^(١) أى عباد الشمس، ومنهم من ذهب الصابئة. وتوجههم إلى الهيكل السماوية دون قصر الإلهية والربوبية عليها. ويرغمون أن الشمس ملك من الملائكة، وأن لها نفسا وعقلا، ومنها نور الكواكب، وضياء العالم، وتكون الموجودات السفلية. وهى ملك يستحق التعظيم، والسجود، والتبخير، والدعاء. ومن سنتهم أنهم اتخذوا لها صنما بيده جوهرة على لون النار. وللصنم بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا، وله سدة وقوام. فتأتى هذه الطائفة إلى البيت، ويصلون فيه ثلاث كرات. ويأتى أصحاب الملل والأمراض فيصومون له، ويصلون، ويدعون، ويستشفون به.

٩ - ذكر ما قيل في القمر

(وهو النير الثاني)

ذهب وهب بن منبه أن القمر موضوع على عجلة في فلك، والفلك يدور بأمر الله تعالى إلى ناحية المغرب، والعجلة يمزها ثلثمائة وستون ملكا إلى ناحية المشرق؛ وتدوير العجلة من تدوير فلك القمر من تدوير العجلة. ويقال: إن القمر كان كالشمس في الضياء، فلم يكن يعرف الليل من النهار، فأمر الله تعالى جبريل أن يمر عليه بجنانه، فمر عليه، فجاءه. فهو ما ترى فيه من السواد.

(١) الذى في الشهرستانى طبع لوردو: "الديكتية". وهو الأقرب الصواب ويقول مترجمه الألمانى

العلامة هاربركراته ولعله من "ديكتات" وسماه «صانع النار».

وبهذا القول فسر قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ .
قالوا : ولا يسمى قمرًا إلا بعد مضي ثلاث ليال من استهلاله . والأقمر هو الأبيض .

١٠ - ذكر ما قيل في القمر

- (من استهلاله إلى انقضاء الشهر وأسماء لياليه)
قالوا : وللقمر من أول الشهر إلى آخره خمس حالات ، ولياليه عشرة أسماء
§ أما حالاته الخمس :
فالأولى : الهلالية ، وهي خروجه من تحت شعاع الشمس وظهوره في الغرب في أول الشهر .
- ١٠ الثانية : أن يفضل فيه النور على الظلمة ، وذلك في الليلة السابعة من الشهر .
- الثالثة : الاستقبال ، وهو كونه في البرج السابع من بروج الشمس ، ويسمى الامتلاء لامتلاء القمر فيه نورا ، وذلك في الليلة الرابعة عشرة من الشهر ، ويسمى القمر فيها بدراً لكمله ، ويسمى بذلك لامتلائه ، وقبل لمبادرته الشمس بالطلع ، وتسمى الليلة التي قبلها (وهي الثالثة عشرة) ليلة السواء لامتلاء القمر فيها ، وقبل : لامتلاء ليالها ونهارها في الضياء ، وهي ليلة القم .
- ١٥ الرابعة : أن تفضل الظلمة فيه على النور ، وذلك في الليلة الثانية والعشرين من الشهر .

الخامسة: المِحاقية، وهي مُدة استتاره بُسُعا الشمس، ويسمى ذلك أيضا سرارا، وذلك في الليلة التاسعة والعشرين، ويمكن أن يغيب ثلاث لَيال لا يرى ويَهْل في اليوم الرابع، ويسمى حينئذ قرا لاهلالاً، والشمس تعطيه من نورها كل ليلة ما يستغنى به نصف سبع قُرصه حتى يكمل، ثم يُسَلِّبه من الليلة الخامسة عشرة، في كل ليلة نصف سبع قُرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستتر.

وأما أسماء لياليه، فإنه يقال لأول ثلاثة منها غُرر، والثانية شُهَب، والثالثة زُهر، والرابعة بُهر، والخامسة بِيض، والسادسة دُرْع، والسابعة حَنَادِس^(١)، والثامنة ظُلَم، والتاسعة دَآد، والعاشر ليلتان منها عِحاَق و ليلة سرار، ويسمىون الليلة الثامنة والعشرين الدُّعْماء، والليلة التاسعة والعشرين الدُّهْماء، والليلة المُوَفِّية ثلاثين اللَّيلاء، ويسمونها ليلة البراء لتبصر القمر من الشمس.

١١ - ذكر أسماء القمر اللغوية

وللقمر أسماء نطقت بها العرب. فمنها: القمر، والباهر، والبدر، والطوس، والجلَم، والغاسق، والوَبَاص، والزَّيْرَقَان، والمُنَشَّق^(٢)، والواضح، والباحور، والأبرص، والزَّمَّهْرِير. ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ وقول بعض العرب:

وليلة ظَلَامُهَا قد أَعْتَكِرَ * قَطَعَتْهَا والزَّمَّهْرِيرُ ما ظهر.

(١) الذي في اللسان والقاموس: أن الظلم، ثلاث لَيال يَلِينُ الدُّرْع. والخماسة، ثلاث لَيال بعد الظلم. ويؤيده ما في الصراح: أن الحَنَادِس الليل الشديد الظلمة. وقد ذكر ابن سيدة هذه الأسماء في المخصص (ج ٩ ص ٣٠ - ٣١) وأوردتها على هذا الترتيب. وعليه فصواب العبارة هكذا: (والسادسة دُرْع، والسابعة ظلم، والثامنة حَنَادِس الخ) ٥١.

(٢) الذي في كتب اللغة: أن الوضح القمر، ظلمه تحريف من التامع.

ومن أسمائه : السَّيَّارُ ، والسَّاهُورُ .

§ والفُحْتُ ضَوْؤُهُ ، وَالْأَخْذُ مَنَزَلُهُ ^(١) . وكذلك الْوَكْسُ ، وهي المنزلة التي يُكْسَفُ فيها .
والهَالَةُ دَارَتُهُ .

١٢ - ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر القمر

يقال في أشعارهم :

أَضِجْ من قمر الشتاء ! قيل لأنه لا يُجَلَسُ فيه .

إِنْ يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ ، لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ .

ويقال : أضوا من القمر ، وأثم من البدر .

ومن أوصاف الأبيات :

- ١٠ * أَرِيهَا السُّهَاءَ وَتُرِيهِ الْقَمَرَ » * لَا تَخْرُجُ الْأَقَارُ مِنْ هَالَتِهَا *
* هَكَذَا الْبَدْرُ فِي الظَّلامِ يُورِى * * كَذَلِكَ كُشُوفُ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ *

ومن الأبيات قول الطائي :

إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتُ نُمُوهُ * أَيْقَنْتُ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا .

وقال ابن أبي البغلة ، والبهت الثاني لابن بحر :

- ١٥ الْبَرَّةُ مِثْلُ هَلَالٍ حِينَ تُبْصَرُ * بَدْرٌ ضَعِيفٌ ضَلِيلٌ ثُمَّ يَنْسِقُ *
« يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَغْبَاهُ » * كَرُّ الْحَدِيدِ بِنِ قَصْبٍ شَهْمَةٍ حَقِ * .

وقال أبو الفرج البضا :

سَتَحْلُصُ مِنْ هَذَا السَّرَّارِ وَأَيْثًا * هَلَالٌ تَوَارَى فِي السَّرَّارِ مَا حَلَّصَ !

(١) عبارة اللسان في مادة (اخ ذ) : ومجوز الأخذ منازل القمر لأن القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها ٥٥ .

١٣ - ذكر ما قيل في وصفه وتشبيهه

من ذلك قول عبد الله بن المعتز في الهلال:

وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ كَرَوَيْقٍ مِنْ فِضَّةٍ * قَدْ أَتَقَلَّبَتْ حُمُولُهُ مِنْ عَثَرٍ !

وقول عبد الجبار بن حمديس الصقلي:

وَرُبَّ صُبْحٍ رَقَبَاءُ، وَقَدْ طَلَعَتْ * بَقِيَّةُ الْبَدْرِ فِي أُولَى بَشَائِرِهِ !

كَأَنَّمَا أَدُمُ الْإِظْلَامِ حِينَ نَجَا * مِنْ أَشْهَبِ الصُّبْحِ، أَلْقَى نَمْلَ حَافِرِهِ !

وقال آخر:

قَدْ أَتَقَضَّتْ دَوْلَةُ الصِّيَامِ وَقَدْ * بَشَّرَ سَقَمُ الْهِلَالِ بِالْعَيْسِدِ !

يَتَلَوُّ الثَّرِيًّا كَفَافِغِيرِ شَرِّهِ * يَفْتَحُ فَاهُ لِأَكْلِ عُقُودِ !

وقال أبو هلال العسكري:

فِي هِلَالٍ كَأَنَّهُ حَيَّةُ الرَّمْلِ أَصَابَتْ عَلَى الْبَقَاعِ مَقِيلًا .

بَاتَ فِي مَعْصِمِ الظَّلَامِ سَوَارًا * وَعَلَى مَفْرِقِ الْأُدْجَى إِكْلِيلًا .

وقال آخر:

وَالْجَوْصَانِ وَالْهِلَالِ مُشْتَفٍ * بِالزُّهْرَةِ الزُّهْرَاءِ تَحْوِ الْمَقَرَّبِ .

كَصَحِيفَةٍ زَرْقَاءَ فِيهَا نُقْطَةٌ * مِنْ فِضَّةٍ مِنْ تَحْتِ تُونٍ مُدْهَبِ .

وقال آخر:

قُلْتُ لَمَّا دَنَتْ لِمَغْرِبِهَا الشَّمْسُ وَلَا حَ الْهِلَالِ لِلنُّظَارِ :

أَقْرَضَ الشَّرْقُ صِنْوَهُ الْغَرْبَ دِينًا * رَافَعَ طَاهُ الرُّهْنِ نِصْفَ سِوَارِ .



وقال أبو العلاء المعري :

ولاحَ هِلَالٌ مِثْلُ نُونٍ أَجَادَعَا * بَذُوبِ النَّضَارِ الْكَاتِبِ أَبْنِ هِلَالٍ .

وقال آخر :

وَكَاثُ الْهِلَالِ نُونٌ بِلَحْنٍ * غَرِقتُ فِي صَحِيفَةِ زَرْقَاءِ .

وقال أبو عاصم البصري من شعراء اليتيمة :

رَأَيْتُ الْهِلَالَ، وَقَدْ أَحَدَقَتْ * نُجُومُ الثُّرَيَّا لِكِي تَسْقِفَهُ .
فَنَبِهَتْهُ وَهُوَ فِي إِثْرِهَا * وَبَيْنَهُمَا الزُّمَرَةُ الْمُشْرِقَةُ ،
بَقَاوِيسٍ لِإِمَامٍ رَمَى طَائِرًا * فَاتَّبَعَ فِي إِثْرِهِ بُنْدُقَهُ .

وقال آخر :

ولاحَ لَنَا الْهِلَالُ كَشَطْرِ طَوْقِي * عَلَى لَبَاتِ زَرْقَاءِ اللَّبَاسِ .

وقال الواو الدمشقي رحمه الله :

وَكَاثُ الْهِلَالِ تَحْتَ الثُّرَيَّا * مَلِكٌ فَوْقَ رَأْسِهِ إِكْلِيلُ !

وقال إبراهيم بن محمد المرادي ، من شعراء الأعمودج ، ملغزا فيه :

دَعْنَا ! وَقُلْ لِلنَّاسِ : مَا طَارِقٌ ، * يَطْرُقُكُمْ جَهْرًا وَلَا يَتَّقِي ؟
لَيْسَ لَهُ رُوحٌ عَلَى أَنَّهُ * يَرْكَبُ ظَهَرَ الْأَدْعَمِ الْأَبْقَى .
شَيْخٌ رَأَى آدَمَ فِي عَصْرِهِ * وَهُوَ إِلَى الْآنَ بَخْدٍ نَقِي .
وَمَدَّ وَسَطَ السَّجَنِ بِعُوقِهِ * لَا يُبْرِي مِنْ تَهَيُّبِهِ الصَّبَقُ .
هَذَا وَيَمْشِي الْأَبْيَضُ فِي بَلْبَلَةٍ * أَتَجَسَّسُ بِهِ مِنْ مُوتَقِي مُطْلَقِ .

فَنَارَةٌ يَنْزِلُ تَحْتَ السَّيْرِ * وَنَارَةٌ وَسَطَ السَّمَاءِ يَتَّقِي .
 وَنَارَةٌ يُوجَدُ فِي مَغْرِبِ * وَنَارَةٌ يُوجَدُ فِي الْمَشْرِقِ .
 وَنَارَةٌ تَحَسُّهُ سَائِحًا * يَسِيرُ بِسَاطِئِ الْبَحْرِ كَالرُّودِقِ .
 وَنَارَةٌ تَحَسُّهُ وَهُوَ فِي * أَسْتَارِهِ وَالْبَعْضُ مِنْهُ يَقِي ،
 كُذِّبَتْهُ مِنْ صَارِمٍ مُرْهِفِ * بَارِزَةٌ مِنْ جَفْنِهِ الْمُطْبَقِ .
 يَذْنُو إِلَى عِرْسٍ لَهُ حُسْنُهَا * يَخْتِطِفُ الْأَبْصَارَ بِالرُّودِقِ .
 حَتَّى إِذَا جَاءَهَا يَرْتَدِي * بِحُلَّةٍ سَوْدَاءَ كَالْمُحْرَقِ .
 وَهُوَ عَلَى عَادَتِهِ دَائِمًا * يُجَامِعُ الْأُنثَى وَلَا يَتَّقِي .
 ثُمَّ يُحِبُّ الْقَفَرَ مِنْ أَجْلِهَا * مُسْتَعْمِلًا فِي مُطَرِّفِ أَزْرِقِ .
 حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا ثَانِيًا * تَشْكُو بِالرَّخِ فِي الْمَفْرِقِ .
 وَبَعْدَ ذَلِكَ لَيْسَ حُلَّةً * يَا حُسْنَهَا فِي لَوْنِهَا الْمَوْقِ !
 بِخُشْمِهِ مِنْ ذَهَبٍ جَامِدِ * وَجِلْدُهُ صَبِغَ مِنَ الزَّيْتِيقِ .
 وَهُوَ إِذَا أَبْصَرْتَهُ هَكَذَا * أَمْلَحَ مِنْ صَاحِبَةِ الْقُرْطَقِ .

وقال ابن المعتز :

نَظَرْتُ فِي يَوْمٍ لَلْبَةِ عَجَبًا * وَافَى بِهِ لِلْشُّعُودِ مِقْدَارُ .
 بِقَابِلِ الشَّمْسِ فِيهِ بَدْرٌ دَجَى * يَأْخُذُ مِنْ نُورِهَا وَيَمْتَارُ .
 كَصَيْرِقٍ يَرُوحُ مَبْتَقِدًا * فِي كَفِّهِ دِرْهَمٌ وَدِينَارُ .

وقال عبد الله بن علي الكاتب :

كَشَفَ الْبَدْرُ وَجْهَهُ لِنَاصِيَةٍ * فُجُوهُ النُّجُومِ مَسْتَرَاتٌ .
وَكَانَ الْبَدْرُ التَّمَامَ عَرُوسًا * وَكَانَ النُّجُومُ مُسْتَقْبَاتٌ .

١٤ - ذكر شيء مما قيل فيه على طريق الذم

- حكى أن أعرابياً رأى رجلاً يُقَبُّ الهلال . فقال له : ما تقب فيه ، وفيه عيوب لو كانت في الحمار لَرُدَّ بها ؟ قال : وما هي ؟ فقال : إنه يهدم العمر ، ويقزب الأجل ، ويُلِّدُ الدِّينَ ، ويقْرِضُ الكَثَانَ ، ويشجب اللون ، ويفسد اللحم ، ويقضح الطارق ، ويُلْدُ السارق .

- ومن عيوبه أن الإنسان إذا نام في ضوئه حدث في بدنه نوع من الاسترخاء والكسل ، ويهيج عليه الزكام والصداع ، وإذا وُضعت لحوم الحيوانات مكشوفة في ضوئه ، تغيرت طعموها وروائحها .

وقال ابن الرومي :

- رَبِّ عَرِضٍ مُتَرِّعٍ عَنِ قَبِيحٍ * دَنَسَتْهُ مُعْرِضَاتُ الْهَجَاءِ .
لَوْ أَرَادَ الْأَدِيبُ أَنْ يَهْجُوَ الْبَدَّ * رَأَاهُ بِالْخَطَةِ الشُّنَاءِ .
قال : يا بَدْرُ أَنْتَ تَقْدِرُ بِالسَّاءِ * رِي وَتُرِي بِزُورَةِ الْحَسَاءِ .
كَلَّفَ فِي شُحُوبٍ وَجْهَكَ يَحْيَى * نَكَاً فَوْقَ وَجْنَةِ بَرَصَاءِ .
يَعْتَرِكَ الْحَقُّ ثُمَّ يُحْلِلُكَ شَيْئَهُ الْقَلَامَةِ الْخِجَاءِ .

وَبَلَيْكَ النَّصَبَانُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَيَمُوتُكَ مِنَ أَدِيمِ السَّمَاءِ .

فَإِذَا الْبَثْرُ نِيلَ بِالْهَجْوِ، هَلْ يَا * مِنْ ذُو الْفَضْلِ أَلْسَنَ الشُّعْرَاءِ ؟

لَا لِأَجْلِ الْمَدِيحِ، بَلْ خِيفَةَ الْمَهْجُو أَخَذْنَا جَوَائِزَ الْخُلَفَاءِ !

هَذَا مَا أَمَكُنْ إِرَادَهُ فِي الْقَمَرِ، فَلْنَذْكُرْ خَيْرَ عِبَادِ الْقَمَرِ .

١٥ - ذِكْرُ عِبَادِ الْقَمَرِ

قال الشهرستاني: عِبَادُ الْقَمَرِ طَائِفَةٌ مِنَ الْهِنْدُودِ يَسْمُونُ الْخَنْدِرَ بِكُتَيْبَةٍ، أَيْ عِبَادَ الْقَمَرِ . يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقَمَرَ مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ وَالْعِبَادَةَ، وَإِلَيْهِ تَدِيرُ هَذَا الْعَالَمَ السُّفْلَى، وَمِنْهُ تُنْشِجُ الْأَشْيَاءُ الْمَتَكُونَةُ وَاتِّصَالُهَا إِلَى كَيْلِهَا، وَبِزِيَادَتِهِ وَقِصَابَانِهِ تَعْرِفُ الْأَزْمَانَ وَالسَّاعَاتِ، وَهُوَ يَلَوُّ الشَّمْسِ وَقَرِينُهَا، وَمِنْهَا نُورُهُ، وَبِالنَّظَرِ إِلَيْهَا زِيَادَتُهُ وَقِصَابَانُهُ . وَمِنْ سُنَّتِهِمْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا صِنًا عَلَى عَجَلَةٍ تَحْزَنُ أَرْبَعَةَ، وَبِيَدِهِ جَوْهَرَةٌ، وَمِنْ دِينِهِمْ أَنَّهُمْ يَسْجُدُوا لَهُ وَيَسْبُحُونَهُ، وَأَنَّهُمْ يَصُومُوا النِّصْفَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَلَا يَفْطَرُونَ حَتَّى يَطْلُعَ الْقَمَرُ، ثُمَّ يَأْتُونَ الصَّبْمَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللَّبَنِ، ثُمَّ يَرْغَبُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْقَمَرِ، وَيَسْأَلُونَهُ حَوَائِجَهُمْ، فَإِذَا أَسْتَهْلَ الشَّهْرَ عَلَوْا السُّطُوحَ، وَأَوْقَدُوا الدُّخْنَ، وَدَعَوْا عِنْدَ رُؤْيَيْهِ، وَرَغَبُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلُوا عَنِ السُّطُوحِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ إِلَّا عَلَى وَجْهِهِ حَسَنَةٍ . وَفِي نِصْفِ الشَّهْرِ إِذَا فَرَّغُوا مِنَ الْإِفْطَارِ، أَخَذُوا فِي الرَّقْصِ وَاللَّعْبِ بِالْمَعَازِفِ بَيْنَ يَدَيْ الصَّبْمِ وَالْقَمَرِ .

(١) في الشهرستاني طبع لوندرة : "الهندريكتية" . وأعادنا مترجمه إلى الألمانية أن "هندراكا"

معناه القمر في لغتهم .

(٢) الذي في الشهرستاني : صمًا على صورة عجل وبه الصم الخ .

١٦ - ذكر ما قيل في الكواكب المتحيرة

والكواكب الخمسة الباقية من الكواكب السبعة تُسمى المتحيرة، ثلاثة منها علوية
تملأ أفلاكها فلك الشمس، وهى : زحل، والمشتري، والمريخ، وأثنان سفلية
فلكهما تحت فلك الشمس، وهى : الزهرة، وعطارد.

- وسُميت هذه الكواكب المتحيرة لأنها ترجع أحيانا عن سمت مسيرها بالحركة
الشرقية، وتنبع الغربية، فهذا الارتداد فيها شبه التحير.

١٧ - ذكر عباد الروحانيات

(وما آتسجوا به فى سبب عبادتهم لها)

- وعباد الروحانيات هم الصابئة . يقال : صبا الرجل إذا مال وزاغ .
ومذهب هؤلاء أن للعالم صائغا فاطرا حكما مقدسا عن سمات الحديان .
وكانت الصابئة تقول : إنا نحتاج فى معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره
وأحكامه، إلى متوسط، ولكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لاجسمانيا .
وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب، والجسماني بشر مثلنا
ياكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب، يمشى مثلنا فى الصورة والمادة .
قالوا : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ لَأَنَّكُمْ إِذَا أَخْلَيْتُمْ عَنْ رَبِّكُمْ ﴾ .

وقالوا : الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله . وإنما يتقرب إليه
بالتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون المقدسون المطهرون، جوهر أفعلا وحالة .

(١) نقل المؤلف هنا بعض عبارات الشريفة فى انزال والنحل مع تقديم وتأخير (أنظر ص ٢٠٣ من
طبعة الأب ركتور الانكليزى فى لندون سنة ١٨٤٢ - ١٨٤٦) .

أما الجوهر فهم المقتسون عن المواد الجسدية، المبرؤون عن القوى الجسدانية، أي مزهونون عن الحركات المكانية، والتفريعات الزمانية؛ قد جبلوا على الطهارة، وفطروا على التقديس والتسبيح (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ).

وإنما أرشدنا إلى هذا معامنا الأول، عاذيهم، وهرمس. فنحن نتقرب إليهم، ونتوكل عليهم، وهم أربابنا، وآلهتنا، ووسائلنا، وشفعاؤنا عند رب الأرباب، وإله الآلهة. فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا من دنس الشهوات الطبيعية، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والفضيية، حتى يحصل لنا مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات. فحينئذ نسال حاجتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم، ونصبأ في جميع أمورنا إليهم. فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم، ورازقنا ورازقهم. وهذا التطهير والتهذيب ليس إلا بآكتسابنا، ورياضتنا، وقطامنا لأنفسنا عن دنيات السموات، باستمداد من جهة الروحانيات؛ والاستمداد هو التضرع والابتهاال بالدعوات، وإقامة الصلوات، وبذل الزكوات، والصيام عن المظعمات والمشروبات، وتقريب القرابين والذبايح، وتخير البخورات، وتعزيم العزائم. فيحصل لنفوسنا استمداد أو استمداد من غير واسطة، بل يكون حكمتنا وحكم من يدعى الوحي واحدا.

قالوا: والأنبياء أمثالنا في النوع، وأشكالنا في الصورة، ومشاركونا في المسادة. يأكلون مما تأكل، ويشربون مما تشرب، ويساهموننا في الصورة. أناس بشر مثلكم من أين لنا طاعتهم، وبأية مزية لهم لزم متابعتهم؟ (ذَٰلِكُمْ بِمَا أَنْطَعُمُ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذْ لَنْ تَخَافُونَهُمْ).

فإنما القول: فالروحانيات هم الأسباب التي سطون في الاختراع، والإيجاد،

وتصرف الأمور من حال إلى حال، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال، يستمدون القوة من الحضرة القدسية، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية.

§ فنها — مدبرات الكواكب السبعة السيارة في أفلاكها، وهى هياكلها، فكل كل روحانى هيكلى، ولكل هيكلى فلك. ونسبة الروحانى إلى ذلك الهيكل الذى أختص به نسبة الروح إلى الجسد. فهو ربه ومديره ومدبره.

وكانوا يسمون الهياكل أربابا (وربما يسمونها آباء)، والعناصر أمهات.

ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها أعمالا في الطبائع والعناصر، فيحصل من ذلك تركيبات وأمزجات في المركبات فتتبعها قوى جسمانية، وتركب عليها نفوس روحانية، مثل أنواع النبات والحيوان. ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحانى كل، وقد تكون جزئية صادرة عن روحانى جزئى. فمع جنس المطر ملك، ومع كل قطرة ملك.

§ ومنها — مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو بما يصعد من الأرض فينزل مثل الأمطار والتلوج والبرد والرياح، وما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب، وما يحدث في الجو من الرعد والبرق والسحاب وقوس قزح وذوات الأذناب والحالة والمعجزة، وما يحدث في الأرض من الزلازل والمياه والأبخرة إلى غير ذلك.

§ ومنها — متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات، ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات، حتى لا ترى موجودا ما خاليا عن قوة وهداية، إذا كان قابلا لها. قالوا: وأما الحالة، فأحوال الروحانيات من الروح، والريحان، والنعمة، واللذة، والراحة، والبهجة، والشروع في جوار رب العالمين، كيف تخفى؟ ثم طعامهم وشراهم

التسبيح والتقديس والتهليل والتمجيد ؛ وأنهم بذكر الله وطاعته ، فن قائم وراكم
وساجد ، ومن قاعد لا يريد تبدل حالته لما هو فيه من النعمة واللذة ، ومن خاشع
بصره لا يرفع ، ومن ناظر لا يغمض ، ومن ساكن لا يتحرك ، ومتحرك لا يسكن ،
وكرؤي في عالم القبض ، وروحاني في عالم البسط (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) .

وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابئة والحنفاء في المفاضلة بين الروحاني
المحض والبشرية النبوية ، ليس هذا موضع إيرادها .

فلنذكر إن شاء الله تعالى بيوت الهياكل . تلو ما ذكرناه من عباد الروحانيات
ومعججاتهم !

١٨ - ذكر بيوت الهياكل

(وأما كنهن ونسبتهن إلى الكواكب)

(١٢)

قالوا : ثم لم تقتصر الصابئة على التقرب إلى الروحانيات بأعيانها ، وال تلقى بذواتها
حتى اتخذوا أصناما على هيئة الكواكب السبعة . وجعلوا لها بيوتا ، وسموا البيوت
بالهياكل ، وجعلوا أنبياء . - الأفلak للكواكب . وعظموا هذه الأصنام التي
صنعوها ، وزعموا أنهم إذا عظموها تحركت لهم السبعة العالوية بكل
ما يريدون .

وحكى المسعودي في كتابه المترجم "مروج الذهب ومعادن الجوهر" أن هذه
الطائفة تزعم أن البيت الحرام هيكَل رُحَل . وإنما طلل بقاء هذا البيت على مرور
الدهور ، معظما في سائر العصور ، لأن رُحَل تولاه : إذ من شأنه الثبوت .

(١) الكروبيون سادة الملائكة المقربون .

(٢) - راجع التبرستان طبعه كُتُن (ص ٤٣٠ - ٤٣١) .

ومن البيوت المشهورة :^(١)

§ بيت علي رأس جبل أصفهان ، يسمي مارس ، ثم اتخذ بعض ملوك المجوس بيت نار ؛

§ وبيت ببلاد الهند ،

§ وبيت ببلخ ، بناء منو شهر علي أسم القمر ، وكان الموكل بسدائنه يسمونه برك ،
والله تلنسب البرامكة ؛

§ وبيت عثمان باليمن ، بناء الضحاك علي أسم الزهرة ؛

§ وبيت بفرغانة ، علي أسم الشمس ، يعرف بكاسات ، بناء كلوس أحد ملوك
الفرس ، وخر به المعتضد بالله ؛^(٢)

§ وبيت ببلاد الصين ، بناء ولد عامور بن شوبل بن ياقث ، وقيل بناء بعض
ملوك الترك .^(٣)

§ وحكي غير المسعودي أن البيت الأول الكعبة . ويذكرون أن إدريس (عليه
السلام) أوصى به ، وأوصى أن يكون الحج إليه وهو عندهم بيت زحل ؛ والبيت

(١) وراجع الشهرستاني (ص ٤٣١ ، ٤٣٢) .

(٢) في الشهرستاني : مارس .

(٣) من مدن خراسان .

(٤) في الأصل : مكاس [وهو خطأ من النسخ ، والتصويب عن المسعودي ومن الشهرستاني] .

(٥) في الشهرستاني أنه المنضم .

(٦) في بعض نسخ المسعودي : شوبل (بالسين المهملة) .

(٧) انظر الباب الرابع والستين من مروج الذهب ، فيه تفصيل لما أورده النويري هنا بقية التفصيل .

الثاني وهو بيت المتريخ، يزعمون أنه كان بصور من الساحل الشامي؛ والبيت الثالث وهو بيت المشتري، كان بدمشق بناء جبرون بن سعد بن عاد، وموضعه الآن الجامع الأموي؛ والبيت الرابع وهو بيت الشمس بمصر، ويسمى عين شمس، وآثاره باقية إلى وقتنا هذا؛ والبيت الخامس وهو بيت الزهرة، كان بمنج وخریب؛ والبيت السادس بيت عطارد، وكان بصيدا من الساحل الشامي وخریب؛ والبيت السابع وهو بيت القمر، كان بجوزان؛ وهو بيت الصابئة الأعظم .

الباب الخامس

من القسم الأول من الفن الأول

١ - في الكواكب الثابتة

ذهب بعض من تكلم في ذلك أن هذه الكواكب معلقة في سماء الدنيا كالقناديل، وأنها مخلوقة من نور .

وقال آخرون : إنها معلقة بأيدي ملائكة . وفسر بهذا القول قوله تعالى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اُسْتُفْرِتْ ﴾ . يقال آنتارها يكون يموت من كان يحملها من الملائكة .

وهذه الكواكب في سماء الدنيا بنص الكلاب العزيز، لقول الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّاطِطِينَ ﴾ .

(١) زالت هذه الآثار الآن .

وقال قتادة : خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاثة : جعلها زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يُهتدى بها في البر والبحر . فمن تأول غير هذا فقد أخطأ .
قالوا : وإنما سميت بالنواب ، وإن كانت متحركة لأنها ثابتة الإبعاد على الأبد ، لا يقرب أحدها من الآخر ، ولا يبعد عنه ، ولا يزيد ، ولا ينقص ، ولا تتغير عن جهاتها . لأنها تتحرك بحركتها الطبيعية حول قطبي العالم . ولهذا سميت ثابتة . وهي في فلك ثامن غير أفلاك الكواكب السبعة السيارة . ودليل ذلك أن للكواكب السبعة حركات أسرع من حركات هذه .

٢ - ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الكواكب

يقال : أنأى من كوكب ، أبعد من ، ناط النجم ، أهدى من النجم .

ومن أوصاف الآيات :

١٠

* وَأَيُّ نَزِيلٍ الْأَرْضِ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ ؟ *
* وَالْكَوْكَبُ النَّحْسُ يَسْقِي الْأَرْضَ أَحْيَاءَ *
* وَأَيُّ الثَّرْيَاءِ مِنْ بَيْنِ الْمُتَنَازِلِ ؟ *

ومن الآيات قول أبي تمام عفا الله عنه :

كالنجم إن سافرت كان مؤاجاً . وإذا حططت الرجل كان جليسا .



وقال أبو نؤاس :

١٥

أين النجوم السابيا . ث من الأهلة الدور .

وقال آخر :

وكنّا في أجماع كالثريا ، * فصرنا فرقة كبنات نعل !

وقال آخر:

كألفرقدٍ إذا تأملَ ناظرٌ * لميلِ موضعِ فرقدٍ من فرقدٍ.

وقال الوزير أبو الفتح البستي:

وللتَّجَمِّعِ من بَعدِ الرُّجُوعِ اسْتِقَامَةٌ * وللشَّمْسِ من بَعدِ الغُرُوبِ طُلُوعٌ.

وقال بَحْطَلَةُ:

مثل الذي يَرْجُو الهُلُو * غ إلى الكَوَاكِبِ وهو مُقَعَّد.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أيتها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سَيْلًا * عَمَرَكَ اللهُ! كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟
مِنْ شَايَةِ إِذَا مَا اسْتَهَلْتُ * وَسَهْلٌ إِذَا اسْتَهَلَّ يَمَانِي.

وقال آخر:

وَكُلُّ لُجٍّ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ * لَعَمْرُ أَيْكَ، إِلَّا الْفَرَقْدَانِ!

٣ — ذكر ما قيل في وصف الكواكب وتشبيهها

من ذلك ما قاله ابن حجاج في المجرة:

بِاصْأَجِيٍّ اسْتَقِظْ مِنْ رَقْدِهِ * تُزِي عَلَى عَقْلِ اللَّيْلِ الْأَكْبَسِ!
هَذِي الْمَجْرَةُ وَالتَّجُومُ كَأَنَّهَُا * تَهْرُ تَدْفُقُ فِي حَدِيقَةِ تَرْجِسِ!

وقال آخر:

وَكَاثُ الْمَجَرِّ جَدُولُ مَاءٍ * تَقَرُّ الْأَحْشَاءُ فِي جَانِبِهِ.

وقال المهذب بن الزبير فيها :

وَرَى الْجَزَّةَ وَالْجُجُومَ كَأَنَّهَا * تَسْقَى الرِّيَاضَ بِجَدُولٍ مِلَاحٍ .
لَوْ لَمْ يَكُنْ نَهْرًا، لَمَاعَمَتْ بِهِ * أَبْدًا تُجُومُ الْحُوتِ وَالسَّرَطَانِ .

وقال أبو هلال العسكري :

تَبَدُّوا حَجَرَةً مُتَجَرِّا ذَوَاتُهَا * كَلَمَاءُ يَنْسَاحُ أَوْ كَالْأَيْمِ يَنْسَابُ .

وقال هشام بن إلياس في الجوزاء :

فَكَأَنَّمَا جَوَازُوهُ فِي غَرَبِهَا * يَبْضَاءُ سَابِجَةً بِرَكَّةٍ زَيْتِي .
وَكَأَنَّمَا أَوْمَتْ ثَلَاثُ أُمَامِلٍ * مِنْهَا تَقُولُ : إِلَى ثَلَاثٍ نَلْتَقِ !

وقال آخر :

وَكَأَنَّ الْجَوَازَاءَ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ * وَتَلَّتْ، سُرَادِقُ مَمْدُودٍ .

وقال العلوي فيها أيضا :

هَا إِنَّهَا الْجَوَازَاءُ فِي أَفْقِهَا * وَاهِيَةٌ نَاعِسَةٌ تُسْحَبُ .
نَطَاقُهَا وَاهٍ لِدَى أَفْقِهَا * يَنْسُلُ مِنْهَا كَوْكَبٌ كَوْكَبُ .

وقال ابن وكيع فيها :

قُمْ فَاسْقِنِي صَافِيَةً * تَهْتِكُ جُنْحَ الْعَسَقِ !
أَمَّا تَرَى الصُّبْحَ بَدَا * فِي قَوْبِ لَيْلٍ خَلَقِ ؟

(١) الأيم، والأين : ضرب من الحيات . (عن النوادر في اللغة) .

أَمَا تَرَى جَوَازَاهُ * كَأَنَّهُا فِي الْأُنْفِ،
يَنْطَقَةُ مِنْ ذَهَبٍ * فَوْقَ قَبَايِ أَرْزَقِ؟

وقال كعب بن الصنوي :

وَقَدْ مَالَتِ الْجَوَازُءُ حَتَّى كَانَهَا * فَسَاطِيطُ رُكَبٍ بِالْقَلَاءِ نُزُولُ.

وقال امرؤ القيس في الثريا :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ * مَرَّضُ النَّبَاءِ الْيَسَّاعِ الْمُنْصَلِ.

وقال ابن الطَّيِّبِ :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَانَهَا * جُمَانٌ وَهِيَ مِنْ سِلْكِهِ، فَنَبْدَا.

وقال المبرد :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ، * يَرَاهَا حَنِيدُ الْعَيْنِ سَنَةَ أَنْجُم.

عَلَى كَيْدِ الْجَرَبَاءِ وَهِيَ كَانَهَا * جَبِيذَةُ دُرٍّ رُكِبَتْ فَوْقَ مَعْصَم.

وقال عبد الله بن المعتز :

فَنَافَلْنِيهَا، وَالثُّرَيَّا كَانَهَا * جَنَى نَرْجِسٍ حَيًّا التَّدَامِي بِهَا السَّاقِ.

وقال أيضا :

كَانَ الثُّرَيَّا فِي أَوَانِحِ لَيْلِهَا * تَفْتَحُ نَوْرَ أَوْ يَلْجَأُ مِنْ مَنَافِئِ.

وقال السلاوي، شاعر البقيعة فيها :

فَسَمَوْنَا، وَالْعَجْرُ يَضْحَكُ فِي الشَّرِّ * قِ الْيَنَّا مُبَشِّرًا بِالصَّبَاحِ.

والثُرَيَّا كَرَايَةَ أَوْ لِحَامَ * أَوْ بَنَانٍ أَوْ طَائِرٍ أَوْ وِشَاحٍ،
وَكَاثُ النُّجُومِ فِي يَدِ سَاقٍ * يَتَهَادَى تَهَادَى الْأَفْدَاحِ.
وقال ابن المعتز :

وَلَا حَتَّ لِسَارِيهَا الثُّرَيَّا كَانَهَا * عَلَى الْأَفُقِ الْغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسَلَّسٌ.
وقال أبو نضلة :

وَتَأَمَّلْتُ الثُّرَيَّا * فِي طُلُوعِ وَمَغِيبِ.
فَتَخَيَّرْتُ لَهَا التَّنْشِيئَ فِي الْمَعْنَى الْمُصِيبِ.
وَهِيَ كَأْسٌ فِي شُرُوبِي * وَهِيَ قُرْطٌ فِي غُرُوبِ.

وقال آخر :

١٥

كَانَ الثُّرَيَّا هَوْدَجٌ فَوْقَ نَاقَةٍ * يَسِيرُ بِهَا حَادٍ مَعَ اللَّيْلِ مُزْنَعٌ،
وَقَدْ لَمَعَتْ بَيْنَ النُّجُومِ كَانَهَا * قَوَارِيرُهَا زَيْقٌ يَتَرَجَّحُ.
وقال ابن سكرة الهاشمي :

١٠

تَرَى الثُّرَيَّا، وَالْغَرْبُ يَمِيلُهَا * وَالْبَدْرُ يَهْوِي وَالْفَجْرُ يَنْفَجِرُ.
كَفَّ عَرُوسٍ لَاحَتْ خَوَائِمُهَا * أَوْ عَقْدُ دُرٍّ فِي الْبَحْرِ يَنْتَثِرُ.
وقال محمد بن الحسن الخالطي :

١٥

وَحِلْتُ الثُّرَيَّا كَفَّ عَذْرَاءَ طِفْلَةٍ * مُخْتَمَةً بِالذَّرِّ مِنْهَا الْأَمَلُ.
تَحْيَتُهَا فِي الْجَوِّ طَرَّةٌ جَعْبِيَّةٌ * مُلَوَّكِيَّةٌ لَمْ تَعْتَلِفْهَا حَمَائِلُ.
كَانَ نَيْلًا سِتَّةَ مَنْ لَالِي * يُوَافِي بِهَا فِي قُبَةِ الْأَفُقِ نَائِلُ.

وقال أحمد بن إبراهيم الضبي: شاعر اليتيمة :

خَلَّتْ الثَّرِيَا إِذْ بَدَتْ * طَالِعَةً فِي الْحِنْدَسِ:
مُرْسَلَةً مِنْ لُؤْلُؤِي * أَوْ بَاقَةً مِنْ تَرَجِسِ

وقال أبو العلاء المعري في سهيل .

وُسْهَيْلٌ كَوْجَنَةُ الْحَبِّ فِي اللَّوْ * نَ وَقَلْبُ الْمُحِبِّ فِي الْخَفَقَانِ .
مُسْتَبْدًا كَأَنَّهُ الْفَارِسُ الْمُعْلَمُ يُبْدُو مُعَارِضَ الْقُرْسَانِ .

وقال عبد الله بن المعتز :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارِي سُهَيْلٌ كَأَنَّهُ * عَلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ رَقِيبٌ !

وقال الشريف بن طباطبا :

وُسْهَيْلٌ كَأَنَّهُ قَلْبُ صَبٍّ * فَاجَأَتْهُ بِالْخَوْفِ عَيْنُ الرَّقِيبِ .

وقال أبو عبادة البهثري :

كَأَنَّ سُهَيْلًا تَخْضُ ظِلْمَانٌ جَانِحٌ * مِنَ اللَّيْلِ فِي نَهْرٍ مِنَ الْمَاءِ يَكْرَعُ .

وقال ابن طباطبا :

كَأَنَّ سُهَيْلًا، وَالتَّجْوُمُ أَمَامَهُ * يُعَارِضُهُ، رَاجِعُ أَمَامِ قَطِيعِ .

وقال الشريف الرضي في الفرقدن :

وَهَبْتَ لَضَوْءِ الْفَرْقَدَيْنِ نَوَاطِرِي * إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْءُ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ .
كَأَنَّهُمَا الْإِنْسَانُ قَالَ كَلَامَهُمَا * لِشَخْصٍ أَخِيهِ : قُلْ لَنَا سَامِعُ !

وقال آخر:

قُلْتُ لِلْفَرَقْدِينَ وَاللَّيْلِ مُرِيخٌ * سَبَرْتَ ظُلُمَاتِهِ عَلَى الْآفَاقِ:
إِقْبَا مَا بَقِيْنَا سَوْفَ يُرَى * يَنْ تَخْصِيْنَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ!

وقال القاضي التنوخي:

وأشقر الحوقد لاجت كواكبهُ * فيه كدر على الياقوت منثور.

وقال القاضي الفاضل، عبد الرحيم من رسالة:

”سِرْنَا، وروضة السماء فيها من الزهر زهر، ومن الهجرة نهر، والليل كالبَنَسَجِ تخلله
من النجوم أقاح، أو كالزنج شعله من الرمح جراح، والكواكب سائرات المواكب
لأمعّس لها دون الصباح، وسهيل كالأمان تدلّ إلى الأرض ليشرّب، أو الكريم
أَفْ من المقام بدار الذل فتغرب، فكأنه قَبَسٌ تتلاعب به الرياح، أو زينة قدمها
بين يدي الصباح، أو ناظر يُفَضُّه الفيض ويفتحه، أو معنى يغمضه الحسن ثم يشرحه،
أو صديق لجماعة الكواكب مغاضب، أو رقيب على المواكب مواكب، أو فارقة،
يحيي الأعقاب، أو داع به إليها وقد شردت عن الأصحاب، والجوزاء كالبرادق،
المضروب، أو الهودج المنصيب، أو الشجرة المنقورة، أو الحبر المصوّرة. والثريا قد هم
عقودها أن يتدلّى، وجيش الليل قد هم أن يتولّى“.

القسم الثاني

من الفن الأول في الآثار العلوية

وفيه أربعة أبواب



الباب الأول

من القسم الثاني من الفن الأول

١ — في السحاب، وسبب حدوثه، وفي الثلج والبرد

والسحاب من الآثار العلوية .

روى أبو الفرج بن الجوزي بإسناد يرفعه إلى عبيد ابن عمير أنه قال : يبعث الله ريحا فتقوم الأرض، ثم يبعث المنيعة فتثير السحاب، وذلك أنها تحمل الماء فتنبه .
في السحاب، ثم يمر به فيدير كما تدور اللقحة .

١٠

وقد روى في الآثار أن الرياح أربع : ريح تقيم، وريح تثير، فتجمله كسقاء، وريح تؤلف، فتجمله ركاماً، وريح تمطر .

وروى عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : إن الله تعالى يرسل الرياح فتثير سحابا، وينزل عليه المطر فتتمخض به الرياح كما يتمخض التّوج بولدها .
وروى عن عكرمة (رضي الله عنه) أنه قال : يُنزل الله الماء من السماء السابعة

١٥٠

فتقع القطرة على السحاب مثل البعر ، والسحاب للطر كالغرابال ينزل منه بقدر .
ولولا ذلك لأفسد ما على الأرض .

وقال الزمخشري في تفسيره : السحاب من السماء ينحدر ، ومنها يأخذ مائه لا كرم
من يزعم أنه يأخذ من البحر . ويؤيد ذلك قوله عز وجل ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ .

٢ - ذكر ما قيل في ترتيب السحاب

(وأسمائه اللغوية وأصنافه)

قال أبو منصور ، عبد الملك بن محمد التالبي في فقه اللغة ، ينقله عن أئمتنا :
أول ما ينشأ السحاب ، فهو نَشْء .

فإذا آتسحب في الهواء ، فهو السَّحَابُ .

فإذا تغيرت وتعممت له السماء ، فهو الغَمام .

فإذا كان غيم ينشأ في عَرْض السماء فلا تبصره ، وإنما تسمع رعده ، فهو العَمَرُ .

فإذا أطل وأظلل السماء ، فهو العَارِضُ .

فإذا كان ذا رعد و برق ، فهو العَرَّاصُ .

فإذا كانت السحابة قطعاً صغاراً متدانياً بعضها من بعض ، فهي النِّمْرَةُ .

فإذا كانت متفرقة ، فهي القَرَعُ .

فإذا كانت قطعاً مقراكة ، فهي الكِرْفِيُّ (واحدتها كِرْفَةٌ) .

فإذا كانت قطعاً كأنها قطع الجبال ، فهي قَلْعٌ ، وَكَنْهَوْرٌ (واحدتها كَنْهَوْرَةٌ) .

فإذا كانت قطعاً رقائقاً ، فهي الطَّخَّارِيرُ (واحدتها طُخْرُورٌ) .

- فإذا كانت حولها قطع من السحاب، فهي مُكَلَّلَةٌ .
- فإذا كانت سوداء، فهي طَحْيَاءٌ، وَمُتَطَخِطَةٌ .
- فإذا رأيتها وحسبتها ماطرة، فهي مُخَيَّلَةٌ .
- فإذا غُلُظ السحاب وركب بعضه بعضاً، فهو المُكْتَفِيزُ .
- فإذا أرتفع ولم ينسط، فهو النَّشَاطُ .
- فإذا تقطع في أفطار السماء وتلبد بعضه فوق بعض، فهو التَّقِرُّدُ .
- فإذا أرتفع وحمل الماء وكثف وأطبق، فهو العَمَاءُ، والعَمَايَةُ، والطَّخَاءُ، والطَّخَافُ، والطَّهَاءُ .
- فإذا اعتراض اعتراض إبلبل قبل أن يطبق السماء، فهو الحَبِيءُ .
- فإذا عَنَ، فهو العَنَانُ .
- فإذا أطل الأرض، فهو النَّجْنُ .
- فإذا أسودَّ وتراكب، فهو المَحْمُومِيُّ^(١) .
- فإذا تعاق سحاب دون السحاب، فهو الرِّبَابُ .
- فإذا كان سحاب فوق سحاب، فهو الفَنَارَةُ .
- فإذا تكلى ودنا من الأرض مثل هُذْبِ القَطِيفَةِ، فهو الهَيْدَبُ .
- فإذا كان ذا ماء كثير، فهو التَّنِيفُ .
- فإذا كان أبيض، فهو المَزْنُ، والصَّيِيرُ .
- فإذا كان لرعده صوتٌ، فهو الحَزِيمُ .

(١) اسم قاتل من أحموي الشيء إذا أسودَّ . يوصف به نحو السحاب والبلبل .

- فإذا أشتدَّ صوتُ رعدِهِ، فهو الأَجَشُّ .
- فإذا كان بارداً وليس فيه ماءٌ، فهو الصَّرَادُ^(١) .
- فإذا كان ذا صوتٍ شديدٍ، فهو الصَّيْبُ .
- فإذا أهرق مائه، فهو الجَهَامُ (وقيل بل الجَهَامُ الذي لا ماء فيه) .

٣ — ذكر ما قيل في ترتيب المطر

قال الثعالبي رحمه الله: أخفُّ المطر وأضعفه الطَّلُّ، ثم الرِّدَادُ، ثم البَغْشُ والدُّثُّ ومثله الرُّكُّ، ثم الرَّهْمَةُ .

ويقال أيضاً: أوله رَشٌّ وطَشٌّ، ثم طَلٌّ ورِّدَادٌ، ثم نَضَحٌ ونَضَحٌ، وهو قَطْرَتَيْنِ قَطْرَيْنِ، ثم هَطَلٌ وتَهَنَانٌ، ثم وَايَلٌ وجَوْدٌ .

٤ — ذكر ما قيل في فعل السحاب والمطر

- يقال إذا أتت السماءُ بالمطر اليسير الخفيف^(٢) : حَفَشَتْ، وحَشَكَتْ .
- فإذا أَسْتَمَرَّ قَطْرُهَا، قيل : هَطَلَتْ، وهَمَّتَتْ .
- فإذا صَبَّتِ الماءُ، قيل : هَمَّتْ، وهَضَبَتْ .
- فإذا أَرْتَفَعَ صوتُ وقعِها، قيل : أَنَهَلَتْ، واسْبَهَلَتْ .

(١) في فقه اللغة بعده : فإذا كان خفيفاً تسفره الريح فهو الرِّبْرِبُ، وبعده فإذا كان ذا صوت الخ .
 (٢) كذا في فقه الثعالبي وعادة اللسان : سَفَشَتِ الدَّمَاءُ تُخَفِّشُ حَفْشًا : جاءت بمطر شديد ساعة ثم أفلتت .
 ومثله حَشَكَتْ وأَغْبَتْ فَالْحَفَشَةُ والحَشَكَةُ والنَّيْبُ بمعنى واحد .

فإذا سالَ المطرُ بكثرة، قيل : أَسْكَبَ، وَأَنْبَقَ.

فإذا سالَ يركب بعضُه بعضاً، قيل : أَعْتَجَرَ، وَأَعْتَجَجَ.

فإذا دام أياماً لا يُقْلِعُ، قيل : أُنْجِمَ، وَأَغْطَطَ، وَأَذْجَنَ .

فإذا أَقْلَعُ، قيل : أُنْجِمَ، وَأَفْصَمَ، وَأَفْصَى .

٥ - ذكر أسماء أمطار الأزمنة

قالت العرب : أول ما يبدأ المطر في إقبال الشتاء، فاسمه انْخِرِيفٌ . ثم يليه الوَسْمِيُّ، ثم الرَّبِيعُ، ثم الصَّيْفُ، ثم الحَمِيمُ .

وقيل المطر الأول هو الوَسْمِيُّ، ثم يليه الوَلِيُّ، ثم الربيع، ثم الصَّيْفُ، ثم الحَمِيمُ .

٦ - ذكر أسماء المطر اللغوية

قال النعماني :

إذا أجبا الأرض بعد موتها، فهو الحَيَا .

فإذا جاء عقيبَ المحلِّ أو عند الحاجة إليه، فهو الفَيْثُ .

فإذا دام مع سكان، فهو الدَّيْمَةُ . والضرب فوق ذلك قليلاً، والمَطْلُ فوقه .

فإذا زاد، فهو المَهْتَلَانُ، والمَهْتَانُ، والتَّهْتَانُ .

فإذا كَانَ القطر صغاراً كأنه شَدْرٌ، فهو القِطْقِطُ .

فإذا كانت مطرة ضعيفة، فهي الرَّهْمَةُ .

فإذا كانت ليست بالكثيرة، فهي الغَيَّةُ، والحَفْشَةُ، والحَشَكَةُ .

فإذا كانت ضعيفة يسيرة، فهي الدَّهَابُ، ^(١)والهَمِيمَةُ.

فإذا كان المطر مستمرا، فهو الودق.

فإذا كان تخفّف القطر شديد الوقع، فهو الوابل.

فإذا أتبع بالماء، فهو البُحاق.

فإذا كان يروى كل شيء، فهو الجود.

فإذا كان عاما، فهو الجدا.

فإذا دام أياما لا يُقْلِع، فهو العين.

فإذا كان مسترسلا سائلا، فهو المُرْتَيْنُ.

فإذا كان كثير القطر، فهو الغدق.

فإذا كان شديد الوقع كثير الصوب، فهو السَّحِيفَةُ. ^(٢)

فإذا كان شديدا كثيرا، فهو العز، والعمباب.

فإذا جرف ما مرّ به، فهو السَّحِيفَةُ. ^(٢)

فإذا قشرت وجه الأرض، فهي السَّاحِيَةُ.

فإذا أثرت في الأرض من شدة وقعها، فهي الحرِصَةُ.

فإذا أصابت القطعة من الأرض وأخطأت الأثرى، فهي النُقْصَةُ.

فإذا جاءت المطرة لما يأتى بعدها، فهي الرُّصْدَةُ، والعِهَادُ نحو منها.

(١) في قته التالي: الحِمْيَةُ. بإسقاط الميم الأول وهو تحريف كما يعلم من مراجعة القاموس.

(٢) نقل صاحب اللسان في مادة (س ح ف) عن الأصمى: (ان السحيفة بالقاء، المطرة الحديدية التي

تجرف كل شيء. والسحيفة بالقاف، المطرة العظيمة القطر الشديدة الوقع القليلة العرض) وهو

عكس ما نقله التبريزي عن التالي.

فإذا أتى المطر بعد المطر، فهو الولي.

فإذا رجع وتكرر، فهو الرجع.

فإذا تتابع، فهو اليملول.

فإذا جاءت المطرة دقات، فهي الشائب.

٧ — ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر المطر

يقال: أبرد من غيب المطر. أرق من دمع الغمام. أسرع من السيل إلى الحذور. أطفئ من السيل. أغثم من السيل. أمضى من السيل. يذهب يوم النعم ولا يشعر به. قد بلغ السيل الزبي. اضطره السيل إلى معطشه. أرينها بحر، أرينكها مطره. سبق سيله مطره. قبل السحاب أصابني الوكف.

ومن أوصاف الأبيات:

* هل يرجي مطر بغير سحاب * وأول الغيث طل ثم ينسكب *
* سحابه صيف عن قريب تقشع * فذكر كما دثر السحاب على الرعد *
* أسرع السحب في المسير الجاهم * ومن يسد طريق العارض المظيل؟ *
* سحاب عناي فيضه وهو صهب * يحسب الممطر أن كل مطر *

* سال به السيل وما يدري به *

ومن الأبيات قول الطائي:

وكذا السحاب، قلما تدعو إلى * معروفا الرود ما لم تبرق.

وقال البحرى عنى عنه :

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ * مَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي إِبَانِهِ .

(٧٨)

وقال أبو الطيب :

لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ * يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّمُّ !

وقال كثير :

كَمَا أَتَرَقَّتْ يَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ * فَلَمَّا رَجَوْهَا، أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ .

وقال آخر :

أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأُظِلُّ ! * إِنَّ هَذَا لَوْصَةٌ فِي السَّحَابِ !

وقال آخر :

وَاللَّهِ يُنْشِئُ سَحَابًا تَطْمُنُّ بِهِ النَّفْسُ مِنْ قَبْلِ بَلِّ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ .

١٠

٨ — ذكر شىء مما قيل فى وصف السحاب والمطر

قال أبو تمام الطائي :

سَحَابَةٌ صَادِقَةٌ الْأَنْوَاءِ * تَجْرُ أَهْدَابًا عَلَى الْبَطْعَاءِ .

تَجْمَعُ بَيْنَ الضُّحَى وَالْبُكَاءِ : * هَدَتْ بِنَارٍ وَتَلَّتْ بِمَاءِ .

وقال أبو عبادَةَ الْبَحْرِيُّ عفا الله تعالى عنه :

١٥

ذَاتِ أَرْبَعِ مِائَةِ مِائَةٍ مِنَ الرَّعْدِ * مَجْرُورَةُ الذَّيْلِ صَدُوقُ الْوَعْدِ ،

مَسْفُوحَةُ الدَّمْعِ بِشَيْرِ وَجْدٍ * لَهَا نَسِيمٌ كَنَسِيمِ الْوَرْدِ ،

ورنّه مثل زفير الأسد * ولمع برق كسيوف الهند.
جاءت بهاريج الصبا من نجد * فانتثرت مثل أنتار العقد.
وراحت الأرض بعيش رعد * من وثي أنوار الثرى في برد.
كأما غدرانها في الوهد * يلعبن ترحابا بها بالرد.

وقال أبو الحسن علي بن القاسم القاشاني من شعراء اليمامة عفى عنه :

إذا النجوم أربحن بأسقها * وحف أرجاءها بوارقها،
وعببت للثرى كائنها * وانتصبت وسطها عقائنها،
وجلجل الرعد يديها لحكي * خفق طبول ألح خافقها،
وآبتسمت فرحة لواميها * واختلفت عبرة حماليها،
وقيل : طوبى لبلدية تبحت * يحمو أكافها بوارقها،
أية نعماء لا تحل بها؟ * وأى بأساء لا تنفارقها؟

وقال القاضي التتوني :

صحاب أنى كالأمين بعد تحوف * له في الثرى فعل الشفاء بمدق.
أكب على الآفاق إجاب مطريق * يفكر أو كالنادم الملهف.
ومد جناحيه على الأرض جانحا * فراح عليها كالفراب المرفف.
غدا البر مجرا زائرا وأنثى الضحى * بظلمته في توب ليل مسجف.
فمبس عن برقي به متبسيم * عبوس يجيل في تبسم معتف.
تحاول منه الشمس في الجو محرجا * كما حاول المغلوب تجريد مرهف.

وقال ابن الرومي :

تَهَابْتُ قَيْسَتَ بِالْبِلَادِ فَأُلْقَيْتُ * غِطَاءَ عَلَى أَغْوَارِهَا وَتُجَوِّدَهَا.
حَدَّثَنَا النُّعْمَى مُقْبِلَاتٍ فَأَقْبَلْتُ * تَهَادَى رُويْدَا سَيْلَهَا كُرْكُودَهَا.

وقال أبو هلال العسكري :

وَبَرَّقَ سُرَى، وَاللَّيْلُ تَجْحَى سَوَادُهُ * قُلْتُ : سَوَارٌ فِي مَعَاصِمِ اسْتَمْرَا !
وَقَدْ سَدَّ عُرْضَ الْأَفْقِ غَيْمٌ تَحَالَهُ * يَزُرُّ عَلَى الدُّنْيَا قَيْصًا مَعْنَسِرَا.
تَهَادَى عَلَى أَيْدِي الْحَبَائِبِ وَالصَّبَا * تَكْرِقُ مِنَ الْفَتَيَانِ نَارَ مَسْكِرَا.
تَحَالُ بِهِ مَسْكَاً وَبِالْقَطْرِ لَوْلَا * وَبِالرَّوْضِ يَأْقُوتَا وَبِالْوَحْلِ عَنَبَرَا.
سَوَادٌ غَمَامٌ يَبْعَثُ الْمَاءَ أَبْيَضًا * وَغُزَّةُ أَرْضٍ تُنْبِتُ الزَّهَرَ أَصْفَرَا.
أَنْتَكَ بِهِ أَفْهَسُ رِيحٍ مَرِيضَةٍ * كَمُفْطَعَةِ رَعَاءٍ تَسْتَأْقُ عَسْكَرَا.
فَالْقَى عَلَى الْفُتُرَانِ دِرْعًا مُسَرَّدَا * وَأَهْدَى إِلَى الْقَيْعَانِ بَرْدًا مُحَبَّرَا.
تَحَالُ الْحَيَا فِي الْحَقُودِ مَنْظَمًا * وَفِي وَجَنَاتِ الرُّوْضِ دُرًّا مَنْثَرَا.
وَأَقْبَلَ تَشْرُ الْأَرْضِ فِي شَيْسِ الْعَبَا * فَبَاتَ بِهِ تَوْبُ الْمَسْوَءِ مُعْطَرَا.
إِذَا مَادَعَتْ فِيهِ الرُّعُودُ فَاسْمَعْتُ * أَجَابَ حُدَاةً وَأَسْتَهْلُ فَاغْرَرَا.
وَيَبْكِي إِذَا مَا أَحْمَكَ الْبَرْقُ سِنَّةً * فَيَجْعَلُ نَارَ الْبَرْقِ مَاءً مُفْجَرَا.
كَانَتْ بِهِ رُؤْدَ الشَّبَابِ خَرِيدَةً * قَدْ اكْتَحَنَتْ خَيَّ السَّحَابَةِ مَعْجَرَا.
فَنَفَرَ يُرِينَا مِنْ بَعِيدٍ تَبْلُجًا * وَدَمَعٌ يُرِينَا مِنْ بَعِيدٍ تَحْدَرَا.

وقال مؤيد الدين الطغراني :

سارية ذات عُبوسٍ برقها * بضحك والأجفان منها تهمل .
حكمة ذكاء في حاشية * فيها طرازٌ منهجٌ مُسَلَّل .
إذا دنت عشارها، صاح بها * فاصفِ وعِدِ وحدتها الشَّال .

وقال عبد الله بن المعتز :

ومُرنة جاد من أجفانها المطرُ : * فالرَّوضُ منتظمٌ والقطرُ منتثر .
تري مواقعهُ في الأرض لائحة * مثل الدراهم تبدو ثم تستتر .

وقال أيضا :

ما ترى نعمة السماء على الأر * ض وشكر الرِّياض للأقطار ؟
وكان الرِّيح يحلُّ عروسا * وكان من قطره في نثار !

وقال ابن عوف الكاتب في إطباق الغيم وكُربه :

في مُرنة أطيقت فكانت * تُصالحُ التُّرب بالنعَم .

وقال آخر :

تسميت الرِّيح، ربحُ الجنو * ب فيها هوى غالباً وأدكارا .
وساقت صحاباً كنفيل الجبال * إذا البرق أومض فيه، أنارا .
إذا الرعد جَلَجَلَ في جانيته، روى النبات وأروى الصَّعَارا .
تطالعتنا الشمس من دونه * طلاع فضاء تخافُ اشتبارا ،
تخافُ الرقيب على نفسه * وتحدُّ من زوجها أن يفارا .
ففسر غرتها بالحمى * وطورا، وطورا تُزِيلُ الخمارا .

فَلَمَّا رَأَاهُ هُبُوبُ الْجَنُوبِ * بِ وَأَتَهَمَرُ الْمَاءُ فِيهِ أَنْهَارًا ،
تَبَسَّمتِ الْأَرْضُ لَمَّا بَكَتْ * عَلَيْهَا السَّمَاءُ دُمُوعًا غِرَارًا !

وقال الأسعد بن بليطة من شعراء النخيرة :

لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا عَشِيَّةَ أَمْسِنَاءَ * وَالْمَزْنَ تَبَكَّيْنَا بِعَيْنِي مُدْنِبَ ،
وَالشَّمْسُ قَدْ مَدَّتْ أَدِيمَ شُعَاعِهَا * فِي الْأَرْضِ تَجَنُّعُ غَيْرَانِ لَمْ تَنْهَبِ ،
خَلَّتِ الرِّذَاذَ بُرَادَةً مِنْ فِضَّةٍ * قَدْ غُرِبَتْ مِنْ فَوْقِ نَظْمٍ مُذْهَبِ !

وقال أبو عبد الله محمد بن الخطيب من شعرائها :

رَاحَتْ تُدَكِّرُ بِاللَّسِيمِ الرَّاحَا * وَطَفَاءُ تَكْخِيسِ الْجُنُوحِ جَنَاحَا .
أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلَامُ فَأَوْقَدَتْ * مِنْ بَرْقِهَا ، كَيْ تَهْتَدِي ، مِصْبَاحَا .
وَكَانَ صَوْتُ الرِّعْدِ خَلْفَ سَحَابِهَا * حَادٍ إِذَا وَتَتِ السَّعَابُ ، صَاحَا .
جَادَتْ عَلَى التَّلَمَاتِ فَكَتَسَتْ الرُّبَا * حُتْلًا أَقَامَ لَهَا الرِّيسُوعُ وَشَاحَا .

وقال ابن برد الأصغر الأندلسي من شعرائها :

وَمَازَلْتُ أَحْسَبُ فِيهِ السَّحَابَ ، * وَنَارُ بَوَارِقِهَا تَلْتَهَبُ :
بَجَائِي تَوْضِعُ فِي سَيْرِهَا * وَقَدْ قُرِعَتْ بِسَيَاطِ النَّهَبِ .

ومما ورد في وصفها نثرا

§ قال بعض الأندلسيين من رسالة :

ثم أرسل الله الريح من كثائها ، وأخرجها من خزائنها ، فخرت ذيوها ، وأجرت
خيولها ، خافقة بنوحها ، متلاحقة جنوحها ، فاثارت التمام ، وقادته بنير زمام ؛
وأنشأت بحرية من السحاب ، ذات أتراب وأصحاب ؛ كثيرا عددها ، غزيرا مددها ،

فبشرت بالتطرُّك كلِّ شائم ، وأنذرت بالورد كلَّ حائم ، والريح تَنفَّثًا ، والبرق يَمُتُّها ،
 كأنه قضيب من ذهب ، أو لسان من لهب ؛ وللسحاب من ضوء البرق هاد ، ومن
 صوت الرعد حاد ؛ والريح توسع بلُحمتها سَدَّها ، وتُسرع في حياكتها يداها . فلما
 ألتمح قَتْنُها ، وألتأم رَقَبُها ؛ وأمتلئت أشطانها ، وأتسعت أعطانها ؛ وأتسحت
 أجنابها ، وأتسدت أطناها ؛ وتهلَّل نملها ، وتمخض حملها ؛ ومدت على آفاق
 السماء نَطاقها ، وززت على أعناق الجبال أطوافها ، كأنها بناء على الجو مقبوع ،
 أو طبق على الأرض مكبوع ؛ تمشي من الثقل هَوًّا ، وتستدعي من الريح عَوًّا ؛
 وغابِلها قنوى ، وعارضها أحوى . فلما أذن الله لها بالانحدار ، وأزل منه الودق
 بمقدار ، أرسلت الريح خُيوطَ القطر من رُود السحاب ، وأمسبتها إسهال
 الذوائب . فدرت من خَلْف مَضُور ، وثرت طَلْها تَر الدُور . ثم أغرق جيها ،
 وأنبق سبها ؛ وصار الخيط حبلًا ، والطلُّ وبَلًا . فالسحاب يتعلَّق ، والبرق يتألَّق ؛
 والرعد يرنجس ، والقطر ينجس ؛ والنَّقَط ترائي طباها ، وتباري أنساها ؛ فيردف
 السابق المصلي ، ويتصل التابع بالمولي ؛ كما يقع من المنفعل البر ، ويلتثر من النظام الدر ؛
 بلجبوب السماء تُسقطه ، وأكفُ الغُدران تَلْقُطه ؛ والأرض قد فَتَحَت أحوها ،
 وجرعت أمواها . حتَّى أخذت رِيَّها من المطر ، وبلفت منه غاية الوطر ، خفي من
 الرعد تسبيحه ، وطَفِئت من البرق مصابيه ، وحسرت السماء نقابها ، وولَّت المطر
 أعقابها ؛ وحكت في ردها طَلق السابق ، وهَرَبَ الآبق .

§ ومن رسالة محمد بن شرف القيرواني :

برئى خليل البرئ ، وأثرى فقير الثرى ، وتاريخ ذلك أنصرام ناجر ، وقد بلغت القلوب^(١)

الحنابر، حمارة أحمرت لها خضرة الماء، وأغربت مرآة الماء، حتى أنهل طالع وشي،
وتلاه تابع ولي، ذنا فاسف، ووكتف لما كف، لما فقي مسكوبا قطره، محجوبا شمس
وبدره، وجليت عروس الشمس، معتبرة عن مفيها بالأمس. فتندها مرق عن
الدقاع صحيح إهابها، وأختزن دُر البرق أصداف ترابها. لما مرّت أيام إلا والقيعان
مسنّسه، والأكلم مطوَّسه.

§ ومن رسالة لأبي القاسم، محمد بن عبد الله بن أبي الجلد في وصف مطر بعد حط:
قال: لله تعالى في عبادته أسرار، لا تُدرِكها الأفكار، وأحكام، لا تاتلها الأوهام.
تختلف العدل متيق، وتفتق والفضل مجتمع مُتسقى. ففى مَنَحها نفاس المامول،
وفى عَمَها مَدَاوس العقول. وفى أَثناء فوائدها حداثى الإنعام راقته، وبين أرجاء مراثيها
بوارق الإحذار والإندار خالقه. وربما تنصحت كَلِم التواب، عن زَهَرات المواهب.
وَأَنسَكبت غمام الرزايا، بِنَمَطات العطايا. وصدح ليل اليأس صبح الرجاء، وخلع
عامل اليأس وإلى الرخاء. ذلك تقدير اللطيف الخبير، وتدير العزيز القدير!

ولما سمعت بتلبط الغيث العُتُون، وأقبض من تبسط الشك اليقين، وأسترات
حياض الوهاد، بهود اليماد، وتأهبت رياض التجاد، لبرود الحداد، وأكتصلت
أجفان الأزهار، بإئمد النع المَطار، وتمطلت أجياد الأنوار، من حُلّ الديمة المَترار،
أرسل الله بين يدي رحمة رِيحاً بَلِيلَةَ الحَنَاح، مُجِيلَةَ العِجَاح، سريمة الإقحاح. فظلمت
عقود السحاب، نظم السحاب، وأحكمت برود الغمام، راقحة الأعلام. وحين ضربت
تلك المُجِيلَةُ في الأفق قِيَابَها، ومثت على الأرض أَطْطَابَها، لم تلبث أن أنهكت رُواقها،

وَأَنْتَكَ وَشَيْكَ نَظَائِفُهَا، وَأَنْتَ مَدَامُهَا تَبْكِي بِأَجْفَانِ الْمُسْتَقِ، غَدَاةَ الْفِرَاقِ، وَتَحْكِي
بَتَّانِ الْكَرَامِ، عِنْدَ أَرْحِيَةِ الْمُدَامِ، فَاسْتَعْرِبَتِ الرِّيَاضَ ضَحْكَاً يَكْثُهَا، وَأَهْتَرَفَاتِ النَّبَاتِ
طَرَباً لِتَفْرِيدِ مَكْثُهَا، وَأَكْتَسَتْ ظُهُورَ الْأَرْضِ مِنْ بَيْضِ إِنْثَاهَا، خُضْرُ مَلَاهَا، فَكَأَنَّ
صِنْعَاءَ قَدْ نَشَرَتْ عَلَى بَسِيطِهَا بِسَاطَ مُقَوَّفاً، وَأَهْلَتْ إِلَيْهَا مِنْ زَخَارِفِ بَرِّهَا وَمَطَارِفِ
وَشْبَاهِ الطَّافَا وَتَحْفَا . وَخُيِّلَ لِلْمَيُونِ أَنْ زَوَاهِرِ النُّجُومِ، قَدْ طَلَعَتْ مِنْ مَوَاقِعِ التَّخُومِ،
وَمِبَاهِمِ الْحَسَانِ، قَدْ وَصَلَتْ بِأَقْتَارِ الْفَيْطَانِ . فَيَا بَرْدَ مَوْعِهَا عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ !
وَيَا خُلُوصَ رِيحِهَا إِلَى غُلْلِ النُّفُوسِ الصَّوَادِ ! كَأَنَّا اسْتَمَارَتْ أَنْفَاسُ الْأَحْبَابِ، أَوْ تَرَشَّتْ
شَدَبُ النَّبَايَا الْعِذَابِ، أَوْ تَحَمَّلَتْ مَاءَ الْوِصَالِ، إِلَى نَارِ الْبَلْبَالِ . أَوْ سَرَتْ عَلَى أَفْدَاءِ
الْأَشْجَارِ وَرِيحَانِ الْأَصَالِ . لَقَدْ تَبَيَّنَ لِلصَّنْعِ الْجَلِيلِ، مِنْ خِلَالِ دِيْمَاهَا تَنْفَسَ وَنَصُولِ،
وَتَمَكَّنَ لِلشُّكْرِ الْجَمِيلِ، مِنْ خِلَالِ نَعْمَاهَا مَعْرَسَ وَمَقِيلِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا أَنْسَكِبَ
قَطَرُ، وَأَنْصَدَحَ بَحْرُ، وَتَوَقَّدَ قَهْسُ، وَتَرَدَّدَ نَفْسُ، وَهُوَ الْكَفِيلُ تَعَالَى بِإِتْمَامِ النِّعْمِ،
وَصِلَةِ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ وَالْحَيَاةِ بِعِزِّهِ !

§ وقال الوزير أبو عمرو الباجي في مثل ذلك :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَايَا وَاقِعَةً بِالْعَدْلِ، وَعَطَايَا جَامِعَةً لِلْفَضْلِ، وَنَهَى بِسَطِهَا إِذَا شَاءَ
إِنْسَاماً وَتَرَفِهَا، وَيَقْبِضُهَا مَتَى أَرَادَ الْإِلَهَامَ وَتَنْبِيهَا، وَيُصَلِّهَا لِقَوْمٍ صَلَاحاً وَخَيْراً،
وَلَا تَخْتَرِينَ فُسَاداً وَضَريراً، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ النَّبْتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ
وَهُوَ الْوَلِيُّ الْجَمِيدُ ﴾ . وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَمْتِنَاكَ السُّقْيَا، وَتَوَقَّفَ الْحَيَاةَ، مَا رَجَعَ بِهِ
الْأَمْنُ، وَأَسْتَطِيلَ لَهُ السَّاكِنُ، وَرَجَعَتْ الْأَكْبَادُ لَزْعَا، وَذَجَلَتْ الْأَبَابُ بَرْحَا،
وَأَذَكَّتْ ذُكَاةً حَرْحَا، وَمَنَعَتْ السَّمَاءُ دَرَحَا، وَأَكْتَسَتْ الْأَرْضُ طُبْعَةً بَعْدَ خُضْرَةٍ،
وَلَهَسَتْ نُحُوبَا بَعْدَ تَضَرَّةٍ، وَكَادَتْ بُرُودُ الرِّيَاضِ تُطَوِّى، وَتُدَوِّدُ نَيْمَ اللَّهِ تُزَوِّى،

ثم نشر الله تعالى رحمته ، وبسط نعمته ، وأتاح منته ، وأزاح مخبئه . فبعث الرياح
لواقيح ، وأرسل النّام سواقيح ، وباء يتدفق ، وروء علق ، من سماء طبق . أستهل جفنها
فدفع ، وسمح دمعها فهمع ، وصاب ويلها فنقع . فاستوفت الأرض رياء ، وأستكلت
من نباتها أمانا برياء ، فزينت الأرض مشهوره ، وحلّت الزهر منشوره ، ومنّة الرب
موفوره ، والقلوب ناعمة بعد بؤسها ، والوجوه ضاحكة إثر عبوسها ، وآثار الجزع
محوه ، وسور الشكر متلوّه ، ونحن نستريد الواهب نعمة التوفيق ، ونستعيد في قضاء
الحقوق إلى سواء الطريق ، ونستعيز به من المنّة أن تمود فتته . والمنحة أن نصير
محنه ! والحمد لله رب العالمين !

٩ - ذكر شيء مما وصف به الثلج والبرد

قال أبو الفتح كشاجم :

الثلج يسقط أم لجين يسبك ، * أم ذا حصي الكافور ظل يفركه ؟
راحت به الأرض القضاء كأنها * في كل ناحية بشقر تضعك !
شابت ذوائبها قبين محصكها * طربا وعهدى بالمشيب يسك !
وتردت الانجبار منه ملاءة * عما قليل بالرياح تهتك !

وقال أيضا :

ثلج ونمس وصوب غادية * فالأرض من كل جانب غرة !
باتت ربيعائها زرجدة . * فاصبحت قد تحولت دزة !
كانت الشلوج يفضحها * تُعار من أحبه ثغرة !
شابت فسرت بذلك وأتهجت * وكان عهدى بالشيب يستكرا !

وقال صاحب بن عباد :

أقبل التلج في غلال نور * تنهادي بلؤلؤ منشور !
فكأن السماء صاهرت الأثر * ض فصار التار من كافر !

وقال النخعي :

أهدئ لنا برداً يلوح كأنه * في الجوحب لآلي لم يُنقب ،
أو تفرحواء اللثات تسمت * عن واضح مثل الآقحى أشذب !

الباب الثاني

من القسم الثاني من الفن الأول

في النيازك، والصواعق، والرعد، والبرق، وقوس قزح

(١) فأما النيازك، فهو ما يرى من النواكب المتصلة بالشهب والكواكب .

روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال لجماعة من الأنصار : "ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرى به ؟ قالوا : يا رسول الله، كنا نقول إذا رأيناها يرى بها : مات ملك ، ولد مولود . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ليس ذلك كذلك، ولكن الله تعالى كان إذا قضى في خلقه أمراً سمعه الملائكة فيسبحون ، فيسبح من تحمهم لتسبيحهم ، فيسبح من تحت أولئك حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيسبحون ، ثم يقولون ألا تسألون من فوقكم ثم يسبحون ؟ فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا ، لا أمر الذي كان . فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيحدثون به ، فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف . ثم يأتون

به الكُفَّان، فيصيبون بعضا، ويُحْطَفُونَ بعضا . ثم إن الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقَدِّفُونَ بها ، فانقطعت الكُهَّانَة ، فلا كُهَّانَة اليوم .

والشهب التي يُغْدِف بها الشياطين غير النجوم الثوابت التي منها البروج والمنازل لقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ .

وقال بعض الشعراء :

وَكُوْكِبَ نَظَرَ الْغَفْرِتِ مُسْتَرِقًا * لَلْسَمْعِ فَأَنْقَضَ يَدُكِي إِثْرَهُ لَهَبَهُ
كُفَّارِيْسَ حَلٍّ مِنْ تَيْسٍ عِمَامَتِ * وَجَرَّهَا كُلَّهَا مِنْ خَلْفِهِ عَدَبَهُ

وكتب ابن الحرون إلى صديقي له ، وقد كثرت آهضاض الكواكب ، وذلك في أيام المتوكل على الله :

أما بعد . فإن الفلك قد تفرق عن شُئْبٍ ثواقب ، كثيران الحُبَابِج ، مُتَقَدَّة
كشرد الزنود ، وشعل زُبر الحنيد ، مازجها عرض حمرة البهرمان ، وصفرة العقيان .
فهي كآرسال جرادٍ منتشر ، وهشيم ذَرَبَةٍ رِيحٍ صرصر ، في سُرعة الكف ، ووحى
لخلط الطرف .

(ب) وأما الصواعق ، فهي ما قاله الزمخشري في تفسيره : الصاعقة قصبة

من رعد ينقض معها شُكَّة من نار .

وقالوا : إنها تنفدح من السحاب إذا أصطكَّت أجرامه . وهي نار لطيفة حديدة لا تخرق شيء إلا أنت عليه ، إلا أنها مع حثتها سريعة الانحداد . جل أنها متى سقطت على نخله أحرقت عاليها .

صه

وقال صاحب كتاب "مناجج الفكر ومبايح العبر" في كتابه :

ومن عجيب شأنها أنها تحرق ما في الكيس ، ولا تحرق الكيس ؛ وإن احترق
فإنما يحترق باحتراق ما ذاب فيه وسال . قال : وهي إذا سقطت على جبل أو حجر
كلسته ونفذته ، وإذا سقطت في بحر غاصت فيه وأحرق ما لاقت من جوانبه .
وربما عرض لها عند أنظفائها في الأرض برد ويس ، فتكون منها أجرام حجرية ،
أو حديدية ، أو نحاسية . وربما طبعت الحديد سيوفاً لا يقوم لها شيء .

(ج) وأما الرعد وما قيل فيه ، قال الله تبارك وتعالى : (وَسَمِعَ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ) .
قال المفسرون : الرعد ملك موكل بالسحاب ، معه كُرٌّ من حديد ، يسوقه من بلد إلى
بلد كما يسوق الراعي إبله . فكلما خالف سحاب ، صاح به فزجره . فالذي يُسمع هو
صوت الملك .

وقال الزمخشري من تفسيره : الرعد الذي يسمع من السحاب ، كأن أجرام السحاب
تضطرب وتنفض إذا حلتها الريح فتصوت عند ذلك .
وأما صوت الرعد ، فهو العرب : رَعَلَت السماء .

إذا ازداد صوتها ، قيل : أَرْتَجَسَتْ .

إذا زاد ، قيل : أَرَزَمَتْ ، وَقَعَّتْ^(١) .

إذا بلغت النهاية ، قيل : جَلَجَلَتْ ، وَهْهَعَتْ .

(١) حارة لغة الله : (إذا زاد ، قيل : أَرَزَمَتْ ، رَدَزَتْ . فإذا زاد واشتد ، قيل : قَصَفَتْ ،
وَقَعَّتْ . فإذا بلغ النهاية (الخ) اهـ .

المثل

رُبَّ صَلَفٍ نَحْتِ الرَّاعِدَةِ . (البخيل المتكبر) .

(د) وأما البرق وما قيل فيه ، فقد ذهب المفسرون لقول الله تعالى إلى أنه ضَرْبُ الْمَلَكِ الذي هو الرعد للسحاب غُرْاق من حديد . وروى عن مجاهد : ان الله عز وجل وكل بالسحاب ملكا . فالرعد قَمَقَمَةٌ صوته ، والبرق سَوْطُهُ .

وأما تربيته في لمعانه

تقول العرب إذا برق كأنه يتسهم ، وذلك بقدر ما يريك سواد الغيم من بياضه :
أَنْكَلُ أَنْكَلًا .

فإذا بدا من السماء برقٌ يسير ، قيل : أَوْشَمَتِ السَّمَاءُ . ومنه قيل : أَوْشَمَ النَّهْتُ إِذَا أَبْصَرْتَ أَوَّلَهُ .

فإذا برق برقًا ضعيفًا ، قيل : خَفَا .

فإذا لمع لمعًا خفيفًا ، قيل : لَمَحَ ، وَأَوْمَضَ .

فإذا تشقق ، قيل : أُنْعَقَ أُنْعَاقًا .

فإذا ملا السماء وتكشفت وأضطرب ، قيل : تَبَوَّجَ .

فإذا كثرت وتتابع ، قيل : أَرْتَجَّجَ .

فإذا لمع وأطعم ثم عدل ، قيل له : حُلِبَ .

(١) في الأصل نفخة : وهو محذوف عن قملة بالقاف كما يقتضيه السياق .

(٢) في الأصل صوته . وهو محذوف عن سوطه وهو غُرْاق الحديد الذي ذكر في السطر الذي قبله .

المثل :

” ليس في البرق اللامع مُسْتَمْتَعٌ “ .

ذكر ما قيل في وصف الرعد والبرق

قال أبو هلال العسكري : عفا الله عنه :

والرعدُ في أرجائه مُتَرَتِّمٌ * والبرقُ في حافاته مثَلَبٌ .
كالباقِ تَرَجٌ ، والصَّوَارِمُ تُنْقَضُ * والجَوَائِسُ ، والأَنَامِلُ تُحْسَبُ .
وقال آخر :

إذا وَتَّ السَّحْبُ الثَّقَالُ وَحُثَا * من الرعد حادٍ ليس يُبْصِرُ أَكْهَ ،
أحاديثه مُسْتَمَلَاتٌ وَصَوْتُهُ * إذا انخفضت أصواتهن مُقَهَقَهُ ،
إذا صاح في آثارهن حَبِيبَتُهُ * يجاوبُهُ من خَلْفِهِ صاحبٌ لَهُ .
وقال ابن الدقاق الأندلسي :

أرى بَارِقًا بِالْبَاقِ الْفَرْدُ يُومِضُ * يَذْهَبُ أَكْثَفُ الدُّجَى وَيُقَضِّضُ .
كَأَنَّ سُلَيْمِيٍّ مِنْ أَعَالِيهِ أَشْرَفَتْ * تَمَدَّنَا كَفًّا خَضْبِيًّا وَتَقَبَّضُ .
وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

ويومٍ سَئِئٍ بَرْقُهُ أَشْقَرَا * يُطَارِدُ مِنْ مَرْزَنِهِ أَشْبَهَا :
تَرَى الْأَرْضَ فِيهِ وَقَدْ قُضِّضَتْ * وَوَجْهَ السَّمَاءِ وَقَدْ دُجِبَا !

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي ، شاعر الذخيرة :

ولما تَجَلَّى اللَّيْلُ وَالْبَرْقُ لَامِعٌ * كَمَا سَلَّ زَنْجِيٌّ حُسَامًا مِنَ التَّبَرِّ :
وَبِثَّ سَمِيرَ النَّجْمِ وَهُوَ كَأَنَّهُ * عَلَى مَعْصَمِ الدُّنْيَا جَبَّارٌ مِنْ دُرِّ .

وقال محمد بن عاصم ، شاعر الخريدة عفا الله عنه :

أضَاءَ يَوَادِي الْأَثِيلِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ * بَرَقَ كَدَّ السَّيْفِ ضَرْجَهُ الدَّمُ .
إِذَا السَّبْقُ أَجْرَى طَرْفَهُ فَصْبِيهِ * إِذَا مَا تَفَرَّى رَعْدُهُ الْمُتَرْتِمُ .
فَشَبَّهَتْهُ إِذْ لَاحَ فِي غَسَقِ الدُّجَى * بِأَسْنَانِ زَيْجَى بَدَتْ نَتَبَسُّمُ .

(١٢١)

وقال أيضا :

وَالْبَرْقُ يَضْحَكُ كَالْحَبِيبِ وَعِنْدَهُ * رَعْدٌ يَحْشُنُ كَالرَّقِيبِ مَقَالَهُ .

وقال آخر :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ غَدَا مَوْهِنًا * خَفِيَ كَفْمَزِكَ بِالْحَاجِبِ .
كَأَنَّ ثَائِقَهُ فِي السَّمَاءِ * يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ .

وقال عبد الله بن المعتز ، يشير إلى صحابة :

رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقَهَا مُنْذُ بَدَتْ * كَثُلَ طَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبِي يُحِبُّ .
ثُمَّ حَدَّثَ بِهَا الصَّبَا حَتَّى بَدَا * فِيهَا إِلَى الْبَرْقِ كَأَمْثَالِ الشُّهُبِ .
تَحْسَبُهُ فِيهَا إِذَا مَا أَنْصَدَعَتْ * أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ مُجَاعًا يَضْطَرِبُّ .
وَتَارَةً تُبْصِرُهُ كَأَنَّهُ * أَبْلَقَ مَالَ جُلْهِ حِينَ وَثَبَ .
حَتَّى إِذَا مَا رَفَعَ الْيَوْمُ الضُّحَى * حَبَبَتِهِ سَلَسَلًا مِنَ الذَّهَبِ .

قوله مجاعا يضطرب مأخوذ من قول دحبل :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ مُنْصَبٍ * خَفِيَ كِبْطُنَ الْحَيَّةِ الْمُتَقَلِّبِ .

وقال أيضا :

مَازِلْتُ أَكْلًا بَرْقًا فِي جَوَائِبِهِ * كَعَطْرَةِ الْعَيْنِ تَحْبُو ثُمَّ تَحْتَفِلُ .
بَرْقٌ تَجَاسَّرَ مِنْ حَقَّانٍ لَامِعِهِ * يَقْضِي اللَّبَانَةَ مِنْ قَلْبِي وَيَنْصَرِفُ .

(٥). وأما قوس قزح وما قيل فيه . قالوا : وإنما سمي بذلك لتلونه .

وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يكره أن يسميه قوس قزح، ويسميه قوس الله، ويقول: قُزَحُ اسم الشيطان .

وزعم القدماء في علة تلونه وتكوينه، أنه إذا تكاثف جزء من الهواء بالبرد ثم أشرق عليه نور بعض الكواكب آنصبغ ذلك الجزء، وأنطفئ منه الضوء إلى ما يليه من الهواء، كالخمرة الصافية إذا طلعت عليها الشمس سطع نورها، وأنطفئ منه ألوان مختلفة إلى ما يقرب منها. وحرته وصفوته من قبل الرطوبة واليبس .

قالوا : وقياس ذلك النار، فإنها إذا كانت من حطب رطب، كان لونها أحمر كدرا، فإن كانت من حطب يابس، كان لونها أصفر صافيا .

وقال آخرون : القوس يحدث عن رطوبة الهواء وصفالته، حتى يمكن أن يرسم فيه دائرة الشمس كما ترسم الأشباح في المرايا، وتشتبك الأشعة بما يكون فيه البخار الرطب فيتولد، فيكون منها تلك الألوان. وإنما توجد دائرة على الناظر، لأن الشمس أبدا تكون في قضاها، ولذلك ترى في مقابلة الجهة التي تكون فيها الشمس، فترى في المغرب إذا كانت الشمس في المشرق، وترى في المشرق إذا كانت في المغرب .

وزعم بعض القدماء أن أثر القوس غير حقيقي، وإنما هو تخيل لا وجود له في نفسه. وقال إن إدراكه على نحو إدراك صورة الإنسان في المرآة من غير أن تكون منطبعة على الحقيقة فيها ولا قائمة بها. وذلك بحسب غلط الحس الباصر، وهو لا يرى إلا أن يكون وراء السحاب الصقيل، إذ ذاك يكون كالمرآة مؤديا للبصر على نحو تأدية البُور، إذا جعل وراءه شيء غير مشرق، ولا يكون ذلك عن السحاب الصقيل وحده، كما لا يكون عن البُور وحده، ولا عن غير المُشْرِق وحده، والله أعلم .

ذكر ما قيل في وصفه وتشبيهه

قال أبو الفرج الوأواء، عفا الله تعالى عنه ورحمه :

سَقِيًّا لِيَوْمٍ بَدَأَ قَوْسُ الْفَحَامِ بِهِ * وَالشَّمْسُ طَالِمَةً وَالْبَرْقُ خَلَّاسُ !
كَأَنَّهُ قَوْسُ رَامٍ وَالْبَرْقُ لَهُ * رَشَقُ السَّهَامِ وَعَيْنُ الشَّمْسِ بُرْجَانُ .

(٣٥)

وقال معبد بن حميد القيرواني، رحمة الله عليه :

أَمَا تَرَى الْقَوْسَ فِي الْفَحَامِ وَقَدْ * تَمَقَّقَ فِيهِ الْمَوَاءُ نُورًا ؟
حَكِي الطَّوَاوِيسِ وَهِيَ جَاعِلَةٌ * أَذْنَابَهَا لِلْيَا أَسْتَارًا .
أَخْضَرُ فِي أَحْمَرٍ عَلَى يَقَعِي * عَلِيٍّ وَشَاحِ السَّحَابِ قَدَارًا .
كَأَنَّمَا الْمَرْزُوقُ رَاهِبَةٌ * شَدَّتْ عَلَى الْأَفْقِ مِنْهُ زُنَارًا .

وقال ظاهر الدين الحريري ، شاعر الخريدة عفا الله عنه :

أَلَسَبَ تَرَى الْجَوْ مُسْتَعْمِرًا * يُضَاحِكُهُ بَرْقُهُ الْخُلْبُ ؟
وَقَدْ بَاتَ مِنْ قُرْجِ قَوْسِهِ * بَعِيدًا وَمَحْسَبَهُ يَقْرُبُ ؟
كَطَاقٍ عَقِيْقِي وَفَيْرُوزِجٍ * وَبَيْنَهُمَا آخِرُ مَلْهَبُ .

وقال سيف الدولة بن حمدان، من أبيات :

وَقَدْ نَشَرْتُ أَيْدِيَ الْجَنُوبِ مَطَارِقًا * عَلَى الْجَوْدِ كَمَا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ .
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَصْفَرٍ * عَلِيٍّ أَحْمَرٍ لِي أَخْضَرٍ وَمَنْطَ مَبْيُضُ .
هَكَذَا ذِيَالِ خَوْدِ أَيْدِي فِي فَلَاتِلٍ * مُصْبَغَةٍ ، وَالْبَمْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ .

وقال عبد المحسن الصبوري، عفا الله تعالى عنه :

تَأْمَلِ الْجَنُوبَ تَرَى وَالْيَا * قَدْ وَلَّى الْعَهْدَ عَلَى السُّنْعِ !
سَارَ ، وَقَوْسُ اللَّهِ تَأَخَّلَ لَهُ ، * رَكَضًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ !

٢٠

الباب الثالث

من القسم الثاني من القرن الأول

١ - في أسطقس الهواء^(١)

رُوى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : «الريح من رُوح الله تعالى ، تأتي بالرحمة ، وتأتي بالعذاب . فلا تسبونها ، وآسالوا الله خيرها ، وأستعينوا بالله من شرها» . أخرجه البيهقي في سننه .

وروى أبو الفرج بن الجوزي بإسناده أن الريح تنقسم إلى قسمين : رحمة وعذاب ؛ وينقسم كل قسم إلى أربعة أقسام . ولكل قسم اسم . فاسماء أقسام قسم الرحمة : المبشرات ، والنشور ، والمرسلات ، والرخاء . واسماء أقسام قسم العذاب : العاصف ، والقاصف (وهما في البحر) ، والعقيم ، والصرصر (وهما في البر) .

وقد جاء القراءان بكل هذه الأسماء .

٢ - ذكر ما قيل في حدّ الهواء

قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في حدّه : الهواء جسم بسيط ، طباعه أن يكون حاراً رطباً مشفاً متحركاً إلى المكان الذي تحت كرة النار التي فوق كرة الأرض والماء . .

(١) كلمة معربة عن اليونانية معناها : المنصر .

وقال أبقراط : إن تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس مرة إلى الغضب، ومرة إلى السكون، وإلى الهم والسرور، وغير ذلك . وإذا آستوت حالات الهواء، آستوت حالات الناس وأخلاقهم .

وقال : إن قوى النفوس تابعة لأمزجة الأبدان، وأمزجة الأبدان تابعة لتصرف الهواء، إذا برد مرة، ومغضى مرة، نخرج مرة الزرع نضيجا، ومرة غير نضيج، ومرة قليلا، ومرة كثيرا، ومرة حارًا، ومرة باردا، فتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم . وإذا آستوى واعتدل الهواء، نخرج الزرع معتدلا، فأعتدلت بذلك الصور والمزاجات . قال : والعلة في تشابه الترك ، هو أنه لما آستوى هواء بلادهم في البرد آستوت صورهم وتشابهوا .

وقال : إن الرياح تغلب الحيوان حالا إلى حال، وتصرفه من حر إلى برد، ومن ينس إلى رطوبة، ومن سرور إلى حزن، وإنها تغير ما في البيوت من أصناف المأكول كالتمر، والعسل، والسمن، والشراب، فتسخنها مرة، وتبردها أخرى، وتصلبها مرة، وتيسبها مرة . وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها، وإذا تغير الهواء، تغير بتغيره كل شيء .

وقال : إن الجفوب إذا هبت، أذابت الهواء وبردته، ومغضت البطار والأنهار . فكل شيء في رطوبة تغير لونه وحالته . وهي ترعى الأبدان والعصب، وتورث الكسل، وتحدث قحلا في الإسماع، وغشاوة في الأبصار. وأما الشبال فإنها تصلب الأبدان، وتصحح الأدمغة، وتحسن اللون، وتصفى الحواس، وتقوى الشهوة والحركة، غير أنها تبيح السعال، ووجع الصدر .

وزعم بعض من تأخر في الإسلام من الحكماء : أن الجنوب إذا هبت بأرض العراق ، تغير الورد ، وتناثر الورق ، وتشقق القنيط ، ويخف الماء ، وأسرت الأبدان ، وتكثر الهواء .

وزعم آخرون من القدماء : أن الهواء جسم رقيق من تموج من المشرق إلى المغرب سمي ريح الصبا .

قيل : سميت ريح الصبا ، لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها . والصبوة الميل . وجاء في بعض الآثار : ما بعث نبي إلا والصبا معه ، وهي الريح التي تخرجت لسلطان (عليه السلام) غدوها شهر أي من أول النهار إلى الزوال ، ورواحها شهر أي من الزوال إلى المغرب . كان يفسدون تدمر من بلاد الشام فيقبل في إصطخر من بلاد فارس ، ويبعث بكابل من بلاد الهند .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال " نُصِرْتُ بالصبا ، وأهلكته عاد بالدبور " .

وإذا تموج من الجنوب إلى الشمال ، سمي ريح الجنوب ، وهي الريح التي أهلك الله عز وجل بها عاداً .

وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الفن الخامس من كتابنا هذا .

وإذا تموج من الشمال إلى الجنوب ، سمي ريح الشمال .

وهم يزعمون أن مبادئ الرياح شمالية أخذت إلى الجنوب ، وغربية أخذت إلى المشرق لطف الهواء في هاتين الجهتين ،

والعرب تحب الصبا لقتها ، ولأنها تقي بالسحاب . والمطر فيها والخضبت .

وهي عندهم إيمانية .

٣. ذكر أسماء الرياح اللغوية

قال النحلي في فقه اللغة :

إذا وقعت الرِّيحُ بينَ رِيحَيْنِ ، فهي النَّجَاءُ .

فإذا وقعت بين الجنوب والصبأ ، فهي الجَرْيَاءُ .

فإذا هَبَّتْ من جهات مختلفة ، فهي المتناوِحة .

فإذا كانت لَيْتَةً ، فهي الرِّيدَانَةُ .

فإذا جاءت بنَفْسٍ ضَعِيفٍ وَرَوْحٍ ، فهي النَّسِيمُ .

فإذا كان لها حَيْنٌ كَحَيْنِ الإِبِلِ ، فهي الحُنُونُ .

فإذا ابتدأت بِشِدَّةٍ ، فهي العاصِفُ ، والسَّيُّوجُ .

فإذا كانت شديدة ولها زَفْزَفَةٌ وهي الصوت ، فهي الزَّفْزَفَةُ .

فإذا آتشتت حتى تَقْلَعَ الخيامَ ، فهي المَهْجُومُ .

فإذا حَرَّكَتِ الأغصانَ تحريكاً شديداً أو قَلَعَتِ الأشجارَ ، فهي الزَّعْزَاعُ ، والزَّعْزَعَانُ ،

والزَّعْزَعُ .

فإذا جاءت بالحَصْبَاءِ ، فهي الحاصِبَةُ .

فإذا دَرَجَتْ حتى ترى لها ذَيْلاً كَالرَّسَنِ فِي الرَّمْلِ ، فهي الدَّرُوجُ .

فإذا كانت شديدة المَرُورِ ، فهي التَّوْجُجُ .

فإذا كانت سريعة ، فهي المُجْضِلُ ، والحَافِلَةُ .

فإذا هَبَّتْ من الأرض كالْعَمُودِ نحو السماء ، فهي الإِعْصَارُ .

فإذا هَبَّتْ بالغَبَرَةِ ، فهي الهَبْوةُ .

(١) عبارة النحلي . فإذا ابتدأت بشدة . فهي الناجلة . فإذا كانت شديدة . فهي العاصف .

- فإذا حَلَّتِ المَوْرَ وجَرَّتِ الذيل، فهي المَوْرَجاء .
 فإذا كانت باردة، فهي الحَرْجَف، والصَّرَصَر، والعَرِيَّة .
 فإذا كان مع بَرْدِها نَدَى، فهي اللَّيْل .
 فإذا كانت حارَّة، فهي الحَرُّور، والسُّمُوم .
 فإذا كانت حارَّة وأتت من قِبَل اليمَن، فهي المِثِف .
 فإذا كانت باردة شديدة تُحْرِقُ البيوت، فهي الخَرْيِقُ^(١) .
 فإذا ضُعِفَتْ وجرَّت قُوَيِّقُ الأرض، فهي المُسْفِسَّة .
 فإذا لم تُلَفِّحْ شجرا ولم تحمل مطرا، فهي العَقِيم . (وقد نقل بها القرآن).

٤ — فصل فيما يذكر منها بلفظ الجمع

- يقال : الرياح الحواشك: المختلفة الشديدة، البوارح: الشمال الحارَّة في الصيف .
 الأعاصير: التي تهبُّ بالقبَّار، المُعْصِرات: التي تأتي بالأمطار، المِبْشَّرات: التي تهبُّ
 بالسحاب والغيث، السَّوافي: التي تسفي التراب .

٥ — ذكر ما يُمَثَّلُ به مما فيه ذكر الهواء

- يقال :
 أخَفَّ من النسيم، أسرع من الرِّيح، ويجهما جنوب (بضرب الصائغين)، هو ساكن
 الرِّيح (إذا كان غلبا)، قد هبَّت رِيحه (إذا قامت دوله)،
 ومن أضاف الأبيات .
 * إن كنت رِيحاً فقد لاقيت إعصارا * * وبعض القول يذهب بالرياح،
 * تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن * * لو كنت رِيحاً كانت الدُّبُورا *
 (١) في القاموس أنها الرِّيح الباردة الشديدة المهبوب كأنها تحرق . أماوا الفاعل بها .

ومن الأبيات :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ ، فَأَغْتَمَّهَا ، * فَإِنْ لَكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ !

وقال آخر :

وَكُلُّ رِيحٍ لَهَا هُبُوبٌ * يَوْمًا فَلَا يَدَّ مِنْ رُكُودٍ .

وقال آخر :

وَالرِّيحُ تَرْجِعُ عَاصِفًا * مِنْ بَعْدِ مَا أَبْتَدَأَتْ نَسِيمًا .

وقال أبو تمام ، عفا الله عنه :

إِنَّ الرِّيحَ إِذَا مَا عَصَفَتْ ، قَصَفَتْ * عِيدَانٌ تَجِدُ وَلَمْ يَبْقَا بِالرَّيِّمِ .

وقال ابن الرومي ، رحمة الله عليه :

لَا تَنْطِفِئُ جَوَى بَلْوَمٍ إِنَّهُ * كَالرِّيحِ تُغْرِى النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ .

٦ — ذكر ما جاء في وصف الهواء ونسبيه

قال عبد الله بن المعتز ، رحمة الله عليه :

وَنَسِيمٌ يُشِيرُ الْأَرْضَ بِالْقَطْطِ كَذِيْلِ الْفِلَالَةِ الْمَبْلُولِ .

وَوَجْهُ الْبِلَادِ تَنْتَظِرُ الْقَيْثَ أَنْتَظَارَ الْمَحَبِّ رَدَّ الرُّسُولِ .

وقال ابن الرومي :

حَيْثُكَ عَنَّا تَسْمَلُ طَافَ طَائِفُهَا * تَحِيَّةٌ ، بَخَرَتْ رَوْحًا وَرِيحَانًا .

هَبَّتْ مُخَيَّرًا فَنَاجَى الْفُصْنَ صَاحِبَهُ * سِرًّا بِهَا ، وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانًا .

وَرُفٌّ تَفْسَى عَلَى خُضِرٍ مُهْلِكَةٍ * تَسْمُو بِهَا وَتَسْمُ الْأَرْضُ أَحْيَانًا .

يُحَالُ طَائِرُهَا تَشْوَانٌ مِنْ طَرِيٍّ * وَالْفُصْنُ مِنْ هَزَّةٍ عِطْفِيَّةٍ تَشْوَانًا .

وقال أيضا :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرْجُ الْخُرَافِي ۖ وَلَاهَا بَعْدَ وَثْنِي وَلِي ۖ
هَدِيَّةٌ شِمَالِي هَبَّتْ بِلِيلٍ ۖ لِأَفْتَانِ الْفُصُونِ بِهَا نَجِي ۖ
إِذَا أَنْفَاسُهَا نَسَمَتْ مُخَعِّرًا ۖ تَنْفَسُ كَالشَّجِيِّ لَهَا الْخَلِي ۖ

وقال آخر :

وَأَنْفَاسُ كَأَنْفَاسِ الْخُرَافِي ۖ قُبِيلَ الصُّبْحِ بَلَّتْهَا السَّمَاءُ ۖ
تَنْفَسُ فُسْرُهَا سَحَرًا جَاعَتْ ۖ بِهِ سَحَرِيَّةُ الْمَسْرَى رُخَاءُ ۖ

وقال إسحاق الموصلي :

بِاحْجِدًا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا جَرَتْ ۖ فِي الصُّبْحِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ !
قَدْ حَمَلَتْ بَرْدَ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ ۖ عَقَبًا مِنَ الْجَنَاحَاتِ وَالْبَسَاسِ !^(١)

(١) في الأصل بالإهمال وهو من إهمال النسخ - فقد ورد في مادة (ج ث ث) من لسان العرب :
« الجنحاث شجر أصفر ثم نطيب الريح تستطيه العرب وتكثر ذكره في أشعارها » . وقال أبو حنيفة
الديلمي أنه من أحرار الشجر وهو أخضر ينبت بالقيظ له زهرة صفراء كأنها زهرة العرلة طيبة
الريح . وقال ابن الجبار : أول ما رأيته بساحل نيل مصر في أعلاه في صهاربه بجمرة من ضيعة
هناك ، تسمى شاهور ، وهي على طريق الطراثة . وقال داود في تذكرته إنه يسمى باليوتانية
زديسون .

(٢) في اللسان : « البساس نبات طيب الريح » . وهو المعروف عند علماء العرب بالاسم الفارسي « الرازيانج »
وهذا الاسم كان يعرف في الأندلس والمغرب ولا يزال معروفًا به إلى اليوم في قطر الجزائر واسمه
السرياني « برهيا » ويعرف في مصر والشام باسم « الثبار » ومنه نوع برى ينبت بالقيظ واد ويسميه

وقال آخر:

إذا خلا الجو من هواء ، * فغيثهم غمة وبؤس .
فهو حياءٌ لكل حي ، * كان أنفاسه نفوس .

وقال ابن سعيد الأندلسي :

الريح أقود ما يكون لأنها * تبدي حقايا الردف والأعنان^(١) .
وتميل الأغصان بعد علوها * حتى تقبل أوجه الغدران .
وكذلك العشاق يتخذونها * رسلا إلى الأحباب والأوطان .

وقال آخر :

أيا جبتى نعمان بالله حليا * سبيل الصبا يخلص إلى نسيمها .
أجد بردها أو شفي من حرارة * على كيد لم يسق إلا صميمها .
إفان الصبا ريح إذا ما تنفس * على كيد حراء ، قلت همومها .

وقال ابن هتيميل البني :

هبت لنا سحرا ، والصبح ملثيم ، * والليل قد غاب فيه الشيب والهرم .
سقيمة من بنات الشرق أضعفها * عن قوة السير ، لها هبت ، السقم .
فبلغت بلسان الحال قائلة : * ما لم يلفه يوما إلى قم ،
سرا لغاية تسري إلى يد * من النسيم رسول ليس بهم .
أصافح الريح إجلالا لما حملت * إلى من ريح برديها وأستقم .

(١) واحده غمة بالضم ، وهي ما تلقى من لم البطن سينا .

الباب الرابع من القسم الثاني من الفن الأول

١ - في أسطقس النار وأسمائها، وعبادها، وبيوت النيران

حكى أصحاب التواريخ في حدوث النار أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض
وجعل جبل أبي قبيس. فأنزل الله إليه مَرَّحَتَيْنِ من السماء، فحلب إحداهما بالأنثى
فأورياً باراً. فلهذا سمي الجبل بأبي قبيس .

وبدل على أن النار من الشجر، قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ
الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُنْتَوِقُونَ ﴾ .

والعرب تقول : « في كل شجر نار ، وأسقيجد المَرِّخ والعَفَّار » . لأشهما أسرع اقتناحا .
قال الله عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ الشَّجَرَةَ أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ .
وقال أصحاب الكلام في الطبايع : إن الله عز وجل جمع في النار الحركة ،
والحرارة ، واليُوسبة ، واللطافة ، والنور . وهي تفعل بكل صورة من هذه الصور
خلاف ما تفعل بالأنثى .

فبالحركة تمل الأجسام ، وبالحرارة تسخن ، وبالْيُوسبة تخفف ، وباللطافة تنفذ ؛
وبالنور تضيء ما حولها .

(١) أنظر في كتاب الحيوان لملاحظ تفصيلات ومعلومات عن النار . وهي مما يجب الوقوف عليه
والاحاطة به من الوجهة العلمية والفلسفية . أما من حيث اللغة والأدب فراجع ما ورد في كتاب
« منور النفس بمدارك الحواس الخمس » لثيفاني باختصار صاحب لسان العرب ، وهو موجود
بالمكتبة المصرية في « دار الكتب المصرية » ومحل الشاهد هو الباب الثامن من ص ٢٩١ إلى ص ٢٢٣ .

ومنفعة النار تختص بالإنسان دون سائر الحيوان . فلا يحتاج إليها شيء سواه ،
وليس به عنها غنى في حال من الأحوال .
ولهذا عظمتها المجوس^(١) ، وقالوا : إذ أفردتنا بنفعها ، فنفردها بتعظيمها . على أنهم
يعظمون جميع ما فيه منفعة على العباد ، فلا يذنبون موتاهم في الأرض ، ولا
يستنجون في الأنهار .

٢ — ذكر أسماء النار

(وأحوالها في معالجتها وترتيبها)

أما أسمائها ، فثلاثة :

النار ، والصَّلاء ، والسَّكَن ، والضَّرْمَةُ ، والْحَرَق ، والْحَدَّة (وهو هبوت ألتهاها) ،
والْحَدْمَةُ . والجَحِيم ، والسَّعِير ، والْوَحَى .

وأما تفصيل أحوالها ومعالجتها وترتيبها ، فقد قال النعالي في فقه اللغة :

إذا لم يخرج الزند النار عند القدح ، قيل : كَأَ يَكْبُو .

فإذا صوت ولم يخرج ، قيل : صَلَدَ يَصْلِدُ .

فإذا أخرج النار ، قيل : وَرَى يَرَى .

فإذا ألقى الإنسان عليها ما يحفظها ويذكيها ، تقول : شَبَّعْتُهَا وَأَقْبَعْتُهَا .

فإذا عالجها لتذهب ، قال : حَضَّأْتُهَا وَأَرْتَيْتُهَا^(٢) .

فإذا جعل لها مَبْهَبًا تحت القدر ، قال : سَخَّوْتُهَا .

(١) *gnôthres, mages* . عند الفرسين . والمجوس لفظ مشتق من "مغ" و "مغ" ومعناه النور في اللغة الطوارقية .

(٢) في فقه النعالي : وَأَرْتَيْتُهَا بالثين وبجاءة القاموس في مادة (أرض) وتأتي النار تأريتها .

فإذا زاد في إيقادها وإشعالها، قال : أَعْجَبْتُهَا .

فإذا أشتد تأججها ، فهي جاحدة ^(١) .

فإذا طفئت البتة ، فهي هالمة .

فإذا صارت رمادا ، فهي هابية .

واقه تعالى أعلم .

٣ - ذكر عباد النار

(وسبب عبادتها وبيوت النيران)

§ أول من عبد النار قابيل بن آدم .

وذلك أنه لما قتل أخاه هابيل هرب من أبيه إلى اليمن ، بغناه إبليس لعنه الله ،

وقال له : إنما قيل قُريَانٌ هابيل وأكلته النار لأنه كان يخدمها ويعبدها .

فأنصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك ، فبنى بيت نار .

فهو أول من نصب النار وعبدها .

§ وأول من عظمها من ملوك الفرس ، جم . وهو أحد ملوك الفرس الأول ، عظمها

ودعا الناس إلى تعظيمها ، وقال : إنها تشبه ضوء الشمس والكواكب ، لأن النور

عنده أفضل من الظلمة .

§ ثم عُبِدَت النار بالعراق ، وأرض فارس ، وكرمان ، وبيحستان ، وخراسان ،

وطبرستان ، والجلال ، وأذربيجان ، وأران ، وفي بلاد الهند ، والسند ، والصين .

(١) عبارة قه القته بضمه : (فإذا سكن لها ولم يطفأ حرها فهي خالدة) وبهذه فإذا طفئت البتة إلخ

§ ونرى في جميع هذه الأماكن بيوت النيران ، تذكرها بعد إن شاء الله تعالى .

§ ثم أقطعت عبادة النيران من أكثر هذه الأماكن إلا الهند . فإنهم يعبدونها إلى يومنا هذا . وهم طائفة تدعى الإكنواطرية . زعموا أن النار أعظم العناصر حرما ، وأوسعها حيزا ، وأعلاها مكانا ، وأشرفها جوهرًا ، وأنورها ضياء وإشراقا ، وألطفها جسما وكيفا ، وأن الاحتياج إليها أكثر من الاحتياج إلى سائر الطوائع ، ولا نور في العالم إلا بها ، ولا غم ولا انعقاد إلا بجازيتها .

وعبادتهم لها أن يحفروا أخدودا مرصا في الأرض ويحشوا النار فيه ، ثم لا يدعون طعاما للذيذا ، ولا شرابا لطيفا ، ولا ثوبا فانرا ، ولا عطرًا فاتحا ، ولا جوهرًا نفيسا ، إلا طرحوه فيها : تقربا إليها ، وتبركا بها . وحرموا إلقاء النفوس فيها ، وإحراق الأبدان بها ، خلافا للجماعة أخرى من زهاد الهند .

§ وعلى هذا المنحجب أكثر ملوك الهند وعظماؤها . يعظمون النار لجوهرها تعظيما بالغا ، ويقدمونها على الموجودات كلها .

§ ومنهم زهاد وعباد يحلسون حول النار صاغين ، يستنون متابعينهم حتى لا يصل إليها من أنفاسهم نفس صدر عن صدر مجرم . وسنتهم الحث على الأخلاق الحسنة ، والمنع من أفسادها ، وهي : الكذب ، والسند ، والحقد ، والكفاح ، والحرص ، والبغى ، والبطر . فإذا تجرد الإنسان عنها ، هترب من النار .

(١) أولادنا القريم الأساقى لكباب المال والنمل أن هذه الكلمة مأخوذة من "أجنهت" وهي النار المقدسة (أي التي نتاجح إكراما للإله أجنه) .

٤ - وأما بيوت النيران

(ومن رسمها من ملوك القرم)

قال المسعودي :

« أول من حكي ذلك عنه أفريدون الملك . وذلك أنه وجد نارا يعظمها أهلها ، وهم معتكفون على عبادتها . فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها . فأخبروه بأشياء اجتذبت نفسه إلى عبادتها^(١) وأنها واسطة بين الله تعالى وبين خلقه ، وأنها من جنس الآلهة النورية ، وأشياء ذكرها له . وجعلوا للنور مراتب وقوانين [وفرقوا بين طبع النار والنور]^(٢) وزعموا أن الحيوان يجتذب به النور ، فيحرق نفسه : كالقراش الطائر بالليل في أطف جسمه ، يطرح نفسه في السراج فيحرقها . وغير ذلك مما يقع في صيد الليل من الغزلان ، والوحش ، والطيور ، وكظهور الحيتان من الماء إذا قربت من السراج في الزوارق كما يصاد السمك ببلاد البصرة في الليل ، فإنهم يعملون السراج حوالى المركب ، فيثب السمك من الماء إليها ، وأن بالنور صلاح هذا العالم ، وشرف النار على الظلمة إلى غير ذلك .

فلما أخبروا الملك أفريدون بذلك أمر أن تحمل حجرة منها إلى نهر اسان ، فحملت . فأتخذ لها بيتا بطوس . [وأتخذ بيتا آخر بمدينة بخارا يقال له برد سورة]^(٣) . وبيتا آخر بمدينة جستان كواكر ، كان^(٤) آتخذ بهمن بن إسفنديار بن يستاسف بن بهرامسف .

(١) الزيادة عن المسعودي .

(٢) سماء التبرستانى : "تباذان" (ص ١٩٧) .

(٣) سماء التبرستانى : "كوكرا" (ص ١٩٧) .

§ وبيت آخر يبلد الشير والآن ، كانت فيه أصنام أخرجها منه أنوشروان ، وقيل إنه صادف هذا البيت ، وفيه نار معظمة فنقلها إلى الموضع المعروف بالبركة .

§ وبيت آخر للنار يقال له كوسجة : بناء كيخسرو الملك .^(١)

§ وقد كان بقومس بيت نار معظم لا يُدري من بناء ، يقال له حريش . ويقال إن الإسكندر لما غلب عليها ، تركها ولم يقطعها .^(٢)

§ وبيت نار آخر يسمى كَنَكَبَز ، بناء سياوش بن كاوس الجبار ، وذلك في زمن لُئْتِه بشرق الصين مما على البركة .

§ وبيت نار بمدينة أَرْجان من أرض فارس ، بناء قمار .

§ وبيت بأرض فارس آتخذ في أيام هيراسف .^(٣)

§ فهذه البيوت كانت قبل ظهور زرادشت .

١٠

§ ثم آتخذ زرادشت بعد ذلك بيوتا للنيران . فكان مما آتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان ، وبيت بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس . وقد كان زرادشت أمر يستاسف الملك بطلب نار كان يعظمها جم فطلب ، فوجدت بمدينة خوارزم . فنقلها يستاسف إلى مدينة دارا بجرد من أرض فارس والمجوس تعظم

١٥

هذه النار مالا تعظم غيرها من النيران والبيوت وللقرن بيت نار

(١) سماء الشهرستاني : "كُوسِجَة" (ص ١٩٧) .

(٢) سماء الشهرستاني : "حَرِيش" (ص ١٩٧) .

(٣) هو هراسب .

(٤) في الشهرستاني : كَشْتاسف .

(٥) هو الملك جشيد .

باصطغر فارس، يعظمه المجوس . كان في قديم الزمان للأصنام، فأنحرجتها بجان بنت
 بهمن بن آسپنديار وجعلته بيت نار . ثم نقلت عنه النار غرب ... وفي مدينة
 سابور من أرض فارس بيت معظم عندهم اتخذها دارا بن دارا . وفي مدينة جور
 من أرض فارس ... بيت بناء أردشير بن بابك ... وقد كان أردشير بن
 بيت نار يقال له بارتوا في اليوم الثاني من غلبته على فارس . وبيت نار على خليج
 القسطنطينية من بلاد الروم بناء سابور الجنود ابن أردشير بن بابك حين نزل على هذا
 الخليج وحاصر القسطنطينية . ولم يزل هذا البيت إلى خلافة المهدي . وكان سابور
 أشترب على الروم بقاء هذا البيت ... وبارض العراق بيت نار بالقرب من
 مدينة السلام . بنته بوران بنت كسرى أبروز، الملكة، بالموضع المعروف بأسنينا .
 وبيوت النيران كثيرة تعظمها المجوس . والذي ذكرناه هو المشهور منها .

٥ - ذكر نيران العرب

ونيران العرب أربعة عشر نارا .

١ - نار المزدلفة . توقد حتى يراها من دفع من عرفة . وأول من أوقدها
 قصي بن كلاب .

٢ - نار الاستسقاء . كانت الجاهلية الأولى، إذا تناهت عليهم الأزمات ،
 وأشتد الجلب، واحتاجوا إلى الأمطار . يجعون لها بقرًا، معلقة في أذانها وعراقيبها

(١) في الشهرستاني : توران .

(٢) في المسعودي : أسنينا . وفي الشهرستاني : إسفينيًا .

(٣) هذا الباب كله منقول عن مروج الذهب (أنظر ملحة باريس ج ٤ ص ٧٢ - ٨٦) .

السلع^(١) والعشر^(٢)، ويصعدون بها إلى جبل وعمر، ويشعلون فيها النار، ويصيحون بالدعاء والتضرع. وكانوا يرون ذلك من الأسباب المتوصل بها إلى نزول الغيث. وفي ذلك يقول الوديك الطائي :

لَا دَرَّ دَرُّ رِجَالٍ خَابَ سَفِينُهُمْ ، * يَسْتَفْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ !
أَجَاعِلُ أَنْتَ يَبْقُورًا مُسْلَعَةً * دَرِيعَةً لَكَ يَبْنَى اللَّهُ وَالْمَطَرُ ؟

وقال أمية بن أبي الصلت :

وَيَسُوقُونَ بِأَقْرِ السَّهْلِ لِلطَّوْ * دِمَازِيلَ خَشِيَّةٍ أَنْ سُبُورًا .
عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي بَكْرِ الْأَذِّ * نَابٍ مِنْهَا ، لِكَيْ تَهْبِجَ النَّحُورًا .
سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُسْرٌ مَا * عَائِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبَيْقُورًا .

- ٢ - نار الزائر والمسافر . ويسمون نار الطرد . وذلك أنهم كانوا إذا لم يجبوا رجوع شخص . أوقدوا خلفه نارا ودعوا عليه . ويقولون في الدعاء : أبعده الله وأصغقه ! وأوقدوا نارا إثره . قال الشاعر :

وَحِجَّةٌ قَوْمٍ قَدْ أَتَوْكَ وَلَمْ تَكُنْ * لِتُوقِدَ نَارًا خَلَقَهَا لِلتَّنْدَمِ .

- (١) قال العلامة الدكتور أروست هفتر الألماني والأب الحقيق الفاضل لويس شينو اليسوعي في حاشية صفحة ٣٦ من كتاب النبات والشجر للأصمعي الذي عينا بتحقيقه وطبعه في بيروت سنة ١٩٠٨ ، مانصه :
السلع نبات . وقيل عجر مر ، وقيل أنه سم . وله ورقة صغيرة شاككة كأن شوكة زغب . وهو بقلة تنفرش كأنها راحة الكلب .

- (٢) قال الفاضل ابن كوران في ذلك الموضع أيضا مانصه : " قيل إن العشر من كبار عجر المضاء وهو ذر صمغ حلز ويراث مثل القطان . يقتدح به . وهو عريض الورق . يخرج من شعبة ومواضع زهره سكر فيه شيء من المارة يقال له سكر العشر . ويخرج له قناخ كشفاش الجمال . وله نور كالنفل ، مشرق حسن النظر . وله ثمرة : *Asclepias grigantea* . *Asclepiade* : Forsk. *Calotropis procera* .

- (٣) أما الانفرج والأمر . فكان في هذا العصر فانهم يستنزلون الغيث بإطلاق المدافع لاحداث الدوى والضجيج والاقطاب في الجو .

والجمعة : الجماعة يمشون في التمس ، وفي الصلح . ومعنى هذا البيت : لم تندم على ما أعطيت في الحالة عند كلام الجماعة ، فتوقد خلفهم نارا كي لا يعودوا .

٤ - نار التعاليف . كانوا لا يعقدون جلفهم إلا عليها ، فيذكرون منافسها ، ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافسها على الذي ينقض العهد ، ويطرحون فيها الكبريت والملح . فإذا فرقت هؤل على الخالف . قال الكتي :
هُمُ خَوْفُونِي بِالْعَمَى هُوَةَ الرَّدَى • كَمَا شَبَّ نَارَ الْحَالِفِينَ الْمُهُولُ .

وقال أوس بن حجر :

إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ ، صَدَّ بَوَاجِهُ • كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهُولِ حَالِفُ .

٥ - نار الغدر . كانت العرب إذا غدر الرجل بجماعه ، أوقدوا له نارا بمنى ، أيام الحج على الأخشب (وهو الجبل المطل على منى) . ثم صاحوا : هذه غدره فلان .
١٠ قالت امرأة من هاشم :

فَإِنْ نَهَلْتُكَ فَلَمْ تَعْرِفْ عُقُوقًا • وَلَمْ تُوقِدْ لَنَا بِالْقَدْرِ نَارُ .

٦ - نار السلامة . وهي نار توقد للقادم من سفره ، إذا قدم بالسلامة والنعيم . قال الشاعر :

يَا سُلَيْمَى أَوقِدِي النَّارَا • إِنَّ مَنْ تَهَوَّنَ قَدْ زَارَا .

٧ - نار الحرب . وتسمى نار الأبهة والإنذار . توقد على يفاع ، فتكون إعلاما لمن يعد . قال ابن الرومي :

لَهُ نَارَانِ : نَارُ قَرَى وَحَرِيبِ • تَرَى كُلَّتَيْهِمَا ذَاتَ الْتِهَابِ .

٨ - نار الصيد . يوقدون لها الصيد الطباء ، لتضئ أبعصارها .

٩ - نار الأسد . كانت العرب توقدها إذا خافوه ، فإن الأسد إذا عاين النار حثق إليها وتأملها .

١٠ - نار السليم . توقد للدوغ ، والمجروح ، ومن عضه الكلب الكلب حتى لا يناموا فيشتد بهم الألم . قال النابغة :

يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ النَّامِ سَلِيمُهَا : لِحُلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ .
وذلك لأنهم كانوا يعلقون عليه حلى النساء ويتركونه سبعة أيام .

١١ - نار الفداء . وذلك أن ملوكهم كانوا إذا سبوا قبيلة ونحرت إليهم السادات في الفداء وفي الاستيباب ، كرهوا أن يمرضوا النساء نهارا فيفتضحن .
وأما في الطلبة فيخفى قدر ما يحبسون من الصبى لأنفسهم ، وقدر ما يجودون به ، وما يأخذون عليه الفداء . فيوقدون لذلك النار . قلل الشاعر :

نِسَاءُ بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أَوَارَةٍ : عَلَى النَّارِ إِذْ تُجْلَى لَهُ قَتَايَتُهَا .

١٢ - نار الوشم . كانوا يقولون للرجل : ما نارك ؟ (في الاستخبار عن الإبل)
أو ما سَمْتُكَ ؟ [فيقول] : حياط ، أو علاط ، أو حلقة ، أو كذا ، أو كذا .

حكى أن بعض اللصوص قرب إبلا كان قد أغار عليها وسلبها من قبائل شتى إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض التجار : ما نارك ؟ وإنما سأل عن ذلك ، لأنهم كانوا يعرفون يمت كل قوم وكرم إبلهم من لونها ، فقال :

تَسْأَلُنِي الْبَاعَةَ : مَا نَجَارُهَا ، : إِذْ زَعَرْتُهَا فَسَمَتْ أَبْصَارُهَا ؟

: وَكُلُّ دَارٍ لِأَنْتَانِ دَارُهَا ! : وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا !^(١)

(١) يقول العرب في أناملهم : " كل نجار إبل نجارها " وشعره الناق " نار إبل العالمين نادرها " يشرّبون

١٣ - نار القرى . وهي من أعظم مفاخر العرب . كانوا يوقدون في ليل الشاء ، ويرفعونها لمن يلمس القرى . فكلما كانت أخفج وموضعها أرفع ، كان أخفج . وهم يتجادون بها ، قال الشاعر :

له نارٌ تُشَبُّ بِكُلِّ وادٍ * إذا النيرانُ أُلْبِسَتِ القنَاع .

وقال إبراهيم بن هرمة :

إذا ضلَّ عنهم ضيْفُهم ، رَفَعُوا له * من النار في الظلماتِ أَوِيَّةٌ حُمْرا .

١٤ - وكانت للعرب نار عظيمة تسمى نار الحزتين . وهي التي أطفأها الله تعالى بخالد بن سنان العبسي . وكانت حرة ببلاد عيس ، تسمى حرة الحدنان .

روى عن ابن الكلبي أنه قال : كان يخرج منها عتق فيسيح مسافة ثلاثة أو أربعة أميال ، لا تلبس بشيء إلا أحرقته . وأن خالد بن سنان أخذ من كل بطن من بني عيس رجلاً فخرج بهم نحوها ، ومعه دقة حتى انتهى إلى طرفها ، وقد خرج منها عتق كأنه عتق بعير فاحاط بهم ، فقالوا : هلك والله أشياخ بني عيس آخر الدهر ! فقال خالد كلًا ! وجعل يضرب ذلك العتق بالدرة ويقول : ” بدأ بدأ ، كل هدي الله يؤدئ ! أنا عبد الله خالد بن سنان ! ” فما زال يضربه حتى رجع ، وهو يتبعه والقوم معه كأنه ثعبان يملك حجارة الحوة حتى انتهى إلى قليب ، فأصاب فيه وهتتم عليه ، فمكت طويلا . فقال ابن عم خالد ، يقال له عروة بن شب : لا أرى خالدا يخرج إليك أبدا ! فخرج ينظف عرقا ، وهو يقول : زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج . فقيل لهم بنو راعية المعزى إلى الآن .

وفي هذه النار يقول الشاعر :

نكار الحزتين لها زفيرٌ * تُصمُّ مَسَامِعَ الرجل السَّميع .

٦ - ذكر النيران المجازية

ومن النيران، نيران مجازية لاحقيقية . فمنها :

❖ نار البرق . وقد وصفها بعض الأعراب فقال :

نَارُ مُجَدِّدِ الْعِيدَانِ نَضْرَتْهَا ، وَالنَّارُ تُشْعِلُ عِيدَانَنَا فَتَحْتَرِقُ

إشارة إلى أن النار تُحرق العيدان، إلا نار البرق فإنها تحيى، بالغيث .

٥

❖ نار المِعْدَةِ . وهي التي تهضم الطعام، وهي كئار الحياة، ونار الغريزة . وقوتها مادة للصحة، كما أن ضعفها سبب للعلة .

❖ نار الحمى . وقد قيل : النيران ثلاثة : نار لا تأكل ولا تشرب، وهي نار الآخرة؛ ونار تأكل وتشرب، وهي نار الحمى، تأكل اللحم وتشرب الدم، ونار تأكل ولا تشرب، وهي نار الدنيا .

١٠

ومن النيران المجازية :

❖ نار الشوق، نار الشره، نار الشباب، نار الشراب .

قال شاعر يمدح بعض الملوك :

وَقَبِيتَ نَارَ الْجَحِيمِ بِأَمْلِكُ ، * أُرْبَعُ نِيرانِهِ لَهُ نَسَقُ !

نَارُ شَبَابٍ تَرَوُّقُ نَضْرَتْهَا ، * وَنَارُ رَاجٍ كَأَنَّهُ شَفَقُ ،

وَنَارُ سُلْطَانِهِ تَقَارِبُهَا * نَارُ قِرَى لَا تَزَالُ تَأْتُلُقُ ،

٢٥

٧ - ذكر النيران التي يضرب المثل بها

يُضْرَبُ المثل :

§ بنار الحُجَابِ . وهي نار لبخيل كان يوقدها ، فإذا استضاء بها إنسان ، أطفأها .

وقيل : إنما النار التي تُورِيها الخليل بسناكبها من الحجارة . قال الله تعالى :
﴿ قَالُمُورِيَاتٍ قَدْخًا ﴾ . وقال النابغة :

وَيُوقِدْنَ بالصُّفْحِ نارَ الحُجَابِ .

وهذا المثل يضرب لما لا منفعة فيه ولا حاصل له .

§ نار الغَضَى . يضرب بها المثل في الحرارة . وهي جمر أبيض لا يصلح إلا للوقود .

§ نار العَرَفَج . هي نار تنقد سريعا . قال قتبية بن مسلم لمعرو بن عباد بن الحصين :
”للسُّودُّ أسرع إليك من النار في ييس العرفج“ . إذا ألتبت فيه النار أنتشرت

وتسمى نار الزَّحْفَيْنِ ، لأن العرفج إذا أنتشرت فيه النار عَظُمَتْ وأستفاضت .
فمن كان بالقرب منها زحف عنها ، ثم لا تلبث أن تنطفئ من ساعتها . فيحتاج الذي
زحف عنها أن يزحف إليها . فلا يزال المصطلى بها كذلك ، فذلك سميت نار الزحفتين .

§ نار الحَلْقَاءِ . يضرب بها المثل في سرعة الانقضاء ، كما قيل :

فما ظَنُّكَ بالحَلْقَاءِ ؟ أَأَدْنَيْتَ لَهُ نَارًا .

وفي سرعة الانطفاء ، كما قيل : نار الحلقاء ، سريعة الانطفاء .

٨ - ذكر ما جاء منها على لفظ أَفْعَل

يقال :

أَكَلَ مِنَ النَّارِ أَهْرَ مِنَ النَّارِ أَهْرَ مِنَ الْجَهَنَّمَ أَحْسَنُ مِنَ النَّارِ أَسْرَعُ مِنْ شَرَارَةِ
فِي قَضَاءٍ .

ويقال :

فَلَانٍ وَارَى الزَّادَ وَوَرَيْتَ بَكَ زَيْدًا ، فَلَانٍ ثَاقِبَ الزَّيْدِ ، فَلَانٌ كَلَبَى الزَّادَ ، صَلَدَتْ
زَيْدُهُ ، فَلَانٌ مَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ ، هُوَ الْقَائِسُ الْمَجْلَانِ ، هُمَا زَيْدَانِ فِي وَعَاءٍ .

ومن أنصاف الآيات :

وَالنَّارُ قَدْ يُخْجِدُهَا النَّارُ ، كَلْتَمِيسٍ إطفاء نارٍ بنافع
وَالْجَارُ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَحْمَدُ ، كَذَا كُلُّ نَارٍ رُوِحَتْ تَتَوَجَّجُ
هَيْبَتُ تَكْتُمُ فِي الظُّلَامِ مَسَاعِلُ .

ومن الآيات قول علي بن الجهم :

وَالنَّارُ فِي أَجْجَارِهَا مَكْنُونَةٌ ، لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأُزْدُ

وقال آخر :

وَالنَّارُ بِالْمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا ، تَعْطِي النَّضَاجَ ، وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ .

وقال آخر :

وَالْكَلَامُ الْأَمْرُ لَيْسَ يَخْفَى ، كَالْمَوْقِدِ النَّارِ بِالْيَفْسَاعِ .

وقال آخر :

لَا تَقْبَحُ كُلُّ دُخَانٍ تَرَى ، * فَالنَّارُ قَدْ تُوقَدُ لِلْكَيِّ .

وقال أبو تمام :

لولا أن شعل النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيبُ عَرَفُ العود.

وقال آخر :

وفيلة المصباح تحرق نفسها * ونفى السارى، وأنت كذا كا.

٩ - ذكر ما قيل في وصف النار وتشبيهها

قال عبد الله بن المعتز، غفر الله له :

كأنَّ الشرارَ على نارها * وقد راق منظرها كل عين.

سحالة تير إذا ماعلا * فإما هوى فتتات الثمين.

أخذه العسكري فقال :

أوقدت بعد الهدوء نارا * لها على الطارقين عين.

شرارها إن علا نضار * لكنه إن هوى بلين.

وقال السري الرفاء :

والتهبت نارنا، فنظرها * فينك عن كل منظر تحجب.

إننا رمت بالشرار فاطردت * على دواها مطارد اللهب،

رأيت ياقوتة مشبكة * تطير عنها قراضة الذهب.

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

حمراء نازعت الرياح رداها * وهنا وزاحمت السماء منكب.

ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر منها شعلة من كوكب.

وتفتحت عن كل نغمة جمره * باتت لها ريح الشمال يمرقب.

قد ألبيت فتنهبت فكانها * شقراء مريح في عجاج الكهب^(١).

(١) الكهبة لون ليس بمالح في الحرة . وهو في الحرة خاصة (صحاح الجوهري) .

وقال أبو الفصح كشاجم :

كأنا النار والرَّمَادُ وقد * كاد يُورَى من نورِها النُّورُ :
وَرَدَّ جَنَى القَطَافِ أحرُقد * دَزَّتْ عليه الأكُفُّ كَافُورًا .

وقال تاج الملوك بن أيوب :

أما ترى النارَ وهي تُضرمُ في * أحشاء كُنُونِها وتَلتهِبُ ؟
كأنما الفحمُ فوقها قُضِبَ * من عتَبِ وهي تحتَه دَهَبُ .

وقال أبو مروان بن أبي الحِصَال :

لأبنة الزُّنْدِ في الكواثِنِ جَرٌّ * كالدراري في دُجَى الظُّلُماءِ .
خَبَرُونِي عنها ولا تَكْتُمُونِي ، * أَلَدَيَا صِاعَةَ الكِيَمَاءِ ؟
سَبَكْتَ لَحْمَهَا صَفَائِحَ تَرٍ * رَصَعَتْهَا بِالْفِضَّةِ البِيضَاءِ .
كُلَّمَا رَقَرَفَ النِّسِيمُ عليها * رَقَصَتْ في غِلَالَةِ حَمَرَاءِ .

هذا البيت مأخوذ من قول الخفاجي :

وكأنها والريحُ عابِثَةٌ بها * تُرْهِى فَرَقُصٌ في قَبِيسِ أحرٍ .

وقال أبو هلال العسكري :

نارٌ تَلَبُّ بالسُّقُوفِ كأنها * حُلُلٌ مُشَقَّةٌ على حَبَشَانِ .
رَدَّتْ عليها الرِّيحُ فَضَلَ دُخَانِها * فَاثَتْ به سُبُجًا على عَقِيَانِ .
فالحويَّضُ حَكٌّ في أبيضاضِ شَرَائِرِ * منها وَيَعِيسُ في أَسْوَدَادِ دُخَانِ .

وقال ابن أبي الحصّال :

١٢

وَعُوجُوا عَلَى يَافُوتَةَ ذَهِيَّةٍ : يَمِيمُهَا الْمَقْرُورُ بِالسَّبَرَاتِ^(١).
إِذَا مَا أَرْتَمْتَ مِنْ خَمِيمِهَا إِشْرَارَهَا ، رَأَيْتَ مُجُومَ الدَّلِيلِ مُنْكَدِرَاتِ.

وقال سيف الدولة بن حمدان :

كَأَنَّمَا النَّارُ وَالرَّمَادُ مَعًا ، وَضَوْءُهَا فِي ظِلَامِهِ يُجْجِبُ :
وَجَنَّةُ عَذْرَاءٍ مَسَهَا تَجَمُّلٌ ، فَاسْتَرَتْ تَحْتَ عَثَرٍ أَشْهَبُ.

وقال آخر :

لَحْمٌ كَيَوْمِ الْفِرَاقِ تُسْلِعُهُ ، نَارٌ كَارُ الْفِرَاقِ فِي الْكَيْدِ.
أَسْوَدٌ قَدْ صَارَ تَحْتَ حُمْرَتِهَا ، مِثْلَ الْعُيُونِ أَكْتَخَلْنَ بِالرَّمَدِ.

وقال أبو طالب المأموني :

١٠

مَا زِلْنَا النَّارَ كَيْفَ أَسْقَمَهَا الْقُرْفَاخُ نَحْبُو وَطُورًا تَسْعَرُ^(٢) ،
وَعَدَا الْجَمْرُ وَالرَّمَادُ عَلَيْهِ ، فِي قَيْصٍ مُدْهَبٍ وَمُعْتَبَرُ^(٣) .

وقال أبو فراس الحمداني :

لَقَدْ بَرُدُّ مَا أَشْتَدُّ مِنْظَرًا كَلَّا نَعْجِبُ !
جَاءَ الْفَلَامُ بِنَارِهِ ، هَوَجَاءَ فِي لَحْمٍ تَلْهَبُ .
فَكَأَنَّمَا جَمَعَ الْحُلِيَّ فَمُحَرَّقٌ مِنْهُ وَمُدْهَبُ .
ثُمَّ أَنْظَفْتَ فَكَأَنَّمَا ، مَا بَيْنَنَا نَدُّ مُعْشَبُ .

١٥

١٠ - ذكرونيء مما قيل في الشمعة والشمعدان

(^(١) والسراج والقنديل)

١ - أما الشمعة، فمن جيد ما قيل فيها قول الأرجاني :

- تمت بأسرار ليسل كان يُخفيها * وأطلعت قلبها للناس من فيها .
 قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن * إلا رقيقة نار من تراقبها .
 سقيمة لم يزل طول اللسان لها * في الحى ينجى عليها ضرب هاديا .
 غريقة في دموع ، وهي مُحرقها * أنفاسها بدوام من تلطمها .
 تنفس نفس المهجور إذ ذكرت * عهد الخليل فبات الوجد يبركها .
 يُحشى عليها الردى مهما لم بها * نسيم ريح إذا وافى يحبسها .
 بدت كنجم هوى في إثر غفيرة * في الأرض فاشتعلت منه نواصيا .
 نجم رأى الأرض أولى أن يواها * من السماء ، فأمسى طوع أهليا .
 كأنها غرة قد سال شادخها * في وجه دهاء يزهيها تجليها .
 أوضرة خالفت للشمس حاسدة * فكلما حجبته ، قامت تحاكيا .
 وحيدة كشبابة الرخ هازمة * عاكر الليل إن حلت بواديا .
 ما طنبت قط في أرض خيمة * إلا وأقر للأبصار داجيا .

(١) مما يجب التنبيه إليه ان "سُوج" و "سُرج" معاهما الشمس في اللغة الهندية عن السنسكريتية (أنظر القاموس الهندى الانكليزى تأليف فوربس) .

(٢) في اللغة اللاتينية Candella وفى الفرنسية Chandelle بمعنى الشمعة وعنها Candélabre .
 و يقول علماء الافرنج ان اختراع الشمع للاستضاءة مما توصل اليه القاليون وعلى ذلك يكون الأصل :
 افريكيا ثم نقله العرب لحنى المصباح المعروف بالقنديل .

لَهَا غَرَائِبُ تَبُوْ مِنْ حَمَائِمِهَا ۝ إِذَا تَفَكَّرْتَ يَوْمًا فِي مَعَانِيهَا .
 كَصَعْدَةِ فِي حَشَا الطَّلَمَاءِ طَاعِنَةٍ ۝ تَسْقِي أَسَافِلَهَا رَبًّا أَعَالِيهَا .
 فَالْوَجْنَةُ الْوَرْدُ إِلَّا فِي تَأْوِيلِهَا ۝ وَالْقَامَةُ الْفَضْنُ إِلَّا فِي سَنِّيْهَا .
 صَفْرَاءُ هُنْدِيَّةٌ فِي اللَّوْنِ إِنْ نَعَتَتْ ۝ وَالْقَدُّ وَاللِّينُ إِنْ أَعْمَتَتْ تَسْبِيْهَا .
 فَالْهِنْدُ تَقْتُلُ بِالنَّيْرَانِ أَنْفُسَهَا ۝ وَعِنْدَهَا أَنَّ ذَاكَ الْقَتْلُ يُحْيِيهَا .
 قَدْ أَثْمَرَتْ وَرْدَةً حَمْرَاءَ طَالِعَةٍ ۝ تَجْنِي عَلَى الْكَفِّ إِنْ أَهْوَيْتَ تَجْنِيْهَا .
 وَرَدُّ نَسَائِكُهَا بِهَا إِذَا قَطِيعَتْ ۝ وَمَا عَلَى غُصْنِهَا شَوْكٌ يُوقِئُهَا .
 مَا إِنْ تَرَأَى تَيْبَتُ اللَّيْلُ سَاهِرَةً ۝ وَمَا بِهَا غُلَّةٌ فِي الصَّدْرِ تُطْفِئُهَا .
 صَفْرَاءُ غَلَّائِلُهَا ۝ حُرٌّ عَمَائِمُهَا ۝ سَوْدٌ ذَوَائِبُهَا ۝ بَيْضٌ لِبَالِهَا .
 تُحْيِي اللَّيَالِي نُورًا ۝ وَهِيَ تَقْتُلُهَا ۝ بِئْسَ الْجَزَاءُ لِعَمْرِ اللَّهِ تَجْزِيْهَا !
 قُدْتُ عَلَى قَدْ ثَوْبٍ قَدْ تَبَطَّنَا ۝ وَلَمْ يُقَدِّرْ عَلَيَا الثَّوْبَ كَاسِيَا .
 غَرَاءُ فِرْعَاءُ مَا تَنْفَكُ قَالِيَةً ۝ تَقْصُ لِمَتَهَا طُورًا وَتَقْلِبُهَا .
 شَبَاءُ شَعْنَاءُ لَا تُكْمِي غَدَائِرُهَا ۝ لَوْ أَنَّ الشَّيْبَةَ إِلَّا حِينَ تَلْبِسُهَا .
 قَنَاءُ ظَلَمَاءُ لَا تَنْفَكُ يَأْكُلُهَا ۝ سِنَانُهَا طَوْلُ طَعْنٍ أَوْ يُسْقِطُهَا .
 مَتْنُوْحَةُ الْعَيْنِ تُغْنِي لَيْلَهَا سَهْرًا ۝ نَعَسَمُ ۝ وَأَفْأُوْهَا إِيَّاهُ يُغْنِيهَا .
 وَرُبَّمَا نَالَ مِنْ أَطْرَافِهَا مَرَضٌ ۝ لَمْ يُشْفِ مِنْهُ بَغِيرُ الْقَطْعِ مُشْفِيهَا .



وقال آخر :

بَيْضَاءُ أَضْحَكْتَ الظَّلَامَ فَرَاعَهَا ۝ فَبَكَتْ وَأَسْبَلَتِ الدُّمُوعَ بَوَادِرَا .
 جَفَّتْ دُمُوعُ جُفُونِهَا فَكَأَمَّا ۝ كُسِيَتْ مِنَ الطَّلَعِ النَّضِيدِ ضَمَقَارَا .

وقال أبو القاسم المطرّز من أبيات :

وللشُّمُوعِ عِيُونٌ كُلُّهَا نَظَرَتْ * تَقَلَّبَتْ مِنْ يَدَيْهَا النُّجُومُ النَّسَقُ .
من كلِّ مَرْحَفَةِ الْأَعْطَافِ كَالْفُضْنِ السَّمَادِ لَكِنَّهُ عَارٍ مِنَ الْوَرَقِ .
إِنِّي لَا أُعْجِبُ مِنْهَا وَهِيَ وَادِعَةٌ * تَبْلَى ، وَعَيْشَتُهَا مِنْ ضَرْبَةِ الْعُنُقِ !

وقال آخر :

جاءتْ بِحُجْمٍ كَأَنَّهُ ذَهَبٌ * تَبْكِي وَتَشْكِي الْهَوَى وَتَلْتَهَبُ .
كَأَنَّمَا فِي أَكْفٍ حَامِلِهَا * رُحُجُ الْجَيْنِ سِسَانُهُ ذَهَبُ .

وقال محمد بن أبي الثبات ، شاعر اليتيمة :

وَبِحُدُودَةٍ مِثْلَ صَدْرِ الْقَنَاةِ * تَعَرَّتْ ، وَبَاطِنُهَا مُكْتَسِبِي .
لَهَا مُقْلَةٌ هِيَ رُوحٌ لَهَا ، * وَتَاجٌ عَلَى الرَّأْسِ كَالْبُرْنِيسِ .
إِذَا غَاوَلَتْهَا الصَّبَا حَرَكْتُ * لِسَانًا مِنَ الذَّهَبِ الْأَمْلَسِ .
وَتُتَجُّ مِنْ حَيْثُ مَا الْقَحَتُ * ضِيَاءٌ يَحِلِّي دُجَى الْحِنْدِسِ .
فَنَحْنُ مِنَ النُّورِ فِي أَسْعَدٍ ، * وَتِلْكَ مِنَ النَّارِ فِي أُمْحِسِ !

وقال آخر :

وَرَشِيقَةٌ بِيضَاءُ تَطْلُعُ فِي الدُّجَى * صُبْحًا وَتَسْفِي النَّاطِرِينَ بِدَائِهَا .
شَابَتْ ذَوَائِبُهَا أَوَانَ شَبَابِهَا ، * وَأَسْوَدَ مَفْرِفُهَا أَوَانَ فَنَائِهَا .
كَالْعَيْنِ : فِي طَبَقَاتِهَا وَدُمُوعِهَا * وَبَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا وَضِيَائِهَا .

وقال الصباح بن عباد :

وَسَمْعِي قَدَمْتُ إِلَيْهَا * تَجْمَعُ أَوْصَافَ كُلِّ صَبٍّ
صُفْرَةٌ لَوْنٌ، وَذَوْبٌ جِسْمٌ، * وَفَيْضٌ دَمْعٌ، وَحَرٌّ قَلْبٌ.

وقال السري الرفاء :

مَقْشُورَةٌ مَجْدُولَةٌ * تَحْكِي لَنَا قَدَ الْأَسْلِ
كَأَنَّهَا عُمُرُ النَّحْيِ * وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ.

ومما ورد في وصفها ثرا .

من رسالة لابن الأثير الجزري جاء منها :

وكان بين يدي شمعٌ تمَّ مجلسي بالإنسان، وتنفني بوجودها عن كثرة الجلَّاس،
وكانت الريح تتلَّعبُ بسُبعها، وتدور على قُطْبِ لَهَا، فَطَوْرًا تَقِيمُهُ فيصيرُ أَمْسَلَهُ،
وطورًا تُجِيلُهُ فيصيرُ سَائِلَهُ، وثارةٌ تُخَوِّفُهُ فيصيرُ مُنْهَنَهُ، وثارةٌ تَجْمَلُهُ ذَا وَرَقَاتٍ فَيَمْتَلِ
سَوَسَنَهُ، وآوِنَةٌ تَنْشُرُهُ فَيَسْطُ مِنْدِيلًا، وآوِنَةٌ تَلْفُهُ عَلَى رَأْسِهَا فَيَسْتَدِيرُ كِلِيلًا.

ومن رسالة أخرى له :

وكانت الريح تتلَّعبُ بِهَا لدى الخادم فتشكِّله أشكالا، فتارةً تُبْرِزُهُ نَجْمًا، وثارةً
تُبْرِزُهُ هَلَالًا، ولربما سَطَعَ طورًا كَالْجَلْمَانَةِ فِي تَضَاعِيفِ أَوْرَاقِهَا، وَطورًا كَالْأَصْبَاحِ
فِي أَنْضَامِهَا وَأَفْرَاقِهَا.

وقال سيف الدين المشد في الفانوس :

وَكَأَنَّمَا الْفَانُوسُ فِي غَسَقِ الدُّجَى * دَنَفٌ بَرَاهُ سَقْمُهُ وَسَهَادُهُ.
حُنَيْتٌ أَضَالُهُ وَرَقٌّ أَدِيمُهُ * وَجَرَتْ مَدَامُهُ وَذَابَ فَوَادُهُ.

٢ - ومما قيل في السراج .

من رسالة لأبي عبد الله محمد بن أبي الخصال ، جاء منها :

عذرا إليك أيُّدكُ الله ! فإني خططت والنوم مُنْازِل ، والقُرْ نازل ، والريح تلعب بالسراج ، وتصول عليه صَوْلَةُ المَحْجَاج ؛ فطورا تبرزه سنانا ، وتحركة لسانا ؛ وآوِيَهُ تَطْوِيهِ جُنَابِهِ ، وأخيراً تنشره دُؤَابِهِ ؛ وتارة تقيمه إِبْرَةَ لُحْب ، وتمطقه بَرَّةَ ذَهَب ؛ وحينما تقوسه حاجب فتات ، ذات غمزات ؛ وتسارطه على سليلطه ، وتديله على خيلطه ؛ وربما نصبتهُ أَذْنَ جَوَاد ، ومسخته حَدَقَ جَرَاد ؛ ومَشَقَّتْهُ حروف برق ، بكفٍّ وَدَقْ ؛ وثَمَّتْ بسناه قِنْدِيلَهُ ، وألقت على أعطافه مِندِيلَهُ ؛ فلاحظ منه للمعين ، ولا هداية في الطُّرس بيدٍ .

٣ - رسالة القنديل والشمعدان .

١٠

من إنشاء المولى الفاضل البارع البليغ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، سمعناها من لفظه ، وقرأتها عليه ، وأجاز لي روايتها عنه . وهي الموسومة "زهري الجنان ، في المفارقة بين القنديل والشمعدان" .

ابتدأها بأن قال :

١٥ الحمد لله الذي أثار حَالِكِ الظُّلُمَاء ، بأنوار بَدْرِ السَّاء ؛ وحلَّى جِيدَهَا ، بمقود النجوم ، وحرس مَشِيدَهَا ، بسهام الرجوم ؛ وجعلها عبرة للاستبصار ، وزهرة للاستبصار ؛ غشاؤها لَا زَوْرَدٌ مَكْلَلٌ بِنُضَار ، أو أَفَاحِي نَحِيلَةٍ تَفْتَحُ فِيهَا أَزْرَارُ الْأَزْهَار ؛ تَهْدِي السَّارِيَ بِسَوَارِيهَا ، وتُزَيِّرُ بِاللُّدْرِ أَنْوَارُ دَرَارِيهَا ؛ كَرَعَ فِي نَهْرِ جَمَزَتِهَا النَّسْرَان ، وارتفع في مراعي رياضها الْفَرْقَدَان .

أحمدته على نعمته التي لا يقوم بشكرها لسان، ولا يؤدي واجب حقها إنسان، حمدا
يحبُّ إلى الحامد أنواع الإحسان، ويسوق إلى الشاكر ركائب الخيرات الحسان.

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذي أثار الله بوجوده غُلُسة الوجود، وأظهر
بظهوره أفعال الركوع والسجود؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله الوافين بالعهود،
وعلى أصحابه أهل الإفضال والجلود، صلاة وسلاما دائمين إلى اليوم الموعود !

وبعد فإن فنون الآداب كثيرة الشعوب، متباينة الأسلوب؛ طالما تلاعب
الأديب بفنونها بين جدٍّ وُجُون، وكيف لا والحديث ذو شجون. وكنت بحمد الله
من هو قادر على إبراز مُلج الأدب، وعلى إظهار لطائف لغة العرب؛ فتمثل في خاطري
المفارقة من الشمعدان والقنديل، ولا بد من إبراز المفارقة بينهما في أحسن تمثيل؛
لأنهما آلتا نور، وتديما سرور؛ طالما مرّقا جَلاباب الدُّجى بأضوائهما، وحما مادة
الظلمة بأنوارهما؛ وطلعا في سماء المجالس بدورا، وأتجلا نور الرِياض لما أصدرنا من
جوهرهما نورا. مما كل واحد منهما إلى أنه الأصل، وأن بمدحه يمتنُّ الفصل
والوصل؛ وأنه الجوهرة اليقينة، والبُدرة التي ليست لها قيمة؛ سارت بحاسته ركائب
الركبان، ونظمت في جيد مجده فلائذُ المقيان .

فأجبت أن أنظمهما في ميدان المناظرة ليبرز كل واحد منهما خصائصه الواضحة،
ويظهر نقائص صاحبه الفاضحة؛ وليتسم غارب الاستحقاق بالفضيلة، ويؤكد في تقرير
فضائله الراجحة دليله؛ مع أنه لا تقبل الدعاوى إلا بالبرهان، ولعمري لقد قيل قديما:
من تحلى بغير ما هو فيه ❦ فضحته شواهدُ الإمتحان.

فأتلع الشمعدان جيداً للطاوله، وعَرَضَ سَمِيرِيَّةَ الجَنِيِّ لِلنَّاضِلِه. وقال :
* اِسْتَنْتَ الفِصَالُ حَتَّى التَّرْعَى *

لَسْتُ بِبَنْدِيمِ المُلُوكِ فِي المَجَالِسِ، كَلَّا وَلَا الرُّوضَةَ العَنَاءَ لِلْمَجَالِسِ ! طَالَمَا أَحْدَقْتُ
بِى عَسَاكِرُ النِّظَارِ، وَوَقِفْتُ فِي آسْتِحْسَانِ هِيَ كُلِّ رُؤْيَا الأَبْصَارِ، وَجُمِلْتُ عَلَى الرُّؤُوسِ
إِذَا عُلِّقَتْ بِأَذَانِكَ، وَجُمِلْتُ بِكَلَاءِ المَرْهَقَاتِ إِذَا أَسْوَدَ وَجْهَكَ مِنْ دُخَانِكَ .

فَنَضِضْ لِسَانُ القِنْدِيلِ نَضِضَةَ الصَّلِّ، وَأَرْتَفِعْ أَرْتِفَاعُ البَازِي المِطْلِ . وقال :

إِنْ كَانَ نَفْرَكَ بِمَجَالِسَةِ السَّلَاطِينِ، فَاتَّخِذْ بِمَجَالِسَةِ أَهْلِ الدِّينِ !، طَالَمَا طَلَعْتُ
فِي أَفْقِ المِحْرَابِ نَجْمًا أَزْدَادُ عَلَا، وَأَزْدَانَتِ الأَمَاكِنِ المَقْدَسَةِ بِشُمُوسِ أَنْوَارِ حُلَا،
جَمَعَ شَكْلِي بِمَجْمُوعِ العُنَاصِرِ، فَعَلَى مِثْلِ تُقَدِّدِ الخِنَاصِرِ، يَحْسَبُنِي الرَّائِي جَوْهَرَةَ العَقْدِ
التَّيْنِ، إِذَا رَأَى أَصْفَرَارَ لَوْنِكَ كَصُفْرَةِ الحَزِينِ، وَلَقَدْ عَلَوْتُكَ فِي المَجَالِسِ زَمَانًا، وَمِنْ
صَبَرٍ عَلَى حَرِّ المَشَقَّةِ أَرْتَفِعَ مَكَانًا .

فَنَظَرُ إِلَيْهِ الشَّمْعَدَانُ مُفْضَبًا، وَهَمَّ بِأَنْ يَكُونَ عَنْ جَوَابِهِ مَنَجًّا . وقال :

أَيْنَ ثَمَنِكَ مِنْ ثَمْنِي، وَمَسْكَنِكَ مِنْ مَسْكَنِي؟ صِفَانِي صَفَاحَاتِ الإِبْرِيزِ، فَلِذَا سَمَوْتُ
عَلَيْكَ بِالتَّبْرِيزِ، تَرَى العِيُونَ فِي حِمَالِي الذَّهَبِيَّةِ، وَتَسِرُ النُّفُوسُ بِزُيُوجِ أَنْوَارِ الشَّمْسِيَّةِ ؛
وَلَا يَمْلِكُنِي إِلَّا مِنْ أَوْطَانَتِهِ السَّعَادَةِ مِهَادَهَا، وَقَرَّبَتْ لَهُ الرِّيَاسَةَ جَيَادَهَا، وَلَقَدْ نَفَعْتُ
فِي الصِّحَّةِ وَالسَّكَمِ، وَأَزْدَادَاتِ قِيَمَتِي إِذَا نَقَصَتْ فِي القِيَمِ؛ إِنْ أَنْفَضِمْتُ عُرَاكَ
فَلَا تُشْعَبْ، وَلَا تَعَادَ إِلَى سَبِكِ نَارِ قَنَصَبٍ وَتُقَلَّبْ؛ لَسْتُ مِنْ قُرْسَانِ مَنَاطَرَتِي،
وَلَا مِنْ قُرْنَاءِ مَفَاخِرَتِي .

فَالْتَفَتَ القِنْدِيلُ أَلْتَفَاتِ الضَّرْغَامِ، وَقَوَّى إِلَى قَرِينِهِ سِهَامَ المَلَامِ . وقال :

أنت عندى كُثمّاله ، لا محاله باطنك العتود ، فأبرزت أنواع الحقود ، وأين الثريا من يد المتناول ؟ أم أين السها من كف المتناول ؟ نالقه إنك في صرفك بصورك مغلول ! لقد خُصِصْتُ بالعلو وخُصِصْتُ بالهبوط . ترى باطنى من ظاهرى مشرقا ، وتخالنى لخزائن الأنوار مطلقا ، بخديث سيادى مُسَلَّس ، وتاج فضائلى بمجواهر العلو مكلَّل . فلحظه الشمعدان بطرف طرفه ، وأرسل فى ميدان المناظرة عنان طرفه . وقال :

إات افتخارك بالعلو غير مفيد ، ومزية اختصاصك به ليس له أبهة مزيد ، طالما علا القتام وأمنحت الفرسان ، ومكث الجبر وسما الدخان ، ولقد صيرتك كنظر المشنوق حاله ، وكضوء السها ذباله ، وأنت الخليق بما قيل :

* وقلْبٌ بلا لب ، وأذنٌ بلا سمع *

وسلاسلك تشمر بعقلك ، وعلوك ينبئ عن غلو إسقاط كمثلك ، عادلته التبركة بكفه ، ووزنته إذ كان فيه خفه ، فاصح لمناخرى الجليله ، وأسمع مناقبى الجميله . أطارد جيوش الظلماء برعى ، وأمزق أبواب الديجور بصبحى ، جمع عاملى بين طلع النخل ، وحلاوة النحل ، يتلو سورة النور لسانى ، ويقوى فى مصادمة عساكر الليل البهيم جنانى ، أسامر الملك خلوه ، ويستجلى من محاسنى أحسن جلوه .

وقه در القائل :

أنظر إلى شمعدان شكله عجيب * كروضة روضت أزهارها السحب .
بُطَّارِدُ الليل رُحَّ فيه من ورق * مسانهه لمب من دونه الذهب .
فمثل هذه المناقب نثلى ، ومثل هذه المحاسن تظهر ونجلى .

فأضرم نار تبينه، في أحشاء قرينه . فعندها قال القنديل :

لقد أطلت الافتخار بحاسن غيرك ، لما وقفت في المناظرة ركائب سيرك ؛ فأشكر
اليد البيضاء من شمك ، وأحرص على معرفة قيمتك ووضعك ؛ وأما افتخارك بتلاوة
سورة النور ، فانا أحق بها منك إذ محلى الجوامع ، والفرقان فارق بيني وبينك مع أنه
ليس بيننا جامع ؛ ففضيلتي فيه بينه ، وآية نوري في سورة النور مبيته ؛ فأقطع مواد
الجماعة ، وأقرأ الآية المشتملة على الزجاجة ؛ يظهر لك من هو الأعلى ، ومن بالافتخار
الأولى ؛ تخالي دُرَّة عُلقت في الهواء ، أو كوكبا من بعض كواكب الجوزاء .

وقه در القائل :

قنديلاً فاق بأنواره ، نور رياض لم ترل منزهة .
دُبالة فيه إذا أوقدت . حكمت بحسن الوضع تيلو قرة .

١٠

لا يجلل الاقتداء خاطري ، ولا يغمّ مشاهدي وناظري ؛ فانا خلاصة السبك ، والنبر
الذي لا يفتقر إلى الحلق ؛ اشتقاق أسمك من الحوس ، ومن حريمك تقام هياكل
القلوس ؛ لقد عرضت نفسك للنبيه ، وأنعمت عليك مواد الأمانة ؛ مع أن الحق
أوضح من لبة الصباح ، وأسطع من ضوء المصباح ؛ والآن غصصت يريقك ، وخفيت
لوامع بروقك ؛ فهذه الشبهاء والحلّبة ، وهذه ميادين المتاضلة رجبه .

١٥

(١٧)

فغار الشمعدان في الجواب ، وجعل ما أبداه أولاً فصل الخطاب

فقال القنديل :

لا بد من الإقرار بأن قدحى المعلّى ، وأنى عليك بالتقديم الأولى ؛ وأن مقامى العالى ،
ونورى المتوالى .

فقال الشمعدان :

لا منازعة فيما جاء به الكتاب من تفضيلك، وكونك الكوكب التزى الذى قصر
عن بلوغك بأع مثيلك .

بفتح الشمعدان للسم، وترفع عن أستيطان مواطن الإثم؛ وشرع يبدى شعائر
الخصوع، وينشر أعلام الأوبة عما قال والرجوع؛ وقال :

لولا حية النفوس، ما جمعت بفانرتنا صفحات الطروس؛ ولولا القال والقبل،
ما صمنا معرض التمثيل، ولكن أين صفاؤك من كدرى، وأين نظرك من نظرى؛
خصلك الله بنوره، وذكرك في فرقانه وزوره .

فعندها تهلت أسارير القنديل، وتيسم فرحا بالتعظيم والتبجيل . وقال :

حيث رجعت إلى شرع الإنصاف، وإظهار محاسن الأوصاف؛ ففضلك لا يبارى،
ووصفك لا يمازى؛ يحسبك الرأى خميلة نور تفتحت أزهارها، وهدية ربحس أطردت
أنهارها؛ تسر بك النفوس، وتدار على نضارتك الكؤوس؛ وإن اللاتى بحالت طى
بساط المنافسة، وإنجاد شر المنافسة، والاستغفار فيما فرط من كلامنا، والرجوع
إلى الله في إصلاح أقوالنا وأفعالنا .

وتقول :

الأصل فيما قلناه عدمه، فقد حنى كل واحد منا في إبراز معانيه قلبه . ونسأل الله
أن تدوم لنا نعمة، ويتعاهدنا في المساء والصباح كرمه ! بمنه وجوده وكرمه ! آمين !

القسم الثالث من الفن الأول

في الليالي والأيام، والشهور والأعوام، والفصول والمواسم والأعياد

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

١ - في الليالي والأيام

رَوَى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : خلق الله الخلق في ظلمة .
(وروى : في عماء) ثم رش عليهم من نوره .

وهذا يدل على أن الظلمة خلقت قبل النور .

وروى أن عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) سئل عن الليل ، أكان قبل
أو النهار ؟ قال : رأيت حيث كانت السماوات والأرض رتقا ، هل كان بينهما إلا
ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار .

والذي ورد في القرآن من ذكر الليل والنهار ، والظلمات والنور بدأ الله (عز وجل)
بذكر الليل قبل النهار ، وبالظلمات قبل النور .

ويروى أن الله (عز وجل) لما خلق السماء والأرض ، وقع ظل السماء على الأرض
فأظلمت ، بفعل الشمس ضياء والله عز وجل نور .

ثم خلق الزمان وقسمه قسمين : ليلا، ونهارا . فجعل خصبة الليل للقمر، وخصبة النهار للشمس . فكانا يتعاقبان بالطلوع فيهما ، فلم يكن بين الليل والنهار فرق في الإضاءة .

فلما أراد الله عز وجل خلق النوع الإنساني - وعلم أنه لا يخفى له عن حركته للعاش نهارا وسكونه للراحة ليلا - أمر جبريل فأمره جناحه على القمر فطع نوره ، فالسواد الذي يرى في القمر هو أثر المحو ، وصار الليل مظلمًا ، والنهار مبصرًا .

وروي أيضا أن الله (عز وجل) خلق حجابا من ظلمة مما على المشرق، ووكل به ملكا يقال له سراهيل . فإذا آتقضت مدة النهار، قبض الملك قبضة من تلك الظلمة وأستقبل بها المغرب ، فلا تزال الظلمة تخرج من خلل أصابعه وهو يراعى الشفق . فإذا غاب الشفق، بسط كفه فطبق الدنيا ظلمة . فإذا آتقضت مدة الليل ، قبض كفه على الظلمة ، أصبعا بعد إصبع إلى أن يذهب الظلام ، حتى تنتقل الشمس من الشرق إلى الغرب . وذلك من أشرط الساعة . والله أعلم !

٢ - ذكر ما قيل في الليل وأقسامه

الليل طبعي ، وشرعي .

أما الطبيعي ، فهو من حين غروب الشمس واستتارها إلى طلوعها وظهورها .

وأما الشرعي ، فهو من حين غروبها إلى طلوع الفجر الثاني ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ رَحَى يَتَبَيَّنُ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ .

والليل ينقسم إلى اثنتي عشرة ساعة ، لها أسماء وضعتها العرب ، وهي :

الشاهد، ثم النَّسَقُ، ثم العَمَّةُ، ثم الفَحْمَةُ، ثم المَوْهِنُ، ثم القِطْعُ، ثم الجَوْشَنُ
ثم العَبَكَةُ، ثم التَّبَاشِيرُ، ثم الفجر الأول، ثم الفجر الثاني، ثم المَعْتَرِضُ .

هذا ما ذكره ابن النحاس في وصف صناعة الكتاب .

وحكى التالبي في فقه اللغة — عن حمزة الأصفهاني، قال : وعليه عهده — أسماء

غير هذه، وهي :

الْجَهْمَةُ، وَالشَّفَقُ، وَالنَّسَقُ، وَالْعَمَّةُ، وَالشَّدَقَةُ، وَالزَّلَّةُ، وَالزُّلْفَةُ، وَالْبَهْرَةُ،
وَالسَّحَرُ، وَالْفَجَرُ، وَالصُّبْحُ، وَالصَّبَاحُ .

فصل

وقد عبّر بالليالي عن الأيام، كقول الله عز وجل : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾،

وقوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشِيرٍ﴾ . فعبّر عن الأيام بالليالي، لأن كل ليلة تتضمن يوماً .

٣ - ذكر الليالي المشهورة

من الليالي المشهورة :

﴿ليلة البراءة . وهي ليلة النصف من شعبان، قيل سميت بذلك لأنها براءة لمن يُحييها﴾

﴿وليلة القدر . والصحيح أنها في مفردات العشر الأخير من شهر رمضان﴾

﴿وليلة القدير . وهي ليلة الثامن عشر من ذى الحجة﴾

(١) كذا بالأصل والذي في كتب اللغة بهذا المعنى "الْمُنَكَّةُ" فقل ما هنا تحريف من النسخ .

(٢) لا توجد هذه الكلمة بهذا المعنى لا في اللسان ولا في القاموس ولا في مستدرک شارحه . وهذا هو

الذي دعا التالبي لجمع المهددة على حمزة الأصفهاني .

§ وليلة الحرير. وهي ليلة من ليالي صيفين، قُتِل فيها خلق كثير من أصحاب معاوية (رضي الله عنه) ؛

§ وليلة الخلاء. وهي ليلة باتها أبو الطمّحان التّميمي عند دِريّانية، فأكل طَفَيْشَهَا^(١) بلحم الخنزير، وشرب خمرها، وزنى بها، وسرق كساءها ؛
§ وليلة النابغة. يُضْرَب بها المثل في الخوف ؛

§ وليلة المتوكل. تضرب مثلاً في موت تتيج من سرور، لأنه قُتِل في مجلس أنسه، على ما نذكره في أخباره إن شاء الله تعالى .

٤ - ذكر ما يُمَثَّل به مما فيه ذكر الليل

يقال :

١٠. أطغى من الليل . أعلّق من ليل على نهار . أخير من الليل . أستر من الليل . أظلم من الليل . أئدى من ليلة ماطورة .

ويقال :

الليل أخفى للويل . الليل نهار الأريب . الليل طويل وأنت مقمر . الليل وأعضام الوادى . الليل أغور (لأنه لا يُصْرَفُه) .

ويقال :

١٥. آخذ الليل جملاً . شمر ذبلاً ، وأدّرع ليلاً . أمر نهار قضي ليل .

(١) نوع من المرق (قاموس) . وقال ابن الخشاب في تفسير ألقاظ الكتاب المنصوري للرازي مانعه :

طَفَيْش (هذا الضبط) طعام يُتخذ من الحبوب كالباقل والخمص ونحوهما (عن تكملة المصنّات العربية

لهروزي) .

ومن أوصاف الأبيات :

- * الليل حُبْلٌ ليس تَدْرِي ما تَلِدُ * ما أَقْصَرَ اللَّيْلُ عَلَى الرَّاقِدِ ! *
 * ما أَشَبَّهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ ! * وَلَيْلُ الْحُبِّ بَلَا آخِرَ *
 * لِأَحَدٍ لَيْلِيكَ فَيَهْمِي هَيْمِي ! * فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي *

ومن الأبيات :

إِنَّ اللَّيْلَ لَمْ يُحْسِنْ إِلَى أَحَدٍ * إِلَّا أَسَاءَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ إِحْسَانِ .

وَاللَّيَالِي كَمَا عَهِدَتْ حَبَالِي * مُقَرَّبَاتٌ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبِ .

أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَا * جَارَيْنِ لَا يُبْقِيَانِ جَارَا ؟

وقال حميد بن ثود :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ * إِذَا طَلَبْنَا أَنْ يُدْرِكََا مَا تَمْتَبَا !

وقال أبو حية الحميري :

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، * تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّقَاضِيَا .

٥ - ذكر ما قيل في وصف الليل وتشيده

قد أكثر الشعراء في وصف الليل بالطول والقصر . وذكروا سبب الطول الهُموم
 وسبب القصر السرور .

ولهذا أشار بعض الشعراء في قوله :

إِنَّ اللَّيْلَ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ * تُطَوَّى وَتُنْشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ .

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ ، * وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السَّرُورِ قِصَارُ .

وقال آخر :

إِتِّ التَّوَصَّلَ فِي أَيَّامِهِ قِصْرٌ * كَمَا التَّهَابُجُ فِي أَيَّامِهِ طَوَّلٌ .
فَلَيْسَ يَعْرِفُ تَسْهِيدًا وَلَا رَمْدًا * جَفَنُ بَرْوِيَّةٍ مِنْ هَوَاهُ مَشْغُولٌ .

وقال ابن بسّام :

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي * أَتَّ نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَنُورُ .
لَيْلٌ كَمَا شَاعَتْ إِذَا لَمْ تَزُرْ ، * طَالَتْ وَإِنْ زَارَتْ ، فَلَيْلٌ قَصِيرَةٌ .



أصله من قول علي بن الخليل :

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي * أَتَّ نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَنُورُ .
لَيْلٌ كَمَا شَاعَتْ قَصِيرَةٌ إِذَا * جَادَتْ ، وَإِنْ صَدَّتْ ، فَلَيْلٌ طَوِيلٌ .

وقال آخر :

أَخُو الْهَوَى يَسْتَطِيلُ اللَّيْلَ مِنْ سَهْرٍ ، * وَاللَّيْلُ فِي طُولِهِ جَارٍ عَلَى قَدَرِهِ .
لَيْلُ الْهَوَى سِنَّةٌ فِي الْمَجَرِّ مَدَنَةٌ ، * لَكِنَّهُ سِنَّةٌ فِي الْوَصْلِ مِنْ قَصْرِهِ .

وقال الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لِمَا صَنَعْتُ : * فَاثَمْتُ وَقَدْ أَسْهَرْتُ عَيْنَيَّ عَيْنَاهَا .
فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِينَ أَنْفَعُهَا * وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِينَ أَثَقَاها .

٦ - وَأَمَّا مَا وَصَفَ بِهِ مِنَ الطُّوْلِ

قال الخباز :

وَلَيْسَ كَوَاكِبُهُ لَا تَسِيرُ * وَلَا هُوَ مِنْهَا يُطِيقُ الْبَرَّاحَا .
كَيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي طَوْلِهِ * عَلَى مَنْ يُرَاقِبُ فِيهِ الصَّبَّاحَا .

وقال ابن المعتز :

مالي أرى الليل مُسِيلاً شِعْراً * عَنْ غُرَّةِ الصُّبْحِ غَيْرَ مَفْرُوقِ .

وقال بشار :

خَلِيلِي ! مَا بَالُ الدُّجَى لَا يُزْجَحُ ، * وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصُّبْحِ لَا يَتَوَحَّحُ ؟
أَصَلَ النَّهَارُ الْمُسْتَنْيرَ طَرِيقَهُ ؟ * أَمْ التَّمَرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ ؟

وقال الرِّفَاء :

الْأَرْبُ لَيْلِيَتْ أَرْعَى مُجُومَهُ * فَلَمْ أَغْتَمِضْ فِيهِ وَلَا اللَّيْلُ أَعْمَضَا .
كَأَنَّ الْفُرْيَا رَاحَةً تُشِيرُ الدُّجَى * لِتَعْلَمَ طَالِ اللَّيْلُ لِي أَمْ تَعْرِضَا .
عَجِبْتُ لِلَّيْلِ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ * يُقَاسُ بِشَيْءٍ كَيْفَ يُرْحَى لَهُ أَقْضَا ؟

وقال محمد بن عاصم :

أَقُولُ ، وَاللَّيْلُ دُجَى مُسْبِلٌ * وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ بِهِ مُثَلٌ :
يَاطُولُ لَيْلِي مَا لَهُ آخِرٌ * مِنْكَ ، وَصَبَحٌ مَا لَهُ أَوَّلُ !

وقال التنوخي :

وَلَيْلَةٌ كَأَنَّهَا قُرْبُ أَمَلٍ * ظَلَامُهَا كَاللَّغَمِ مَا فِيهِ خَلَلٌ .
كَأَنَّهَا الْإِصْبَاحُ فِيهَا يَاطُلُ * أَزْهَقَهُ اللَّهُ بِحَقٍّ ، فَيُطَلُّ .
سَاعَاتُهَا أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ النَّوَى * وَلَيْلَةُ الْمَجَرِّ وَسَاعَاتُ الْعَدَلِ .
مَوْصَدَّةٌ عَلَى الْوَرَى أَبْوَابُهَا * كَالنَّارِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ دَخَلَ .

وقال أبو محمد ، عبد الله بن السيد البطليوسي :

تَرَى لَيْلَنَا شَابَتْ نَوَاصِيهِ كِبَرَةً * كَمَا شَبَّ ، أَوْ فِي الْحَوْرِ وَضْ نَهَارٍ ؟
إِذَا كَانَ اللَّيَالِ السَّبعَ فِي الْأَفْقِ جُمِعَتْ * وَلَا فَصَلَ فَمَا يَتْنَهَا بِنَهَارِ .

وقال الشريف البياضى :

أقول لصحى والنجوم كأنها ، * وقد رككت في بحر حديدٍها غرقا :
أرى ثوب هذا الليل لا يعرف إلى ! * فهل أرى للصبح في ذيله فتقا ؟

وقال أيضا :

أقول وللبحر عمر منيد * وآخره رُدَّ إلى معاذ .
وقد ضلت كواكبهُ ، فظلت * حيارى ما لها في الأفق هادي :
لعل الليل مات الصبح فيه ، * فلازم بعده ليس الحداد .

وقال آخر :

أما لظلام ليلى من صباح ؟ * أما للنجم فيه من راج ؟
كأن الأفق سدٌ ، فليس يُرجى * به نهج إلى كلِّ النواحي .
كان الشمس قد مُسختُ نجومًا * تسيّر مسير روادِ طلاج .
كان الصبح مهجور طريد ، * كان الليل مات صريع راج .
كان بنات نسي من حزنا ، * كان النسر منكسور الجناح .

وقال آخر :

يا ليلة طالت على عاشق ، * مُتَظَرِّ للصبح ميعادا !
كادت تكون الحول في طولها ، * إذا مضى أولها ، عانا .

وقال ابن الرومي :

رُبَّ ليل كأنه التمر طولًا * قد تآهى فليس فيه مزيد .
ذى نجوم كأنهم الشهب ليست تزل ، لكن تزيد .



وقال أبو الأحنف :

حَدَّثُونِي عَنِ النَّهَارِ حَدِيثًا : أَوْ صِفُوهُ ، فَقَدْ نَسِيتُ النَّهَارَ .

وقال بشار :

طَالَ هَذَا اللَّيْلُ يَلْ طَالَ السَّهْرُ ! * وَلَقَدْ أَعْرِفُ لَيْلِي بِالْقِصَرِ .
لَمْ يَطُلْ حَتَّى دَهَانِي فِي الْهَوَى * نَاعِمِ الْأَطْرَافِ فَتَانُ النَّظَرِ .
فَكَانَتْ الْمَجْرُ تَخْضُ مَائِلُ * كَلِمَا أَبْصَرَهُ النَّوْمُ تَقَرُّ .

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

يَا لَيْلَ وَجِدَ تَجِدِ * أَمَا لَطِيفُكَ مَسْرَى ؟
وَمَا لِدِمْنِي طَلِيقُ * وَأَنْجَمُ الْجَوِّ أَسْرَى ؟
وَقَدْ طَمَأَ بِحَرْ لَيْلِ * لَمْ يُعْقِبِ الْمَدَّ جَزْرًا .
لَا يَمُورُ الطَّرْفُ فِيهِ * غَيْرَ الْمَجْرَةِ جَسْرًا .

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

وَلَيْسَ كَانَ التَّهَرُّ أَفْضَى بَعْثَرِهِ * جَمِيعًا إِلَيْهِ ، فَاتَمَّهِ فِي أَيْدِيَانِهِ .
يُحَدِّثُ بَعْضُ الْقَوْمِ بَعْضًا بِطَوْلِهِ ، * وَلَمْ يَمُضْ مِنْهُ غَيْرُ وَقْتِ عِشَانِهِ .

وقال إبراهيم ولد ابن لنكك البصري ، شاعر القيمة :

وَلَيْلَةٍ أَرَقْنِي طَوْلَهَا * فَيْثًا فِي حَيَّةِ الدَّاهِلِ .
كَأَنَّمَا أَشْتَقُّتُ لِإِفْرَاطِهَا * فِي طَوْلِهَا مِنْ أَمَلِ الْجَاهِلِ .

وقال امرؤ القيس :

وَلَيْلُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرْخِ سُدُولِهِ * عَلَى بَانَواعِ الْمُهْبُومِ لَيْتَلِي .
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمْطِي بِصُلْبِهِ * وَارْدَفَ أَعْجَازًا وَتَاءً يَكْلِكُلِي .

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلَا أَنْجِلِي * بَصْبُحْ! وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمثل !
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْسِلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ * بِأَمْرَاسٍ تَكُنُّ إِلَى صَمٍّ جَنْدَل .

وقال آخر:

أُرَاقِبُ فِي السَّمَاءِ بَنَاتِ نَعِيشٍ، * وَلَوْ أَسْطِيعُ، كُنْتُ لَهْنٌ حَادِي .
كَأَنَّ اللَّيْلَ أَوْثَقَ جَانِبَاهُ * وَأَوْسَطُهُ بِأَمْرَاسٍ شِدَاد .

وقال أحرَمُ بْنُ حَمِيدٍ :

وَلَيْسِلٌ طَوِيلُ الْجَانِبَيْنِ قَطْعَتُهُ * عَلَى كَيْدٍ، وَالذَّمْعُ يُجْرِي سَوَاقِبُهُ .
كَلَّاهُ حَسْرَتِي عَلَيْهِ كَأَنَّهُ * مُقَيَّدَةٌ دُونَ الْمَسِيرِ كَوَاقِبُهُ .

وقال أَمْرُ بْنُ الرَّقَاعِ :

وَكَأَنَّ لَيْلِي حِينَ تَغْرِبُ شَمْسُهُ * بِسَوَادِ آخَرٍ مِثْلِهِ مَوْصُولُ .
أَرْعَى النُّجُومَ، إِذَا تَقَيَّبَ كَوْكَبُ، * أَبْصَرْتُ آخَرَ كَالسَّراجِ يَحْوُلُ .

وقال آخر:

مَا لِنُجُومِ اللَّيْلِ لَا تَقْرُبُ؟ * كَأَنَّهُا مِنْ خَلْفِهَا تُجْنَدُبُ!
رَوَّاصِكُدْ مَا غَارَ فِي غَرِيهَا * وَلَا بَدَأَ مِنْ شَرْقِهَا كَوْكَبُ .

وقال سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ :

يَا لَيْلُ، بَلْ يَا أَبَدُ! * أَنَاثِمُ عَنْكَ عَدُ؟
يَا لَيْلُ لَوْ تَلَقَّى الَّذِي * أَلْقَى بِهَا أَوْ تَحِيدُ،
قَصَّرَ مِنْ طَوْلِكَ أَوْ * ضَعَّفَ مِنْكَ الْجَلْدُ!

وقال سيف الدين المشد :

مات الصَّباحُ بَلِيلٌ * أَحْيَيْتُهُ حِينَ عَمَسَ .
لو كَانَ فِي النَّهْرِ صُبْحٌ * يَعِيشُ ، كَانَ تَمَسَ .

٧ - أما ما وصف به من القصر

فمن ذلك قول إبراهيم بن العباس :

وَلَيْلَةٌ إِحْدَى اللَّيَالِي الزَّهْرِ ، * قَابَلْتُ فِيهَا بَدْرَهَا بِدُرَى .
لَمْ تَكُ غَيْرَ شَفَقِي وَفَجْرِ ، * حَتَّى تَوَلَّتْ وَهِيَ بِكُرِّ الدَّهْرِ .

وقال الشريف الرضي :

بِالْيَلَةِ كَادَ مَنْ تَقَاصَرَهَا * يَعْثُرُ فِيهَا الْعِشَاءُ بِالسَّحَرِ .

وقال آخر :

بِالْيَلَةِ جَمَعْتَنَا بَعْدَ فُرْقَتِنَا * فَبِتُّ مِنْ مُبِيعِهَا لَمَّا بَدَأَ فَرَقَا .
لَمَّا خَلَوْتُ بِأَمَالِي بِهَا ، قَصُرْتُ * وَكَادَ يَسْبِقُ فِيهَا بَحْرُهَا النَّسْفَا .

وقال آخر :

يَا رَبِّ لَيْلٍ سُرُورٍ خَلَّتْهُ قَصْرًا * يُعَارِضُ الْبَرْقَ فِي أَفْقِ الدُّجَى بَرْقًا .
قَدْ كَادَ يَعْثُرُ أَوْلَادَهُ بِأَخْصَرِهِ * وَكَادَ يَسْبِقُ مِنْهُ بَحْرُهُ الشَّفَقَا .

وقال القاضي السعيد بن سناء الملك :

بِالْيَلَةِ الْوَصْلِ ، بَلْ يَا لَيْلَةَ الْعُمْرِ ! * أَحْسَنْتِ ، إِلَّا إِلَى الْمَشْتَاقِ ، فِي الْقَصْرِ .
يَا لَيْتَ زَيْدٌ بِحُكْمِ الْوَصْلِ فِيكَ لَنَا * مَا طَوَّلَ الْهَجْرُ مِنْ أَيَّامِكَ الْأَتْرِ .

أوليتَ نَجْمَكِ لَمْ تَقِفْ رَكَابُهُ ، أوليتَ صُبْحَكَ لَمْ يَقْدَمْ مِنَ السَّحَرِ .
 أوليتَ لَمْ يَصِفْ فِيكَ الشَّرْقُ مِنْ غَيْشِ ، فذلِكَ الصَّفْوُ عِنْدِي غَايَةُ الْكَدَرِ .
 أوليتَ كُلًّا مِنَ الشَّرْقَيْنِ مَا آبَسْنَا ، أوليتَ كُلًّا مِنَ النَّسْرَيْنِ لَمْ يَطِرِ .
 أوليتَ كُنْتَ كَمَا قَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : "لَيْلُ الضَّرِيرِ فَصُبْحِي غَيْرُ مُنْتَظَرِ" .
 أوليتَ بَفَرِّكَ لَمْ يَنْفِرْ بِهِ رَشْيُ ، أوليتَ تَمَسَّكَ مَا جَارَتْ عَلَى قَرَى .
 أوليتَ قَلْبِي وَطَرَفِي تَحْتَ مِلْكِ يَدِي ، فزِدْتُ فِيهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ .
 أوليتَ أَلْفِي حَبِيبِي نَحْمَ مَقْلَتِهِ ، عَلَى الْعِشَاءِ فَأَبْقَاهَا بِلَا سَحَرِ .
 أوليتَ كُنْتُ سَالِيَهُ مُسَاعِدَةً ، فَكُلَّ يَحْيُوكَ بِالتَّكْجِيلِ وَالشَّمَرِ .
 كَأَنَّهَا حِينَ وَلَّتْ قَتُ أَجْزَيْهَا ، فَأَقْعَدْتُ فِي الشَّرْقِ مِنْهَا التَّوْبُ مِنْ دُبُرِ .
 لَا مَرَحِبًا بِصَبَاحِ جَاءِي بِدَلَا ، مِنْ غُرَّةِ النَّجْمِ أَوْ مِنْ طَلْعَةِ الْقَمَرِ !

وقال عبد الله بن المعتز :

بِالْبَلَّةِ مَا كُلُّ أَطْعَمِيهَا سِوَى قِصْرِ الْبَقَاءِ !
 أَحْيَيْتَهَا فَأَمَاتَهَا ، وَطَوَّيْتُهَا طَى الرِّدَاءِ .
 حَتَّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَسْلُو الْبَدْرَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ .
 فَكَانَهُ وَكَأَنَّهَا ، قَدْ دَخَلَ مِنْ نَحْمِرِ وَمَاءِ .

وقال المهلبي :

قَدْ قَصَّرَ اللَّيْلُ عِنْدَ الْفَتَا ، كَأَنَّ حَادِيَ الصَّبَاحِ صَاحَ بِهِ .

وقال آخر :

كَأَنَّكَ اللَّيْلُ رَاكِبٌ فَرَسًا ، مِنْزِمًا وَالصَّبَاحَ فِي طَلْعِهِ .

٨ — أما ما وصف به من الإشراق

فمن ذلك قول شاعر أندلسي :

رُبَّ لَيْلٍ عَمَّرَتْهُ * فَيْكَ خَالٍ مِنَ الْفِكْرِ
كَثُرَتْ حَوْلَهُ الْجُجُ * لُ وَسَارَتْ بِهِ الْغُرُ.

وقال أبو بكر الصنوبري :

يَا لَيْلَةً طَلَعَتْ بِأَسْعَدِ طَالِيعٍ * تَاهَتْ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ السَّاطِعِ .
مَحَاسِنِ مَقْرُونَةٍ بِمَحَاسِنِ * وَبَدَائِعِ مَوْصُولَةٍ بِبَدَائِعِ .
ضَوْءِ الشَّمُوعِ وَضَوْءِ وَجْهِكَ مَازَجًا * ضَوْءِ الْعَقَارِ وَضَوْءِ بَرَقِ لَا مِيعِ .
فَكَأَنَّمَا أَلْقَى الدُّجَى جَلْبَابَهُ * وَأَرَاكَ جَلْبَابَ النَّهَارِ السَّاطِعِ .

٩ — أما ما وصف به من الظلمة

قال الله عز وجل : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَحَابَّتُ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ . فهذه أتم أوصاف الظلمة .

وقال مضر بن ربييع :

وَلَيْلٌ يَقُولُ النَّاسُ فِي ظُلُمَاتِهِ : * سَوَاءٌ مَحِيحَاتُ الْعُيُونِ وَعُورُهَا
كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بَيُوتًا حَصِينَةً * مُسَوَّحَاتُهَا أَعَالِيهَا وَسَاحُ كُورُهَا

وقال أبو تمام :

إِلَيْكَ هَتَّكَ جُنَحَ لَيْلٍ كَأَنَّمَا * قَدْ أَكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِمْدِ

(١) جمع منج بكسر فسكون وهو الكساء . ينفذ من الشعر .

وقال أبو نواس :

أَبْنَى: كَيْفَ صِرْتَ إِلَى حَرِييٍّ ، * وَجَنُّ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ

وقال العلوِي الأصفهاني :

وَرُبُّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ * تَحِلُّ فِي الْجَوْسُودِ رَايَاتِ

لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْتَهَا * مِثْلَ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَ رَوْضَاتِ

(٥٦)

ومن رسالة لابي مبداه بن أبي الخصال . جاء منها :

والليل زنجي الأديم ، تبرى النجوم ، قد جللنا ساجه ، وأغرقتنا أمواجه ، فلا مجال
للحفظ ، ولا تعارف إلا باللفظ ، ولو نظرت فيه الزرقاء لا كتحت ، ولو خضبت به
الشبية ما نصبت .

١٠ - ومما قيل في تباشير الضباح

قال أبو محمد العلوِي :

كَأَنَّ أَخْضِرَّارَ الْجَوْ صَرَحَ مُرْدٌ * وَفِيهِ لَآلٍ لَمْ تُسَنَّ بِتُقُوبِ .

كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ فِي صَوِّهِ صُبْحُهُ * سَوَادُ شَبَابٍ فِي بَيَاضِ شَيْبِ .

وقال أبو علي بن لؤلؤ ، الكاتب :

رُبُّ بَغْرِ كَطْلَمَةِ الْبَدْرِ جَلَّى * جُنَحَ لَيْلٍ كَطْلَمَةِ الْمِجْرَانِ ،

زَارَ فِي حُلَّةِ السَّرَاةِ فَوَيْلُ اللَّيْلِ عَنْهُ فِي حُلَّةِ النَّيْرَانِ .

وقال الخالداني :

وَكَاثِمًا الصُّبْحُ الْمُنِيرُ قَدْ بَدَأَ * بَارِزُ أَطَارٍ مِنَ الظَّلَامِ غُرَابًا .

(١) البازلة في البازي . (عن الجوهرى) ، واخترنا ذلك لأنه منقول عن كلمة فارسية هي "باز" . وركبة
"طوغان" وهو نوع من الصقور أو أشد الجوارح تكبرا وأضيقها خلقا . يوجد بأرض الترك و يؤخذ للصيد .

وقال النظام البلخي، من شعراء الخريدة :

فَلَا حَ الصَّبْحُ مَبْتِمُ النَّيَا * وَطَارَ اللَّيْلُ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ .
يَطِيرُ غُرَابُ أَوْكَازِ الدِّيَاحِ * إِذَا مَا حَلَّ بَارِئُ الصَّبَاحِ .

وقال تميم بن المعز :

وَكُنَّ الصَّبَاحُ فِي الْأَفْقِ بَارِئُ * وَالْدُّجَى بَيْنَ مَحْلِيهِ غُرَابُ .

وقال ابن وكيع :

غَرَّدَ الطَّيْرُ فَبَنَى مِنْ نَفْسِ * وَأَدْرَكَ كَأْسَكَ فَالْعَيْشُ خُلْسُ !
سَلَّ سَيْفُ الْفَجْرِ مِنْ غِمْدِ الدُّجَى * وَتَعَزَّى الصَّبْحُ مِنْ ثُوبِ الْعَلَسِ .
وَأَتَجَمَّلُ فِي حُلَّةِ فَضِيَّةٍ * مَا بَهَا مِنْ ظُلُمَةِ اللَّيْلِ دَسِ .

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْغَرْبَ قَدْ غُصَّ بِالدُّجَى * وَفِي الشَّرْقِ مِنْ ثُوبِ الصَّبَاحِ دَلَالُ ،
تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْغَرْبَ بَحْرٌ أَحْوَضُهُ * وَأَنَّ الَّذِي يَبْثُو مِنَ الشَّرْقِ سَاحِلُ .

وقال أسعد بن بليلة الأندلسي :

بَرَّتْ بِمَسْكِ الدُّجَى كَافُورَةُ السَّحَرِ * فَنَابَ ، إِلَّا بَقَايَا مِنْهُ فِي الطَّرْرِ ،
صَبَحٌ يَفُضُّ وَجْهُ اللَّيْلِ مُنْعِمُ * فِيهِ كَمَا غَرِقَ الزُّيْمِيُّ فِي سَهَرِ .
قَدْ حَارَ بَيْنَهُمَا فِي بَرْزَخٍ قَسَرُّ * يُلُوحُ كَالشَّنْفِ بَيْنَ الْخَدِّ وَالشَّعَرِ .

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي :

بَنَيْنَا كَأَنَّ حِذَاءَ اللَّيْلِ شَمَلْتَنَا * حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ فِي ثُوبِ سَحُولِي .
كَأَنَّ لَيْلَتَنَا ، وَالصَّبْحُ يَبْعُهَا ، * زَنْجِيَّةٌ هَرَبَتْ قُدَامَ رُومِي .

وقال أبو نؤاس :

فَقُمْتُ وَاللَّيْلُ يَحُلُّهُ الصَّبَاحُ، كَمَا : جَلَا التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الثِّيَابِ.

وقال عبد الله بن المعتز :

قَدْ أَغْتَدَى وَاللَّيْلُ فِي جِلْبَابِهِ : كَالْحَبَشِيِّ قَرَّ مِنْ أَحْصَاهِ .
وَالصُّبْحُ قَدْ كَثَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ : كَأَنَّمَا يَضْحَكُ مِنْ دَهَابِهِ .

وقال السري :

وَشَرَّدَ الصَّبْحُ عَنَّا اللَّيْلَ فَانْضَحَتْ : سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي آيَاتِهِ السُّودِ .

وقال أبو فراس :

مَدَدْنَا عَلَيْنَا اللَّيْلَ، وَاللَّيْلُ رَاضِعٌ : إِلَى أَنْ تَرَدَّى رَأْسُهُ بِمَشِيبِ .
بِحَالِ تَرَدُّ الْحَاسِدِينَ بِقِيْظِهِمْ : وَتَطَرُّفِ عَنَّا عَيْنَ كُلِّ رَقِيبِ .
إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ : مَبَادِي نُصُولِ فِي عِدَارِ خَضِيبِ .

وقال عبد الصمد بن بابك، شاعر اليتيمة :

وَأَسْتَهْلَتْ لِمَصْرِعِ اللَّيْلِ وَرُقًى : تَا كَلَاتُ، حَدَادُهَا التَّطْوِيقُ .
فَنَضَاجَكْتُ شَامِتًا وَكَأَنَّ الصَّبْحَ جَنِبٌ عَلَى الدَّجَى مَشْفُوقُ .

وقال أبو بكر الصنوبري :

وَلَيْسَ كَالرُّفْرِفِ الْمُعْلِمِ : مَخْفُوفَةِ الظُّلَمَاءِ بِالْأَنْجَمِ .
تَعَلَّقَ النَّجْمُ بِأَرْجَائِهَا، : تَعَلَّقَ الْأَشَقَرُ بِالْأَدَمِ .

وقال السلامي، شاعر اليتيمة :

وَقَدْ خَالَطَ النَّجْمُ الظُّلَامَ كَمَا أَلْتَقَى : عَلَى رَوْضَةِ خَضِرَاءَ وَرَدٌ وَأَدَمُ .

وَعَهْدِي بِهَا ، وَاللَّيْلُ سَاقٍ وَوَصَلْنَا ۝ عَقَارٌ ، وَفُوهَا الْكَأْسُ أَوْ كَأْسُهَا التَّمُّ .
إِلَى أَنْ بَدَرْنَا بِالنَّجُومِ ، وَغَرِبْنَا ۝ يَفُضُّ عَقُودَ الدَّرِّ وَالشَّرْقُ يَنْظُمُ .
وَتَبَّهْتُ فِتْيَانَ الصَّبُوحِ لِلدَّهَةِ ۝ تَلُوحُ كَكَيْنَارٍ يُغَطِّيه دِرْهُمُ .



ومن رسالة للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي . عفا الله عنه . جاء منها :

”فلما قضى الليل نخبه ، وأرسل الصبايح على دُهميه شهبه ، شمر الليل إزاره ، ووضع
النجم أوزاره ؛ ونزع بالطيف طارداً ، وظل وراء الصبح ناشداً ؛ وبخر الفجر نهر
النهار ، وأسترده البنفسج ، وأهدى البهار ؛ فواكب الكواكب منهزمه ، وغررة الفجر
كغرة مولاي مبهتسه“ .



ومما يدخل في هذا الباب ، ما حكى أن بعض الأعراب تزوج بامرأة نسوة ، فأراد
أن يختبر عقولهن .

فقال لإحدهن : إذا دنا الصبح فأقظيني . فلما دنا الصبح ، قالت له : قم ،
فقد دنا الصبح ! فقال : وما يدريك ؟ قالت : غارت صفار النجوم وبق أحسنها
وأضوؤها وأكبرها ، وبرد الحلي على جسدي ، وأستلذذت بأستنشاق النسيم . فقال
لها : إن في ذلك دليلاً .

ثم بات عند الثانية ، فقال لها مثل مقالته الأولى . فلما دنا الصبح ، أقظته .
فقال لها : وما يدريك ؟ قالت : ضحككت السماء من جوانبها ، ولم تبق نابتة إلا فاحت
روائحها ، وعيني تطالبني بإغفاءة الصباح . فقال لها : إن في ذلك دليلاً .

ثم بات عند الثالثة، فقال لها مثل ذلك . فلما دنا الصبح، أيقظته . فقال لها : وما يدريك ؟ فقالت : لم يبق طائر إلا غرد، ولا ملبوس إلا برد، وقد صار للطرف : في الليل مجال، وليس ذلك إلا من دنو الصباح . فقال لها : إن في ذلك لدليلا .

ثم بات عند الرابعة، فقال لها مثل ذلك . فلما دنا الصبح، قالت له : قم، فقد دنا الصبح ! فقال لها : وما يدريك ؟ قالت : أبت نفسي النوم، وطلبتني في السواك . واحتججت إلى الوضوء . فقال لها : أنت طالق، فإنك أقبحين وصفا .

١١ - ذكر ما قيل في النهار

والنهار طبعي، وشرعي .

فالطبعي زمان بين طلوع نصف قرص الشمس من المشرق، وإلى غيابه في المغرب . والشرعي ما بين انفجار الفجر الثاني إلى غروب الشمس .

والفجر فجران : الفجر الكاذب، وهو بياض مستطيل، والفجر الصادق بياض مستطير .

§ وقد وضعت العرب لساعات النهار أسماء، كما وضعت لساعات الليل، وهي :
الدُّرُورُ، ثم البُرُوعُ، ثم الضُّحَى، ثم الفَلَائِلُ، ثم الهاجِرَةُ، ثم الزَّوَالُ، ثم الدُّلُوكُ،
ثم العَصْرُ، ثم الأصيلُ، ثم الصُّبُوبُ، ثم الحُلُودُ، ثم الغُرُوبُ .

ويقال أيضا : البُكُورُ، ثم الشُّرُوقُ، ثم الإِشْرَاقُ، ثم الرَّادُّ، ثم الضُّحَى، ثم المُتَوَعُّ .
ثم الهاجِرَةُ، ثم الأصيلُ، ثم العَصْرُ، ثم الطُّغْلُ، ثم العِشَى، ثم الغُرُوبُ .

ذكر ذلك معا أبو جعفر النحاس .

وحكى التعلالي في كتاب فقه اللغة - عن حمزة بن الحسن - قال : وعليه عهدتها :
 الشروق، ثم البكور، ثم الغدوة، ثم الضحى، ثم المهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح،
 ثم العصر، ثم القصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب.
 § وكانت العرب العاربة تُسمّى أيام الأسبوع بأسماء غير هذه التي نداولها الناس
 في وقتنا هذا، وهى :

”أَوَّل“ وهو الأحد ”أَهَوُ“ وهو الاثنين ”جَبَّار“ وهو الثلاثاء ”دُبَّار“
 وهو الأربعاء ”مُؤَنَس“ وهو الخميس ”عَرُوبَة“ وهو الجمعة ”شِيَار“ وهو السبت.
 نظم ذلك شاعرٌ فقال :

أَوَّلُ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْ يَوْمِي : لِأَوَّلِ أَوْ لِأَهَوٍ أَوْ جَبَّارِ،
 أَوْ التَّالِي دُبَّارَ وَإِنْ أَقْنَسَ : فَمُؤَنَسَ أَوْ عَرُوبَةَ أَوْ شِيَارِ.

٥١

١٢ - ذكر الأيام التي خُصِّصَتْ بالذكر

منها :

§ الأيام المعلومات . وهى عشر ذى الحجة، وفيها يوم التروية . وهو اليوم الثامن
 سمي بذلك لأنهم يرتوون من الماء لما بعده ، لأن مَنى لا ماء بها .

§ الأيام المعدودات . هى أيام التشريق . وعنتها ثلاثة بعد يوم النحر . سميت
 بذلك لأنهم كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحى فى الشمس والهواء ، لئلا تفسد .

§ أيام العجوز . ويقال فيها الأيام الأعجاز . وهى سبعة : أولها السادس والعشرون
 من شباط من شهور الروم ، والخامس من برمهات من شهور القبط . وهى لا تخلو
 من رياح ويرد . وسميت بالعجوز : لأنها فى عَجْزِ الشتاء .

§ يوم عبيد ، مَثَلٌ لليوم المنحوس . كان عبيد بن الأبرص قد تصدَّى للنعمان في يوم يؤسه الذي لا يُفْلَحُ مَنْ لقيه فيه ، كما لا يَنْجِبُ مَنْ لقيه في يوم نعيمه ، قال أبو تمام :

مَنْ بَعْدَ مَا ظَنَّ الْأَعَاذِي أَنَّهُ ۖ سَيَكُونُ لِي يَوْمٌ كِيَوْمِ عَبِيدٍ .

§ يوم المطر . يضرب مثلاً في كفر النعمة . وذلك أنه حكى عن المعتمد على الله ابن عباد صاحب إشبيلية أنه خلا بزوجه الرميكية في مجلس أنس ، والزمان فيه قَيْظٌ . فتمنّت عليه غيا ومطرا . فأمر يجامر العنبر والعود والنسْد ، حتى آنفقد الدخان كالضباب ، ثم أمر برشّ صحن المجلس بماء الورد من أعلاه . وحصل بينهما بعد ذلك نبوءة ، فقالت له : مارأيتُ معك يومَ سرورٍ قط ؟ ! فقال لها : ولا يومَ الحُزْنِ^(١) . صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله : إِنْهُمْ يَكْفُرُونَ الشَّيْرَ .

§ يوم عاشوراء . وهو اليوم العاشر من المحرم . ورد في فضله أحاديث كثيرة . ويقال إن نوحا (عليه السلام) ركب السفينة فيه فصامه وأمر من معه بصومه .

وصح أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما هاجر ، رأى اليهود في المدينة صياما في هذا اليوم . فسأله عنهُ ، فقالوا : هذا اليوم الذي نجى الله تعالى فيه موسى وبنى إسرائيل ، وأغرق فرعون وقومه . فنحن نصومه شكرا لله تعالى . فقال (عليه الصلاة والسلام) : أنا أحقُّ بأحقِّ موسى . ثم أمر متاديا فتأدى : مَنْ أَكَلَ فَلْيُمْسِكْ ، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ فَلْيُصُمْ !

وفيه قُتِلَ الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) .

(١) راجع رواية أرفق في فتح الطيب للمصنف . قد سماه "يوم الطين" . (ص ٢٨٧ ج ١ طبعة لبنان) .

١٣ - ذكر أيام أصحاب الملل الثلاث

§ يوم الجمعة، للسامين . وسبب اتخاذهم له أنه اليوم الذي أتم الله فيه خلق العالم، وأوجد فيه أبا البشر آدم (عليه السلام) وفيه قِيضَ ، وفيه يكون النشْخُ في الصُّور، وفيه الصَّعْقُ، وفيه الساعة التي لا يُصادفُها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها له .

§ يوم السبت، لليهود . وَحُجَّتْهُمْ عَلَى اتِّخَاذِهِمْ لَهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبْتَدَأَ خَلْقَ الْعَالَمِ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَفَرَّغَ مِنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَأَنَّ يَوْمَ السَّبْتِ يَوْمُ فَرَاغٍ وَدَعَا . وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ .

§ يوم الأحد، للنصارى . ذَكَرَ فِي سَبَبِ اتِّخَاذِهِمْ لَهُ أَنَّ اللَّهَ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) أَبْتَدَأَ فِيهِ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ .

١٤ - ذكر ما يُمَثِّلُ به مما فيه ذكر النهار

يقال :

أَطْلُوْا مِنْ يَوْمِ الْفِرَاقِ . أَضَوْا مِنْ نَهَارِ . أَنْوَرُوا مِنْ وَجْهِ النَّهَارِ .

ويقال :

يَذْهَبُ يَوْمُ الْهَمِّ وَلَا يُسْعِرُ بِهِ . مَا يَوْمُ حَلِيمَةِ بَيْرُتَ مَنْ يَرِي يَوْمًا يَرِيهِ . يَوْمُ الشَّرَوْرِ ١٥
قَصِيرٌ . الْيَوْمُ نَحْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ . الْيَوْمُ عَيْشٌ وَغَدًا حَيْشٌ . الْيَوْمُ فِصْلٌ وَغَدًا ثَوَابٌ .
يَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ عَلَيْنَا . لِكُلِّ قَوْمٍ يَوْمٌ .

ومن أنصاف الأبيات :

* وَهَلْ يَنْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ : * وَفِي الْأَيَّامِ مُعْتَبَرٌ *

ومن الآيات :

وَأَلَهُ مَا أَمْكَنَ يَوْمٌ صَالِحٌ * إِنَّ يَوْمَ الشَّرِّ لَأَكْبَدُ !

وقال آخر :

أَمَامَ ! لَا أَدْرِي ، وَإِنْ سَأَلْتِ * مَا تُسْكُ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ سَبْتِ .

وقال آخر :

وَأَيَّامُ ! الشُّرُورِ مُقْصَصَاتٌ * وَأَيَّامُ الشُّرُورِ تُطِيرُ طَيْرًا .

وقال آخر :

لَا تَحْمَلْنَ هُمُومَ أَيَّامٍ عَلَا * يَوْمَ ، لَعَلَّكَ أَنْ تُقْصَرَ عَنْ غَدِهِ .

١٥ - ذكر شيء مما قيل في وصف النهار وتشبيهه

فمن ذلك قول شاعر ، يصفه بالقصر :

ويوم سُرُورٍ قَدْ تَكَامَلَ وَصْفُهُ * سِوَى قَصِيرٍ ، لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَاهُ !

وَعَهْدِي بِهِ كَالرَّغْمِ طَوَّلًا ، فَعِنْدَمَا * هَزَنَ زَنَاهُ لِلْهَوِّ أَلْتَقَى طَرْفَاهُ .

وقال آخر :

بَابِي مَنْ تَعَمْتُ مِنْهُ يَوْمٌ ، * لَمْ يَزَلْ لِلْسُّرُورِ فِيهِ نَمُو !

يَوْمٌ لَمْ يَوْ ، قَدْ أَلْتَقَى طَرْفَاهُ * فَكَأَنَّ الْعَشَى فِيهِ غُدُو .

وقال آخر :

لَمْ يَنْتَشِرْ فَاتَّقِ الْإِصْبَاحَ مِنْ قَصِيرٍ * فِيهِ إِلَى أَنْ طَوَاهُ فَيَلْقَى النَّسَقَ .

وَلَمْ يَكُنْ مُلَاتِقِي جَفْنِي أَحَى رَمِيدٍ * كَلْتَنِي طَرْفِيهِ : الصُّبْحُ وَالشَّفَقُ .

وَمَاتَاوَلْتُ فِيهِ الرِّطْلَ مُصْطَبِحًا * إِلَّا أَعَادَتْهُ مِنِّي كَفُّ مُقْتَبِقِ .

وقال آخر :

لِلَّهِ يَوْمٌ مَّسْرُورٌ * أَضْوَأَ وَأَقْصَرَ مِنْ ذُبَالَةٍ !
لَمَّا نَصَبْنَا لِلنَّارِ * فِيهِ بِأَشْرَاكِ جِبَالَهُ ،
طَارَ النَّهَارُ مُرَوَّعًا * فِيهِ وَأَجْفَلَتِ الْغَزَالَةُ !

وقال آخر :

حُتُّ الْكُؤُوسِ ! فَذَا يَوْمٌ بِهِ قِصْرٌ ، * وَمَا بِهِ مِنْ تِمَامِ الْحُسْنِ تَقْصِيرُ ،
صَحْوٌ وَغَيْمٌ ، يَرُوقُ الطَّرْفُ حُسْنَهُمَا : * فَالْصَّبْحُ قَبْرُ وَزَجٍّ ، وَالنَّهْيُ بَلُورُ .

وقال آخر :

وَيَوْمَ تَحْتَلِي الْفَائِيَّاتِ سَلْبَتُهُ * حُلِيَّ الرَّبَا حَتَّى آتَنَّتِي وَهُوَ عَاطِلُ ،
سَبَقَتْ إِلَيْهِ الشَّمْسُ ، وَالشَّمْسُ غَضَّةٌ * وَصَيَّغُ الدَّجَى مِنْ مَفْرِقِ الْمَجَرِّ نَاصِلُ . ١٠



ومن كلام ابن برد الأصغر الأندلسي :

الْيَوْمُ يَوْمٌ بَكَتْ أَمْطَارُهُ ، وَخَسَّكَتْ أَزْهَارُهُ ، وَتَفَنَّتْ شَمْسُهُ ، وَتَغَطَّرَ نَاسُهُ ،
وَعِنْدَنَا بُلْبُلٌ هَزِجٌ ، وَسَائِي غَنَجٌ ، وَمُلاَقَتَانِ : سُلَاقَةُ إِخْوَانٍ ، وَسُلَاقَةُ دَنَانٍ ؛ قَدْ
تَشَاكَلْنَا فِي الطَّبَاعِ ، وَأَزْدَوْجُنَا فِي إِثَارَةِ السَّرُورِ ، فَاتَّخَرِقَ إِلَيْنَا سُرَادِقُ الدَّجْنِ نَجْدُ ١٥
مَرَّأَى لَمْ يَحْسَنَ إِلَّا لَكَ ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَ .

ومن كلامه أيضا :

لَمْ نَلْقَ مِنْذُ عَرَيْنَا مَرْكَبَ اللَّهِ ، وَأَخْلَيْنَا رَيْجَ الْأَنْسِ ، وَقَصَصْنَا جَنَاحَ الطَّرَبِ ،
وَعَبَسْنَا فِي وَجْهِهِ اللَّذَاتِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْتَفِ إِلَى مَجْلَسٍ قَدْ تُسِيخُ فِيهِ الرِّيحُ

بالدواوين، والمحاجير، بالمحارب، والأطباق، بالأوراق، وتنازع المدام، بتنازع الكلام،
وآستماع الأوتار، بآستماع الأخبار، وبصيح البلابل، بسجع الرسائل، كانت أشمخ
لنهنك، وأرشد لرأيك .

١٦ - ذكر شئ مما وصفت به الآلات

الموضوعة لمعرفة الأوقات

قد وضع أهل هذا الفن لمعرفة درجات الليل وساعات النهار آلات، يستدلون بها
على معرفة ماضى من ذلك وما يلقى، ولتحرير المواقيت: كالأصطرلاب، والطرجهارة
والبنكام .

ووصف الشعراء والفضلاء ذلك بأوصاف، نذكر منها إن شاء الله تعالى ما تقف

عليه .

١ - فأما الأصطرلاب وما قيل فيه .

فقال أبو طالب، عبد السلام المامونى :

وشبه بالشمس يشرق الأنشوار من نور جرهما في خفاء .
فترأه أدرى وأعلم منها ، * وهو في الأرض ، بالذى في السماء .

وقال أيضا :

وغالم بالغيب من غير ما * تسمع ، ولا قلب ، ولا ناظر !
يقابل الشمس فيأتى بما * ضمتها من خير حاضر .
كأنها ناجته لما بدا * لعينها بالفكر والخطا طر .
وأهمته علم ما يحتوى * عليه صدر الفلك التائر .

وقال أبو إسحاق الصابى ، وقد أهداه فى مهرجان إلى مخدومه :

أهدى إليك بنو الآمال وأجتهدوا * فى مهرجانٍ جديد أنت تئليه .
لكنَّ عبدك إبراهيم ، حين رأى * سمو قدرك عن شئ يساميه .
لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد * أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه !

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز :

أفضل ما استصحب النبيل فلا * يُعَدُّ به فى المقام والسفير ،
بحرم إذا ما ألتفت قيمته * جلَّ عن التبر وهو من صُفير .
مُختَصِر وهو إذ تُفَشِّشُه * عن مُلج العلم غير مختَصِر .
ذو مُقلية تستنير ما رَمَقَتْ * عن صائب الخيط صادق النظر .
تَحِيلُه وهو حاملٌ فلكًا * لو لم يَدُرْ بالبنان لم يَدُر .
مَسْكَنُه الأرض وهو يُبَيِّنُنا * عن جُل ما فى السماء من خَبَر .
أبدعه ربُّ فِكْرَةٍ بُمَدَّتْ * فى اللطيف عن أن تُقَاسَ بالفكر .
فاستوجب الشكر والثناء به * من كل ذى فطنة من البشر .
فهو لذى اللَّبِّ شاهدٌ عَجَبٌ * على اختلاف العقول والفطر .

وكتب أبو الفرج البغاء يصف أبطرلابا أهداه فقال :

آثرتك — أيدك الله — يبرهان الحكمة ونسبها ، ومدار الفلسفة وقطبها ، ومُرشد الفكر
ومناره ، وميزان الحسن ومِعاره ، وتَأَنَّى الشك ومُزِيلُه ، وشاهد الأثير ودليله ، ومصوِّر
الحكمة ومُثَلِّها ، ومقسم البروج ومعلِّها ، وموقف التجوم ومسِيرُها ، وجامع الأقاليم
ومدبرها ، ومرآة الحلب ، وصوره الطلح ، وأمين الكواكب ، وحَدَّ المشارق والمغارب ؛
بما اخترعت العقول تسطيعه ، وأتقن الحُساب تصحيحه ، وتمازت القطر .

في ترتيبه، وأصطلحت الحكمة على تركيبه، فأوضحته بالنقش تفسيمه، وأبانت بالكتابة رؤسومه، إلى أن شافها بالارتفاع على بعد مسافته، وحصر متفرق الأمور في تحرق عضادته، وأحتوى على قطري الشمال والجنوب، وأطلع بالالطف على خفيات الفيوب والملقب بالأصطرلاب، الفاصل بين الخطأ والصواب .

وقال أبو نصر الكاتب فيه :

قطبُ الزمن ومدارُه، وميزانُ الفلك وميأَرُه؛ وأساسُ الحكمة وموضوعها، وتفصيلُ القلعة ومجموعُها؛ الناطقُ في صمته، الموفى على نعتِه؛ مظهرُ السِّر المكنون، المخبر بما كان وما يكون؛ ذو شكلٍ مقعرٍ مستدير، ولونٍ مشمسٍ مستنير، ومنطقه محيطه بأجزائه، وخطوط معدلة على أعضائه؛ وكتابة مطبقة بتدويره، ورموز بأشعة بضميره؛ متقابل الأهداف، متكامل الأوصاف؛ بحجرة مسكونه، وصفائح مصونه؛ وقد موموق، وباب مطروق؛ للعلم قفحه ورتاجه، وعليه طريقه ومنهاجه؛ إذا أنتصب قال حميد، وإذا أضطجع عي فلم يُفسد؛ صفرى الانتساب، ذهبي الإهاب؛ يشرق الأنوار من نقابه، ويستخلم الشمس في حسابه؛ يجمع الشرق والغرب في صفحته، ويستتره الحامل في راحته؛ رافعه ينظر من تحته، وأخباره تستند عن تحته .

٢ — وما قيل في طَرْجَهارة .

قال أبو الفتح كشاجم يصفها :^(١)

رُوحٌ من الماء في جِسمٍ من الصُّفْرِ * مؤلَّفٌ بلطيف الحِسِّ والفكر .

(١) هي من الآلات التي تعرف بها الساعات . ولم آلات أخرى في هذا المعنى مثل صندوق الساعات ،

دبة الساعات ، الرخامة ، المكحلة ، اللوح (انظر مفاتيح العلوم لجوارزي طبع ليدن ص ٢٣٥) .

له على الظاهر أجفانٌ مَحَجَّرَةٌ * ومُقَلَّةٌ دَمْعُهَا جَارٍ عَلَى قَدَرٍ .
 تُنْشِأُ لَهُ حَرَكَاتٌ فِي أَسَافِيلِهِ * كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ .
 وَفِي أَعَالِيهِ حُسَابٌ مُفَصَّلَةٌ * لِلنَّاطِلِينَ بِلَا ذَهْنٍ وَلَا نَظَرٍ .
 إِذَا بَكَى ، دَارَ فِي أَحْشَاءِهِ فَلَاكٌ * خَافِيَ الْمَسِيرِ ؛ وَإِنْ ، لَمْ يَتَّكِ لَمْ يَدْرِ .
 وَخُجِرَ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ أَلْفَقَهَا * مِنَ النَّهَارِ ، وَقَوْسُ اللَّيْلِ فِي السَّحَرِ .
 مُتَرَجِّمٌ عَنْ مَوَاقِيْتٍ يُحِبُّنَا * عَنْهَا فَيُوجِدُ فِيهَا صَادِقَ الْخَبَرِ .
 تُقْفِى بِهِ الْخَمْسُ فِي وَقْتِ الْوُجُوبِ وَإِنْ * غُطِّيَ عَلَى الشَّمْسِ أَوْ غُطِّيَ عَلَى الْقَمَرِ .
 وَإِنْ سَهَرْتُ لِأَسْبَابٍ تُورِقُنِي * عَرَفْتُ مَقْدَارَ مَا أَلْقَى مِنَ الْمَهْرِ .
 مُحَدِّثُ كُلِّ مِيقَاتٍ ، تَحْيِيهِ * ذُوؤُ التَّخْيِيرِ لِلْأَسْبَابِ وَالسَّفَرِ .

الباب الثاني

من القسم الثالث من القرن الأول

في الشهور والأعوام

نذكر في هذا الباب الشهور العربية ، وأشتقاقها ، والشهور العجمية ، ودخول بعضها في بعض ، والسنين القمرية ، والشمسية ، والنسي . ومعناه ، وما يجري هذا المجرى ، مما لخصناه أثناء المطالعة بعون الله تعالى وقدرته . وإياه أسأل التوفيق بكرمه ومنته !

١ — ذكر الشهور وما قيل فيها

الشهر إما طبيعي ، وإما أصطلاحي .

فالطبيعي هو مئة مسير القمر من حين يفارق الشمس إلى حين يفارقها مرة أخرى .

وقال آخرون : هو عود شكل القمر في جهة بينها إلى شكله الأول .

وأما الاصطلاح ، فهو مدة قطع الشمس مقدار برج من بروج الفلك . وذلك ثلاثون يوما ، وثلاث عشرين يوم بالتقريب . وهذا مذهب الروم ، والسراني ، والقرس والقيبط . والله سبحانه وتعالى أعلم !

٢ - ذكر الأشهر العربية

٥٧

(وما يختص بها من القول)

والأشهر العربية قسبان : قسم غير مستعمل ، وهو الذي وضعته العرب العاربة ؛ وقسم مستعمل ، وهو الذي وضعته العرب المستعربة . وكلا القسمين موضوع على الأشهر القمرية .

فأما القسم غير المستعمل ، فهو أسماء كانت العرب العاربة أصطلحوا عليها ، وهي : مؤتمر ، ناجر ، خَوَان ، صوان (ويقال فيه : بُصَان) ، رُئى ، أَيْدَة ، الأصم ، عَادِل ، نَاطِل ، وَاغْل ، وَرَنَة ، بُرَك .

وفي هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغة . والذي ذكرناه منها هو المشهور ، ويدل عليه قول الشاعر :

بمؤتمِرٍ وناجِرٍ أبْتَدَأْنَا * وبانْخَوَانٍ يَنْبَغُهُ البُصَانُ
ورُئى ثُمَّ أَيْدَةُ نَلِيهِ * تَعُودُ أَصَمُّ صَمٍّ بِهِ السَّنَانُ
وعادله وناطله جميعاً * وواغله فهم غُرَّرَ حِسَانُ
وورَنَةٌ بعدها بُرَكٌ فتمت * شهورُ الحولِ يَفْقدها البَتَانُ .

١٥

§ وأما التقسم المستعمل، فهو هذه الأسماء المشهورة :

المَحْرَمُ، صَفَرُ، الرِّيعَانُ، الْجُمَادَيَانِ، رَجَبُ، شَعْبَانُ، رَمَضَانُ، شَوَّالُ، ذُو الْقَعْدَةِ، ذُو الْحِجَّةِ .

- قيل : وإنما وضعوا هذه الأسماء على هذه الشهور لانها في حالات وقعت في كل شهر، فسمى الشهر بها عند ابتداء الوضع . فسموا المحرم محزما : لأنهم أغاروا فيه فلم ينصحوا، فحزمو القتال فيه، فسموه محزما . وسموا صَفَرًا : لِصَفَرِ بَيوتهم فيه منهم عند خروجهم إلى الغارات . وقيل : لأنهم كانوا يُغيرون على الصُفَرِيَّةِ، وهي بلاد . وشهرا ربيع : لأنهم كانوا يُحْصِبُونَ فيهما بما أصابوا في صفر، والربيع الحُصْبُ . والجُمَادَيَانِ : من جمد الماء، لأن الوقت الذي سمي فيه بهذه التسمية كان الماء جامدا فيه لبرده . ورجب : لتعظيمهم له . والترجييب التعظيم . وقيل : لأنه وسط السنة فهو مشتق من الرواجب، وهي أنامل الأصابع الوسطى . وقيل : إن العود رجب النبات فيه أى أنرجه، فسمى بذلك . وكذلك تشعب العود في الشهر الذى يليه، فسمى شعبان . وقيل : سمي بذلك لتشعبهم فيه للغارات . وسمى رمضان . أى شهر الحر . مشتق من الرمضاء . وشَوَّالُ، من شالت الإبل أذئابها إذا حالت، أو من شال يشول إذا ارتفع . وذو القعدة : لقعودهم فيه عن القتال إذ هو من الأشهر الحرم . وذو الحجة ، ١٥ لأن الحج آتفق فيه، فسمى به .

ويقال إن أول من سماها بهذه الأسماء، كلاب بن مُرَّة .

ومن مجموع هذه الأشهر أربعة حرم، ثلاثة سَرَدٌ، وهي : ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب .

هذا ما رواه الأصمعي عن العرب في ترتيب الأشهر الحرم، وأختار غيره أن الواحد الفرد هو المحرم، والسرد رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، لتكون الأربعة أشهر في سنة واحدة. وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومنها أربعة أشهر لا تكاد العرب تنطق بها إلا مضافة، وهي: شهر ربيع، وشهر رجب، وشهر رمضان^(١).

فهذه الشهور العربية وما قيل فيها.

٣ - وأما شهور اليهود

فاسمائها:

تثري، مرحشوان، كسلاو، طابات، شباط، آذار، نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول.

٤ - وأما الشهور العجمية

فإنها شمسية. وهي أقسام، بحسب الأسم التي تنسب إليهم.

فإنها الشهور القبطية، وتنسب للقبطيانوس. وكل شهر منها ثلاثون يوما. وما فضل من عدد أيام السنة الشمسية جعلوه كبسا في آخر شهر منها، وهي:

توت، باب، هاتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمها، برمودة، بشنس، بؤنه، أبيب، مسرى.

وأول توت يكون النوروز. وفي أول يوم من كيهك تدخل الأرمينيات، وهي أربعون يوما باردة تؤخذ بالشتاء. وفي الرابع من برمودة تدخل الخمسينيات، وهي أيام حارة تؤخذ بالصيف.

(١) أي لا يقال: ربيع الأول، ربيع الثاني، رجب، رمضان، بل يضيفون إلى كل منها لفظة "شهر".

§ ومنها شهور السريان والروم . وهما متفقان في الممد والتحول . والسريانيون ينسبون شهرهم لأغسطس^(١)، وهو قيصر . وهذه الشهور منها ما ينقص عن الثلاثين، ومنها ما يوفيها، ومنها ما يزيد عليها . وفيها يقول الكزافي :

شهورُ الروم ألوانُ : * زياداتٌ ونقصانُ .

فثلاثونُ الشهرُ الثاني ، * وأيلولُ ونيسانُ .

ثلاثون ، ثلاثون ، * سَواءُ، وحَيرانُ .

وأشباطُ ثمانٌ بعشرونَ له شأنُ .

والسبعة التي تركها، كل شهر منها يزيد يوما .

ويضع لها بعض المغاربة ضابطا، وهو حروف معجزة ومهملة يجمعها في أربع كلمات، وهي : "فَأَزْ رَجُلٌ خَتَمَ بَحْجَ" . وجمعها آخر في مثل ذلك فقال : "غاب عنك زيدٌ خَجْ" . فما كان معجبا فهو أحد وثلاثون يوما، وما كان مهملا فهو ثلاثون، والشهر الموافق للألف ثمانية وعشرون .

وأول سنة السريان ثشرين الأول . ودخوله رابع بابه، ويوافق أكتوبر من شهور الروم، وهو أحد وثلاثون يوما؛ ثم ثشرين الثاني، ودخوله في الخامس من هاتور، ويوافقهُ نوفمبر من شهور الروم^(٢)، وهو ثلاثون يوما؛ ثم كانون الأول، ودخوله في الخامس من كيهك^(٣)، ويوافقهُ ديسمبر من شهور الروم، وهو أحد وثلاثون يوما؛

(١) هو القيصر الروماني المشهور، تُلَاعِنُ اللاتينية Augustus . ولكن العرب حينما عربوا الشهر المعروف باسمه أكتفوا بقولهم أغسطس (August) لتبميز بين القطين . وأما نحن في هذه الأيام فقد تركنا هذا القاري وقول في تسمية هذا الشهر "أغسطس" أيضا .

(٢) Novembre . وقول في مصر الآن نوفمبر .

(٣) Décembre . وقول في مصر الآن ديسمبر .

ثم كانون الثاني، ودخوله في السادس من طوبه، ويوافقته ^(١٢) ينير من شهر الروم، وهو أول سنتهم، وبعد أيامه أحد وثلاثون يوما، ثم شباط، ودخوله في السابع من أمتير ^(١٣) ويوافقته فبراير من شهر الروم، وهو ثمانية وعشرون يوما وربع يوم، ثم آذار، ودخوله في الخامس من برمها، ويوافقته مارس من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما، ثم نيسان، ودخوله في السادس من برمودة، ويوافقته أبريل من شهر الروم، وهو ثلاثون يوما، ثم أيار، ودخوله في السادس من بشلس، ويوافقته مايه من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما، ثم حزيران، ودخوله في السابع من بؤونة، ويوافقته يونيو من شهر الروم، وهو ثلاثون يوما، ثم تموز، ودخوله في السابع من أبيب، ويوافقته يولييه من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما، ثم آب، ودخوله في الثامن من مسري، ويوافقته أغشت من ^(١٤) شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما، ثم أيلول، ودخوله في الرابع من توت، ويوافقته ستنبر من شهر الروم، وهو ثلاثون يوما.



§ ونظم بعض الشعراء أرجوزة في مداخلة الشهور، فقال :

وإن حِفِظْتَ أَشْهُرَ السَّرْيَانِ * وَكُنْتَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى بَيَانِ.
وَرُمْتَ مِنْهَا عَمَلَ الْمَنَازِلِ * فَإِنَّهَا مَعْلُومَةُ التَّدَاخِلِ.

(١) Janvier . ويقول في مصر الآن يناير . (وقد كان عربيه المرحوم رفاعه بك يقول : "ينويه")

خير إن هذا الاصطلاح لم يُعمل به .

(٢) Février . ويقول في مصر الآن فبراير (مع الإشباع) .

(٣) أنظر حاشية رقم (١) من صفحة ١٦٠

(٤) قول الآن في مصر "سبتمبر" مجازاة للنطق الفرنسي الحديث Septembre . على أنهم يقولون

"ست" عند ما يريدون للسبعة Sept بإهمال حرف الباء، فإذا أرادوا السجين لفظوا بالياء .

- أول يبدو رابعاً من ثوث * هذا بحكم النظر المتيقن .
وهكذا تشرين وهو الأول * من بابة أربعة تكمل .
أول تشرين الأخير يدخل * ومن هتور خمسة يارجل .
أول كانون وأعنى الأول * وخامس من كيهك تعديلا .
أول كانون الأخير سادس * من طوبة فيها يقيس القانس .
ومن شباط أول يوافي * سابع أمشير بلا خلاف .
أول آذار حساب صادق * من برمهات خامسا يوافق .
برمودة سادسه وأول * نيسان وفق ليس عنه معدل .
أول أيار بغير ليس * يوافق السادس من بشنس .
بؤونة وافق منه سابعه * أول حزيران لما يتابعه .
أول تموز على الترتيب * يدخل في الساج من أييب .
أول آب ثامن من مسرى * العلم بالمرء اللبيب أحرى .

وقال بعض الشعراء في مثل ذلك :

- مضى تشا معرفة الدخايل * من أول الثهور في المنازل .
فعد من توت بلا تطويل * أربعة فهي أبداً أول .
وبابة كذاك من تشرين * الأول السابق في الستين .
والخامس المعلوم من هاتور * أول تشرينهم الأخير .
أول كانون بغير دلسه * إذا نقصت من كيهك خمسة .
وطوبة إن مرة منه ستة * أذاك كانون الأخير بقته .

ومن شباط أول يوافق * سابع أمشير، حساباً صادقاً .
 أول آذار إذا جمَلته * لبرمهاث خامساً وجدته .
 أول نيسان لدى التجريد * السادس المَعْدود من برمود .
 ومثله أيار مع بشنس * واحدة مقرونة بخمس .
 أما حزيران فيحسبونه * من أول السابع من يؤونه .
 كذلك السابع من أيّيب * أول تموز بلا تكذيب .
 أول آب عند من يحصل * ثامن مسرى ذاك المأبىهمل .



وأما شهر الفرس، فهي موافقة لشهور القبط في العدد. لأن كل شهر منها ثلاثون يوماً، إلا أبان ماه، وهو الشهر الثامن، فإنهم يضيفون إليه خمسة أيام لأجل النسيء، ويسمونهم الاندركاه . ولكل يوم من أيام الشهر اسم خاص، يزعمون أنه اسم ملك من الملائكة موكل به . فاسماء المشهور منها : أفريون ماه (وهو رأس سنتهم)، أرديهشت ماه، حرداد ماه، تير ماه، ترد ماه، بر ماه، مهر ماه، أبان ماه، ادر ماه، دى ماه، بهمن ماه، اسفندار ماه . ويعنون بقولهم "ماه" القمر .



المثل - قول بعض الشعراء :

شهور يقضين وما شعرنا * بأنصاف لمن ولا سرار

• — ذكر ما يختص بالسنة من القول

وما جاء من اختلاف الأئم في ابتدائها وأتمائها، والفرق بين السنة والعام

§ أما الفرق بين السنة والعام، فإنهم يقولون "سنة جَدْب" و"عام خَصْب". قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْمُرُونَ﴾.

والصحيح أنهما آسمان، وضوعان على مسمى واحد. قال الله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا نَحْسِينَ عَامًا﴾.

§ والسنة طيعية، وأصطلاحية.

فالطيعية قرية، وأولها استهلال القمر في غرة المحرم، وأنسلاخها بسراره في ذى الحجة. وهي اثنا عشر شهرا، وعدد أيامها ثلثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما ونحوه. وسدس يوم تقريبا، ويتم من هذا الخمس والسدس في ثلاث سنين يوم، فتصير السنة في الثالثة ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما. ويبقى شيء يتم منه وهن خمس اليوم وسدسه المستأنف في السنة يوم واحد إلى أن يبقى الكسر أصلا بأحد عشر يوما عند تمام ثلاثين سنة. وتسمى تلك السنين كجائس العرب.

وأما السنة الاصطلاحية فإنها شمسية، وعدد أيامها عند سائر الأئمة ثلثمائة يوم وخمسة وستون يوما وربع يوم. فتكون زيادتها على السنة العربية عشرة أيام ونصف يوم وربع يوم وثمن يوم ونحوه من خمس يوم.

ويقال: إنهم كانوا في صدر الإسلام يسقطون عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة عربية سنة، ويسمونها الأزدلاف. لأن كل ثلاث وثلاثين سنة قرية اثنتان

وثلاثون سنة شمسية تقريبا . وذلك لتحزيم من الوقوع في النسيء الذي أخبر الله عز وجل أنه زيادة في الكفر . وهذا الأزدلاف هو الذي نسميه في عصرنا هذا بين كتاب التصرف " التحويل " . لأننا نحول السنة الخراجية إلى الهلالية ، ولا يكون ذلك إلا بأمر السلطان .

• § وسنة العالم — على ما آتفق عليه المتجمون — هي من حين حلول الشمس رأس الحمل ، وهو الاعتدال الربيعي . ومنهم من يجعل أولها من حين حلول الشمس رأس الميزان ، وهو الاعتدال الخريفي .

§ وأبتداء سنة القبط قطع الشمس اثنتي عشرة درجة من السنبلة ، وأبتدؤا بفعل ذلك في زمن أغسطس ، وهو قيصر الأول على ما ذكره أصحاب الزيجات .

• § وأما القُرْس ، فأقول سنتهم عند حلول الشمس أول نقطة من الحمل ^(١) .

• § وأما السريانين ، فأقول سنتهم عند قطع الشمس من الميزان ست عشرة درجة .

٦ — ذكر النسيء ومذهب العرب فيه

يقال إن عمرو بن لُحَيٍّ ، وهو نخاعة — ويقال اسمه عمرو بن عامر الخزاعي — هو أول من نَسَأَ الشهور ، وبحر البحيرة ، وسَيَّبَ السائبة ، وجعل الوصيلة ، والحائى . وهو أول من دعا الناس إلى عبادة هُبَلٍ ، قدم به معه من هيت .

ومعنى النسيء أنهم يُنْسِئُونَ الحرم إلى صَفَرٍ ، ورجب إلى شعبان .

(١) وهذا اليوم هو عيد تروزم إلى الآن .

وكان جملة ما يعتقدونه من الدين تعظيم الأشهر الحرم الأربعة، وكانوا يتعرجون فيها من القتال، وكانت قبائل منهم يستبجحونها فإذا قاتلوا في شهر حرام، حرموا مكانه شهرا من أشهر الحلال، ويقولون نبي الشهر.

وحكى ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) أن أول من نسأ الشهور على العرب، وأحل منها ما أحل، وحرم ما حرم، القامس. وهو حذيفة بن قيس بن عامر بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة.

ثم قام بعده ولده عباد، ثم قام بعد عباد ابنه قلع، ثم قام بعد قلع ابنه أمية، ثم قام بعد أمية ابنه عوف، ثم قام بعد عوف ابنه أبو ثمامة جنادة، وعليه ظهر الإسلام. فكانت العرب إذا فرغت من حجها، اجتمعت عليه بغير، فقام فيها على جبل، وقال بأعلى صوته: «اللهم إني لا أخاف ولا أعاف^(١)، ولا مرء لما قضيت! اللهم إني أحللت شهر كذا (ويذكر شهرا من الأشهر الحرم، وقع آفاقهم على شق الفارات فيه) وأنساه إلى العام القابل (أي أنزل تحريمه) وحرم مكانه شهر كذا من الأشهر البواقى!» وكانوا يحلون ما أحل، ويحرمون ما حرم.

وفي ذلك يقول عمرو بن قيس بن جئل الطعان، من أبيات يفخر:

أَلَسْنَا النَّاسِيَيْنِ عَلَى مَعَدٍّ «شُهور الحِلِّ، بجعلها حراماً»

وحكى السهيلي في كتابه المترجم «بالروض الأنف» أن نسي العرب كان على ضربين: أحدهما تأخير المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شق الفارات وطلب النار، والثاني تأخير الحج عن وقته تحزبا منهم للسنة الشمسية. فكانوا يؤخرونه في كل عام

(١) في اللسان: «أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يرد لي قضاء».

أحد عشر يوماً حتى يدور الدور في ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته . فلما كانت السنة التاسعة من الهجرة ، حج بالناس أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) فوافق حجه في ذى القعدة ، ثم حج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في العام القابل فوافق عود الحج إلى وقته في ذى الحجة كما وضع أولاً . فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حجه ، خطب فكان مما قال في خطبته (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ " . يعني أن الحج قد عاد في ذى الحجة .

٧ - ذكر المنين التي يضرب بها المثل

يُضْرَبُ المثل :

§ عام الجراد . كان سنة ثمان من الهجرة :

١٠ § عام الحزن . وهي السنة التي مات فيها أبو طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وخديجة (رضى الله عنها) وهي سنة عشر من الهجرة ، وكان موتها بعده بثلاثة أيام وقيل بسبعة .

١٥ § عام الرمادة . كان سنة ثمانى عشرة من الهجرة . في خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) . أصاب الناس فيه قحطٌ حتى صارت وجوههم في لون الرماد من الجوع . وقيل : كانت الريح تسمى تراباً كالرماد لشدة يُمَسُّ الأرض . على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في " التاريخ " .

§ عام الرعاف . كان سنة أربع وعشرين من الهجرة ، سمي بذلك لكثرة ما أصاب الناس فيه من الرعاف .

§ عام الجماعة . كان سنة أربعين من الهجرة . فيه سلم الحسن بن علي (رضي الله عنهما) الخلافة لمعاوية ، فاجتمعت الكلمة فيه .

§ عام الجحاف . كان سنة ثمانين من الهجرة ، وقع بمكة سيل عظيم ذهب بالإبل وعليها الخول .

- § عام الفقهاء . وهو سنة أربع وتسعين من الهجرة . فيها مات علي بن الحسين زين العابدين ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنهم) وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن يسار ، وسعيد بن زيد بن ثابت . وفيه قتل الجراح بن يوسف الثقفي سعيد بن جبير .

§ سنّيات خالد . يضربُ بها المثلُ في الجلب . وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث

- المعروف بابي مطير . كان قد تولى هشام بن عبد الملك المدينة سبع سنين توالى القعوط فيها حتى أجل أهل البوادي .

§ سنة عشر ومائة . مات فيها قرينان في الزهد : الحسن البصري ومحمد بن سيرين ، وقرينان في الشعر : جرير والفرزدق .

- § سنة ست ومجسين وثلاثمائة . مات فيها جماعة من الملوك ، وهم : شمكير بن زياد صاحب طبرستان وجرجان ، ومعر الدولة بن بويه ، وكافور الأخشيدي صاحب مصر ، ويقفور ملك الروم ، وأبو علي محمد بن إلياس صاحب كرمان ، وسيف الدولة ابن حمدان ممدوح المتني ، والحسن بن فيرزان صاحب أذربيجان .

الباب الثالث

من القسم الثالث من القرن الأول

١ - في الفصول وأزميتها

وفصول السنة أربعة : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء . ولكل فصل منها ثلاثة بروج ، وثلاثة أشهر ، وسبع منازل ، وموافقة من الطبائع الأربع .

١ - فأما فصل الربيع ، وهو عند العرب الصيف ، فطبعه حار رطب . ودخوله عند حلول الشمس برج الحمل ، والثور ، والحوزاء . وهذه البروج عندهم تدل على الحركة . وله من السن الطفولية والحداثة ، ومن الرياح الجنوب ، ومن الساعات الأولى والثانية والثالثة ، ومن القوى القوة الجاذبة ، ومن الأخلاط الدم ، ومن الكواكب القمر والزهرة ، ومن المنازل بعض القرع المقدم والقرع المؤخر ، والرشاء ، والسرطان ، والبطين ، والثريا ، والدبران ، وبعض المقعة . وعدد أيامه أربعة وتسعون يوما .

وحلول الشمس في الثاني عشر من آذار ، ويوافقته مارس من شهور الروم ، وفي السادس عشر من برمهات من شهور القبط ، وفي العشرين من آسفندار ماه من شهور الفرس . وإذا حلت الشمس برج الحمل ، آعتدل الليل والنهار ، وصار كل واحد منهما اثنتي عشرة ساعة . ثم يأخذ النهار في الزيادة ، والليل في النقصان .

وفي هذا الفصل تحرك الطبائع ، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء . فيطلع النبات ويثمر الأشجار وتورق ، ويبيض الحيوان للسفاد ، وتدوب الثلوج ، وتنبع العيون ، وتسيل الأودية .

ذكر ما قيل في وصف فصل الربيع وتشبيهه قفلاً وفتحاً .

فمن ذلك ما قاله الصنوبري :

ما الدهرُ إلا الربيعُ المُسْتَقْبِرُ إِذَا * جاءَ الربيعُ ، أُنَاكَ النُّورُ والنُّورُ .
فَالأَرْضُ يَاقُوتُهُ ، وَالْجَوُّ لُؤْلُؤُهُ ، * وَالنَّهْتُ فَيَرْوِجُ ، وَالْمَاءُ بُلُورُ .

وقال آخر :

إِشْرَبْ هَنِيئًا قَدْ أُنَاكَ زَمَانُ * مُتَعَطِّرٌ ، مُتَهَلِّلٌ ، نَشْوَانُ !
فَالأَرْضُ وَشَى ، وَالنَّسِيمُ مُعْتَبَرُ ، * وَالْمَاءُ رَاحٌ ، وَالطُّيُورُ قِيَانُ .

وقال الثعالبي :

أَطْلُبُ الرَّبِيعَ الْعَامَ قَدْ جَاءَ زَائِرًا * فِي الشَّمْسِ بَرَّازًا ، وَفِي الرِّيحِ عَطَارًا .
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُوَاجِهَ وَجْهَهُ * وَتَقْضَى بَيْنَ الْوَشْيِ وَالْمِسْكِ أَوَّارًا .

وقال آخر :

وَفَصَّلَ فَصَّلَ الرَّبِيعَ الرِّيَاضَ * عَقُودًا وَرَصَعَ مِنْهَا حُلِيًا .
وَفَانَّرَ بِالْأَرْضِ أَفْقَ السَّمَاءِ * فَحَلَّى الثُّرَى بِنُجُومِ الثُّرَيَّا .

وقال الحسن بن وهب :

طَلَعَتْ أَوَائِلُ لِلرَّبِيعِ فَنَشَرَتْ * نَوْرَ الرِّيَاضِ بِمَجْدَةٍ وَشَبَابٍ !
وَعَدَا السَّحَابُ يَكَادُ يَسْحَبُ فِي الثُّرَى * أَذْيَالُ أَجْنَحِ حَالِكِ الْخَلْبَابِ .
فَتَرَى السَّمَاءَ إِذَا أَجْدَرُ رِبَابُهَا * فَكُلَّمَا لَحَفَتْ جَنَاحُ غُرَابٍ .
وَتَرَى الْفُصُوفَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَشَتْ * مُلْتَفَّةً كَمَتَاعِ الْأَحْبَابِ .

وقال بعض فضلاء أصفهات في وصف فصل الربيع من رسالة ذكرها المهاد
الأصفهاني في الحرية :

أما بعد . فإن الزمان جَسَدٌ وفصلُ الربيع رُوحه ، وسِرُّ حِكْمَةِ إلهية وبه كَشَفَهُ
ووضوحه ؛ وعمر مقدور وهو الشببية فيه ، ومنهلٌ جَمٌّ وهو تيمره وصافيه ؛ ودَوَّحَةٌ
خَضِرَةٌ وهو يتعنها وجَنَّاها ، وألفاظُ مجموعة وهو نتيجتها ومعناها ؛ فمن لم يَسْتَوْ طِبَاعَهُ
نَسِيمُ هَوَانِهِ ، ولم يُدْرِك شِفَاءَ ذَاتِهِ في صَفَاءِ دَوَّانِهِ ؛ لم يَلْقَ لَطْعَمَ حَيَاتِهِ فَعَمًا ، ولم يجد
خَفَضَ حَظِّهِ مِنْ أَيَّامِهِ رَفْعًا .

٢ - وأما فصل الصيف ، فإن طبيعته الحرارة واليبس ، ودخوله عند حلول
الشمس برج السرطان ، والأسد ، والسنبلة .

وهذه البروج تدل على السكون . وله من السن الشباب ؛ ومن الرياح الصبا ؛
ومن الساعات الرابعة والخامسة والسادسة ؛ ومن القوى القوة الماسكة ؛ ومن
الأخلاق المِرَّةُ الصفراء ؛ ومن الكواكب المِزْجُ ، والشمس ؛ ومن المنازل بعض
الهُقْمَةِ ، والهُنْعة ، والنراع ، والنثرة والطُرف والجبهة (وهي أربعة عشر يوما) والخراتان
وبعض الصُرْفَةِ . وتنزل الشمس في برج السرطان في الرابع عشر من حزيران . وعدد
أيامه ثلاثة وتسعون يوما ، ويواقعه ينير من شهور الروم ؛ وفي العشرين من يؤونه ، وإذا
حلت الشمس برج السرطان ، أخذ الليل في الزيادة ، والنهار في التقصان ، والله أعلم .

ذكر ما قبل في وصف فصل الصيف وتشبيهه نظما وترا

فمن ذلك ما قاله ذو الرقة :

وَمَاجِرَةٌ حَرًّا وَأَقِيدُ * تَصَبَّتْ لِحَاجِبِهَا حَاجِبِي .
تَلَوُّدُ مِنَ الشَّمْسِ أَطْلَاقُهَا * لِيَأْذَ الْغَرِيمِ مِنَ الطَّالِبِ .
وَتَسْجُدُ لِلشَّمْسِ حَرًّا وَأَوْهَا * كَمَا يَسْجُدُ الْقَمَرُ لِلرَّاهِبِ .

وقال مسكين الدارمي .

وهاجرة ظَلَبْتُ كَأَنَّ ظَبَاءَهَا * إِذَا مَا اتَّقَتْهَا بِالْقُرُونِ مُجْبُودُ .
تَلَوْدُ سُؤْبُوبٍ مِنَ الشَّمْسِ فَوْقَهَا * كَمَا لَأَذَمَ حَرَّ السَّانِ طَرِيدُ .

وقال ابن الفقيمي :

فِي زَمَانٍ يَسْوِي الْوُجُوهُ بِحَرٍّ * وَيُذِيبُ الْجُسُومَ لَوْ كُنَّ صَخْرًا .
لَا تَطِيرُ النُّسُورُ فِيهِ إِذَا مَا * وَقَفَتْ شَمْسُهُ وَقَارِبَ ظَهْرًا .
وَبُودُ الْفَضْنِ النَّضِيرُ بِهِ لَوْ * أَنَّهُ مِنْ لِحَائِهِ يَتَعَرَّى .

وقال أيضا :

يَا لَيْلَةً بَتَّ بِهَا سَاهِدًا * مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَفَرَطِ الْأَوَارِ .
كَأَنِّي فِي جُنْحِهَا مُحَرَّمٌ * لَوْ أَنَّ لِلْعَوْرَةِ مِنِّي اسْتِئْزَارُ .
وَكَيْفَ لَا أُحْرِمُ فِي لَيْلَةٍ * سَمَاءُهَا بِالشَّهْبِ تَرْمِي الْحَارَ ؟

وقال آخر :

وَبِوَسْمِ سُمُومٍ خَلْتُ أَنَّ نَسِيمَهُ * ذَوَاتُ سُمُومٍ لِلْقُلُوبِ لَوَادِغُ ،
ظَلَلْتُ بِهِ أَشْكُو مُكَابَدَةَ الْمَوِي * فَكُوزِي مَلَأَنِي وَمَانِي قَارِغُ .

وقال محمد بن أبي الثياب ، شاعر اليتيمة :

وَهَا جَرِيَّةٌ تَسْوِي الْوُجُوهُ كَأَنَّهَا * إِذَا لَفَعَتْ خَدَّيْ نَارَ تَوَجُّجِ .
وَمَاءُ كَلُونِ الزَّبِيتِ مِلْحٌ كَأَنَّهُ * يُوَجِدِي بِقَلْبِي أَوْ يَهْجِرُكَ يُنْزِجِ .

وقال النعماني :

رَبِّ يَوْمٍ هَوَاؤُهُ يَتَلَطَّى * فَيَحَاكِي فُؤَادَ صَبٍّ مَتَّيْمِ .
قُلْتُ إِذْ صَكَ حُرٌّ وَجْهِي : * «رَبَّنَا أَصْرَفْنَا عَنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ» !

وبما وصف به من الشر قول بعضهم :

أَوْقَدَتِ الظَّهِيرَةُ نَارَهَا ، وَأَذَكَّتْ أَوَارَهَا ؛ فَأَذَابَتْ دِمَاحَ الضَّبِّ ، وَأَلْهَبَتْ قَلْبَ
الضَّبِّ ؛ هَاجِرَةً كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ ، إِذَا اشْتَعَلَتْ بَنِيرَانِ الْفِرَاقِ ؛ حَرٌّ تَهْرُبُ لَهُ
الْحَرَبَاءُ مِنَ الشَّمْسِ ، وَتُسْتَجِيرُ بِمُتَرَاكِبِ الرَّمْسِ ؛ لَا يَطْلُبُ مَعَهُ عَيْشٌ ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ
سِرَجٌ وَلَا خَيْشٌ ؛ فَهُوَ كَقَلْبِ الْمَهْجُورِ ، أَوْ كَالْتَنُورِ الْمَسْجُورِ .

٣ — وَأَمَّا فَصْلُ الْخَرِيفِ — فَإِنَّ طَبْعَهُ بَارِدٌ يَابِسٌ ؛ وَدُخُولُهُ عِنْدَ جُلُودِ
الشَّمْسِ بِرَأْسِ الْمِيزَانِ وَالْمَقْرَبِ وَالْقَوْسِ .

وهذه البروج تدل على الحركة ؛ وله من السن الكُھُولَةُ ؛ وَمِنَ الرِّيحِ الشِّتَاءُ ؛
وَمِنَ السَّاعَاتِ السَّابِعَةُ وَالثَّامِنَةُ وَالتَّاسِعَةُ ؛ وَمِنَ الْقُوَى الْقُوَّةُ الْمَاضِيَةُ ؛ وَمِنَ الْأَخْلَاطِ
الْمِرَّةُ السُّودَاءُ ؛ وَمِنَ الْكَوَاكِبِ زُحَلٌ ؛ وَمِنَ الْمَنَازِلِ بَعْضُ الصَّرْفَةِ وَالْعَوَاءُ وَالسَّامَكُ
وَالْقَفَرُ وَالزَّيْبَانِيَّانِ وَالْقَلْبُ وَبَعْضُ الشُّوْلَةِ ؛ وَعِدَدُ أَيَّامِهِ تِسْعَةٌ وَثَمَانُونَ يَوْمًا ؛ وَيَكُونُ
حُلُولُ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فِي الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ أَيْلُولٍ ، وَيُؤَاقِفُهُ سِتْتُمْ مِنْ شَهْرِ الرُّومِ ،
وَفِي الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ تَوْتِ .

وَفِي هَذَا الْفَصْلِ يَبْدُو الْهَوَاءُ ، وَيَتَغَيَّرُ الزَّمَانُ ، وَتُصْرَمُ الثَّمَارُ ، وَيَنْفَرُ وَجْهُ الْأَرْضِ ،
وَيَصْفَرُّ وَرَقُ الشَّجَرِ ، وَتَهْزِلُ الْبَهَائِمُ ، وَتَمُوتُ الْهَوَامُ ، وَتُفْجَرُ الْحَشَرَاتُ ، وَتَطْلُبُ الطَّيْرُ
الْمَوَاضِعَ الذَّفَنَةَ ، وَتَصِيرُ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا كَهْلَةٌ مَدْبَرَةٌ .

وَيَقَالُ : فَصْلُ الْخَرِيفِ رُبِيعُ النَّفْسِ كَمَا أَنَّ فَصْلَ الرَّبِيعِ رُبِيعُ الْعَيْنِ .

وَأَنَّهُ أَعْلَمُ .

ذكر ما قيل في وصف فصل الخريف وتشبيهه نظرا وترا .

فمن ذلك ما قاله الصنوبري ، عفا الله عنه :

ما قَضَى في الربيع حَقَّ المَسَرِّ * تِ مُضِيعُ زَمَانِهِ في الخريف .
نَحْنُ مِنْهُ عَلَى تَلَقُّ شِتَاءٍ * يُوجِبُ القَصْفَ أو ودَاعَ مَصْنِف .
في قَيْصٍ مِنَ الزمانِ رَقِيفِي * وِرْدَاءٍ مِنَ الهَوَاءِ خَفِيف .
يَرْعُدُ المَاءُ مِنْهُ خَوْفًا إِذَا مَا * لَمَسَتْهُ يَدُ النِّسِيمِ الضَّعِيف .

وقال عبد الله بن المعتز :

طَابَ شَرْبُ الصُّبُوحِ في أيلول ! * بَرَدَ الظِّلُّ في الضُّحَى والأَصِيل !
وَحَبَّتْ بَحْرَةُ الهَوَاحِرِ عَنَّا ، * وَأَسْتَرَحْنَا مِنَ النِّهَارِ الطَّوِيل .
وَتَرَحَّنَا مِنَ السُّمُومِ إِلَى بَرٍّ * دِ نَسِيمٍ ، وَطِيبِ ظِلِّ ظَلِيل .
وَشَمَّالٍ تَبَشِّرُ الأَرْضَ بِالقَطْرِ كذيل الغِلَالَةِ المَبْلُول .
فكَأَنَّا نَزْدَادُ قُرْبًا إِلَى الجَنَّةِ في كُلِّ شَارِقٍ وَأَصِيل .
وَوُجُوهُ البَقَاعِ تَتَنَظَّرُ النِّيْتَ أَنْتَظَارَ الحُبِّ رَدَّ الرُّسُول .
تَبْتَغِي غَلَّةً لِتَعْمَلَ رَوْضًا * بِكثِيرٍ مِنَ الحَيَا أَوْ قَلِيل .

وقال آخر :

إِشْرَبَ عَلَى طِيبِ الزَّمَانِ قَدْ حَدَا * بِالعَصْفِ مِنَ أيلولٍ أَسْرَعُ حَدَا .
وَأَسْتَمْنَا بِالأَلْبِيلِ بَرَدَ نَسِيمِهِ * فَارْتَحَلَتِ الأَرْوَاحُ مِنَ الأَجْسَادِ .
وَأَفَاكَ بِالأَنْدَاءِ قُدَامَ الحَيَا * فَالْأَرْضُ لِلْمَطَارِ في أَسْتَعْدَادِ .
كَمْ فِي صَمَائِرِ رَبِّهَا مِنْ رَوْضَةٍ * بِمَسِيلِ مَاءٍ أَوْ قَرَارَةٍ وَادِ .
تَبْدُو إِذَا جَادَ السَّحَابُ بِقَطْرِهِ * فَكَأَنَّمَا كَانَا عَلَى مَيْدَادِ .

وقال آخر :

لَا تَصْخَ لِّلْوَمِ ابْنُ الْوَمِ تَضْلِيلُ ۝ وَأَشْرَبَ فِي الشَّرْبِ لِأَحْزَانِ تَحْلِيلُ .
 قَدْ مَضَى الْقَبْضُ وَاجْتُنَّتْ رَوَاحِلُهُ ، ۝ وَطَابَتْ الرَّاحُ لِمَا آلَ أَيْلُولُ .
 وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ نَبْتُ يَسْتَكِي رَمْدًا ۝ إِلَّا وَنَاطِرُهُ بِالطَّلِّ مَكْحُولُ .
 وقال آخر يذمّه :

خَذْ بِالتَّدْثِيرِ فِي الْخَرِيفِ فَإِنَّهُ ۝ مُسْتَوْبِلٌ ، وَنَسِيمُهُ خَطَافُ .
 يَجْرَى مَعَ الْأَيَّامِ جَرَى نِقَاقِهَا ۝ لِصَدِيقِهَا "وَمَنْ الصَّدِيقُ يُخَافُ" !
 وما وصف به من الشر :

قال أبو إسحاق الصبائي يصفه :

١٠ الخريف أحج فصول السنة زمانا ، وأسهلها أوانا ، وهو أحد الاعتدالين ، المتوسطين
 بين الانقلابين ، حين أبدت الأرض عن ثمرتها ، وصرحت عن زيتها ، وأطلقت
 السماء حوافل أنوائها ، وتادنت بانسكاب مائها ، وصارت الموارد ، كُتُونِ الْمَبَارِدِ ؛
 صَفَاءً مِنْ كَدَرِهَا ، وَتَهْدُبًا مِنْ عَكْرِهَا ؛ وَأَطْرَادًا مَعَ نَفْعَاتِ الْمَوَاءِ ، وَحَرَكَاتِ الرِّيحِ
 الشَّجَوَاءِ ؛ وَآكَسَتِ الْمَاشِيَةُ وَبَرَهَا الْقَشِيبُ ، وَالطَّائِرُ رِيشَهُ الْعَجِيبُ .

وقال ابن شبيل :

١٥ كُلُّ مَا يَظْهَرُ فِي الرَّبِيعِ نُورُهُ ، فِي الْخَرِيفِ مُجْتَنَى نَمَارُهُ ؛ فَهُوَ الْحَاجِبُ أَمَامَهُ ،
 وَالْمُطْرِقُ قُدَامَهُ .

وقال ضياء الدين ابن الأثير الحزري عن الخريف يختصر على فصل الربيع :
 أنا الذي أتى بذهب السموم ، وإياب الغيوم ، واعتصار بنات الكروم ، وتكاثر ألوان
 المشروب والمطعم ، وفي يترق صفاء الأشجار ، فتشبه القوابل بالاشجار ، وإياي ٢٠

هي الدهيات وتلك نسبة كريمة التجار، ومن ثمراتي ما لا تزال أمهاته حوامل،
وأورافه بضر وعيرها ذوابل، وقد شبه بالمصابيح وشبهت أغصانه بالسلاسل.

ولقد أنصف من قال :

مَحَامِسُ لِلْخَرِيفِ بَيْنَ فَخْرٍ * عَلَى زَمَنِ الرَّبِيعِ، وَأَيُّ فَخْرٍ !
بِهِ صَارَ الزَّمَانُ أَمَامَ بَرْدٍ * يُرَاقِبُ زَحَاهُ وَعَقِيبَ حَرٍّ .

؛ — وأما فصل الشتاء، فإن طبعه بارد رطب، ودخوله عند حلول الشمس
رأس الجدى والذئب والحوت .

وهذه البروج تدل على السكون . وله من السن الشيخوخة ؛ ومن الرياح الذبور ؛
ومن الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ؛ ومن القوى القوة الذافعة ؛
ومن الاخلاط البلغم ؛ ومن الكواكب المشتري وعطارد ؛ ومن المنازل بعض النولة
والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السمود وسعد الأخبية وبعض
الفرغ المقدم ؛ وعدد أيامه تسعة وثمانون يوما .

ويكون حلول الشمس برأس الجدى في الثالث عشر من كانون الأول، ويوافقه
دجنبر من شهور الروم ؛ وفي السابع عشر من كيهك من شهور القبط . وإذا حلت
الشمس ببرج الجدى يشتد البرد، ويخشن الهواء، ويتساقط ورق الشجر، وتنجس
الحيوانات، وتضعف قوى الأبدان، وتكثر الأنواء، ويُظلم الجو، وتصير الدنيا كأنها
عجوز هزيمة قد دنا منها الموت .

وروى عن علي (رضي الله عنه) أنه قال : "تَوَقَّوْا البرد في أوله، وتَلَقَّوْهُ في آخره،
فإنه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار : أوله يُحْرِقُ، وآخره يُورِقُ" .

ذكر ما قيل في وصف فصل الشتاء ونسبته .

فمن ذلك ما قاله جرير شاعر الحماسة :

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَّةِ * لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ فِي ظِلْمَانِهَا الشَّمْسَ .
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ * حَتَّى يَلْقَى عَلَى خَوْثُومِهِ الذَّنْبَ .

وقال ابن حكيم البغدادي :

إِلَيْسَ إِذَا قَدِمَ الشَّتَاءُ بُرُودًا * وَأَفْرُسُ عَلَى رَنَمِ الْحَصِيرِ بُرُودًا .
الرَّيْقُ فِي الْهَوَاتِ أَصْبَحَ جَامِدًا * وَالذَّمْعُ فِي الْآفَاقِ صَارَ بُرُودًا .
وَإِذَا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كَأْسِكَ فِي الْهَوَا * عَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْعَقِيقِ عُقُودًا .
وَرَمَى عَلَى بَرْدِ الْمِيَاهِ طُبُورَهَا * تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسَّفُودَا .
يَا صَاحِبَ الْعُودَيْنِ لَا تَهْمِلْهُمَا * أَوْ قَدْ لَنَّا عُودًا، وَحَرَّكَ عُودًا !

وقال آخر :

وَيَوْمَنَا أَرْوَاهُ قَرَّةٌ * نَحْمَشُ الْأَبْدَانَ مِنْ قَرِصِهَا .
يَوْمٌ تَوَدُّ الشَّمْسُ مِنْ بَرْدِهِ * لَوْ جَرَّتِ النَّارُ إِلَى قَرِصِهَا !

وقال عبد الله بن المعتز :

قَدْ مَنَعَ الْمَاءُ مِنَ الْإِيسِ * وَأَمَكَّنَ الْجَمْرُ مِنَ الْمَسِّ .
فَلَيْسَ تَلْقَى غَيْرَ ذِي رِطَّةٍ ، * وَمُسْلِمٌ يَسْجُدُ لِلشَّمْسِ !

وقال آخر :

لَيْسَ عِنْدِي مِنْ آلَةِ الْبَرْدِ إِلَّا * حُسْنُ صَبْرِي، وَرِعْدَتِي، وَقُتُوبِي .
فَكَيْفَ لِي شِدَّةُ الْبَرْدِ هِنَرٌ * يَقْبُ الرِّيحُ الشَّمْسَ فِي أَوَانِ الطُّلُوعِ .

(١٥)

وقال ابن سكرة الهاشمي، عفا الله تعالى عنه ورحمه :

قبل : ما أعلدت للبر * د وقد جاء بشده ؟
قلت : دراعة برد * تحتها جبة رعدة .

وقال أبو سعيد الخزومي :

إذا كنت في بلدة نازلاً * وحل الشتاء حلول المقيم ،
فلا تبرزت إلى أن ترثي * من الصحو يوماً صحيح الأديم .
فكم زلقة في حواشي الطريق * تزد الثياب بخزي عظيم !
وكم من لثيم غداً راجئاً * يحب البلاء لميش كريم !

وقال صاحب بن عباد :

أثي ركبت فكف الأرض كاتبة * على ثيابي سطوراً ليس تتكلم .
فالأرض مخبرة ، والخبر من لثقي * والطرس توبى ، ويمنى الأشهب القلم .
قال أبو علي كاتب بكر شاعر البتيمة :

يا بلدة أسلمني بردها * وبرد من يسكنها للقلق .
لا يسلم الشاي بها من أذى * من لثقي ، أو دمقي ، أو زلق .

ومما وصف به ثرا قول بعضهم :

إذا حلت الشمس برج الحدى مد الشتاء رواقه ، وحل نطقه ، ودبت عقارب
البرد لآسبه ، ونفع مذخور الكسب كاسبه .

ومن رسالة لابن أبي الخصال ، جاء منها :

الكلب قد صالح خيشومه ذنبه ، وأنكر البيت وطنبه ؛ والتوى التواء الحباب ،
وأستدار أستداره الغراب ؛ وجلده الحليد ، وضربه الضرب وصعد أنفاسه الصعيد ؛

خَمَاهُ مَبَاحٌ، وَلَا هَرِيرَ لَهُ وَلَا تَبَاحٌ، وَالنَّارُ كَالصِّدِيقِ، أَوْ كَالرَّحِيقِ، كَلَاهُمَا عَقَاءٌ مُقَرَّبٌ،
أَوْ نَجْمٌ مُقَرَّبٌ .

وقال بعضهم :

بَرْدٌ يُغَيِّرُ الْأَلْوَانَ، وَيَنْشِفُ الْأَبْدَانَ، وَيُجِدِّدُ الرِّيقَ فِي الْأَشْدَاقِ، وَالذَّمْعَ فِي الْأَمَاقِ،
بَرْدٌ حَالٌ بَيْنَ الْكَلْبِ وَهَرِيرِهِ، وَالْأَسَدِ وَزَنِيرِهِ، وَالطَّيْرِ وَصَفِيرِهِ، وَالْمَاءِ وَتَحِيرِهِ .
وقيل لبعضهم : أَيْ الْبَرْدُ أَشَدُّ؟ فَقَالَ : إِذَا دَمَعَتِ الْعَيْنَانِ، وَقَطَرَتِ الْمَخْرَانِ،
وَتَلَجَّحَ اللِّسَانُ، وَأَصْطَكَّتِ الْأَسْنَانُ .

ووصف ابن وكيع الفصول الأربعة في أرجوزة فقال :

عِنْدِي فِي وَصْفِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ * مَقَالَةٌ تُعْنِي اللَّيْلِبَّ مُقْنَعَةً .

ذكر ما قيل في فصل السيف

١٠

أَمَّا الْمَصِيفُ، فَاسْتَمِعْ مَا فِيهِ * مِنْ فِطْنٍ يُفْهِمُ مَنَامِعِهِ .
فَصِلْ مِنَ الدَّهْرِ إِذَا قِيلَ حَضَرُ، * أَذْكَرَنَا بِحَزَنِهِ نَارَ سَقَرِ .
يَقْلُ فِيهِ الْقَلْبُ مُقْشَعِرًا، * وَالْأَرْضُ تَشْكُو نَحْرَهُ الْمَضْرَا .
أَوَّلُهُ فِيهِ نَدَى مُنْقَضٌ * كَأَنَّهُ عَلَى الْقُلُوبِ يَقْضِصُ .
يَلْصِقُ مِنْهُ الْجُلْدُ بِالنِّيَابِ * وَيَمْلَأُ التُّرَابُ بِالْأَنْوَابِ .
حَتَّى إِذَا مَا طَرَدَتْهُ الشَّمْسُ * وَفَرِحَتْ بَأَنِ يَزُولَ النَّفْسُ .
فَصَحَّتِ النَّارُ لَنَا أَبْوَابَهَا * وَشَبَّ فِيهَا مَالِكُ شَهَابَهَا .
حُرٌّ يَحِيلُ الْأَوْجُهَ الْغُرَاءَا * حَتَّى تُرَى الرُّومُ بِهِ حُبَشَانَا .
يَعْلُوهُ الْكَرْبُ وَيَسْتَدُ الْقَلَقُ * وَيَتَضَعُ الْأَبْدَانُ فِيهِ بِالْعَرَقِ .

١٥



تُبَصِّرُهُ فَوْقَ الْقَمِيصِ قَدْ عَلَا * حَتَّى تَرَى مُيَبَّضُهُ مُصَنَّدَلَا .
 إِنْ كَانَ رَمًا ، زَادَ فِي تَمْزِيغِهِ ؛ * أَوْ مُسْتَجِدًّا ، جَدَّ جَبَلِ زَيْغِهِ .
 ثُمَّ يُعِيدُ الْمَاءَ نَارًا حَامِيَةً * يَزِيدُ فِي كَرْبِ الْقُلُوبِ الصَّادِيَةِ .
 سَارِبُهُ يَكْرَعُ فِي حِمٍّ * كَأَنَّهُ مِنْ سَاكِي الْجَحِيمِ .
 يُنْسِيهِ مَا بَلَّغِي مِنَ الْهَيَاةِ * أَنْ يَحْمَدَ اللَّهُ عَلَى شَرَابِهِ ؛
 حَتَّى إِذَا أَعْيَا ، أَقْضَى نَهَارَهُ * وَأُرْخِثَ مِنْ لَيْلِهِ أَسْتَارَهُ ،
 تَحَرَّكَتْ فِي جُنَّتِهِ دَوَاهِي * سَارِبُهُ ، وَأَنْتَ عَنْهَا لَاهِي .
 مِنْ عَقْرِبَ يَسْعَى كَسْفَى اللَّصِّ * سِلَاحُهَا فِي إِثْرِهِ كَالشَّصِّ .
 وَجَبَةٍ تَنْهَتْ ثُمًّا قَاتِلًا * تُزَوِّدُ الْمَلْسُوعَ حَتْفًا عَاجِلًا .
 تُبَصِّرُ مَا يَجْلِدُهَا مِنَ الرُّقْشِ * كَوَجَنَةٍ مُصَفَّرَةٍ فِيهَا تَمْشِ .
 لَوْ تَهَشَّبَ بِالنَّابِ مِنْهَا الْخَصْرَا ، * لَنَشَرَّتْ مِنْهُ الْحَيَاةُ نَثْرَا .
 فَلَا تَقُلْ إِنْ جَاءَ يَوْمًا أَهْلًا * فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَصَلَا .

ذكر ما قيل في فصل الخريف

حَتَّى إِذَا زَالَ ، أَتَى الْخَرِيفُ : * فَصَلُّ بِكُلِّ سَوَاءٍ مَعْرُوفُ .
 أَهْوَنُهُ يُسْرِعُ فِي حَلِّ الْجَسَدِ * وَهُوَ كَطَعِ الْمَوْتِ يُسُّ وَبَرْدُ .
 يَجْنِي عَلَى الْأَجْسَامِ مِنْ أَقَابِهِ ، * وَأَرْضُهُ قَرَعَاءُ مِنْ نَبَاتِيَةِ .
 لَا يُحْكِنُ النَّاسُ أَثْقَاءَ شَرِّهِ * وَلَا خِلَافُ بَرْدِهِ وَحَرِّهِ .
 تُبَصِّرُهُ مِثْلَ الصَّبِيِّ الْأَرْعَنِ * مِنْ كَفَةِ الْعُشَاقِ وَالتَّلَوْنِ .
 فَانْتَ مِنْهُ خَائِفٌ عَلَى حَذَرٍ * لِأَنَّهُ يَمْزُجُ بِالصَّفْوِ الْكَدَرُ .

أَحْسَنُ مَا يُهْدَى لَكَ النَّسِيْمَ * يَقْلِبُهُ فِي مَسَاعِي سَمُومًا،
وهو على المَعْدُودِ مِنْ دُنُوِيهِ * خَيْرٌ مِنَ الصَّبِيفِ عَلَى عُيُوبِهِ.

ذكر ما قيل في فصل الشتاء.

حَتَّى إِذَا مَا أَقْبَلَ الشِّتَاءُ، * جَاءَتْكَ مِنْهُ عُجَّةٌ عَمِيَاءُ.
لَوْ أَنَّهُ رُوحٌ، لَكَانَ قَدَمًا * أَوْ أَنَّهُ نَخْلٌ، لَكَانَ جَهَمًا.
يَلْقَاكَ مِنْهُ أَسَدٌ يَزِيرُ * لَهُ وَعِيدٌ وَلَهُ تَحْذِيرُ.
تَأْتِيكَ فِي أَيَّامِهِ رِيَّاحُ * لَيْسَ عَلَى لَأَعْنَاهُ جُنَاحُ.
حَرَّاهُ لَيْسَ إِلَى سُنُكُونٍ * تَضُرُّهُ بِالِاسْتِمَاعِ وَالْعُيُونِ.
يَحْدُثُ مِنْ أَعْمَالِهَا الرُّكَامُ * هَذَا إِذَا مَا فَاتَكَ الصَّدَامُ.
ثُمَّ يَلِيهَا مَطَرٌ مُتَدَاوِمٌ * كَأَنَّهُ خَصَمٌ لَنَا مُلَازِمٌ.
يَقْطَعُنَا بَعْضًا عَنِ الطَّرِيقِ * وَعَنِ قَضَاءِ الْحَقِّ لِلصَّدِيقِ؛
وَرَبَّمَا نَحْرُ عَلِيكَ السَّقْفُ، * فَإِنْ عَفَا عَنْكَ أَمَّاكَ الْوَكُفُ.
وَإِنْ أَرَدْتَ فِي النَّهَارِ الشُّرْبَا * فِيهِ، فَقَدْ قَامَسَيْتَ خُطْبَا صَعْبَا.
وَأَحْصَيْتَ أَنْ تُوقِدَ فِيهِ نَارًا * تُطِيرُ بِهَا نَحْوَ الْحَدَقِ الشَّرَارَا.
يَبْرُكُ مُبِيضُ النَّيَّابِ أَرْقَطًا * يَمْحَى السَّعِيدَ لَكَ الْمُتَقَطَّا.
وَبَعْدَ ذَا مُسَدِّدِ النَّقَابَا * مِنْ خَوْفِهِ وَتُنْلِقُ الْأَبْوَابَا.
نَعَمْ، وَتُرِي دُونَهُ السُّتُورَا * حَتَّى تَرَى صَبَاحَهُ دَيُّمُورَا.
وَإِنْ أَرَدْتَ الشُّرْبَ فِي الظَّلَامِ * عَاقَلَكَ عَنْ تَنَاوُلِ الْمُدَامِ.
حَسْبُكَ أَنْ تَتَدَسَّ فِي الْخَافِ * مِنْ خَشْيَةِ الْبَرْدِ عَلَى الْأَطْرَافِ!
وَرَعْدُهُ يَسْغُلُ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ * وَيُؤْثِرُ النَّوْمَ وَيَسْتَعْلِي الْكَسَلَ.

حَتَّى إِذَا جِئْتَ إِلَى الرُّقَادِ ، ۞ نَمَتْ عَلَى فَرشٍ مِنَ الْقَتَادِ .
 إِنَّ الْبَرَاغِيَّتَ عَذَابٌ مُزِجٌ ۞ لِكُلِّ قَلْبٍ وَلِجِلْدٍ يَنْضِجُ .
 لَا يَسْتَلِدُّ جِلْدُكَ الْمَضَاجِعَا ۞ كَأَنَّمَا أَفْرَشُهُ مَبَاضِعَا .
 تَنَحَّ فَصْلًا فَوْقَ مَا ذَمَّمْتُهُ ۞ لَوْ أَنَّهُ يَظْهَرُ لِي ، قَتَلْتُهُ .
 حَتَّى إِذَا مَا هُوَ عَنَّا بَانَا ۞ وَزَالَ عَنَّا بَعْضُهُ ، لَا كَانَا !

ذكر ما قيل في فصل الربيع

جَاءَ إِلَيْنَا زَمَنُ الرَّبِيعِ ۞ بَغَاءُ فَصْلٍ حَسَنُ الْجَمِيعِ .
 لَبِيدِهِ وَحَرَّهُ بِمِقْدَارٍ ۞ لَمْ يَكْتَنِفْ حَدَّهُمَا إِكْتِنَارُ .
 عُدَلٌ فِي أَوْزَانِهِ حَتَّى أَعْتَدَلُ ۞ وَحَمِدَ التَّفْصِيلُ مِنْهُ وَالْجَمَلُ .
 نَهَارُهُ فِي أَحْسَنِ النَّهَارِ ۞ فِي غَايَةِ الْإِشْرَاقِ وَالْإِسْفَارِ .
 تَضَحَّكَ فِيهِ الشَّمْسُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ۞ كَأَنَّمَا فِي الْأَفْقِ جَامٌ مِنْ ذَهَبٍ .
 وَلَيْلُهُ مُسْتَطَظٌّ بِالنِّسِيمِ ۞ مُقَوِّمٌ فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ .
 أَبَدَرُهُ فَضْلٌ عَلَى الْبُدُورِ ۞ فِي حُسْنِ إِشْرَاقٍ وَفَرِيطِ نُورٍ .
 بَكَاءُهُ الْبَسَائِدِ فِي صَفَائِهَا ۞ أَذَابَتْ الْحَرَادَ فِي نَقَائِهَا .
 كَأَنَّمَا إِذَا دَتَّتْ مِنْ بَدْرِهِ ۞ جَوَازُوهُ قَبْلَ طُلُوعِ بَغْرِهِ .
 رُويَّةٌ حُلَّتْهَا زَرْقَاءُ ۞ فِي الْإِلِيدِ مِنْهَا دُرَّةٌ بَيَضَاءُ .
 هَذَا وَكَمْ تَجْمَعُ مِنْ أُمُورٍ ۞ إِطْرَافُ مُطِيرِيهَا مِنَ التَّنْشِيرِ .
 فِيهِ تَقْلُّ الطَّيْرُ فِي تَرْثَمٍ ۞ حَاقِظَةٌ بِالْعَيْنِ لَمْ تُعَلِّمْ .
 غِنَاؤُهَا دَوَّعُجِيَّةٌ لَا يَفْهَمُهُ ۞ سَامِعُهُ ۞ وَهُوَ عَلَى ذَا يَفْرَمُهُ .
 مِنْ كُلِّ دُبْسٍ لَهُ رَيْبٌ ۞ لِكُلِّ قَلْبٍ لَهُ رَيْبٌ ۞

فِي قُرْطَنِي أُعْجِلَ أَنْ يُورَدَا * خَاطَ لَهُ الْخِطَاطُ طَوَقًا أَسْوَدَا،
 تَبَصَّرَهُ مِنْهُ عَلَى الْخَيْرِ زَوْم * كَثِيلَ عَقْدِ سَبَّحٍ مَنظُوم،
 هَذَا وَفِيهِ لِلرَّيَاضِ مَنظَرٌ * يُفْشِي الثَّرَى مِنْ سِرِّهِ مَا يُضْمِرُ،
 سِرُّ نَبَاتٍ حُسْنُهُ إِعْلَانُهُ * إِذَا سِوَاهُ زَانَهُ كَيْفَانُهُ،
 فِيهِ ضُرُوبٌ لِنَبَاتِ النَّضِّ ^(١) * يَمْكِي لِأَسَاسِ الْجُنْدِ يَوْمَ الْعَرَضِ،
 مِنْ تَرْجِيْسٍ أبيضٍ كَالثُّغُورِ * كَأَنَّهُ مَخَاقِقُ الْكَافُورِ،
 وَرَوْضَةٍ تَزْهَرُ مِنْ بَنَفَسِجٍ * كَأَنَّهَا أَرْضٌ مِنَ الْقَبْرِ وَزَجِ،
 قَدْ لَيْسَتْ غِلَالَةٌ زَرْقَاءَ * وَكَأَيْدُتْ بِلَوْنِهَا السَّمَاءُ،
 يَضْحَكُ مِنْهَا زَهْرُ الشَّقِيقِ * كَأَنَّهُ مَدَاهِنُ الْعَيْقِي،
 مُضْمِنَاتٌ قِطْعًا مِنَ السَّبَّحِ * قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ أَحْمَارٍ وَدَسَّجِ،
 كَأَنَّهَا الْحُمُرُ فِي الْمُسَوِّدِ * مِنْهُ إِذَا لَاحَ عَيُونُ الرُّمَدِ،
 وَأَرَمَ عَيْنِيكَ إِلَى الْبَهَارِ * فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَزْهَارِ،
 كَأَنَّهُ مَدَاهِنُ مِنْ عَسَجِدٍ * قَدْ سَمِرَتْ فِي قُضْبِ الزُّبُرْجِدِ،
 فَاتَهَضَّ إِلَى اللَّهِوِ وَلَا تَحْتَلِفِ * فَلَسْتَ فِي ذَلِكَ بِالْمُعْنِفِ،
 وَأَشْرَبَ عُقَارًا طَالَتْ فِيهَا كَوْنُهَا * يَصْفَرُ مِنْ خَوْفِ الْمَزَاجِ لَوْنُهَا،

دُونَكَ هَذِي صِفَةُ الزَّيْمَانِ * مَشْرُوحَةٌ فِي أَحْسَنِ التَّبَيَّانِ!
 وَأَرْضٌ بِتَقْلِيدِي فَيَا قُلْتُه * فَاثْنِي أَدْرَى بِمَا وَصَفْتُهُ.

(١) لعله للنبات بالتحريف.

الباب الرابع

من القسم الثالث من القرن الأول

في ذكر مواسم الأم وأعيادها، وأسباب آتخاذهم لها، وما قيل في ذلك

والذي أوردته في هذا الباب، هو مما وقعت عليه أثناء مطالعتي للكتب الموضوعة فيه، ونقلته منها لما تعذر عليّ من ألقائه من فيه. وضمنته أعياد المسلمين، والقرس والنصارى، واليهود.

١ - ذكر الأعياد الإسلامية

والأعياد الإسلامية التي وردت بها الشريعة آثان: عيد الفطر، وعيد الأضحي. والسبب في آتخاذها، ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "أنه قدِمَ لمدينة، ولأهلها يومان يلعبون فيها، فقال: ماهذان اليومان؟ فقالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الله (عز وجل) قد بذلكم خيرا منهما، يوم الفطر، ويوم الأضحي". فأقول ما بدئ به من العيدين عيد الفطر، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة. وفيها كان عيد الأضحي.

وعيد أبتدعته الشيعة، وسموه عيد الغدير. وسبب آتخاذهم له مؤاخاة النبي (صلى الله عليه وسلم) على بن أبي طالب (رضي الله عنه) يوم غدير خم. والغدير على ثلاثة أيام من الجحفة بئر الطريق. قالوا: وهذا الغدير تصب فيه عين، وحوله شجر كثير ملتف بعضها ببعض. وبين الغدير والعين مسجد لرسول الله (صلى الله عليه وسلم). واليوم الذي أبتدعوا فيه هذا العيد هو الثامن عشر من ذي الحجة، لأن المؤاخاة كانت

(١) في صحيح الأعشى (ج ٢ ص ٧٠) ثلاثة أيام، وفي المعجم [بين وبين الجحفة ميلان].

فيه في سنة عشرة من الهجرة، وهي حجة الوداع. وهم يُحْيُونَ ليلتها بالصلاة، ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال. وشعارهم فيه لبس الحديد، وعقن الرقاب، وبر الأجناب، والذبايح.

وأول من أحدثه معز القتولة أبو الحسن علي بن بويه، على ما ذكره إن شاء الله تعالى في أخباره في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.

ولما أبدع الشيعة هذا العيد واتخذوه من مُنتَهَم، عمل عوام السنة يوم مرور نظير عيد الشيعة في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة. وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيام، وقالوا: هذا يوم دخول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) النار هو وأبو بكر الصديق (رضي الله عنه). وأظهروا في هذا اليوم الزينة، ونصب القباب، وإيقاد النيران.

٢ - ذكر أعياد الفرس

وأعياد الفرس كثيرة جداً. وقد صنف علي بن حمزة الأصفهاني فيها كتاباً مستقلاً ذكر فيه أعيادهم، وسبب اتخاذهم لها، ومنت ملوكهم فيها. وقد رأيت أن أقتصر على المشهور منها، وهي ثلاثة أعياد: التيروز، والمهرجان، والسبق.

١ - فاما التيروز، فهو أعظم أعيادهم وأجلها. يقال إن أول من اتخذ جمشيد أحد ملوك الفرس الأول. ويقال فيه جمشاد، ومعنى جم القمر، وشاد الشعاع والضياء، وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن طهومت لما هلك، ملك بعده جمشاد. فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروز، أي اليوم الجديد.

ومن الفرس من يزعم أن التيروز اليوم الذي خلق الله (عز وجل) فيه النور، وأنه كان معظّم القدر عند جمشاد. وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ فيه الفلك بالدوران.

ومدته عندهم ستة أيام، أوتها اليوم الأول من شهر أفريدون ماه، الذي هو أول شهور سنتهم. ويسمون اليوم السادس الثوروز الكبير، لأن الأكاسرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس ثم ينتقلون إلى مجالس أنفسهم مع خواصهم.

- وحكى ابن المقفع أنه كان من عادتهم فيه أن يأتي الملك من الليل رجل جميل الوجه، قد أرصد لما يفعله، فيقف على الباب حتى يصبح. فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان. فإذا رآه الملك، يقول له: من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد؟ وما أسمك؟ ولأى شيء وردت؟ وما معك؟ فيقول: أنا المنصور، وأسمى المبارك، ومن قبل الله أقبلت، والملك السعيد أردت، وبالهناء والسلامة وردت، ومعى السنة الجديدة. ثم يجلس، ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة، وفيه حنطة، وشعير، وجلبان، وحمص، وسمسم، وأرز (من كل واحد سبع سنابل وتسع حبات) وقطعة سكر، ودينار ودرهم جديان. فيضع الطبق بين يدي الملك. ثم تدخل عليه الهدايا. ويكون أول من يدخل عليه وزيره، ثم صاحب الخراج، ثم صاحب المعونة، ثم الناس على طبقاتهم ومراتبهم. ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب، موضوع في سلة، فيأكل منه ويطعم من حضره. ثم يقول: هذا يوم جديد، من شهر جديد، من عام جديد، من زمان جديد، يحتاج أن نجد فيه ما أخلق من الزمان، وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء. ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم ويفرق فيهم ما يحل إليه من الهدايا.

وكانت عادة عوام الفرس فيه رفع النار في ليلته، ورش الماء في صبيحته.

وفي ذلك يقول المعوج:

كيف آتته جاك بالثيروز يأسكتني ؟ * وكل ما فيه يحكي وأحكيه !
فشاره كلهب النار في كيدي ! * وماؤه كسوالى عبرى فيه !

وقال آخر :

تورز الناس وتورز * ت، ولكن بدموع !
وذكرت نازهم، والنشار ما يت ضلوع !

٢ - وأما المهرجان، فوقعه في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهر
السريان، وفي السادس عشر من مرماء من شهر القرس .

وهذا الأوان وسط زمان الحريف، وفيه يقول بعض الشعراء :

أحب المهرجان لأن فيه * سرورا للوك ذوى السناء،
وبابا للصير إلى أولي * فتفتح فيه أبواب السماء .

وهو ستة أيام . ويسمى اليوم السادس المهرجان الأكبر . قال المنعوى :
وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم، أنهم كانوا يسمون شهرهم بأسماء ملوكهم .
وكان لهم ملك يسمى مهر، يسير فيهم بالعتف والعنف . فأت في نصف الشهر الذى
يسمونه مرماء، فسمى ذلك اليوم مهرجان، وتفسيره "نفس مهر ذهب" وهذه لغة
القرس الأول . وزعم آخرون أن "مهر" بالفارسية حفاظ و "جان" الروح .

وقد نظم عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ذلك، فقال :

إذا ما تحققت بالهجرى * ن من ليس يعرف معناه، غافلا،
ومعناه أن غلب القرس فيه * قسموه للرجح حقا حفاظا .

ويقال : إنما عمل في عيد أفيلون الملك، وأن معنى هذا الاسم "إدراك النار" .

وسبب آلتخاضهم له ، أن يوراسف (وهو الضحاك) ، ويقال له أزدحاق ذوالحيّتين والأقواء الثلاثة ، والأعين الستة ، الداهي الخبيث المتمرد ، لما قتل جمشاد ، وملك بعده ، غير دين المحوسية . وجاء إبليس في صورة خادم ، فقبل منكبيه ، فنبت فيهما حيتان ، فكان يُطعمهما أدمغة الناس . فأجحف ذلك بالربة ، فخرج رجل بأصبهان ، يقال له كابي ، ويقال فيه كايان . ودعا الناس إلى قتاله ، فأجتمع له خلق كثير . فشخص الضحاك لقتاله ، فهاب كثرة جمعه وفر منهم . فأجتمع الناس على كابي ليملكوه عليهم ، فأبى ذلك وقال : ما أنا من أهل الملك ، وأخرج صبيا من ولد جمشاد ، يسمى أفريدون وملكه ، فأطاعه الناس فيه وملكوه عليهم .

وخرج أفريدون في طلب الضحاك ليأخذ ثأر جمته فظفر به ، وجعل ذلك اليوم عيداً ، وسماه المهرجان . ويقال إن المهرجان هو اليوم الذي عقد فيه التاج على رأس أردشير بن بابك ، أول ملوك الفرس الساسانية .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز :

أخا الفرس إن الفرس تعلم أنه * لأطيب من نيروزها مهرجائها :

لإدبار أيام يئم هواؤها * وإقبال أيام يسر زمانها .

وكان منعب الفرس فيه أن يذبح ملوئهم بئهن البان تبركا ، وكذلك عوامهم ، وأن يلبس القصب والوشى ، ويتوج بتاج عليه صورة الشمس وحملتها الدائرة عليها ، ويكون أول من يدخل عليه المؤبدان يطبق فيه أثرجه ، وقطعة سكر ، ونبق ، وسفرجل ، وعناب ، وتُفتح ، وعُتودُ عنب أبيض ، وسبع طاقات آس قد زمزم عابها .

ثم يدخل الناس على طبقاتهم بمثل ذلك .

وكان أردشير، وأنوشروان يأمران بإخراج مافي خزائهم في المهرجان والنيروز من أنواع الملابس والفُرُش، فتُفَرَّقُ كُلُّهَا في الناس على مراتبهم، ويقولان : إن الملوك تستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء، وعن كسوة الشتاء في الصيف ، وليس من أخلاقهم أن يَتَجَبَّؤُوا كسوتهم في خزائهم ويساووا العامة في فعلها .

وزعم بعض أصحاب التاريخ أن النيروز عَمِلَتْهُ الفُرُش قبل المهرجان بألفي سنة وخمسمائة سنة .

٣ — وأما السَّدَقُ ، فإنه يعمل في ليلة الحادى عشر من شهر بهمن ماه . ويسمى هذا اليوم عندهم أبان روز، لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم أسما .

١٠ ويقال في سبب اتخاذهم له : إن فراسياب لما ملك ، سار إلى بلاد بابل وأكثر فيها الفساد، وخرَّب العمران . ففرج عليه دق بن طهماسب، وطرده عن مملكته إلى بلاد التُّرك . وكان ذلك في يوم أبان روز . فأتخذ الفُرُش هذا اليوم عيداً، وجعلوه ثالثاً ليوم النيروز، والمهرجان .

١٥ ويقال أيضاً : سبب اتخاذهم له : إن الأب الأول . وهو عندهم كيومرت ، لما كل له مائة ولد، زوج الذكور بالإناث، وضع لهم عُرْساً أكثر فيه من إشعال النيران . فوافق ذلك الليلة المذكورة، وأسست له الفُرُش بعده .

وهم يوقدون النيران بسائر الأدهان، ويزيدون في الولوع بها، حتى أنهم يلقون فيها سائر الحيوانات .

وفى ذلك يقول ابن هجاج من أبيات يمدح بها عضد الدولة بن بويه :

مَوْلَايَ يَا مَنْ نَدَاهُ يَعْذُو * فَفَاتَ سَبْتًا وَلَيْسَ يُلْحَقُ .
لَبِلْتَنَا حُسْنَهَا عَجِيبٌ * بِالْقَصْفِ وَالزَّفِ قَدْ تَحَقَّقُ .
لِنَارِهَا فِي السَّمَاءِ لِسَانٌ * عَنْ نُورِضْوَةِ الصَّبَاحِ يَنْطَلِقُ .
وَالْجُوهُ مِنْهَا قَدْ صَارَ جَمْرًا * وَالنَّجْمُ مِنْهَا قَدْ كَادَ يُحْرِقُ .
وَبِدَجَلَةٍ أَضْرَمْتَ حَرِيقًا * بِأَلْفِ نَارٍ وَأَلْفِ زَوْرَقِ .
فَأَوْهَا كُلُّهَا حَسِيمٌ * قَدْ قَارَ مَا غَلَى وَبَقِيَ^(٢) .

وقال أبو القاسم المطرزي، في سَدَقِ عمله السلطان ملك شاه، أشعل فيه الشموع
والنيران في السُمَيْرِيَّاتِ بِدَجَلَةٍ، وذلك في سنة أربع وثمانين وأربعمائة :

وَكُلُّ نَارٍ عَلَى الْعُشَاقِ مُضْرَمَةٌ * مِنْ نَارِ قَلْبِي أَوْ مِنْ لَيْلَةِ السَّدَقِ .
نَارٌ تَجَلَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ فَأَشْتَبَهَتْ * بِسَدْفَةِ اللَّيْلِ فِيهَا غُرَّةُ الْقَلْقِ !
وَزَارَتْ الشَّمْسُ فِيهَا اللَّيْلَ وَأَصْطَلَحَا * عَلَى الْكَوَاكِبِ بَعْدَ الْغَيْظِ وَالْحَقِيقِ .
مَدَّتْ عَلَى الْأَرْضِ بُسْطَانًا جَوَاهِرُهَا * مَا يَنْ جُمُوعَ وَأَيَّرَ وَمُفْتَرِقِ .
مِثْلَ الْمَصَابِيحِ إِلَّا أَنَّهَا نَزَلَتْ * مِنَ السَّمَاءِ بِلا رَجْمٍ وَلَا حَرِيقِ .
أَعْجَبَ بِنَارِ وَرِضْوَانٍ يُسَعِّرُهَا * وَمَالِكٌ قَائِمٌ مِنْهَا عَلَى فَرْقِ !
فِي مَجْلَسٍ تَحَكَّمَتْ رَوْضُ الْجَنَانِ لَهُ * لَمَّا جَلَا نَعْرُهُ عَنْ وَاحِجِ بَقِيقِ .

(١) كذا في الأصل ولله « والجو منها يصير جوا » والنجم منها يكاد يحرق « يستقيم الوزن .

(٢) في الأصول ينل .

٣ - ذكر أعياد النصارى القبط

وأعياد النصارى أربعة عشر عيداً: سبعة يسمونها كباراً، وسبعة يسمونها صغاراً. فأما كبار :

١ - فمنها عيد البشارة . ويمنون بها بشارة غبريال . وهو عندهم جبريل عليه السلام على ما يزعمون أنه بشر مريم ابنة عمران ببلاد عيسى (عليها السلام) . وهم يعملونه في التاسع والعشرين من برمهات من شهورهم .

٢ - ومنها عيد الزيتونة . وهو عيد الشعابين ، وتفسيره التسييح . يعملونه في سابع أحد من صومهم . وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة . ويزعمون أنه يوم ركوب المسيح اليعقوب في القدس ، وهو الحمار ، ودخوله صهيون وهو راكب ، والناس يسبحون بين يديه ، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

٣ - ومنها الفصح . وهو العيد الكبير عندهم يقولون إن المسيح قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة أيام .

٤ - ومنها خميس الأربعين . ويسميه الشاميون السلاق^(١) . وهو الثاني والأربعون من الفطر . يزعمون أن المسيح عليه السلام تساقى فيه من بين تلاميذه إلى السماء من بعد القيام ، ووعدهم إرسال الفارقليط وهو روح القدس .

٥ - ومنها عيد الخميس . وهو البُنْصُرَة يُعمل بعد خمسين يوماً من يوم القيام يقولون إن روح القدس حلت بالتلاميذ ، وتفرقت عليهم ألسنة الناس ، فبكلموا جميع الألسنة ، وتوجه كل واحد منهم إلى بلاد لسانه الذي تكلم به يدعوهم إلى دين المسيح .

(١) في الأصل السلاق . وفي القاموس [ركمان عيد النصارى] وفي صبح الأشتى بغيراء على الصواب .

٦ - ومنها الميلاد . وهو اليوم الذى ولد فيه المسيح . يقولون إنه ولد فى يوم الاثنين فيجمعون عشية الأحد ليلة الميلاد . وهم يوقدون فيه المصابيح بالكثاس ويزينونها . ويعمل فى التاسع والعشرين من كيهك من شهرهم .

٧ - ومنها الغطاس . ويعمل فى الحادى عشر من طوبة من شهرهم . ويقولون إن يحيى بن زكريا ، وينعتونه بالمعمدان ، غسل عيسى عليه السلام فى بحيرة الأردن ، ويزعمون أن عيسى (عليه السلام) لما خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة . والنصارى يغمسون أولادهم فى الماء فيه ، ووقته شديد البرد .

وأما الأعياد الصغار :

٨ - فنما الختان . ويعمل فى سادس يثونة ، يقولون إن المسيح ختن فى هذا اليوم . وهو الثامن من الميلاد .

١٠

٩ - ومنها الأربعون . وهو عند دخول الهيكل يقولون إن سمعان الكاهن دخل بعيسى (عليه السلام) مع أمته [الهيكل] وبارك عليه . ويعمل فى ثامن أمشير من شهرهم .

١٠ ٣ - ومنها خميس العهد . ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام . وستتم فيه أن يأخذوا إناء ويملأوه ماء ويزمزموه عليه ، ثم يغسل البطريك به أرجل سائر الناس . ويزعمون أن المسيح عيسى (عليه السلام) فعل مثل هذا بتلاميذه فى مثل هذا اليوم ، يعلمهم التواضع ، وأخذ عليهم العهد أن لا يتفخروا ، وأن يتواضع بعضهم لبعض . وعوام النصارى يسمون هذا انخميس خميس العهد ، وهم يطبخون فيه المكدس المقدسور

على ألوان، ويسميه أهل الشام خميس الأرز. ومنها خميس البيض أيضا. ويسميه أهل الأندلس خميس أزيل، وأبريل شهر من شهور الروم .

٤ - ومنها سبت الثور . وهو قبل الفصح بيوم . يقولون إن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم، فتشتعل منه مصابيح كنيسة القيامة التي بالقدس . وليس كذلك، بل هو من تخيلات فعلها أكابرهم ليستميلوا بها عقول أصاغرهم . وقيل إنهم يعلقون القناديل في بيت المذبح، ويتحيلون في إيصال النار إليها بأن يمدوا على سائرها شريطا من حديد في غاية الدقة، يدهنونه بدهن اللسان ودهن الزنبق . فإذا صلوأ، وحان وقت الزوال، فتحوا المذبح، فدخل الناس إليه، وقد أشعلت فيه الشموع . ويتوصل بعض القوم إلى أن يعلق بطرف الشريط الحديد النار فتسرى عليه، فتقد القناديل واحدا بعد واحد بسبب التهن .

٥ - ومنها جذ الحنود . وهو بعد الفصح بثمانية أيام . يعمل أول أحد بعد الفطر، لأن الأحاد قبله مشغولة بالصوم . وفيه يجتدون الآلات، والأثاث، واللباس، يأخذون في المعاملات، والأمور الدنيوية .

٦ - ومنها التجلي . يقولون : إن المسيح (عليه السلام)، تجلى لتلاميذه بعد أن رُفِع، وتمنوا عليه أن يُحضر لهم إيليا، وموسى، فأحضرهما لهم في مصلى بيت المقدس، ثم صعد . ويعمل في ثالث عشر مسرى من شهورهم .

٧ - وعيد الصليب . وتزعم النصارى أن قسطنطين بن هيلاني أُنقذ عن اعتقاد اليونان إلى اعتقاد النصرانية، وبني كنيسة قسطنطينية العظمى، وسائر كائس الشام .

(٧٢)

وسبب ذلك — على ما نقله المؤرخون — أنه كان مجاورا للبرجان، فضاق بهم ذُرعا من كثرة غاراتهم على بلاده. فهم أن يصانهم ويقرّر لهم عليه إتاوة في كل عام ليكفوا عنه . فرأى ليلة في المنام أن ملائكة نزلت من السماء ومعها أعلام عليها صليان، فحاربت البرجان فهزمهم . فلما أصبح، عمل أعلاما وصوّر فيها صليانا، ثم قاتل بها البرجان فهزمهم .

وقيل إنه رأى في المنام صليانا من نور في السماء، وقائلا يقول له : أعمل مثل هذا على رؤوس أعلامك فإنك تنتصر . فلما أصبح، أمر بعمل صليان من ذهب على رؤوس أعلامه وقاتل بها فنصر . فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم والدخول في دين النصرانية، وأن يقصوا شعورهم، ويحلقوا لحاهم . وإنما فعل ذلك بهم لأن رسل عيسى عليه السلام كانوا قد وردوا على اليونان من قبل يأسرونهم بالتعبدين ١٠ النصرانية، فأعرضوا عنهم، ومثّلوا بهم هذه المثلثة نكالا بهم . ففعلوا ذلك تأسيا بهم . ولما تنصر قسطنطين، خرجت أمه هيلاني إلى الشام، فبنت الكائس، وسارت إلى بيت المقدس، فطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح، على ما يزعمون . وكانت مدفونة في مزبلة، فأخرجت منها، وفيها مواضع سبعة مسامير فلما حُمِلَتْ إليها، غلفتها بالذهب وحملت إلى آبئها . وأتخذت يوم رؤيتها لها عيدا . ١٥

قال المسعودي : وذلك لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول، ووافق ذلك سبيع عشرة ليلة خلت من توت من شهور القبط . وكان من مولد عيسى إلى اليوم الذي وجدت فيه الخشبة ثلثمائة وثمان وعشرون سنة .

وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار الروم في فن التاريخ، وهو في الجزء

الثالث عشر من هذا الكتاب .

٤ - ذكر أعياد اليهود

وأعياد اليهود التي نطقت بها توراتهم خمسة :

١ - منها عيد رأس السنة . ويسمونه رأس هيشا ، أى عيد رأس الشهر . وهو أول يوم من تشرين . ينزل عندهم منزلة عيد الأنصحية عندنا . ويقولون إن الله عز وجل أمر إبراهيم بذبح إسماعيل أبنه عليهما السلام فيه ، وفداه بذبح عظيم .

٢ - ومنها عيد صوماريا . ويسمى الكبور . وهو عندهم الصوم العظيم الذى فرض عليهم . ويقتل من لم يصمه . ومدة الصوم خمس وعشرون ساعة . يبدأ فيها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرين . وينتظم بمضى ساعة بعد غروبها من اليوم العاشر . ويشترطون رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار . وهى عندهم تمام الأربعين الثالثة التى صام فيها موسى عليه السلام . ولا يجوز أن يقع عندهم فى يوم الأحد ، ولا يوم الثلاثاء ، ولا فى يوم الجمعة . ويرغمون أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم إلا الزنا بالمحصنات ، وظلم الرجل أخاه ، وحقد ربوبية الله تعالى .

٣ - ومنها عيد المظلة . وهو ثمانية أيام ، أولها الخامس عشر من تشرين . وكلها أعياد . واليوم الأخير منها يسمى عرابا ، وتصيره شجر الخلاف . وهو أيضا حج لهم . وهم يجلسون فى هذه الأيام تحت ظلال سعف النخل الأخضر ، وأغصان الزيتون ، والخلاف ، وسائر الشجر الذى لا يثمر ورقه على الأرض . ويرغمون أن ذلك تذكارة منهم لإظلال الله تعالى إبراهيم فى التيه بالعام .

(١) فى صبح الاغنى [سنة أيام] .

(٢) لصبح الاغنى [عرايا] .

٤ - ومنها عيد الفطير ، ويسمونه الفصح . ويكون في الخامس عشر من نيسان . وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير ، وينظفون بيوتهم فيها من خبز النحر . لأنها عندهم الأيام التي خلص الله تعالى فيها بني إسرائيل من فرعون وأغرقه . فخرجوا إلى التيه ، وجعلوا يأكلون اللحم ، والخبز الفطير . وهم بذلك فرحون . وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون .

٥ - ومنها عيد الأسابيع ، وهي الأسابيع التي فرضت عليهم فيها القرائض ، وكل فيها الذين . ويسمى عيد المنصرة ، وعيد الخطاب . ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع . يقولون إنه اليوم الذي خاطب الله تعالى فيه بني إسرائيل من طور سيناء . وإن من جملة ما خاطبوا به العشر كلمات ، وهي وصايا تضمن أمرا ونهيا . وهو : من مجموعهم . ومجوعهم ثلاثة : الأسابيع ، والفطير ، والمظلة . وهم يعظمونه ١٠ ويأكلون فيه القطائف ويحملونها بدلا عن المن الذي أنزل عليهم في هذا اليوم ، على ما يزعمون . وأتخذهم لهذا العيد في اليوم السادس من سيوان .

٦ - وعيد الفوز ، وهو عيد أحدثوه ، ويسمونه الفوريم . وذكرنا في سبب اتخاذهم له أن يختصر له أجل من كان بيت المقدس من اليهود إلى عراق العجم . أسكنهم مدينة جى . وهي إحدى مدينتي أصفهان . فلما ملك أردشير بن بابك ، سماه ١٥ اليهود بالعبرانية أجشادوس . وكان له وزير يسمونه بلقهم هيمون . ولليهود يومئذ حبر يسمى بلقهم مردوخاى . فبلغ أردشير أن له أبنة عم جميلة الصورة من أحسن أهل زمانها . فطلب تزويجها منه ، فاجابه إلى ذلك . فتزوجها وحظيت عنده ، وصار مردوخاى قريبا منه . فأراد هيمون الوزير إصهاره حسدا له . وعزم على إهلاك طائفة اليهود التي في جميع مملكة أردشير . فرتب مع تواب الملك في سائر الأعمال ٢٠

أن يقتل كل واحد منهم من يعلمه من اليهود. وعين لهم يوما وهو النصف من آذار. وإنما خص هذا اليوم دون غيره ، لأن اليهود يزعمون أن موسى عليه السلام وُلد فيه ، وتوفي فيه . وأراد بذلك المبالغة في تكابهم ليضاعف الحزن عليهم بهلاكهم ، ويموت موسى (عليه السلام) .

فبلغ مردوخاى ذلك ، فأرسل إلى أبنه عمه يُعلمها بما بلغه ، ويحضرها على أعمال الحيلة في خلاصهم. فأعلنت الملك بالحال ، وذكرت له أن الوزير إنما حمله على ذلك الحسد ، لقرب مردوخاى منه . فأمر بقتل هيمون الوزير ، وأن يكتب أمان لليهود . فاتخذوه عيداً . واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام .

وهذا العيد عندهم عيد سرور ، وطوى ، وخَلَاة ، وهذا يا يهديا بعضهم لبعض ، ويصومون فيه من الورق صورة هيمون ، ويمشون بطن الصورة نخالة ويلقونها في النار حتى تحترق .

٧ - وعيد الحنكة . وهو أيضا مما أحدثوه . وهو ثمانية أيام ، أولها ليلة الخامس والعشرين من كسلا . وهم يوقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا ، وفي الثانية سراجين ، ويضعف ذلك في كل ليلة إلى ثمان ليال . فيكون في الثامنة ثمانية سُرج .

وسبب اتخاذهم لهذا العيد ، أن بعض الجبارة تغلب على البيت المقدس وقتل من كان فيه من بني إسرائيل ، وأقتض أبكارهم . فوثب عليه أولاد كاهنهم ، وكانوا ثمانية ، قتلوه أصغرهم . فطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا إلا يسيرا ، وزعوه على عند ما يوقدونه من السرج على أبوابهم في كل ليلة إلى ثمان ليال . فاتخذوا هذه الأيام عيداً وسموه الحنكة ، وهو مشتق من التنظيف ، لأنهم ظفروا فيها الهيكل من أقذار شعبة الجبار .

القسم الرابع من الفن الأول

في الأرض، والجبال، والبحار، والجزائر، والأنهار، والعيون، والغدران

وفيه سبعة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

١ - في مبدأ خلق الأرض

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَاءَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ ﴾ .

والأرض سبع . كما أنب السماوات سبع . والتليل على ذلك قوله عز وجل :
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾

وأختلف فيها هل هي سبع متطابقات بعضها فوق بعض ، أو سبع متجاورات .
فذهب قوم إلى أن الله تعالى خلق سبع سماوات متطابقات متعاليات ، وسبع أرضين
متطابقات متساflat ، وبين كل أرض وأرض ، كما بين كل سماء وسماء ، خمسمائة
عنه . وفسر بهذا قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَالَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۚ ﴾ . أي كانت سماء واحدة فتفتقناها سبعا .

فيل : ولكل أرض أهل وسكان مختلفو الصور والمهيات ؛ ولكل أرض اسم خاص .

(١) أي وأرضا واحدة [وله سقط من قلم النسخ] .

وذهب قوم إلى أنها سبع متجاورات متفرقات لامتناعات. فجعلوا الصين أرضاً، وخراسان أرضاً، والسند والهند أرضاً، وفارس والخيال والعراق وجزيرة العرب أرضاً، والجزيرة والشام وبلاد إرمينية أرضاً، ومصر وإفريقية أرضاً، وجزيرة الأندلس وما جاورها من بلاد الجلائقة والأنتكردة وسائر طوائف الروم أرضاً.

ويقال: إنها كانت على ماء، والماء على صحفة، والصحفة على سنام ثور، والثور على كلكم، والكلكم على ظهر حوت، والحوت على الماء، والماء على الريح، والريح على حجاب ظلمة، والظلمة على الثرى. وإلى الثرى آهطلع علم المخلوقين.

قال الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.

وزعم آخرون أن تحت الأرض السابعة صحفة، وتحت الصحفة الحوت، وتحت الحوت الماء، وتحت الماء الظلمة، وتحت الظلمة الهواء، وتحت الهواء الثرى.

وقد تقدم في الباب الأول من هذا الكتاب أن الأرض مخلوقة من الزبد. فلا فائدة في تكراره.

الباب الثاني

من القسم الرابع من الفن الأول

- ١٥ - في تفصيل أسماء الأرضين وصفاتها، في الاتساع، والاستواء، والبعد، والغلظ، والصلابة، والسهولة، والحزونة، والارتفاع، والانخفاض، وغير ذلك قال الثعالبي: في كتابه المترجم "بفتح اللغة" وأسنده إلى أئمة اللغة:

إذا اتسعت الأرض ولم يتخللها شجر أو نجر، فهي الفضاء والبراز والبراح، ثم الصحراء والعرَاء، ثم الرهاء والجهراء .

فإذا كانت مستوية مع الاتساع، فهي انجبت والجدد، ثم الصصحح والصرذح، ثم القساع والقرقر، ثم القرقي والمصمضف .

فإذا كانت مع الاستواء والاتساع بعيدة الأكثاف والأطراف، فهي السهب والخرق، ثم السهنب والسملق والملق .

فإذا كانت مع الاتساع والاستواء والبعد لأماء فيها، فهي القلاء والمهمة، ثم التنوفة والقيقاء، ثم التنف والصرماء .

فإذا كانت مع هذه الصفات لا يهتدى فيها لطريق، فهي الهباء والنطشاء .

فإذا كانت تضل سالكها، فهي المضلة والمثية .

فإذا لم يكن بها أعلام ولا معالم، فهي المجهل والموجل .

فإذا لم يكن بها أثر، فهي الغفل .

فإذا كانت قمرء، فهي القى .

فإذا كانت تُبَيِّدُ سالكها، فهي البَيِّدُ . والمفازة كناية عنها .

فإذا لم يكن فيها شيء من الثبت، فهي المَرْتُ والمليح .

فإذا لم يكن فيها شيء، فهي المروزة والسزوت والبقع .

فإذا كانت الأرض غليظة صلبة، فهي الجبوب، ثم الجدد، ثم العزاز، ثم الصيداء، ثم الجدد .

فإذا كانت صلبة يابسة من غير حصي، فهي الكلد، ثم الجمعاع .

- فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل، فهي البرقة والأبرق .
 فإذا كانت ذات حصى، فهي المحصاة والمحصبة .
 فإذا كانت كثيرة الحصى، فهي الأهمز والمعزأ .
 فإذا أشجلت عليها كلها حجارة سود، فهي الحرة والألابه .
 فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين، فهي الحزير .
 فإذا كانت الأرض مطمئنة، فهي الجوف والفائط؛ ثم الهجل والمهجم .
 فإذا كانت مرتفعة، فهي التجد والتشتر .
 فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلاية والغلظ، فهي المتن والصمد، ثم القف
 والتدغد والتدرد .
- فإذا كان ارتفاعها مع اتساع، فهي البفاح .
- فإذا كان طولها في السماء مثل البيت، وعرض ظهرها نحو عشرة أذرع، فهي القل؛
 وأطول وأعرض منها الرية والرابة؛ ثم الأكة؛ ثم الرية، وهي التي لا يعلوها الماء .
 وبها ضرب المثل في قولهم: "بلغ السيل الزبي"؛ ثم النجوة، وهي المكان الذي تظن
 أنه نجائك؛ ثم الصبان، وهي الأرض النليظة دون الجبل .
- فإذا ارتفعت عن موضع السيل وأخذت عن غلف الجبل، فهي الخيف .
- فإذا كانت الأرض لينة سهلة من غير رمل، فهي الرقاق والبرث، ثم الميآء والسمنة .
 فإذا كانت طيبة التربة كريمة المنبت بعيدة عن الأحساء والتوز، فهي العداة .
 فإذا كانت مخيلة للنبت والخير، فهي الأريضة .
 فإذا كانت ظاهرة لا شجر فيها ولا شئ يختلط بها، فهي القراح والقرواح .
 فإذا كانت مهيأة للزراعة، فهي الحقل والمثارة والدبرة .

[فإذا لم تنبأ للزراعة، فهي بور] .

فإذا لم يصبها المطر، فهي القل والجُرُز

فإذا كانت غير معطورة وهي بين أرضين مملوحتين، فهي الخَطِيطَة .

فإذا كانت ذات ندى ووَخَامَة، فهي الغِمَقَة .

فإذا كانت ذات سباح، فهي السَّبْحَة .

فإذا كانت ذات وباء، فهي الوَبْئَة والوَيتْئَة .

فإذا كانت كثيرة الشجر، فهي الشَّجَرَاءُ والشَّجَرَة .

فإذا كانت ذات حَيَاتٍ، فهي الحَوَاتِ .

فإذا كانت ذات سباع أو ذئب، فهي المَسْبَعَة والمَذَابِجَة .

٢ — ذكر تفصيل أسماء التراب وصفاته

قال التعالٰی رحمه الله تعالى :

الصَّعِيدُ، تراب وجه الأرض .

والبُورَغَاءُ، والدَّقْعَاءُ، التراب الرخو الرقيق الذي كأنه ذَرِيرَة .

والثَّرِيءُ، التراب النَّدِيّ : وهو كل تراب لا يصير طينا لآزبا إذا بُلَّ .

المُورُ، التراب الذي يَمُودُ به الريح .

الحَبَسَاءُ، التراب الذي تُطَيَّرُه الرِّيحُ فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم

[يلترق لُزُوقًا] .

(١) الزيادة من قفه التعالٰی .

(٢) كما ضبط في قفه المنة ، وفي اللسان : (أراض حَيَاةً وحَوَاتٍ كثيرة الحيات) وهو الأول لا طراد

هذا الوزن في مثل ذلك .

[والغايي . الذي دقَّ وأرتفع ^(١)] .

السَّيَّاءُ . التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح .

النَّيْبَةُ . التراب الذي يُخْرَجُ من البئر عند حفرها .

الرَّاهِطَاءُ والدَّامَاءُ ، التراب الذي يُجْرَحُ اليه نوع من شجره ويجمعه .

الجُرُومَةُ . التراب الذي يجمعه النمل عند قريته .

العَفَاءُ ، التراب الذي يُعْفَى الآثَارُ . وكذلك العَفَرُ .

الرَّغَامُ ، التراب المختلط بالرمل .

السَّيَّادُ . التراب الذي يُسَمَّدُ به النبات . فإذا كان مع السَّرفين ، فهو الدَّمَالُ .

(٧٥)

٣ — ذكر تفصيل أسماء الغبار وأوصافه

النَّعَمُ والمَكُوبُ ، الغبار الذي يثور من حوافر الخيل وأخفاف الإبل .

العَصَاجُ ، الغبار الذي تُثْبِرُه الريح .

الرَّهَجُ والتَّسَطُّلُ ، غبار الحرب .

الغَيْضَةُ ، غبار المعركة .

العَشِيرُ ، غبار الأقدام .

المَتِينُ ما تقطع منه .

٤ — ذكر تفصيل أسماء الطين وأوصافه

قال :

إذا كان الطين حرًّا يابسًا ، فهو الصَّلْصَالُ .

فإذا كان مطبوخًا ، فهو السَّخَّارُ .

(١) الزيادة من قده تعالى .

فإذا كان عليك لاصقا، فهو الألاب .

فإذا غيمه الماء وأفسده، فهو الحمأ .

(وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة) .

فإذا كان رطباً، فهو الثأطه والثرمطة والطثرة .

فإذا كان رقيقاً، فهو الرذاع .

فإذا كان ترتطم فيه الدواب، فهو الوحل . وأشد منه الرذعة والرذعة . وأشد منها

الورطة تقع فيها الغنم فلا تقدر على التخلص منها ، ثم صارت مثلاً لكل شدة يقع

فيها الإنسان .

فإذا كان حراً طيباً عليك وفيه خضرة، فهو الغضراء .

فإذا كان مخلوطاً بالطين، فهو السباع .

فإذا جعل بين اللبن، فهو الملائع .

• — ذكر تفصيل أسماء الرمال

قال :

العداب . ما استرق^(١) من الرمل .

المبل . ما استعطال منه .

اللب . ما انحدر منه .

الحقف . ما أعرج منه .

الدعص . ما استغدار منه .

(١) في الأصل : ما كشغ . ولكن الذي في القاموس وقته القبة : ما استرق .

- الْعَقْدُ، ما تَعَقَّدَ منه .
 الْعَقْلُ، ما تَرَكَ منه .
 السَّقَطُ، ما جَعَلَ يَتَقَطَعُ وَيَتَصَلُّ منه .
 الشُّهُورَةُ، ما أَشْرَفَ منه .
 الشُّهُورُ، ما أَطْمَأَقَ منه .
 الشَّقِيقَةُ، ما أَقْطَعَ وَغَطَّطَ منه .
 الكَثِيبُ والثَّقَا، ما أَحْدَوَدَبَ وَأَنْهَالَ منه .
 الْعَاقِرُ، ما لَا يُنْبِتُ شَيْئًا منه .
 الْهِدْمَةُ، ما كَثُرَ شَجَرُهُ منه .
 الْأَوْعَسُ، ما سَهَّلَ وَلَانَ منه .
 الرِّغَامُ، ما لَانَ منه . وليس هو الذي يَسِيلُ مِنَ الْيَدِ .
 الْهَيَامُ، ما لَا يَتَمَّاكَ أَنْ يُمَسَّكَ بِالْيَدِ مِنْهُ لِلْبَنَةِ .
 الدُّكْدَاكُ، ما أَكْبَدَ بِالْأَرْضِ مِنْهُ .
 الْعَانِكُ، ما تَعَقَّدَ مِنْهُ حَتَّى لَا يَقْدِرَ الْبَعِيرُ عَلَى الْمَسِيرِ فِيهِ .

٦ - ذكر ترتيب كمية الرمل

قال النحلي :

- الكثير يقال له الْعَقْلُ .
 فإذا نقص، فهو كَثِيبٌ .
 وإذا نقص، فهو عَوَكَلٌ .

فإذا نقص عنه، فهو سَقَطٌ .

فإذا نقص عنه، فهو عَدَابٌ .

فإذا نقص، فهو لَبٌّ .

وقال في كتابه "الفريه" ^(١) :

إذا كانت الرملة مجتمعة، فهي المَوَكَّةُ .

فإذا انبسطت وطالت، فهي الكَثِيبُ .

فإذا انتقل الكَثِيبُ من موضع إلى آخر بالرياح وبقي منه شيء رقيق، فهو اللَّبُّ .

فإذا نقص، فهو العَدَابُ .

٧ - ذكر تفصيل أسماء الطرق وأوصافها

قال التتالي :

المِرْصَادُ والتَّجْدُ، الطريق الواضح؛ وكذلك الصَّرَاطُ

والجَلَادَةُ والمنْجَعُ واللِّقْمُ والمُحْجَةُ، وَسَطُ الطريق ومُعْظَمُهُ .

وَاللَّاحِبُ، الطريق المَوْطَأُ .

الْمُهْجُ، الطريق الواسع .

الْوَهْمُ، الطريق الذي يَرِدُ فيه المِوَارِدُ .

الشَّارِعُ، الطريق الأعظم .

النَّقَبُ والشَّعْبُ، الطريق في الجبل .

النَّحْلُ، الطريق في الرمل .

(١) ليس هذا الكتاب لتتالي؛ وإنما هو كتاب "الفريه المصنف" لأبي عمرو الشيباني؛ الموجود منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

التَّخَرُّفُ، الطريق في الأشجار. ومنه الحديث: "عائِدُ المَرِيضِ في تَخَارِيفِ الجَنَّةِ".
التَّسَبُّبُ، الطريق المستقيم؛ وقيل إنه الطريق المستدق الواضح، كطريق النمل
والحية وحرر الوحش.
والله أعلم.

الباب الثالث

من القسم الرابع من الفن الأول في طول الأرض ومساقها

ذهب المتكلمون في ذلك أن مسافة الأرض نحو مائة عام : ثَلَاثُ عِمْرَانٍ، وَثَلَاثُ
خُرَابٍ، وَثَلَاثُ نَحَارٍ؛ وأن مقدار المعمور من الأرض مائة وعشرون سنة : تسعون
منها لِأَجُوجٍ ومَأْجُوجٍ، وأثنَا عشر للسودان، وثمانية للروم، وثلاثة للعرب، وسبعة
لسائر الأمم.

وقيل إن الدنيا سبعة أجزاء : ستة منها لِأَجُوجٍ ومَأْجُوجٍ، وواحد لسائر الناس.

وقيل إن الأرض نحو مائة عام : البعير منها ثلثمائة، ومائة خراب، ومائة عمران.

وقيل إن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ : للسودان منها اثنا عشر ألفاً،

والروم ثمانية آلاف فرسخ. ولقارس ثلاثة آلاف، وللعرب ألف. (١٨)

وقال وهب بن منبه : ما العبارة من الدنيا في الخراب إلا كقسطاط في الصحراء.

وقال أردشير بن بابك : إن الأرض أربعة أجزاء : جزء منها للترك، وجزء للعرب،

وجزء للفرس، وجزء للسودان.

وقيل : إن الأقاليم سبعة ، والأطراف أربعة ، والنواحي خمسة وأربعون ، والمدائن عشرة آلاف ، والرساتيق مائتا ألف وستة وخمسون ألفا .

وقال الخوارزمي صاحب الزيج : دور المعمور سبعة آلاف فرسخ ، وهو نصف سدس الأرض ، والجبال ، والمفاوز ، والبحار . والباقي خراب يئيب لا نبات فيه ولا حيوان .

ومثل المعمور بصورة طائر ، رأسه الصين ، والجناح الأيمن الهند والسند ، والجناح الأيسر الخزر ، وصدره مكة والعراق والشام ومصر ، وذنبه الغرب .

وزعم أصحاب الهيئة أن قطر الأرض سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ، وأن دورها عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل . وذلك جميع ما أحاطت به من بر وبحر .

وانما علم ذلك وحرر من عبد الله المأمون ، وذلك أنه لما أشكل عليه ما ذكره المتقدمون من مقدار الأرض بحث جماعة من أهل الخيرة بالحساب والنجوم — منهم علي بن عيسى — إلى بريدة سنجار . وتفقدوا من هناك . فذهب بعضهم إلى جهة القطب الشمالي ، وذهب آخرون إلى جهة القطب الجنوبي ، وسار كل منهم

في جهته إلى أن وصل غاية ارتفاع الشمس نصف النهار ، وقد زال ونغير عن الموضع الذي اجتمعوا فيه وتفقدوا منه ، مقدار درجة واحدة . وكانوا قد ذرعوا الطريق في ذهابهم ، فنصبوا السهام ، ووثقوا الأوتاد ، وشدوا الحبال . ثم رجعوا وأمتحنوا الذراع ثانية ، فوجدوا مقدار درجة واحدة من السماء سامت وجه بسيط الأرض ستة وخمسين ميلا وثلاثي ميل . (والميل أربعة آلاف ذراع ، والذراع ست قبضات ، والقبضة أربع أصابع ، والإصبع ست شعيرات ، بطون بعضها إلى بعض ، والنشيرة

ست شعرات من شعر الخليل) . فضربت هذه الأميال في جميع درجات الفلك ،
وهي الثلاثة وستون درجة ، تغرج من الضرب عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل .
لحكم بأن ذلك دور الأرض .

وقال أبو زيد أحمد بن مهمل البلخي : مسافة طول الأرض من أقصى المشرق
إلى أقصى المغرب نحو من أربعمائة مرحلة ، ومسافة عرضها من حيث العمران
الذي من جهة الشمال (وهو مساكن أجوج وماجوج) إلى حيث العمران الذي
من جهة الجنوب (وهو مساكن السودان) مائتان وعشرون مرحلة ، وما بين برارى
يأجوج وماجوج والبحر المحيط في الجنوب نواب ليس فيه عمارة .
ويقال إن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ .

١٠ حكى هذه الأقوال صاحب كتاب " مباحج الفكر ومنال العبر " رحمه الله .

الباب الرابع

من القسم الرابع من الفن الأول

١ - في الأقاليم السبعة

ذهب أصحاب الزيجات إلى أن كل إقليم منها كأنه بساط ممدود ، طوله من
المغرب إلى المشرق ، وعرضه من الجنوب إلى الشمال . ١٥

١ - فاما الإقليم الأول . فيبتؤه من مشرق أرض الصين إلى مدائن أبوابها .
وهي الأنهار التي تدخل السفن فيها من البحر إلى المدائن الجلييلة ، مثل خاقو وخاقور .^(١)

(١) كنا بالأصل والصواب ، خاتمو عن كتاب " تقويم البلدان " لأبي القاسم .

وفيه جزيرة سرديب . ومن أرض اليمن ما كان جنوبيا من صنعاء ، مثل ظَفَارٍ وحضرموت وعدن . وفيه من بلد النوبة دُفْلَةٌ ؛ ومن بلد السودان غَاثَةٌ . ثم ينتهي إلى البحر المحيط . وعرضه من خط الاستواء إلى مقدار ما يبعد عنه عشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة .

- ٥ وذهب بعض الناس إلى أن أقل المعمور من حيث يكون العرض وخط الاستواء انتهى عشرة درجة ونصف وربع درجة ، وفيها بين هذا العرض وخط الاستواء مسكون بطوائف من السودان في عباد الوحوش والبهائم . وعدة فيه بَطْلِيمُوس من البلاد ذوات العروش ستين مدينة ، وأهل هذا الإقليم سود ، وهو قليل الساكن لإفراط حره .

- ٢ — وأما الإقليم الثاني . فيبتدئ من بلاد الصين ، ويمر على بعض بلاد الهند الساحلية ، مثل تَانَّة ، وصِيمُور ، وسَنْدَان ، ومن بلاد السند على المتصورة ودَيْبُل ، ثم يبلغ عُثْمَان . ويكون فيه من أرض العرب : بَجْرَان ، وبَجْرَة ، ومَهْرَة ، وسَبَا ، وَبَالَة ، والطائف ، وجُلَّة ، ومَكَّة ، والمدينة ، ومملكة الحفشة ، وأرض البجة ، وأُسْوَان . وقوص ، والصعيد الأعلى ، وجنوب بلاد المغرب حتى ينتهي إلى البحر المحيط ؛ وعرضه من غاية الإقليم الأول إلى سبع وعشرين درجة وأثنى عشرة دقيقة .
- ١٥ وزعم بَطْلِيمُوس أن فيه أربعائة وخمسين مدينة . وأهله بين السمرة والسواد ، وهو كثير الذهب .

(١) اسم لبلدية ببلاد الهند . قال البروق : هي على الساحل . والنسبة إليها "تَانِي" ومنها الباب الثانية

(أنظر تقويم البلدان) .

(٢) في معجم ياقوت : جنابة بلدة صغيرة من سواحل فارس ، وهي في الإقليم الثالث . وفي "تقويم البلدان"

- ٢٠ (جنابة بلدة قد خرب غالبها ، وهي فرسة لقارس ، وضبطها ابن خلكان بفتح الجيم والمشهور الغيم) .

٣ - وأما الإقليم الثالث . فببذؤه من شرق أرض الصين ، وفيه مدينة ملكتها، حمدان^(١)، وفيه من بلاد الهند نانش وأقنتهار، ومن بلاد السند المؤلتان وقزدار^(٢) . ثم يتو بلاد سيستان، وكزمان، وفارس، وأصبهان، والأهواز، والبصرة . والكوفة، وأرض بابل، وبلاد الجزيرة، والشام، وفلسطين، وبيت المقدس، والقلازم . والقي، وأرض مصر، والإسكندرية، وبلاد برقة، وإفريقية، وأهريت . وبلاد ملنجة، والسوس، وينتهي إلى البحر المحيط . وعرضه من غاية الإقليم الثاني في العرض إلى تمام ثلاث وثلاثين درجة وتسع وأربعين دقيقة .

وزعم بطليموس أن فيه تسعا وخمسين مدينة، وأهلها سمر .

٤ - وأما الإقليم الرابع . فببذؤه من أرض الصين، ويتوزع على الثبوت والحق^(٣) . ثم على جبال قشدير، ووخان، وتل حسان، وكابل، والنور، وهرة . وبلغ . وطمغارستان، ويمتد إلى الرى، وقم، وهمدان، وحلوان، وبغداد، والموصل، وأذربيجان . ويمتد على منبج، وطرسوس، والنور، وأنطاكية، وجزيرة قبرس . وصقلية، ثم على الزقاق إلى البحر المحيط، وعرضه من غاية الإقليم الثالث في العرض إلى ثلثة تسع وثلاثين درجة وعشرين دقيقة .

(١) هكذا بالأصل . ولعل المراد مدينة واقعة على النهر المشهور بكم حمدان ببلاد الصين .

(٢) في الأصول : " كودرا " وليس بالسند بهذا الاسم . ويرجح أن النسخين حرفوه عن " كودار " . ويقال فيه " قصدار " (أنظر معجم ياقوت) .

(٣) في ياقوت : وانلق وبريان، وبذخشان . وهو الصواب .

(٤) لم نذكر على بلدة بهذا الاسم ولعلها محرفة عن " رخش " وهي كما في معجم ياقوت : بلدة من نواحي بلخ . وفي " تقويم البلدان " : أنها بلدة بما وراء النهر في الإقليم الرابع .

(٥) أى حلوان العراق . لا حلوان مصر .

وزعم بطليموس أن فيه مائة وثلاثين مدينة . وأهله بين السمرة والبياض .

- ٥ - وأما الإقليم الخامس . فببذوه من أرض الترك المشرفين على 'إاجوج' وماجوج إلى كاشغر، وبلاساغون، وفرغانة، وإسبيجاب^(١)، والشاش، وأشروسنة، وسمرقند، وبخارى، وخوارزم، وبحر الخزر إلى باب الأبواب، وبزذعة، وميافارقين، ودروب الروم، وبلادهم . ثم يمر على رومية الكبرى، وأرض الجلائقة^(٢)، وبلاد الأندلس؛ ويتنهي إلى البحر المحيط . وعرضه من غاية الإقليم الرابع إلى تمام ثلاث وأربعين درجة وثمانى عشرة دقيقة .

وذكر بطليموس أن فيه سبعا وتسعين مدينة . وأكثر أهله بيض .

- ٦ - وأما الإقليم السادس . فببذوه من مساكن ترك المشرق، وهم الخرخيز، والكجك، والتغزغر، ثم على بلاد الخوز من شمال تخومها، والألان، والسري، وأرض برجان، ثم على قسطنطينية، وأفرنجية^(٣)، وشمال الأندلس؛ ويتنهي إلى البحر المحيط؛ وعرضه من غاية الإقليم الخامس إلى تمام سبع وأربعين درجة ونحس عشرة دقيقة . وزعم بطليموس أن فيه ثلاثا وثلاثين مدينة، وهو كثير الإمداد والتلوج . وأهله بيض الأبدان، شقر الشعور .

- ٧ - وأما الإقليم السابع . فليس فيه كبير عمارة، وإنما هو في المشرق غياض وجبال يأوى إليها طوائف من الترك كالتوحشين . ويمر على بلاد البجناك، ثم على بلاد البلغار، ثم على الروس والصقالبة، ويتنهي إلى البحر المحيط . وعرضه من غاية

(١) هي المشهورة أيضا باسم : إسبيجاب .

(٢) أهل جليقية بشمال الأندلس .

(٣) أى فرنسا .

الإقليم السادس إلى ثمة نحسين درجة ونصف . وفيه الأرض المحفورة ، وهي وهذه لا يقدر أحد أن ينزل إليها ، ولا أن يصعد منها من هو فيها لبعدها قعرها . يسكنها أمة من الناس لا يُدرى من هم . وإنما علم أنها معمورة برؤية التسخان فيها نهاراً ، والنار ليلاً . يشقها نهر يجري ، والهاجرة محيطة به .

وزعم بطليموس أن فيها ثلاثاً وعشرين مدينة . وأهل هذا الإقليم بيض صهب الشعور .

وما بقي من المعمور إلى نهايته إلى ثلاث وستين درجة مضاف إلى هذا الإقليم ومحسوب فيه . يسكنه طوائف من الناس ، هم بالبهائم في الخلق والخلق أشبه منهم بنى آدم .

٢ - ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الأرض

يقال :

أجل من الأرض . أكرم من الأرض . أصبر من الأرض . آمن من الأرض . أوثق من الأرض . أوطأ من الأرض . أجفط من الأرض . أكثر من الرمل . أظلم من الرمل . أعطش من الرمل . أوجد من التراب .

ويقال :

قتل أرضاً عليها ، وقتلت أرضاً جاهلها . رماه بين سمع الأرض وبصرها . أخذت الأرض زخارفها . أفاق قبل أن يُحفر تراك . استغوا الرزق في خبايا الأرض .

ومن أضاف الآيات :

* الأرض من ترية والناس من رجيل * وأنى تُحيطر الأرض السماء *

ومن الآيات :

وَالْأَرْضُ لَا تُطْعِمُ مَنْ فَوْقَهَا ۖ إِلَّا لِكَيْ تُطْعَمَ مَنْ تُطْعِمُهُ

وقال آخر :

إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ ۖ مِنَ الْبَذْرِ فَهِيَ الْأَرْضُ . تَاهِكُ نَارُضُ !

وقال آخر :

وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضَعًا ، ۖ فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُوَ مِنْكَ أَرْفَعُ !

وقال آخر :

يَا أَرْضُ كَمْ وَافِدٍ أَتَاكَ فَلَمْ ۖ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يُؤْب !

٣ — ذكر شيء مما قيل في وصف الأرض وتشبيهها

قال الأخطل :

وَنَهَاءٌ يَمْحَالٍ كَأَنَّهَا ۖ بَارِجَانِهَا الْقُصُوءُ أَبَاعِرُ مُهْلُ .

تَرَى لَامِعَاتِ الْإِلَ فِيهَا كَأَنَّهَا ۖ رِجَالٌ تَعْتَرِي تَارَةً وَتَنْتَرِلُ .

وَجُورٌ فَلَاةٍ لَا يُغْمَضُ رُكْبُهَا ۖ وَلَا عَيْنٌ هَادِيهَا مِنْ الْخَوْفِ تَنْقُلُ .

وَكُلٌّ بَعِيدٍ النَّوْرِ لَا يُتَبَدَّى لَهُ ۖ يَبْرُقَانِ أَعْلَامٍ وَلَا فِيهِ مَثَلُ .

مَلَاعِبُ جَنَّاتٍ سَكَّانُ تَرَابِهَا ۖ إِذَا أَطْرَدَتْ فِيهَا الرِّيحُ تَفْرُبُ .

تَرَى التَّلَبَّ الْحَوَلِيَّ فِيهَا كَأَنَّهُ ۖ إِذَا مَا عَلَا نَشْرًا حِصَانٌ مَجْبُلُ .

وقال ذو الرقة :

وَدَوِّيَّةٌ بَرْدَاءٌ جَدَاءٌ خِيَمَتْ ۖ بِهَا هَبَوَاتُ الصَّنْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ .

سَبَّارِبُ يُتَخَلَّوْنَ سَمْعُ مُجْتَازِهَا بِهَا ۖ مِنَ الصَّوْتِ ، إِلَّا مِنْ صَبَاحِ التَّعَالِبِ .

وقال ذو الرمة :

وهاجرة السراب من المواقى * ترقص في عساقها الأروم.
تموت قطا الفلاة بها أواما * ويهلك في جوانبها النسيم.
ملئت بها المقام فأرقتني * هوم لا تنام ولا تنيم.

وقال ضارب البرجمي :

وداوية نيسه يحار بها القطا * على من علاها من ضلول ومهتدى.
مساوية للعيس ناء نياطها، * إذا سار فيها راصب لم يغرد.

وقال مسلم بن الوليد :

وقاطعة رجل السبل مخوفة * كأن على أرجائها حد يبرد.
مؤذرة بالآل فيها كائنات * رجال قومود في ملا معمد.

وقال صاحب بن عباد :

وتبهاء لم تطلت بحف وحافير * ولم يدر فيها النجم كيف يغور.
معالمها أن لا معالم بينها، * وآياتها أن المسير غرور.
ولو قيل للقيث، أسفها : ما اهتدى لها * ولو ظل ملء الأرض وهو جزور.
تجشمها، والبلل وحف جناحه * كائن سر والظلام ضير.

وقال الشريف الرضي :

وتسوفة حساؤها * خلقت لنا القيط جمرا.
تبدي جنادها الإنشين أمى على الجناز طهورا.
وترى بها المضفور متخذًا وجار القب وكرا.

وقال المتنبي :

مَهَالِكُ لَمْ يَصْحَبْ بِهَا الذَّنْبُ نَفْسَهُ * وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا الْقُرَابَ قَوَادِمُهُ .

وقال ابراهيم بن خفاجة الاندلسي :

وَمَفَازَةٌ لَا تَجْمُ فِي ظِلِّهَا * يَسْرَى وَلَا فَلَكَ بِهَا دَوَارُ .

تَتَلَهَّبُ الشَّعْرَى بِهَا فَكَاثُهَا * فِي كَفِّ زَيْجَى الدُّجَى دِينَارُ .

زُجَى بِهَا النِّيطَارُ فِيهَا وَالرُّبَى * أَلْ كَمَا يَتَمَوَّجُ التِّيَارُ .

وَالنُّطْبُ مُلْتَرِمٌ لِمَرْكَرِهِ بِهَا * فَكَانَهُ فِي سَاجِيهِ مَتَارُ .

قَدْ لَقِنَى فِيهَا الظَّلَامَ وَطَافِي * ذَنْبٌ يُلْمُ مَعَ الدُّجَى زَوَارُ .

طَرَائِقُ سَاحَاتِ الدِّيَارِ مُتَاوِرٌ * خَيْثُ لَأَبْنَاءِ السُّرَى غَدَارُ .

يَسْرَى ، وَقَدْ فَضَحَ الدُّجَى وَجْهَ الضُّبَا ، * فِي قُرْوَةٍ قَدْ مَسَّهَا أَفْشُرَارُ .

فَعَشَوْتُ فِي ظُلْمَاءٍ لَمْ يَقْدَحْ بِهَا * إِلَّا لِمُقْلِسِهِ ، وَبَاسِي نَارُ .

وَرَقْتُ فِي خِلْعٍ عَلَى مِنَ الدُّجَى * عَصِدْتُ بِهَا مِنْ أُنْجُمِ أَزْرَارُ .

وَاللَّيْلُ يَقْصِرُ خَطْوَهُ ، وَلِرُبَا * طَالَتْ لِبَالِي الرُّكْبِ وَهِيَ قَصَارُ .

وقال آخر :

وَجَهْوَةٌ الْأَعْلَامِ طَامِسَةِ الصُّوَى * إِذَا عَسَفَتْهَا الْعَيْسُ بِالرُّكْبِ ، ضَلَّتْ .

إِذَا مَا تَهَادَى الرُّكْبُ فِي قَلَوَاتِهَا ، * أَجَابَتْ نِدَاءَ الرُّكْبِ فِيهَا فَاصْدَرَتْ .

وقال مسعود ، أخو ذى الرقة يصف بعد فلاة :

وَمَهْمِهِ فِيهَا السَّرَابُ يَلْمَحُ * يَدَابُ فِيهَا الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلُحُوا .

ثُمَّ يَنْكَلُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَبْرَحُوا * كَأَنَّمَا امْسَوْا بِمَيْتٍ أَصْبَحُوا .

وقال مسلم :

تَجْرِي الرِّيحُ بِهَا مَرَضَى مُوَلَّهٌ * حَسْرَى تَلَوْدُ بِاطْرَافِ الْجَلَامِيدِ .

وقال آخر :

وَدَوِّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ قَطَعَتْهَا * مُطَوَّلَةٌ آفَاقُهَا بَسَاتِهَا .

وقال بعض الاعراب في الآل ^(١) :

كَفَى حَزَنًا أَنِّي تَطَالَلْتُ كَيْ أَرَى * ذُرَى عَلَيَّ دَخَّ لَمَّا يُرَابِ !
كَأَنَّهُمَا ، وَالْأَلُّ يَجَابُ عَنْهَا ، * مِنَ الْبُعْدِ عَيْنًا بَرُّقَ خَلْقَانِ .

قال أبو هلال : وهذا من أغرب ما روى من تشبيهات التدماء .

وقال آخر :

وَالْأَلُّ تَغْرُو بِالْمُصَوِّ أَمْوَاجَهُ * تَزَوَّلَقَطَا الْكُذْرَى فِي الْأَشْرَاكِ .
وَالظِّلُّ مَقْرُونٌ بِكُلِّ مِطْيَبَةٍ * مَتَى الْمَهَارِ النُّعْمُ بَيْنَ رِمَاكِ .

وقال ابن المعتز :

وَمَا رَاعَنِي بِالْبَيْتِ إِلَّا ظَلَمَائِنٌ * دَعَوْنَ بِكَائِي ، فَاسْتَجَابَ سَوَاكِهَ .
بَدَتْ فِي بَيَاضِ الْآلِ وَالْبُعْدُ دُونَهُ * كَأَسْطَرِ رَقٍّ أَمْرَضَ الْخَطَّ كَاتِبَهُ .

(١) هو طهبان بن عمرو الهذلي ، كما في ياقوت . وأورد القصيدة بتمامها ، وهي ١٥ بيتا - (مجم

الباب الخامس

من القسم الرابع من القرن الأول

١ - في الجبال

قال الله تعالى : "وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ".

- قال المفسرون : خلق الله عز وجل الأرض على الماء فادت وتكفأت . كما
تتكفأ السفينة ، فأثبتها بالجبال . ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقاً .

وروى أبوحاتم في كتاب العظمة ، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "إن الله

تعالى لما خلق الأرض ، جعلت تميد . فخلق الجبال فالتقاها عليها فاستقرت . فمجيبت

الملائكة من خلق الجبال ، وقالت : يا رب هل خلقت خلقاً أشد من الجبال ؟ قال :

- الحديد ، قالت : فهل من خلق أشد من الحديد ؟ قال : النار ، قالت : فهل من

خلق أشد من النار ؟ قال : الماء ، قالت : فهل من خلق أشد من الماء ؟ قال :

الريح ، قالت : فهل من خلق أشد من الريح ؟ قال : ابن آدم ، يتصدق بيمينه

فيخفيها عن شماله " .

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : "كان العرش على الماء قبل

- أن يخلق الله السموات والأرض . فبعث الله ريحاً فمصفت الماء فأبرز عن حشفة

في موضع البيت . فدحا الأرض من تحتها فادت فأوتدها بالجبال " .

فكان أول جبل وُضِعَ جبلُ أبي قُبَيْس . وهو الجبل المطلُّ على الكعبة .

وفي كنيته بأبي قبيس قولان :

أحدهما - أن آدم كاه بذلك حين أقْبَسَ منه النار التي بين أيدي الناس

- وقد تقدّم بيان ذلك في الباب الرابع من القسم الثاني من هذا القرن في ذكر التيران) .

الثاني - أنه أضيف إلى رجل من جرهم كان يتعبد فيه، اسمه أبو قيس .
ويقال فيه أبو قابوس، وشيخ الجبال . وكان من قبل يسمى بالأمين .
وقال محمد بن السائب الكلبي : "إن الله عز وجل لما خلق الأرض، مادت
بأهلها . فضرها بجبل السراة فاطمأنت " .

• وهو أعظم جبال العرب وأكثرها خيرا، ويسمى الجحاز . وهو الذي حمز بين
تهامة ونجد . قهامة من جهته الغربية مما على البحر، ونجد من جهته الشرقية .
وهو أخذ من قمر عدن إلى أطوار الشام^(١) . ويسمى هناك جبل لبنان . فإذا تجاوز
اللاذقية ومرت بالنفور، سُمي جبل اللكّام . ثم يمتد في بلاد الروم إلى بلاد أرمينية،
فيسمى هناك حارثا وحورثا . ثم يمتد إلى بحر انحرز، وفيه "الباب والأبواب" .
وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : "ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ" إنه جبل يحيط بالعالم
من زمردة خضراء، وإن جبال الدنيا متفرقة عنه .

وقال قوم : إن السماء مطبقة عليه والشمس تقرب فيه، وهو المجاب الساتر لها
عن أعين الناس، في أحد الوجوه المفسر بها قوله تعالى : "حَتَّى تَوَارَتْ بِالْمِحَابِ" .
وقال قوم : إن منه إلى السماء مقدار ميل، وإن الذي يرى من خضرة السماء
مكتسب من لونه .

وقال ابن حوقل : جميع الجبال الموجودة في الدنيا متفرقة عن الجبل الخارج
من بلاد الصين، مشرقا ذاهبا على خط مستقيم إلى بلاد السودان مغربا .

(١) في الأصل أطبران، وهو تحريف . والتصحيح عن البرقي : أطوار الشام وفيه في موضع آخر
"أطراف برادى الشام" ومثل ههنا في ياقوت . وأطوار الوادى نواحيه وكذلك أطوار البلاد
والطريق واحد على طر . وأطوار البلاد أطرافها . (عن تاج العروس) .

(٨٠) وقال أبو الفرج قدامة بن جعفر في "كتاب الخراج" : وجدت خلف خط الاستواء في الجنوب وقبل الإقليم الأول جبلا تسعة : خمسة منها متقاربة المقادير، أطولها ما بين أربعمائة ميل إلى خمسمائة ميل، وجبلا طولها سبعمائة ميل، وجبل القمّر، وطولها ألف ميل، وجبلا بعضه وراء خط الاستواء، وبعضه في الإقليم الأول، وجبلا بعضه وراء خط الاستواء، وبعضه في الإقليم الثاني .

قال : ومجموع ما عُرِف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا . منها في الإقليم الأول سبعة عشر جبلا، وفي الإقليم الثاني تسعة وعشرون جبلا، وفي الإقليم الثالث أحد وثلاثون جبلا، وفي الإقليم الرابع أربعة وعشرون جبلا، وفي الإقليم الخامس تسعة وعشرون جبلا، وفي الإقليم السادس أربعة وعشرون جبلا، وفي الإقليم السابع أربعة وأربعون جبلا .

٢ - ذكر أسماء ما ارتفع من الأرض إلى أن يبلغ الجبل

ثم ما ارتفع عن ذلك إلى أن يبلغ الجبل العظيم، وترتيب ذلك قال الثعالبي في كتابه المترجم "بقفه اللغة" وأسنده إلى أمثها :

أصغر ما ارتفع من الأرض النبكة، ثم الراية أعلى منها، ثم الأكمة، ثم الزبية، ثم النجوة، ثم الرُبْع، ثم القُفّ، ثم الهضبة (وهي الجبل المنبسط على الأرض)؛ ثم القرن (وهو الجبل الصغير)؛ ثم اللُك (وهو الجبل الذليل)؛ ثم الضلع (وهو الجبل الذي ليس بالطويل)؛ ثم النُق (وهو الجبل الطويل)؛ ثم الطود؛ ثم البانخ والشاخ؛ ثم الشاق؛ ثم المشمخر؛ ثم الآقود والأخشب؛ ثم الأيهم؛ ثم القهب (وهو العظيم)؛ ثم الخشام .

(١) في الأصل : الجبل الكبير . وقد أعتمدنا ما في القاموس وقفه اللغة أيضا .

٣ - ذكر ترتيب أبعاد الجبل

قال النعماني :

- أول الجبل الحفيض، وهو القرار من الأرض عند أصل الجبل .
 ثم السفع، وهو ذيله .
 ثم السد، وهو المرتفع في أصله .
 ثم الكيخ، وهو عرشه .
 ثم الحشن، وهو ما أطاف به .
 ثم الريد، وهو ناحيته المشرفة على الهواء .
 ثم المرعرة، وهي غلظه ومعظمه .
 ثم الحيد، وهو جناحه .
 ثم الرعن، وهو أذنه .
 ثم الشعفة، وهي رأسه .

وقال صاحب كتاب " الفناخر " : يقال من أسماء الجبال : العظيم منها الطور،
 والطود، والكفر، والقهب، والممود، والعلم، والأرعن^(١)، والمشمخر .
 والأهم الطويل، وهو الشاخ، والشاهق، والبادخ، والباسق، والأقود .
 والأخشب، الخشن .
 والعقاب، الصباب .
 والثنايا، التي ليست بصعبة .

(١) كذا بالأصل - وأتى في الفناوس والسان والخصم (الرعن أذن الجبل المتقدم أو الجبل

الطويل) فإنها من تحريف الشاخ .

والهَرْتَمُ، النَّخْرُ .

وَالنَّشَامُ، جَبَلٌ طَوِيلٌ ذُو أَنْفٍ .

وَالوَزَرُ، وَالْمَلَجَا، وَالْقَلْعَةُ، مَا يُحَصَّنُ فِيهِ .

وَالْقَرْنُ، جَبَلٌ صَغِيرٌ .

وَالضَّلْعُ وَالنُّكُّ، فِيهِ دِقَّةٌ وَأَحْيَاءٌ .

وَالْيَتِيُّ، الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ أَنْ يُرْتَقَى إِلَيْهِ .

وَأَعْلَى الْجَبَلِ قُلَّتُهُ وَقُتَّتُهُ وَذَوَابِتُهُ .

وَعُرْعُرَتُهُ، غِلْظُهُ .

وَالْفَنْدُ، الْقِطْعَةُ مِنْهُ .

وَشَعْفُهُ وَمَصَادُهُ، إِطْلَاهُ .

وَالْكَيْجُ وَالْكَاخُ، عُرْضُهُ .

وَالرُّخُ، نَاحِيَتُهُ الْمُشْرِفَةُ عَلَى الْهَوَاءِ .

وَالْحَضِيضُ، أَسْفَلُهُ .

قال : وصفاً الجبال ، الِيقَعُ ، والضَّرْسُ ، والضَّرْبُ ، والْمَنْتَبَةُ ، وَالْمَنْتَوْتُ ،

وَالْأَكْمَةُ ، وَالْمَضْبَةُ .

وَالذَّرِيحَةُ ، مَا آتَبَسَطَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

وَاللَّوْذُ ، حَضْنُ الْجَبَلِ وَمَا يُطِيفُ بِهِ .

(١) في الأصل : الرِّجْجُ بِالْوَاوِ . وهو تصحيف من النَّاسِجِ . وقد صحهناه اعتماداً على ما في القاموس

والمختصر .

(٢) كذا بالأصل رغم نثرها في القاموس واللسان والمختصر .

- والرَّيْدُ والرُّيُودُ، نَوَاحِيه المَحْدَدَةُ .
والجِدُّ، شاخِصٌ يَتَقَدَّمُ كَالجَنَاحِ . ومثله الشُّعُوفُ .
والصُّدْعُ والشَّقْبُ، شَقٌّ فِيهِ .
والنَّارُ والكُهْفُ، مثل البُيُوتِ فِيهِ .
والقُرْدُوعَةُ، الزَاوِيَةُ فِيهِ .
واللَّهَبُ وَالنَّفْثُ وَالنَّارُ، مَهْوَاةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .
وَالشُّؤْنُ، خُطُوطٌ فِيهِ .
وَالْمَحْرَمُ، مُتَقَطِّعٌ أَنْفُهُ .
وَالْقِرْنَانِ، شِبْهُ الْأَنْفِ .
وَالْإِرْمُ، الْعَلَمُ فِيهِ .

٤ - ذكر ترتيب مقادير الحجارة

قال النعماني :

- إذا كانت صغيرة، فهي حَصَاةٌ .
فإذا كانت مثلَ الجَوْزَةِ وصلحت للأستنجاء بها، فهي نَبْلَةٌ . وفي الحديث :
”إِخْتُمُوا الْمَلَائِئِنَ وَأَعْتُوا النَّبْلَ“ . يعني عند إتيان الغائط .
فإذا كانت أعظم من الجَوْزَةِ، فهي قُتْرَةٌ .
فإذا كانت أعظم منها وصلحت للقذف، فهي مِقْدَافٌ وَرُبَّمَا مِرْدَاةٌ . ويقال :
إن المِرْدَاةَ، سَجَرُ الضَّبِّ الَّذِي يَنْصِبُهُ عِلَامَةً بِحَجَرِهِ .
فإذا كانت مِثْلَ الكُفِّ، فهي يَحِيرٌ .

فإذا كانت أعظم منها، فهي: فيهر، ثم جندل، ثم جلمد، ثم حفرة، ثم قلعة. وهي التي تنقلع من عرض الجبل. وبها سميت القلعة التي هي الحصن. وقال صاحب كتاب "الفنح": من أسمائها، الحجارة، والجلمود والجلمد الحجر الصلب.

والبريطيل، الصخرة العظيمة.

والصفوان، الأملس.

والرؤمة، الحجر العظيم.

والأمان، حفرة في تمثيل ماء أو حافة نهر.

والإزاء، التي عند مهراق الدلو.

والرؤمة، ما تطوى به البئر.

والكنان، الرنخو.

والبرقع، الأبيض الرنخو.

والمدق والمذالك والصلابة، حجر العطار الذي يسحق عليه العطر.

والههر، ما يلا الكلف ويسحق به العطر.

والمرداة، ما يكسر به الحجر.

والمرداس، ما يرى به في البئر لينظر فيها ماء أم لا. قال الشاعر:

مَنْ جَعَلَ الْعِدَّةَ الْقَدِيمَ الَّذِي * أَنْتَ لَهُ عِدَّةُ إِحْرَاسِ،

إِلَى ظُنُونِ أَنْتَ مِنْ مَائِهِ * مَتَّظِرٌ رَجْعَةَ مِرْدَاسِ.

والنشف، حجر تملك به الرجل في الحمام.

والقتل، ما كان في طرق الجبال.

- والأُفَيْسَة - ما يُنْصَب عليه القدر .
 والقُلَاعَة ، ما يُرى به في المِقلَع .
 والقُرْآن ، حِجَارَة عَمْدَة يَذِجُّ بها .
 والصَّنِيع ، مَارَقٌ منه وعَرَض .
 والقُفْأ ، حِجَارَة عِرَاض .
 والفَلَك ، قِطْعَة مُسْتَدِيرَة وترْضَع عما حوْطها .
 والمُسْمَلَك ، المذْور .
 والكَلِيت ، حَجَر مُسْتَدِير يَسَدُّ به وِجَار الضُّيْع .
 والبَلِيت ^(١) ، التَّام .
 وقال ابن الأعرابي : القَيْبِلَة ، حَفْرة على رأس البئر ، والعُقَابَان من جَنبَتَيها يعضدانها .
 ومنها المَرْو ، وهي البِيض كالحصى .
 والحَصْبَاء ، الصغار .
 والرَّضْرَاض ، نَحْوُهَا .
 والقَضِيض ، أَصْفَرُ مِنْهَا .
 والزَّائِر ، واحِدُهَا زَائِرٌ ، أَصْفَرُ مَا يَكُون .

(١) كذا بالأصل وعادة القاموس (والبليت كَيْبَلِت لفظاً ومعنى) والسان (والبليت الرجل الرُّمَيْت) وهو الخليم الساكن القليل الكلام .

• — ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الجبال والمجارة

ما جاء من ذلك على لفظ أهل . يقال :

أَهْلٌ مِنْ ثَلَاثٍ . أَهْلٌ مِنْ نَضَادٍ . أَهْلٌ مِنْ أَحَدٍ . أَصْلَبُ مِنَ الْحَجَرِ . أَصْلَبُ مِنَ الْجَنْدَلِ . أَفْسَى مِنَ الْحَجَرِ . أَصْبَرُ مِنْ حَجَرٍ . أَبْيَسُ مِنْ صَخْرٍ . أَبْيَى مِنَ النَّفْسِ فِي الْحَجَرِ .

ويقال :

رُبِّي فَلَانٌ بِحَجَرِهِ . رُدَّ الْحَجَرُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكَ . وَجَّهَ الْحَجَرَ وَجْهَةً مَا . أَيْ دَبَّرَ الْأَمْرَ عَلَى وَجْهِهِ . أَلْقِيَهُ بِالْحَجَرِ ، أَيْ جَلِبُونَهُ بِحَوَائِجِ مُسَكَّتٍ . رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ الْأَتَانِي . أَنْجَذَ مَنْ رَأَى حَضَنًا (وَحَضَنُ جَبَلٍ بَنَجْدٌ) أَيْ مَنْ رَأَاهُ لَمْ يَحْتَجْ أَنْ يَسْأَلَ هَلْ بَالِغٌ نَجْدًا أَمْ لَا . اللَّيْلِ يُوَارِي حَضَنًا ، أَيْ يُخْفِي كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْجَبَلَ .

١٠

من أنصاف الآيات :

* كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ * إذا قَطَعْنَا عِلْبًا بَدَا عِلْمٌ .

* قَوْمُوا أَنْظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ * .

(يضرب لموت الرؤساء) .

١٥

* جَنْدَلَتَانِ أَصْطَكَا أَصْطَكَا كَا * .

(يضرب للفرين يصاولان) .

ومن الآيات :

وَلَوْ بَنَى جَبَلٌ يَوْمًا عَلَى جَبَلٍ ، * لَأَتَهَدَّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ !

تَنْسَارُ الْأَطْوَادُ وَهِيَ شَوَائِحُ * حَتَّى تَصِيرَ مَدَاوِسَ الْأَقْدَامِ .

٢٠

جُدَّ قَدْ تَتَجَرَّرُ لِلْمَخْشَرَةِ بِالمَاءِ الزُّلَالُ .

٦ — ذكر شئ مما قيل في وصف الجبال وتشبيهها

قال السمويل بن عاديا :

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مَنْ يُجِيرُهُ * مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطُّرْفَ وَهُوَ كَيْلُ !
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ * إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلُ !

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

وَأَزَعَنَ طَمَاحُ النُّؤَابَةِ بِأَذْنِ * يَطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِنَارِ .
يَصُدُّ مَهَبَ الرِّيحِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ * وَيَزَحِمُ لَيْلًا شَبَّهَ بِالنَّمَاكِبِ .
وَقُورٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَسَلَةِ كَأَنَّهُ * طَوَالَ اللَّيَالِي نَاطِرٌ فِي الْعَوَاقِبِ .
يَلُوثُ عَلَيْهِ النِّيمُ سُودَ عَمَائِمِ * لَمَّا مِنْ وَبِضِ الْبَرْقِ حُمُودَاقِبِ .
أَحْفَتُ إِلَيْهِ وَهُوَ آخِرُ صَامِتٍ * حَدَّثَنِي لَيْلُ السَّرَى بِالْمَجَاقِبِ .
وَقَالَ : أَلَا كُنْتُمْ مُلْجَأَ فَايِكِ * وَمَوْطِنَ أَقْوَاهِ وَمَوْئِلَ تَائِبِ !
وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ * وَقَالَ بِسْفِيحِي مِنْ مِطْلَى وَرَاكِبِ !
وَلَا ظَمَ مِنْ نَكْبِ الرِّيحِ مَاطِطِي * وَزَاخَ مِنْ خُضْرِ الْحَارِ جَوَانِبِ !
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّتَهُمْ بِذَالِدِي * فَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النُّوَى وَالنَّوَابِ .
وَمَا غِيَصَ السُّلُوَانُ تَمْنِي وَأَتَمَّا * نَزَفَتْ دُمُوعِي مِنْ فِرَاقِ الْأَصْحَابِ .
وَأَتَمَنِّي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عَرِيَةٍ * يُتَرَجِّمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ .
فَسَلَّى بِمَا أَبْكِي، وَسَرَّ بِمَا تَهْجِي، * وَكَانَ عَلَى لَيْلِ السَّرَى خَيْرَ صَاحِبِ .
وَقُلْتُ وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ مِطَاطِي : * مَسَلَامٌ فَإِنَّا مِنْ مُقِيمِ وَذَاهِبِ !

وقال أيضا عفا الله عنه :

(٨٧)

وأشرفَ طمّاج الذّؤابة شايع * تَمَنَّقَ بِالْحَوَازِ لَيْلًا، لَهُ خَصْرُ.
وَقَوَّرَ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي كَأَنَّمَا * يُصْبِغُ إِلَى تَجْوَى وَفِي أَذُنِهِ وَقْرُ.
تَمَهَّدَ مِنْهُ كُلُّ رُكْنٍ زَكَاهُ * فَطَقَّبَ إِطْرَاقًا وَقَدْ صَحَّكَ الْبَدْرُ.
وَلَاذَّ بِهِ تَمَرَّ السَّمَاءُ كَأَنَّمَا * يُجَسِّرُ إِلَى وَكْرٍ بِهِ ذَلِكَ النَّسْرُ.
فَلَمْ أَدْرِ مِنْ صَمْتٍ لَهُ وَسَكِينَةٍ * أَكْبَرُ مِنْ وَقَرَتْ مِنْهُ أُمُّ كَبْرُ.

وقال أيضا يصفه قرا من رسالة كتبها إلى بعض الرؤساء :

وكيف لي بقربك ودونك كل علم باذخ، حج الليل عليه رضاءه، وصاغت النجوم
هضاباه، قد تاه بطرقه، وشمخ بأفقه، وسال الوقار على عطفه، قد لاث من غمامه
عِمامه، وأرسل من رآبه ذؤابه، تُطَرِّزُهَا الْبُرُوقُ الْخَوَاطِفُ، وَتَهْوِيهَا الرِّيحُ
المواصف، بحيث مده البسيط، بساطا، وضربت السماء قسطا،

الباب السادس

من القسم الرابع من القرن الأول

١ - في ذكر البحار والجواهر

١٥ روى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: " لما أراد الله عز وجل أن
يخلق الماء خلق ياقوته خضراء وورف من طولها ورضها وسمكها، ثم نظر إليها بعين
الهيبة فصارت ماء يفرق لا يثبت في مضمح . فما يرى من التمزج والاضطراب
إنما هو ارتعاده من خشية الله تعالى، ثم خلق الريح فوضع الماء على متنه، ثم خلق
العرش ووضعه على متن الماء". وفسر بهذا قوله عز وجل: "وَوَكَّانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ".

٢ - ذكر بحار المعمور من الأرض

وبحار المعمور ثلاثة: أعظمها البحر المحيط، ثم بحر ما نيطش^(١)، ثم بحر الخزر .
فأما البحر المحيط وجزائره، ويسمى باليونانية أوقيانوس، ويسمى بحر الظلمات،
سمي بذلك لأن ما يتصاعد من البخار عنه لا تحمله الشمس لأنها لا تطلع عليه . فيخلط
ويتكاثف فلا يدرك البصر هيئته . ولعظم أمواجه، وتكاثف ظلماته، وغلظ مائه،
وكثرة أهوائه، لم يعلم العالم من حاله إلا بعض سواحله وجزائره القريبة من المعمور .
والذي علم به من الجزائر ستة من جهة المغرب، تسمى جزائر السعادات، والجزائر
الخالديات .

قال أبو عبيد البكري في كتابه المترجم "بالممالك والممالك": ولبازاء طنجة الجزائر
المسماة باليونانية، قُطُنَانُسْ أَى السعيدة . وسميت بذلك لأن في شَعْرَانِهَا وغيابضها كلَّها
أصناف الفواكه الطيبة من غير غراسة ولا فلاحه . وأن أرضها تحمل الزرع مكان
العشب، وأصناف الرياض بدل الشوك . وهي متفرقة متقاربة .

ويقال إن بعض المراكب عصفت عليها الريح فالتفتا إلى جزيرة من هذه الجزائر،
فنزلهن فيها من الركاب إليها، فوجدوا فيها من أنواع أشجار الفواكه وأشجار الأفاويه
وأنواع البواقيت كل مستحسن . فحملوا منه ما أطاقوا ودخلوا به بلاد الأندلس .
فسألهم ملكها من أين لهم هذا . فأخبروه بأمرهم، فجهز مراكب وسيورها فلم يقفوا على
جزيرة منها . وعدمت المراكب لعظم البحر وشدة عصف الريح فلم يرجع منها شيء .

(١) كذا في الأصل، وفي كثير من كتب الجغرافية العربية: وهو المعروف في كتب الجغرافية العربية

مثل أبي القدا بجرآنق، وعدت الأتراك بجرآنوف .

(٢) الشعراء: الأرض ذات الشجر .

ويقال إن هذه الجزائر مسكونة يقوم هم بالوحوش أشبه منهم بالناس . وبينها وبين ساحل البحر عشرة أجزاء .

ويقال إن في جهة المشرق مما على بلاد الصين ستة جزائر أخرى ، تسمى جزائر السيلي . يقال إن ساكنيها قوم من العلويين ، وقعوا إليها لما هربوا من بني أمية .

ويقال إن جزائر السيلي لم يدخلها أحد من الغريباء وطاوعته نفسه على الخروج منها لصحة هوائها ورقة مائها ، وإن كان منها في عيش قشيف .

وفي هذا البحر من الجزائر العامرة جزيرة بريطانية ، وهي تحاذي جزيرة الأندلس ، وأهلها صُهب الشعور ، زُرْق العيون .

ومما على بلاد إفريقيا جزائر يغمرها خلق من الفرنج ، لا يتقادون لبلد ، ولا يدينون بدين .

وفيما على الأرض الكيرة جزيرة ذات أبرجة ، يحيط بها سبعائة ميل ونمسون ميلاً ، وفيها أربع مدائن ، في كل مدينة ملك .

وجزيرة برفاعة . يحيط بها أربعة آلاف ميل ، وفيها ثلاث مدائن عامرة . والتدخل إليها قليل . وهي كثيرة الأنواء والأمطار . وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلّة طلوع الشمس عندهم ، ويجعلونه في بيت ويوقدون النار حوله حتى يجف .

وجزيرة أنقلطرة . فيها مدائن عامرة ، وجبال شاهقة ، وأودية ، وأرض سهلة . والشتاء بها دائم . وبين هذه الجزيرة والبحر مجاز سمعته اثنا عشر ميلاً .

وفيه مما يلي الصقالية جزيرتان : أحدهما جزيرة أمرنانيوس النساء ، لا يسكنها غير النساء فقط . وتسمى الأخرى أمرنانيوس الرجال ، لا يسكنها غير الرجال . وهم في كل عام يجتمعون زمان الربيع ، ويتناكحون نحواً من شهر ثم يفترون .
ويقال إن هاتين الجزيرتين لا يكاد يقع طرف أحد عليهما لكثرة الغمام ، وظلمة البحر ، وعظم الأمواج .

٣ - ذكر ما يتفرع من البحر المحيط

يتفرع من البحر المحيط خليجان : أحدهما من جهة المغرب ، ويسمى البحر الرومي . والآخر من جهة المشرق ، ويسمى البحر الصيني ، والهندي ، والفارسي .
والثاني ، والحبشي ، بحسب ما يتر عليه من البلاد .
وهما المرادان بقوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ .
أي لا يبغي هذا على هذا .

والبرزخ أرض بين القَرَمَا التي هي على بحر الروم ، وبين مدينة القُلُزْم التي هي على بحر الحبش^(١) ، مسافتها ثلاثة أيام . وقيل : البرزخ إرسال ماء البحر الحلو على ماء البحر المالح ، لأنه مَنَفِض له . فلا سبيل لأحدهما على الآخر ، بل جعل الله بينهما حاجزاً وهو البرزخ .

فاما البحر الرومي وجزائره ، فإن المؤرخين قالوا إن الإسكندر خفوه وأجراه من البحر المحيط . ويقولون إن جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت أرضاً واحدة يسكنها الإشبان والبربر . وكان بعضهم يُغير على بعض ، والحرب بينهم مجال . فلما

(١) في الأصل بحر فارس . وكان الأصوب أن يصر بالقط الذي اختاره لهذا المقام ، وهو البحر الحبشي

ملك الإسكندر، رغب إليه الإشباني فيا يحول بينهم وبين البربر، فرأى أن يجعل بينهما خليجا من البحر يمكن به احتراس كل طائفة من الأخرى. فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا، وعرضه اثنا عشر ميلا، وبني بجانبيه سكرين^(١)، وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها، وجعل عليها حراما يمنعون الجواز عليها من جهة البربر إلا بإذن من جملة نائبه عنه في بلاد الإشباني. وكان قاموس البحر أعل من أرض الزقاق، فطما وغطى السكرين والقنطرة، وساق بين يديه بلادا وطفعا على أخرى. حتى إن المسافرين فيه فيسبرون أن المراكب في بعض الأوقات يتوقف سيرها فيه مع وجود الريح. فيسبرون أمرها، فيجدون المانع لها سلوكها بين شرفات السور أو بين حائطين. فاعظم طولها وعرضها^(٢)، وصار بحرا.

- ١٠ قال صاحب كتاب "مباح الفكر ومنهاج العبر": وقد زاد عرضه سنة أميال عما كان عليه في زمن الإسكندر. فعبار ثمانية عشر ميلا.
- قال: وزعم السالكون فيه أن البحر بما جزر في بعض الأوقات، فترى القنطرة. قالوا: وهذا الزقاق ضئيل متلاطم الأمواج مهول، شبيه بما جاوره من البحر المحيط.

- ١٥ وأهل الأندلس يقولون إن بين هذا البحر وبين البحر المحيط بحرا يسمونه بحر الأيالية بتفخيم^(٣) اللام. وهو بحر عظيم الموج صعب السلوك.

(١) السكر (سكر السين) هو ما سد به النهر.

(٢) هو المسى بحر الزقاق واسمه الآن مجاز جبل طارق.

(٣) لعل المؤلف يشير إلى خليج ليون فهو مشهور بشدة التيار وصعوبة السلوك.

ومبدأ جريه من البحر الرومي من الإقليم الرابع . فلذا نخرج من الرقاق يتر مشرقا في جهة بلاد البربر وشمال المغرب الأقصى إلى أن يتر بالمغرب الأوسط ، إلى إفريقية ، إلى برقة ، إلى الإبرية ، إلى شمال أرض التيه وأرض فلسطين . فيمتز بسواحل الشام إلى أن يصل إلى السويدية التي هي فرضة أنطاكية ، وعندها حمز البحر . ومنها يعطف فيمتز على العلايا وأنطالية (وهما فرضتان لبلاد الروم) ، ثم على ظهر بلاد قسطنطينية إلى أن ينتهي إلى المكان الذي منه نخرج . وطوله خمسة آلاف ميل . وقيل سنة آلاف . وعرضه مختلف : ففي موضع ثلثائة ميل ، وفي موضع ستمائة ميل ، وفي موضع سبعمائة .

ويقال إن فيه ما يزيد على مائة وسبعين جزيرة . كانت عامرة بطوائف من الفرنج ، أخرب المسلمون أكثرها بالمغازي في صدر الإسلام . وأجل ما ملك المسلمون منها ، ثم أترع أكثره من أيديهم :

١ - جزيرة الأندلس .

٢ - وجزيرة يابسة . وهي حبال جزيرة الأندلس ، ومساقها يومان في يوم . وفيها مدينة صغيرة مسورة .

٣ - وجزيرة منرقة ، ومساقها يومان في نصف يوم . وفيها مدينة عامرة .

٤ - وجزيرة ميورقة . ويقال فيها مايورقة . ومساقها يومان في يومين ، وبها مدينة .

٥ - وجزيرة رودس . وهي حبال بلاد أفرنجة ^(١) . ويحيط بها ثلثائة ميل . وفيها حصنان .

٢٠ (١) هذا الوصف لا ينطبق على جزيرة رودس . بل على جزيرة قورسقة التي هي حبال بلاد أفرنجة أي فرنسا ، وهي تابعة لها .



٦ - وجزيرة سردانية . وطولها مائتان وثمانون ميلا ، وعرضها مائة وثمانون ميلا . وفيها ثلاث مدائن كبار . وسكانها قوم من الفريج متوحشون . وبها معدن فضة .

٧ - وجزيرة صقلية . وهي حبال إفريقية مضاهية لجزيرة الأندلس . وشكلها مثلث . يحيط بها خمسمائة ميل . كثيرة الجبال ، والحصون ، والأمصار ، والأنهار ، والأشجار .

ومما فيها من المدن المشهورة على ساحل البحر :

برمو . وبها يكون الملك ، وكانت قصبة الجزيرة بعد أن فتحها المسلمون ثم انتقل الناس منها إلى الخالصة . وهي محدثة . بنيت في أيام القائم ابن المهدي العبيدي . في سنة خمس وعشرين وثلثمائة . ثم صارت برمو وبقيت الخالصة ربضا لها ؛
١٠ وقطانية . وكانت عظيمة فأحرقها البركان الذي في الجزيرة . فبنى الأمبرطور مدينة عوضها ، وسماها غشطارة .

ومسيني . وهي على أحد أركان الجزيرة .

وسرقوسة . وهي على الركن الآخر ، والبحر يحيط بها من ثلاث جهاتها .

وطرابنش . وهي على الركن الثالث ، والبحر يحيط بها . ولها مجاز .
١٥

ومن بلاد هذه الجزيرة البرية : والشافة ، ومازر ، وكر كنت ، ونوطس ، وطبرمين ، وقصريانة ، والنور ، ورغوص ، وغيطة ، وغير ذلك .

وهذه الجزيرة . (ويقال بجزيرة ملاصقة لها) بركان ، وهو أظمة يخرج منها أجسام كأجسام الناس بنير رؤوس من النار ، فتعلو في الهواء ليلا ثم تسقط في البحر ، فتطفو على وجه الماء . ومنها يكون حجر المرو الذي تحك به الأرجل .
٢٠

٧ — وجزيرة بلونس . ودورها ألف ميل . ولها مجاز إلى البر الطويل ،
عرضه ستة أميال . فيها ما يزيد على خمسين مدينة ، القواعد منها خمس عشرة مدينة ،
وهي مشهورة عند الفرنج .

٨ — وجزيرة مالطة . وطولها أربعة وعشرون ميلا ، وعرضها اثنا عشر .
وفي وسطها مدينة واحدة .

٩ — وجزيرة قوسرة . وفيها مواضع متوحشة .

١٠ — وجزيرة أقر يطش . وهي حيال برقة . طولها ثلثمائة ميل ، وعرضها
مائة وثلاثون ميلا . وبها مدينتان : إحداهما تسمى الخندق ، والأخرى تسمى ربض
الجن . وفيها معدن ذهب .

١١ — وجزيرة قبرس . وهو أسم النحاس ، لأن بها معدن نحاس . يحيط بها
ألف ميل ونعمائة ميل . وفيها من المدن الجليلة : ليمسون ، والپاف بيا ، مفتحة ،
والماغوصة . وكلها في البحر . وفي وسط الجزيرة مدينة الأقسية ، وهي القصبة .
وبها يكون متولى الجزيرة .

٤ — ويخرج من هذا البحر خليجان

١٥ — أحدهما يسمى جون البنادقة ، والآخر يسمى خليج القسطنطينية .

١ — فأما خليج البنادقة . فإنه خليج كبير متسع ليس له قوة . وإنما هو
جوف له مكان ، سعة ما بينهما سبعون ميلا . يحيط بهذا الجوف مدن جليلة لطافة
من الفرنج تسمى البنادقة . وهي ذوات حصون وقلاع ممتعة .

ومبدؤه من شرق بلاد قلورية عند مدينة تسمى أذرنت^(١)، ومنتهاه بلاد إكلالة^(٢).
ومن هناك يعطف، وطوله ألف ميل ومائة ميل. وفيه ست جزائر، ثلاثة منها
في ضفة، وثلاثة في أخرى، بها مدن عامرة. وثلاثة معترضة بين ركنيه مهملة
لا ساكن بها.

- ٢ - وأما خليج القسطنطينية. ويسمى بحر نيطش فإن فوهته مقابلة
لجزيرة رودس، وسعتها غلوة سهم. ويقال إنه كان بين الشطين سلسلة طرفاها
في برجين تمنع المراكب من العبور إلا بإذن الموكل بها.

ويتر هذا الخليج نحو مائتي ميل وخمسين ميلا إلى أن ينتهي إلى القسطنطينية
فتكون في غربيه، يحيط بجهتين منها.

- ١٠ - وهي مدينة عظيمة مشهورة. وعرض البحر عندها أربعة أميال.
ثم يترستين ميلا حتى ينصب في بحر ما نيطش. وهو بحر سوناق. وعرض
فوهته هناك عشرة أميال. وفي موضع أقل، وفي موضع أكثر.
فهذا البحر الرومي وجزائره وما تفرع منه.

والله أعلم.

(١) في الأصل أكرنت وهو تحريف لمدينة أذرنت قال في نزهة المشتاق: خليج البادقين ومبدؤه من شرق
بلاد قلورية . . . من عند أذرنت . . . ويتهى طرفه إلى بلاد إكلالة .

(٢) في الأصل أنكلالة، وهو تحريف ظاهر عن إكلالة التي ذكرها الإدريسي في هذا الموضع .

٥ - وأما بحر الهند وجزائره

فببؤه من مشرق الصين فوق خط الاستواء . ويجرى إلى جهة الغرب ، فيجتاز ببلاد الواق ، وبلاد سُفالة الزنج ، ثم ببلاد الزنج حتى يصل إلى بلاد بربرا ، وهناك حمزه .

وأما الشرق : فببؤه من لوقين ، وهي أول مرافق الصين ، ثم يخافو فَوْضَة الصين العظمى ، ثم إلى سَمْتَدُور من بلاد الهند ، ثم إلى حاريتين ^(١) ، إلى قندرينه ، إلى ثانة ، إلى سندابور ، إلى بَرَّوص (ويقال بَرَّوج ، وإليها ينسب القماش البرَّوجي) ، إلى صَيَّور ^(٢) ، إلى سَمْتَدَان ، إلى سَوَاة ، إلى كَنَابَة . وإليها ينسب القماش الكَنَابِي (٣) ، إلى نَيْبَل (وهي أول مرافق السند) ، ثم إلى سرون ، ثم إلى التيز من بلاد مَكْرَان ، وهي أحد ركني الخليج الفارسي . والركن الآخر يسمى رأس الجُمُحَة : وهو جبل خارج في البحر ، ومن هناك يسمى بحر اليمن ، ثم يمتد على طَفَّار ، ثم على الشَّحَر ساحل بلاد مَهْرَة ، ثم على شُرْمَة وَلَسْعَا (ساحل بلاد حضر موت) ، ثم على أَيْن ، ثم على عَدَن ، ثم المَحْقَق ، ثم العارة ، ثم يمتد إلى باب المندب .

(١) قال البرزلي ما نصه : (في كتاب تحقيق ما للهند ص ١٠٣ سطر ٧) جزيرة الوقواق من جملة قير . وهو اسم لا كاسطه العوام من أنه شجرة حلهما كره . ومن الناس نصيح ولكن قير قوم ألوانهم إلى البياض قصار القنود على صور الأتراك ودين الهند يخرى الآذان وأهل جزيرة الوقواق منهم سود الألوان والناس فيهم أرغب ويحبب منهم الآبوس الأسود وهو لب شجرة تلقى حواشيا فأما الملعب والشوخط والصنل الأصغر فن الزنج . ٥١

(٢) لعل المقصود : قنديل (وقد ذكرها ياقوت) .

(٣) ويقال صيون (أنظر ياقوت) .

(٤) هي قصبة بلاد مكران بالسند .

ومن هناك يخرج خليج القلزم، وطوله ثمانية آلاف ميل، وعرضه يختلف .
 في موضع ألف ميل وسبعائة ميل، وفي موضع ألفان، وفي موضع دون ذلك .
 ويقال : إن بينه وبين البحر المحيط بجزيرة آخر يسمى البحر الزنقي، سمي بذلك
 لظلمته وسواده، وطوله ألف ميل ونعمائة ميل .
 وهذا البحر — أعنى الهندى — يجلته قسمه السالكون له ست قطع، وضعوا لها
 أسماء مختلفة .

١ — فالذى يترأض الصين يسمى بحر صنجى^(١)، ينسب لمدينة في جزيرة من
 جزائره . وهو بحر كثير الأمواج مهول . فإذا كان في أول هياجه ظهر فيه بالليل
 أشفاص سود، طول الواحد منهم خمسة أشبار وأقل من ذلك . يصعدون إلى
 المراكب ولا يضررون أحدا . فإذا عاينهم السفار، أيقنوا بالدمار . وإذا قدر الله
 تعالى نجاتهم من هذه الشدة، أراهم على رأس الدقل طائرا أبيض كأنما خلق من
 النور، فيتباشرون به . فإذا ذهب عنهم الروع، فقدوه .
 وفيه من الجزائر المعمورة :

جزيرة شريرة^(٢) . يحيط بها ألف ميل ومائتا ميل . فيها مدائن كثيرة، أجلها
 المدينة التى تنسب إليها، ومنها يحلب الكافور .
 ١٥ وجزيرة صنجى . وإليها تنسب هذه القطعة . وطولها مائتا ميل وعرضها
 أقل من ذلك . وفيها جواميس وبقر بغير أذئاب .

(١) لعل هذا الاسم هو "شنجو" لمسى واحد . وهى المروقة عند العرب باسم مدينة "زينون"
 وهى فرقة الصين (راجع أب القدا) .

(٢) سماها أبو القدا : سريرة .

- وحزيرة أنفوجة . يحيط بها أربعمائة ميل . عمارتها متصلة .
- ٢ — ويلي هذه القطعة قطعة تسمى بحر الصنف . في جزيرة من جزائر مدينة . وهو بحر خبيث كثير الأمطار والرياح الشديدة . وفي جباله معادن الذهب والرصاص ، وفيه مفاص اللؤلؤ ، وفي غياضه الخيزران . وفيه مملكة المهرج . ويشتمل على جزائر لا تحصى ، ولا يمكن المراكب أن تطوف بها في سنة . وفيها أنواع الطيب من الكافور ، والقرفة ، والعود ، والصندل ، والجوزبوى ، والبسباسة ، والكاجبة . ومن جزائره المشهورة :
- جزيرة الزايح . وتكسبها سبعة فرسخ ، وبها يكون المهرج ، وهو أسم يطلق على كل من ملكها .
- ١٠ وجزيرة البركان . وهي جزيرة فيها جبل يرى بالشر ليلاً ، وبالعود القواصف نهاراً ، وهي أحد أطام الدنيا المشهورة .
- وجزيرة قُمار . وإليها ينسب العود القهارى . وبها شجر الصندل . دورها أربعة أشهر . وهي مأوى عبّاد الهند وعلمائهم . يسمى ملكها قاصرون .
- وجزائر الزايح^(١) . وهي نحو ألف جزيرة معمورة . بها الملوك . وفيها معادن الذهب ، وشجر الكافور .
- ١٥ وجزائر لنجبالوس . ويقال لنكالوس . وهي كثيرة ، وأهلها سود . مشهور الصور لقربها من خط الاستواء . وبها معادن الحديد .
- ٣ — ويلي هذه القطعة قطعة تسمى بحر لاروى ، وبحركله ، وبحر الجاوه ، وبحر فنصور . وإنما ترادفت عليه هذه الأسماء بحسب ما يتر عليه من البلاد والجزائر .
- (١) في الأصل الزايح وفي نسخة المشتاق "الزاي" .

وهو بحر لا يدرك قمره . وفيه نحو ألف جزيرة تسمى جزائر النارجيل ، لكثرتة بها . وكلها عاصرة بالناس . وبين الجزيرة والجزيرة القرمخ والقرمضان . وليس يوجد في سائر جزائر البحر اللطف صنعة من أهل جزائره في سائر المهن . وبيوت أمواله الودع .

ومن جزائره المشهورة مما يلي أوائل بلاد الهند :

- جزيرة المائد . وهي جزيرة يحيط بها ألف ميل . وفيها ثلاث مدن كبار .
- وجزيرة كرموه . يحيط بها ثلثائة ميل .
- وجزيرة بلي . منسوبة لمدينة من الهند على ساحله . يأتيها التجار لاجل القفل .
- وجزائر الذئاب . وهي كثيرة . وأكبرها جزيرة ديبى . وسكانها قبائل من العرب . يحيط بها أربعائة ميل . وفيها الموز ، وقصب السكر .

- ١٠ • وجزيرة السيلان . وطولها ستمائة ميل ، وعرضها قريب من ذلك . وفيها مدن كثيرة . وإليها ينسب العود السيلى .

• وجزيرة ككه . وإليها ينسب البحر . وهي جزيرة خطيرة ، طولها ثمانمائة ميل . وعرضها ثلثائة ميل ونعمسون ميلا . وبها من المدن فنصور . فيها شجر الكافور (وفيها العود الفاخر) وملاير ، ولاروى ، وكله (وإليها ينسب التهن) . ولكل مدينة من هذه المدن خور تعبره المراكب من البحر .

١٥

• وجزيرة صندابولات . وطولها نحو من مائتى ميل ، وعرضها نحو مائة ميل . تنسب إلى مدينة هي فيها .

• وجزائر بداميان . فيها أمم سود ، قباح الوجوه . قامة الرجل منهم أقل من ذراع . ليس لهم مراكب . فإذا وقع اليهم غريق أو من يقيه من التجار . أكلوه .

٤ — ولي هذه القطعة قطعة تسمى بحر هر كند ، وفيه جزائر كثيرة . ويقال إن
عذتها ألف جزيرة وتسعمائة جزيرة . ويقع فيها المنبر الذي تكون القطعة منه مثل
البيت . وسكانها أحذق الناس في الحياكة ، ينسجون القميص بكمه ودياريزه
قطعة واحدة .
وفيه من الجزائر المشهورة :

جزيرة سرنديب ^(١١) . وهي مدورة الشكل ، يحيط بها ألف فرسخ . يشقها جبل
الراكون ، وهو الجبل الذي هبط عليه آدم (عليه السلام) من الجنة . وفي أوديتها الياقوت
والأساس والسَّبَاج . وطولها مائتان وستون ميلاً . ومدينة هذه الجزائر العظمى
تسمى أغنا ، يسكنها مسلمون ، ونصارى ، ويهود ، ومجوس . ولكل أهل ملة من
هذه الملل حاكم . لا يبنى بعضهم على بعض . وكلهم يرجع إلى ملك يستوسمهم ويجمع
كسبهم . ولهذا البحر أربعة أودية تصب في البحر تسمى الأغاب ^(١٢) .

٥ — ولي هذه القطعة قطعة تسمى بحر اليمن . وأوله بحر الجمحة ، وهو بلاد
مهرة . معترض في البحر فيمتر بحاسك (وهو أول مرافق اليمن) ، ثم يمر بمرباط ^(١٣) (ساحل
بلاد ظفار) ، ثم يمر بالشحر (ساحل بلاد مهرة) ، ثم بئرمة (ساحل بلاد
حضر موت) ، ثم بأين ، ثم بعلن ، ثم بالحق ، ثم بالعارة ، ثم الباب بالمندب .

(١) قال البيروني في كتابه على الهند : سنكديب وهي جزيرة سرنديب (ص ١٠٢) وفي أبي الفدا سنكديب .

(٢) الأغاب واحد غب . وهو — على ما قال البيروني — كالزاوية والطفلة يدخل من البحر إلى البر

ويكون السفن فيه تخاف وخاصة من جهة الله والجزر . والخور هو شبه القب ولكن ليس من جهة

دخول البحر وإنما هو من جهة المياه الجارية واتصاله بالبحر ساكناً وتخاف السفن فيه من جهة

المدورة التي لا تستقل بالأفقال استغلال المرحمة بها (تحقيق مالهوت ص ١٠٢) .

(٣) مدينة بين حضرموت وعمان وهي القُرْمَة لمدينة ظفار الواقعة على نخبة قراخ منها .

وفيه من الجزائر المشهورة :

جزيرة سقوطرة ، وطولها نحو من مائة وثمانين ميلا ، وعرضها في الوسط نحو خمسة عشر ميلا . وبها الصير . يسكنها قوم من اليونان ، تغلبوا على من كان فيها من الهند في زمن الإسكندر . وبها عيون يقال إن الشرب منها يزيد في العقل . ولهذا سميت في الكتب القديمة جزيرة العقل .

وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر الریح ، وبحر بربراء ، ويسمى ساحله الزنجبار . وفيه مما يلي بلاد البن جزائر منها :

جزيرة دعون^(١) ، وهي مدورة .

وجزيرة السود .

وجزيرة حورتان .

وجزيرة مروان . وفيها مدن يسكنها الشراق ، وهي مقابلة لبلاد مهرة .

وجزائر الديجات . وهي كثيرة . وأهلها مفرطون في السواد . وجميع ما عندهم أسود ، حتى قصب السكر والكافور .

وجزيرة القمر . وتسمى جزيرة ملاي . وطولها أربعة أشهر ، وعرض الواسع

منها يزيد على عشرين يوما . وهي تحاذي جزيرة سرنديب . وفيها بلاد كثيرة أجلها كيدانة ، وملاي (وإليها تنسب الجزيرة) ودهمي ، وبلق ، وخافورا . ودعلي : وقمرية (وإليها ينسب القمر) . ويقال : إن بهذه الجزيرة خشبا ، يثقت من الخشب

(١) من العلوم أن العرب يسمون شبه الجزيرة بالجزيرة . ولم أجد لهذا الاسم أثرا فيما بين يدي من كتب المراجعة فطلتها هي التي ذكرها ياقوت باسم "دغوث" وقال إنها بلد بنزاحي الشجر من أرض عمان أو لها "دغرة" التي قال أبو الفدا أنها آثار مدن سفالة وآثر العبارة في البر المختل .

منه شأن يكون^(١١) طوله ستين ذواعا ، يحذف على ظهره مائة وستون رجلا .
ولما ضاقت هذه الجزيرة بأهلها بنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف بهم . ومنها يخرج نهر النيل^(١٢) .

٦ - ويخرج من هذا البحر الذي يجمع هذه القطع خليجان

أحدهما بحر القلزم، والآخر بحر فارس .

١ - فأما خليج القلزم، فمروجه من باب المندب . وهو جبل طوله اثنا عشر ميلا ، وسعة فوهته بمقدار أن الرجل يرى صاحبه من البر الآخر . فإذا قارب المندب يتر في جهة الشمال ، بغلافة ، والأهواب (وهما ساحلا زبيد) ثم الجردة ، ثم الشرجة ، ثم عثر (وكانت مقر ملك قديم) ثم بالسرين ، وحلى ، وعسفان ، والحرار (وهي فوضة المدينة) والجحفة ، والصغراء ، والخوراء ، ومدين ، وأيلة ، والطور ، وفاران ، ثم القلزم (وكانت مدينة مسكونة ، وكذلك أيلة) . ومن القلزم ينمط من جهة الجنوب فيمر بالقصير (وهي فوضة لقوص) ثم إلى عيذاب (وهي فوضة لبلاد البجة) ، ثم يمتد إلى زيلم (وهي ساحل بلاد الحبشة) ويتصل ببربرا .

وطوله ألف ميل ونعمائة ميل . وعرضه في مواضع أربعمائة ميل ، ودون ذلك إلى مائتي ميل إلى ما دون ذلك .
وهو بحر كره المنظر والرائحة .

(١) أي من السفن المعروفة بأسم الثواني .

(٢) يخط الجغرافيون العرب كثيرا بين هذه الجزائر المعروفة بالقمر (بضم فسكون) وبين الجبل المعروف بالقمر (فتح فسكون) فيجعلونها شيئا واحدا ويقولون يخرج منابع النيل من تلك الجزائر . وهذا أمر غير معقول .

وفيه فيما بين القلزم وأيلة المكان المعروف بتاران، وهو مكان يشبه دُرْدُورَ عَمَّانَ .
لأنه في سفح جبل إذا وقعت الريح على دُرْدُورَتِهِ انقطعت بنصفين على شُعْبَتَيْنِ
مقابلتين ؛ ثم يخرج من كُتْبَي هاتين الشعبتين ، فيثير البحر فتبَلِّد السفن باختلاف
الريح فلا تكاد تسلم . وهاتان الشعبتان تسميان الجحيلين ، ومقدار هذا الموضع
سنة أميال ، ويسمى بركة الغُرْنَدَن ^(١) . ويقال : إنها التي أغرق الله فرعون وقومه
فيها . فإذا كان للجَنُوب أدنى مهب ، فلا يمكن سلوكه .

(٢٧)

وفيه من الجزائر خمس عشرة جزيرة ، العاصر منها أربعة ، وهي :
جزيرة دَهْلَك . يحيط بها نحو مائتي ميل ؛ يسكنها قوم من الجبوش . مسالمون .
وجزيرة سواكن . وهي أقل من ميل في ميل . وبينها وبين البحر الحبشي
بحر قصير يخاض . وأهلها طائفة من البُجَّة تسمى الخاسد وهم مسالمون ، ولهم بها ملك .
وجزيرة النعمان . وبها نوبس تعيش من لحوم السلاحف ^(٢) .
وجزيرة السامري . يسكنها قوم من اليهود ، سامرة ، في عيش قَشِيف .
٢ — وأما خليج فارس . فإنه مثلث الشكل على هيئة القلغ .

أحد أضلاعه من يَزْ مُكَرَّان . فيمَرُّ في بلاد كُرْمَان على هُرْمَز ، ومن بلاد فارس
على سِيرَاف ، وتُوح ، وَتَجِيم ، وَجَنَابَه ، وَدَارِين ، وَسِينِيز ، وَمَهْرُوبَان ؛ ومنها يُقضى
١٥

(١) الذي في تخرم أبي الفداء : الغرنديل باللام .

(٢) تصغير ناس .

(٣) هكذا في الأصل وفي أبي العبد . وأما يا قوت فقال إنه توج . (وضبطه أبو الفداء ضم الـ ،

وصكونه الواو) وأخفى أبو غداء . ويا قوت عن أنها هي التي تسمى أيضا توز (ولكن يا قوت ضبطها

بفتح قشديد) . والذي في يا قوت هو النصاب كما يترجم من "ب الباب" للسيوطي ، ومن
٢٠ "لغات المعارف" للعالبي .

البحر إلى عبادان، ومن عبادان ينعطف الضلع الآخر فيمُر بالخط، وهو ساحل بلاد عُمان إلى صور، وهي ساحل بلاد عمان مما يلي بلاد اليمن؛ ثم يمتد إلى رأس الجمجمة من بلاد مهرة .

والضلع الآخر يمتد على سطح البحر من تيز مُكرَّان إلى رأس الجمجمة .

وهذه الأضلاع غير متفاوتة في الطول؛ فإن الضلع الذي يمتد على سطح البحر طوله نحو مائة ميل، وطول الضلع الآخر من حيث يتدنى من تيز مُكرَّان إلى أن ينتهي إلى عبادان ثم ينعطف إلى أن يصل إلى رأس الجمجمة، تسعمائة ميل .

وفيه مما يلي عبادان مكان يعرف بالدردور . وهو بين جبليْن، أحدهما يسمى كُسير، والآخر عُوير . ويضاف إليهما جبل آخر بالقرب منهما يقال فيه "وآخر مافيه خير" لشدة ما يرى بها من الأهوال . وهي جبال سود ذاهية في الهواء يتكسر الماء على شُعْبها . ولا بد للراكب أن تموت بينهما، وقبلما تسلم .

وفي هذا البحر من الجزائر المشهورة على السنة التجار تسع، منها أربعة عامرة؛ وهي :

جزيرة خارك . يحيط بها اثنا عشر ميلا . وهي عامرة أهلة كثيرة البساتين . وبها مفاص اللؤلؤ .

وجزيرة كيش . وبها مفاص اللؤلؤ أيضا . وهي أهلة . وتسمى هذه الجزيرة في عصرنا هذا "قيس" .

وجزيرة أوال . وهي تجاه ساحل البحرين، وبينهما يوم . وبها مدينة . وأوال مدينة من مدائن البحرين .

وجزيرة لافت . وتعرف بجزيرة بنى كاوان^(١) . وطولها اثنتان وخمسون ميلا ،
وعرضها تسعة أميال . وهى آهلة .

وهاتان الجزيرتان معدودتان فى بلاد جُور من أعمال فارس .

ويقال أيضا إنه يخرج من البحر المحيط خليج ثالث فى شمال الصقالة ، ويمتد
قرب بلد بلغار المسلمين ، ويسمى بحر أدريك ، منسوب إلى أئمة على ساحله .
فى جهة الشمال ، ثم يعرف نحو المشرق ، وبين ساحله وبين أقصى بلاد الترك أرضون
وجبال مجهولة خربة .

فهذا البحر المحيط وما يتفرع منه .

٧ — وأما بحر مانيطش^(٢)

ويسمى البحر الأسود وبحر سوادق . وهى مدينة على ساحله . وهى فُرْضة
لبلاد القفجاق مما إلى القسطنطينية . وعليه أيضا للقفجاق مدينة عظيمة تسمى قَرم^(٣) ،

(١) ويسمى الإدريسي : ابن كاوان ، وغيره يسميها : بركاوان .

(٢) جرى المؤلف على تعريف هذا البحر بأنه المعروف بالبحر الاسود . والحقيقة أن بحر نيطنش هو

المعروف الآن بالبحر الأسود . وأما بحر مانيطش فهو المعروف ببحر آزاق وبحر آزرف . وما يجب

التنبه عليه أن كثيرا من كتاب العرب يخلطون بين هذين البحرين . ولذلك قال المسعودى :

”بحر نيطنش وبحر مانطش يجب أن يكونا بحرا واحدا ، وإن تضايق البحر فى بعض المواضع بينهما

أوصار بين المائمين كالخليج . وليست تسمية ما أتسع منه وكثير ماؤه بمانطش . وما ضاق منه وقل

ماؤه بفيطنش يبنى أن تجمعهما فى اسم مانطش أو نيطنش . فإذا عُرِّنا فى بعض المواضع فى مبسوط

هذا الكتاب قلنا ”مانطش“ أو ”نيطنش“ فلأنما يزيد به هذا المعنى فيما أتسع من البحر وضائق“ .

(٣) (من مروج الذهب ، ص ٥٨) .

(٣) وهما سميت شبه الجزيرة الموجودة فى البحر الأسود وهى شبه جزيرة القرم .

- مقصودة من كل الجهات . وبها علماء، وفقهاء، ورؤساء . وهي محدثة . مُصَرَّتْ فيما بين الثلاثين والأربعين وسُمّاة للهجرة النبوية . ويسمى هذا البحر أيضا بحر الروس، بلزائريه يسكنها أمة تسمى الروس، نصارى . وهو بحر ضخم كثير الأخوار والتروش والجبال الجرش . وطوله من الشمال إلى الجنوب ألف ميل وثلاثمائة، وعرضه مختلف . ففي موضع سُمّاة ميل، وفي موضع ثلثائة ميل . والناس مختلفون فيه . فمنهم من يقول إنه بحر مستقل بنفسه، يخرج منه خليج القسطنطينية ويصب في بحر الروم أو هو مغيبض لخليج القسطنطينية . وأكثرهم على أنه بحر مستقل بنفسه لطوله وعرضه وكثرة جزائره . وبعضهم يقول إنه خليج يخرج من البحر المحيط على ظهر بلاد الصقالة، ويحيط به بلاد البطلمية، وبلاد الغامانية، وبلاد الأركشية، وبلاد الشركسية، وبلاد الملان والعنكر والتاشقود .
- ١٠ وفيه ست جزائر عامرة، وهي كثيرة المدن والقرى، يسكنها الروس .

٨ — وأما بحر الخزر

وهو بحر جرجان وطبرستان والديلم . وذلك بحسب ما يتر عليه من البلاد . وهو — على ما حكاه ابن حوقل — مدور الشكل، ليس له اتصال ببحر آخر .

- (١) في الاصل التروس . ولكن الإدريسي يستعمل لفظة "التروش" بالثين المعجمة . ومناها الشعب أى 'مخزور' التي تكون تحت سطح الماء قليلا فتكسر السفن وتتحطم إذا اصطدمت بها .
- (٢) الملان ترك تجبروا وهم خلق كثير وقلتهم إحدى قلاع العالم تنعم بالسحاب (عن أبي الفدا) وبلادهم في أرض قنجاان أو قنقاسية وهم المشهورون في كتب العرب أيضا بأسم اللان .

قال : ولو أن إنسانا طاف به ، لا انتهى إلى الموضع الذي ابتدأ منه ، لا يقطعه عن ذلك إلا نهر^(١) يصب فيه .

وفي شرق هذا البحر بعض بلاد الديلم ، وبلاد طبرستان ، وجرجان ، وبعض المسافة التي بين جرجان وخوارزم ، وغريبه بلاد أزان ، وبلاد الخزر ، وبعض مفازة^(٢) التزية ، وشماليه مفازة الطغزغرية ؛ وجنوبيه الجبل ، والديلم^(٣) . وطوله ثمانمائة ميل ، وعرضه مائة ميل .

وقال صاحب كتاب "نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق" : طوله من جهة الخزر إلى عين ألم ألف ميل^(٤) ، وعرضه من ناحية جرجان إلى مصب نهر إتل ستمائة ميل^(٥) ، ونحسبون ميلا وهو يقطع عرضا من طبرستان إلى مدينة باب الأبواب في أسبوع بالريح الطيبة ، وفيه أربع جزائر ، وهي :

جزيرة سيالكوه^(٦) . وهي تجاه أبسكون ، فرضة جرجان . يسكنها طائفة من الترك . يصاد بها البزاة البيضاء .

وجزيرة سهلان . وطولها نحو مائة ميل ، وعرضها نحو خمسين ميلا .

(١) هذا ملخص العبارة التي أوردها ابن حوقل (أنظر كتابه ص ١٣) .

(٢) في الأصل : الفرة . والتصحيح عن أبي الفدا .

(٣) في الأصل : الختل (وهو تحريف ظاهر من النساخ) .

(٤) هكذا في مقدمة الإدريسي (في جميع النسخ) ولكنه عند كلامه على الجزء السابع من الإقليم الخامس نص على أن طول هذا البحر ٨٠٠ ميل وأن عرضه ٦٠٠ ميل (وهذا هو الذي نقله عنه أبو الفدا) ثم عاد الإدريسي فقال إذا طوله ٩٠٠ ميل .

(٥) في الأصل مائه ميل [والتصحيح عن الإدريسي] .

(٦) في الأصل : بسالكوه . والتصحيح عن أبي الفدا .

وجزيرة البركان^(١) . وهي أظمة عظيمة تظهر منها نار في الهواء ، كأشباح ما يكون من الجبال . ترى من نحو مائه فرسخ من البر .

وجزيرة تجاه باب الأبواب . كثيرة المروج والأشجار . وهذا البحر يقال إنه كثير التناين .

وقد اختلف فيها . فمن الناس من يقول إنها دواب تعظم في قعر البحر فتؤذي ما به من دواب ، فيبعث الله عز وجل عليها السحاب والملائكة فتخرجها من البحر وتقلها في أرض يأجوج ومأجوج ، فتكون طعاما لهم . وهذا مما يحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما . ومنهم من رأى أنها ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلى النسيم وتلحق بالسحاب ، كالزوبعة التي تثور من الأرض وتستدير ثم تطول في الهواء . فينهم الناس أنها حيات سود .
وسائر البحار تحمّده ويحجزه ، بخلاف هذا البحر .

ويقال إن علة المد والجزر تكون عن وضع الملك الموكل بقاموس البحر عقبه في أقصى بحر الصين ، فيفور فيكون منه المد ، ثم يرفعه فيكون من رفعه الجزر . (منهم من روى مكان العقب الإيهام) .

ومنهم من قال إن العلة فيه غير هذا كله . والله أعلم !

(١) هي شبه الجزيرة المعروفة الآن باسم أيترون . وفيها مدينة باكو المشهورة وهذه المدينة سماها أبو القفا "باكوى" وسماها المسعودي "باكه" وقال إن بها معدن النفط الأبيض (أي البترول) ثم قال وفي هذه الناطقة أظمة ، وهي عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الأوقات تنضم الصعداء .
فهذا هو الذي عناه التوريرى باسم "البركان" .

ذكر ما في المعمور من البحيرات المالحة المشهورة

وما بها من العجائب

وفي المعمور بحيرات مالحة :

فالذي أشهر منها :

- § بحيرة خوارزم . وشكلها مثلث كالقُلْع . وليس في المعمور بحيرة أعظم منها . يحيط بها أربعمائة فرسخ . يصب فيها نهرا سيحون وجيحون ، اللذان في أرض الهياطلة ، وغيرهما من الأنهار العظيمة الجارية في بلاد الترك . وهي مع ذلك لا تُريد ولا تعذب .

- وزعم صاحب كتاب " نزهة المشتاق إلى آخترق الآفاق " أن في هذه البحيرة حيوانا يظهر على سطحها في صورة الإنسان يتكلم ثلاث كلمات أو أربعا ، بلغة لا تُفهم ثم يغوص . وظهوره عندهم يدل على موت ملك من ملوك ذلك الحين .

- § ومنها بحيرة الطَّرِيح^(١) : لسماك صغير يصاد منها ويحمل إلى سائر بلاد أرمينية وأذربيجان . وطولها أربع مراحل ، وعرضها مرحلة . يُجمَع من أطرافها البُورق . والسماك يوجد بها في زمان مخصوص ، يأتيها في نهر يصب إليها ، ويكثر حتى يصاد بالأيدي . فإذا انقضى ذلك الزمان ، لا يوجد منه شيء أبدا .

(١) وأسمها في كتب الجغرافيا العربية بحيرة أرجيش ، وهذا السمك الذي سميت به ، كما في " القاموس "

سمك صنار تماذج بالبحر وتوكل . وقد عرفنا أين حوئل أنه صغير مفدراكير يملح ويحمل إلى الجزيرة الموصل والرقه وجران وحلب وسائر النور .

وفي بلاد أذربيجان بحيرة كَبُودَانْ . وَكَبُودَانْ قرية في جزيرة، يسكنها ملاحو المراكب التي يركب فيها من هذه البحيرة . وطول هذه البحيرة نحو ثلاثة أيام، وعرضها كذلك . وفيها جزائر : منها جزيرة فيها قلعة حصينة تسمى تلا . ولا يكون بهذه البحيرة حيوان ألبنة ، لأن ماءها متن رديء .

وفي بلاد البحرين بحيرة . وبها وبالبحر الكبير سميت أرض هجر : "البحرين" .
وفي الشام أرض القور بحيرة زُغَر ، وتسمى المُنْتَنَة والمَيْتَة . لأنها لا يعيش بها حيوان ولا يتكون فيها شيء مما يتكون في المياه الجارية والراكدة من الحيوانات . وطولها ستون ميلا، وعرضها اثنا عشر ميلا .

ويقال إنها ديار قوم لوط التي خسفهم الله بها . ويقال إنها كانت خمس مدن ، أسماؤها : "ضبعة" ، و"ضعوه" ، و"عمره" ، و"دوما" ، و"سندوم" . وكانت سندوم أكبرها وأعظمها .

ويُصبُّ في هذه البحيرة نهر الأَرْدُنُّ وغيره من الأنهار الصغار والسيول من بلاد الكرك وغيرها ، فلا تزيد . ويقال إن لها منفذا إلى بحر القلزم ، وبساحلها الشرقي إلى حدٍّ آريحا معدن الكبريت الأبيض ، يُخفَّر عليه ويُخرج . ويتكون في هذه البحيرة شيء على شكل البقر ، ويطفو على وجهها ويتفقع ، فيجمع منه شيء أسود يسمونه "الحمر" . وينقل إلى قلعة الكرك يدخر بها ، يدخل في القلط .

(١) هي التي ذكرها أبو الفدا باسم "بحيرة تلا" وياقوت باسم "بحيرة أريّة" . وقد ذكر أن في وسطها جبلا يقال له "كبودان" وجزيرة فيها أربع قرى أو نحو ذلك يسكنها ملاحو سفن هذا البحر (سهم البلدان ج ٢ ص ٧٨) .

وفي أعمال مصر بحيرة تَنيس ، مقدارها إقلاع يوم في [عرض^(١)] نصف يوم .
يكون ماؤها في أكثر السنة ملحا من دخول ماء البحر الرومي إليها ، فإذا مدَّ النيل
صبَّ فيها فتصلو فإذا جَرَّ ملحت .

ويقال : إنه كان في مكانها برّ مسلوكة تغلب عليه البحر في ليلة واحدة ، فما كانت
أرضه مستفلة غرق ، وما كانت أرضه عالية مثل تَنيس وتونة بقى .

وفي وسط هذه البحيرة جزيرة صغيرة تسمى سنجار ، يسكنها قوم صيادون .

وقال إبراهيم بن وصيف شاه في "كتاب العجائب الكبير" : إن بحيرة تَنيس كانت
أجنة وكروما وتنازل ومنشآت ، وكانت مقسومة بين ملكين من ولد أثريب بن
مصر ، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا ، فأنفق المؤمن ماله في وجوه البرّ حتى باع
حصته من أخيه وقرى ما لها أيضا ، فأصلحها أخوه وزاد فيها غرّوسا وجَرّ فيها أنهارا
وبنى فيها بناينا ، وأحتاج أخوه إلى ما في يده فكان يمتعه ويفتخر عليه بما في يده من
المال والأجنة ، فخطبه أخوه في بعض الأيام فسطا عليه ، وقال : أنا أكثر منك
مالا وولدا وخيرا ، فقال له أخوه : فما أراك شاكرا لله تعالى على ما رزقك ،
ويوشك أن يزع ذلك منك . ويقال : إنه دعا عليه ففتق ماء البحر ما كان له
في ليلة واحدة .

وقيل : إن هذين اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز ، فقال : (وَأَضْرِبْ لَهُم
مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لَأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ) (الآيات) والله تعالى أعلم .

وبالقرب من الإسكندرية بحيرة ، طولها إقلاع يوم وعرضها كذلك ، يدخل
إليها الماء من بحر الروم من مكان الأشثوم ، ويخرج منها إلى بحيرة أخرى دونها

(١) الزيادة من "معجم ياقوت" .

في خليج عليه مدينتان، إحداهما تسمى الجديدة، والأخرى تسمى أتلوك كثيرة المقات والنخل، وكلها في الرمل . ويصب في البحيرة خليج من النيل يسمى "الحافر" طوله نصف يوم إقلاعا، وهو كثير الطير والسماك والعشب .

§ وفي بلاد إفريقية بحيرة بترت ماؤها ملح، وطولها ستة عشر ميلا، وعرضها ثمانية أميال . وعلى عشرة أميال منها بحيرة ماؤها عذب تسمى بحيرة متيجة^(١) . فإذا جاء الشتاء وكثرت السيول، غاضت بحيرة بترت، وقاضت بحيرة متيجة حتى تمدتا ستة شهور فلا يحلو ماؤها، فإذا أقضى زمن الشتاء وجاء الصيف، غاضت بحيرة متيجة، وقاضت بحيرة بترت فلا يملح ماؤها . ويصاد في هذه البحيرة في كل شهرين من شهور السنة نوع من السمك لا يخالطه غيره، وأهل الناحية يعرفون دخول الشهور بتغير السمك فيها .

§ وحكى صاحب كتاب "مباح الفكر ومباح العبر" : أن بقوم بلاد أرمينية بحيرة يكون فيها الماء والسمك والطير ستة أشهر كوامل، ثم تجف فلا يرى فيها ماء ولا سمك ولا طير سبع سنين، فإذا كانت السنة الثامنة ظهر ذلك فيها ستة أشهر ثم ينقطع . وهذا دائما مدى الزمان .

§ وبجلاط بحيرة لا يرى فيها سمك ولا ضفدع ولا سرطان عشرة أشهر من السنة، ثم يظهر ذلك كله في الشهرين الباقيين .

(١) كما بالأصل وفي معجم ياقوت "أتلوك" بلدة قرية من نواحي مصر قرب رشيد .

(١) وزنها في القاموس بـيـكـيـة .

و بقرية من ناحية بجهير^(١) من بلاد خراسان بحيرة، ما عُمِس فيها شيء إلا ذاب :
 حديثاً كان أو خشباً .
 وكذلك بركة النطرون التي بأرض مصر ما وقع فيها شيء إلا صار نظرونا حتى
 العظم والججارة .

ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر البحر

(ما جاء من ذلك على لفظ أفضل)

يقال : أعمق من البحر . أُنْدَى من البحر .
 ويقال : حدثت عن البحر ولا حرج .
 ويقال : جاء بالعلم والرم . والتم البحر ! والرم البر .

ومن أضاف الأبيات :

« وهل يملك البحر أن لا يقبضاً ؟ » * « ومن ورد البحر استقل السواقياً ! »
 * أنا الغريق ، فما خوفي من البلل ؟ »

ومن الأبيات :

هو البحر إلا أنه عذب مودٍ ، * وزا عجب أن العذوبة في البحر !

وقال ابن الزمعي :

كالبحر يرُسب فيه لؤلؤه * سُفلاً ، وتعلو فوقه جيفة .

(١) في الأصل " بجهير " وهي على ما قال ياقوت مدينة بنواي بلخ . فذلك اُخْلن أن ذلك الاسم
 محرف عن " بجهير " التي قال ياقوت إنها من نواحي خراسان وهو الصقع الذي أشار إليه المؤلف .
 نعم إن ياقوت لم يذكر هذه البحيرة عند كلامه على كل من المدينتين ولكن المسعودي نص على أن
 ضمها من أرض خراسان (ج ٢ ص ١٥ طبع أوروبا) .

ومثله قول الآخر:

كثِلَ الْبَحْرُ يَفْرُقُ فِيهِ شَيْءٌ * وَلَا يَنْفَكُ تَطْفُو فِيهِ جِفَةٌ.

وقال ابن الرومي:

أَلَا فَارْجُهُ وَأَخْشَهُ إِنَّهُ * هُوَ الْبَحْرُ: فِيهِ الْفَنَى وَالْفَرَقُ!

وقال أبو نؤاس:

مَنْ قَاسَ غَيْرَكُمْ بِكُمْ، * قَاسَ التَّمَادُّلَ إِلَى الْبُحُورِ!

وقال آخر:

إِذَا كُنْتُ قُرْبَ الْبَحْرِ مَالِي مَخْلُصٌ * إِلَيْهِ، فَمَا يُنْفِي أَقْرَابِي مِنَ الْبَحْرِ!

وقال آخر:

كَالْبَحْرِ قَدْ فُتِّقَ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا * مِنْهُ، وَبُرُوسٌ لِلْبَعِيدِ سَحَاب.

ذكر شىء مما قيل في وصف البحر وشبيهه

قال ابن رشيقي عفا الله عنه:

الْبَحْرُ مَرُّ الْمَذَاقِ صَعْبٌ * لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ.

أَلَيْسَ مَاءٌ وَغِنًى طِينٌ؟ * فَمَا عَسَى صَبْرُنَا عَلَيْهِ؟

وقال ابن جندب:

لَا أَرْكُبُ الْبَحْرَ، أَخْشَى * عَلَيَّ مِنْهُ الْمَعَاطِبُ!

طِينٌ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ، * وَالطِّينُ فِي الْمَاءِ ذَائِبٌ.

وقال آخر:

وَزَائِرٌ لَيْسَ لَهُ صَوْلَةٌ * إِلَّا إِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ.

فَهُوَ إِذَا مَا سَكَنْتَ سَاكِنٌ * كَأَنَّمَا الرِّيحُ لَهُ رُوحٌ.

وقال أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت :

تناهى البحرُ في عَرْضٍ وطولٍ ، * وليس له على التحقيق كُنْهُ .
وأعجبُ كُما شاهدتُ فيه * سلامتنا على الأهوال مِنْهُ .
لحسي أن أراه من بعيد * وأهربُ فوق ظَهر الأرض عنه .

ومما وصف به البحر والسفن

قول بشر بن أبي خازم :

أُطلعنُ صَفْهَمُ ولقد أَرَانِي * على زَوْرَاءِ تسجدُ للرياحِ .
إذا أعرضتُ براكبها خليجاً ، * تَدَّكُرُ ما عليه من جُنَاحِ .
ونحنُ على جوانبها قعودُ ، * ننصُّ الطرفَ كالإبل الفِجَاحِ .

وقال ابن تولو من أبيات :

نَحْتُ بِنَا فِيهِ قِلَاصُ كَانِهَا * وَعَالٌ ، تَبَدَّتْ مِنْ جِبَالِ شِوَاهِقِ .
لَهَا كَافِلًا مَاءٌ وَرِيحٌ كِلَاهُمَا * يَعْلَمُهَا فِي الْجُرَى مَسْبَقَ السَّوَابِقِ .
إِذَا انْحَدَرَتْ ، فَاَلْمَاءُ الطُّفَّ قَائِدُ ، * وَإِنْ صَعِدَتْ ، فَالرِّيحُ أَعْسَفُ سَائِقِ .

وقال السلامي :

وَيَبْدَأُ تَجُولُ بِهِ خِيُولُ * تَمُودُ الدَّارِعِينَ وَلَا تُقَادُ .
رَكِبْتُ بِهِ إِلَى اللَّذَاتِ طَرَفَا * لَهُ جِسْمٌ ، وَلَيْسَ لَهُ فُؤَادُ !
جَرَى فَظَنَنْتُ أَنَّ الْأَرْضَ وَجْهٌ ، * وَدِجْلَةٌ نَاطِرٌ ، وَهُوَ السَّوَادُ .

وقال محمد بن هاني :

مُعْطَفَةُ الْأَعْنَاقِ تَحْمُو مَثُونَهَا * كَمَا نَهَتْ أَيْدِي الْحِوَاةِ الْأَفَاعِيَا .

إذا أعملوا فيها الجبائِفُ سرْعَةً، * ترى عَقْرًا منها على الماءِ ماشيًا.
إذا ما وردنَ الماءَ شَوْقًا لبرِّه، * صدرنَ - ولم يَشْرَبْنَ - غَرثِي صَوَادِيَا.
وقال الرستمي :

لم تَزَلْ مُشْفِقِينَ مُذْقِل: سَارَتْ * بك نَعْمٌ قَلِيلَةُ الأَوْضَاحِ.
أصلها البرُّ وهي ساكنةٌ في البَحْرِ سَكْنِي إقاميةٌ لا بِلَاحِ.
هي في الماءِ وهي صَفْرٌ من الما * سوى نَضْجٍ مَوْجِها النَّضَاجِ.
فإذا أَوْقَرَتْ، فذاتُ وَقَارٍ؛ * وإذا أُخْلِيَتْ، فذاتُ حِمَاجِ.
وترأما في اللُّجَّ ذاتُ جناحَيْنِ وإن لم تَكُنْ بذاتِ جَنَاجِ.
مِنَ مَطَابَا لا يَتَّقِذِينَ ولا يَسْتَأْمَنُ سَيْرَ البُكُورِ بَعْدَ الرِّوَاكِ.
مُنْشَأَتْ مِنَ الجَوَارِي اللُّوَانِي * لَسَنَ من صَنَعَةِ الجَوَارِي المِلَاجِ.
والداتُ مُوَلَّدَاتٌ بلا حِلِّ نِكَاحٍ ولا حَرَامِ سِفَاحِ.
لا مِنَ البَيْضِ بل مِنَ السُّودِ أَلْوَا * نَا وذاتِ الأَنُوسِجِ والأَزْوَاجِ.
طَارَأَتْ مع الرِّياحِ، وطُورَا * كاسِرَاتٌ بِالْخَرَى حَدَّ الرِّياحِ.
سَائِرَاتٌ لا يَشْتَكِيَنَّ سُرَى اللَّيْلِ ولا يَرْقُبَنَّ ضَوْءَ الصَّبَاحِ.
سَائِكَاتٌ بلا خُضُوعِ سُكُونٍ، * جَائِعَاتٌ بلا غَرَامِ حِمَاجِ.
لا يَخْفَى اليَهارُ يُقَدِّفَنَّ فيها، * وَيَخْفَى المُرُورُ بِالضَّخْخَاجِ.
إِنْ صَدَمَنَّ الحَصَى عَطِيقَ ولا يُعْطِبَنَّ إِمَّا صَدَمَنَّ حَدَّ الرِّمَاجِ.
مَارَأَى النَّاسُ من قُصُورِ عَلَى الما * سِوَاهَا يَسِيرُ سَيْرَ القِدَاجِ.
يَتَسَبَّهَنَّ كالأَسَاوِدِ في الخِفَةِ لا في مَعَادَةِ الأَنْشَبَاجِ.
فإذا مَا تَهَابَلَتْ، قَلتِ: نَوَدُّ * من يَكْأِشُ تَهَابَلَتْ لِلنَّطَاجِ.

- شَرَعَهَا الْبَيْضُ كَالْفِهَامَاتِ فِي الصَّيْفِ مَحْمَاً مِنْهَا وَغَيْرَ مَحْمَاً .
 كَمْ مُبْدِلٌ بِالْجَاهِ وَالْمَالِ فِيهَا ، * وَبِهِ حَاجَةٌ إِلَى الْمَلَّاحِ !
 قَائِدٌ جُنْدَهُ لَهُمْ أَدَوَاتٌ * نَفَعَهَا ثُمَّ فَوْقَ نَفْعِ السَّلَاحِ .
 فَإِذَا الْبَحْرُ صَالَ ، صَالُوا عَلَيْهَا * بِمَوَاضٍ تَمْضَى بِغَيْرِ حِرَاجِ .
 يُكْثِرُونَ الصَّيَاحَ حَتَّى كَأَنَّ السَّفْنَ تَجْرَى مِنْ خَوْفِ ذَلِكَ الصَّيَاحِ .



ومما وصفت به البحار والسفن شراً

قال أبو عمرو صاحب الصلاة القرطبي يصف شائناً ما فر فيه :^(١)

- ”فَارَقْتُ مَوْلَايَ حِينَ أَخَذْتُ لِلسَّفَرِ عُدَّةَ الْحَزْمِ ، وَشَدَّدْتُ عُقْدَةَ الْعِزْمِ ، وَانْتَضَمْتُ
 ١٠ مَعَ السَّقَرِيِّ سَلَكٌ ، وَرَكِبْنَا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ ظَهَرَ الْفُلْكَ ، فِي شَانٍ عَظِيمِ الشَّانِ ، أَحْدَقْتُ
 بِهِ النُّعَاقَ إِحْدَاقَ الْحَيَازِمِ ، وَأَمْسَكْتُهُ إِمْسَاكَ الْأَبَازِمِ ، ثُمَّ تُبَّعَ خَلَلَهُ قُسْدٌ ، وَرِيخُوهُ
 فَشُدُّ ، حَذَرًا عَلَى أَلْوَا حِهِ مِنَ الْإِنْخِاعِ ، وَاتَّصَلْتُ بِعَرَانِيْسِهِ اتِّصَالُ الْجُلُودِ بِالْأَضْلَاحِ ؛
 ثُمَّ جُلِبْتُ جِلْبَابًا مِنَ الْقَارِ ، وَصُخِّعَ فِي الْمَتْنَيْنِ وَالْفَقَارِ ، فَاْمْتَازَ بِأَغْرِبِ مِهْمَسٍ ، وَعَادَ
 كَالْقُرَابِ الْأَعْصَمِ ؛^(٢) قَدْ حَسُنَ مِنْهُ الْمُخْبِرُ ، وَكَأَنَّ الْكَافُورَ قَدْ قُرِنَ فِيهِ بِالْعَنْبَرِ . لَهُ مِنْ
 ١٥ التَّسَامِيحِ أَجْنَابُهَا ، وَمِنْ الْخَطَاطِيفِ أَذْنَابُهَا ، وَأَسْتَقَلَّتْ رِجْلُهُ بِفِرَاشِهَا ، أَسَقِفَلَلَّ
 السَّهَامِ بِرِيشِهَا ، وَقَدْ مَدَّ قَلْعِيهِ ذِرَاعِيْهِ مُتَلْقِيًا مِنْ وَقْدِ الرِّيحِ مَصَاحِفَهُ ، وَمُسْتَهْدِيًا
 مِنْهَا مَنَافِقَهُ . تَقَلَّدَ الْحَكَمَ عَلَيْهَا إِشْدِيَّامٌ^(٣) ذُو تَيْقِظٍ وَأَسْتَبْصَارٍ ، وَأَسْتَدْلَالٍ عَلَى الْأَعْمَاقِ

(١) الشان اسم لوع من السفن النجارية والبحرية عند المسلمين وجمعه شوانى .

(٢) أى الأبيض الجناحين (عن تاج العروس) .

(٣) الإشتيام هو رئيس الملاحين ، لفظ أعجمى أخذته العرب (راجع الجواليقي) .

والأقصار؛ يستبدل باختلاف المياه إذا جرى، ويتبدى بالجموم إذا سرى؛ قد جعل السماء امرأة ينظر فيها، ويحذر من دجن يؤفها؛ فإذا أصدأها الظلام بجأسه، وصلها الضياء بمداوسه يسبح الله في مصبحة ومساء، ويُسبَل في مجراه ومرساه، ويذكر رباً يحفظه ولا يفساه. قد آخذ فيه مؤانسه، من أنجد النوائس مشعرين الأثواب، مدبرين بالصواب، يفهمون عنه بالإيماء، ويتصرفون له تصرف الأفعال للآسماء، وترغمون عند الجذب والدفع، والخط والرفع؛ بهيمة تبعهم على النشاط. والجسام^(١)، وتؤدبهم في عملهم بالتمام. فخرجنا ونفع الريح نسيم، ووجه البحر وسيم؛ وراحة الريح تصاغ عباة مصالحة الخلل، وتطوى جناحه على السيل؛ وتجول من بجه أربادا، وتصوغ من جبهه أزرادا: كأنما ترسم في أديم رفسا، أو تفتح في فصوص نقشا، فلما توسطنا شج البحر، وصرنا منه بين السحر والتحر؛ صحت الريح من سكرها، وطارت من وكرها؛ فسمعنا من دوى البحر زئيرا، ومن جبال الشاني صفيرا؛ ورأيناها يزبد ويضطرب، كأنه بكأس الجنوب قد شرب؛ واستقبلنا منه وجهه بامر، وطارت من أمواجه عبقان كواسر؛ يضطرب ويصطفق، ويختلف ولا يتفق؛ كأن الحق يأخذ بنواصبها، ويحذبها من أقاصبها؛ والشاني تلعب به أكف الموج، وبشخص منها بكلكلة فوجا بعد فوج؛ ويجوب منها ما بين أنجاد وأغوار، وخنادق وأسوار؛ والبحر تحتنا كأرض تميد بأهلها، وتترزل بوعرها وسهلها؛ ونحن فعود، دود على عود؛ قد نبث بنا من القلق أمكنتنا، وخرست من القرق السنن؛ والرثس يكتنفنا من كل جانب، ويسيل من أنوابنا سيل المذائب. فشمعنا ريح الموت، ووطننا التلف والقوت؛ وبقينا في هم ناصب، وعذاب واصب؛ حتى آتتهما

إلى كَنَفِ الجَوْنِ، وصَرَنا منه في كَنِّ وَصَوْنٍ ؛ وَهَذَا من البحر ما آسْتَشْرِى، وتنادينا بالبُشْرِى ؛ ووِطْنًا من الأرضِ جَدَدًا، ولبسنا أثواب الحياة جُدَدًا ! “



ومن رسالة لأبي حاتم بن حنبل الأندلسي عفا الله عنه

١٦

جاء منها :

١٠ “... وكان جَوَّازَه، أيده الله على بحر ساكن، قد ذل بعد آمتصعابه، وسهل بعد أن رأى الشَّامِخَ من هَضَابِه؛ وصار حيه مَيْتًا، وهديره صَمْتًا؛ وجباله لا تَرى بها عَوَجًا ولا أَمْتًا؛ وَضَعْفٌ بعد تعاطيه، وَعَقْدُ السَّلْمِ بين موجه وشاطئيه. فعبَر أَمْنًا من لهوَّاته، مَمْلُوكًا لَصَهْوَاتِه ؛ على جِوَادٍ يَقْطَعُ البحرَ مَسْبَحًا، ويكاد يسبق الريحَ لَحَا ؛ لا يجعل لِحَامًا ولا سَرَجًا، ولا يعرف غير الجَلَّةِ سَرَجًا؛ ففقه هو من جِوَادٍ، له جسمٌ وليس له فُؤَادٌ؛ يَخْتَرِقُ الهواءَ ولا يَرَهَبُه، ويركض في الماء ولا يَشْرَبُه ! “



ومن رسالة للأستاذ آبن العبيد في مثل ذلك

جاء منها :

١٥ “... وكان العشاريات وقد رُدِّيَتْ بالقار، وحُلِّيَتْ بالبحرين والنضار؛ عرائسُ مَشْهُورَةٌ الذوائب، مخضوبة الحواجب؛ موشحة المناكب، مقلدة التراب؛ متوجة المقارق، مكللة العوايق، فِضْية الحليل والقراطيق؛ أو طواويس أبرزت رقابها، ونشرت أجنحتها وأذنانها؛ وكأنها إذا جدت في القلق، وتنافست في السباق؛ نوافرُ نعام، أو حوافلُ أنعام؛ أو عقاربُ شالت بالإبر، أو دُمُ الحليل واصمة الجول والفرر؛ وكان المجاديف طير تنقُصُ خوافيها، أو حباتُ تَعاقِبُ حباتٍ بأيلها “

٢٠

الباب السابع

من القسم الرابع من الفن الأول

في العيون والأنهار والتدريان

وما وُصفت به البرك والدواليب والتواوير والجداول

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

قال المفسرون : هو المطر . ومعنى سَلَكَه أدخله في الأرض ، وجعله عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الجسد .

قال أبو الفرج ، قدأمة بن جعفر : مجموع ما في المعمور من الأنهار في الأقاليم السبعة مائة نهر وأربعة وثمانون نهراً منها :

١٠ في الإقليم الأول ثلاثة وعشرون نهراً ؛ وفي الإقليم الثاني تسعة وعشرون نهراً ؛
وفي الإقليم الثالث ستة وعشرون نهراً ؛ وفي الإقليم الرابع أربعة وعشرون نهراً ؛
وفي الإقليم الخامس ثمانية وعشرون نهراً ؛ وفي الإقليم السادس ستة وعشرون نهراً ؛
وفي الإقليم السابع ثمانية وعشرون نهراً .

ثم قال : وفي هذه الأنهار ماجرياته من المشرق إلى المغرب ، كنهر نهاوند ونهر
١٥ سيجستان ؛ وماجرياته من الشمال إلى الجنوب كنجيلة ؛ وماجرياته من الجنوب
إلى الشمال ، كنهر النيل ونهر مهران ؛ وماجرياته مرَّكب من هذه الجهات ، كنهر
الفرات وجيحون ونهر الكَرَّ .

ومنذكر المشهور منها .



فأما نهر النيل

§ فزعم قدامة بن جعفر أن أنبعاثه من جبل القمر وراء خطِّ الاستواء، من عين تجري منها عشرة أنهار، كلُّ خمسة منها تنصب إلى بطيحة . ثم يخرج من كل بطيحة نهران ، وتجرى الأنهار الأربعة إلى بطيحة كبيرة في الإقليم الأول . ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل .

§ وقال صاحب كتاب "نزهة المشتاق إلى آخراق الآفاق" : « إن هذه البحيرة تسمى بحيرة كُورَى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها، متوحشون : يأكلون من وقع إليهم من الناس . ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانة ، ونهر الحبشة ، فإذا خرج النيل منها يشق بلاد كُورَى ثم بلاد ننه (طائفة من السودان أيضا، وهم بين كاتم والنوبة) ، فإذا بلغ دققله (مدينة النوبة) عطف من غربها إلى المغرب ، وأتحدر إلى الإقليم الثاني ، فيكون على شطيه عمارة النوبة . وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى . ثم يشرق إلى الجنادل ، وإليها تنتهى مراكب النوبة أتحداراء ، ومراكب الصعيد إقلاعا . وهناك أحجار مضرمة لأمرور للراكب عليها إلا في إبان زيادة النيل .

ثم يأخذ على الشمال فيكون على شريقه مدينة أسوان من بلاد الصعيد الأعلى ؛ ثم يمر بين جباين هما يكتنفان لأعمال مصر ، أحدهما شرق والآخر غربى حتى يأتى مدينة مصر فتكون في شريقه . فإذا تجاوزها بمسافة يوم ، أنقسم قسمين : أحدهما يمر حتى يصب في بحر الروم عند مدينة دمياط ، ويسمى بحر الشرق ، والآخر — وهو عمود النيل ومعظمه — يمر إلى أن يصب في بحر الروم أيضا عند مدينة رشيد ، ويسمى بحر الغرب .

(١٢)

§ قالوا : وتكون مسافة النيل من منبعه إلى أن يصب في رشيد سبعة فرسخ
وثمانية وأربعين فرسخا . وقيل إنه يجري في الحراب أربعة أشهر، وفي بلاد السودان
شهرين، وفي بلاد الإسلام شهرا .

§ وروى البخاري في "صحيحه" عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، عن النبي
(صلى الله عليه وسلم) في حديث المعراج، قال : "ثم رُفِعْتُ إلى سدرة المنتهى، وإذا
تَبَقُّها مثل قَلالٍ هجر، وإذا وَرَقُها مثل أَذانِ القِيلة . (قال : هذه سدرة المنتهى) وإذا أربعة أنهار
نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلتُ : ما هذا يا جبريلُ ؟ قال : أما الباطنان، فنهران
في الجنة ؛ وأما الظاهران، فالنيل والفُراتُ " . وليس في الأرض نهر يزيد حين
تنقص الأنهار وتفيض ، غيره . وذلك أن زيادته تكون في الفيض الشديد في شمس
السرطان والأسد والسنبلة . ١٠

§ وقد حكى في فضائل مصر أن الأنهار تمتد بمائها، وذلك عن أمر الله تعالى .
وقال قوم : إن زيادته من تلوج يُذيبها الصيفُ على حسب مَدَدِها، كثيرة كانت
أو قليلة ؛ وفي مَدَدِها اختلاف كثير .

§ وكان متهمي زيادته قديما ستة عشر ذراعا، والذراع أربعة وعشرون إصبعًا،
بمقياس مصر . فإن زاد عن ذلك ذراعا واحدا، زاد في الحراج مائة ألف دينار : لما
يُروى من الأراضي العالية . ١٥

والغاية القصوى في الزيادة ثمانية عشر ذراعا في مقياس مصر . ^(١١) فإذا انتهى إلى
هذا الحد، كان في الصعيد الأعلى اثنين وعشرين ذراعا : لأرتفاع البقاع التي
يتر عليها .

فإذا آتته زيادته، فتحت خلجانا وترع تفتق المياها فيها يمينا وشمالا إلى البلاد البعيدة عن مجرى النيل .

§ وللنيل ثمان خلجانا . وهى : خليج الإسكندرية ؛ وخليج دمياط ؛ وخليج منف ؛ وخليج المنهى (حفره يوسف الصديق عليه السلام) ؛ وخليج أشمون طنّاح ؛ وخليج سرّدوس (حفره هامان لفرعون) ؛ وخليج مسخا ؛ وخليج حفره عمرو بن العاص ، يجرى إلى أن يصبّ في السباح .

§ ويحصل لأهل مصر إذا وفي النيل ستة عشر ذراعا — وهى قانون الرى — فرح عظيم : بحيث إن الساطان ركّب في خواصّ دولته وأكابر الأمراء في الحرّاريق إلى المقياس ، ويمد فيه سماطا يأكل منه الخواصّ والعوام ، ويحلّج على القياس ، وبصله بصله مقرّرة له في كلّ سنة .

§ وقد ذكر بعض المفسرين ”للكتاب العزيز“ أن يوم ”وفاء النيل“ هو اليوم الذى وعد فيه فرعون موسى بالاجتماع ، وهو قوله تعالى إخبارا عن فرعون (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ صُحْتِي) . والمادة جارية أن اجتماع الناس للتخليق في هذا الوقت .

ومنى قصر النيل عن هذا المقدار ، غلبت الأسمار . وهو إذا ابتدأ في زيادته يكون مخضرا ، ثم حمرا ، ثم كدرا .

وإذا آتته في الزيادة غشى الأرض ، وتصير القرى فوق الروابي فلا يتوصل إليها إلا في المراكب أو على الجسور الممتدة التى تُفق عليها الأموال الكثيرة وتخذ لحفظ الماء .

فلذا انتهى رى مكان وأخذ حده ، فُطِعَ جَسْرُ ذاك المكان من مكان معروف
(يعرفه خَوَلَةُ البلاد ومشايخها) تروى منه الجهة التي تليها مع ما جمع فيها من الماء
المختص بها . ولولا إقنان هذه الجسور وحفر الترع لَقَلَّ الانتفاع بالنيل .

وقد حكى أنه كان يُرصد لمارة الجسور في كل سنة ثلثُ الخراج لعنايتهم بها :
لما يَرتب عليها من المصالح ، ويحصل بها من النفع في رى البلاد .

وقد وصف بعض الشعراء ، النيل في طلوعه وهبوطه ، فقال :

واها لهذا النيل ، أى عَجِيبة * يَكْرِ بِمَثَلِ حَدِيثِهَا لَا يُسْمَعُ !
يَلْقَى التَّرى في العام وهو مَسْلَمٌ * حتى إذا ما مَلَّ عَادَ يودَّعُ .
مَسْتَقْبَلٌ مِثْلَ الْهلال ، فدهرُهُ * أبدا يَزِيدُ كما يَزِيدُ ويرجعُ .

وللشعراء فيه أوصاف وتشبيهات ، نذكرها بعدُ إن شاء الله تعالى في موضعها .

وهذا النهر يخالف في جريه لساير الأنهار ، لأنه يجري مما يلي الجنوب مستقبل
الشمال . وكذلك نهر مَهْرَان بالسند ، ونهر الأَرْنَط ، وهو نهر حصّ وحمّة ، ويسمى
العاصي لخالفته للأنهار في جريها . وما عداها من الأنهار جريها من الشمال إلى الجنوب :
لارتفاع الشمال عن الجنوب وكثرة مياهه .

وهو أخفّ المياه وأحلاها وأعمها نعا وأكثرها خراجا .

وقد حكى أنه جُي في أيام كيكاوش (أحد ملوك القبط الأول) مائة ألف ألف
وثلاثين ألف دينار ، وجباه عزيز مصر مائة ألف ألف دينار ، وجباه عمرو بن العاص
أتمّى عشر ألف دينار ، ثم رُدِّل إلى أن جُي أيام القائد جوهر (مولى المعز العميدى)
ثلاثة آلاف ألف وماتى ألف دينار .

وسبب تفهقره أن الملوك لم تسمع نفوسهم بما كان يُنفق في حفر ترعه وإنقاذ جسوره وإزالة ماهو شاغل للأرض عن الزراعة كالتقصّب والحلّفاء .

وحكى ابن خلدون أن المرتين لذلك كانوا مائة ألف وعشرين ألف رجل : سبعون ألفا للصعيد، وخمسون ألفا للوجه البحري .

- ٥ وحكى ابن زولاق أن أحمد بن المدبر لما ولي الخراج بمصر، كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها، فقال : والله لو عمرها السلطان، وقت له بخراج الدنيا . وقيل إنها مسحت أيام هشام بن عبد الملك، فكان ما يركبه الماء العامر والغامر مائة ألف فدان، والفدان أربعمائة قصبة، والقصبة عشرة أذرع .

وأعتبر أحمد بن المدبر ما يصلح للزراعة بمصر في وقت ولايته، فوجده أربعة وعشرين ألف ألف فدان، والباقي استبحر وتلف .

١٠

وأعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما . والحرث يحترث خمسين فدانا، فكانت محتاجة إلى أربعمائة ألف وثمانين ألف حرث .



وأما الفرات

- ١٥ فهو أحد الزافدين، ويقال الوافدين، والآخر دجلة، سميا بذلك لأنهما يجريان في جانبي بفسداد : دجلة من شرقها، والفرات من غربها : يأتي إليها من دجلة من واسط، والبصرة، والأبلة، والأهواز، وفارس، وثمان، والينامة، والبحرين، وسائر بلاد الهند، والسند، والصين، ويأتي إليها من الفرات من الموصل، وأذربيجان، وأرمينية، والجزيرة، والنفوس، والشام، ومصر، والمغرب، وقد تقدم ذكرنا لحديث البخاري أنه يجري من تحت سدرة المنتهى .

٢٠

وأما مبتدأ جريه الذي يعرفه الناس، فمن مدينة قالقلا من نهريسمى أودخش، ويجرى مقدار أربع مائة وخمسين ميلا مغربا، ثم يخرج من جهة الجنوب حتى يمر بين نغري ملطية، وتسمى ساط، ثم إلى جسر منج، ثم يعطف ويأخذ جهة الجنوب حتى يصل إلى باليس ويعربصيين، والرقة، وقرقيسيا، والرحة، فيلتجف على غانات؛ ثم يمتد حتى يمر بيت والأنبار . فإذا جاوزها أقسم قسمين : قسم يأخذ نحو الجنوب قليلا وهو المسمى بالعلقم، ينتهي إلى بلاد سورا وقصر ابن هيرة والكوفة والحلة، إلى البطيحة التي بين البصرة واسط، والقسم الآخر يسمى نهر عيسى، منسوب لعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو ينتهي إلى بغداد، ويمر حتى يصب في دجلة .

١٠ قال المسعودي : وقد كان الأكثر من ماء الفرات ينتهي إلى بلاد الحيرة، ثم يجاوزها ويصب في البحر الفارسي، وكان البحر يوم ذاك في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت، وكانت مراكب الهند والصين ترد على ملوك الحيرة فيه .

١٥ قال : والموضع الذي كان يجري فيه بين إلى زمن وضعي هذا الكتاب، يعني "كتاب مروج الذهب" وهو في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة، ويعرف بالعتيق، وعليه كانت وقعة القادسية .

وطول الفرات من حيث يخرج عند ملطية إلى أن يأتي ما يأتي منه إلى بغداد ستمائة فرسخ وثلاثة وعشرون فرسخا، وفي شطه مدن في جزائر تمتد من أعمال الفرات، وهي الرية، والناووسة، والقصر، والحديثة، وغانات، والدالية .



وأما نهر دجلة

ويسمى السلامة ، وبه سميت بغداد دار السلام على أحد القولين ، والثاني السلام على الخلفاء فيها .

- وهذا النهر فارز بين العراق والجزيرة ، وأنبعاثه من أعين بجبال آمد ، ويصب إليه نهران يخرجان من أرزن الروم وميا فارقين وعيون أخرى من جبال السلسلة ، فيمتزج بهما ، ثم بالموصل فيصب فيه نهر الخابور الخارج من بلاد أرمينية بين بلاد سورا وقبر سابور ، ويصب فيه الزاب الأكبر الخارج من بلاد أذربيجان على فروع من الحديشة . ويسمى المجنون لحذته وشدة جريه ، ثم تمزج دجلة فيصب فيها الزاب الأوسط ، ومخرجه من الفرات ويمر بين أربل ودقوقاء ، ويصب في دجلة أيضا ١٠ الزاب الأصغر ، ومخرجه أيضا من الفرات .

- وهذه الزوايا الثلاثة أنبسطها زاب بن طهماسب : أحد ملوك الفرس الأول ، ثم تمزج دجلة بتكرت إلى أن تتجاوز سائرا قليلا فيقع فيها نهر عيسى ويمر حتى يشق بغداد . فإذا تجاوزها صب فيه نهر يخرج من بلاد أرمينية يسمى تاسرا بعد أن يتم بئصاله ثم يتجاوزها فيسقى النهران ، ويشق مدينة تعرف به ، ثم تمزج دجلة ببحر جران والشمالية ١٥ ثم بواسط ، ثم إلى البطائح ، ثم تخرج منها قنطرة بالبصرة وتجرى حتى تنتهي إلى عبادان ، وعندنا تصب في البحر الفارسي .

وما يتم من دجلة بالبصرة يملح إذا مد البحر فلا يشرب منه آلبة ، ويحلو إذا جرد . فأهل البصرة ينتظرون بالأمستقاء منه الجزر ، وهو يمد بكرة ويحذر عشاء .

وكانت المراكب التي ترد من الهند والصين تدخل في دجلة من بحر فارس إلى مدينة المدائن ، فانفق أن أنبت في أسافل كسركت عظيم على عهد قباد بن فيروز فاهمل حتى طغى ماؤه وغرق غمارات وضياعا فصارت بطائع .

ويسمى هذا البقي دجلة العواء لتحول الماء عنه . وصار بين دجلة الآن ودجلة العواء مسافة بعيدة تسمى بطن جوني ، وهو من حد فارس من أعمال واسط إلى نحو السوس من أعمال خوزستان .

ويقال إن كسرى أتقى أموالا عظيمة على أن يحول الماء إليها فأعياه ذلك . ورامه خالد بن عبد الله القسري فعجز عنه .

ومقدار مسافة بحري نهر دجلة إلى أن يصب في البحر الفارسي ثلثمائة فرسخ ، ومقدار البطائح ثلاثون فرسخا طولا وعرضا . وهي تفيض في كثير من الأوقات حتى يمتلئ على بغداد الفرق .

وأما نهر مجستان

ويسمى الهند مند ، فيقال إن منوچهر بن أرياج بن أفريدون أنبطه .

وهو يجري من عيون في بلاد الهند ويمز بيلد العور ، فإذا تجاوزها ، مر من أعلى مجستان على برزنج ، ثم على بسط ، ثم على دوج فتفرع منه أنهار تجري في شوارعها . ثم يمر عمود النهر حتى يصب في بحيرة زرة .

(١) وسماء السعدي "الهزمت" في تلخ "التبني والإشراف" .

(٢) في السعدي "أريان" وقال : إن أريان تسميه الفرس أرياج .

(٣) هي المشهورة باسم "بست" . ومنها أبو الفتح البستي الشاعر المعروف .

(٤) لم أذكر على هذا الاسم فيما بيدي من كتب الجغرافية العربية ، ولعلها هي قس المدينة التي ذكرها

بافوت وبغيره باسم "زنج" وقال إنها قسبة مجستان .

§ وطول هذا النهر من حيث يتدنى إلى نهايته مائة فرسخ .
وزعم قوم أنه يخرج من نهر الكلك .

وأما نهر مهران

- § وهو نهر السند، فهو يشبه نيل مصر في زيادته ونقصه وأصناف حيوانه وما يتفرع منه من الخُلجان .
§ وهو يستمد من أربعة أنهر : نهران يجريان من السند، ونهر من ناحية كابل، ونهر من بلاد قشمير . وتجتمع فتكون نهرا واحدا، ويجرى حتى ينتهي إلى الدور فيمتر بها، ومن ثم يسمى نهر مهران، ثم يتربألوثان، ثم بالمنصورة، ثم يجرى إلى ديبيل . فإذا تجاوزها صب في بحر الهند على ستة أميال منها .
§ وطوله ألف فرسخ .

وأما نهر جيحون

- ويسمى بالفارسية "به رود" وهو "نهر بلخ" .
§ وأنبعاثه من بحيرة في بلاد التبت، مقدارها طولاً وعرضاً أربعون ميلاً، تجتمع من أنهار الختل .

(١) لا يزال اسم "مهران" عليا يطلقه بعض الهند إلى الآن على القسم الأسفل من نهر السند .

(٢) في الأصل "جيحان" . وهو خطأ لأن جيحان نهر آخر في آسيا الصغرى ويعرف بنهر المصيبة وصب في بحر الشام . أنظر ياقوت وأبن رسته في "النتبه والإشراف" .

(٣) ويسمى أيضا نهر كالف على مارواه المسمودي باسم قلعة حصينة، قال ياقوت إنها قائمة على طرفه شعبة بالمدينة بينها وبين بلخ ثمانية عشر فرسخا .

فإذا خرج منها من بَوْخَان فيسمّى نهر جرياب ، ويمجرى من المشرق إلى المغرب
إلى أعلى حدود بلخ . ثم يعطف إلى ناحية الشمال إلى أن يصير إلى التّريذ ، ثم منها
إلى زَمَ وأمل من بلاد خراسان . ثم يجرى إلى أن يتر ببلاد خوارزم فيشق قصبَها .
فإذا تجاوزها تشعب منه أنهار وخليجان يميناً وشمالاً ، تُصب إلى مستنقعات
وبطائح يصاد فيها السمك .

ثم تخرج منها مياه تجتمع وتصير عموداً واحداً ، تجري مقدار أربعة وعشرين
فرسخاً ، ثم تصب في بحيرة خوارزم .

وَيَكُون مقدار جريه من مبدئه إلى نهايته ثلثمائة وخمسين فرسخاً . وقيل : أربعمائة .
وساحله يسمّى الرّودبار^(١) .

ويقال إنه يخرج منه خليج يأخذ شَمَت المغرب حتى يقرب من كَرمان ، ثم يمضي
حتى يصب في بحر فارس .

وَنَهْر جِيحُون ربما جَمَد في الشتاء حتى تعبر عليه القفول . قالوا : ويتبدى جودُه
من ناحية خوارزم .

♦ ♦ ♦ وأما نهر سِيحُون

ويسمى نهر الشّاش ، وهو فارز بين بلاد الهياطلة وبلاد تُرْكِسْتَان .

وَقَالَ ابن حوقل : مبتدؤه من أنهار تجتمع في حدود بلاد التُّرك [والإسلام] ،
فتصير عموداً واحداً وتجري حتى تظهر في حدود أوزْكَنْد من بلاد فَرَغَانَة فتصب فيه

(١) في الأصول "جواب" والتصحيح عن الاصطخرى رأين حوقل .

(٢) قال ياقوت : كان معناه بالفارسية "موضع النهر" . ثم قل عن السمعاني أن الرودبار لفظة
لما وضع عند الأنهار الكبيرة في بلاد متفرقة . ثم ذكر رودبار بلخ ثم قال والشّاش أيضاً قرية يقال لها
رودبار من ورداء جيحون . [ولعل المراد هنا بلاد التبرأى نهر جيحون كما قالوا زنجبار أي بلاد الزنج] .

فيعظم ويكثر مياؤه، ثم يمتد إلى فاراب، فإذا تجاوزها يجري في بَرِّية فيكون على جانبيه
الأنهار الغزيرة، ويمتد إلى أن يصب في نهر جيجون^(١).
وبين موقعه في النهر وبين بحيرة خوارزم عشرة أيام.

♦ ♦ ♦ (٢) وأما نهر الكنك

وهو نهر تعظمه الهند، فينبعث من بلاد قشмир ويجري في أعلى بلاد الهند.
وهم يزعمون أنه من الجنة فيعظمونه غاية التعظيم.
ومن عجائبه أنه إذا ألقى فيه شيء من البقايا، أظلم جوفه ورجفت أرجاؤه
وكثرت الأمطار والرياح والصواعق.
وقد وصفه العتيبي في "التاريخ المبين" فقال:

"وهذا النهر الذي يتوآصف الهنود قدره وشرقه، فيرون من عين الخلد التي في السماء
مُتَرَفِّقه؛ إذا أُحرق منهم ميت دُثِرَوه فيه بعظامه، فيظنون أن ذلك طهر لا تآمه؛
وربما أتاه الناسك من المكان البعيد فيُفَرِّق نفسه فيه، يرى أن هذا الفعل يُخَيِّمه.
والهنود يفرطون في تعظيمه حتى إن الرجل منهم إذا أراد الفول، أحرق نفسه
والتي رماده فيه، أو يأتى إلى النهر (وهناك شجر القنأ في غاية الارتفاع، وقوم هناك
بأيديهم سيوف مسلولة وخنجر) فيربط نفسه في طرف قناة، ثم يحز رأسه بيده

(١) اختصر المؤلف كلام ابن حوقل اختصاراً خفيفاً (وانظر كلام ابن حوقل في كتابه "المسالك
والملك" ص ٣٩٢—٣٩٣).

(٢) قال أبو الفدا إن اسمه الهندى: كانكو وسماه المسعودى "جَنَجَس" في كتاب "التهذيب
والإشراف".

فَبَقِيَ الرَّأْسُ مُعْلَقًا فِي طَرْفِ الْقَنَاقَةِ وَتَسْقُطُ الْجَنَّةُ، أَوْ يَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ شَاهِقٍ عَلَى تِلْكَ
السُّيُوفِ وَالْخَنَاجِرِ فَيَتَقَطَعُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّهْرِ فَيَفْرُقُ“ .

♦ ♦ ♦ وَأَمَّا نَهْرُ الْكُرِّ

فَهُوَ نَهْرُ بَارِضِ أَرْمِينِيَّةٍ .

§ وَأَنْبِئَانَهُ مِنْ بِلَادِ الْأَلَانِ، فَيَمُرُّ بِبِلَادِ الْأَبْجَازِ حَتَّى يَأْتِيَ نَهْرَ تَفْلَيسَ فَيَشْقُهُ وَيَجْرِي
فِي بِلَادِ السَّوَادِيَّةِ . ثُمَّ يَخْرُجُ بَارِضُ بَرْدَعَةٍ، وَيَجْرِي إِلَى بَرْزِجٍ فَيَصُبُّ فِيهِ نَهْرُ الرَّسِّ .
§ وَهَذَا النَّهْرُ هُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ ﴾ (١)
مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ . فَإِذَا صَبَّ فِيهِ هَذَا النَّهْرُ، صَارَا نَهْرًا وَاحِدًا يَصُبُّ
فِي بَحْرِ الْخَزَرِ .

§ وَنَهْرُ الرَّسِّ يَخْرُجُ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الرُّومِ، عَلَى مَا زَعَمَ الْمَسْعُودِيُّ .

♦ ♦ ♦ وَأَمَّا نَهْرُ إِرَاتِلَ

فَهُوَ نَهْرٌ عَظِيمٌ، فَهُوَ نَهْرُ الْخَزَرِ .

§ وَيَجْرِي جَانِبَهُ الشَّرْقُ عَلَى نَاحِيَةِ نَخْرِيذٍ، وَيَجْرِي مَا بَيْنَ الْكِيَاكِيَّةِ وَالْفَرْزَةِ . ثُمَّ يَمْتَدُّ
غَرِبًا عَلَى ظَهْرِ بِلَتَارٍ وَبُرْطَاسٍ وَالْخَزَرِ . ثُمَّ يَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا إِلَى مَدِينَةِ إِرَاتِلَ

(١) فِي الْأَمَلِ ”الْأَبْجَارُ“ . وَالْأَصُوبُ ”الْأَبْجَازُ“ وَهُوَ أَسْمُ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ (وَقَدْ ذَكَرَ الْإِبْرَاهِيمُ
كُلَّ مِنَ الْإِسْلَامِيِّ وَأَكْبَنَ سَوَاقِلَ وَالْمَقْصَدِ وَأَكْبَنَ نَهْرًا ذَائِدَةً وَالْمَسْعُودِيُّ) .

(٢) بَجَلٍ مِنَ الْأَوْدَنِ يُسَمُّونَ الْعَرَبَ أَيْضًا ”الْيَاوَرْدِيَّةَ“ وَيَصِفُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ ”أَهْلُ الْبَيْتِ وَالْقِسَادِ
وَالْقَلْبِصِ (عَنْ حَلِثِيَّةٍ فِي ص ١٩٢ مِنْ ”مَسَالِكِ الْإِسْلَامِ“ لِلإِسْمَاعِيلِيِّ) .

(٣) فِي الْأَمَلِ ”كُتُبُ أَصْحَابِ الرِّسِّ الْمُرْسَلِينَ“ وَهُوَ غَيْرُ تِلْكَ الْقُرْآنِ، فَتَبَيَّنَ .

(٤) مَدِينَةُ كَلَتٍ عَلَى نَهْرِ الْإِرَاتِلِ بِبِلَادِ الرُّوسِيَا . وَمِنْهَا خَرَجَ الْبِلَتَارُ إِلَى الْبِلَادِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِأَسْمِهِمْ .

يُسْقَاهَا بِنَصْفَيْنِ وَيَجْرِي إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي بَحْرِ الْخَزَرِ، وَيَجْرِي الْآتَرُ فَيَمُرُّ بِلَدِ الرُّوسِ حَتَّى يَصُبَّ فِي بَحْرِهِمْ وَهُوَ بَحْرُ سُودَاقَ .

وَيُقَالُ إِنَّهُ يَنْشَعِبُ مِنْهُ نَيْفٌ وَتَسْعُونَ نَهْرًا، وَإِذَا وَقَعَ فِي الْبَحْرِ، يَجْرِي فِيهِ مَسِيمةٌ يَوْمِينَ ثُمَّ يَغْلِبُ عَلَيْهِ .

وَقِيلَ إِنَّهُ يَجْدُ فِي الشَّاءِ، وَيَتَيْنُ لَوْنَهُ فِي لَوْنِ الْبَحْرِ .

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

ذكر ما في المعمور

من الآثار والعيون التي يُتَعَجَّبُ مِنْهَا

قال صاحب "مناجى الفكر ومناجى العبر" في كتابه :

- ١٠ «وذكر المعتنون بتدوين المعجائب في كتبهم التي وضعوها لذلك أن في المعمور أنهارا وعيونا يُتَعَجَّبُ مِنْهَا إِذَا أُخْبِرَ عَنْهَا . فذكروا منها نهر الكُنْكَ (وقد تقدم ذكره) وأن بارض الهند مكانا يعرف بعقبة عوروك فيه عين ماء لا تقبل نجسا ولا قدرا، وإن أُلْقِيَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، أَكْفَهَرَتِ السَّمَاءُ وَهَبَّتِ الرِّيحُ وَكَثُرَ الرِّعْدُ وَالسَّبَقُ وَالْمَطَرُ . فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا مَا طُرِحَ فِيهَا .

- ١٥ «وذكروا أن في ناحية الباميان عينا تسمى دِيَوَاشَ تَنُورُ مِنَ الْأَرْضِ كَنِّلَيَانَ الْقِدْرِ، مَتَى بَصُقَ فِيهَا إِنْسَانٌ أَوْ رَجُلٌ فِيهَا شَيْئًا مِنَ التَّحَاذُرَاتِ، أَزْدَادَ عَلَيَانِهَا وَفَرَوَانِهَا وَفَاضَتْ . فَرَجَبٌ أَذْرَكَتْ مِنْ جَعَلِ ذَلِكَ فِيهَا فَتَرَقَّتْ .

«وبناحية الباميان أيضا عين تجري من جبل في بعض الأحيان . فإذا خرج ماؤها، صار حجرا أبيض .

«وبقرية من أعمال فارس كهف بين جبال شاهقة فيه حُفرة بقدر الصَّحفة،
يَقْطُرُ فيها من أعلى الكهف ماء: إن شرب منه واحد لا يَفْضِلُ عنه منه شيء، وإن
شرب منه ألف عمَّهم وأرواهم .

«وبناحية أردشير جرد عَيْن يجرى منها ماء حلو يُسْرَبُ لشفية الجوف . فمن شرب
منه قَلْبًا أَقَامَهُ مرة، وإن زاد فعلى قدر الزيادة .

«وبدارين من أعمال فارس نهر مائِه شُرُوب . إذا غُطَّت فيه الثياب خَضَرُها .
«وفي بعض رساتيق هَمْدَان عيون متى خرج منها الماء تَحْجَرُ .

«وبنواحها أيضا ماء يَخْرُجُ من تحت قلعة ويمر في جَدَاوِلَ إلى بعض الرساتيق .
فما تشبَّث منه في صَدْعٍ أو شقٍّ صار حجرا صلبًا ، وإذا صَبَّ في خَرْقَةٍ وأقام فيها
ثلاثة أيام ثم كُسِرَتْ ، وجد في جوفها أخرى قد تَحْجَرَتْ من الماء .

«وبناحية تَقْلِس عَيْن تَنْبُعُ ، فإذا خرج منها الماء صار حَيَّات .
«وبأرض القُدْمُوس من حصون النُّعُوَّة بَرِيضها حَمَام يجرى إليها الماء من عَيْن
هناك . فإذا كان في أول شهر تَمُوزُ يَنْبُعُ في الحَمَام حَيَّات في طول شهرين أولًا ، ثم
في طول شهر، وتكثر . ولا توجد في غير الحمام . فإذا أَقْبَضَ شهر تَمُوزُ ، عُدِمَتْ تلك
الحَيَّات ، فلا توجد إلى العام القابل .

«وبأرض أَرْمِيَّةَ واد لا يقدر أحد ينظر إليه ولا يقف عليه ولا يَدْرِي ما هو .
إذا وضعت القدر على صَفْتِهِ غَلَتْ وَفَضَّحَ ما فيها . وفيها واد عليه الأَرْحَاءُ والبساتين .
مائِه حَامِضٌ ، فإذا نَزَلَ في الإِنَاء ، صَلَبَ وَحَلَّأ .

«وبالمزاةفة عيون اذا خرج ماؤها لم يلبث إلا قليلا حتى يتججر . فنه تُفَرَش دورهم .

«وبنواحي أَرْزَن الروم ماء يستقى فيستحجر ويصير ملحا .

«وأكثر مياه بلاد اليمن تستحيل شبا .

«وبنواحي واحات من أعمال مصر عيون مياهها ألوان مختلفة : من الحرة والصفرة والخرقة . تسيل إلى مستنقعات ، فتكون ملحا بحسب ألوانها .

«وفي هذه الناحية عيون يطبخ بمائها بدلا عن الخل .

«وبنواحي أسوان من الصعيد الأعلى مستنقعات منها القبط .

«وكذلك بتكريت من أرض العراق .

«وبأرض كَلَامَة من بلد إفريقية عين تسمى عين الأوقات . تجري في أوقات الصلوات الخمس . فإذا حضر جنب أو امرأة حائض ، لا تمس بشيء من الماء . وإذا أتتهم رجلان ، أتت بالماء للصادق وضمت على الكاذب .

«وببلد إفريقية أيضا عين تنبع بالمناد ، يكتب به أهل تلك الناحية .

«وبطوطوشة من بلاد الأندلس واد يجري رملا .

قال : وذكر بعض أصحاب الجامع أنه كان بمدينة طحان من غورة الأشمونين من صعيد مصر فيها ماء معين يُشرب منها طول أيام السنة فيكون الماء كسائر المياه ، حتى إذا كان أول يوم من برمودة من شهور القبط فن شرب من ذلك الماء

(١) في الأصل : «كلمة» وهو غلط من النسخ ، لأن «كلمة» قلة من اليرير مشتقة فيما بين يرة إلى أرض الجزائر .

يوئذ خدمته الطبيعة مقدار ما شرب . فإذا كان وقت الزوال عاد الماء إلى حالته الأولى، ثم لا يفعل كذلك إلا في مثل ذلك اليوم من العام القابل .

وقال : إنه كان بمدينة الأثمنين كنيسة تعرف ببوَّرج إلى جانبها بئر لاندأوة فيها ولا بئَل في سائر أيام السنة ، فإذا كان اليوم الباسم من طوبة من شهور القبط تمتلئ تلك البئر ماءً شروباً . فلا يبقى أحد من نصارى ذلك البلد إلا يأخذ من ذلك الماء للتبرُّك به . حتى إذا كان عند الزوال ، غاض الماء فلا يبقى في البئر منه شيء ويصحف لوقته .

«وإرض مرّينينا من عمل حصن الأكراد عين تسمى القوّارة . تكون في غالب الأوقات بينها وبين وجه الأرض تقدّر ثلاثة أذرع . وتفور في بعض الأيام ويخرج منها ماءٌ يدير أرحية الطواحين ويسقى البساتين فيستمر كذلك بعض يوم ثم ينور . ويتكرر ذلك في الأسبوع مرتين وثلاثة .

«وبقلعة بعلبك من الشام بئر تعرف ببئر الرحمة لأيرى فيها الماء إلا إذا حوصرت . فإنها عند ذلك تمتلئ حتى تفيض . فإذا زال الحصار جفّت » .

ذكر ما يمتثل به مما فيه ذكر الماء

(ما جاء من ذلك على لفظ الفعل)

الأشكال :

يقال :

أسرع من الماء إلى قراره .

أرقى من الماء .

أحق من لاعي الماء .

١٥

٢٠

أحرق من القابض على الماء .

أصغى من ماء المقاصيل .

أعذب من ماء المقاصيل .

أجرى من الماء .

أعذب من ماء الحشرج .

أعذب من ماء البارق .

الطف من الماء .

أوجد من الماء .

ويقال :

أن ترد الماء بماء أكس .

ماء ولا كصداء .

قد بلغ الماء الزوى .

ويقال :

فلان يرقم على الماء . (إذا كان حاذقاً) .

تأكلت مئذ بماء . (لأنه يزداد فساداً) .

ليس الرئي في التشاف . (في ذم الاستعفاء) .

الماء إذا طال مكثته ، ظهر خبثه ؛ وإذا سكن مئته ، تحرك نثته .

الكدر من رأس العين .

إذا عذبت العيون ، طابت الأشهار .

هذا غيظ من فيض ، وبرص من عذ . (أي قليل من كمي) .

ومن أنصاف الايات :

- * والمرءُ يشترق بالزلال البارد ! * كذلك غمر الماءُ يروى ويفرق ! *
- * والمشرَّب العذب كثير الزحام ! * مواقع الماء من ذى الغلة الصادي ! *
- * وكيف يعاف الرقيق من كان صاديا ؟ *

ومن الايات :

يا سرحة الماء قد سدت موارده • أما إليك سبيل غير مسدود ؟
لحائم حام حتى لا حيام به * محلا عن طريق الماء مصدود !
وقال آخر :

أيجوز أخذ الماء من * متلهب الأحشاء صادي ؟

وقال آخر :

أرى ماءً وبى عطش شديد ، * ولكن لا سبيل إلى الورود !

وقال آخر :

من غص داوى بشرب الماء غصته ، * فكيف يصنع من قد غص بالماء ؟

وقال آخر :

وما كنت إلا الماء جثنا لشربه ، * فلما وردناه إذا الماء جامد !

وقال آخر :

وفي نظرة الصادي إلى الماء حسرة ، * إذا كان بمنوعاً سبيل المواردا

وقال آخر :

وإني للاء المخالط للقذى * إذا كثرت وزاده ، لميؤف !

وقال آخر :

سَأَفْتَحُ بِالْثَّمَادِ، لَعْلَ دَهْرًا * يَسُوقُ الْمَاءَ مِنْ حُرِّ كَرِيمٍ !

وقال آخر :

وَمَنْ يَأْمِنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَائِضٍ ■ عَلَى الْمَاءِ، خَانَتْهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ .

وقال آخر :

وَلَمَّا وَاشْرَافِي عَلَيْكَ يَهْتَمِّي * لَكَالْبَتْنِ زُبْدًا مِنَ الْمَاءِ بِالْمَخْضِ .

وقال آخر :

فَقُلْ فِي مَكْرَعِ حَلَبٍ ، * وَقَدْ وَاثَقَهُ عَطْشَانُ !

وقال آخر :

وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنكَ، وَأَيُّ صَبْرٍ * لَظْمَانٍ عَنِ الْمَاءِ الزَّلَالِ ؟ ١٠

وقال آخر :

وَأَنَّ الْمَاءَ فِي الْعِيدَانِ يَجْرِي ، * وَرُبَّمَا تَغْيِيرٌ فِي الْحُلُوقِ !

وقال آخر :

إِذَا أَنَا عَاتَيْتُ الْمُلُوكَ فَأَتَمًّا * أَحْطُ بِأَقْلَامٍ عَلَى الْمَاءِ أَحْرَفًا !

وقال آخر :

وَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيبًا أَكَّ أَعْذَبَهُ * يَفْقِي، وَيَمْتَدُّ عُمْرُ الْآجِنِ الْأَسِينِ . ١٥

وقال آخر :

الْمَالُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ، مَا لَمْ يَفْضُ ■ فِي الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ ، سُوءَ نَشَاءِ .

كَلَاءُ تَأْسِئُ بِهِ إِلَّا إِذَا * خَبِطَتِ السُّقَاءُ رِجَامَهُ بِدِلَالِ .

ذكر شيء مما قيل في وصف الماء وتشبيهه

§ فاما ما أخص به نهر النيل من الوصف .

فمن ذلك قول ابن النقيب :

كَأَنَّ النَّيْلَ ذُو فَهْمٍ وَلُبٍّ * لَمَّا يَلْوِلِينَ النَّاسَ مِنْهُ .
فَيَأْتِي حِينَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ، * وَيَمِضِي حِينَ يَسْتَقْنُونَ عَنْهُ !

وقال تميم بن المزمع العُبدِيُّ :

يَوْمٌ لَنَا بِالنَّيْلِ مَخْصَرٌ * وَلِكُلِّ يَوْمٍ مَسْرَةٌ قَصَرٌ .
وَالسُّفُنُ تَجْرِي كَالطُّيُولِ بِنَا * صُعْدًا ، وَجَيْشُ الْمَاءِ مُنْخَدِرٌ .
فَكَأَنَّمَا أُمُوجُهُ عُكَّةٌ * وَكَأَنَّمَا دَارَاتُهُ سُورٌ .

§ ومن رسالة للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي قال :

وأما النيل فقد ملأ البقاع ، وانتقل من الإصبع إلى الذراع . فكأنما غار على الأرض فغطاها ، وغار عليها فاستقعدتها وما تخطاها . فإ يوجد بمصر قاطع طريق سواء ، ولا مرغوبٌ مرهوبٌ إلا لياه .

وأما ما أختصت به دجلة من الوصف .

قال التنوخي :

وَكَاثَ دِجْلَةَ إِذْ تَغْمُضُ مَوْجُهَا * مَلِكٌ يُعْظَمُ ، خِيفَةً وَيُجَبَّلُ .
عُدْبَتْ ، فَمَا أَدْرَى أُمَاءُ مَاؤُهَا * عِنْدَ الْمَذَاقَةِ أَمْ رَحِيقُ سَلْسَلٍ ؟
وَكَاثَهَا يَاقُوتهُ أَوْ أَعْيُرُ * زُرْقٌ يُلَاحِظُ بَيْنَهَا وَيُوصِّلُ .
وَلَهَا بَمَدٍّ بَعْدَ جَزْدِ ذَاهِبٍ * جَيْشَانِ : يُدْبِرُ ذَا ، وَهَذَا يُقْبِلُ .

وقال محمد بن عبد الله السلاوي ، شاعر "التيمة" :

وبيدائس تجرُّل به جُيولٌ * تقود الدارِصين ^(١) ولا تُقادُ
رَكِبَتْ به لِمَا أَلَدَاتِ طِرْفًا * له جسمٌ وليس له فُؤَادُ
جرى ظَنَنْتُ أَنَّ الْأَرْضَ وَجْهَهُ * ودجلةٌ ناظرٌ وهو السَّوَادُ

وقال الصنوبري :

فلَبَّ تعالى البدرُ وأَشْتَدَّ ضَوْؤُهُ * بدجلةٌ في تَشْرِينِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وقد قابلَ الماءُ الْمَغْضُضَ نُورُهُ * وبعضُ نجومِ الليلِ يُطْفِئُ سَنَا بَعْضِ
تَوْهَمِ ذُو الْعَيْنِ الْبَصِيرَةِ أَنَّهُ * يرى ظَاهِرَ الْأَفلاكِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ

ومما وصفت به الأنهار

قال الصنوبري :

وَالْعَوَاجِثُ الَّتِي كَلَفَتْ بِهِ * قَدْ سَوَى الْحُسْنُ فِيهِ مَذْعُوجَ
مَا أَخْطَأَ الْأَيْمُ فِي تَعَوُّجِهِ * شيئًا إِذَا مَا أَسْتَقَامَ أَوْ عَرَّجَ
تُدْرِجُ الرِّيحُ مَتْنَهُ فَتَرَى * جَوْشَنَ مَاءٍ عَلَيْهِ قَدْ دَرَجَ
إِنْ أَعْنَقْتُ بِالْجَنُوبِ أَعْتَقَ فِي * لُطْفٍ، وَإِنْ هَمَلَجْتُ بِهِ هَمَلَجَ
مَنْ أَيْنَ طَافَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِهِ * حَسِبْتُ شَمْسًا مِنْ جَوْفِهِ تَخْرُجُ

وقال أبو فراس :

وَالْمَاءُ يَقْضِلُ بَيْنَ زَهْرِ الرُّوضِ فِي الشَّطِّينِ فَصَلًا
كَسِاسٍ وَثِيٍّ جَرَدَتْ * أَيْدِي الْقِيَانِ عَلَيْهِ نَصَلًا



(١) أظن قبل هذا ص ٢٥٦ في وصف البحر والسفن . وكتب في بعض الأصول عنه هذا الموضع

بنظرة "مكرر" .

وقال الناجم :

أُنْظِرْ إِلَى الرُّوضِ الذِّكِيِّ فَحُسْنُهُ لِلْمَيْنِ قُرَّةُ
فَكَانَتْ خُضْرَتُهُ السَّيَا * هُ، وَنَهْرُهُ فِيهِ الْمَجَرَّةُ.

وقال عبد الله بن المعتز :

وَرَأَى الرِّيحَ إِذَا مَسَّحَنَ غَدِيرَهُ * وَصَفِيَّتُهُ وَقَبِيحُ كُلِّ قَذَاءٍ،
مَا إِنَّ يَزَالُ عَلَيْهِ ظِلُّي كَارِعٌ * كَتَطَلَّمَ الْحَسَنَاءُ فِي الْمِرَاءِ.
ومثله قول الآخر :

وَعَدِيدُ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ حَتَّى * بَانَ فِي قَعْرِهِ الَّذِي كَانَ سَاخًا.
وَكَانَتْ الطُّيُورُ إِذْ وَرَدَتْهُ * مِنْ صَفَاءٍ بِهِ، تَرْقُ فِرَاقًا.

وقال آخر :

وَالْتَهَرُّ مَكْسُورٌ غَلَالَةُ فَضِيَّةٍ * فَإِذَا جَرَى سَبِيلُ، فَتَوْبُ نَضَارِ.
وَإِذَا اسْتَقَامَ، رَأَيْتَ صَفْحَةً مَسْنُورًا^(١) * وَإِذَا اسْتَدَارَ، رَأَيْتَ عَطْفَ سِوَارِ.

وقال أبو مروان بن أبي النخصل :

التَّهَرُّ قَدْ رَقَّتْ غَلَالَةُ خَصْرِهِ * وَعَلَيْهِ مِنْ صَبْغِ الْأَصْبِلِ طِرَازُ.
تَتَرَفَّقُ الْأَمْوَاجُ فِيهِ كَأَنَّهَا * عَكَنُ الْخُصُوفِ تَهْزُهَا الْأَعْبَازُ.

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

لَهُ نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَاءٍ * أَشْبَهَى وَرُودًا مِنْ لَمَى الْحَسَنَاءِ !
وَعَدَتْ تُحَفُّ بِهِ الْفُصُوفُ كَأَنَّهَا * هُلْبٌ تُحَفُّ بِمُقَلَّةِ زَرْقَاءِ.
وَالرَّيْحُ تَعَبَتْ بِالْفُصُوفِ وَقَدْ جَرَى * ذَهَبُ الْأَصْبِلِ عَلَى الْجَيْنِ الْمَاءِ !

(١) المتصل (بضم فسكون فضم) هو السيف .

وقال أبو القاسم بن المطار :

مَرَرْنَا بِسَاطِئِ النَّهْرَيْنِ حَدَائِقِ * بِهَا حَدَقُ الْأَزْهَارِ تَسْتَوْقِفُ الْحَدَقُ .
وقد تَسَجَّتْ كَفُّ النَّسِيمِ مُقَاضَةً * عليه ، وما غَيْرُ الْحُبَابِ لَهَا حَلَقُ !

وقال محمد بن سهل البلخي ، شاعر « الذخيرة » :

٥ رَاقَتْ النَّهْرُ صَفَاءً * بَعْدَ تَكْذِيرِ صَفَائِهِ .
كَانَ مِثْلَ السِّيفِ مُدْمِي * بَغَلَّوْهُ مِنْ دِمَائِهِ .
أَوْ كَمِثْلِ الْوَرْدِ غَضًّا * فَهُوَ الْيَوْمَ كَمَائِهِ .

وقال القاضي التتوني ، شاعر « اليتيمة » :

١٠ أَحْبَبْتُ إِلَى نَهْرٍ مَعْقِلٍ الَّذِي * فِيهِ لَقَلْبِي مِنْ هُمُومِي مَعْقِلُ !
عَذْبٌ إِذَا مَا عَبَّ فِيهِ نَاهِلٌ * فَكَأَنَّهُ مِنْ رَيْقِي حَبَّ يَنْهَلُ .
مَتَسَائِلٌ فَكَأَنَّهُ لَصَفَائِهِ * دَمْعٌ يَجْدِي كَاعِبٍ يَتَسَائَلُ .
فَإِذَا الرِّيحُ جَرَيْنَ فَوْقَ مَتُونِهِ * فَكَأَنُّهَا دَرَعٌ جَلَاهُ الصَّيْقَلُ !

وقال مؤيد الدين الطغراني في الغدير :

١٥ نُجْنَا إِلَى الْجَزَعِ الَّذِي مَدَّ فِي * أَرْجَائِهِ النَّعْمُ بِسَاطِ الرِّهْرِ .
حَوْلَ غَدِيرِ مَائِهِ الْمَشْمِي * إِلَى بَنَاتِ الْمَزْنِ يَسْكُو الْخَصْرُ .
لَوْلَا ذُو الرِّيحِ سَمُومًا بِهِ * لَا تَقَلْبْتُ وَهِيَ نَسِيمُ السَّحَرِ .
حَضْبَاؤُهُ دُرٌّ وَرَضْرَأُهُ * سُبْحَالَةُ الْعَسْجِدِ حَوْلَ الدَّرَرِ .
وَقَدْ كَسَتْهُ الرِّيحُ مِنْ نَسِجِهَا * دِرْعًا بِهِ يُلْقَى نَيَْالُ الْمَطَرِ .

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ . وَفِي دِيْوَانِهِ : "لَوْلَا ذَاتُ الرِّيحِ أُنْخِ" وهو الصواب .

والبسته الشمس من صيفها * نورا به يحطف نور البصر.
كانها المرأة مجلوة * على بساط أخضر قد نثر.

وقال أيضا :

ملنا إلى النثر الذي ترقى * إليه أنفاس الصبا عاطره.
حول غدير مأوه دارع * والأرض من ريقه حاسره.
والشمس إن حاذته رأد الضحى * حسناء في مرآتها ناظره.
والشهب إن حاذته جنع الدجى * تسبح في لججه الزائره.
قد ركب الخضر فيه، فرب * حصباؤه أنجبها زاهره.
يحضر إن مرت بأرجائه * لفتح سموم في لظى هاجره.
أتمودج الماء الذي جاء الثومد بأن فسقاء في الآخرة!

٥

١٠

ومما وصفت به البرك

قال البحتري عفا الله عنه :

يأمن رأى البركة الحسناء رؤيتها * والآسات التي لاحت معانيها!
ما بال دجلة كالغري تافسها * في الحسن طورا، وأطوار أباها؟
كأن جن مسليان الذين ولوا * إبداعها فادقوا في معانيها.
فلو تمر بها بقيقس عن عرض، * قالت: هي الصريح تمثيلا وتشيها.
تصب فيها وفود الماء معلقة * كالخيل خارجة من حل مجرها.
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السباتك تجري في مجاريها.

١٥

(١) في الأصل "يخضر" وفي ديوانه (الموجود منه نسخة بخطه "ديوان الكلب المصرة") "يخضر"

ولا سي لها . ولعل الصواب "يخضر" من الخضر، وهو شدة البرد كما يرضيه السياق .

٢٠

إذا علَّتْهَا الصِّبَا أَبَدَتْ لَهَا حُبُّكَ * مثلَ الْجَوَاشِينِ مَصْفُوقًا حَوَاشِيهَا.
إذا التُّجُومُ تَرَامَتْ فِي جَوَانِبِهَا * لَيْلًا، حَصِبَتْ سَمَاءُ رُكْبَتِ فِيهَا.
لَا يَبْلُغُ السَّمَكَ الْمُحْصُورُ غَايَتَهَا * بُعْدَ مَا يَنْبَغُ قَاصِبِهَا وَدَانِيَهَا.
يَعْمَنُ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ بِمَجْنَمَةٍ * كَالطَّيْرِ تَقْضُ فِي جَوْحِهَا فِيهَا.
كَأَنَّهُا حِينَ بَلَّتْ فِي تَدَقُّقِهَا * يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَادِيهَا!

وقال ابن طباطبا :

كَمْ لَيْلَةٍ سَاهَرْتُ أَلْمَهَ لَدَى * عَرَصَاتِ أَرْضِ مَاؤَهَا كَمَا لَيْلَاهَا.
قَدَسِيَرْتُ فِيهَا التُّجُومُ كَأَمَّا * فَلَكُ السَّمَاءِ يَدُورُ فِي أَرْجَائِهَا.
أَحْسَنُ بِهَا نَجْمًا إِذَا أَلْبَسَ الدُّجَى، * كَأَنَّهُ نَجْمُ اللَّيْلِ مِنْ حَصْبَائِهَا!
تَرَوْنِي إِلَى الْجُوزَاءِ وَهِيَ غَرِيقَةٌ * تَبْغِي النِّجَاءَ، وَلَاتُ حِينَ نَجَائِهَا!
تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِي أَصْطَفَاقِ بَيَاهِهَا * لَا مُسْتَعَانَ لَهَا سِوَى أَسْمَائِهَا.
وَالْبَدْرُ يَحْفَقُ وَسَطَهَا فَكَأَنَّهُ * قَلْبُهَا قَدْ رَجَعَ فِي أَحْشَائِهَا.

وقال عبد الجبار بن حمديس، يصف بركة يجرى إليها الماء من شاذروان من أفواه

طيور وزرافات وأسود، من أبيات :

وَالْمَاءُ مِنْهُ سَبَّأْتُكَ مِنْ فِضَّةٍ * نَابَتْ عَلَى دُولَابِ شَاذِرَوَانَ!
فَكَأَنَّكَ سَيَفُ هُنَاكَ مَشْطَبٌ * أَلْقَتْهُ يَوْمَ الرُّوْحِ كَفَّ جَبَانِ!
كَمْ شَاخِصٍ فِيهِ يُطِيلُ تَسَجُّبًا * مِنْ دَوْحَةٍ نَبَتْ مِنَ الْعُقَيَانِ!
عَجَبًا لَهَا تَسْقَى هُنَاكَ يَنَاقِمًا * يَنْتَعُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْأَغْصَانِ!
خُصِّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى قَنْ لَهَا * حَصِفَتْ، فَأَقْرَدَ حُسْنُهَا مِنْ ثَانِي!

فُس الطيور الساجاتِ بلاغة * وقصاحة من منطلق وبيان.
 فإذا أُتيحَ لها الكلامُ تكلمت * بجزير ماء دائم الملائم.
 وكأنَّ صانِعها استبدَّ بصنعة * تفر الجادُّ بها على الحيوانِ !
 أوفت على حوض لها فكانها * منها إلى السحب العجائب رَوَانِ.
 وكأنها ظنَّت جلاوة ما فيها * شهدا ، فذاقته بكلِّ لسان.
 وزدافة في الجوِّ من أنبويها * ماء يركب الحصى في الطيران.
 مرْكوزة كالنخ حيث ترى له * من ملغنه الحلق أنعطاف سنان.
 وكأنما ترى السماء بُنْدُق * مُستبطن من لؤلؤ وجمان !
 لو عاد ذاك الماء قطعا أحرقت * في الحق منه فيص كلَّ شأن.
 في بركة قامت على حافاتها * أسد تدل لِعزة السلطان !
 نزعت إلى ظلم النفوس قُوسها ، * فذلك اثترعت من الأبدان.
 وكأنما الحيات من أفواهها * يطرحن أنفسهن في عُدران.
 وكأنما الحيتان إذ لم تحشمها ، * أخذت من المنصور عهد أمان !

وقال آخر :

ولقد رأيت ، وما رأيتُ كبركة * في الحُسن ذات تدفق وحرير !
 عقلت لها أيدي المياه قنطرة * من جوهر في الجنة من نور !

وقال علي بن الجهم ، يصف قنطرة :

وقنطرة ثارها في السماء ، * فليست تُقصّر عن نارها !
 تراها إذا صعدت في السماء * تعود الينا بأخبارها .
 تردُّ على المنزل ما أنزلت * على الأرض من صوب مذارها !

وقال ابن حجاج فيها :

عَلَيْتُ فِي دَارِكَ فَوَارَةً ، * غَرَقَتِ الْأَفْقُ بِهَا الْأَنْجُمَا !
فَاضَ عَلَى نَجْمِ الْمَاءِ مَائُهَا ، * فَاصْبَحَتْ أَرْضُكَ تَسْقِي السَّمَا !

وقال تميم بن المعز المبيدي :

وَقَازِفَةُ بِالْمَاءِ فِي وَسْطِ رِكَّةٍ * قَدْ أَلْصَقَتْ ظِلًّا مِنَ الْأَيْكِ سَجَسَجًا .
إِذَا أَيْتَعْتُ بِالْمَاءِ سَلَّتَهُ مُنْصُلًا * وَعَادَ عَلَيْهَا ذَلِكَ النَّصْلُ هَوْدَجًا .
تُحَاوِلُ إِدْرَاكَ التَّجْوِمِ بَقْدُفَهَا ، * كَأَنَّ لَهَا قَلْبًا عَلَى الْجَوِّ مُحَرَجًا !

ومما وصفت به الدواليب والنواير

قال أبو حفص بن وضاء :

١٠ اللَّهُ دَوْلَابٌ يَطُوفُ بِسَلْسَلٍ * فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْتَعَتْ أَفْنَانًا !
قَدْ طَارَحَتْ فِيهِ الْجَائِمُ تَجْوَهَا * بِتَحْيِيهَا ، وَتَرْجَعُ الْأَلْحَانَا .
فَكَانَتْ دَقْفٌ يَطُوفُ بِمَعْنَدٍ ، * يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا .
ضَلَّاتْ بِجَارِي طَرَفَهُ عَنْ دَمْعِهِ ، * فَتَفَتَحَتْ أَضْبَالُهُ أَجْفَانَا !

وقال الموفق ، رحمه الله :

١٥ نَاعُورَةٌ تُحْسَبُ مِنْ صَوْتِهَا * مُبَيِّمًا يَسْكُو إِلَى زَائِرٍ .
كَأَنَّهَا كِكْرَانُهَا عُصِيَّةٌ * رُمُوا بِصَرْفِ الزَّيْنِ الْوَائِرِ .
قَدْ مَتُّوا أَنْ يَلْقُوا فَاغْتَدَّوْا * أَوَّلُكُمْ يَبْكِي عَلَى الْآخِرِ !

وقال آخر :

وَنَاعُورَةٌ قَدْ ضَاعَتْ بِسَوَاحِهَا * تُوَاحِي ، وَابْرَحَتْ مُقَلَّتِي دُمُوعَهَا !
٢٠ وَقَدْ ضَعُفَتْ مِمَّا عَنِ ، وَقَدْ غَلَّتْ * مِنَ الضَّعْفِ وَالشُّكْوَى مُعَدُّ ضُلُوعَهَا !

وقال ابن مثير الطرابلسي :

لِنَسْوَاعِيْرِهَا عَلَى الْمَاءِ الْحَا * نَ تَسِجُ الشَّجَا لِقَلْبِ الْمَشُوقِ .
فَهِيَ مِثْلُ الْأَفْلَاقِ شَكْلًا وَفِعْلًا ، قُسِمَتْ قَسَمَ جَاهِلٍ بِالْحُقُوقِ :
بَيْنَ عَالٍ ، سَائِمٍ ، يُنْكَسُهُ الْحَظُّ ، وَيَعْلُو بِسَافِلِ مَرُزُوقِ .

وقال أبو الفرج الوأواء :

تَرِيْمِيذِ سَقَتِ الرِّيَاضَ بَدَرَهَا ، * فَغَدَّتْ تَتُوبُ عَنْ السَّحَابِ الْمَهِيعِ .
يَسِينُ مَحْزُونٌ ، وَدَمْعَةٌ عَاشِقٍ ، * وَحَنِينُ مُشْتَاكِ ، وَأَنَّةٌ جَازِعِ .
فَهِيَ كَأَنَّهَا فَلَكٌ يَدُورُ ، وَعُغْلُوهُ ، * يَرِي الْقَسْرَارَ بِكُلِّ تَجَمُّعٍ طَالِعِ .

وقال الصنوبري :

فَلَكٌ مِنَ الدُّوَلَابِ فِيهِ كَوَاكِبٌ * مِنْ مَائِهِ تَنْقُضُ سَاعَةً تَطْلُعُ .
تَلَوُّنُ الْأَصْوَاتِ : يَخْفُضُ صَوْتَهُ * بِفَسَائِهِ ، طَوْرًا وَطَوْرًا يَرْفَعُ .

ومما وصفت به نثرا

من رسالة للشيخ ضياء الدين القرطبي إلى بعض إخوانه يستدعي منه ثلاثة
أسمهم ومليّات ، جاء منها :

١٥ "...والمُحَاجَّةُ دَاعِيَةٌ إِلَى ثَلَاثَةِ أَهْمٍ ، كَأَنَّهَا هَقَّةُ الْأَنْجَمِ ، بِمَتَدَةِ أَمْتِدَادِ الرُّخِ .
مَقْوَمَةٌ تَقْوِيمِ الْقِدْحِ ، غَيْرُ مَشْتَعَةِ الْأَطْرَافِ ، وَلَا مَعْقَدَةِ الْأَعْطَافِ ، وَلَا سَوَسَةِ
الْأَجْوَافِ ، تُحَاسِنُ الْفُضُولَ بِقَوَامِهَا ، وَالْقُدُودَ بِتَمَامِهَا ، وَتُخَالِفُ هُنَا امْتِلَاءَ
خُصُورِهَا ، وَتُسَاوِي [بَيْنَ] هَوَادِيهَا وَضُدُورِهَا ، مَعْتَدِلَةٌ الْقُدُودَ ، نَاعِمَةٌ الْخُدُودَ ؛

مع مَلِيَّاتٍ أَخَذَتِ النَّارُ مِنْهَا ، أَخَذَهَا فَاسْوَدَّتْ ، وَتَطَاوَلَتْ عَلَيْهَا مُدَّةُ الْجَفَافِ
فَاسْتَدْتَتْ ، وَتَرَامَتْ بِهَا مُدَّةُ الْقِدَمِ ، كَانَتْ فِي حَيْزِ الْعَدَمِ ، صِلَابِ الْمَكَاسِرِ ، غِلَظِ
الْمَازِرِ ، تُشْبِهُ أَخْلَاقَهُ فِي هِجَاءِ السَّلَمِ ، وَتَحْيِي صَلَابَةِ آرَائِهِ فِي تَفَازِ الرَّأْيِ وَمَضَاءِ
الْعِزِّ ، تَكْظِمُ عَلَى الْمَاءِ بِنِظْلِهَا ، تَجُودُ عَلَى الْأَرْضِ بِنِضِّهَا ، تَمْتَدُّ يَدُهَا
فِي اقْتِضَاءِ إِرَادَتِهَا ، وَتَطْلُعُ طُلُوعَ الْأَنْجَمِ فِي فَلَكِ إِدَارَتِهَا ، وَتُعَاقُ أَخَوَاتِهَا مَعَانِقَةَ
التَّشْيِيعِ ، فَاتَّخِرَ التَّسْلِيمَ أَوَّلَ التَّوْدِيعِ ، عَلَى أَنَّهَا تُؤَدِّنُ بِحَقَائِقِ الْإِعْتِبَارِ ، وَتَجْرَى جَرَى
الْفَلَكَ الْمُدَّارِ فِي قَنَاةِ الْأَنْعَامِ :

يَمُرُّ كَأَنْفَاسِ الْفَتَى فِي حَيَاتِهِ * وَتَسْمَى كَسْفَى الْمَرْءِ أَثْنَاءَ عُمْرِهِ .
يُفَارِقُ خَلَّيْنَهُ ، وَهُوَ سَائِرٌ * عَلَى مِثْلِ حَالِ الْخَلِّ فِي إِثْرِ سَيْرِهِ .
وَيُعْلَمُ التَّدَوُّارُ ، لَوْ يَعْقِلُ الْفَتَى * بِأَنْ مُرُورَ الْعُمْرِ فِيهِ كَثْرَةٌ .
فَنَ أَنْ أَدْرَكْتَ أَفْكَارَهُ سِرَّ أَمْرِهِ * فَقَدْ أَدْرَكْتَ أَفْكَارَهُ سِرَّ أَمْرِهِ .
وَمَنْ فَاتَهُ ، الْإِدْرَاكُ أَدْرَكَهُ الرَّدَى : * إِذَا جُرِعَتْ أَنْفَاسُهُ كَأَنَّ مَرَّةً .

ومما وصفت به الجداول

قال ابن المعتز ، عفا الله عنه :

عَلَى جَدُولِ رَيَّانٍ ، لَا يَقْبَلُ الْقَدَى : * كَأَنَّ سَوَاقِيهِ مُتَوْنُ الْمَبَادِ .

وقال الناجم :

أَحَاطَتْ أَزَاهِيرُ الرَّبِيعِ سَوِيَّةً * سَمَاطِينَ مُصْطَفَيْنَ ، تَسْتَنْبِتُ الْمَرْعَى .
عَلَى جَدُولِ رَيَّانٍ كَالْمُهْمِ مَرَسَلًا ، * أَوْ الصَّارِمِ الْمُسْلُولِ ، أَوْ حَيَّةٍ تَسْعَى .

وقال المفتح :

على جَدُولٍ رَيَّانٍ يَسَابُ مَتْنُهُ * صَقِيلًا، كَثَنَ السِّيفِ وَاثِيًا مَجْرَدًا .
إِذَا الرِّيحُ نَاعَتْهُ ، تَحَاقَّ وَجْهُهُ * دُرُوعًا وَصَبَاءً ، أَوْ تَحَزَّزَ مِسْبَدًا .

وقال ابن الرومي :

على حَفَاقِي جَدُولٍ مَسْجُورٍ * أبيضٌ مِثْلَ المَهْرَقِ المَنْشُورِ .
أَوْ مِثْلَ مَتْنِ المُنْصَلِ المَشْهُورِ * يَسَابُ مِثْلَ الحَيَّةِ المَدْعُورِ .

وقال ذو الرقة :

فَمَا أَتَشَقَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ * جَدَاوِلُ: أَمْثَالُ السُّيُوفِ القَوَاطِيعِ .
وَحَيْثُ أَتَيْنَا مِنْ ذِكْرِ المِيَاهِ إِلَى هَذِهِ الغَايَةِ فَلَنَذْكُرْ عِبَادَ المَاءِ .

ذكر عباد الماء^(١)

وعِبَادُ المَاءِ طَائِفَةٌ مِنَ الهِنْدِ يُسَمُّونَ الجَلْهِيكِيَّةَ^(٢) ، يزعمون أن المَاءَ مَلَكٌ ، ومنه ملائكة ، وأنه أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ ، وبه كُلُّ ولادة ونمو ونسوء ونقاء وطهارة وعمارة ، وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى المَاءِ .

فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عِبَادَتَهُ ، تَجَزَّدُ وَتَسْرَعُ عَوْرَتُهُ . ثُمَّ دَخَلَ المَاءَ حَتَّى يَهْضَلَ إِلَى وَسْطِهِ ، فَيَقِمُ سَاعَتَيْنِ وَأَكْثَرَ . وَيَأْخُذُ مَا أَمَكَنَهُ مِنَ الرِّيحِ حِينَ يَفْقَطُهَا صَغَارًا وَيُلْقِي فِي المَاءِ بَعْضَهَا بَعْدَ بَعْضٍ ، وَهُوَ يُسَبِّحُ وَيَقْرَأُ . وَإِذَا أَرَادَ الانْتِصَافَ ، حَرَكَ المَاءَ بِيَدِهِ . ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُ فَقَطَعَ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَسَائِرِ جَسَدِهِ . ثُمَّ يَسْجُدُ وَيَنْصَرِفُ .

(١) هذه العبارة كلها مقولة عن كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني .

(٢) في الأصل : المهلكية . [وهو تصحيف وصوابه من الشهرستاني] .

القسم الخامس من الفن الأول

في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها، وخصائصها، والمباني القديمة،
والمعاقل، وما وُصفت به القصورُ والمنازل
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

(في طبائع البلاد، وأخلاق سُكَّانها)

§ رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل كعبَ الأحبار عن طبائع البلاد
وأخلاق سُكَّانها، فقال : إن الله تعالى لما خلق الأشياءَ، جعل كل شيءَ لشيءٍ .
فقال العفل : أنا لاحقٌ بالشَّامِ، فقالت الفتنَةُ : وأنا معك . وقال الخُصْبُ : أنا لاحق
بمصر، فقال الذَّلُّ : وأنا معك . وقال الشَّقاء : أنا لاحقٌ بالبادية، فقالت الصَّحَّةُ :
وأنا معك .

§ وقال محمد بن حبيب : لما خلق الله تعالى الخلقَ، خلق منهم عشرة أخلاق :
الإيمان، والحياء، والنجدة، والفتنة، والكبر، والتفاق، والفني، والفقر، والذل،
والشَّقاء . فقال الإيمان : أنا لاحق باليمن، فقال الحياء : وأنا معك . وقالت النجدة :
أنا لاحقَةٌ بالشَّامِ، فقالت الفتنَةُ : وأنا معك . وقال الكبر : أنا لاحق بالعراق، فقال
التَّفاق : وأنا معك . وقال الفني : أنا لاحق بمصر، فقال الذَّلُّ : وأنا معك . وقال
الفقر : أنا لاحق بالبادية، فقال الشَّقاء : وأنا معك .

§ وحكى عن المجاج انه قال : لما تبوأَت الأشياءُ منازلها ، قال الطاعون : أنا نازلٌ بالشَّام ، فقالت الطاعة : وأنا معك . وقال التفاق : أنا نازلٌ بالعراق ، فقالت النعمة : وأنا معك . وقال الشقاء : أنا نازلٌ بالبادية ، فقال الصبر : وأنا معك .



نوع آخر منه

- § رُوِيَ عن عبد الله بن عباس (رضى الله تعالى عنهما) أنه قال : إن الله تعالى خالق
- البركة عشرة أجزاء : فتسعةٌ منها في قريش ، وواحد في سائر الناس . وجعل الكرم
- عشرة أجزاء : فتسعة منها في العرب ، وواحد في سائر الناس . وجعل الفيرة عشرة
- أجزاء : فتسعة منها في الأكراد ، وواحد في سائر الناس . وجعل المكر عشرة أجزاء :
- فتسعة منها في القبط ، وواحد في سائر الناس . وجعل الجفاء عشرة أجزاء : فتسعة
- منها في البربر ، وواحد في سائر الناس . وجعل النجابة عشرة أجزاء : فتسعة منها
- في الروم ، وواحد في سائر الناس . وجعل الصناعة عشرة أجزاء : فتسعة منها
- في الصين ، وواحد في سائر الناس . وجعل الشهوة عشرة أجزاء : فتسعة منها
- في النساء ، وواحد في سائر الناس . وجعل العمل عشرة أجزاء : فتسعة منها
- في الأنبياء ، وواحد في سائر الناس . وجعل الحسد عشرة أجزاء : فتسعة منها
- في اليهود ، وواحد في سائر الناس .

§ ويقال : قُسمَ الحقد عشرة أجزاء : فتسعة منها في العرب ، وواحد في سائر

الناس . وقُسمَ البخل عشرة أجزاء : فتسعة منها في الفرس ، وواحد في سائر الناس .

وقسم الكبر عشرة أجزاء : فتسعة منها في الروم ، وواحد في سائر الناس . وقسم

الطَّرَب عشرة أجزاء : فتسعة منها في السودان ، وواحد في سائر الناس . وقسم
الشَّبَق عشرة أجزاء : فتسعة منها في اليهود ، وواحد في سائر الناس .
§ ويقال : أربعة لا تعرف في أربعة : السَّخاء في الروم ، والوَقَاء في الترك ، والشجاعة
في القِبط ، والتم في الزَّنج .

نوع آخر منه

§ حكى عن الجاحج أنه سال أيوب بن القريّة عن طبائع أهل البلاد ، فقال :
أهل الجحاز أسرع الناس إلى فتنة وأعجزهم عنها ؛ رجالها جفّاء ، ونسائها كساة عراة .
وأهل اليمن أهل شتم وطاعة ، ولزوم الجماعه . وأهل عُمان عرب استنبطوا . وأهل
البحرين نَبَطٌ استعربوا . وأهل اليمامة أهل جفّاء ، واختلاف آراء . وأهل فارس
أهل بامٍ شديد ، وعزّ عتيد . وأهل العراق أبحث الناس عن صغيره ، وأضيعهم
لكبيره . وأهل الجزيرة أشجع قرّسان ، وأفضل للاقتران . وأهل الشام أطوعهم
لخلق وأعصاهم لخالق . وأهل مصر عبيدٌ لمن غلب ؛ أكيس الناس صفاراً ،
وأجهلهم بكاراً .

وحكى عن أبي عثمان "عمرو بن بحر الجاحظ" أنه قال : كما تُعَلَّم في المكتب كما تُعَلَّم
القرآن : احذروا حماقة أهل بخارى ، وغلّ أهل مرو ، وشغب أهل نيسابور ، وحسد
أهل هراة ، وحقد أهل سجستان .

§ وقال أبو حامد القاضى : أعيانى أن أرى نخراسانياً ذكياً ، وطبرياً رزينا . وتمدنياً
لببياً ، وبصرياً ركيكاً ، وكوفيّاً رئيساً ، وبغدادياً مخيّباً ، وموصلياً لطيفاً ، وشامياً خفيفاً ،
ومحجازياً منافقاً ، وبدويّاً ظريفاً .

§ وقال بختيشوع : تسعة لا تخلو من تسعة : قُمِّي من رُعونة ، ويماني من جنون ،
وواسطي من غفلة ، وبصري من جدل ، وكوفي من كذب ، وسَوَادِي من جهل ،
وبفدادِي من غرقة ، وخوزِي من لُؤم ، وطبرِي من زرق ^(١) .

§ وقيل : جاور أهل الشام الروم ، فأخذوا عنهم اللؤم وقلة الغيرة . وجاور أهل
الكوفة أهل السواد ، فأخذوا عنهم السخاء والغيرة . وجاور أهل البصرة الخوز ،
فأخذوا عنهم الزنا وقلة الوفاء .

§ ويقال : إن القدماء اعتبروا البلاد وما أمتاز به بعضها عن بعض من الطابع ،
فوجدوا أخصب بقاع الدنيا ثمانية مواضع : أَرَمِيَّة ، وأَذَرَبَيجَان ، وماء دِينُور ،
وماء نِهَاونَد ، وكرمان ، وأَصْبَهَان ، وقومس ، وطبرستان .

§ ووجدوا أخف بقاع الدنيا ماء ، ماء ثمانية مواضع : دجلة ، والفرات ، وزندرو
أصبهان ، وماء سوران ، وماء هَمِيَجَان ، وماء جُنْدِسَابُور ، وماء بَلخ ، وماء سَمَرْقَنْد .
(وغفلوا عن نيل مصر ، ولعله أحقها بهذه الخصوصية من سائر المياه) .

§ ووجدوا أوبأ بقاع الدنيا ستة مواضع : التوبندجان ، وسابورخوآست ، وجرجان ،
وحُلُوان ^(٢) ، وبردعه ، وزنجان . (وغفلوا عن شيراز) .

§ ووجدوا أعقل أهل البلاد تسعة : أهل أصبهان ، والحيرة ، والمدائن ، وماء دِينُور ،
وإصطخر ، ونيسابور ، والرّي ، وطبرستان ، ونَسَوِي (وهي نَقَجَوَان) .

§ ووجدوا أسرى أهل بقاع الدنيا أهل سبعة مواضع : طوسفون (وهي المدائن) ،
وبلاشون (وهي حُلُوان) ^(٣) ، وماسبندان ، ونهَاونَد ، والرّي ، وأصبهان ، ونيسابور .

(١) من أهل طبرستان . وأما النسبة إلى طبرية الشام فطبراتي .

(٢) أي حلوان العراق ، لا حلوان مصر .

§ ووجدوا أهل بقاع الدنيا أهل عشرة مواضع : ماسبندان ، ومهرجافندق^(٢) ، وسورستان ، والرّي ، والرويان ، وأذربيجان ، والموصل ، وأرمينية ، وشهرزور ، والصابقان .

§ ووجدوا البخل في أهل ثمان بقاع : مرو ، وإصطخر ، ودارابجرد ، وخوزستان ، وماسبندان ، وديبل ، وماه دينور ، وحلوان .

§ ووجدوا أسفل أهل بقاع الأرض أربعة : أهل السدجان ، وبادرايا ، وماكسايآ ، وخوزستان .

§ ووجدوا أقل أهل الأرض نظرا في العواقب أهل سبعة مواضع : طبرستان ، وأرمينية ، وقومس ، وكرمان ، وكوسان ، ومكران ، وشهرزور .



§ ويقال : إنه وفد رجل من عجم خراسان على كسرى ، فقال له : أخبرني من أحسن أهل خراسان لقاء ؟ قال : أهل بخارى . قال : فمن أوسمهم بدلا للخبز والملح ؟ قال : أهل جوزجان . قال : فمن أحسنهم ضيافة ؟ قال : أهل سمرقند . قال : فمن أدقهم نظرا وتقديرا ؟ قال : أهل مرو . قال : فمن أسوأهم طاعة ؟ قال :

(١) في بعض النسخ "أهل" بالهـ .

(٢) هذا الاسم يتركب من ثلاث كلمات : مهر (أي الشمس ، الحية ، الشفة) ؛ جان (أي النفس ، الروح) ؛ فندق (وقد يضم أوله وله اسم رجل) . فيكون معناه : محبة أو شمس تفسد فدى . وهي كورة حسنة من نواحي بلاد الجبل (عن ياقوت) .

(٣) كذا في الأصل ولم يذكرها ياقوت . وإنما ذكر "السيرجان" ، مدينة بين كرمان وفارس . فاعلمها مصحفة عنها .

تعمل فيه وبقي أبيض البدن، فقال : لعله حج ثلاث حجج ؟ قالوا : نعم . قال : حدثت أن "من حج حجة أدنى فرضه، ومن حج ثانية دأب ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار" .

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال : "مرحباً بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك !". وجاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : "ما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجاب له" . وكذلك عند الركن .
وعنه صلى الله عليه وسلم : "من صلى خلف المقام ركعتين، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة مع الآمين" .

ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء

- ١٠ قبل أن يخلق الله السماوات والأرض
- قال أبو الوليد الأزرقي بسند يرفعه إلى كعب الأحبار أنه قال : كانت الكعبة غطاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرضين بأربعين سنة . ومنها دحييت الأرض .
- وقال يرفعه إلى مجاهد : خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين .
- ١٥ وعنه يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بعث الله ريحا فصفقت الماء فأبرزت عن حشفة في موضع البيت كأنها قبة . فدحا الله عز وجل الأرض من تحتها فادت ثم مادت . فأوتدها الله تعالى بالجبال ، فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس ، فلذلك سمي مكة أم القرى

(١) كذا في جميع النسخ ولعله "الركن الباقى" .

وعنه يرفعه إلى مجاهد أنه قال : لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بالثي سنة، وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى .

ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم عليه السلام،

ومبدأ الطواف

قال أبو الوليد الأزرقي، يرفعه إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما إنه أتاه سائل يسأله، فقال له : عمّ تسأل ؟ فقال : أسألك عن بدء الطواف بهذا البيت لِمَ كان ؟ وأتى كان ؟ وحيث كان ؟ وكيف كان بالبحر ؟ فقال له : نعم، من أين أنت ؟ فقال : من أهل الشام . فقال : أين مسكنك ؟ قال : في بيت المقدس . قال : فهل قرأت الكتابين ؟ (يعني التوراة والإنجيل) . قال له الرجل : نعم . فقال له : يا أخا أهل الشام أحفظ، ولا تروين عني إلا حقا :

أما بدء هذا الطواف بهذا البيت، فإن الله تعالى قال للملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة) ، قالت الملائكة : أي رب، خليفة من غيرنا : ممن يفسد فيها ويسفك الدماء، ويتحاسدون، ويتباغضون، ويتنازعون ؟ أي رب، أجعل ذلك الخليفة منا، فنحن لا نفسد فيها، ولا نسفك الدماء، ولا نتباغض، ولا نتحاسد، ولا نتباغض ؟ نحن نسبح بحمدك ونقدس لك، ونطيعك ولا نَعْصيك . قال الله تبارك وتعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تعلمون) . قال : فظننت الملائكة أن ما قالوه رد على ربه عز وجل وأنه قد غضب من قولهم ، فلاذوا بالعرش، ورفقوا رؤوسهم، وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقا لفضبه . فطافوا بالعرش ثلاث ساعات . فنظر الله عز وجل إليهم، فزلزل الرحمة عليهم، فوضع الله سبحانه تحت العرش بيتا على أربع

أَسَاطِينَ مِنْ زَبَرَجَدٍ، وَغَشَاءَ بَيَاقُوتَ حِمَاءَ وَسَمَى الْبَيْتَ الضَّرْحَ . ثم قال للملائكة :
 طُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتِ ، وَدَعُوا الْعَرْشَ ، فَطَافَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالْبَيْتِ وَتَرَكُوا الْعَرْشَ ، وَصَارَ
 أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ وَلِيلَةٍ
 سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَمُوتُونَ فِيهِ أَبَدًا . ثم إن الله سبحانه بعث ملائكة فقال :
 ابْنُوا لِي بَيْتًا فِي الْأَرْضِ بِمِثَالِهِ وَقَدِّرْهُ . فأمر الله سبحانه مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ
 أَنْ يَطُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتِ ، كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ .
 فقال الرجل : صَلَّيْتُ يَا أَبَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَكَذَا كَانَ ،

ذكر زيارة الملائكة البيت الحرام

قال الأزرقي ، يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما : إن جبريل عليه السلام
 وَقَفَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَيْهِ عَصَابَةٌ حِمَاءٌ قَدْ عَلَاهَا الْغُبَارُ ،
 فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا هَذَا الْغُبَارُ الَّذِي أَرَى عَلَى عَصَابَتِكَ ، أَيُّهَا الرُّوحُ
 الْأَمِينُ ؟ قَالَ : إِنِّي زَرْتُ الْبَيْتَ فَازْدَحَمَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى الرِّكْنِ ، وَهَذَا الْغُبَارُ الَّذِي
 تَرَى مِمَّا يُثِيرُ بِأَجْنَحَتِهَا .

وقال ، يرفعه إلى أبي ثعلبة بن معاذ رضي الله عنه : إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : هَذَا الْبَيْتُ خَامِسُ عَشْرَةَ عَشْرِينَ سَبْعَةً مِنْهَا فِي السَّمَاءِ إِلَى الْعَرْشِ ، وَسَبْعَةٌ
 مِنْهَا إِلَى تَحْتِ الْأَرْضِ السُّفْلَى ، وَأَعْلَاهَا الَّذِي بِلَى الْعَرْشِ : الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، لِكُلِّ بَيْتٍ
 مِنْهَا حَرَمٌ كَحَرَمِ هَذَا الْبَيْتِ . لو سَقَطَ مِنْهَا بَيْتٌ ، لَسَقَطَ بِمَعْضَاهُ عَلَى بَعْضِ مَا تَحْتُمُ
 الْأَرْضِ السُّفْلَى ، وَلِكُلِّ بَيْتٍ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَمِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ يَعْمُرُهُ ، كَمَا يَعْمُرُ
 هَذَا الْبَيْتُ .

ذكر هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، وبنائه الكعبة

المشرفة وجهه وطوافه بالبيت

قال الأزرقى، يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض من الجنة، كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض . وهو مثل القلک من رعدته . قال : فطأ طأ الله عز وجل منه إلى الأرض ستين ذراعاً ، فقال : يا رب ما لي لا أسمع أصوات الملائكة ولا حسهم ؟ قال : خفيتمك يا آدم ، ولكن اذهب فابني لي بيتاً تطوف به وأذكركني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي ، قال : فأقبل آدم عليه السلام يتخطى ، فطويت له الأرض وقبضت له المفاز ، فصارت كل مفازة يمر بها خطوة ، وقبض له ما كان فيها من مخاض أو بحر فجعله خطوة ، ولم يقع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عُمْرانا وبركة حتى انتهى إلى مكة . فبنى البيت الحرام . وإن جبريل عليه السلام ضرب بيمينه الأرض فأبرز عن أسس ثابت في الأرض السفلى قذفت الملائكة فيه الصخرة ، ما يطبق الصخرة منها ثلاثون رجلاً . وإنه بناء من خمسة أجيال : من لبنان ، وطور زيتا ، وطور سيناء ، والجودي ، وجرأ ، حتى استوى على وجه الأرض .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به ، آدم عليه السلام . حتى بعث الله سبحانه الطوفان ، فدرس موضع البيت في الطوفان . حتى بعث الله تبارك وتعالى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فرمى قواعد وأعلامه . ثم بنته قريش بعد ذلك . وهو بجذاء البيت المعمور ، لو سقط ، ما سقط إلا عليه .

(١) في النسخ "جبرى" . والتصحيح من حاشية الجبل على الجلالين ، فقد قل أثر ابن عباس .

- وقال أبو الوليد أيضا، ورفعني إلى وهب بن منبه : إن الله تبارك وتعالى لما تاب على آدم عليه السلام ، أمره أن يسير إلى مكة . فطوى له الأرض وقبض له المغاوير ، فصارت كل مفازة يمر بها خطوة ، وقبض له ما كان فيها من غياض ماء أو بحر فجعله له خطوة . فلم يضع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمرانا وبركة حتى انتهى إلى مكة . وكان قبل ذلك قد أشئت بكاهن وحزنه لما كان فيه من عظم المصيبة ، حتى إن كانت الملائكة تتحزن لحزنه وتبكي بكائه . فعزاه الله عز وجل بخيمة من خيام الجنة ، ووضعها له بمكة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة . وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من ياقوت الجنة : فيها ثلاثة فتاديل من ذهب من تير الجنة ، فيها نور يتلهب من نور الجنة . ونزل معها الركن ، وهو يومئذ ياقوتة بيضاء من ربض الجنة . وكان كرسيا لآدم عليه السلام ، يجلس عليه . فلما صار آدم بمكة ، حرمها الله تعالى ، ١٠ حرمه الله تعالى وحرس تلك الخيمة بالملائكة . كانوا يحرسونها ويذودون عنها ساكن الأرض ، وساكنوها يومئذ الجن والشياطين ، فلا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء من الجنة ، لأنه من نظر إلى شيء من الجنة وجبت له . والأرض يومئذ طاهرة نقية لم تجس ولم ينفك فيها الدم ، ولم تعمل فيها الخطايا . فلذلك جعلها الله عز وجل مسكن للملائكة ، وجعلهم فيها كما كانوا في السماء يسبحون الليل والنهار ، لا يفترؤن . وكان ١٥ وقوفهم على أعلام الحرم صفاً واحداً مستديرين بالحرم كله : الحِلُّ من خلفهم ، والحرم كله من أمامهم . ولا يجوزهم حتى ولا شيطان . ومن أجل مقام الملائكة ، حرم الحرم حتى اليوم . ووضعت أعلام حيث كان مقام الملائكة . وحرم الله على حواء دخول الحرم والنظر إلى خيمة آدم من أجل خطيئتها التي أخطأت في الجنة . فلم تنظر إلى شيء من ذلك حتى قبضت . وإن آدم عليه السلام كان إذا أراد لقاءها ليقيم بها ٢٠

للولد، خرج من الحرم كله حتى يلقاها . فلم تزل خيمة آدم مكانها حتى قبض الله آدم عليه السلام ورفعها الله . وبنى بنو آدم بها من بعدها مكانا : بيتا بالطين والحجارة . فلم يزل معمورا ، يعمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام . ففسّفه النّرق وخفي مكانه . فلما بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام طلب الأساس ، فلما وصل إليه ظلّل الله مكان البيت بغمامة . فكانت حَفَافَ البيت الأول ، ثم لم تزل راكزة على حَفَافِهِ تُظِلُّ إبراهيم عليه السلام وتهدّيه مكاتب القواعد حتى رفع الله القواعد قائمة . ثم أنكشفت الغمامة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ أى الغمامة التى ركزت على الحَفَافِ لتهدّيه مكان القواعد .

وعن وهب بن منبه أنه قال : قرأتُ في كتاب من الكتب الأول ، ذكر فيه أمرُ الكعبة ، فوجدتُ فيه أن ليس من ملك من الملائكة بعثه الله تعالى إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت . فينقُصُ من عند العرش مُحَرِّمًا مَلِيًّا ، حتى يستلم الحجر . ثم يطوفُ بالبيت سبعا ويركعُ في جوفه ركعتين ، ثم يصعد .

وقال الأزرقى ، يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما أهبط الله آدم إلى الأرض ، أهبطه إلى موضع البيت الحرام . وهو مثل القلّك من رصده . ثم أنزل عليه الحجر الأسودَ يعنى الركن ، وهو يتلأل من شدة بياضه . فأخذه آدم صلى الله عليه وسلم فضمّه إليه أنسا به . ثم أنزلت عليه المعصى ف قيل له : تحطّ يا آدم ، فتخطى ، فإذا هو بأرض الهند والسند . فكثّ هنالك ما شاء الله ، ثم استوحش إلى الركن ف قيل له : أجمّج ، قال فجحّ فلقبته الملائكة فقالوا : برّحك يا آدم ، لقد جمّجتنا هذا البيت قبلك بالقبى عام .

- قال : وسال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كعب الأخبار فقال : اخبرنى عن البيت الحرام . فقال كعب : أنزله الله من السماء يا قوتة مجوفة مع آدم ، فقال له : يا آدم إن هذا يلقى أنزلته معك ، يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي . ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعد من حجارة ثم وضع البيت عليه ، فكان آدم يطوف حوله كما يطاف حول العرش ، ويصلى عنده كما يصلى عند العرش ، فلما أغرق الله تعالى قوم نوح ، رفعه إلى السماء وبقيت قواعده .
- وقال وهب بن منبه : كان البيت الذى يؤاه الله تعالى لآدم عليه السلام يومئذ من ياقوت الجنة . وكان من ياقوتة حمراء تلتهب ، لها بابان : أحدهما شرقى والآخر غربى . وكان فيه قناديل من نور آتيتها ذهب من تير الجنة . وهو منظوم بنجوم من ياقوت أبيض . والركن يومئذ نجم من نجومه وهو يومئذ ياقوتة بيضاء .
- والله أعلم .

ذكر فضل البيت الحرام ، والحرم

- قال أبو الوليد ، يرفعه عن وهب بن منبه أنه قال : إن آدم لما أهبط إلى الأرض أستوحش فيها رأى من سعتها ولم ير فيها أحدا غيره ، فقال : يارب ، أما لأرضك هذه من طاهر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى ؟ قال : إني سأجعل فيها من دُرِّيتك من يسبح بحمدي ويقدس لى ، وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى ويسبحننى فيها خلق ، وسأبوتك فيها بيتا أختاره لنفسى ، وأخصه بكرامتى ، وأؤثره على بيوت الأرض كلها بأسمى ، فأسميه بيتى ، وأقطعُه بمظمتى^(١) ، وأحوزه بحرمانى ، وأجعله أحق بيوت الأرض

(١) أطلقه : بسط له الطع بالكسر ، بساط من أديم (تقدير بهامش الأصل) . وفي بعض النسخ "وأطلقه" بالفتح .

- كلها وأولاهها بذكرى، وأضعه في البقعة التي اخترت لنسي، فإني اخترت مكانه يوم خلقت السماوات والأرض، وقبل ذلك قد كان بعينى: فهو صفوتى من البيوت، ولست أسكنه، وليس يبنى لى أن أسكن البيوت، ولا يبنى لها أن تسعنى، ولكن على كرمى الكبرياء والجبروت، وهو الذى استقل بعزى، وعليه وضعت عظمى وجلالى، وهناك استقر قرارى، ثم هو بعد ضعيف عنى لولا قوتى، ثم أنا بعد ذلك ملء كل شىء، وفوق كل شىء، ومحيط بكل شىء، وأمام كل شىء، وخلف كل شىء، وليس يبنى لشىء أن يعلم علمى ولا يقدر قدرتى، ولا يبلغ كنه شأنى. أجعل ذلك البيت لك ولن بعدك حرما وأمانا، أحرم بحرمانه ما فوقه وما تحته وما حوله. فمن حرمة بحرمتى فقد عظم حرمتى. ومن أحله فقد أباح جرمانى، ومن أمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى، ومن أخافهم أخفرتى فى ذمتى، ومن عظم شأنه عظم فى عيني، ومن تهاون به صغرتى عيني، ولكل ملك حيازة ما حواله، وما حواله، وبطن مكة خيرى وحيازى، وحيران بيتى وعمارها وزوارها، وفدى وأضيافى فى كفى وأفتنى، ضامنون على ذمتى وحيوارى، فأجعله أول بيت وضع للناس، وأعمره بأهل السماء وأهل الأرض: بأنونه أفواجا شعثا غبرا على كل ضامر، ياتين من كل فج عميق، ينجون بالكبير نجيجا، ويرجون بالتلبية رجيجا، وينتجون بالبكاء نجيا، فمن أعمره لا يريد غيره، فقد زارنى ووفد إلى وزل بى، ومن نزل بى، لحقيق على أن تُخفف بكرامتى، وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه، وأن يُسيف كل واحد منهم بحاجته. تعمّر آدم ما كنت حيا، ثم تعمّر من بعدك الأئمة والقرون والأنباء: أمة بعد أمة، وقرون بعد قرون، ونبي بعد نبي، حتى ينتهى ذلك إلى نبي من ولدك وهو خاتم النبيين. فأجعله من عماره وسكانه وحماته، وولائه وسفاته. يكون أمينى عليه ما كان حيا. فإذا انقلب إلى

- وجدني قد دَحَرْتُ له من أجره وفضيلته ما يتمكن به القربة مني والوسيلة إلى ،
 وأفضل المنازل في دار المقام . وأجل اسم ذلك البيت ودركه وشرقه ومجده وشأه
 ومكرهه لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له إبراهيم ، أرفع له
 قواعده ، وأقضي على يديه عمارته ، وأنيط له سقايته ، وأريه حله وحرمه ومواقفه ،
 وأعلمه مشاعره ومناسكه ، وأجعله أمة واحدة قانتا لي ، قائما بأمرى ، داعيا إلى سبيل ؛
 ٥ أَجْتَبِيهِ وَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ أَبْتَلِيهِ فَيَصْبِرْ ، وَأَعَاقِبِهِ فَيَشْكُرْ ؛ وَيَنْذِرُنِي فِيهِ ؛
 وَيَعْمَلُ فَيُنْجِزْ ؛ أَسْتَجِيبَ لَهُ فِي وَلَدِهِ وَنَزْوِيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأُشْفِعَهُ فِيهِمْ ، وَأَجْعَلَهُمْ أَهْلَ
 ذَلِكَ النَّبِيِّ وَلَدَاتِهِ وَحَمَاتِهِ وَسُقَاتِهِ وَخُدَامَهُ وَخُزَّانَهُ وَمُجَابِبَهُ حَتَّى يَتَدَعَوْا وَيَغْبِرُوا ؛
 فِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَأَنَا اللَّهُ أَقْدَرُ الْقَادِرِينَ عَلَى أَنْ أَسْتَبْدِلَ مَنْ أَشَاءُ بِمَنْ أَشَاءُ . أَجْعَلُ
 ١٠ إِبْرَاهِيمَ إِمَامَ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَأَهْلَ تِلْكَ الشَّرِيعَةِ ، يَأْتُمُّ بِهِ مَنْ حَضَرَ تِلْكَ الْمَوَاطِنَ
 مِنْ جَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؛ يَطُوفُونَ فِيهَا آثَارَهُ ، وَيَتَّبِعُونَ فِيهَا سُنَّتَهُ ، وَيَقْتَدُونَ فِيهَا هَدْيَهُ .
 فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَوْفَى نَذْرِهِ ، وَأَسْتَكْمَلَ نُسْكَهَ ؛ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَعَّفَ نُسْكَهَ ،
 وَأَخْطَأَ بُغْيَتَهُ . فَمَنْ سَأَلَ عَنِّي يَوْمَئِذٍ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنَ : أَيْنَ أَنَا ؟ فَأَنَا مَعَ الشَّعْثِ الْغُبَرِ
 الْمَوْفِينَ بِنَذْوَرِهِمْ ، الْمُسْتَكْمِلِينَ مَنَاسِكَهُمْ ، الْمُبْتَهِلِينَ إِلَى رَبِّهِمُ الَّذِي يَعْلَمُ مَا يَسْدُونَ
 ١٥ وَمَا يَكْتُمُونَ . وَلَيْسَ هَذَا انْطَلَقَ وَلَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي قَصَصْتُ عَلَيْكَ شَأْنَهُ ؛ يَا آدَمُ ،
 بِزَانِدِي فِي مَلِكِي وَلَا عَظْمَتِي وَلَا سُلْطَانِي وَلَا شَيْءٍ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا زَادَتْ قَطْرَةُ مِنْ
 نَشْأَسْ وَقَعَتْ فِي سَبْعَةِ أَمْجَرٍ تَمْتَلِئُهَا مِنْ بَعْدِهَا سَبْعَةُ أَمْجَرٍ لَا تَحْصَى ؛ بَلِ الْقَطْرَةُ أَزِيدُ
 فِي الْبَحْرِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فِي شَيْءٍ مِمَّا عِنْدِي . وَلَوْ لَمْ أُخْلَقْ لَمْ يَنْقُصْ شَيْءٌ مِنْ مُلْكِي
 وَلَا عَظْمَتِي وَلَا مِمَّا عِنْدِي مِنَ الْفَنَاءِ وَالسَّعَةِ ، إِلَّا كَمَا نَقَصَتْ الْأَرْضُ ذَرَّةً وَقَعَتْ مِنْ
 ٢٠ جَمِيعِ تَرَابِهَا وَجِبَالِهَا وَحَصَايَا وَرَهَالِهَا وَأَشْجَارِهَا ، بَلِ الذَّرَّةُ أَقْصَى الْأَرْضِ مِنْ هَذَا
 الْأَمْرِ لَوْ لَمْ أُخْلَقْ . لَيْسَ مِمَّا عِنْدِي وَيَعِدُ هَذَا مِثْلًا لِلْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

ذكر ما جاء في طواف سفينة نوح عليه السلام بالبيت

قال أبو الوليد الأزرقي، ورفعته إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان مع

نوح عليه السلام في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلهم ، وإنهم كانوا في السفينة مائة (١٢٨) ونحسبين يوما، وإن الله جل ثناؤه وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما ، ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه .

وقال عن مجاهد : كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الفوق فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام . فكان موضعه أكمة حمراء مدقورة ، لا تعلوها السيول . غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك ولا يثبت موضعه . وكان يأتيه المظلوم والمبعود من أقطار الأرض ، ويدعو عنده المكروب . قتل من دعا هنالك ، إلا استجيب له . وكان الناس يحجون إلى مكة ، إلى موضع البيت ، حتى بوا الله تعالى مكانه لإبراهيم عليه السلام . فلم يزل منذ أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض معظما محزما تناسخه الأمم والملل أمة بعد أمة ، وملة بعد ملة . قال : وكانت الملائكة تحججه قبل آدم عليه السلام .

ذكر ما جاء من تخير إبراهيم عليه السلام موضع البيت

قال عثمان بن مساج : بلغنا (والله أعلم) أن إبراهيم خليل الله عليه السلام عرج به إلى السماء فنظر إلى الأرض ، مشارقها ومغاربها ، فاختر موضع الكعبة . فقالت له الملائكة : يا خليل الرحمن اخترت حرم الله في الأرض ، قال : فبناه من حجارة سبعة أجبل (ريقولون نعمة) . وكانت الملائكة تأتي بالحجارة إلى إبراهيم عليه السلام من تلك الجبال .

ذكر حج إبراهيم عليه السلام وإذنه بالحج

وحج الأنبياء بعده وطوافهم

- قال أبو الوليد عن محمد بن إسحاق : لما فرغ إبراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام ، جاءه جبريل عليه السلام فقال : طُفَّ به سبعا ، فطاف به سبعا ، هو وإسماعيل . يستلمان الأركان كلها في كل طواف ، فلما أكلا سبعا ، صليا خلف المقام ركعتين .
- ٥ . قال : فقام معه جبريل فأراه المناسك كلها : الصفا والمروة ومِنَى ومُزْدَلِجَة وعرفة . فلما دخل مِنَى وهبط من العقبة ، مثَّل له إبليس عند بَجْرَةِ العقبة ، فقال له جبريل : أرمه ، فرماه بسبع حصيات . فغاب عنه ، ثم برَّز له عند الجمرة الوسطى ، فقال له جبريل : أرمه ، فرماه إبراهيم بسبع حصيات ، فغاب عنه ، ثم برَّز له عند الجمرة السفلى ، فقال له جبريل : أرمه ، فرماه إبراهيم بسبع حصيات مثل حصي الخُذْف ، فغاب عنه إبليس ، ثم مضى إبراهيم في حجه وجبريل يوقفه على المواقف ويعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفة .
- ١٠ . فلما انتهى إليها ، قال له جبريل : أَعَرَفْتَ مناسِكَكَ ؟ قال : نعم ، قال : فسميت عرفات بذلك . قال : ثم أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذِّن في الناس بالحج ، فقال إبراهيم : يا رَبِّ وما يبلِّغُ صوتي ؟ قال الله جل ثناؤه : أذِّن ، وعلى البلاغ ، قال : فعلا إبراهيم على المقام فأشرف به حتى صار أرفع الجبال وأطولها فجُمِعَتْ له الأرض يومئذ : سهلها وجبلها ، وبرها وبحرها ، وإنسها وجنُّها حتى أسمعهم جميعا . فادخل لصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وبدأ يشق العين فقال :
- ”أيها الناس كُتِبَ عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فأجيئوا ربكم“ فأجابوه من تحت الصخور السبعة ، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلها .

(لَبَّيْكَ، اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ) . قال : وكانت الحجارة على ما هي اليوم، إلا أن الله عز وجل أراد أن يجعل المقام آية . فكان أثر قدميه في المقام آية إلى اليوم . قال : أفلا تراهم اليوم يقولون : (لبيك، اللهم لبيك) . فكل من حج إلى اليوم فهو من أجاب إبراهيم . وأثر قدمي إبراهيم في المقام آية . وذلك قوله تعالى : ﴿فِيهِ آيَاتٌ لِّمَن كَانَ لَهُ الْبَصَرُ﴾ . ومن دخله كان آمناً .

قال ابن إسحاق : وبلغني أن آدم عليه السلام كان استلم الأركان كلها قبل إبراهيم ، وجهه إسحاق وسارة من الشام . قال : وكان إبراهيم يصحبه كل سنة على البراق . قال : وَحُجَّتْ بِمَدَنَ ذَلِكَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ .

وعن مجاهد ، قال : حج إبراهيم وإسماعيل ، ماشيين .

وعن عبد الله بن ضمرة السلولي : ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيا ، جاءوا حجاجا فقبروا هناك .

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان النبي من الأنبياء إذا هلك أمته لحق بمكة فتعبد بها النبي ومن معه حتى يموت . فمات بها : نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب . وقبورهم بين زمزم والجحفر .

وعن مجاهد : حج موسى النبي عليه السلام على جبل أحر . فتر بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان متررتا بإحداهما ، مرتد بالآخرى . فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة . فبينما هو يلبي بين الصفا والمروة ، إذ سمع صوتا من السماء يقول : (لبيك عبدى ، أنا معك) قال : نحر موسى ساجدا .

وعن عُروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : بلغنى أن البيتَ وُضع لآدم يطوف به
 وبعد الله عنده ، وأن نوحا قد حُجَّه وجاءه وعظمه قبل الفرق . فلما أصاب البيتَ
 ما أصاب الأرض من الفرق فكان ربوة حراء معروفا مكانه ؛ فبعث الله هودا
 إلى عاد ، فتشاغل بأمر قومه حتى هلك ، ولم يحجَّه . ثم بعث الله تعالى صالحا إلى ثمود ،
 فتشاغل بهم حتى هلك ، ولم يحجَّه . ثم يؤاه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام حُجَّه وأعلم
 مناسكه ودعا إلى زيارته . ثم لم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم ، إلا حجه .

وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لقد سَلَكَ صَحَّ الرُّوحَاء سبعون
 نيا ، مُجَّاجًا عليهم لباسُ الصُّوف ، خُطِمِي إيلهم بحبال اللِّيف . ولقد صُلِّي في مسجد
 الخيف سبعون نيا .

١٠ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”لقد مرَّ بفتح الرُّوحَاء (أر لقد مرَّ
 بهذا الفَجِّ) سبعون نيا على نُوقٍ حُمُرٍ خُطِمَهَا اللِّيفُ ، لُبُّسُهُم العِباء وتلبيتهم شَتَّى .
 فمنهم يونس بن متى . فكان يونس يقول : (لَبَّيْكَ فِرَاحَ الكُرب ، لَبَّيْكَ) ؛ وكان موسى
 يقول : (لَبَّيْكَ ، أنا عبدُكَ لديكَ ، لَبَّيْكَ) قال : وتلبية عيسى : (لَبَّيْكَ ، أنا عبدُكَ ابن
 أُمِّتِكَ بنتِ عبدِكَ ، لَبَّيْكَ)“ .

١٥ وعن عطاء بن السائب أن إبراهيم رأى رجلا يطوف بالبيت فأنكره ، فسأله :
 من أنت؟ فقال : من أصحاب ذى القرنين ، قال : وأين هو؟ قال : هو بالأبطح .
 فتلقاه إبراهيم عليه السلام فاعتنقه ، فقال لذي القرنين : ألا تركب؟ قال : ما كنتُ
 لأركبَ ، وهذا يمتنى ، فحجَّ ماشيا .

ذكر ماجاء من مسئلة إبراهيم عليه السلام الأيمن والرزق لأهل مكة

والكتب التي وجد فيها تعظيم الحرم

قال أبو الوليد الأزرقي، يرفعه إلى محمد بن كعب القرظي أنه قال : دعا إبراهيم عليه السلام للمؤمنين، وترك الكفار لم يدع لهم بشيء، فقال الله تعالى : ((وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)) .

وقال عثمان بن ساج : وأخبرني محمد بن السائب الكلبي قال : قال إبراهيم عليه السلام ((رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) . فاستجاب الله عز وجل له فجعله بلدا آمنا وآمن فيه الخائف ورزق أهله من الثمرات، فحمل إليهم من الآفاق .

وقال مجاهد : جعل الله هذا البلد آمنا، لا يخاف فيه من دخله .

وقال سعيد بن السائب بن يسار: لما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة أن يرزق أهلها من الثمرات، نقل الله أرض الطائف من الشام فوضعها هناك : رزقا للحرم .
وروى عن محمد بن المنكدر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما وضع الله الحرم نقل له الطائف من الشام .

وعن الزهري أن الله نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف، لدعوة إبراهيم خليل الله : ((وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ)) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: جاء إبراهيم يطالع إسماعيل عليهما السلام فوجده غائبا، ووجد أمرأته الآخرة، وهى السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرمي . فوقف وسلم فردت عليه السلام وأستترته وعرضت عليه الطعام والشراب،

فقال : ما طعامكم وشرابكم ؟ قالت : اللحم والماء ، قال : هل من حبٍّ أو غيره من الطعام ؟ قالت : لا ، قال : بارك الله لكم في اللحم والماء .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو وجدَ عندها يومئذ حَبًّا لسا لهم بالبركة فيه ، فكانت تكون أرضا ذات زرع" .

وعن سعيد بن جبْرِ مثله ، وزاد به : "ولا يخلو أحدٌ على اللحم والماء في غير مكة إلا وِجِعَ بطنُه ، وإن خذَ عليهما بمكة لم يجدَ لذلك أذى" .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "وُجِدَ في المقام كتاب فيه "هذا بيت الله الحرام بمكة ، توكل الله برزق أهله من ثلاث سُبُل ، مباركٌ لأهله في اللحم واللبن"

ووجد في حجر في الحجر كتاب من خِلقة الحجر "أنا الله ذوبكة الحرام صُفَّتْها يوم صُفَّتَ الشمس والقمر وحَفَّتْها بسبعة أملاك حَفَاء لا تزول حتى يزول أخشابها مبارك لأهلها في اللحم والماء" .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما هدموا البيت وبنوا أساس إبراهيم عليه السلام وجدوا في حجر من الأساس كتاباً ، فدَعَوْا له رجلاً من أهل اليمن ، وآخر من الرُّمَّان ، فلذا يسه : "أنا الله ذوبكة حرمتها يوم خلقت السموات والأرض والشمس والقمر ويوم صُفَّتْ هذين الجبلين وحَفَّتْها بسبعة أملاك حَفَاء لا تزول حتى يزول أخشابها مبارك لأهلها في الماء واللبن" .

وعن مجاهد رضي الله عنه قال : وجد في بعض الزبور "أنا الله ذوبكة جعلتها بين هذين الجبلين وصفتها يوم صفت الشمس والقمر وحَفَّتْها بسبعة أملاك حَفَاء

وجعلت رزق أهلها من ثلاث سُبُل^(١) فليس يوتا أهل مكة إلا من ثلاثة طرق
أعلى الوادى وأسفله وكُدَى وباركت لأهلها في اللحم والماء.

ذكر أسماء الكعبة ومكة

- عن ابن أبي نجيح قال : إنما سُمِّيت "الكعبة" لأنها مُكَبَّةٌ على خِلْفَةِ الكَعْب .
 ٥ قال : وكان الناس يَنْتُون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة . فأقول من بنى بيتا مربعا
 حميد بن زهير، فقالت قريش : "رَبَّعَ حميدُ بْنُ زُهَيْرٍ بيتا، إما حِجَابَةً وإما مَوْتاً" .
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : إنما سُمِّيت "بِكة" لأنه يجتمع فيها
 الرجال والنساء جميعا . وقالوا : "بِكةُ" موضع البيت ، ومكة القرية .
 وقال ابن أبي أنيسة : "بِكةُ" موضع البيت ، ومكة هو الحرم كله .
 ١٠ وكان ابن جريح يقول : إنما سميت "بِكة" لَبَّاءُكَ الناس بأقدامهم فقام الكعبة .
 ويقال : إنما سميت "بِكة" لأنها تَبُكُ أعناق الجبابرة .
 وعن الزهري : أنه بلغه إنما سُمِّيَ "البيت العتيق" من أن الله تعالى أعتقه
 من الجبابرة .
 وعن مجاهد والسدي : إنما سُمِّيَ "البيت العتيق" الكعبة ، أعتقها الله من
 ١٥ الجبابرة ؛ فلا يَتَجَبَّرُونَ فيه إنا طافوا ، وكان البيت يدعى "قادما" ويدعى "بادرا"
 ويدعى "القرية القديمة" ويدعى "البيت العتيق" .
 وعن مجاهد قال : من أسمائها "مكة" و"بِكة" و"أُم رُحَم" و"أُم الْقُرَى"
 و"صَلَاح" و"مُكُوْثَى" و"الباسة" .

(١) في الأصل "بيوت" . وفي بعض النسخ كما في الصلب بدون نقط . وإمل الصواب يؤى .

وعن آبن أبي نجيح قال : بلغني أن أسماء مكة "مكة" ، و "بكة" ، و "أم رُحْم" ، و "أم القرى" : و "الباسمة" ، و "البيت العتيق" ، و "الحاطمة" : (نحيط من يستخف بها) ، و "الناسة" (تُسهم ، أى تخرجهم إخراجا إذا غَشَمُوا وظلموا) .

ذكر ما جاء في فضل الركن الأسود

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ليس في الأرض من الجنة إلا الرُّكن الأسود والمقام ، فإنهما جوهريان من جواهر الجنة ، ولولا ما مسَّهما من أهل الشرك ما مسَّهما ذو عاة إلا شفاه الله عز وجل .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال في الرُّكن الأسود :
لولا ما مسَّه من أنجاس الجاهلية وأرجاسهم ، ما مسَّه ذو عاة إلا برأ . وقال : نزل
الركن ، وإنه لأشدُّ بياضا من الفضة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها ، وهى تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن : "لولا ما طُبِع على هذا الحجر ، يا عائشة ، من أرجاس الجاهلية وأنجاسها ، إذنُ لأستشفى به من كل عاة ، وإذن لأئبى كهينته يوم أنزله الله ، وليعيدنه الله إلى ما خلقه أول مرة ، وإنه لياقوتة
بيضاء من يواقيت الجنة ، ولكن الله غيره بمصيبة العاصين ، وسير زينة عن الظلمة
والآثمة لأنهم لا يبنون لهم أن ينظروا إلى شيء كان بدؤه من الجنة" .

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله يبعث الركن الأسود ، وله عيان ينصر بهما ، ولسان ينطق به : يشهد لمن آستلمه بحق" .

وعنه رضى الله عنه : الركن يمين الله في الأرض : يصابيح بها عباده كما يصابح
أحدكم أخاه .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله
عنه إلى مكة . فلما دخلنا الطواف ، قام عند الحجر وقال : والله إنى لأعلم أنك حجر
لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ، ما قبلتك . ثم قبله
ومضى فى الطواف فقال له على رضى الله عنه : بل يا أمير المؤمنين هو بضرب وينفع ،
قال : وبم قلت ذلك ؟ قال : بكاتب الله ، قال : وأين ذلك من كتاب الله ؟ قال :
قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۚ ﴾ . فلما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره
وأخرج ذريته من صلبه فقرّرهم أنه الرب وهم العبيد ، ثم كتب ميثاقهم فى رق ، وكان
هذا الحجر له عيتان ولسان ، فقال له : أفتح فاك ، فالتصم ذلك الرق وجعله فى هذا
الموضع ، وقال : تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ، فقال عمر : أعوذ بالله أن
أعيش فى قوم لست فيهم ، يا أبا الحسن .

وعن عكرمة : أن الحجر الأسود يمين الله فى الأرض ، فمن لم يدرك بيعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمسح الركن فقد بايع الله ورسوله .

وعن مجاهد : يأتى الركن والمقام يوم القيامة ، كل واحد منهما مثل أبى قبيس :
يشهدان لمن وافاهما بالموافاة .

والله أعلم .

ذكر ما جاء في فضل أستلام الركن الأسود ، واليماني

عن عطاء بن السائب أن عبيد بن عمير قال لأبن عمر رضى الله عنهما : إني أراك تُزاحم على هذين الركنين ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 ” إن أستلامَهُمَا يَحُطُّ الْخَطَايَا حَطًّا “ .

وسئل رضى الله عنه ، فقيل له : إنا نراك تفعل خصالا أربعا لا يفعلها الناس :
 ٥ . نراك لا تستلم من الأركان إلا الحجر والركن اليماني ، ونراك لا تلبس من الثعال إلا السبئية ، ونراك تَضْفَرُ شعرك وقد يصبغ الناس بالحناء ، ونراك لا تُحْرَمُ حتى تستوى بك راحلتك وتَوَجَّهَ . فقال عبد الله : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

١٠ . وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يَدْعُ الركنَ الأسود والركن اليماني أن يستلمهما في كل طواف أتى عليهما . قال : كان لا يَدْعُهُمَا في كل طواف طاف بهما حتى يستلمهما ، لقد زاحم على الركن مرة في شدة الزحام حتى رُِعِفَ ، فخرج ففسل عنه ثم رجع . فعاد يزاحم فلم يصل إليه حتى رُِعِفَ الثانية ، فخرج ففسل عنه ثم رجع . فما تركه حتى أستلم .

١٥ . وعن نافع قال : لقد رأيت ابن عمر رضى الله عنهما ، زاحم على الركن اليماني حتى انبهر ففتح فجلس في ناحية الطواف حتى استراح ، ثم عاد فلم يدعه حتى أستلمه . قالوا : وليس هذا واجبا على الناس ، ولكنه كان يحب أن يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما جاء في فضل الطواف بالكعبة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ حَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً" .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِذَا نَزَحَ الْمَرْءُ يُرِيدُ الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ ، أَقْبَلَ يُرِيدُ الرَّحْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَهُ غَمْرَتُهُ . ثُمَّ لَا يَرْفَعُ قَدَمًا وَلَا يَضَعُ قَدَمًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ نَحْسِيَانَةَ حَسَنَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ نَحْسِيَانَةَ سَيِّئَةٍ (أَوْ قَالَ خَطِيئَةٍ) ، وَرُفِعَتْ لَهُ نَحْسِيَانَةُ دَرَجَةٍ . فَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ دُبُرَ الْمَقَامِ ، نَزَحَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ عِشْرِينَ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ مَلَكٌ عَلَى الرُّكْنِ فَقَالَ لَهُ : أَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ فِيمَا بَقِيَ فَقَدْ كُفِّيتَ مَا مَضَى ، وَشُقِّعَ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ" .

وعن حسان بن عطية : أن الله خلق لهذا البيت عشرين ومائة رحمة يُتْرَكُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَيَسْتَوُونَ مِنْهَا لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلصَّائِلِينَ ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ . قَالَ حَسَانُ : فَنَظَرْنَا فَإِذَا هِيَ كُلُّهَا لِلطَّائِفِينَ هُوَ يَطُوفُ وَيَصَلِّي وَيَنْظُرُ .

ذكر ما جاء في فضل زمزم

عن وهب بن منبه أنه قال في زمزم : والذي نفسي بيده ، إنها لفي كتاب الله مَضْنُونَةٌ ، وإِنِهَا لَمِى كِتَابُ اللَّهِ بَرَّةً ، وَإِنِهَا لَمِى كِتَابُ اللَّهِ شَرَابُ الْأَبْرَارِ ، وَإِنِهَا لَمِى كِتَابُ اللَّهِ طَعَامُ طَعْمٍ وَشِفَاءُ سُقْمٍ .

وعن ابن خنيم قال : قَدِمَ عَلَيْنَا وَهْبُ بْنُ مَنْبِهِ مَكَّةَ فَاسْتَكْبَى ، فِخْخَانَهُ نَعُوذُهُ ، فَإِذَا عَنْدهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمٍ . قَالَ : فَقُلْنَا لَهُ : لَوْ اسْتَمْدَبْتَ ، لَأَن هَذَا مَاءٌ فِيهِ غِلَظٌ ؟ قَالَ : مَا أُرِيدُ .

أن أشرب حتى أخرج منها غيره، والذي نفس وهب بيده، إنها لفي كتاب الله زمزم لا تُغَرَّف ولا تُدَم، وإنها لفي كتاب الله برة شراب الأبرار، وإنها لفي كتاب الله مَضْنونة، وإنها لفي كتاب الله طعامٌ من طَعْمٍ وشفاءٌ من سُقْمٍ، والذي نفس وهب بيده لا يعمد أحد إليها فيشرب منها حتى يتضلع إلا زعَتْ منه داءٌ أو أحدثت له شفاءً.

وعن كعب أنه قال لزمزم: إنا نجدها مَضْنونةً ضنَّ بها لكم، وإن أول من سقى ماءها إسماعيل عليه السلام، طعامٌ من طَعْمٍ، وشفاءٌ من سُقْمٍ.

وعن مجاهد قال: ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تريد به شفاءً شفاك الله. وإن شربته لظلم لرواك الله، وإن شربته بلُحُوعٍ أشبعك الله، وهي هزْمة جبريل عليه السلام بعبقه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٠ "التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق".

وعن الضحاك بن مزاحم أنه قال: بلغني أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق، وأن ماءها يذهب بالصداع، وأن التطلع فيها يجلو البصر، وأنه سبأى عليها زمان تكون أعذب من النسل والفرات. قال: قال لنا الخزازي: وقد رأينا ذلك

في سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ومائتين، وذلك أنه أصاب مكة أمطارٌ كثيرة ١٥ وسال وادها في سنة تسع وسبعين، وسنة ثمانين ومائتين، فكثر ماء زمزم وأرتفع حتى قارب رأسها، فلم يكن بينه وبين شفتيها العليا إلا سبع أذرع أو نحوها. وعُدَّت حتى كان ماؤها أعذب مياه مكة التي يشربها أهلها. وإنا رأيناها أعذب من مياه العيون.

وعن الضحاك بن مزاحم أيضا أن الله عز وجل يرفع المياه العذاب قبل يوم القيامة غير زمزم، وتغور المياه العذبة غير زمزم .

ذكر ما جاء من آتساع منى أيام الحج ولم سميت منى
§ عن أبي الطّفيل، قال : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يُسأل عن منى ،
ويقال له : عجباً لضيقه في غير أيام الحج ! فقال ابن عباس : إن منى يتسع بأهله
كما يتسع الرحم للولد .

§ وعن ابن عباس ، قال : إنما سميت منى منى لأن جبريل حين أراد أن يفارق
آدم ، قال له . تمنّ ، قال : أتمنّى الجنة ، فسميت منى لتمنى آدم .
وقيل : إنما سميت منى لِمَنَى^(١) الدماء بها .

ذكر ما جاء في فضائل مقبرة مكة

§ عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ” نِعَمَ
المَقْبَرَةُ هَذِهِ ! “ (لقبرة أهل مكة) .

وعن محمد بن عبد الله بن صيفي أنه قال : من قُبر في هذه المقبرة ، بُعث آمناً يوم
القيامة (بمعنى مقبرة مكة) .

ذكر شيء من خصائص مكة

§ من خصائصها أن الذئب فيها يروّع الظبي ويمارضه ويصيده . فإذا دخل الحرم ،
كَفَّ عنه .

(١) المنى هو إراقة الدماء .

§ ومنها أنه لا يسقط على الكعبة حمام إلا إن كان عليلاً ، وأن عادة الطير إذا حازت الكعبة أن تفرق فرقتين ولا تعلوها ، والله أعلم .

وأما المدينة المشرفة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

§ ففضائلها أوسع من أن أحصرها ، وأعظم من أن أسبها ، ناهيك بها من بلد اختاره الله تعالى لرسوله ، ونص على فضله في محكم تنزيله ، قال الله عز وجل : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ .

§ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئل : أى مسجد هو ؟ فقال : مسجدى هذا ، وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر رضى الله تعالى عنهم ، وبه أخذ مالك رحمه الله . وقال ابن عباس : هو مسجد قباء .

وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام " .

قال القاضي عياض رحمه الله : يختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة . فذهب مالك أن الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام ، فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف . واحتج مالك وأشبهُه وابن تيمية وجماعة أصحابه بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه " صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه " فتأني

فضيلة مسجد الرسول عليه بتسمائه وعلى غيره بألف . وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة ، وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين .

§ وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة . وهو قول عطاء وآبن وهب وآبن حبيب ، من أصحاب مالك . وحكاها الباجي عن الشافعي .

• § قال القاضي أبو الوليد الباجي : الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ، ولا يعلم منه حكمها مع المدينة .

§ قال القاضي عياض : ولا خلاف أن موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” ما بين بَيْتِي وَمِثْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ” . قالوا : هذا يحتل معنيين ، (أحدهما) ، أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل : ” الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ” . (والثاني) أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها . قاله الداودي .

§ وروى آبن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة : ” لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَاتِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ” .

§ وقال صلى الله عليه وسلم فيمن تمحل عن المدينة : ” وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ” . وقال : ” إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ : تَنْفَى خَبَثُهَا وَتَنْصَحُ طَبِيعُهَا ” .

§ وقال : ” لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْمَدِينَةِ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْذَلَهَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ ” .

§ وعنه صلى الله عليه وسلم : "مَنْ مات في أحد الحرمين حاجاً أو معتمراً، بعثه الله يوم القيامة لا حسابَ عليه ولا عَذَابَ". وفي طريق آخر : "بُعْثَ مِنَ الْأَمِينِينَ يومَ القيامة".

§ وعن ابن عمر رضى الله عنهما : "مَنْ استطاع أن يموتَ بالمدينة، فليمت بها فلأنى أشفعَ لمن يموتُ بها".

§ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طَلَعَ له أُحُدٌ فقال : "هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنا وَنُحِبُّه . اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ، وَأَنَا أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا".

§ وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، وَأَنْتَ لَنَا الْيَوْمَ الْيَوْمَ الْجَنَّةُ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدَّنَا" . ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة فقال : "اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَنْ فِي مَجَالِمْ ، وَبَارِكْ لِمَنْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدَّنِهِمْ" .
§ وقال صلى الله عليه وسلم : "مَنْ زَارَ قَبْرِي ، وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي" .

§ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ زَارَنِي فِي الْمَدِينَةِ مُحْتَسِباً ، كَانَ فِي جَوْارِي وَكَتَبْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .
§ وكان مالك رحمه الله لا يركب في المدينة دابةً ، ويقول : أَسْتَعِجِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُلْطَأَ ثَرَةً فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَافِرِ دَابَّةٍ .
وروى أنه وَهَبَ لِلشَّافِعِيِّ كُرَاعاً كَثِيراً ، فقال له الشَّافِعِيُّ : أَمْسِكْ مِنْهَا دَابَّةً .
فأجابه بمثل هذا الجواب .

§ ووحى للقاضي عياض في "كتاب الشفاء" قال : حُذِرَتْ أَنْ أَبَا الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيُّ لَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ زَائِراً وَقَرَّبَ مِنْهَا ، تَرَجَّلَ وَمَتَّى بِأَكْبَا مَفْشَدًا :

وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا * قُوَادِمًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا،
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَادِ نَحْنُ، كَرَامَةً * لَمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَجَاءً.

قال : وحكى بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنشأ يقول مثلاً :

رُفِعَ الْجِحَابُ لَنَا فَلَاحَ لَنَاظِرٍ ، قَرَّرُ تَقَطُّعَ دُونِهِ الْأَوْهَامُ .
وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَّا بِلُغَرٍ عَجْدًا ، فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ .
قَرَّبْنَا مِنْ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الثَّرَى ، فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ .

§ وأفتى مالك رحمه الله فيمن قال "تربة المدينة رديّة" بضرب ثلاثين ديرة ، وأمر بحبسه ؛ وكان له قدر . وقال : "ما أحوجّه إلى ضَرْبِ عُنُقِهِ ، تربةٌ دُفِنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يزعم أنها غير طيبة ! " .

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المدينة : "مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُجِدَّنًا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً " .

ذكر شيء من خصائص المدينة المشرفة وأسمائها

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

§ من خصائصها ، أن العِطْرَ والبُخُورَ يوجد لها فيها من الفُضُوعِ والرائحةِ الطيبةِ أضعافٌ ما يوجد في سائر البلاد ؛ ولها في قصبتها قنمة طيبة ورائحة عطرة ، وإن لم يكن فيها شيء من الطيب آتية . ولهذا سميت "طيبة" و"طابة" .

قال الشاعر :

مَاذَا عَلَى مَنْ سَمَّ ثُرْبَةَ أَحْمَدٍ * أَنْ لَا يَسْمُ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا؟

وهذا البيت ينسب لفاطمة الزهراء رضى الله عنها .

ومن أسمائها "طيبة" و"وطابة" و"يثرب" و"المدينة" و"الدار" .

- ٥ قال القاضي عياض رحمه الله : وَجَدِيرٌ بِمَوَاطِنِ عَمَرَتْ بِالوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ ، وَتَرَدَّدَ بِهَا جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَعَرَّجَتْ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ، وَنَجَّتْ عَرَصَاتِهَا بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَاشْتَمَلَتْ تَرْبُهَا عَلَى جَسَدِ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَأَنْتَشَرَ عَنْهَا مِنْ دِينِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مَا أَنْتَشَرَ ، مَدَارِسُ آيَاتِ ، وَمَسَاجِدُ جَمَاعَاتٍ وَصَلَوَاتِ ، وَمَشَاهِدُ الْفَضْلِ وَالْخَيْرَاتِ ، وَمَعَاهِدُ الْبَرَاهِينِ وَالْمُعْجَزَاتِ ، وَمَنَاسِكُ الدِّينِ ، وَمَشَاعِرُ الْمُسْلِمِينَ ؛
- ١٠ وَمَوَاقِفُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَمَتَبَوُّاءُ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ؛ حَيْثُ أَفْجَرَتْ النُّبُوَّةُ ، وَأَيْنَ فَاضَ عِبَادُهَا ، وَمَوَاطِنُ مَهْبِطِ الرِّسَالَةِ ، وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسْ جِلْدِ الْمُصْطَفَى تَرَابُهَا : أَنْ تُعْظَمَ عَرَصَاتُهَا ، وَتُنْصَبَ نَفْعَاتُهَا ، وَتُقْبَلَ رُبُوعُهَا وَجَدْرَاتُهَا .

وقال :

- يَا دَارَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ يَهْ * هُدَى الْأَنَامُ وَخُصَّ بِالْآيَاتِ ،
- ١٥ عِنْدِي لِأَجْلِكَ لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ * وَتَسْوُوقٌ مُتَوَقِّدُ الْجَمْعَاتِ ،
- وَعَلَى عَهْدٍ إِنْ مَلَأْتُ حُجَّارِي * مِنْ تِلْكَ الْجُدُرَاتِ وَالْعَرَصَاتِ ،
- لَأُعْقِرَنَّ مَصُونٌ شَقِيٌّ يَنْتَهَا * مِنْ كَثْرَةِ التَّقْيِيلِ وَالرَّشَقَاتِ ،
- لَوْلَا الْمَوَادِي وَالْأَعَادِي ، زُرْتُهَا * أَبَدًا وَلَوْ سَجَّأَ عَلَى الْوَجَنَاتِ ،
- لَكِنْ سَأُهْدَى مِنْ حَفِيلِ يَحْيَى * لِقَطِينِ تِلْكَ الدَّارِ وَالْحُجَرَاتِ .

(١١١)

أَذْكَأُ مِنَ الْمَيْسِكِ الْمَقْتَقُ نَفْعُهُ * تَنْشَأُ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرَاتِ .
وَمُخَصَّصُهُ بِزَوَاكِرِ الصَّلَاةِ * وَنَوَاجِيِ التَّسْلِيمِ وَالْبَرَكَاتِ .

وأما البيت المقدس ، والمسجد الأقصى

فَالْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ أَحَدُ الْقِبْلَتَيْنِ ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ثَالِثُ الْحَرَمَيْنِ . إِلَيْهِ تُسَدُّ
الرِّجَالُ ، وَيَكْثُرُ النُّزُولُ وَالْأَرْتِحَالُ ؛ وَفِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ تُحْمَرُ الْخَلَائِقُ لِيَوْمِ الْعَرْضِ ،
وَيَسْطُ اللَّهُ تَعَالَى الصَّخْرَةَ الشَّرِيفَةَ حَتَّى تَكُونَ كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ وَتَجْتَمِعُ النَّاسُ
هَنَّاكَ لِفَصْلِ الْحِسَابِ ، وَيُضْرَبُ بَيْنَهُمْ بِسُورِلِهِ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ
مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ .

ولنبداً بذكر الأرض المقدسة

§ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَزَّيَا قَوْمٌ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ
الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ، قَالَ الزَّجَّاجُ : وَالْمُقَدَّسَةُ الْمُطَهَّرَةُ .
وَقِيلَ لِلسُّطَلِّ «الْقُدْسُ» لِأَنَّهُ يَتَطَهَّرُ مِنْهُ . وَسُمِّيَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ لِأَنَّهُ يَتَطَهَّرُ فِيهِ
مِنَ الذَّنُوبِ . وَقِيلَ : سَمَّاها مُقَدَّسَةً لِأَنَّهَا طُهِرَتْ مِنَ الشَّرِكِ وَجَعَلَتْ مَسْكَنًا
لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ .

§ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ مَا هِيَ ؟

فَذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى أَنَّهَا أَرِيحَا .
وَقَالَ السُّدِّيُّ : أَرِيحَا هِيَ أَرْضُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . وَقَالَ بَجَاهِدٍ : هِيَ الطُّورُ وَمَا حَوْلَهُ .
وَقَالَ الضَّحَّاكُ : هِيَ إِيلِيَاءُ وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : دِمَشْقُ وَفِلَسْطِينَ وَبَعْضُ
الْأُرْدُنِّ . وَقَالَ قَتَادَةُ : هِيَ الشَّامُ كُلُّهَا .

وقال عبد الله بن عمر : والحرم محرمٌ مقداره من السماوات والأرض ، وبيت المقدس مقدسٌ مقداره من السماوات والأرض .

§ وقال ابن قتيبة . وقرأت في مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة ، ومن الطير الحمامة ، ومن البُيوت مكة وإيلياء ، ومن إيلياء بيت المقدس .

§ وقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ .

والمسجد الأقصى بيت المقدس : سُمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ، وقيل : لبعده المسافة بين المسجدين . وقوله عز وجل "الذي باركنا حوله" قيل : بالماء والأنهار والأشجار والثمار . وقال مجاهد : سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ، وفيه ١٠ مهبط الملائكة والوحى ، وهو الصخرة ، ومنه يُحشَر الناس يوم القيامة .

§ وقال تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ .

قال الثعلبي في تفسيره : قال كعب الأبحار وقادة وابن زيد وعبد الرحمن بن غم : « التين مسجِدُ دمشق ، والزيتون بيت المقدس » . وقال الضحك : « هما مسجداً بالشام » . وقال محمد بن كعب : « التين مسجِدُ أصحاب الكهف ، والزيتون ١٥ مسجِدُ إيلياء » . وعجازه على هذا التأويل : منابت التين والزيتون .

وروى عطية عن ابن عباس : « التين مسجِدُ نوح عليه السلام الذي بنى على الجودي ، والزيتون بيت المقدس » .

وروى نهشل عن الضمحاك : "التين المسجد الحرام ، والزيتون المسجد الأقصى"

قال : "وطور سينين ، يعني جبل موسى عليه السلام" .

قال عكرمة : "السينين الحسن بلغة الحبشة" . وعنه : كل جبل يُنبت فهو سينين .

وقال مجاهد : "الطور الجبل ، وسينين المبارك" .

وقال قتادة : "المبارك الحسن" .

وقال مقاتل : "كل جبل فيه شجر فهو سينين ، وسيناء وهو بلغة النبط" .

وقال الكلبي : "يعني الجبل المشجر" .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : "أربعة أجيال مقدسة بين يدي الله تعالى :

طور تينا ، وطور زينا ، وطور سيننا ، وطور تيمانا .

فأما طور تينا : فممشق .

وأما طور زينا : فبنت المقدس .

وأما طور سيننا : فهو الذي كان عليه موسى عليه السلام .

وأما طور تيمانا : فمكة .

والبلد الأمين مكة بلا خلاف" .

ومسجد بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي لا تشك الرحال إلا إليها ، تقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها ورد في الصحيح : "لَأَسْنَدَ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ

مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى" .

وفي الصحيح أيضا "أن موسى عليه السلام ، لما حضرته الوفاة سأل الله تعالى

أن يذنيه من الأرض المقدسة رميةً بحجر" .

وكانت عمارة مسجد البيت المقدس بأمر الله عز وجل لبنه داود عليه السلام أن يعمره ثم لم يقدر له عمارته وقدر الله تعالى ذلك على يدي سليمان بن داود عليهما السلام ، فهو الذي عمره . وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى مبينا في الفن الخامس في التاريخ .

- § وقد وردت آثار وأحاديث في فضل بيت المقدس ، وفضل زيارته ، وثواب الصلاة فيه ، ومضاعفة الحسنات والسيئات فيه ، وفضل السكنى فيه ، والإقامة به ، والوفاة فيه ، وما به من قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومحراب داود ، وعين سلوان ، وما ورد في أن الحشر منه ، وما ورد في فضل الصخرة والصلاة إلى جانبها ، وما ورد من أن الله عز وجل عرج بنبيه من بيت المقدس إلى السماء ، وثواب الإهلال من بيت المقدس ، وما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة . ١٠

وسنذكر من ذلك طرفا تنقف عليه إن شاء الله تعالى ونحذف أسانيد الأحاديث الواردة فيه رغبة في الاختصار فنقول : وبالله التوفيق :

أما فضل بيت المقدس

- § فقد ورد عن الزهري أنه قال : لم يبعث الله عز وجل نبيا ، إلا جعل قبلته حاضرة بيت المقدس . وقد صلى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته سبعة عشر شهرا ، كما روى في الصحيحين ، حتى أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ . ١٥

وتحويل القبلة أوّل ما تُسخ من أمور الشرع . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلّون بمكة إلى الكعبة . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أمره الله تعالى أن يصلّي نحو صحرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من تعيينه في التوراة .

هذا قول عاقل المفسرين ، على ما حكاه الثعلبي عنهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (فَأَيَّمَا لَوُلُوكُمْ مِّنْ وَجْهِ اللَّهِ) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَؤُلَاءِ يَهُودٌ يَسْتَقْبِلُونَ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ » . فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا جميعا : فصل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا ، وكانت الأنصار قد صلّت قبّل بيت المقدس ستين يوما ، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت الكعبة أحب القبليتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وآختلفوا في السبب الذي كان عليه الصلاة والسلام من أجله يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة .

فقال ابن عباس رضي الله عنهما : لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليهما السلام .

وقال مجاهد : من أجل أن اليهود قالوا : يخالفنا عهد في ديننا ، ويقع قبلتنا !

وقال مقاتل بن حيان : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلّي نحو بيت المقدس ، قالت اليهود : يزعم عهد أنه نبي ، وما ن زاد أحدث في نبوته شيئا ! أليس يصلّي إلى قبلتنا ويستسنّ بسنتنا ؟ فإن كانت هذه نبوة . فنحن أقدم وأوفر نصيبا .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشق عليه وزاده شوقاً إلى الكعبة .
 وقال ابن زيد : لما استقبل النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ، بلغه
 أن اليهود تقول : والله ما درى عهد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ، قالوا جميعا :
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : وِدِدْتُ أَنْ اللَّهُ صَرَفَنِي عَنْ قِبَلَةِ الْيَهُودِ
 إِلَى غَيْرِهَا ، فَإِنِّي أَفِيضُهُمْ وَأَبْيَضُ مَوَاقِفَهُمْ ، فقال جبريل : إِنْما أَنَا عَبْدٌ مِثْلُكَ ، لَيْسَ
 لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، فَسَلَّ رُفْكَ ، فخرج جبريل . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يديم النظر إلى السماء وجاء أن يَنْزَلَ جبريل بما يُحِبُّ مِنْ أَمْرِ الْقِبْلَةِ . فأنزل الله
 عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ الْآيَةَ .

فلما صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالَ مُشْرِكُو مَكَّةَ : قَدْ تَرَدَّدَ عَلَى عَهْدِ أَمْرِهِ ، وَأَشْتَاقَ
 إِلَى مَوْلَدِهِ وَمَوْلَدِ آبَائِهِ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ قِبْلَتِهِمْ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى دِينِكُمْ عَاجِلًا ، وَتَكَلَّمَ
 الْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ فِي تَحْوِيلِهَا . فأنزل الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ
 مَا وَلَانَهُمْ عَنِ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝

وروى عن كعب أنه قال : إن الله عز وجل ينظر إلى بيت المقدس كل
 يوم مرتين .

١٥

وأما فضل زيارته، وفضل الصلاة فيه

فقد روى عن مكحول أنه قال : مَنْ زَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ شَوْقًا إِلَيْهِ ، وَدَخَلَ الْحَنَةَ
 وَزَارَهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْحَنَةِ وَغَطَّوْهُ بِمَنْزِلَتِهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَيَّامًا رُقَّةً خَرَجُوا يَرِيدُونَ
 بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، شِعْمَهُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ وَيَصَلُّونَ عَلَيْهِمْ ،

ولهم مثل أعمالهم إذا انتهوا إلى بيت المقدس، ولهم بكل يوم يقيمون فيه صلاة سبعين ملكاً؛ ومن دخل بيت المقدس طاهراً من الكبائر، تلقاه الله بمائة رحمة، ما منها رحمة إلا ولو قسمت على جميع الخلائق لوسعتهم؛ ومن صلى في بيت المقدس ركعتين يقرأ فيهما بـ"فاتحة الكتاب" و"قل هو الله أحد" خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكان له بكل شعرة على جسده حسنة؛ ومن صلى في بيت المقدس أربع ركعات، مر على الصراط كالبرق وأعطى أماناً من الفزع الأكبر يوم القيامة؛ ومن صلى في بيت المقدس ست ركعات، أُعطى مائة دعوة مستجابة، أدناها براءة من النار، ووجب له الجنة؛ ومن صلى في بيت المقدس ثمان ركعات، كان رفيق إبراهيم خليل الرحمن؛ ومن صلى في بيت المقدس عشر ركعات، كان رفيق داود وسليمان في الجنة؛ ومن استغفر للمؤمنين والمؤمنات في بيت المقدس ثلاث مرات، كان له مثل حسناتهم، ودخل على كل مؤمن ومؤمنة من دعائه سبعون مغفرة، وغُفر له ذنوبه كلها.

§ وروى عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى ببيت المقدس خمس صلوات نافلة، كل صلاة أربع ركعات يقرأ في الخمس صلوات عشرة آلاف مرة (قل هو الله أحد)، فقد اشترى نفسه من الله عز وجل؛ ليس للنار عليه سلطان".

وعنه أيضاً، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلاة الرجل في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبائل بست وعشرين، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة".

وعن مكحول أن ميمونة رضى الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس قال : "نِعِمَّ الْمَسْكَنُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ ! وَمَنْ صَلَّى فِيهِ صَلَاةً بِالْفِ صَلَاةٍ فِيَا سِوَاهُ . قَالَتْ : فَمَنْ لَمْ يُطِقْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : يُهْدَى لَهُ زَيْتًا"^(١)

§ وعن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لَا يَسْمَعُ أَهْلُ السَّمَاءِ مِنْ كَلَامِ بَنِي آدَمَ شَيْئًا غَيْرَ أَذَانِ مُؤَذِّنٍ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

وأما ما ورد

في بيت المقدس من مضاعفة الحسنات والسيئات فيه فقد روى عن نافع ، قال : قال ابن عمر رضى الله عنهما ، ونحن في بيت المقدس : يا نافع ، أخرج بنا من هذا البيت ، فإن السيئات تُضاعف فيه كما تُضاعف الحسنات . وقال جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو : الحسنة في بيت المقدس بالف ، والسيئة بالف .

وأما فضل السكنى فيه والإقامة والوفاء به

§ فقد روى عن ذى الأصابع أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايت يا رسول الله إن آتينا بالبقاء بعدك ، فأين تأمرنا ؟ قال : "عليك بيت المقدس ، لعل الله يرزقك ذرية تفعلوا إليه وتروحو" .

(١) يظهر أن بعض الكلمات قد سقطت في هذا الموضع . وذلك رأيت إيراد الحديث بلفظ آخر عن ابن القتيبة الحمذاني في كتابه "مختصر كتاب البلدان" المطبوع في لندن سنة ١٣٠٢هـ (سنة ١٨٨٥م) وهذا نصه : "قالت ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايت عن بيت المقدس ، قال : نعم المصل هو أرض المحشر وأرض المنشر ، إيتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كالف صلاة . قلت بأبي وأمي أنت من لم يطق أن يأتيه . قال فليد له زيتا يسرح فيه ، فإنه من أهدى إليه ، كان كن صلى فيه" .

§ وعن أبي أمامة الباهلي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكثاف بيت المقدس.

§ وعن عطاء، قال: لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خيار عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدسة، فيسيكهم إياها.

§ وعن كعب، قال: قال الله عز وجل لبيت المقدس: أنت جنتي وقُدسي وصفوقي من بلادى، من سلك فبرحة منى، ومن نرج منك فبسخط منى عليه.

§ وعن وهب بن منبه، قال: أهل بيت المقدس جيران الله، وحق على الله عز وجل أن لا يعذب جيرانه؛ ومن دُفن في بيت المقدس نجا من فتنة القبر وضيقه.

§ وعن كعب، قال: اليوم في بيت المقدس كآلف يوم، والشهر فيه كآلف شهر، والسنة فيه كآلف سنة؛ ومن مات فيه فكأنما مات في السماء، ومن مات حوله فكأنما مات فيه.

وعن خالد بن معدان قال: سمعت كعباً يقول: مقبور بيت المقدس لا يعذب.

وأما ما به من قبور الأنبياء ومحراب داود وعين سلوان

§ ففي الأرض المقدسة قبر إبراهيم الخليل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عليهم السلام.

§ وفي الصحيح أن موسى عليه السلام لما حضرته الوفاة سأل الله عز وجل أن يذنيه من الأرض المقدسة، رمية بحجر.

§ وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن بشر بن بكر عن أم عبد الله عن ابنها أنه قال : من أتى بيت المقدس ، فليات محراب داود ، فليصل فيه ، ويسبح في عين سلوان فإنها من الجنة .

§ وبسند إلى سعيد بن عبد العزيز ، قال : كان في زمان بني إسرائيل في بيت المقدس عند عين سلوان عين . وكانت المرأة إذا قذفت ، أتوا بها فشربت منها . فإن كانت بريئة لم تضرها ، وإن كانت نطفة ماتت . فلما حملت مريم حملوها ، فشربت منها فلم تزد إلا خيرا . فدعت الله أن لا يفضح بها امرأة مؤمنة . ففارت العين .

وأما ما ورد

في أن الحشر من البيت المقدس

§ فقد روى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله "أخبرني عن بيت المقدس . قال : أرض المحشر والمنشر . أتوه فصلوا فيه وليأتين على بيت المقدس (١) ! ولبسطة قوس أو مسحة قوس في بيت المقدس أو من حيث يرى بيت المقدس غير من كذا وكذا" .

§ وعن كعب قال : الرض والحساب من بيت المقدس .

- (١) يباح في الأصل بمقدار كلمة . وقد روى ابن فضال الله العمري في "مسالك الأبصار" الطبع بدار الكتب المصرية (ج ١ ص ١٣٦) حديثا يقرب أحقاظه جدا من هذا الحديث ان لم يكن حديثا واحدا . فلا يدل تلكه القصص الموجود في نسخ التورى في هذا الموضع فورد ما رواه ابن فضال الله وهو : وعن أبي ذر قال : قيل يا رسول الله صلاة في البيت المقدس أفضل ، أم صلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه . ولتم المصل هو أرض المحشر والمنشر ! وليأتين على الناس زمان ، ولبسطة قوس من حيث يرى بيت المقدس ، أفضل وخير من الدنيا جميعا .

§ وعن قتادة في قوله تعالى (يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) قال: من محبرة بيت المقدس .

§ وعن يزيد بن جابر "يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ" قال : يقف إسرائيل على محبرة بيت المقدس فينفخ في الصور فيقول : أيتها المظالم النخرة ، والجلود المتمزقة ، والأشعار المتقطعة ، إن الله تعالى أمرني أن تجتمعى للحساب .

§ وقال المفسرون في قوله تعالى (وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) هو أن إسرائيل يقف على محبرة بيت المقدس فينادي : "يا أيها الناس ، هاكموا إلى الحساب ، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفضل القضاء ، وهذه هي النسخة الأخيرة ."
والمكان القريب محبرة بيت المقدس .

§ قال كعب ومقاتل : هي أقرب إلى السماء بخاتمة عشر ميلا . وقال ابن السائب : باثني عشر ميلا .

§ وعن ابن عمر رضى الله عنهما في قوله تعالى (فَضْرِبْ بَيْنَهُمُ بُرُوزًا لَبَّابًا بِأُطْنَهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) قال : هو حائط بيت المقدس الشرقى الذى من وراءه وإذ يقال له وادى جهنم ، ومن دونه باب يقال له باب الرحمة .

وأما ما ورد

في فضل الصخرة ، والصلاة إلى جانبها

§ فقد روى عن أنس بن مالك ، قال : إن الجنة تفتح شوقا إلى بيت المقدس ، وإن بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي سرّة الأرض^(١) .

§ وعن أبي إدريس الخولاني : قال : يحول الله حخرة بيت المقدس مَرَجَانَهُ بِيضَاءَ كمرض السماء والأرض ، ثم يَنْصَبُ عليها عرشه ، ثم يَقْضِي بين عباده : يصيرون منها إلى الجنة وإلى النار .

§ وعن أبي العالية في قوله تعالى ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ قال : من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل حخرة بيت المقدس .

§ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : "الْأَنْهَارُ كُلُّهَا وَالسَّحَابُ وَالْبَحَارُ وَالرِّيَّاحُ مِنْ تَحْتِ حَخْرَةٍ بَيْتِ الْمَقْدِسِ" .

§ وقال ابن عباس رضي الله عنهما : حخرة بيت المقدس من صخور الجنة .

§ قال الزجاج : يقال إنها في وَسَطِ الْأَرْضِ .

§ وعن كعب قال : مَنْ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَصَلَّى عَنْ يَمِينِ الصَّخْرَةِ وَشِمَالِهَا ، وَدَعَا عِنْدَ مَوْضِعِ السَّلْسِلَةِ ، وَتَصَلَّى بِمَا قُلَّ أَوْ كَثُرَ ، أَسْتَجِيبَ دَعَاؤُهُ ، وَكُشِفَ اللَّهُ حُزْنَهُ ، وَخَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَإِنْ سَأَلَ اللَّهُ الزِّيَادَةَ أَعْطَاهُ إِيَّاهَا .

وأما ما ورد

في أن الله عز وجل عرج من بيت المقدس إلى السماء

١٥ فقد روى الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد الواسطي الخطيب رحمه الله بسنده إلى مسودة بن عطاء الحضرمي ، قال : نَجِدُ فِي الْكُتَابِ مَكْتُوبًا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أُنْزِلَ خَلَقَ الْأَرْضَ وَشَاءَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ، أَسْتَشْرِفُ لِنَاكِ الْجِبَالِ أَيُّهَا يَكُونُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ؟ وَخَشَعَتْ حَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَوَاضِعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ وَجَعَلَ الْمِرَاجَ عَنْهَا . وَكَانَ عَلَيْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ

يكون . قال : فقد الجبار يديه حتى كانتا حيث يشاء أن تكونا ، ثم قال : « هذه جنتي غرباً ، وهذه ناري شرقاً ، وهذا موضع ميزاني طَرْفَ الجبل ، وأنا الله دَيَّانُ يوم الدين » وكان معراجهُ إلى السماء عن الصخرة .

وروى أيضاً بسنده إلى هاني بن عبد الرحمن ، وردَّج بن عطية عن إبراهيم ابن أبي عبلة أحسنه كذا قال : وسئل عبادة بن الصامت ورافع بن خديج وكانا عَقِيَيْنِ بدرين ، فقيل لهما : أرايتما ما يقول الناس في هذه الصخرة أحقاً هو فناخذ به ، أم هو شيء أصله من أهل الكتاب فندعُهم ؟ فقال كلاهما : سبحان الله ! ومن يشكُّ (١١٨) في أمرها ، إن الله عز وجل لما استوى إلى السماء ، قال لصخرة بيت المقدس : « هذا مقامى وموضع عرشي يوم القيامة ، ومحشُرُ عبادي ، وهذا موضع ناري عن يسارها وفيه أنصبُ ميزاني أمامها ، وأنا الله دَيَّانُ يوم الدين » ثم استوى إلى طليين .

وروى أيضاً بسنده عن كعب ، قال : إن في التوراة أنه يقول لصخرة بيت المقدس « أنت عرشي الأدنى ومنك أرضعتُ إلى السماء ، ومن تحتك بسطتُ الأرض وكلُّ ما يسيل من ذروة الجبال من تحتك ، من مات فيك فكأنما مات في السماء ، ومن مات حولك فكأنما مات فيك ، لا تنقضي الأيام والليالي حتى أرسل عليك نارا من السماء فتاكل آثاراً كُفَّ بنى آدم وأقدامهم منك ، وأُرْسِلَ عليك ماء من تحت العرش فاغسلك حتى أتراك كالمرآة ، وأضربَ عليك سُورا من غمام غَلَطُهُ أشأ عشر ميلا ، وسيابجا من ناري وأجعل عليك قَبَّةَ جَبَلَتِها بيدي ، وأنزل فيك روجي وملائكتي يُسَبِّحُونَ لي فيك ، لا يدخلك أحد من ولد آدم إلى يوم القيامة ، فمن برَّ ضوء تلك القبة من بعيد ، يقول : طوبى لوجه يَخِرُّ فيك لله ساجدا ، وأضرب عليك حانطا من نار ،

وساياجاً من النّام، ونحسة حيطان من ياقوت ودرّ وزبرجد؛ أنت البدر، وإليك المحشر، ومثك المنشر» .

وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن الجوزي رحمه الله في ذلك حديثين، ثم تكلم عليهما وضعف رواتهما .

- أما أحدهما، فقال : أخبرنا المبارك بن أحمد، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد، قال : أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن عمر النّصبي، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن صالح بن عمر المقرئ، قال : حدثنا عيسى بن عبيد الله، قال : حدثنا عليّ ابن جعفر الرازي، قال : حدثنا العباس بن أحمد بن عبد الله، قال : حدثنا عبد الله ابن عمر المقدسي، قال : حدثنا بكر بن زياد الباهلي، عن عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لما أُسرى بي إلى بيت المقدس مرّ بي جبريل عليه السلام إلى قبر إبراهيم، فقال : أنزل، فصلّ هاهنا ركعتين، هاهنا قبر أبيك إبراهيم، ثم مرّ بي ببیت لحم، فقال : أنزل، صلّ هاهنا ركعتين، فإن هاهنا وُلِدَ أخوك عيسى، ثم أتى بي إلى الصخرة فقال : من هاهنا عرج ربك إلى السماء" .
- ١٥

قال الحافظ أبو حاتم بن حبان : هذا حديث لا يشك عوامُ أصحاب الحديث أنه موضوع . وكان بكر بن زياد يضع الحديث على الثقات .

وأما الحديث الثاني، فرواه بسند إلى إبراهيم بن أعين عن رديج بن عضمه بن النعمان، عن عبد الله بن بسر الحمصي، عن كعب الأحبار، قال : يقول الله عز وجل

لبيت المقدس : أنت عرشي الذي منك أرتفعت إلى السماء ، ومنك بسطت الأرض ،
ومن تحتك جعلت كل ماء عذب يطلع في ربوس الجبال .
قال أبو حاتم الرازي : إبراهيم بن أعين منكر الحديث .
هذا ما ورد في هذا الفصل وقد نهينا على ما فيه من المآخذ والله أعلم .

وأما ثواب الإهلال من بيت المقدس

فقد روى عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضى عنها أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : "مَنْ أَهَلَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ" .
قال سالم : وأهلَّ ابن عمر رضى الله عنهما من بيت المقدس بعُمره .
وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
"مَنْ أَحْرَمَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَدِمَ مَكَّةَ مَغْفُورًا لَهُ" .

وأما ما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة

فقد روى عن كعب الأحبار قال : لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام
بيت المقدس ، فينقادان جميعا إلى الجنة وفيهما أهلوهما .
وروى عن خالد بن معدان قال : يحشر الله الكعبة إلى الصخرة زفا إليها زفا ، متعلقين
بجميع من حج إليهما ، تقول الصخرة مرحبا : بالزائرة والمزور إليها .
هذا ما أتفق إيراد في فضائل البيت المقدس ، وسنذكر إن شاء الله تعالى من
أخباره طرفا آخر وهو في الباب الثاني ، من القسم الثالث ، من الفن الخامس في التاريخ
عند ذكرنا لأخبار سليمان بن داود عليهما السلام . فنذكر خلاف ذلك .

وأما اليمن وما يختص به

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **”الإيمانُ يمانٌ، والحكمةُ يمانيةٌ“** .

وقال الجاحظ : من خصائص اليمن السيوف، والبرود، والقرد .

ويقال : ان السيف متى قُلِعَ بالهند وطبع باليمن، فتأهيك به !

وقال الأصمعي : أربعة ملائ الدنيا ولا تكون إلا باليمن، وهي الودس، والكندر، والخضض، والعقيق .

وأما الشام وما يختص به

فن ذلك أن الشام موطن الأنبياء عليهم السلام، ومعدن الزهاد والعباد .

وحكى أن الأبدال السبعين بأرض الشام، يجبل لكأم وجبل لبنان .

ومن خصائص الشام :

مسجد دمشق

الذي ما عُمر على وجه الأرض مثله . وكانت عمارته في سنة ست وثمانين، عمره الوليد بن عبد الملك . ووقع الحريق فيه في سنة إحدى وستين وأربعمائة، فذُثرت عاصته وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة .

وعن قتادة، قال : أقسم الله تعالى بمساجد أربعة، قال : **”والثلاث“** وهو مسجد دمشق، **”والزيتون“** وهو بيت المقدس، **”وطور سين“** وهو حيث كلم الله موسى، **”وهذا البلد الأمين“** وهو مكة .

وقال محمد بن شعيب : سمعتُ غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التينَ مسجدُ دمشق، وأنهم قد أدركوا فيه شجرا من تينٍ قبل أن يَبْنِيَه الوليد .

وعن هشام بن عبد الملك قال : لما أَمَرَ الوليد ببناء مسجد دمشق ، وجدوا في الحائط القبلِيّ من المسجد لَوْحاً فيه نقش فأتوا به الوليد، فبعث إلى الروم والعبرانيين وغيرهم ، فلم يستخرجوه . فدلَّ على وهب بن منبّه فبعث إليه ، فلما قدم أخبره بموضع ذلك اللوح فإذا الحائط الذي وجد فيه بناء هودٍ عليه السلام .

وعن زيد بن واقد قال : وكُنِّي الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ، فوجدنا فيه مَعَارَةً فَعَرَفْنَا الوليدَ ذلك . فلما كان الليل وافي ، وبين يديه الشَّمْع ، فزَلْ فإذا هي كنيسة لطيفة : ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صُنْدُوقٌ ، فُتِّحَ فإذا فيه سَقَطٌ ، وفي السَّقَطِ رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ، مكتوب عليه : ” هذا رأس يحيى بن زكريا “ ، فأمر الوليد ، فَرُدَّ إلى مكانه ، وقال : أجعلوا العمود الذي فوقه مقيراً من الأعمدة ، ففعلوا عليه عموداً مُسَقَّطَ الرأس . وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغير .

وقال أبو زرعة : مسجد دمشق خَطَّه أبو عبيدة بن الجراح ، وكذلك مسجد جِصَص . وقيل : لما قدم المهدي يريد بيت المقدس ، دخل مسجد دمشق ومعه أبو عبد الله الأشعري كاتبه ، فقال : يا أبا عبد الله سبقنا بنو أمية بثلاث ، قال : وما هنَّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : بهذا البيت (بني المسجد) لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبئيل الموالى فإن لهم موالٍ ليس لنا مثلهم ، وبِعَمْرٍ بن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً ! ثم أتى بيت المقدس فدخل الصخرة ، فقال : يا أبا عبد الله وهذه رابعة .

وحكى عمرو بن مہاجر الأنصارى قال : حَسَبُوا مَا أَتَفَقَّ عَلَى الْكَرْمَةِ الَّتِي فِي قِبْلَةِ
مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، فَإِذَا هُوَ سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وقال أبو قصى : أَتَفَقَّ فِي عِمَارَةِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ أَرْبَعًا مِائَةَ صُنْدُوقَ ، كُلُّ صُنْدُوقَ
أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وقال بعض شعراء المُحَدِّثِينَ فِي وَصْفِهِ :

دِمَشْقُ قَدْ شَاعَ ذِكْرُ جَامِعِهَا * وَمَا حَوَّثَهُ رَبِّي مَرَامِيعِهَا .
بَدِيعَةُ الْمَدِينِ فِي الْكَالِ لِمَا * يُدْرِكُهُ الطَّرْفُ مِنْ بَدَائِعِهَا .
طَيِّبَةُ أَرْضِهَا مَبَارَكَةٌ * بِأَيْمُنٍ وَالسَّعْدُ أَخَذُ طَالِعِهَا .
جَامِعُهَا جَامِعُ الْحَامِسِينَ قَدْ * فَاقَتْ بِهِ الْمَدِينُ فِي جَوَامِعِهَا .
ذُكِرَ فِي قَضَائِهِ وَرَفْعَتِهِ * أَخْبَارُ صِدْقِ رَافَتِ لِسَامِعِهَا .
قَدْ كَانَ قَبْلَ الْحَرِيقِ مَدْمَشَّةً * فَفَسَدَتْ نَارُ بِلَاقِعِهَا .
فَانْهَبَتْ بِالْحَرِيقِ بَهْجَتَهُ * فَلَيْسَ يُرْجَى إِيَابُ رَاجِعِهَا .
إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي الْقُصُوصِ وَمَا * فِيهَا ، تَيَقَّنْتَ حَقِّقَ وَاضِعِهَا .
أَشْجَارُهَا لَا تَرَالُ مَشْرَّةً * لَا تَرْهَبُ الرِّيحَ فِي مَدَائِعِهَا .
كَأَنَّهَا مِنْ زُرْمُودٍ غُرْمَتْ * فِي أَرْضِ تَيْرٍ يُشَى بِفَاقِعِهَا .
فِيهَا عِمَارٌ تَحَالُفًا يَنْتَمَتْ * وَلَيْسَ يُحْشَى فُسَادُ يَانِعِهَا .
تُقَطَّفُ بِاللِّحْظِ لَا بِمَارِحَةِ الْأَيْدِي وَلَا يُجْتَنَى لِبَائِعِهَا .
وَتَحْتَمِلُ مِنْ رُخَامِهِ قِطْعٌ * لَا قَطَعَ اللَّهُ كَفَّ قَاطِعِهَا .
أَحْكَمَ تَرْخِيمَهَا الْمَرْخَمُ قَدْ * بَانَ عَلَيْهَا إِحْكَامُ صَانِعِهَا .

وإن تفكرت في فناطيره * وسقفه ، بأن خلق رافعها .
 وإن تبيّنت حسن قبّته * تحبّر اللب في أضالعها .
 تحترق الریح في محارمها * عصفاً فتقوى على زعازعها .
 وأرضه بالرّخام قد فرشت * ينفسح الطرف في مواضعها .
 مجالس العلم فيه موشاة * ينشرح الصدر في جامعها .
 وكل باب عليه مطهرة * قد أمن الناس دفع مانعها .
 يرتقى الخلق من مرافقها * ولا يصعدون عن منافقها .
 ولا تزال المياه جارية * فيها لما شق من مشارعها .
 وسوقها لا تزال أهلة * يزدحم الناس في شوارعها .
 لما يشاءون من فواكحها * وما يريدون من بضائعها .
 كأنها جنة معجّلة * في الأرض ، لولا سري خائعها .
 دامت برغم العدا مسلمة * وحاطها الله من قوارعها .

وقال عبد الله بن سلام : بالشام من قبور الأنبياء ألفا قبر وسبعائة قبر ، وقبر موسى

بدمشق ، ودمشق معقل الناس في آخر الزمان .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : من أراد أن ينظر إلى الموضع الذي
 قال الله عز وجل فيه ﴿ وَأَوْتَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ فليأت التّريب
 الأعلى بدمشق بين النهرين ، وليصعد الغار في جبل قاسيون ، فليصبل فيه فإنه يث
 عيسى وأمّه . ومن أراد أن ينظر إلى إرم ، فليأت نهرا في دمشق يقال له بردى .
 ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مریم بنت عمران والحواريون . فليأت مقبرة
 الفراديس .

٥

١٠

١٥

٢٠

ومن خصائصها التفاح الذى يضرب به المثل فى الحسن والطيب ، وكان يحمل منه إلى الخلفاء فى كل سنة ثلاثون ألف خضخة .
وبها النُوطَةُ ، وهى أحد منزهات الدنيا الأربعة . وهى أجلها .
وسنذكر وصفها فى باب الرياض إن شاء الله تعالى .

وأما مصر وما يختص بها من الفضائل

فمن فضلها أن الله عز وجل ذكرها فى كتابه العزيز فى أربعة وعشرين موضعا .
منها ما هو بصريح اللفظ ، ومنها ما دلّت عليه القرائن والتفاسير .
فأما صريح اللفظ ، فقوله تعالى : ﴿ إِهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأْتُمْ ﴾ .
وقوله تعالى خبرا عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي ﴾ .

وقوله عز وجل خبرا عن يوسف عليه السلام : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ .

وأما ما دلّت عليه القرائن ، فله قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبَآءَ صِنِّي ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَوْثَقْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . قال ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وهوب بن منبه وغيرهم : هى مصر .
وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْثَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ . يعني مصر .

وقوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَسِيَ كَانُوا فِيهَا ۝١١١ فَآكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ . يعني قوم فرعون ، وأن بني إسرائيل وورثوا أرض مصر .

وقوله عز وجل : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمْ مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ .

وقوله عز وجل مخبرا عن فرعون : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ وَبَعَثْنَا هَامَانَ رَجُلًا كَاذِبًا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون : ﴿ أَقْبَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ .
يعني أرض مصر .

وقوله عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ نَحَارِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَدْعُوبُهَا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ يُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ شَاءٍ ﴾ .

وقوله عز وجل مخبرا عن بنى إسرائيل : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهْلِكَ عِذُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أَوَأَنْ يُّظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ . يعنى أرض مصر .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن ابن يعقوب : ﴿ فَلَنْ أَرْجِعَ الْأَرْضَ ﴾ . يعنى أرض مصر .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وذكر ابن عباس مصر، فقال : سميت مصر بالأرض كلها فى عشرة مواضع من القرآن . والله تعالى أعلم .

§ وأما ما ورد فيها من الحديث النبوى صلوات الله وسلامه على قائله

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مِصْرُ ، فَاسْتَوْصُوا بِقِيْطِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهَا ذِمَّةً وَرِجْمًا “

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَأَتِمُّوا بِهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ “ فقال أبو بكر رضى الله عنه : ولم يارسول الله ؟ فقال : ” لَأَنَّهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ “ .

وعنه صلى الله عليه وسلم ، وذكر مصر : ” مَا كَادَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا كَفَّاهُمْ اللَّهُ مُؤْنَتَهُ “ .

وتكررت الأحاديث فى فضلها .

وقال عبد الله بن عمرو : وأهل مصر أكرم الأماجم كلها ، وأسمحهم بدا ، وأفضلهم
عُنصرًا ، وأقربهم رحماً بالعرب عامة وبقرش خاصة .

وقال أيضا : لما خلق الله عز وجل آدم ، مثل له الدنيا : شرقها ، وغربها ،
وسهلها ، وجبلها ، وأنهارها ، وبحارها ، وبناءها ، ونجربها ، ومن يسكنها من الأمم ،
ومن يملكها من الملوك . فلما رأى مصر ، رآها أرضا سهلة ذات نهج جار ، ماذته من
الجنة ، تتحدر فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب
عز وجل إليه بالرحمة ، في سفحه أشجار مثمرة ، فروعها في الجنة تسقي بماء الرحمة .
فدعا آدم في النبل بالبركة ، ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى ، وبارك على
نيلها وجبلها سبع مرات . وقال : « يا أيها الجبل المرحوم ، سفحك جنة وتربتك
مسكة تدفن فيها عرأس الجنة ، أرض حافظة مطبقة رحيمة ، لا خلتك يا مصر
بركة ، ولا زال بك حفظ ، ولا زال منك ملك وعز ، يا أرض مصر فيك الجباء
والكنوز ، ولك البر والثروة ، سال نهرك عسلا . كثرا الله زرعك ، وذرا زرعك ،
وزكا نباتك ، وعظمت برتك وخصبت ، ولا زال فيك يا مصر خير ما لم يتجبرى
ونتكبرى أو تخونى ، فاذا فعلت ذلك ، عراك شر ، ثم تقور خيرك » .

فكان آدم أول من دعا لها بالخصب والرحمة والرفقة والبركة .

وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : دعا نوح عليه السلام لابن أبنه بصر
أبن حام وهو أبو مصر ، فقال : اللهم إنه قد أجاب دعوتي ، فبارك فيه وفي ذريته
وأسكنه الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد .

﴿١٦٦﴾

قال عبد الله بن عمرو : لما قسم نوح عليه السلام الأرض بين ولده ، جعل لحام
مصر وسواحلها والمغرب وشاطئ النيل . فلما دخل بصر بن حام وبلغ العريش ،

قال : « اللهم إن كانت هذه الارض التي وعدتنا على لسان نبيك نوح عليه السلام
وجعلناها لنا منزلا فاصرف عنا وبأها، وطيب لنا ثراها، وأجمع ماها، وأثبت كلاها،
وبارك لنا فيها، وتم لنا وعدك، إنك على كل شيء قدير، وإنك لا تخلف الميعاد»
وجعلها بيصر لابنه مصر وسمّاها به . والقبط ولد مصر بن بيصر بن حام
ابن نوح .

وسنذكر إن شاء الله تعالى أخبار مصر وبنيه عند ذكرنا للملك مصر، وهو في الفن
الخامس في التاريخ .

وعن كعب الأحبار : لولا رَغْبَتِي في بيت المقدس لما سكنتُ إلا مصر . فقيل
له : ولم ؟ فقال : لأنها معافاةٌ مِنَ الْفِتَنِ ومن أرادها بسوء كَبَّه اللهُ على وجهه، وهو
بلد مباركٌ لأهله فيه .

وقال أبو بصرة الففارى : سلطان مصر سلطان الأرض كلها .

قال : وفي التوراة مكتوب : مصرُ خزانةُ الأرض كلها، فمن أرادها بسوء قصمه
الله تعالى .

وقال عمرو بن العاص : ولايةُ مصر جامعةٌ، تميلُ الخلافةُ .

وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز، قاضي العراق : سألت أحمد بن المديبر
عن مصر فقال : كشفتها فوجدتُ غامرَها أضعافَ عامرِها . ولو عمَّرها السلطان ،
لوقتَ له بخراج الدنيا .

ذَكَرَ مَنْ وُلِدَ بِمِصْرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَمَنْ كَلَفَ بِهَا مِنْهُمْ

وُلِدَ بِمِصْرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ : مُوسَى ، وَهَارُونَ ،
وَيُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَدَانِيَالُ ، وَأَرْمِيَا ، وَلَقْهُنَّ ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَلَدَتْهُ أُمُّهُ بِأَهْنَاسَ ،
وَبِهَا النُّخْلَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَرْيَمَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ .

وَلَمَّا سَارَ عِيسَى إِلَى الشَّامِ أَخَذَ عَلَى سَفْحِ الْمَقْعِطِ مَاشِيًا ، عَلَيْهِ جَبَّةٌ صُوفٌ مَرْبُوطُ
الْوَسْطِ بِشَرِيطٍ ، وَأُمُّهُ تَمْشِي خَلْفَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا وَقَالَ : يَا أُمَّاهُ ، هَذِهِ مَقْبَرَةُ أُمَّةٍ عَدُوِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا مَنْ كَانَ بِهَا مِنْهُمْ ، فَكَانَ : إِبْرَاهِيمُ الْحَلِيلُ ، وَإِسْمَاعِيلُ ، وَيَعْقُوبُ ، وَيُوسُفُ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَتْنَا عَشْرَ سَبْطًا .

ذَكَرَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالصِّدِّيقَاتِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

كَانَ بِهَا مِنَ الصِّدِّيقِينَ مُؤْمِنٌ آلُ فِرْعَوْنَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ أَبْنُ فِرْعَوْنَ لَصُلْبِهِ . آمَنَ بِمُوسَى وَخَلَّقَ بِهِ وَجَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا وَآيَةً .

وَكَانَ بِهَا وَزَرَاءُ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَفَضَّلَهُمْ عَلَى قَوْمِ نَمْرُودَ حِينَ قَالُوا :
”أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ“ وَقَالَ وَزَرَاءُ النَّمْرُودِ : ”أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ“ .

وَأُخْرِجَتْ مِصْرُ السَّحَرَةِ الَّذِينَ أَحْضَرَهُمُ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى . وَكَانَتْ عَدَّتُهُمْ مِائَتِي
أَلْفٍ وَأَتْنِينَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، آمَنُوا كُلُّهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ .
وَلَمْ نَعْلَمْ مِنْ آمَنَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ .

- ومن فضائل مصر وبُئِل أهلها أنهم لم يُفْتَنُوا بعبادة العجل .
- وكان بها من الصديقات آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وأم إسحاق، ومريم ابنة عمران، وماشطة بنت فرعون، التي مشطها فرعون بأمشاط الكنان لما آمنت بموسى .
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سَيِّمْتُ لَيْلَةَ أُسْرِى بِي فِي الْجَنَّةِ رَائِحَةً مَا سَيِّمْتُ أَطْيَبَ مِنْهَا ، قُلْتُ : يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا ؟ قَال : هَذَا رَائِحَةُ مَا شَطَّةَ بِنْتُ فِرْعَوْنَ» .

ذَكَرَ مَنْ صَاهِرَ أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

- منهم : ١٠
- إبراهيم الخليل عليه السلام ، تزوج بهاجر أم إسماعيل .
- ويوسف الصديق ، تزوج بنت صاحب عين شمس ، وتزوج زليخا بعد أن عجزت . دعا الله لها فردّها الله إلى حالتها الأولى ، ورزق منها الولد .
- وتسرى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التي أهداها له المقوقس ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية . ١٥

ذَكَرَ مَنْ أَظْهَرَتْهُ مِصْرُ مِنَ الْحُكَمَاءِ

(الذين عمّروا الدنيا بكلامهم وحكمهم وتديبرهم ، وأظهروا ما خفي من العلوم)^(١)

قال الحسن بن إبراهيم ، صاحب تاريخ مصر :

(١) بعض الحكماء المذكورين في هذا الفصل ليسوا من أهل مصر بل وفدوا عليها وأقاموا بها مدة قليلة أركمية .

منهم : ذوالقَرْنَيْنِ ^(١) ، وهو الإسكندر من قرية يقال لها لُؤَيَّةُ ^(٢) . وهو الذي قتل دَارًا بَنَ دَارًا . وسيأتي خبره إن شاء الله تعالى في التاريخ في ذكر ملوك اليونان .

ومنهم : هِرْمَسٌ ، وهو المثلث بالنعمة : نبى ، وحكيم ، ومليك : وهو الذى صير الرصاص ذهباً ، وبني الهرمين الكبيرين على أحد الأقوال . وقيل : هو إدريس عليه السلام .

ومنهم تلميذاه : أَعَاثَاذِيمُونٌ وفِيثَاغُورَسٌ ، ولهما من العلوم الموروثة صناعةُ الكيمياء ، والنجوم ، والسحر ، وعلم التارنجيمات ، والطلسمات ، والبرابي ، وأسرار الطبيعة .

ومنهم أوسلا وسيزوارس وبندقليس ، أصحاب الكهانة والزجر .

ومنهم سقراط ، صاحب الحكمة ، والكلام على الباري جل ذكره ، وهو صاحب البلاغة .

ومنهم أفلاطون ، صاحب السياسة ، والنواميس ، والكلام على المدين والمملك .

ومنهم بطليموس ، صاحب الرصد ، والمساحة ، والحساب ؛ وهو صاحب كتاب المجسطى من كتب الأفلاك ، وحركة الشمس ، والقمر ، والكواكب المتحركة والثابتة ، وصورة فلّك البروج . وله صفة الأئمة الذين يعمرون الأرض ، وكتاب الفرة في علم النجوم وتسطيع الكرة .

(١) هو الإسكندر الأكبر ، ابن فيلبوس وهوليس من مصر وإنما غزاها بجيوشه وأسس فيها مدينة الإسكندرية التي صارت بعدة مدينة العلم والحكمة .

(٢) هذا القبط مخرف عن "بيل" وهي إحدى مدين إغريقية ، وهي كانت ولادة الإسكندر الأكبر .

وممنهم أرسطاطاليس، صاحب المنطق، والآثار العلوية، والحس والمحسوس، والكون والفساد، والسماء والعالم، وجمع الكيان والسمع الطبيعي، ورسالة ثبت الذهب، قالوا: وليعقوب بن إسماعيل الكندي نحو ألف كتاب مستخرجة من كتب أرسطاطاليس.

- ومنهم أراطوس، صاحب البيضة ذات الثمانية والأربعين صورة في تشكيل صورة الفلك، والألف كوكب، وأثنان وعشرون كوكبا من الكواكب الثابتة، والريخ.

وممنهم أنطوليوس^(١)، صاحب الفلاحة.

وممنهم أبرخس، صاحب الرصد والآلة المعروفة بذات الحلق.

- ومنهم ثاون، صاحب الريج المنسوب إليه.

وممنهم أسطلفس، ودرؤيوس، والنس، أصحاب كتب أحكام النجوم، وعندهم أنشئ ذلك.

وممنهم إيرن، صاحب الهندسة والمقادير، وكتاب جر الأنفال، والحيل الروحانية، وعمل البنائكم والآلات لقياس الساعات.

- ومنهم فيلون البرنطلي، وله عمل الدواليب والأرجحة والحركات بالحيل اللطيفة.

وممنهم أرشميدس، صاحب الحيل والهندسة والمرايا المحرقة وعمل المجانيق ورمى الحصون، والحيل على الجيوش والمساكر براً وبحراً.

(١) ورد هذا الاسم في الأصل هكذا: "أنطوليوس" وليس هناك رجل بهذا الاسم. وإنما المشهور بكتابه في الفلاحة هو "أنطوليوس الأفريني". وقد ذكره ابن العوام في كتاب الفلاحة الأندلسية،

- ومنه ماريه وقلبطره، أصحاب الطلسمات، والخواص للطبائع .
- ومنه أبلونيوس، وله كتاب الخروطات وقطع الخطوط .
- ومنه ثيودوسيوس، وهو صاحب كتاب الأكر .
- ومنه ذيوفنطس، وله كتاب الحساب .
- ومنه أوطوقيس، وله كتاب الكرة والأسطوانة .
- ومنه المشاعون^(١)، أصحاب الرواق .
- وبمصر من العلوم التي عَمَرَتْ بها الدنيا علمُ الطب اليوناني، وعلمُ النجوم، وعلمُ المساحة، وعلمُ الهندسة، وعلمُ الكيمياء، وغير ذلك وبها الطلسمات العشرة .
- وبأدى الاسكندراني صاحب الزيج^(٢) .
- والذين نشروا الطب وشرحوه جالينوس، صاحب الطب، تعلمه بمصر، ومن كتبها أَخَذَ .
- ومنه ديسقوريد : صاحب الحشائش، وديوجانس، واركاغانس ،
- وَأَرَبَاسِيوس، وقرينونوس، وروفس، هؤلاء أصحاب الطب اليوناني .
- فهؤلاء حكماء الأرض وعلمائهم الذين ورثوا الحكمة ، من مصر نخرجوا ، وبها ولدوا؛ ومنها آنتشرت علومهم في الأرض .
- قال الحسن بن إبراهيم : وكانت مصر يسر إليها في الزمن الأول طلبة العلم وأصحاب العلم الدقيق لتكون أذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء ودقة الفطنة ، وانه تعالى أعلم .

(١) في الأصل : "المسائر" . ولعله يشير إلى أتباع ارسطو الذين يسميهم العرب "المشائرين" .

(٢) لعل هذا الاسم محرف عن "تاون" التي سبقت الإشارة إليه .

ومن فضائل مصر

أنها تميز الحرمين الشريفين ، ولولا مصر لما أمكن أهل الحرمين وأعمالها المقام بهما ، ولما توصل إليهما من يرد من أقطار الأرض .

ومنها أنها قرصة الدنيا ، يحمل من خيرها إلى سواحلها ، وذلك أن من ساحلها بالقزم ينقل إلى الحرمين ، وإلى جنة ، وإلى عُمان ، وإلى الهند ، وإلى الصين ، وصنماء ، وعدن ، والشحر ، والسند ، وجزائر البحر .

ومن جهة تيس ، وديمياط ، والقرما قرصة بلد الروم ، وأقصى الأفرنجية ، وقبرس ، وسائر سواحل الشام ، والنور إلى حدود العراق .

ومن جهة الإسكندرية قرصة أفريطش ، وصقلية ، وبلد الروم ، والمغرب كله إلى طنجة ، ومغرب الشمس .

١٠

ومن جهة الصعيد قرصة بلد النوبة ، والبجة ، والحبشة ، والجزاز ، واليمن .

وفيها من نفور الرباط : البرلس ، ورشيد ، والإسكندرية ، ورباط ذات الحمام ، ورباط البحيرة ، ورباط إختا ، ورباط دمياط ، وشطا ، وتيس ، والأشتوم ، والقرما ، والوزاده ، والعريش ، والشجرتين ، ورباط الحرس . وجهة الحبشة ، والبجة .

١٥

ورباط أسوان على النوبة . ورباط الواحات على البربر والسودان . ورباط قوص . وبها من المساجد والمشاهد والآثار الصالحة ، ما لم يكن في غيرها . ولو استقصينا ذلك ، لطلال به الشرح وأنيسط القول .

وقال سعيد بن عقبة : كنتُ بحضرة المأمون حتى قال ، وهو في قبة الهواء : لمن الله فرعون حين يقول ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ فلورأى العراق ! . فقلت :

يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فإن الله عز وجل قال ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ﴾ . فما ظنك يا أمير المؤمنين بشيء دمره الله ، هذا بقية ؟ .

قال : ثم قلت : لقد بلغني أن أرضاً لم تكن أعظم من مصر ، وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها . وكانت الأشجار بقناطر وجسور وتقدير حتى إن الماء يجري تحت منازلهم وأقنيتهم : يحبسونه متى شاءوا ، ويرسلونه متى شاءوا . وكانت البساتين بجافقي النيل من أوله إلى آخره ، ما بين أسوان إلى رسيدي إلى الشام متصلة لا تنقطع . ولقد كانت الأمة تضع المكمل على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر . وكانت المرأة تخرج حاسرة لا محتاج إلى حمار لكثرة الشجر .

ومن فضائلها النيل ، وقد تقدم ذكره في باب الأنهار .

ومن عجائبها الهرمان وسياقي ذكرهما في باب المباني القديمة إن شاء الله تعالى .

ومن عجائبها أن أهلها مستغنون عن كل بلد ، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ، استغنى أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا .

وفيهما ماليس في غيرها ، وهو حيوان السقنور ، والنمس . ولولا أنه أكلت الثعابين أهلها ، وهو لها كقنافذ جيستان لأهلها .

وفيهما سمك يسمى الرعاد . وهو سمك إذا أمسكه إنسان أو أمسكه ما يتصل به من خيط الصنارة أو الشبكة التي يقع فيها ، ارتعدت يده .

والخطب السط الذي لو قيد منه يوما وجميع ما وجد من رآده كان ملء كف . وهو صلب العود ، سريع الوقود ، يطبخ النجود . ويقال : إنه الآبنوس ، وإنما البقعة قصرت عن الكيان فجاء أحرر شبيهة الحرة .

وَدُهْنُ الْبَلَّاسِ . وَالْأَفْيُونُ ، وَهُوَ عُصَاةُ الْخَشْخَاشِ . وَكَانَ بِهَا اللَّبَخُ ، وَهُوَ ثَمَرٌ فِي قَدْرِ اللُّوزِ الْأَخْضَرِ إِلَّا أَنْتَ الْمَا كُولُ مِنْهُ الظَّاهِرُ . وَرَأَيْتُهُ أَنَا بِهَا وَأَكَلْتُ مِنْهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ .

وَبِهَا الْأُتْرُجُ الْأَبْلَقُ .

• وَبِهَا مِنَ الْمَعَادِنِ : مَعْدِنُ الزُّمُرُودِ ، وَمَعْدِنُ النَّفْطِ ، وَالشَّبَّ ، وَالْبِرَامُ ، وَالرَّخَامُ .
• وَقِيلَ : إِنَّ بِهَا سَائِرَ الْمَعَادِنِ كُلِّهَا .
• وَأَهْلُهَا يَا كَلُونَ صَيِّدُ بَحْرِ الرُّومِ وَبَحْرِ فَارَسٍ طَرِيًّا .^(١)

وَفِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ صِنْفٌ مِنَ الْمَا كُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَشْمُومِ ، يَوْجَدُ فِيهِ دُونَ غَيْرِهِ . فَيَقَالُ : رُطَبُ تَوْتٍ ، وَرُمَانُ بَابِهِ ، وَمَوْزُ هَاتُورٍ ، وَسَمَكُ كِيَكٍ ، وَمَاءُ طُوبَةِ ، وَخَرْوَفُ أَمَشِيرٍ ، وَلَبَنُ بَرْمِهَاتٍ . وَوَرْدُ بَرْمُودَةٍ ، وَنَبَقُ بَشْنَسٍ ، وَتَيْنُ بَشُونَةٍ ، وَعَسَلُ أَيْيَبٍ ، وَعَنْبُ مَسْرَى .

وَمِنْهَا أَنْ صَيَّفَهَا خَرِيفٌ ، وَشَتَاءَهَا رَبِيعٌ ، وَمَا يَقْطَعُهُ الْحَزُّ وَالْبَرْدُ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ مِنْ الْفَوَاكِهِ يَوْجَدُ فِيهَا فِي الْحَزِّ وَالْبَرْدِ : لِأَنَّهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ . فَسَامَتْ مِنْ حَرِّ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، وَبَرْدِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ .^(٢)

• وَيَقَالُ : لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ مِصْرَ إِلَّا أَنَّهَا تَقْنَى فِي الصَّيْفِ عَنِ الْخَلِيشِ وَالطَّلِجِ ١٥
• وَيَطْلُونَ الْأَرْضَ ، وَفِي الشِّتَاءِ عَنِ الْوَقُودِ وَالْفَرَاءِ .

(١) يُشِيرُ إِلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ الْمُتَّصِلِ بِالْخَلِيجِ الْفَارَاسِيِّ بِوَسْاطَةِ بَحْرِ الْهِنْدِ .

(٢) فَازَتْ ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِي الْحَقْرِيزِيِّ (طَبِيعُ يُولَاقِ ج ١ ص ٢٨) .

ومما وصفت به

أن صعيدا حجازي . حَجَره حَجَر الجَازِ يَنْبِت النَخْلَ والدَّومَ (وهو شجر المَقْل)،
والمُسَرَّ، والقَرْظَ، والإِهْلِيلِجَ، والقُلُقُلَ، والحِيارَ شَنَبَر. وأسفل أرضها شايحٌ يَطر
كطر الشام ، وتقع فيه التلوج ، ونبت التين والزيتون والعنب والجوز واللوز
والفستق وسائر القواكه ، والبقول والرياحين .

وهي ما بين أربع صفات : فضة بيضاء ، أو مسكة سوداء ، أو زرجدة خضراء ،
أو ذهبية صفراء . وذلك أن النيل يعم أرضها فتصير كالفضة البيضاء ، ثم ينصب
عنها فتصير مسكة سوداء ، ثم تزرع فتصير زرجدة خضراء ، ثم تستحصد فتصير
ذهبية صفراء^(١) .

وحكى ابن زولاق في "فضائل مصر" أن أميرها موسى بن عيسى [المهشمي]^(٢)
وقف بالميدان عند بركة الحبش ، فالتفت يمينا وشمالا ، وقال لمن كان معه : أترون
ما أرى؟ قالوا : وما يرى الأمير؟ قال : أرى عجبا ما في الدنيا مثله ! فقالوا : يقول
الأمير! فقال : أرى ميدان رهان ، وحيطان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ،
وذروة جبل ، وجبانة أموات ، ونهرا تتجاجا ، وأرض زرع ، ومراعٍ ماشية ،
ومراعٍ خيل ، وساحل بحر . [وصائد نهر] وقانص وحش ، وصائد سمك ، وملاح^(٣)
سفينة ، وحادي لابل ، ومفازة رمل ، ومهلا ، وجبلا ! فهذه ثمانية عشر متزا
في أقل من ميل في ميل .

(١) قارن ذلك بما ورد في المقرئ (طبع بولاق ج ١ ص ٢٦) .

(٢) هو دالي مصر في أيام الرشيد سنة ١٧٥٥ هجرية . والزيادة عن المقرئ (طبع بولاق ج ٢ ص ١٥٣) .

وأين هذه الأوصاف من وصف الواصف لقصر أنس بالبصرة حيث يقول :
زُرْ وادِي الْقَصْرِ نِمَّ الْقَصْرُ وَالْوَادِي ! * لَا بُدَّ مِنْ زُورَةٍ مِنْ غَيْرِ مِعَادِ .
زُورُهُ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يَشَاكِلُهُ * مِنْ مَتَرٍ حَاضِرٍ إِنْ شَتَّتَ أَوْ بَادَى .
تَرَى بِهِ السُّفْنِ وَالظَّالِمَانَ حَاضِرَةً * وَالضُّبَّ وَالتُّونَ وَالْمَلَّاحَ وَالْحَادَى .

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي ، يصف جبل الرصد مثل
ما وُصف به قصر أنس :

يَا زُرَّةَ الرُّصْدِ الْمَصْرِيَّ قَدْ جَمَعْتُ * مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَلَاً فِي جَانِبِ الْوَادِي .
فَذَا غَدِيرٌ ، وَذَا رَوْضٌ ، وَذَا جَبَلٌ : * فَالضُّبُّ وَالتُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادَى .

فهذه نبذة من فضائل مصر . ولولا الرغبة في الاختصار ، لكانت فضائلها تكون
كتاباً مفرداً .

وأما جزيرة الأندلس

فقد اقتصرْتُ في وصفها على رسالة وصفها ابن حزم فيها ، فقال :

”...أرضها شاميةٌ في طيِّبها ، تهاميةٌ في اعتدالها وأستوائها ، أهوازيةٌ في عِظَمِ نِجَاجِهَا
وِجَابِيتِهَا ، عَدَنِيَّةٌ في منافعِ سِوَا حِلْيَتِهَا ، صِيْدِيَّةٌ في مَعَادِنِهَا ، هِنْدِيَّةٌ فِي عِطْرِهَا وَطِيبِهَا
وَدَكَاةِهَا . وَأَهْلِهَا عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَتَقَةِ ، وَفَصَاحَةُ الْأَلْسُنِ ، وَطِيبُ
النَّفْسِ ، وَإِبَاءُ الضَّمِيمِ . وَقَلَّةُ أَحْتِمَالِ الذَّلِّ وَالْإِهَانَةِ ، وَالتَّزَاهَةِ عَنِ الْخُصُوعِ ، هِنْدِيُّونَ
فِي فِرَاطِ عَنَائَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ لَهَا ، بِنْدَادِيُّونَ فِي ظَرْفِهِمْ وَنِظَاقَتِهِمْ ، وَرِقَّةُ أَخْلَاقِهِمْ

(١) هذه رواية المقرئ . أما الأصل فقد ورد فيه الشطر الأول غير موافق في الوزن للبقية هكذا :

يَا زُرَّةَ الرصد التي قد تزعت * عن كل شيء الخ

وتباهتهم ، ولطافة أذهانهم ، وحدة أفكارهم ؛ يَبْطِئُونَ في استنباط المياه ، ومَعَانَتِهِمْ
لِلْفِرَاسَةِ ، وتركيب الشجر والفلاحة ؛ صَبِيئُونَ في إتقان الصنائع العلمية ، وإحكام المهن
الصورية ؛ تُرْكِيُونَ في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها ، والنظر في مهماتها .

قال إبراهيم بن خفاجة ، يصفها :

إِنِّ لِلْحِنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ * مجتلى عين ودياً نفيس !
فَسَنَا صُبْحَتِهَا مِنْ شَنْبٍ * ودجى ليلتها من لآس .

وقد أظهرت الأندلس جماعة من الفضلاء والأعيان والأكابر ، ذكرهم ابن بسام
في كتابه المترجم "بالذخيرة" ، في محاسن أهل الجزيرة . وذكرهم الفتح بن خاقان في كتابه
"المطعم" و "قلائد العقيان" وغيرهما .

وسند ذكر إن شاء الله تعالى حال الأندلس وأبناء عمارتها وملوكها عند ذكرنا فتحها ،
وهو في الباب الخامس من القسم الأول من الفن الخامس في التاريخ من اخبار الدولة
الأموية في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ٩٢ من الهجرة .

وأما البصرة وما أختصت به

فن خصائصها أن للبربان بها ضرباً من العَجَب . وذلك أنها تقع إليها بالبحر ف
حتى تكون الأرض بها سوداء ، وتقع على كل نخلة أُصْرَم ثمرها ، ولا تقع على ما لم
تُصْرَم ، ولو بقي عليها علق واحد .

ومن عجائبها أيضاً ، أن التمر يكون مصبوحاً في بيادره ، فلا يقع عليه شيء من الذباب
لا في الليل ولا في النهار .

وأهل البصرة يتخذون المظلات على التمر والعجوة خوفاً عليها من الخفافش . ومن عادة الذباب الفرار من الشمس إلى الظل ، فلا يوجد في تلك الظلال شيء منه آلبة . فيتوهم المتوهم أن هاتين الحالتين من طلسم ، له من الخاصية ما يمنع الغراب والذباب . وليس كذلك ، وإنما هو من حماية الله ووقيته .

- ووصف خالد بن صفوان البصرة ، فقال : منابتها قصب ، وأنهارها عجب ، وسماؤها رطب ، وأرضها ذهب .
- وفي الكوفة عدم الوفاء .

وأما بغداد وما أختصت به

- قوله يقال : إنها جنة الأرض ، ويجمع الوافدين : دجلة والفرات ، واسطة الدنيا ، ومدينة السلام ، وقبة الإسلام ، لأنها غرة البلاد ، ودار السلام والخلافة ، ويجمع العرائف والطيبات ، ومعين المحاسن واللطائف ، وبها أرباب النهايات في كل فن ، وأحاديث الدهر في كل نوع .

وكان أبو إسحاق الزجاج يقول : بغداد حاضرة الدنيا ، وما عداها بادية .

وكان أبو الفضل بن العميد اذا طرأ عليه أحد وأراد امتحان عقله سألته عن

- بغداد . فان فطن لفضائلها وخواصها ، جعل ذلك مقدمة فضله وعنوان عقله .

وقال ابن دُرَيْق الكوفي ، الكاتب :

سَافَرْتُ أَبْنَى بَغْدَادٍ وَسَاكِهَا * مِثْلًا ، فَاوَلَّتْ شَيْئًا ذُوَنَهُ الْيَاسُ .

هيمات ! بغداد الدنيا بأجمعها * عندي ، وسكان بغداد هم الناس .

وقال آخر :

سقى الله بغداداً من جنة * غلت للورى زُرعة الأُنفس .
عل أنها مُنيّة المَوسرين ، * وليكنّها حَسرة المُفلس .

وأما الأهواز وما أختصت به

فقال أبو عثمان " عمرو بن بحر الجاحظ " : إن قَصْبَةَ الأهواز مخصوصة بالحمى
الدائمة اللازمة ، حتّى إنها ليست إلى الغريب بأسرع منها إلى الغريب .

وقال إبراهيم بن العباس عن مَشِيخَةٍ من أهلها عن القوابل بها : إن من ربما قَلِنَ
الطُفْل المولود بها فيجذّنه محمومًا ؛ ولا تكاد تُوجد بها وجنةٌ حمراء لصبي ولا صبية ،
ولا دمٌّ ظاهر .

ومن عجائب خصائصها : أن جميع أصناف الطّيب تستحيل رائحته فيها جدًّا ،
حتّى لا تكاد توجد له رائحةٌ . وذلك من كثرة الرُّطوبات ، وظلّ الهواء ، والأبخرة
الفاسدة . (وهذا موجود بإطالكة والقُسطنطينية) . ويقال : إن الخيل لا تنزّو بها
ولا تصهل ، وإنها تمتلئ الحشيش دون الثبن ؛ لما يلحقها من الرّبو ، لنداوة البلد
وعفوتته .

وأما فارس وما أختصت به

فمن خصائصها : ماء الورد الذي لا يُوجد مثله في سائر البلاد طيبًا ، والجُورى
الموصوف من أحد بلادها يُجلب إلى أقاصى البلاد ، ويضرب به المثل .
ولشيراز من بلاد فارس قنمة طيبة ليست فيما عداها من بلاد فارس .

وأما أصفهان وما آخنتصت به

فهى موصوفة بصحة الهواء، وجودة التربة، وعذوبة الماء .

وحكى أن المجاح وليّ بعض خواصه أصفهان، فقال له : قد وليتك بلدة سحرها
الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران .

ومن خصائص الرى : برودها موصوفة كبرود اليمن، وتسمى العدينيات تشبيها
لها ببرود عدن . وفيها الثياب المنيرة .

قالوا : واللص الحاذق ينسب إلى الرى .

وأما جرجان وما آخنتصت به

فهى سهيلة جبلية، برية بحرية . وأهلها يعدون زيادة على مائة نوع من أنواع

الرياحين، والبقول، والحشائش الصحراوية، والثمار والحبوب السهلة التى هى
مبدولة بها للفقراء والغرباء .

ومن خصائصها : العناب الذى لا يكون فى سائر البلاد مثله، ويقال : هى بغداد
الصغرى، إلا أنها وبيّة، مختلفة الهواء فى اليوم الواحد، قتالة للغرباء، كثيرة الأنداء .

ويقال : جرجان مقبرة أهل خراسان .

وفى بعض الكتب القديمة أن بخراسان بلدة يقال لها جرجان، يساق إليها قصار
الأشجار من الناس .

وكان أبو تراب النيسابورى يقول : لما قُسمت البلاد بين الملائكة، وقعت

جرجان فى قسم أبى يحيى (يعنى ملك الموت) .

وأما نيسابور وما أختصت به

حكى عن عمرو بن الليث الصَّفَّار أنه كان يقول : كيف لا أقَاتِلُ عَنْ بَلَدَةٍ
حَشِيشِهَا الرِّبَاسُ ، وَتُرَابُهَا الثُّقُلُ ، وَتَحْجَرُهَا الْفَيَروُزُج . أراد بقوله : "تُرَابُهَا الثُّقُلُ"
طِينَ الْأَكْلِ الَّذِي لَا يُوْجَدُ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ ، وَيَحْمِلُ مِنْهَا إِلَى أَقَاصِي الْبِلَادِ وَأَدَانِهَا ،
وَيُخَفُّ بِهِ الْمُلُوكُ . قَالُوا : وَرَبَّمَا بَيْعَ الرُّطْلِ مِنْهُ بِدِينَارٍ . قَالَ الْمَأْمُونُ يَصِفُهُ :
جُدِّي مِنَ الثُّقُلِ ، فَذَلِكَ الَّذِي * مِنْهُ خُلِقْنَا وَإِلَيْهِ نَصِيرُ .
ذَلِكَ الَّذِي يُحَسَّبُ فِي مِثْلِهِ * أَجْحَارُ كَافُورٍ عَلَيْهَا عَيْرُ .

قَالُوا : وَالْفَيَروُزُجُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي نَيْسَابُورٍ ، وَرَبَّمَا بَلَنْتَ قِيَمَةَ الْقَفْصِ مِنْهُ - الَّذِي
إِذَا أَرَبَى وَزَنَهُ عَلَى مِثْقَالٍ ، وَجَمَعَ الْخَضِرَةَ وَالْأَسْتَدَارَةَ ، وَصَبَرَ عَلَى النَّارِ ، وَامْتَنَعَ
عَلَى الْمَيْرَدِ ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ بِالسَّاءِ الْحَارِ - مَا تَحْتَى دِينَارُ .

وَقَالَ إِنْ لَهُ خَاصِيَّةٌ فِي تَقْوِيَةِ الْقَلْبِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ ، كَمَا أَنَّ لِلْيَاقُوتِ خَاصِيَّةً
فِي مَسَرَّةِ النَّفْسِ .

وَلَمَّا دَخَلَهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ ، مَلِكُ مَاوَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ ، اسْتَحْسَنَهَا
وَأَسْتَطَابَهَا ، وَقَالَ : يَا هَذَا مِنْ بَلَدَةٍ جَلِيلَةٍ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا عَيَانٌ ! كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مِيَاهُهَا
الَّتِي فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ عَلَى ظَاهَرِهَا ، وَأَنْ تَكُونَ مَسَاحِلُهَا الَّتِي عَلَى ظَهَرِهَا فِي بَطْنِهَا .
وَمِنْ خَصَائِصِهَا الثَّيَابُ النَّيْسَابُورِيَّةُ الرَّقَاقُ .

وَأَهْلُهَا لَا يَكْرَهُونَ الْغَرِيبَ . قَالَ الْمُرَادِيُّ :

لَا تَنْزَلَنَّ بَنْيَسَابُورَ مَغْتَرِبًا ، إِلَّا وَجْهَكَ بِوَصُولِ بُلْطَانِ .
أَوَّلًا ، فَلَا أَدَبَ يَفْنَى وَلَا حَسَبَ * يُجِدِي وَلَا حُرْمَةً تُرْعَى لِإِنْسَانِ .

وقال أيضا فيها :

قال المُرادِيّ قولًا غير متَّهم ، والنَّصْحُ ما كان من ذِي اللَّبِّ مقبُولًا :
لا تَتَرَلَّ بِنَيْسابُورَ مُقْتَرِبًا ، * إنَّ الغَرِيبَ بِنَيْسابُورَ مَحْذُورُ .

وأما طُوس وما آخِصَّتْ به



فمن خصائصها السَّجَّج الذي لا يكون إلا بها ، ومنها يُنْقَل إلى الآفاق ، والمجرى
الأبيض الذي يُتَخَذ منه القُدُور .

ويقال : إن الله عز وجل لأهلها المجارة كما آلان لداود الحديد ، حتَّى إنهم
يَتَخَذُون منها ما يَتَخَذ غيرُهم من الرَّجَاج من سائر الأوانى .

وأما بَلخ وما آخِصَّتْ به

فيقال : هي من أقدم البلاد وأخصَّها بالملوك ، وهي شبيهة بالعراق ، وخُرَّاسان ،
والهند ، وإليها يَنْسَبُ جَيْحُونَ ، فيقال : نهر بلخ .

وكان سعيد بن الحسن يقول : العَيْشُ في الصَّيفِ يَبْلُغُ كَتَصْحِيفِهَا ^(١) .

ومن خصائصها البخاقى والتيلُوفُر ^(٢) .

(١) أى مثل تَجج .

(٢) في الأصل : البجادى . وهو تعريف لائش فيه | "والبخاقى" هى نوع من التباقي اشتهرت بها
هذه المدينة . قال ابن حوقل الرحالة البغدادي الشهير في كتابه "المسالك والممالك" (ص ٣٢٨ ، ٣٢٩)
ما نصه :

"ويرتفع من بلخ وأعمالها في ضفها النور المتقدمة على ما في جنسها وتعرف بالبخاقى ولا تظير لها
من جنسها في جميع الأرض . وبها الأترج والتيلوفر وقصب السكر وما لا يكون الا بالبلدان الحارة
الا أنه لا تخيل بها" .

وأما بُسْت وما أختصت به

فيقال : إن هواها كهواء العراق ، وماءها كماء الفرات ، ومن خصائصها الإجماص الذي لا يوجد مثله في غيرها . ويقال : إن مَنْ مات بُسْت مغفوراً له فقد آتتقل من جَنَّة إلى جَنَّة .

وأما غَزَنَة وما أختصت به

فهى موصوفة بصحة الهواء ، وجودة التربة ، وعدوبة الماء ، وهى جَلِيَّة شَمَالِيَّة ، ومن خصائصها أن الأعمار بها طويلة ، والأمراض قليلة . قالوا : وهى أرضُ تَبِت الذهب ، ولا تولد الحيات والعقارب والحشرات المؤذية . ومنها خرج الأجلاء الأنجاد من الرجال .

وقال أبو سعيد منصور زعيم جرجان : لم أربدة في الصيف أطيب ، وفي الربيع أشبه ، ومن الحشرات أنظف من غَزَنَة . ثم قال : إن قَلَّةً يَمَارها من منافعها ، لأن كثرة الثمار مقترنة بكثرة الأمراض ، وقد وصفها صاحب كتاب "لطائف المعارف" فقال :

وَأَمَّا لَغَزَنَة إِذْ غَدَتْ . لِلْبُكِّ وَالْإِسْلَامِ دَارًا .

مِنْ كَمِيَّةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ * لِلْعَيْدِ وَالْعَلْيَا مَسْأَرًا .

فِي صَدْرِهَا الْمَلِكُ الَّذِي * قُطِبَ السُّعُودُ عَلَيْهِ دَارًا .

وقال أيضا فيها :

يَا دَارَ مُلْكٍ نَرَى كُلَّ الْجَمَالِ بِهَا * وَأَسْعَدَ الدَّهْرَ تَبْدُو مِنْ جَوَانِبِهَا .

كَأَنَّ جَنَّةَ الْفَرْدَوْسِ قَدْ نَزَلَتْ . بَارِضِ غَزَنَة تَعْجِيلًا لِمُصَاحِبِهَا .

وأما مجستان وما أختصت به

فيقال فيها : ماؤها وشل ، وتمرها دقل ، ولصها بطل .
ومما تختص به الطاسات وجلاجل البزاة ، والطبول الموكية ، والقرش الديساج .

وأما الهند وما أختصت به

فيقال : الهند بحرها دز ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عود ، وورقها عطر .
وعود الهند يذكر مع أمهات الطيب .
وفي الهند الفيل ، والكر كذن ، والبهر ، والطاؤوس ، والبيضاء .
وفيه الياقوت الأحمر ، والصندل الأبيض ، والعاج ، وأصناف العطر ، والياباب
المخملة وغيرها ، والألانس^(١) ، والأقمشة .

وأما الصين وما أختصت به

فإن العرب تقول لكل طرفة من الألوان : صينية كائنة ما كانت : لاختصاص
الصين بالطرائف .
وأهل الصين خصوا بصناعة الطرف ، والملح ، ونخراط النمايل ، والإبداع
في عمل النقوش والتصاوير ، حتى إن مصورهم يصور الإنسان فلا يفادر شيئا
إلا الروح ، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضحك التجل ، وبين
المتبسّم والمستغرب ، وبين ضحك المسرور والهازي ؛ ويركب صورة في صورة .
وفيه مناديل القمر التي إذا أفسخت وألقيت في النار ، تهيئت ولم تحترق .

(١) كذا بالأصل ولعلها محرفة عن القلانس .

وفيه الحديد . وربما اشترى بأضعاف وزنه فضة .

وفيه السنجاب الفارحاني الذي هو من أنفاس الأوبار . وفيه اللبود الجياد .

قال الجاحظ في كتاب "النظر في التجارة" : إن خير اللبود الصينية ، ثم المغربية
الجمر ، ثم الطالقانية البيض .

وأما سمرقند وما أختصت به

قال قتيبة بن مسلم ، لما أشرف على سمرقند لأصحابه : شبهوها ، فلم يأتوا فيها
بشيء ، فقال : كأنها السماء في الخفزة ، وكان قصورها نجوم الزاهرة ، وكأن أنهارها
البحر . فاستحسنوا هذا التشبيه .

ومن خصائصها : الكواغد التي عطلت قراطيس مصر ، والجلود التي كان الأوائيل
يكتبون عليها ، لأنها أحسن وأنعم وأرق وأرق . ولا تكون إلا بها وبالصين .
ومن خصائصها : الثياب الودارية ، والنشادر ، والزئبق ، والبندق .

وأما بلاد الترك وما أختصت به

فانه يقال . إنها توازن بلاد الهند في كثرة الخصائص .

وفيه المسك والسنجاب والسَّمُور والقائم والفك والثعالب السود والأرانب البيض
وغير ذلك . وفيها البزاة البيض والخليل .

وتثبت من بلاد الترك خاصية : أنه من أقام بها أعتره سرور لا يدري ما سببه ،
ولا يزال متبسما ضاحكا ، وأن الميت إذا مات فيها لا يدخل على أهله كبير حزن كما
يلحق غيرهم عند موت محبوب .



وأما خُوارزم وما آخِضَتْ به

فإنها تقارب بلاد الترك، بل تنافسها في الحصائص والمتاجر.

ومن خصائصها البطيخ الذي يقال له "النارنج" يقال إنه أحل البطاطيخ وأطيبها. وكان يجعل منها إلى المامون وإلى الواق في قوالب الرصاص، معبأة في الثلج. فكانت تقوم الواحدة منه - إذا سلت ووصلت - بسبعائة درهم. والله أعلم.

ذكر الحصائص التي تجري مجرى الطلسمات

منها :

مدينة "خيص" من مدن كُرمَان. لا يُمطر المطر فيها داخل السور أبداً حتى إن الرجل يُخرج يده من سورها إلى خارجها، فتبتل يده ولا يتل ساعده.

وبقرية من قُرى كُرمَان أيضاً "حصن عادي" ليس فيه فار. وإذا دخل إليه فأر، مات.

ومدينة "حص" لا يوجد فيها عقرب. وإذا نُثر ترابها على ظهر عقرب، مات. وكذلك قلعة أعزاز^(١) من أعمال حلب. ويقال إنه لا يدخل مدينتها حية. ومتى نُثر عليها من ترابها، ماتت لوقتها. ولا يوجد فيها بؤوض البتة. وإن الرجل متى أخرج

يده من السور. وقع عليها، فإذا أدخل يده، طار عنها.

و"بمصر" أن التماسيح إذا ساقها المساء إليها وحادثتها، أُنْقَلِبَتْ على ظهرها. فإذا بُدِّلَتْ عنها، لا تضر أحداً. بخلاف ما هي في بلاد الصعيد، فإنها تغترس جميع ما تظفر به من الحيوان حتى الخيل. ولا يقوى على قتالها إلا الجاموس.

ومدينة "سجاسة" لا يوجد فيها ذباب البتة.

(١) كما ذكرها أيضاً في التوقييم بالهمزة. وفي المعجم "عزاز" بـدونها.

(٢) يعني مصر العتيقة أى القسطنطينية.

ذكر خصائص البلاد في أشياء مختلفة

- (وهي العلم، والعمل، والجواهر، والملابس، والأوبار، والقُرُش، والمراكب،
والحيوانات ذوات السموم، والخلوى، والثمار، والرياحين،
والخلق، والأخلاق، والأمراض، والآثار العلوية)
٥. أما خصائصها العلمية والعملية، فيقال: حكمة اليونان، وأطباء جُنديسابور،
وصاغة حرّان، وحاكّة اليمن، وكُتّاب السّواد.
- ومن خصائصها في الجواهر، يقال: فيروزج نيسابور، وباقوت سرّديب،
ولؤلؤ عُمان، وزبرجد مصر، وعقيق اليمن، وجزع طَفّار، وبجادى بلخ، ومرجان
أفريقية.
١٠. ومن خصائصها في الملابس، يقال: برود اليمن، ووشى صنعاء، ورَبط الشام،
وقصب مصر، ودياج الرّوم، وقُرّ السّوس، وحرير الصين، وأكسية فارس، وحُلّ
أصبهان، وسَقْلَاطُون بغداد، وعمائم الأبلّة، ومُنير الرّي، ومَلْعَم مَرُو، وتكك
أرمينية، ومَناديل التّامغان، وجَوَارِب قَزْوِينَ.
- ومن خصائصها في الأوبار، يقال: سنجاب خريز، وسمور بُلقار، وثعالب
الحَزَر، وفنك كاشغر، وحواصل هَرّاة^(١)، وقاقم قنزغر.
- ١٥.
- (١) ورد هذا اللفظ في كثير من كتب العرب بمعنى الجلود السنية التي يتدأ بها أهل الثرف والنعيم
فقد ذكر المصنف (ص ٢٣٥) الفنك والسمور والقاقم والحواصل والرّوش والدّق الخ. وذكره
ابن البيطار فقال: «أنة نادر يكون بمصر كثيرا يعرف بالكنى (بضم الكاف وإسكان الياء) المنقولة
بالتنين من أسفل) ... ولباسه يصلح للثياب وذوى الأمزاج الحارة ومن يلب عليه الصفراء» .
٢٠. وذكر السيوطي في الجزء الثاني من «حسن المحاضرة» لطائف مصر وأورد من جعلها الحوصل (بضم
ألف في النسخة المطبوعة طبع حجر بمصر، ص ١٧٦) حيث قال ما نصه: «وطير الحوصل يعمل
من جلده الخفاف الناعمة والفرأ الأبيض الذي يقوم مقام الفنك في ليه ورقته» .

ومن خصائصها في الفرس، يقال : بُسِطَ أَرْمِيَّةٌ، وَزَلَّالِي قَالِيَقَلَا، وَمَطَارُحُ مَيْسَانَ، وَحُصْرُ بَغْدَادِ^(١).

ومن خصائصها في المراكب، يقال : عَتَقَ الْبَادِيَّةُ، وَنَجَّابِ الْحِجَازِ، وَبَرَّادِينَ مَلْعَارِسْتَانَ، وَحَمِيرَ مِصْرَ، وَبَغَالَ بَرْذَعَةَ.

ومن خصائصها في الحيوانات ذوات السموم، يقال : أَفَاعَى مِجِسْتَانَ، وَحَيَّاتِ أَصْفَهَانَ، وَهَامِيْنَ مِصْرَ، وَعَقَارِبُ شَهْرُزُورَ، وَجَرَارَاتِ الْأَهْوَازِ، وَبَرَاغِيثِ أَرْمِيَّةِ، وَفَارِزْنَ، وَنَمَلِ مَيَّا فَارَقِينَ، وَذَبَابُ تَلِّ قَافَانَ، وَاقْدَاحِ نَدِ^(٢).

ومن خصائصها في الحلواء، يقال : سُكَّرَ الْأَهْوَازِ، وَعَسَلَ أَصْفَهَانَ، وَفَانِيزِ مَاكْسَانَ وَدُبُّسِ أَرْجَانَ^(٣).

- ١٠ (١) لعله مصحف عن "حصر عبادان" لأن المفريزي طالما يتكلم عن الحصر البديانية في مواضع كثيرة جداً من خطه. وكذلك السيوطي قال في لطائف مصر: «ربما من الحصر البدياني ومن سائر أصناف الحصر ما لا يوجد في غيرها». وقال المقدسي ص ١١٨ «أن أكثر أهل عبادان صنّاع الحصر من الخلفاء» وكانت هذه الحصر في غاية من الجمال حتى كان أهل مصر يقدونها كما رأيتهم عبارة السيوطي.
- (٢) مفردة "قدح" وقال في القاموس: «والقدح والقادح أكل يقع في الشجر والاسنان... والقادحة الدودة». وقال ابن البيطار في كلامه على "التريد" نوع من النبات مانسه: «والتريد إذا طال به الزمان حمل فيه القادح كما يميل في الخشب... تراه متعباً كأنه نقب برأس ابرة». ثم قال في بقية الكلام مانسه: «لا يجب أن يستعمل منه (أي التريد) إلا... السليم من الوس».
- (٣) هكذا في الأصل. وربما كان محرفاً عن "بلد" المدينة المشهورة في العراق.
- (٤) نكدا بالاصل وصوابه "مأسكان" وقد أوردتها ياقوت فقال «أنا بلد مشهور بالوأس المجاورة لمكران وراء مجستان» ثم قال «ولا يوجد الفانيز بغير مكاث إلا بهذا الموضع... والله ينسب الفانيز الماسكاني».

ومن خصائصها في الثمار ، يقال : رُطَب العراق ، وتَمَرَكِرَّمان ، وعُتَاب جُرْجان ، وإِجاص بُسْت ، وسَفَرَجَل نيسابور ، وتُفَاح الشام ، ومِشَمِش طوس ، وكُثْرَى تَهْلَوَيْد ، وأَثْرُج طبرستان ، ونَارَنَج البصرة ، وتِين حُلوان ، وعَنَب بَنداد ، وقَشْمِش هِراة ، وموز اليمن ، وجَوْز الهند ، وبَطِيخ خُوارزَم ، وباقِلَاء الكوفة .

ومن خصائصها في الرياحين ، يقال : تَرْجِس جُرْجان ، ووَرْد جُور ، وتَبْلُوفِر السَّيْرَوَان ، ومنثُور بَنداد ، وزَعْفَران قُم ، وشاهسَفرَم سمرقند .

ومن خصائصها في انطالق والأخلاق ، يقال : سُقْرة الروم ، وسَوَاد الزَنْج ، وعَلَقَط التُّرك ، وجَفَاء الحليل ، ودَمَامَة الصَّيْن ، وقَصْر يَاجُوج .

ومن خصائصها في الأمراض ، يقال : طَواعِين الشام ، وطِحَال البحرين ، ودَمَائِيل الجزيرة ، ومُحَى خَيْر ، وجُنُون حَمَص ، وعَرَق اليَمَن ، ووَبَاء مِصر ، وِرْسَام العراق ، والنَّارُ الفَاوسِيَّة ، وقُرُوح بَلَخ .

ومن خصائصها في الآثار العلوية ، يقال : شِتَاء أَرَمِينِيَّة ، ومَصِيف عُمان ، وصِواعِق تِيَاهِمَه ، وزَلَايِل دَبِيل .

❦

وقال الجاحظ في "كتاب الأمصار" : الصناعة بالبصرة ، والقَصَاحَة بالكوفة ، والتَّخْنِيت ببَنداد ، والطَّرْمَذَة بسمرقند ، والنَّيَّ بالرِّي ، والْجَفَاء بنيسابور ، والحُثْن بهِراة ، والمُروءَة ببَلَخ ، والبُخْل بمر ، والعجائب بِمِصر .

وحكى عن عمرو بن عامر مُزَنِيًّا ، أنه قال لقومه لما تحقق كون سِيلِ الرِّيم : من كَانَتْ ذَا شَاءٍ وَبَعِيرٌ وَجَلِيٌّ غَيْرُ شُرُود ، فَلْيَلْحَقْ بِالشَّعْبِ مِنْ كُوفَان ، فَلَحِقَتْ بِهِ

هَمْدَان ، وَمَنْ كَانَ ذَا سِيَامَةٍ وَصَبَرَ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ فَلْيَلْحَقْ بِيَطْنَ مَرَّةً ، فَلَحِقَتْ بِهِ
خُرَاعَةٌ . وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ الرِّاسِخَاتِ فِي الْوَحْلِ ، الْمُطْعِمَاتِ فِي الْحُلِّ ، فَلْيَلْحَقْ بِسَثْرِبِ
ذَاتِ النَّحْلِ ، فَلَحِقَتْ بِهَا بَنُو قَيْلَةٍ ، وَهَمُّ الْأَوْسِ وَالْخَزْجِ ؛ وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ الْجَمْرِ وَالْجَمِيرِ
وَالْأَمْرِ وَالْتَأْمِيرِ فَلْيَلْحَقْ بِبُصْرَى وَسَدِيرِ (وَهِيَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ) ، فَلَحِقَتْ بِهِ غَسَّانُ ؛
وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ الثِّيَابِ الرَّقَاقِ ، وَالْخِيُولِ الْعِتَاقِ ، وَالذَّهَبِ وَالْأَوْرَاقِ ، فَلْيَلْحَقْ
بِالْعِرَاقِ ، فَلَحِقَتْ بِهِ نَحْمٌ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

الباب الثالث

من القسم الخامس من الفن الأول

(في المباني القديمة)

والمباني القديمة كثيرة ، فلنذكر منها ما عظم خطره ، وشاع في الآفاق ذكره .

ذكر أول بناء وضع على وجه الأرض

قيل : أول ما بنى على وجه الأرض "الصَّرح" ويسمى "المجمل" بناه الثرود الأكبر
آبَنُ كُوشِ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ ، بِكُوشِ رَبِّى مِنْ أَرْضِ بَابِلَ . قيل : وبها إلى هذا العصر
من أثره كالجبال . وكان طوله في الهواء خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف
ذراع . وكان مبنيًا بالحجارة والرصاص والكلس والشمع واللَّبَانُ . بناه ليمنعه وقومه
من بأس الله عز وجل . وكان قد كفر وطني وادعى الألوهية ، فأرسل الله تعالى

إليه جبريل ، فضربه بخافقة جناحه فهدمه ، وهام من كان حوله على وجهه ، وقد تبلبلت ألسنتهم من الدَّحش والدُّعْر ، فكانت عنه هذه اللغات التي يتكلم بها سائر الأمم ، وهي آئنتان ومبعون لغةً ، وسميت تلك الأرض التي كان بها بابل .

ذكر خبر إرم ذات العماد

وهي التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَل رَبُّكَ يَعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ .

وكان سبب عمارتها أن شذاد بن عاد بن إرم لما سمع وصف الجنة سؤلته له نفسه أن يبني مثلها . فبنى مدينة بين حَضْرَمَوْت وصنعا ، طولها اثنا عشر فرسخا ، وعرضها مثل ذلك . وأحاط بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع ، غشاها بصفايح الفضة الموهجة بالذهب ، فلا يدركه البصر إذا أشرقت عليه الشمس . وبني داخلها مائة ألف قصر (بعدد رؤساء أهل مملكته) من الذهب والفضة ، وكذلك جدوع سُقُوفها وأعمدتها ، وأجرى في وسطها نهرا صَفَّح أرضه بالذهب ، وجعل على حافته أنواع الجواهر والياقوت بدلا من الحصاء وألقى فيه المسك والعنبر بدلا من الحمأة . وقزع منه جداول إلى تلك القصور والمنازل ، وغرس على سُطُوطها من الأشجار ما كان لزهره عَرَفَ طيِّبٌ ورائحةٌ ذِكَّةٌ .

زعموا أنه أقام في بنائها ثلاثمائة سنة ، فلما تم بناؤها ، زاد في طغيانه وخرج من حضرموت إليها ليسكنها . فلما أشرف عليها جاءته صبيحة من السماء فأهلكته هو وجنوده .

ويروى أن عبد الله بن قلابه خرج في طلب إبل له نذت فوقع عليها ، فحمل ما قدر عليه ، فبلغ معاوية خبره ، فاستحضره وسأله فقص عليه قصته . فبعث معاوية إلى كعب الأبحار ، فقال : هي إرم ذات العماد ، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك : أحمر قصير ، عل حاجبه خالٌّ ، وعلى عقبه خال ، يخرج في طلب إبل له نذت . ثم أكتفت فرأى ابن قلابه فقال : هذا والله ذاك الرجل .

وزعم الأخباريون أنه كان بها أربعائة ألف وأربعون ألف عمود ، ولهذا سميت ذات العماد . وقد ذهب قوم إلى أنها دمشق .

وسنذكر إن شاء الله تعالى خبر إرم ذات العماد بما هو أبسط من هذا عند ذكرنا لخبر شديد وشداد ، أبى عاد ، وهو في الباب الخامس من القسم الأول ، من القرن الخامس في التاريخ ، وذلك في السفر الحادي عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا فتأمله هناك . والله تعالى أعلم .

ذكر خبر سدد ياجوج وماجوج

هو في الإقليم السادس في آخر الجزء التاسع من تجزئة عشرة أجزاء .

قال صاحب كتاب "نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق" إن الواقع بالله لما رأى في المنام كأن السدد الذي بناه ذو القرنين مفتوح ، أحضر سلاوا ترجمان وقال له :

(١) أن ابن خرداذبة هو أول من روى خبر هذه البعثة العلية عن نفس رئيسها ثم استملاه منه من الكتاب

الذي كان كتبه في هذا المعنى للعلفة الرازي بالله (انظر المسالك والممالك طبع ليدن سنة ١٣٠٦ هـ -

سنة ١٨٨٩ م من صفحة ١٦٢ - ١٧٠) - وعن ابن خرداذبة نقل جميع المؤلفين الذين

جاءوا بعده مثل الإدريسي وأبن رسته وأبن الفقيه المصنفي والمقدمي . وقد نقل النويري عن

الإدريسي . وكلهم قد يزيد وينقص بعض الكلمات أو يبدلها بغيرها .

أذهب فانظر إلى هذا السد وجنني بحره وحاله وما هو عليه ، ثم أمر له بأصحاب يسرون معه ، عتدهم خمسون رجلا ، ووصله بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه دينه عشرة آلاف درهم ، وأمر أن يعطى كل واحد من أصحابه الخمسين ألف درهم ورزق سنة ، وأمر لهم بمائة بغل تحمل الماء والزاد . قال سلام الترجمان : فشخصنا من سائرا بكتاب الواثق إلى إسماعيل بن إسماعيل صاحب أرمينية بالنظر إلى تنفيذنا من هناك ؛ فكتب لنا كتابا إلى ملك البيرير وأفدنا إليه . فلما وردنا عليه ، أشخصنا إلى ملك الألان . فلما وصلنا إليه ، أشخصنا إلى صاحب فيلان شاه . فلما وردنا عليه [أرسلنا إلى ملك الخزر وهو] أختار لنا خمسة أدلاء يذلون على الطريق .

فسرنا من عنده سبعة وعشرين يوما في تخوم بلاد بسجرت إلى أن وصلنا إلى أرض سوداء طويلة ممتدة كربة الرائحة ، فشققناها في عشرة أيام . وكنا قد ترددنا لقطعها أشياء نשמعها خوفا من أذى روائحها الكريهة . ثم أنهصلنا عنها ، فسرنا مدة شهر في بلاد خراب قد درست ابنتها ولم يبق منها إلا رسوم يُستل بها عليها . فسألنا من معنا عن تلك المدن ، فأخبرونا أنها المدن التي كان ياجوج وماجوج يفتنونها ويغربونها . ثم سِرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في تسعة السد وذلك في ستة أيام . وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية . وهناك مدينة يدعى ملكها خاقان بن أدكش ، وأهلها مسامون لهم مساجد ومكاتب . فسألونا من أين أقبلنا ، فأخبرناهم أننا رُسل أمير المؤمنين الواثق بالله ، فحببوا منا ومن قولنا "أمير المؤمنين" ثم سألونا عن أمير المؤمنين : أشيخ هو أم شاب ؟ فقلنا : شاب ، فحببوا أيضا . ثم قالوا : وأين يكون ؟ قلنا : هو بالعراق بمدينة سمر من رأى . فحببوا أيضا

(١) في الأصل : "فيلاه شاه" . والتصويب عن ابن خردادبة .

- من ذلك ، وقالوا : ما سمعنا هذا قط . فسألناهم عن إسلامهم من أين وصلهم ومن علمه لهم ؟ فقالوا : وصل إلينا منذ أعوام كثيرة رجل راكب على ذابة طويلة العُنق طويلة اليدين والرجلين ، لها في موضع صلبها حذبة ، (قلنا أنهم يصفون الجمل) قالوا : فقل بنا وكلمنا بكلام فهمناه ، ثم علمنا شرائع الإسلام فقبلناها ، وعلمنا أيضا القرآن ومعانيه فعلمناه وحفظناه . قال سلام : ثم خرجنا بعد هذا إلى السد لنُبصره ، فسرنا عن المدينة نحواً من فرسخين ، فوصلنا السد . فإذا جبل مقطوع بوادي عرضه مائة وخمسون ذراعاً ، وله في وسط هذا الفناء باب من حديد طوله خمسون ذراعاً قد اكتشفه عضادتان ، عرض كل عضادة منهما خمسة وعشرون ذراعاً . والظاهر من تحتها عشرة أذرع خارج الباب . وكله مبنى بلبن الحديد مغيب بالنحاس . وارتفاع العضادتين خمسون ذراعاً ، وعلى أعلى العضادتين دروند حديد ، طوله مائة وعشرون ذراعاً . والدروند للعتبة العليا ، وقد ركب منها على كل واحدة من العضادتين مقدار عشرة أذرع . ومن فوق الدروند بنيان متصل بلبن الحديد المغيب بالنحاس إلى رأس الجبل ، وارتفاعه مذهب البصر . وفوقه شُرَافَات حديد ، في طرف كل شُرَافَة قرتان تتقي أطراف كل واحدة منهما على الأخرى ، ولللباب مصراعان مغلقتان ، عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في تحن خمسة أذرع ، وقامتاهما في دَوَّارة على قدر الدرود . وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غَلظ ذراع في الاستدارة ، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعاً . وفوق القفل خمسة أذرع غَلظ طوله أكثر من طول القفل ،

(١) هذه رواية ابن خرداذبة . وفي الأصل « قرنان متي الأطراف بعضها الى بعض » . ورواية

المقدسي : « قرنان يتقي كل واحد الى صاحبه » .

وعلى الفلق مفتاح طوله ذراع ونصف ، وله اثنتا عشرة دنداجة ، كل دنداجة منها
 كأغلظ ما يكون من دسائج الهواوين ، ^(١) مُعلّق كل واحد منها بسلسلة على قدر حلقة
 المنجنيق . وعتبة الباب السفلى عشرة أذرع بسط مائة ذراع سوى ماتحت المضادتين ،
 الظاهر منها خمسة أذرع . وكلها مكشّلة بالذراع السوادي . ورئيس ذلك الحصن يركب
 في كل جمعة مع عشرة فوارس ، مع كل فارس إرزة حديد ، كل إرزة نحسة أمتان .
 فيضرب القفل بتلك الإرزبات في كل يوم ثلاث مرات ليسمع من خلف الباب .
 فيعلم أنّ هناك حفظة ، وليعلم هؤلاء أن ياجوج وماجوج لم يمدثوا في الباب حدّثا .
 وإذا ضرب أصحاب الإرزبات القفل ، وضعوا أذانهم ليسمعوا ما وراء الباب ،
 فيسمعون من ورائه دويّاً يدلّ على أن خلفه بشرا . وبالقرب من هذا الموضع حصن
 يكون عشرة [فراخ] في عشرة [فراخ] . ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما
 مائتي ذراع في مائتي ذراع ، وبين هذين الحصنين عين ماء عذبة ، في أحد الحصنين آلة
 البناء التي يُبنى بها السد من قُدور الحديد ومغارف الحديد ، والقُدور فوق ديكانات^(٢)
 على كل ديكان أربع قُدور مثل قُدور الصابون ، وهناك أيضا بقايا من لبن الحديد



(١) هذه رواية الإدريسي . والقي في ابن خرداذبة "دندانكة" وهي كلمة فارسية معناها "سن"
 والمراد أسنان الفتح .

(٢) المستخرج كلمة فارسية معناها "يد الهاون" أي المِدَق الذي يَدَق به الأشياء في الهاون .

(٣) في ابن خرداذبة ما يفيد أن الفتح وحده هو الملقب في السلسلة وهذا نص روايته : « معلق
 في سلسلة ملحومة بالباب طولها ثمانى أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي فيها السلسلة مثل
 حلقة المنجنيق » وهي رواية منقولة أكثر مما ورد في المتن لأن الفتح فقط هو الذي يصح تطبيقه
 دون القفل والفلق .

(٤) كلمة فارسية يقابلها عند العرب "الأنافى" .

التي بُني بها السد وقد ألتصق بعضها ببعض من الصدا، وطول اللبنة ذراع ونصف
في ارتفاع شبر .

قال سلام الترمذاني : وقد سألتنا من خاطبناه من أهل تلك الجهات هل رأوا أحدا
من ياجوج وماجوج قط ، فأخبرونا أنهم رأوا منهم [مرة] عددا فوق شُرُفات الردم ،
فهبَّت عليهم ريح عاصفة ، فمرت منهم ثلاثة إلى ناحيتنا . وكان مقدار الرجل منهم
شبرين ونصفا .

قال سلام : فكتبت هذه الصفات كلها ، ثم آنصرفنا مع الأدلاء من تلك الحصون ،
فأخذوا بنا على ناحية نُرَاسان . فسرنا إلى مدينة بختان ، إلى عُريان ، إلى مدينة
برساخان ، إلى انطارار ، إلى سمرقند ، فوصلنا إلى عبد الله بن طاهر ، ثم وصلنا إلى
الري ، ثم رجعنا إلى سر من رأى بعد خروجنا عنها . فكان مغيبنا في سفرنا ثمانية
وعشرين شهرا .

قال : فهذا جميع ما حدث به سلام .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره : إن ارتفاع السد
مائتا ذراع وخمسون ذراعا . قال : وروى في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ ،
وفي عرضه خمسون ذراعا . نقله عن وهب بن منبه .

وسند ذكر إن شاء الله تعالى من أخبار السد وكيفية بنائه وطوله وعرضه ، وغير
ذلك مما هو متعلق به عند ذكرنا لأخبار ذى القرنين . فتأمله هناك ، وهو في الباب

(١) في أين نردأه : «هبّت ريح سوداء فألقتهم إلى جانبيه» أي إلى الجهة التي ظهر منها أركلك
الناس ، وهو المقول ، لأنه عقب بأن طول الرجل كان شبرين ونصفا ، ومعنى ذلك في رأى العين
من هذا الطول فتنه .

الأول من القسم الرابع من الفن الخامس في التاريخ، وهو في السفر الثاني عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا .

ذكر مبانى القُرس المشهورة

ومبانى القُرس كثيرة : قديمة وحديثة .

فمن قديمها "سَدُّ اللَّيْلِ" . بناء قُبَاذ بن فيروز ، وقيل إن الذى بناه أبوه كسرى
أبن قُبَاذ بن فيروز . كذا ورد في التاريخ .

وهذا السد من أرض شَرَوَانَ إلى بلاد الأَلان ، وبينهما مائة فرسخ ، بين شعاب
جبل القَبْقُ . وهو جبل عظيم قد أشتمل على اثنتين وسبعين أمة ، لكل أمة لسان
وملك ، لا يعرف بعضهم بعضا لكثرة غياضه وأشجاره ؛ وفيه عيون وأنهار ؛ وتقدير
مسافته طولا وعرضا نحو شهرين .

ومبدأ السور من جوف بحر الخَزَر على مقدار مسافة ميل ماثرا إلى البرء ، ثم يمر إلى
أن يتصل بقلعة طبرشروان ، وهو مبنى بالصخر والحديد والرصاص . بناه على زِقَاقِ
البحر المنفوخة ، فكان كلما أرتفع البناء نزلت تلك الزِقَاقُ إلى أن استقرت في قعر البحر ،
فغاصت الرجال بالخناجر فشقوقها فتمكن البناء . وجعل بين كل ثلاثة أميال من السور
وأقل وأكثر بابا من الحديد على حسب الطريق التي تجعل من أجله ، وبني عليه
حصنا وأسكن فيه مَنْ يحفظ ذلك الباب ويحرمه .

وزعم المؤرخون أن سبب بنائه لهذا السور أن الخَزَر كانت تُغير على بلد فارس
إلى أن تبلغ هَمَذَانَ والموصل ، فجزهم بهذا السور .

ومن مباني الفرس إيوان كسرى

زعم المسعودى أن سابور ذا الأكتاف بناء في نيف وعشرين سنة، وطوله مائة ذراع في عرض خمسين ذراعا في ارتفاع مائة ذراع، وطول كل شُرْفَةٍ منه خمسة عشر ذراعا.

- ولما ملك المسلمون المدائن، أحرق ستر هذا الإيوان فأخرجوا منه مائة ألف دينار ذهباً.

- ولما بنى المنصور بغداد، أحب أن يتقضه وينبها به، فاستشار خالد بن برمك في ذلك فنهاه، وقال: "هو آية للإسلام، ومن رآه علم أن الذى بناه لا يُزِيل ملكه إلا نَجَى والمؤونة على تقضه أكثر من الارتفاق به". فقال له: "أبيت إلا ميلا إلى العجم" فهدمت منه ثلثة. فبلغت النفقة عليها مالا كثيرا، فأمسك المنصور عن هدمه، فقال له خالد: "أنا الآن، يا أمير المؤمنين، أشير بهدمه لئلا يتحدث الناس بعجزك عن هدم ما بناه غيرك" فلم يفعل.

- وحكى مثل هذه القصة أنها وقعت ليجى بن خالد مع الرشيد، وهو إذ ذاك في اعتقاله. وكان الرشيد بلغه أن تحته كنزا فأراد هدمه واستشار يجى فأشار عليه بمثل هذا.

ومن عجيب ما يحكى من تقلب الأحوال أن بعض شُرَفاته هُدمت وجُعِلت في أساس سور بغداد.

وقال ابن الأثير في تاريخه إن الإيوان باقٍ إلى الآن. (وكان يوم ذاك في سنة خمس وعشرين وستمائة)، والله أعلم.

ومن المباني القديمة الحضر

وكان حصنا حصينا مبنياً بالرّخام، يسكنه ملوك الضّيّا زن . وهو بين دجلة والفرات ،
بجبال تكريت .

ويقال إن بانيه الساطرون . وذكّر أنّ قصر ملكه قائم إلى وقتنا هذا في وسط
المدينة ، وفي وسطه هيكلاً مربعاً مبنياً بالصخر ، وفيه صور دقيقة المعاني .

حكى أن سابور الجنود حاصره أربع سنين فلم يقدر عليه . واتفق أن بنت ملكه
وهي النضرة^(١) بنت الضّيزن حاضت ، فأخرجت من القصر إلى ربضه لأجل ذلك .

فراّت سابور ، وكان جميل الصورة ، فمشقته . فارسلت إليه تقول : إن ملكك الحصن
فما يجعل لي ؟ قال : حاكمك . قالت : تتزوج بي . فأجابها إلى ذلك ، فقالت له : خذ

حماة ورفاء مطوّقة ، فأخضب رجلها بدم حيض جارية بكر زرقاء ، وأرسلها . فلما تقع
على سور البلد فيقع لوقتته . وكان ذلك حلّ طليسم له . ففعل ذلك ، فوقع السور

ودخل سابور الحصن وقتل ملكه وأصحابه وأصطفى ابنته لنفسه . فلما كانت ليلة
دخولها عليه ، لم تزل تتململة قلقة طول ليلتها ، فالتمس سابور ما الذي قلقت من أجله ،

فاذا ورقة آيس قد لصقت بمكنة من عنكبها ، فقال لها : ما كان أبوك يقدوك ؟
فقال : الرّبد والمخ وشهد أبقار النحل والخمر ، فقال لها : أنا أحق منك بشار

أبيك ، ثم أمر رجلا أن يركب فوسا بجوحا وأن يربط غدائرها في ذنبه ويركض به .
ففعل ذلك ، فتقطعت .

(١) في الفهرست : " النضرة " .

وهذا الحصن قد اختلف في موضعه ، ف قيل : بحيال تكريت بين دجلة والفرات .
وقيل : بالجزيرة . ويقال إنه كان حاجزا بين الروم والفرس ، وملكته الزباء بنت
مليح^(١) وأسمها فارعة .

وفيه يقول عدى بن زيد العبادي من قصيدة :

- وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دج^١ شلة^٢ تُجني إليه والخابور .
شاده مرمرا وكلله كلسا فللطير في ذراه وكور .
لم يبه ريب المنون فباد الشملك عنه فبأبه مهجور .

ومن المباني القديمة القليس

- وهي كنيسة كانت باليمن بناها أبرهة بن الصباح ، ملك اليمن بصنعاء ، ونقل إليها الرخام
المجزع والملون ، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس . وكان أراد أن يرفع
بناها حتى يشرف منها على بحر عدن . فلما أهلكه الله تعالى وفزع ملكه ، أقصر
ما حول هذه الكنيسة ، وكثرت حولها السباع والخسرات . وبقيت إلى زمن
السفاح فذكر له أمرها ، فبعث إليها من تحريها وأخذ ما كان فيها . حكى ذلك
السهيلى فى "الروض الأتف" .

- ١٥ وحكى أن كيفية بناء هذه الكنيسة أنه كان لها باب من نحاس طوله عشرة
أذرع وعرضه أربعة أذرع ، يدخل منه إلى بيت طوله ثمانون ذراعا وعرضه
أربعون ذراعا ، مسقف بالساج المنقوش ، مسمر بمسامير الذهب والفضة . ثم يدخل
من البيت إلى إيوان معقود طوله أربعون ذراعا ، عن يمينه ويساره عقود مزخرفة .

(١) كذا فى الأصل "بنت فرج" . وذكر فى تاج العروس فى مادة زبيب أنها بنت عمرو بن الطرب
وأن اسمها باعة أو ميسون أو نائلة - ففنيه .

ثم يُدخِل من الإيوان إلى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، جذرها موهة بالذهب والفضة. وفي صدر القبة منبر من الآبنوس المصَّع بالعاج، المصَّع بالذهب والفضة. ولما تم بناؤها، خرج رجلٌ من بني كنانة فقعدها ليلاً (أى أحدث) . فاعضب أربة ذلك، خلف ليهدم الكعبة، فخرج بجيش كثيف من الحبشة، فكان من أمره ما قصه الله تعالى في كتابه العزيز في سورة النمل : ﴿ وَمَكَّرْنَا مَكَرًا وَمَكَّرْنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَادِمْرَانَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَبَلَكَ بَيوتَهُمْ خَاوِيَةً مِمَّا ظَنُّوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .
وَدُكِرَ أَنَّ الَّذِي نَحَرَهَا الْعَبَّاسُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيُّ، عَامِلُ الْمَنْصُورِ عَلَى الْيَمَنِ .

ومن المباني المشهورة قنطرة صَنْجَة

وهي من مباني الروم على نهر عظيم يسمى بهذا الاسم. يصبُّ في الفرات، لا يمكن خوضه : لأن قراره رمل سائل مقي وطئه الإنسان برجله سال . وهو ما بين حصن منصور وكيسوم من ديار بكر .

وهذه القنطرة طاقٌ واحد، ما بين جذرائها مائة خطوة . وهي مبنية بحجارة مهتمة، طول الحجر منها عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أذرع .

ومن المباني القديمة ملعبا بعلبك

وهما كبير وصغير .

فالكبير، يُحكى أنه من بناء سُليمان بن داود عليهما السلام . وهو مبنى على عمد شاهقة . وحجارته منها ما هو عشرة أذرع وأكثر .

والمَلْعَب الصغير تهتم أكثره، ويبقى منه حائط طوله عشرون ذراعاً وارتفاعه كذلك .
ليس فيه إلا سبعة أحجار : واحد من أسفله ، وحجران فوقه ، وأربعة أحجار فوقهما .
ويقال إنه البيت الذى كان فيه الصنم الذى كان يدعى "بعلا" .

ذكر مباني العرب المشهورة

- وهى عُثْدَان، وحِصْن تَيْمًا، والخَوْرَيْق، والسِّدِير، والغَرِيَان .
قال الجاحظ : أحببت العرب أن تشارك الفرس فى البناء وتنفرد بالشعر، فبنوا :
عُثْدَان، وكعبة تَجْرَان، وحِصْن مَارِد، والأَبْلَق الفرد .

فأما عُثْدَان

- فكان بصنماء . زعم بعض المؤرخين أن بانيه حام بن نوح . وزعم آخرون أن
بيوراسب بناء على أسم الزهرة .
وقال ابن هشام إن الذى أسسه يعزب بن حِطْطَان ، وأكله بعده وائل بن حِمْيَر
ابن سبيل بن يعرب . ونزبه عثمان بن عَفَّان، رضى الله عنه .
وقيل فى صفته إنه كان مُرَبَّعًا ، أحد أركانه مبنى بالرخام الأبيض ، والثانى
بالرخام الأصفر، والثالث بالرخام الأخضر، والرابع بالرخام الأحمر . وفيه سبعة سُقُوف
طَبَاقًا، ما بين السُّقُوف والآخر نحسون ذراعًا . وعلى كل ركن تَمَثُّلُ أسد من نحاس ،
إذا هبَّت الريح دخلت من دُبُرِهِ ونرجحت من فيه ، فيسمع لها صوت كثرير الأسد .
وقال ابن الكلبي : كان على كل ركن من أركان عُثْدَان مكتوب "أسلم عُثْدَانُ،
مُعَادِيكُ مَقْتُولٌ بِسَيْفِ الْعُدُونِ" .

ويقال : إن سليمان بن داود عليهما السلام أمر الشياطين أن يبنوا ليلقيس أربعة قصور : عُمدان ، وصُروح ، وبيتين ، وسَلَمِين . وكلُّها باليمن .
ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : لا يستقيم أمر العرب ما دام فيها عُمدانها . وهذا القول هو الذي حصَّ عثمان على هدمه .
ويقال إن آثاره باقية إلى عصرنا هذا ، وإنه تَلَّ عالٍ مَطْلٌ على صنعاء .

وأما حصن تيماء

فهو الأَبْلَقُ القَرْدُ . سُمِّيَ بالأَبْلَقِ الفرد لأنه كان مبنيًا بحجارة مختلفة الألوان وهو بارض تيماء .

بناه السَّمُوعِلُ بن عاديا اليهودي . ويقال إنه من بناء سليمان بن داود عليه السلام .
وبه تضرب العربُ المَثَلُ في المَنَّةِ والحَصَانَةِ . وفيه يقول الشاعر :

طَلَبَ الأَبْلَقُ العَقُوقَ فَلَمَّا ۝ لَمْ يَنْجُ فَرَامَ بَيْعُ الأَنُوقِ .

وقصدت الزَّيَّاءُ هذا الحصن وحِصْنَ مَارِدٍ فلم تقدر عليهما . فقالت : "تمزّد مَارِدٌ وعَزَّ الأَبْلَقُ" .

ومارِدُ حصن كان بدومة الجندل . مَنَى بِحِجَابَةٍ سود . ويقال إنه أيضا من بناء السَّمُوعِلِ بن عاديا اليهودي .

وأما الخورنق والسدير

فكان الخورنق على ثلاثة أميال من الحيرة . والسدير في بَرِيَّةٍ بالقرب منها .
بنهما النعمان بن أمريّ القيس ، وهو النعمان الأكبر . ويقال في سبب بناءه لهما :
نَزَّ جُرْدُ بن سابور كان لا يَمِيشُ له ولد . فسأل عن مكان صحيح الهواء . فذكر له

ظَهَرُ الحيرة . فدفع أبْنَه بهَرَامَ جُورٍ إلى النعمان وأمره ببناء الخورنق . فبناه على نهر
مستَدَادٍ في عشرين سنة . بناه له رجل يسمَّى سِنِمَار .

فلما فرغ من بنائه ، عَجِبَ النُّعْمَانُ من حسن بنائه وإتقانه ، فأمر أن يلقى سِنِمَار
من أعلاه حتَّى لا يَبْنِي مثله لأحد . ويقال إنه إنما فعل ذلك به لأنه لما أعجبه ،
شَكَرَهُ على عمله ووَصَلَهُ . فقال : لو علمتُ أن الملك يحسن إلى هذا الإحسان ،
لبنيتُ له بناءً يَدُورُ مع الشمس كيفما دارت ، فقال له النعمان : وإنيك لتقدِّر على
أن تبني أفضل منه ، ولم تبته ؟ فأمر به ؛ فطُرح من أعلاه .
وقيل : بل قال : أنا أعرف فيه حجرا متى أخذ من موضعه ، تداعى البناء . فخاف
النعمان إن هو لم يُنصِفْه في أجرته فعل ذلك ، فقتله .

والعرب تضرب المثل بفعل النعمان مع سِنِمَار في المكافأة على الفعل الحسن بالقبيح ،
فيقال : جازاه مُجَازَاة سِنِمَار .

وفيه يقول بعض الشعراء :

جَزَايَ جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ * جَزَاءَ سِنِمَارٍ ، وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ .

سوى رفضه البُيَّانَ عَشْرِينَ حِجَّةً * يُعَلِّى عَلَيْهِ الْقِرَامِيدَ وَالسُّكْبَ .

والخورنق تعريب خورنقاء^(١) ، وهو الموضع الذي يؤكل فيه ويشرب . والسِّدِير

تعريب سادل أى قُبَّة في ثلاث قِيَاب متداخلة .

وفي هذه الأبيّة يقول الأسود ابن يَمْرُ :

مَاذَا أَوْمَلْتُ بَعْدَ آلِ حُسْرَيٍّ * تَرَكُّوْا مَنَازِلَهُمْ ، وَبَعْدَ إِيَادِ؟

أَهْلُ الْخَوْرَنْقِ وَالسِّدِيرِ وَبَارِقِ * وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ مَسَدَادِ .

(١) والأصح خنقاء . (من هاشم الأمل) .

وقال عدى بن زيد العبادي :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْحَوَازِقِ إِذْ أَشْشَرَفَ يَوْمًا ، وَلِلْهَدْيِ تَفَكِيرُ .
سَرَّهُ مُلْكُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَحْتَوِيهِ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدُ .
فَارْعَوَى قَلْبُهُ ، فَقَالَ : فَاغْبِطْهُ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ .

وأما الغريَّانِ

فهما أسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة .

بناهما النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، على جارييتين كانتا قيتين تفنيان بين يديه .

فأثرا ، فأمر بدفنهما وبني عليهما الغريَّين .

ويقال إن المنذر غزا الحارث بن أبي شيمر النسائي ، وكان بينهما وقعة على عين

أُبَاغ ، وهي من أيام العرب المشهورة . فقتل للحارث ولدان ، وقُتل المنذر وأُنهزمت

جيشه . فأخذ الحارث ولديَّه وجعلهما عذلين على بعير ، وجعل المنذر فوقهما ،

وقال : " ما العلاوة بدون العذلين ! " فذهبت مثلاً . ثم رحل إلى الحيرة فأتى بها وحرَّقها

ودفن آبنه بها ، وبني الغريَّين عليهما . حكاه ابن الأثير في تاريخه " الكامل " .

وأمر المنصور بهدم أحدهما ، لكثرة توهم أنه تحتها . فلم يجد شيئاً .

وقيل في سبب بنائهما غير ذلك . والله أعلم .

ذكر الأبنية القديمة التي بالديار المصرية

وهي الأهرام ، وحائط العُجُوز ، وملعب أفضنا ، ومدينة عين شمس ، والبرابي ،

وحجَّة اللازورد ، ومنارة الإسكندرية ، ورُواق الإسكندرانيين .

فاما الأهرام

التي بأرض مصر فهي كثيرة . وأعظمها الهرمان اللذان بالجيزة غربي مصر .
وقد اختلف في بانيهما .

فقال قوم : بانيهما سُورِيد بن سَهْلُوق بن سِرناق . بناهما قبل الطوفان لرؤيا
رأىها ، فقَصَّها على الكهنة ، فنظروا فيما تدل عليه الكواكب النيرة من أحداث تحدث
في العالم ، فأقاموا مراكزها في وقت المضاللة . فدلَّت على أنها غائِلة من السماء تحيط
بوجه الأرض . فأمر حينئذ ببناء البرابي والأهرام ، وصوِّر فيها صُور الكواكب
ودرجها وما لها من الأعمال وأسرار الطبايع والنواميس وعمل الصنعة .

ويقال إن هَرَمس المثلث بالحكمة (وهو الذي يسميه العبرانيون أَخْنُغ ، وهو
إدريس عليه السلام) استدلَّ من أحوال الكواكب على كَوْن الطوفان . فأمر ببناء
الأهرام وإبداعها الأموال ومخائف العلوم وما يُخاف عليه الزهَّاب والدُّثور .

وكل هَرَم منها مربع القاعدة ، مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع
وسبعة عشر ذراعا ، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع ، كل ضلع منها
أربعمائة ذراع وستون ذراعا ، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع
في مثلها .

ويقال إنه كان عليه حجر شبه المِكَّة فرمته الرياح العواصف .

وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعة وإتقان الهندسة وحسن التقدير بحيث إنه
لم يتأثر إلى يومنا هذا بعصف الرياح وهطل الأمطار وزَعَزَعَة الزلازل ، وطولُ
الحجر منه خمسة أذرع في ستمك ذراعين .

ويقال إن بانيهما جعل لهما أبوابا على أزواج مبنية بالحجارة في الأرض ، طول كل أزج منها عشرون ذراعا . وكل باب من حجر واحد يدور بلولب ، إذا أطبق لم يعلم أحد أنه باب . فأزج الشرق منها في ناحية الجنوب ، وأزج الغرب في ناحية الغرب . يَدْخُل من كل باب منها إلى سبعة بيوت ، كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة ؛ وكلها مُقَفَّلَةٌ بأقفال . وحذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجوف ، إحدى يديه على فيه ، وفي جبهته كتابه بالمُسند إذا قرئت أفتتح فوه فتوجد فيه مفاتيح ذلك القفل فيفتح بها .

والقبط يزعمون أنها والمهرم الصغير الملقون قبور : فالهرم الشرق في سور يد الملك ، وفي الهرم الغرب أخوه هوجيت ^(١) .

والصابئة تزعم أن أحدها قبر أغاثديمون ، والآخر قبر هرمس ، والملون قبر صاب ابن هرمس ؛ وإليه تنسب الصابئة على قول من زعم ذلك منهم ؛ وهم ينجحون إليها ويذبحون عندها الديكة والعجول السود ، ويحجرون بدخن ؛ يزعمون أنهم يعرفون عند اضطراب ما يذبحون حالة الذبح ما يربذن عمله من الأمور الطبيعية .

وقصرت هم الملوك والخلفاء عن معرفة ما في هذين الهرمين ، إلى أن ولي عبد الله المأمون الخلافة وورد مصر ، أمر بفتح واحد منها . ففتح بعد عناء طويل ، وآتق لسعادته أنه وقع الثقب على مكان يسلك منه إلى الغرض المطلوب ، وهو زلاقة ضيقة من الحجر الصوان الماتع الذي لا يعمل فيه الحديد ، بين حاجزين ملتصقين بالحائط قد نُقِر في الزلاقة حُفَر ، يتسك السالك بتلك الحفرة ، ويستعين بها

(١) كذا بالأصل وكذلك في خط المقرئ . وفي ياقوت "هوجيب" .

على المشي في الزلافة لثلاثين ، وأسفل الزلافة بر عظيمة بعيدة القمر . ويقال
إن أسفل البئر أبواب يدخل منها إلى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع ومخائب .
وأنتهت بهم الزلافة إلى موضع مربع في وسطه حوض من حجر صلد مغلى . فلبس
كشيف عنه غطاءه ، لم يوجد فيه إلا رمة بالية . فأمر المأمون بالكف عما سواه .
وهذا الموضع يدخله الناس إلى وقتنا هذا .

(١٣٥)

وسند ذكر إن شاء الله تعالى خبر الأهرام عند ذكرنا لأخبار ملوك مصر الذين
كانوا قبل الطوفان وبعده ، وذلك في الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الخامس ،
وهو في السفر الثاني عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا فتأمله هناك .
وقال بعض أهل النظر ، وقد عاين الأهرام : "كل بناء يخاف عليه من الدهر ،
إلا هذا البناء فإنه أخاف على الدهر منه" .

١٠

ونظم عمارة اليمنى هذا القول ، فقال :
خَلِيلِي ، مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَيْتَةٌ * ثَمَائِلُ فِي إِنْقَانِهَا هَرَمِي مِصْرُ !
بِنَاءٌ يَخَافُ الدَّهْرُ مِنْهُ ، وَكُلُّ مَا * عَلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا يَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ !
تَتَرَهُ طَسْرَفِي فِي بَدِيعِ بَنَائِهَا ، * وَلَمْ يَتَرَهُ فِي الْمُرَادِ بِهَا فَكْرِي .

وقال بعض الشعراء :

١٥

حَسَرْتُ عَقُولَ ذَوِي النَّهْيِ الْأَهْرَامُ ، * وَأَسْتَصَغِرْتُ لِعَظِيمِهَا الْأَعْلَامُ .
مُسَّ مَنِيَّةُ الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ ، * قَصُرَتْ لِمَالِ دُونِهَا سِهَامُ !
لَمْ أَدْرِ حِينَ كَبَا التَّفَكُّرُ دُونَهَا * وَأَسْتَهَمْتُ لَعَجِبِهَا الْإِوهَامُ ،
أَقْبُرُ أَمْلَاكِ الْأَعْلَامِ هُنَّ ، أَمْ * طَلَّمْتُ رَمَلِي هُنَّ ، أَمْ أَعْلَامُ ؟

وقال أبو الطيب المتنبي :

أَيْنَ الَّذِي الْحَرَمَانُ مِنْ بَنِيهِ ؟ : مَا قَوْمُهُ ؟ مَا يَوْمُهُ ؟ مَا الْمَصْرَعُ ؟
تَخْلَفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا * حِينَئِذٍ - وَيَذُرُّهَا الْفَنَاءُ فَتَبَعُ .

وقال أمية بن عبد العزيز الأندلسي :

بِمَيْشِكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا * عَلَى طُولِ مَا عَاطَيْتَ مِنْ هَرَمَى بِصُفْرٍ
أَنَاقًا بَاعْتَابَ السَّمَاءَ وَأَشْرَفَا * عَلَى الْخَوِ إِشْرَافَ النَّيَاكِ أَوْ النَّسْرِ .
وَقَدْ وَافَقَا نَشْرًا مِنَ الْأَرْضِ عَالِيَا * كَأَنَّهُمَا تَدْيَانٍ قَامَا عَلَى صَدْرِ .

وقال آخر :

أُنْظِرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ إِذْ بَرَزَا * لِلْعَيْنِ فِي غُلُوٍّ وَفِي صَعْدٍ :
وَكَاثِمَا الْأَرْضُ الْمَرِيضَةُ إِذْ * ظَلِمَتْ لِقَرْطِ الْحَرِّ وَالْوَمَدِ .
حَسَرْتُ عَنْ التَّدْيِينِ بَارِزَةً * تَدْعُو إِلَهًا لِنُسْرِقَةِ الْوَلَدِ .
فَاجَابَهَا : لَيْسَ ! بُوَسْمَهَا * رِيًّا وَبُشْفِيهَا مِنْ الْكَدِ .

وقال ابن الساعاتي :

وَمِنَ الْعَجَائِبِ ، وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ * دَقَّتْ عَنِ الْإِنْكَارِ وَالْإِنْشَابِ .
هَرَمَانٌ قَدْ هَرِمَ الزَّمَانُ وَأَدْبَرَتْ * أَيَّامُهُ ، وَتَزِيدُ حُسْنَ شَبَابِ .
لَهُ ! أَىْ بَنِيَّةٍ أَرْيَلِيَّةٍ * تَبْنِي السَّمَاءَ بِأَطْوَلِ الْأَسْبَابِ ؟
وَلَرُبَّمَا وَقَفَتْ وَقُوفٌ تَبْلُغُ * أَسْفَاقًا عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَحْقَابِ .
كَمَحَّتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ فَهَلْ خَطَابُهَا * وَغَدَتْ تُشِيرُ بِهِ إِلَى الْأَلْبَابِ .

وقال سيف الدين بن جُبارة :

لله! أي غريبة وعجيبة * في صَنعة الأهرام للألّباب؟
أخفت عن الأسماع قصبة أهلها، * ونصت عن الإبداع كلّ نقاب.
فكأنما هي كالجليام مُقامة * من غير ما عميد ولا أطناب.

- ومن رسالة اضياء الدين بن الأثير الجزري في ذكر مصر ووصف الأهرام، جاء منها:
- بلدٌ أشهدُ بفضلِهِ على البلاد، ووجدتهُ هو المصّر وما عداهُ فهو السّواد . فما رآه رايَ
إلا ملاً عَيْته وصدّره، ولا وصفه واصل إلا علم أنه لم يقدره قدره . وبه عجائبُ
من الآثار، لا يضبطها العيان ولا الإخبار . فمن ذلك الهرمان، اللذان هَرِمَ النهرُ
وهما لا يهرمان؛ قد اختص كل منهما بعظم البناء وسعة الفناء؛ وبلغ من الارتفاع
غاية لا يبلغها الطير على بُعد تحليقه، ولا يدركها الطّرف على مدّة تحديقته؛ فإذا أُضرم
برأسه قَبَسٌ ظنّه المتأمل نَجْمًا، وإذا استدارت عليه قوسُ السماء كان لها سَهْمًا .
- وبالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان، تسميه العاقّة "أبوالهول" لعظمه .
- والقبط يزعمون أنه يطلّس للرمل الذي هناك، لئلا يغلب على أرض الحيزة .

(١١)

وأما حائط المعجوز

- والمعجوز هي دَلوكا ملكة مصر .
- وهذا الحائط من العريش (وهو حدّ مصر من جهة الشام) إلى أسوان (وهي حدّ
مصر من جهة النوبة)، شاملا للديار المصرية من الجانب الشرق .
- وزعمت القبط أن سبب بنائها أن الله عز وجل لما أغرق فرعون وقومه ،
خافت دَلوكا على مصر أن يطعم الملوك فيها . فبنته ، وزوجت النساء بالعبيد حتّى
يكثر النسل والنزدة .

وقيل في سبب بنائه : إن دُلُوكا ولدت ولدا فأخنت لمولده رسدا ، فرأت أن التماسح يقتله ، فبنت هذا الحائط وقاية له من التماسح . فلما شب الغلام رأى في مولده ذلك ، فأحب أن يراه . فصوّره من خشب . فلما رآه ، هاله منظره وأستولى على نفسه الوهم والفرع ، فأت^(١) .

وأما ملعب أنصنا

فإنه كان مقياسا للنيل .

ويقال : إنه من بناء دُلُوكا . وكان بناؤه كالطيلسان ، وعليه أعمدة بعدد أيام السنة من الصّوّان الأحمر الماسح ، بين العمود والعمود خطوة . وكان النيل يدخل إليه من قُوعة فيه عند زيادة النيل . فاذا بلغ الحد الذي يحصل به الرّى ، جلس الملك في مُشترَف له ، ويصعد قوم إلى رؤوس الأعمدة فيتمادون عليها ما بين ذاهب وآت . فمن زلّت به قدمه منهم ، سقط إلى البركة .

وأما مدينة عين شمس

فهى من المباني التى دَرَسَتْ .

وكانت مصرَ فرعون موسى ، ومنها خرج يحنوده في طلب موسى وبنى إسرائيل ؛ وكانت عتبتهم ستمائة ألف ، ليس فيهم ابن عشرين سنة ولا ابن ستين سنة . وأسقل فرعون هذا العدد وقال كما أخبر الله تعالى عنه : (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) . وكان بها هيكل الشمس تغرب .

(١) لم يرض ابن فضل الله بذكر هذه الخرافة في كتابه . وقد وصف لنا جزءا من هذا السور (انظر مسالك

والقرس تزعم أن هرميك بناها .

و يقال : إنه كان قد بقي منها عمودان من حجر صلد ، فلكأت طول كل عمود منهما أربعة وثمانون ذراعا ، على رأس كل عمود صورة إنسان على دابة ، وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس . فإذا كان (الليل) ، قطر من رأس كل واحد منهما ماء لا يتجاوز نصف العمود الذي هو مركب عليه . والموضع الذي يصل إليه الماء لا يزال أخضر رطبا .

وقد وقع العمودان بعد الخمسين وستائة .

وأما البرابي

وهي بيوت حكمة القبط . و يقال : إنه كان لكل كورة من كور مصر ربادة ، يجلس فيها كاهن على كرسي من ذهب .

ومن أعجب البرابي وأعظمها (ربادة إنعيم) . وهي مبنية بحجر المرمر ، طول كل حجر خمسة أذرع في تمام ذراعين . وهي سبعة دهااليز - سقفها حجارة - طول كل حجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع ، مدهونة بالأزورد وسائر الاصباغ ، يخالها الناظر إليها كأنما فرغ الدهان منها . يقال إن كل دهليز منها على أسم كوكب من الكواكب السبعة . وجدران هذه الدهاليز مقوشة بصور مختلفة الهيئات والمقادير ، يقال إنها رموز على علوم القبط ، وهي : الكيمياء ، والسيمياء ، والطلسمات ، والطب ، وأدعوها هذه الصور .

و يقال إن ذا النون المصري العابد فك منها علم الكيمياء .

وأما حنية اللازورد

وهي بأرض منف، ومنف هذه هي التي تسمى مصر القديمة .
يقال إن عقد الحنية أحسن من عقد فطرة صنجة التي تقدم ذكرها. والحنية معقودة من حجارة مهندمة ، طول كل حجر منها أكثر من خمسة عشر ذراعاً . وفيها نقوش وكتابة وطلسمات موهبة باللازورد . وهي من الشرق إلى الغرب ، وفي صدرها فضاء فيه بناء مرتفع ، عليه بلاطة من الصوان الأسود ، مكتوب فيها بالقلم البرهاوي ثلاثون سطرا . يقال إنه قبر الذي بنى الحنية ، وأنه ديساره : ملك كان بمصر ، حكيم .

وللقبط عيد يسمى ديساره : وهو عيد هذا الملك ، ويسمى عيد العنب .

وأما منارة الإسكندرية

فهى مبينة بحجارة مهندمة مضببة بالرصاص ، على فئاطر من زجاج ، والقناطر على ظهر سرتان من نحاس . وفيها نحو ثلثائة بيت بعضها فوق بعض ، تصعد الدابة بحملها إلى سائر البيوت من داخلها . وللبوت طاقات ينظر منها إلى البحر .
ويعين أهل التاريخ خلافاً فيمن بناها .

فزعم بعضهم أنها من بناء الإسكندر بن فيلبس المقدوني . وزعم آخرون أنها من بناء دكوكا ، ملكة مصر ، ويقال إن على جانبها الشرق كتابة ، وإنها نقلت إلى اللسان العربى فوجدت " بنيت هذه القنطرة فرتنا بنت مريتوس اليونانية لرصد الكواكب " .

ويقال : إن طولها كان ألف ذراع .

وكان في أعلاها تماثيل من نحاس .

منها تمثال قد أشار بسبابته اليمنى نحو الشمس : أيما كانت من الفلك ، يدور معها حيثما دارت .

ومنها تمثال وجهه في البحر متى صار العدو منهم على نحو من ليلة ، سُمِعَ له صوت هائل يُعلم به أهل المدينة طُروقَ العدو .

ومنها تمثال كلما مضى من الليل سلعة ، صَوَّتَ صوتا مطريا .

ويقال : إنه كان بأعلاها امرأة تُرى منها قُسْطَنْطِينِيَّة ، وبينهما عرض البحر . وكلما

جهز الروم جيشا رَوَى في المرأة .

١٠ وحكى المسعودي في "مروج الذهب" أن هذه المنارة كانت في وسط الإسكندرية ، وأنها تعد من بناء العالم العجيب ، بناها بعض البطالسة من ملوك اليونان يقال له الإسكندر ، لما كان بينهم وبين الروم من الحروب في البر والبحر . فجعلوا هذه المنارة مَرَقَبًا ، وجعلوا في أعلاها امرأة من الأحجار المُشَفَّعة ، تشاهد فيها مراكب البحر إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها .

١٥ ولم تزل كذلك إلى أن ملكها المسلمون ، فأحتال ملك الروم على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ أحد خواصه ومعه جماعة إلى بعض ثغور الشام على أنه راغب في الإسلام . فوصل إلى الوليد وأظهر الإسلام ، وأخرج كنوزا ودقائق كانت في الشام حملت الوليد على تصديقه فيما يدعيه . ثم قال له : إن تحت المنارة أموالا ودقائق وأسلحة ، دفنها الإسكندر . فصنقه وجّهزه مع جماعة من ثقافته إلى الإسكندرية ، فهدم ثلث

المئارة وأزال المِرائة ، ثم فطن الناس أنها مكيدة ، فاستشعر ذلك فهرب في مركب كانت ممتة له . ثم بُني ما هُدم بالجص والآجر .

ثم قال المسعودي : وطول المئارة في هذا الوقت (يعني الوقت الذي وضع فيه كتابه ، وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة) مائتان وثلثون ذراعا . وكان طولها قديما نحواً من أربعمئة ذراعاً .

وهي في عصرنا هذا ثلاثة أشكال : فمنها تقدير الثلث مربع مبنى بالحجارة ، ثم بعد ذلك بناء مضمن الشكل بالآجر والجص نحو سبعمائة ذراعاً ، وأعلىها مدور الشكل .

ويقال إن أحمد بن طولون بنى في أعلىها قبة من الخشب فهدمتها الرياح . فبنى في مكانها مسجداً في الدولة الظاهرية الركنية ببيرس صاحب مصر رحمه الله تعالى . ثم هُدم في ذي الحجة سنة آئنتين وسبعمائة بسبب الزلزلة الحادثة . ثم بنى في شعور سنة ثلاث وسبعمائة في دولة السلطان الملك الناصر ولد السلطان الملك المنصور ، ثبت الله دولته ، وكان المندوب لذلك الأمير ركن الدين ببيرس النواذير المنصوري ، نائب السلطنة الشريفة في القبة .

وقد وصف الشعراء مئارة الإسكندرية .

فمن ذلك ما قاله الوجهي الدروري :

وسامية الأرجاء تهدي أبا السرى * ضياءً ، إذا ما حنّ دسّ الليل أغلماً .
ليست لها برداً من الأنس ضافياً * فكانت بتدكار الأحيّة معلماً .
وقد ظلمتني من دُراها بقبة * ألاحظ فيها من صحائف أنجماً .
نُفِيتُ أن البحر تحني غمامة * وأني قد خيمت في كبد السما !

وقال أبو الفتح الأغمر بن قلافس :

وَمَسْرُورٌ جَاوَزَ الْجَوْزَاءَ مُرْتَبِحًا * كَأَنَّمَا فِيهِ لِلنَّسْرَيْنِ أَوْكَارُ
رَامِي الْقَرَارَةِ سَامِي الْقَرَعِ فِي يَدِهِ * لِلنُّورِ وَالتُّوبِ أَخْبَارُ وَأَخْبَارُ^(١)
أَطْلَقْتُ فِيهِ عَنَانَ الْقَوْلِ فَأَطْرَدْتُ * خَيْلٌ لَهَا فِي بَدِيعِ الشَّعْرِ مِضَارُ

وأما رواق الإسكندرانيين

فهو مقلَّب كان بالإسكندرية .

كانوا حكماء يجمعون فيه فلا يرى أحد منهم شيئا دون الآخر ، ووجه كل واحد منهم — وإن اختلفت جهاتهم — تلقاء وجه الآخر . وإن عمل أحد منهم شيئا أو تكلم ، سمعه الآخر . ونظروا القريب والبعيد فيه سواء .

- ١٠ وقد بقيت منه بقايا عمد تكسرت ، غير عمود منها يسمى عمود السوارى فى غاية الطول والغلظ من الحجر الصوان الأحمر .

ذكر شىء من عجائب المباني

قال صاحب كتاب "مباحج الفكر ومناجج العبر" :

ذكر بعض المصنفين لكعب العجائب ، أن القوس ترمع أن أو شهنج بنى بأرض

- ١٥ بابل سبع مدائن ، جعل فى كل مدينة منها أعجوبة ليست فى الأخرى .

(١) هكذا فى الأصل . وفى بدايع البداة "أخبار وآثار" وفى مسالك الأبصار "إخبار وأخبار" وهذا

الوجه الأخير أوله ويكون المعنى أن هذه المائة تخبر عن المراكب المضيئة القادمة الى الإسكندرية

وأن فيها أخبارا عن السك الساج فى البحر حولها .

فكان في الأولى — التي يكون فيها الملك — مثال أنهار الدنيا كلها . فإذا انتهى عليه أحد من أهل مملكته بجراحهم ، تخرج نهرا من تلك الأنهار الشبيهة بنهر تلك الناحية فغريقوا . فإذا أدوا الخراج ، سد عليهم من عنده فأستغنى عنهم .

وفي الثانية حوض . فإذا أراد الملك أن يجمع الناس لشراب ، أتى من أحب منهم بشراب له خاص فيصبه في الحوض . يفعل ذلك كل إنسان منهم ، فيختلط الجميع . ثم تقوم السفاة فتأخذ الأواني ويُسقى كل واحد من شرابه الذي جاء به .

وفي الثالثة طبل . فإذا غاب من البلد أحد وأراد أهله أن يعلموا خبره ، أحس هو أو ميت ، ضربوا الطبل : فإن كان حيا صوت ، وإن كان ميتا لم يصوت .

وفي الرابعة المرأة . فإذا غاب الرجل عن أهله وأرادوا أن يعلموا حاله ، نظروا في المرأة فرأوه في الحالة التي هو عليها .

وفي الخامسة إوزة نحاس . فإذا دخل المدينة غريب ، صفرت . فيعلمون أنه غريبا دخلها .

وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء . فيجىء الحق والمُظِلُّ ليجلسا معهما . فيجلس الحق ، ويسبب المظلل .

وفي السابعة شجرة . لا تظل إلا ساقها . فإذا جلس تحتها واحد أظلمته إلى ألف . فإن زاد على الألف واحد ، قعدوا كلهم في الشمس .

وكنْتُ قد أنكرت هذه الحكاية وقصدت حذفها وإلغائها والإضراب عنها ، فزأيت ابن الجوزي وضعها في كتابه الذي سماه "سلوة الأحرار" فأوردتها .

وحكى أنه كان بمدينة قيسارية — لما كانت في أيدي الروم — كنيسة بها امرأة .
إذا أتهم الرجل أمرأته بزنا ، نظر في تلك المرأة ، فيرى وجه المتهم فيها . وأن بعض
الناس أتهم فراؤه فيها فقتله الملك ، فجاء أهله إلى المرأة حمية فكسروها .

وحكى الواقدي في فتوح السند : أن عبد الله العبدى عامل معاوية على السند
غزا بلد التيقان ، فاصاب منهم غنائم كثيرة ، وأن ملك التيقان بعث إليه يطلب منه
الفداء وحمل إليه هدايا كان فيها قطعة من امرأة ، يذكر أهل العلم أن الله تعالى أنزلها
على آدم عليه السلام ، لما كثرت ولده وانتشروا في الأرض ، فكان ينظر فيها فيرى
من بعد منهم على الحالة التي هو عليها من خير أو شر ، فحملها عبد الله إلى معاوية ،
فبقيت في ذخائري أمية إلى أن انتقل الملك عنهم إلى بنى العباس ، فبضاعت فيها
فقد من الذخائر .^(١)

١٠

وقيل : إن يثاوند حمرا يسمى الكيلان ، بالقرب منه حفرة ، من أراد أن
يتعرف حال غائب أو آبق أو سارق ، أتى إلى تلك الصخرة فنام تحتها ، فيرى
في النوم حال ما تعرف به على ما هو عليه . وعجائب المباني كثيرة ، سندكر
إن شاء الله تعالى منها جملة في أخبار ملوك مصر الذين كانوا قبل الطوفان وبعده ،
فتأمل هناك مجده .

١٥

(١) بهامش الأصل ماضه : " قد ذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه أن هذه المرأة كانت عند أبي جعفر
المصور فاته أعلم أين ماتت بعده " .

الباب الرابع

من القسم الخامس من الفن الأول

(فيما وصفت به المعامل والحصون)

وهذا الباب قد ترجمت عليه في الفن الثاني الذي يلي هذا الفن فيما يحتاج إليه الملك . وإنما ضممته إلى هذا الفن لمناسته له وشبهه به ، وأسئنته من الفن الثاني واقتصرت فيه على مجرد الترجمة . والله التوفيق .

وقد أوسع الفضلاء والأدباء والكتّاب والبلغاء القول في هذا المعنى وتواردوا فيه ، فاقصرتنا على ماورده من ذلك ، وهو قليل من كثير .

فمن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين يصف قلعة فتحت من غير حصار :

« ... وهذه القلعة التي آتينا إلى قرارها ، وأسئلتنا على أقطارها ، أرحب المدين أمدًا للعيون ، وأخصبها بلدًا إذا انحلت السنون ، فروعها فوق الثريا شامخة ، وعروقها تحت الثرى راسخة ، تنبأى بأزهارها نجوم السماء ، وتنبأى بأسرارها أنف الجوزاء ، وكانت في الزمن الغابر ، عنت على عظيم القياصر ، فنازلًا بأكثر من النجوم عددًا ، وطاولها بأوفى من البحر مدًا ، فابت على طاعته كل الإباء ، وأسئمت على مقارعة أشد استعناء ، ومردت مرود مارء على الزباء ، فأمكننا الله من ذروتها ، وأنزل ركبنا لنا عن صهوتها » .

وقال القاضي الفاضل عبدالرحيم البيهقي رحمه الله : يصف أمد من رسالة جاء منها :

« ... وأمد ذكرها بين العالم متعالم ، وطالما صادم جانبها من تقادم ، فرجع عنها مقدوعا أنه وإن كان خلا ، وفر عنها فريدا بهم وإن استصحب خيلا ورجلا ،

(١٣٩) ورأى حجرها فقدر أنه لا يُفكُّ له حجر، ومودعه فظن أنه لا ينسخه حجر، وحية أنف
أنتها فاعتقد أنه لا يستجيب لحره من ملوك كاهن قد طوى صدره على الغليل
إلى مؤردها، ووقف وقصة الحب السائل فلم يفر بما أمل من سؤال معهدها .
وقال من أخرى يصفها :

« ... وهي العقيلة التي صدر الصدور الأول مملأ عن وردها، والطريدة التي حصل
منها على راحة يأسه وتعب طردها ، والمحجبة التي كسفت ستورها ، ودار لعصمتها
كسوار معصيتها سورها ، وغلت على أنها السوداء على خطاياها لأن المهج مهورها ،
ولربما نأت بجانبها الإعراض ، ونبا جوهرها عن الأعراض . وطاشت دون أوصافها
بشام الأعراض ، ودرجت الملوكة على حسرتها فلم تحبس لها لثاما ، وما استطاعت
لتفرها تلمأ ولا له التثاما » .

١٠

وقال من أخرى يصف قلعة نجم ، وهي من عيون الرسائل . جاء منها :

« ... هي نجم في تحاب ، وعقاب في عقاب ، وهامة لها النامة حمامه ، وأتملة إذا
خضبها الأصيل كانت الهلال لها قلامه ، عاقدة حبة صالحها الدهر أن لا يحلها
بقرع ، بادية عصمة صالحها الزمن على أن لا يروعهما بحلمه ، فاكنتت بها عقارب
متجنيات لم تطيع طبع حصص في المقارب ، وضربت بها بحجارة أظهرت فيها العداوة
المعلومة في الأقارب ، فلم يكن غير ثلاثة إلا وقد أثرت فيها الحجارة جذريا بضرها ،
ولم يصل إلى السابعة إلا والبحر مؤذن بنقها ، فاتسع الخرق على الراقع . وسقط سعه
عن الطالع ، إلى مولد من هو إليها طالع ، وقصحت الأبراج فكانت أبوابا ، وسيرت
الجلال فكانت سرايا » .

١٥

وقال من أخرى في فتح بيت المقدس، جاء منها :

« ... زاول المدينة من جانب ، فاذا هو أودية عميقة : ولجج وغير غريقة ؛
وسور قد أنمطت عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقر الدار ؛
وقدم المتجنقات التي تتولى عقاب الحصون عصيها وجبالها ، وأوتر لم قسيها التي
تضرب ولا تشارك سهامها ولا سهامها نصالها ؛ فصاحت السور فإذا سهامها في شأيا شرفاتها
سواك ، وقدم النصر بشرى من المتجنق تحمله إخلاده إلى الأرض وتعلو علوه إلى
السمك ؛ فشج مراع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجه ، ورفع مشارع عجاجها ؛
وأفسر الثقاب عن الخراب الثقاب ، وأعاد الحجر إلى خلقته الأولى من القراب ؛
ومضغ سرد مجارته بأنياب مغوله ، وأظهر من صناعته الكثيفة ما يدل على لطافة
أمله ، وأسمع الصغرة الشريفة أبنه إلى أن كادت ترق لمقلته » .

وقال أيضا من أخرى :

« ... فتصنبت عليها المتجنقات تمطر سماءها نبل الوبال ، وتعلم أرضها بالنكابة
والنكال ، وتهتد بساريات مجاريتها راسيات الجبال ؛ وتزول نوازل الأسواء بالأسوار ،
وتوسع مجال الدوائر في الديار ، وتمحطف بمخاطباتها أعمار الأعمار ؛ وتطير حمامها بكتب
الحمام ، وتديم إغراء سهامها في أهلها بتوفير سهام الإرغام ؛ وكشف الثقاوب ثقاب
السور المصجوج المصجوب ، قهتدم بنيانه ، وتداغت أركانه ، بتظاهر المتجنقات عليها
والثقوب » .

ووصف القاضي الفاضل المتجنق من رسالة فقال :

« فسامت كأنها بنان ، ونضنضت كأنها لسان ، وأطت كأنها مرنان ، وأهترت كأنها
جاق ، وتقومت كأنها ستان ، وأنمطت كأنها عتان ، وأقدمت كأنها شجاع وأجمت » .

كأنها جبان . ورمّت رءوسهم الموقرة من أحجارها بأمثال الرموس المحلقة ، فأعادتهم
إلى الخلقة الأولى مخلقة وغير مخلقة .

ووصف النامى المتجنيق فقال :

وحصن زياد غُدوة السَّبت نافتاً * سَمَاماً ، أَرَاكَ أَبْنَ الْأَرَامِ أَرْقَا .
نصبتُ له في الأرض بَيْتَ حَديقَةٍ * تُمَدُّ لها في الجَوْكُفَا وَمِعْصَا .
لها أَخَوَاتٌ لِلنَّسَاءِ كَوَامِنٌ * وإن لم يكن ما أضمرته مُكْتَمَا .
عَدَارَى ، ولكن قد يُجَلَن حَوَامِلَا * بَعُرس تَرَاهُ لِقِنَادِل مَأْتَمَا .
تَرى الصَّخْرَ فيه الصَّخْرُ وهو نَسِيبُهُ * عُدُوا بِيومِ أرضِهِ مُنْطَرِ السَّيَا .
إذا أَقْسَدَتْ جُذُرًا قِيَامَا ، رَأَيْتَهَا * تُنْبِئُ قِيَامًا مِنَ الثَّرْبِ نَوْمَا !

ومما وصفت به المعازل والحصون نظماً .

فمن ذلك قول كعب الأشقرى ، يصف قلعة :

مُحَلَّقَةٌ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا * غَمَامَةٌ صَيِّفٌ زَالَ عَنْهَا مَحَامِلُهَا .
وَلَا يَبْلُغُ الْأَرْضَ شِمَارِيعُهَا الْعُلَى ، * وَلَا الطَّيْرُ إِلَّا نَسْرُهَا وَعُقْلُهَا .
وَلَا خَوْفٌ بِالذَّنْبِ وَلِدَانُ أَهْلِهَا ، * وَلَا نَجَاتٌ إِلَّا النُّجُومَ كَلَابُهَا .

(١١٠)

وقال أبو تمام ، يصف عمورية :

وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا * كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِب .
يَكْرَهُ ، فَا أَقْرَعَتْهَا كَكْفٌ حَادِثَةٌ * وَلَا تَرَقُّ إِلَيْهَا هَمَّةُ النَّوْبِ .
مَنْ عَهْدَ إِمْنَكُنْدِيرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَدْ * شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَسِبْ !

وقال الخالديان :

وَحُلَفَاءَ قَدْ تَاهَتْ عَلَى مَنْ يَرُومُهَا * بِمَرْقَبِهَا الْعَالَى وَجَانِبِهَا الصَّعْبِ .

يَزُرُّ عليها الجسور جيبَ غمها • وليلتها غسداً بانجبه الشهب.
إذا ما سرى برقٌ ، بدت من خلاله • كما لاحت السدراء من خلال الحب.
سبوت لها بالرأي : يُشرق في الدجى ، • وقطع في الجلل ، ويصدع في الغضب.
فابرزتها مهشوقة الجيب بالقنا • وغادرتها ملصوقة الخد بالتريب !
وقالا أيضاً في قلمه :

وقلبي عائق العيوق سافلها ، • وجار منطقة الجوزا اعاليها .
لا تقرب القطر ، إذ كان النهم لها • أرضاً توطأ قطره موائسها .
إذا الهامة لاحت ، خاض ساكنها • حياضها قبل أن تهي عز اليها .
يسد من النجم الأفلاك مرقبها ، • لو أنه كان يحسرى في مجاربها .
عل دنى شامخ وغير : قد امتلأت • كبرياءه ، وهو يملأ بها بينها .
له عقاب : عقاب الجوز حائمة • من دونها ، فهي تحفى في خوافيها .
وقال أبو بكر الخوارزمي :

ويكره حمايتها البعول مخافة ، • قد تركت من كثرة المهر أيمانها .
ممنعة لم يفلط التحرر بأسمها ، • ولم يرها في النوم إلا توهمها .
ترل عقاب الجوز عن شرفاتها ، • وتبغى إليها الريح مرقى وسماها !
ويستع في الأفلاك صيحة ديكها ، • فتحسب ديك العرش صاح ترماها .
عجوز ، ترى في سمرة الجسم كلبها ، • ولو أرخت ، كانت من الثور أقدمها !
توازي آسافا بالشحوم مؤزرا ، • وتبرز رأسا بالتجشوم معما .
تسارعها الأرض السماء وتدعى • لئليها حقاً لها متهفما .
وتحسبها زهر الكواكب كوكبا • هو خلف شيطان رجيم ، فغياها !

الباب الخامس

من القسم الخامس من الفن الأول

(فما وصفت به القصور والمنازل)

ولنبداً بذكر ما بناه المتوكل من القصور وما أُنقِ علىها، ثم نذكر ما قيل في وصفها،
وما وُصِفَتْ به المنازل الخالية، وما قيل في حُبِّ الوطن .
فاما قصور المتوكل، فهي : الكايل، والجعفرى، وبركوانا، والعروس، والبركة،
والجوسق، والمُختار، والغريب، والبديع، والصبيح، والمليح، والقصر، والبرج،
والمُتَوَكِّلِيَّة، والقَلَايَة .

حكى المؤرخون أنه أُنقِ في بنائها مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار عينا،
ومائتا ألف ألف وثمانية وخمسون ألف ألف وخمسمائة ألف درهم .
قالوا : وكان "البرج" من أحسنها . كان فيه صورٌ عظيمةٌ من الذهب والفضة،
وبركةٌ عظيمةٌ عُشِّيَ ظاهرُها وباطنها بصفايح الفضة، وجعل عليها شجرةٌ من الذهب
فيها طيورٌ تصوت وتصفّر سماها "طوي" بلغت الثقة على هذا القصر ألف ألف
دينار وسبعائة ألف دينار .

وقد وصفه الشعراء : فمن ذلك قول السري :
مَجْلِسٌ فِي فِئَاءِ دِجْلَةٍ ، يَرْتَأُ * حُ إِلَيْهِ الْخَلِيعُ وَالْمَسْتَوِرُ .
طَائِرٌ فِي الْهَوَاءِ ، فَالْبَرْقُ يَسْرِي * دُونَ أَعْلَاهُ وَالْحَمَامُ يَطِيرُ .
فَإِذَا الْغَيْمُ سَرَّ ، أَسْئِلُ مِنْهُ * حُلُلٌ دُونَ جُودِهِ وَسُتُورُ .
وَإِذَا غَارَتِ الْكَوَاكِبُ صُبْحًا ، * فَهُوَ الْكَوْكَبُ الَّذِي لَا يَغُورُ !

١٠) كتب بالأصل . وفي مسم يافوت "يَزْكُرَار" .

وقال أيضا :

نَزَلَ كَالرَّبِيعِ حَلَّتْ عَلَيْهِ ۝ حَالِيَاتُ السَّحَابِ عَقْدَ النِّطَاقِ .
يُمْتَعِ الْعَيْنَ فِي طَرَائِفِ حُسْنِ ۝ تَحْمَى بِهَا عَنِ الْإِمْرَاقِ .
بَيْنَ سَلَجٍ كَأَنَّهُ ذَائِبُ التَّيْرِ عَلَى مِثْلِ ذَائِبِ الْأُورَاقِ .

وقال أيضا :

وَالْقَصْرِ يَنْبِغُ عَنْ وَجْهِ الضُّحَى ، فَتَرَى ۝ وَجْهَ الضُّحَى عِنْدَ مَا أَبْدَى لَهُ تَحِيًّا .
يَبِيتُ أَعْلَاهُ بِالْجُوزَاءِ مُتَّطِفًا ، ۝ وَيَقْتَدِي بِرَدَاءِ النَّسِيمِ مَحْتَجًّا !

وقال أبو سعيد الرستمي ، يصف دارا بناها الصاحب بن عباد :

وَسَامِيَةِ الْأَعْلَامِ تَلَحُّظُ دُونَهَا ۝ سَنَا النَّجْمِ فِي آفَاقِهَا مُتَضَائِلًا .
نَسَخَتْ بِهَا إِيوَانَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزٍ ، ۝ فَأَصْبَحَ فِي أَرْضِ الْمَدَائِنِ عَاطِلًا .
فَلَوْ أَبْصَرْتَ ذَاتَ الْعِيَادِ عِمَادَهَا ، ۝ لَأَمَسْتَ أَعَالِيهَا حَيَاءً أَسَافِلًا .
وَلَوْ لَحِظْتَ جَنَاتُ تَلَمَّزَ حُسْنَهَا ، ۝ دَرَّتْ كَيْفَ تَبَنَّى بِعَادِنِ الْمَجَالِلَا .
مَنْ تَرَاهَا خَلَّتِ السَّمَاءُ سُورِدًا قَا ۝ عَلَيْهَا وَأَعْلَامُ النَّبِيِّمِ تَمَانِيَلَا .

وقال علي بن يوسف الإيادي ، يذكر دارا بناها المعز المبرقعي ، يمسر وسماها

”العروسين“ :

جَنَى مَنَظَرًا يُسَمَّى ”الْعُرُوسَيْنِ“ رُفْعَةً ، ۝ كَأَنَّ الثَّرِيَّا عَرَسَتْ فِي قِيَابِهِ .
إِذَا اللَّيْلُ أَخْفَاهُ بِحُلْكِهَ لَوْنِهِ ، ۝ بَدَأَ نَهْرُهُ كَالْبَسْمُوتِ تَحْتَ سَيَّانِهِ .
تَمَكَّنَ مِنْ سَعِيدِ السُّعُودِ مَحَلَّهُ ، ۝ فَأَحْبَبَى وَفَيْتَاحُ النَّسَى قَتْعَ بَابِهِ .
وَلَوْ شَادَهُ عَزَمَ الْمُعِزُّ وَرَأْيُهُ ۝ عَلَى قُدْرِهِ فِي مُلْكِهِ وَفَصَائِدِهِ .
لَكَانَ حَصَى الْبَاقُوتِ وَالتَّيْرِ مُفَرَّقًا ۝ عَلَى الْمُلْكِ مِنْ أَجْرِهِ وَتُرَابِهِ .

وقال عبد الجبار بن حديد الصقلي، يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات:

وَيَا حَبْلَنَا دَارَ قَضَى اللَّهِ أَنَهَا * يُحَدِّدُ فِيهَا كُلَّ عِزٍّ وَلَا يَبْلَى!

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْلَةُ الْمَلِكِ إِلَهِي * يُحِطُّ إِلَيْهَا كُلُّ ذِي أَمَلٍ رَحَلَا.

إِذَا تُصِغَتْ أَبْوَابُهَا، خِلَتْ أَنَهَا * تَقُولُ بِتَرْجِيْبٍ لِدَاخِلِهَا: أَهْلَا.

وَقَدْ قَلَّتْ صُنَاعُهَا مِنْ صِفَاتِهِ * إِلَيْهَا أَفَاقِنَا، فَاحْصَتْ النُّقْلَا.

فَمِنْ صَدْرِهِ رُجْبَاءُ، وَمِنْ نُورِهِ سَنَاءُ، * وَمِنْ صِدْقِهِ قُرْعَاءُ، وَمِنْ حِلْمِهِ أَصْلَا!

فَاعْلَمْتَ بِهِ فِي رُتْبَةِ الْمَلِكِ نَادِيَا، * وَقَلَّ لَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْفَ أَنْ يُعْلَى.

لَسِيَتْ يَدُ إِيوَانَ كَسْرَى، لِأَنِّي * أَرَاهُ لَهُ مَوْلَى مِنَ الْحُسْنِ لَا مِثْلَا.

تَرَى الشَّمْسَ فِيهِ لَيْقَةً تَسْتَمِدُّهَا * أَكُفُّ، أَطَامَتْ مِنْ تَصَاوِيرِهَا شُكْلَا.

لَهَا حُرُكَاتٌ أَوْدَعَتْ فِي سُكُونِهَا، * فَاتَمَّتْ مِنْ قَهْلِهِنَّ يَدُ رَجُلَا.

وَلَمَّا عَشِينَا مِنْ تَوْقَدِ نُورِهَا، * تَحْدُثُنَا مَنَاهُ فِي نَوَاطِرِهَا تَحْلَا.

وقال أيضا من قصيدة يصف فيها دارا بناها المنصور ببجاية، جاء منها:

وَأَعْمُرْ بَقْعَ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي * أَعْمَى بِجَمِيدِكَ يَتْنُهُ مَعْمُورَا!

قَعْرٌ لَوْ أَنَّكَ قَدْ حَكَلْتَ بُنُورَهُ * أَعْمَى، لَعَادَ عَلَى الْمَقَامِ بِصَمِيرَا.

وَأَشْتَقُّ مِنْ مَعْنَى الْحَيَاةِ نَسِيمَهُ، * فَيَكَادُ يُجْلِثُ لِلْعِظَامِ سُورَا.

فَلَوْ أَنَّ بِالْإِيوَانِ قُوَيْلَ حُسْنُهُ، * مَا كَانَ شَيْئًا عِنْدَهُ مَذْكُورَا.

لَيْسَ "الصَّبِيحُ" مَعَ "الْمَلِيحِ" بِذِكْرِهِ، * وَتَمَّا تَلَقَّى "خَوْرَتَنَا" وَ"سَدِيرَا".

أَتَيْتُ مَطَالَعُهُ عَلَى الثَّرْسِ الْأَلَى * رَفَعُوا الْبِنَاءَ وَأَحْكَمُوا التَّدِيرَا.

وَمَضَتْ عَلَى الْقَوْمِ الدُّهُورُ وَمَا بَنَوْا * لِلْكَوْكَبِ شَبَهَا لَهُ وَفَطِيرَا.

أَتَيْتُكَ بِالنُّورَةِ مِنْ حَبْنِ الْوَرْدِ * غُرْفًا بِقَعْرَةٍ، يَتَأَمَّرُ، وَتُجْمَلُورَا.

فَلَكُ مِنَ الْأَفْلاكِ ، إِلَّا أَنَّهُ * حَقَرَ الْبُعْدَ فَاطْلَعَ "الْمَنْصُورًا".
 أَبْصَرْتُهُ فَرَأَيْتُ أَبْدَعَ مَنَظَرًا * ثُمَّ أَنْتَهَيْتُ بِإِظْهِارِ مَحْشُورًا.
 وَظَنَنْتُ أَنَّ حَالِي فِي جَنَّةٍ * لَمَّا رَأَيْتُ الْمُلْكَ فِيهِ كَيِّورًا.
 وَإِذَا الْوَلَايَةُ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا ، * جُمِلْتُ تَرْجَبُ بِالْعُقَاةِ صَرِيرًا.
 عَضَّتْ عَلَى حَلَقَاتِيهِ ضَرَائِعُ * فَفَرَسَتْ بِهَا أَفْوَاهَهَا تَكْشِيرًا.
 فَكُنَّا نَبْدَتُ لَتَهْصِرَ عِنْدَهَا * مَنْ لَمْ يَكُنْ بِدُخُولِهِ مَأْمُورًا.
 تَجَرَّى الْخَوَاطِرُ مُطْلَقَاتٍ أَعْنَى * فِيهِ ، فَتَكْبُو عَنْ مَدَاهُ قُصُورًا.
 بِمَرْحَمِ السَّاحَاتِ تَحْسَبُ أَنَّهُ * فَرَشَ الْبَهَا وَتَوَخَّعَ الْكَافُورًا.
 وَمُحْصَبٌ بِالْذَّرِّ تَحْسَبُ رُزْبَهُ * مِسْكًَا تَضْوَعُ نَبْرَهُ وَبَعِيرًا.
 يَسْتَعْلِفُ الْإِصْبَاحُ مِنْهُ إِذَا أَهْقَى * سُبْحًا عَلَى غَسَقِ الظُّلَامِ مِيرًا.
 تَحِيَّكَتُ حَمَائِسُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا * جُمِلْتُ لَهُ زُهْرُ النُّجُومِ نُورًا.
 وَمُصْطَفَعُ الْأَبْوَابِ يَبْدُو نَظَرًا * بِالنَّقْشِ بَيْنَ شُكُوكِهِ تَنْظِيرًا.
 تَبْدُو مَسَامِيرُ النُّفَارِكِ كَأَنَّهَا * فَلَّكَ النُّهُودِ مِنَ الْحِسَانِ صُدُورًا.
 خَلَعَتْ عَلَيْهِ غَلَائِلًا وَرُسِيَّةً * شَمْسٌ رَدُّ الطَّرْفِ عَنْهُ حَبِيرًا.
 فَإِذَا تَنَظَّرْتُ إِلَى غَرَائِبِ حُسْنِهِ ، * أَبْصَرْتُ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا.
 وَتَحِيَّتٌ مِنْ خُطَافِ عَجَبِهِ الْوَحْيِ * حَامَتْ لِيَنِي فِي قُرَاهِ وَكُورًا.
 وَضَعَتْ بِهِ صُنَاعُهُ أَفْلَامَهَا ، * فَارْتَكَبْتُ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصَوِيرًا.
 فَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لِقَاءٌ * مَشَقُّوا بِهَا التَّوْبِقَ وَالنَّشْبِيرَا.
 وَكَأَنَّمَا فَرُّشُوا عَلَيْهِ مَلَامَةً * تَرْتَكِبُهَا مَكَلَانِ وَشِلَاحَهَا مَقْصُورَا.
 يَا مَالِكَ الْمُلْكِ الَّذِي أَحْيَى لَهُ * مَلِكُ السَّمَاءِ عَلَى الْمَدَاةِ نَصِيرَا.

كَمْ مِنْ قُصُورٍ لَأُلُوكِ تَقَدَّسَتْ * فَاسْتَوْجِبَتْ بِقُصُورِكَ الْإِنْجِزَا .
فَعَمَّرَتْهَا وَمَلَكَتْ كُلَّ رِيَاسَةٍ * مِنْهَا ، وَدَمَّرَتْ الْعِدَا تَدْمِيرَا .

وقال عمارة النخعي ، يصف دارا بناها فارس الإسلام من أبيات :

قَمَلٌ دَارًا شَيْئَتْهَا هِمَّةٌ ، * يَفْدُو الْعَسِيرُ بِأَمْرِهَا مَتِيرَا .
فَاقَتْ عَلَى الْإِطْلَاقِ كُلَّ بَيْتَةٍ ، * وَسَمَتْ بِسَعْدِكَ عِزَّةً وَتَكْبَرَا .
أَنشَأَتْ فِيهَا لِلْمَيُوسِرِ بَدَائِعًا ، * دَقَّتْ ، فَادْهَلَ حُسْنُهَا مِنْ أَبْصَارَا .
فِي الرِّخَامِ : مُسِيرًا ، وَمَمَهَّمَا ، * وَمُتَمَنَّمَا ، وَمُتَرَهَّمَا ، وَمُذَرَّرَا .
وَسَقَيْتَ مِنْ ذَوْبِ النَّصَارِ سُقُوفَهَا * حَتَّى يَكَادَ نُفَارُهَا أَنْ يَفْطَرَا .
لَمْ يَبْقَ نَوْعٌ صَابَتْ أَوْنَاطُوقُ ، * إِلَّا غَدَا فِيهَا الْجَمِيعُ مُصَوَّرَا .
فِيهَا حَدَائِقُ لَمْ تُجْذَلْهَا دِيمَةٌ ، * كَلَّا وَلَا نَبَتْ عَلَى وَجْهِ التَّرَى .
لَمْ يَبْدُ فِيهَا الرُّوحُ إِلَّا مُزْهِرَا ، * وَالنَّخْلُ وَالرَّمَانُ إِلَّا مُثْمَرَا .
وَالطَّيْرُ مُدُّ وَقَعَتْ عَلَى أَغْصَانِهَا * وَتَمَارُهَا ، لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْفَرَا .
وَبِهَا مِنَ الْحَيَوَانِ كُلِّ مُشَبِّهِ * لَيْسَ الْحَرِيرُ الْعَبْقَرِيُّ مُصَوَّرَا .
لَا تَسُدُّمُ الْأَبْصَارُ بَيْنَ مَرْوَجِهَا * لَيْثًا وَلَا طَيِّبًا بُوْجَرَةً أَعْفَرَا .
أَلَسَتْ نَوَافِرُ وَحْشِهَا لِسَابِعِهَا : * فَظَبَاؤُهَا لَا تَتَّقِي أَسَدَ الشَّرَى .
وَكَانَ صَوْلَتِكَ الْحَقِيقَةُ أَمَّتَتْ * أَسْرَابَهَا أَنْ لَا تَخَافَ فَتُدْعَرَا .
وَبِهَا زَرَفَاتٌ كَأَنَّ رَقَابَهَا * فِي الطُّولِ أَلْوِيَّةٌ تَوَّمُ السَّكْرَا .
نُوبِيَّةُ الْمُنْشَأِ تُرِيكَ مِنَ الْمَهَا * رَوْقًا ، وَمِنْ بُرْلِ الْمَهَارَى مِثْقَرَا .
جُبِلَتْ عَلَى الْإِقْمَاءِ مِنْ أَعْجَازِهَا ، * فَتَحَالَمَا فِي التَّيِّهِ تَمِشِي الْقَهْقَرَى !

وقال أبو الصلت أُمَيَّة بن عبد العزيز، يصف قصرا بناه علي بن نعيم بن المعز بمصر:

فِيهِ، جَلَسُكَ الْمُنِيفُ ! فَبَابُهُ * بِمَوْطِدٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مُؤَسِّسُ .
مُوفٍ عَلَى حُبِّكَ الْحَجَرَةَ تَلْتَقِي * فِيهِ الْجَوَارِي بِالْجَوَارِ الْكُنُوسِ .
تَتَقَابَلُ الْأَنْوَارُ فِي جَنَابِهِ * فَالْلَّيْلُ فِيهِ كَالنَّهَارِ الْمُشْمِسِ .
عُطِفَتْ حَنَابِيهِ دُونِ سَمَائِهِ * عَطَفَ الْأَهْلُ وَالْحَوَاجِبُ وَالْقِمَمِ .
وَأَسْتَشْرِفَتْ عَمَدُ الرُّخَامِ وَطُوهَرَتْ * بِأَجَلٍ مِنْ زَهْرِ الرَّيْسِ وَأَنْفُسِ .
فَهَوَاؤُهُ مِنْ كُلِّ قَدٍّ أَهْيَفُ، * وَقِسَارُهُ مِنْ كُلِّ خَدٍّ أَمْلَسُ .
فَلَنْكَ تَحْيِيْرٍ فِيهِ كُلُّ مُنَجِّمٍ، * وَأَقَرُّ بِالتَّقْصِيرِ كُلُّ مَهْنِدِسِ .
فَبَدَا لَلْقَيْطِ الْعَيْنِ أَحْسَنَ مَنَظَرًا، * وَغَدَا لَطِيبَ الْعَيْشِ خَيْرَ مَعْرِسِ .
فَأَطْلُعُ بِهِ قِسْرًا، إِذَا مَا أُطْلَعْتُ * شَمْسُ الْخُدُورِ عَلَيْكَ شَمْسُ الْأَكْبُوسِ .
فَالنَّاسُ أَجْمَعُ دُونَ قَدْرِكَ رُبَّةً، * وَالْأَرْضُ أَجْمَعُ دُونَ هَذَا الْخَيْلِ !

وقال الوزير أبو سليمان بن أبي أُمَيَّة :

يَادَارُ، أَمْنِكَ الزَّيْمَا * نَ حُطُوبِهِ وَتَوَانِيهِ .
وَبَحَرَتْ سَعُودُكَ بِالْدَى * يَهْوَى نَزِيلِكَ دَائِبَتَهُ .
فَلَنِّمَ مَاوَى الضَّيْفِ أَنْتَ، إِذَا تَحَامَوْا جَانِبَهُ .
خَطَرٌ شَاوَتْ بِهِ الدِّيَا * رَ، فَادْعَنْتَ لَكَ قَاطِبَتَهُ .

وقال أبو صخر القرطبي :

دِيَارُ عَلَيْهَا مِنْ بَشَاةٍ أَهْلِيهَا * بَقَايَا، تَمَرُ النَّفْسِ أَنْسَا وَمَنْظَرَا .
رُبُوعٌ كَسَاهَا الْمَزْنُ مِنْ خَلَعِ الْحَيَا * بِرُودَا، وَحَلَاهَا مِنَ التَّوْرِ جَوْهَرَا .

وقال الشريف الرضي :

مازلت أطرقُ المنازلَ بالسوى * حتى نزلتُ منازلَ الثمّاءِ .
بالجيرة البيضاء حيثُ تقابلتُ * ثمَّ البلادَ عريضةَ الأعطافِ .
شهدتُ بفضلِ الرافعينَ قبائلاً * وبينَ البلبانِ فضلُ الباني !
ما ينفعُ الماضينَ أنْ بقيتُ لهم * خططُ معمرةً بممرِّ فاني !

وأما ما وُصفت به المنازل الخالية

فمن ذلك ما قاله البحريّ يشير إلى "الكِرْمَان" الذي بناه كسرى أنوشروان من أبيات :

فَكأنَّ الكِرْمَانَ من عَدَمِ الأُنثىسِ وإخلاقِهِ بَيْتُهُ رَمِسِ .
لو تَرَاهُ ، عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيالي * خَلَعَتْ فِيهِ مَلَمَحاً بعدَ عُرْسِ .
وهُوَ يُنْيِكُ عَن عَجَائِبِ قُورِمَ ، * لَا يُثَابُ اللَّيْلُ فِيهَا بَلَسِ .
وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَشَاكِيَّةَ ، آرَتَمْتَ بَيْنَ رُومِ وفُرسِ .
وَالنَّسَاءُ مَسَائِلُ وَأَنُوشِرَوَانُ يُزِيحُ الصُّقُوفَ تَحْتَ الدَّرَفَسِ !

وقال أيضاً من قصيدة يرى فيها المتوكل ، ويذكر قصره "الجعفرى" :

حَمَلٌ عَلَى السَّاطِلِ أُلْخِقَ دَارُهُ ، * وَعَدَدَتْ صُرُوفُ التَّخْرِجِشَا تَعَاوِرُهُ .
كَأَنَّ الصَّبَا تُؤْوِي لُثُوراً ، إِذَا أَنْبَرَتْ * تَجَرُّهُ أَذْيَالُهَا وَتَبَاجِرُهُ .
وَرَبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ تَمَّ عَهْدُهُ ، * تَرَقَّى حَوَاشِيَهُ وَيَوْقُ نَاطِرُهُ .
تَغِيرُ حُسْنُ "الجَعْفَرِي" وَأَنْسُهُ ، * وَتُوقِضُ بَادِي "الجَعْفَرِي" وَحَاضِرُهُ .
تَجْمَلُ عَنْهُ سَاعَكُنْهُ لَهَافَةً ، * فَصَادَتْ مَسَافَةً دُورُهُ وَمَقَارِيرُهُ .
إِذَا تَحَنَّنَ زُرَّاهُ ، أَجَدَ لَنَا الْأَمْسَى ، * وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ .

ولم أنس وحش القصر أذرع مرهبة ، * وإذ دُعِرَتْ أطلالُهُ وجاذرُهُ .
 وإذ صبح فيه بالرجل فهتكت * على عجل أسنانه وسائرُهُ .
 وأوحشه حتى كأن لم يكن به * أيس ، ولم تحسن لعين مناظرُهُ .
 كأن لم تبت فيه الخلافة طلقه * بشاشتها ، والمُلك يُثِرُ زاهرُهُ .
 ولم تجمع الدنيا إليه بهاها * وبهجتها ، والعيش غص مكايَرُهُ .
 فإن الحجاب الصعب حيث تمتعت * بهيتها أبوابه وسائرُهُ ؟
 وإن عهود الملك في كل نوبة * تنوب ، ونهى التهر فيه وأمرُهُ ؟

وقال عمر بن أبي ربيعة :

يادارُ، أمسى دارساً رثمها * وحشاً قفاراً ما بها أهل .
 قد جرت الریح بها ذيلها ، * وأسنت في أطلالها الوايل .

وقال شاعر أندلسي :

قلت يوماً لدار قوم تفاؤوا : * أين سكاك الكرام لدينا ؟
 فاجابت : هنا أقاموا قليلاً * ثم ساروا ، ولست أعلم أيننا !

وقال عبد الله بن الخياط الأندلسي :

يادار علوة ، قد هيئت لي تيجناً * وزدتني حزناً ! حبيب من دار !
 كبرت فيك على اللذات معتكفاً ، * والليل مدرع ثوبا من القار !
 كأنه راهب في المسبح ملتحف ، * شد الحجر له وسطاً بزوار !

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي :

إن ربعا عرفته مألوفاً * كان للبيض مرهبا ومصيفا .
 غيرت أیه صروف الليالي ، * وفدا عنه حسنه مصروفا .

ما مررنا عليه ، إلّا وقفنا : وأطلقنا شوقاً إليه الوقوفاً .
 آليفاً للبكاء فيه ، كأني : لم أكن فيه للغواني أليفاً .
 حاسداً للفقير لما أذالت : في مغانيه دمعها المذروفاً !

وقال الشريف الرضي من أبيات :

• ولقد رأيت يدير هنيئاً منزلاً : أليفاً من الضراء والحدان !
 بالي المعالم ، أطرقت شرفاته : إطرارقاً مُنجذب القرينة عاني .
 أمقاصِر الغزلان ، غيرك اليل : حتى غدت مرائع الغزلان !
 وملاعب الأئس الجميع طوى الردى : منهم ، فصرت ملاعب الحنان !

(١١١)

وقال أبو الحسن علي القابوسي ثنا :

١٠ « قد كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ؛ ومُتَجَع الركب ، ومقصد
 الوفاء ؛ فاستبدل بالأئس وحشه ، وبالنضارة غُبره ، وبالنضياء ظُلمه ؛ واعتاض
 من تراحم المواقب ، بالأثم النوادب ؛ ومن ضجيج النداء والصهيل ، بحجيج البكاء
 والعويل » .

ومن رسالة لضيء الدين بن الأثير الجزري ، جاء منها :

١٥ « ... دار كُتبت بها أيدي الزمن ، وفتقت بين الساكن والسكن . كانت
 مقاصير جهته ، فأضحت وهي ملاعب جهته . ولقد غيمت أخبار قطانها ، وعفت
 آثارها آثار وطنها ، حتى شابهت إحداها في الحفا ، الأخرى في العنا . وكنت
 أظن أنها لا تُسقى بعدهم بغمام ، ولا يُرفع عنها جلباب ظلام ، غير أن السحاب بكاهم
 وأجرى بها سوافح دموعه ، والليل شق عليهم جيوه فظهر الصباح من خلال
 صدوعه » .

ومما قيل في حب الأوطان

قال ابن الرومي (وهو أول من بين السبب في حب الوطن) :
 ولي منزل، آليت أن لا أبيعهُ * وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا!
 عهدي به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا.
 فقد ألفتَه النفس حتى كأنهُ * لها جسد، إن غاب غودرت هالكا.
 وحُب أوطان الرجال إليهم * مارب قضاها الشباب هنالكا.
 إذا ذكروا أوطانهم، ذكرتهم * عهود الصبا فيها غنوا لذلك!

ذكر شئ مما قيل في الحما

قال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :
 أهلاً بيت النار من منزل * شيد لأبرار وبقار!
 يدخله ملتمس للذة * فيدخل الجنة في النار!
 وقال أبو عامر بن شهيد الأندلسي :
 نعم، أبا عامر يلدني * وأعجب لأمرين فيه قد جعما!
 يرأته من زنادكم فديحت * وماؤه من بئانكم تبعما!

وقال علي بن عطية البليسي :
 رب حام تلقى * كتلقى كل وإسقى.
 ثم أذرت عبرات * صوبها بالوجد ناطق.
 فبدأ مني ومنه * عاشق في جوف عاشق!

وقال أبو طالب المأموني، شاعر البيتمة :
 وبيت كاحشاء المحب دخلته * ومالي ثياب فيه غير إهابي.

أرى مُحَرَّمًا فِيهِ وَلَيْسَ بِكَفِيَّةٍ ، « فَمَا سَاغَ إِلَّا فِيهِ خَلْعٌ ثِيَابِي .
بِمَاءٍ كَدَمْعِ الصَّبِّ فِي حَزِّ قَلْبِي » إِذَا آذَنْتُ أَحْسَاؤُهُ بِذَهَابِ .
تَوَهَّمْتُ فِيهِ قِطْعَةً مِنْ جَهَنَّمَ ، وَلَكِنَّهَا مِنْ غَيْرِ مَسِّ عِقَابِ .
يُشِيرُ ضَبَابًا بِالْبُخَارِ مُجَدَّلًا ، بُدُورِ زُجَاجٍ فِي سَمَاءِ قِيَابِ !

وقال آخر :

إِنَّ حَمَامَكَ هَذَا ، غَيْرَ مَدْمُومِ الْحَوَارِ .
مَا رَأَيْتُ قَبْلَ هَذَا ، جَنَّةً فِي وَسْطِ نَارِ !

وأنشدني جمال الدين محمد بن الحكم لنفسه :

قالوا : زَالَ دَخَلْتُ حَمَامًا ، وَمَا « حَلْفُ الْمَوَى يَلْدُ بِالْأَهْوَاءِ .
فَاجْتَبَيْتُمْ ، لَمْ تَكْفِ أَدْمَعُ مُقْلِي » ، حَتَّى بَكَيْتُ بِجُمْلَةِ الْأَعْضَاءِ .

ثم السفر الأول

(نسخة ما هو مكتوب في آخر الأصل بخط المؤلف)

نجز السفر الأول من "كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب" على يد مؤلفه
فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي القرشي ،
عرف بالنويري عفا الله عنه ، ووافق الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك
لعشرين من ذي القعدة عام إحدى وعشرين وسبعمائة أحسن الله تقضيه ،
وذلك بالقاهرة المعزية عمرها الله تعالى يتلوها إن شاء الله تعالى في أول السفر
الثاني "الفن الثاني في الإنسان وما يتعلق به" والحمد لله وحده ، وصلى الله على
سيدنا محمد نبيه ، وآله وصحبه وسلم آمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل !

فهرست

السفر الأول

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للتوحي

صفحة

مقدمة الكتاب ... ١

القب الأول

في السماء والآثار العلوية، والأرض، والمعالم السفلية ... ٢٧

القسم الأول

في السماء وما فيها، وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

مبدأ خلق السماء ... ٢٨

ذكر ما قيل في أسماء السماء وخلقها ... ٢٩

» ما حكى في سبب حدوثها ... ٢٩

الباب الثاني :

في هيئة السماء ... ٣٠

في الأمثال التي ورد فيها ذكر السماء ... ٣٢

في وصف السماء وتسميتها ... ٣٣

ما قيل في الفلك ... ٣٤

صفحة

الباب الثالث :

في ذكر الملائكة ... ٣٦

الباب الرابع :

في الكواكب السبعة المتحركة ... ٣٨

ذكر ما قيل في الشمس ... ٤٠

» ما يتنزل به مما فيه ذكر الشمس ... ٤٢

» ما جاء في وصف الشمس وتشبيهها ... ٤٤

» شيء مما وصفت به على طريق النجم ... ٤٦

» ما قيل في الكسوف ... ٤٨

» أسماء الشمس اللغوية ... ٤٨

» عباد الشمس ... ٤٩

» ما قيل في القمر ... ٤٩

» » » (من استهلاله الى اقضاء الشهر وأسماء لياليه) ... ٥٠

» أسماء القمر اللغوية ... ٥١

» ما يتنزل به مما فيه ذكر القمر ... ٥٢

» ما قيل في وصف القمر وتشبيهه ... ٥٣

» شيء مما قيل فيه على طريق النجم ... ٥٦

» عباد القمر ... ٥٧

» ما قيل في الكواكب المتحركة ... ٥٨

» عباد الروحانيات ... ٥٨

» بيوت المياكل وأماكنها ونسبتها الى الكواكب ... ٦١

الباب الخامس :

٦٣ ... في الكواكب الثابتة ...

٦٤ ... ذكر ما يحتل به مما فيه ذكر الكواكب ...

٦٥ ... ما قيل في وصف الكواكب وتشبيهها ...

القسم الثاني

في الآثار العلوية، وفيه أربعة أبواب

الباب الأول :

٧١ ... في السحاب، وسبب حدوثه، وفي الثلج والبرد ...

٧٢ ... ذكر ما قيل في ترتيب السحاب، وأسمائه اللغوية وأصنافه ...

٧٤ ... » في ترتيب المطر ... »

٧٤ ... » في فعل السحاب والمطر ... »

٧٥ ... أسماء أمطار الأزمنة ... »

٧٥ ... » المطر اللغوية ... »

٧٧ ... ما يحتل به مما فيه ذكر المطر ... »

٧٨ ... شيء مما قيل في وصف السحاب والمطر ... »

٨٢ ... ما ورد في وصفها ثلثاً ... »

٨٦ ... شيء مما وصف به الثلج والبرد ... »

الباب الثاني :

٨٧ ... في النيازك، والصواعق، والرعد، والبرق، وقوس قزح ...

صفحة

الباب الثالث :

- في أسطقس الهواء ٩٥
- ذكر ما قيل في حد الهواء ٩٥
- » أسماء الرياح اللغوية ٩٨
- فصل فيما يذكر منها بلفظ الجمع ٩٩
- ذكر ما يتصل به مما فيه ذكر الهواء ٩٩
- » ما جاء في وصف الهواء وتشبيهه ١٠٠

الباب الرابع :

- في أسطقس النار، وأسمائها، وعبادها، وبيوت النيران ١٠٣
- ذكر أسماء النار ١٠٤
- » عباد النار ١٠٥
- بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس ١٠٧
- ذكر نيران العرب ١٠٩
- » النيران المجازية ١١٤
- » النيران التي يضرب بها المثل ١١٥
- » ما جاء منها على لفظ أفضل ١١٦
- » ما قيل في وصف النار وتشبيهها ١١٧
- » نبيء مما قيل في الشمعة والشمعدان، والسراج، والقنديل ١٢٠
- ماورد في وصفها ثرا ١٢٣
- ما قيل في السراج ١٢٤
- رسالة القنديل والشمعدان ١٢٤

القسم الثالث من الفن الأول

في الليالي والأيام، والشهور والأعوام، والفصول والمواسم والأعياد،

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول :

- في الليالي والأيام... ١٣٠ ...
- ذكر ما قيل في الليل وأقسامه... ١٣١ ..
- فصل وقد عبر بالليالي عن الأيام... ١٣٢ ...
- ذكر الليالي المشهورة... ١٣٢ ...
- » ما يمثل به مما فيه ذكر الليل... ١٣٣ ...
- » ما قيل في وصف الليل وتشبيهه... ١٣٤ ...
- » ما وصف به الليل من الطول... ١٣٥ ...
- » » » من القصر... ١٤٠ ...
- » » » من الإشراف... ١٤٢ ...
- » » » من الظلمة... ١٤٢ ...
- » شيء مما قيل في تباضير الصباح... ١٤٣ ...
- » ما قيل في النهار... ١٤٧ ...
- » الأيام التي خصت بالذكر... ١٤٨ ...
- » أيام أصحاب الملل الثلاث... ١٥٠ ...
- » ما يمثل به مما فيه ذكر النهار... ١٥٠ ...
- » شيء مما قيل في وصف النهار وتشبيهه... ١٥١ ...
- » » » وصفت به الآلات الموضوعة لمعرفة الأوقات... ١٥٣ ...

الباب الثاني :

- في الشهور والأعوام ... ١٥٦ ...
- ذكر الشهور وما قبل فيها ... ١٥٦ ...
- » الأشهر العربية وما يختص بها من القول ... ١٥٧ ...
- شهور اليهود ... ١٥٩ ...
- الشهور العجمية ... ١٥٩ ...
- ذكر ما يختص بالسنة من القول ... ١٦٤ ...
- » النبی، ومذهب العرب فيه ... ١٦٥ ...
- » السنين التي يضرب بها المثل ... ١٦٧ ...

الباب الثالث :

- في الفصول وأزمته ... ١٦٩ ...
- ذكر ما قيل في وصف فصل الصيف وتشبيهه نظماً وثراً ... ١٧١ ...

الباب الرابع :

- في ذكر مواسم الأهم وأعيادها، وأسباب اتخاذهم لها، وما قيل في ذلك ١٨٤
- ذكر الأعياد الإسلامية ... ١٨٤ ...
- » أعياد الفرس ... ١٨٥ ...
- » التصاريق القبط ... ١٩١ ...
- » اليهود ... ١٩٥ ...

القسم الرابع من الفن الأول

في الأرض، والجبال، والبحار، والجزائر، والأنهار، والعيون،
والغدران، وفيه سبعة أبواب

الباب الأول :

في مبدأ خلق الأرض ١٩٨

الباب الثاني :

في تفصيل أسماء الأرضين وصفاتها، في الاتساع، والاستواء، والبعث،
والغلظ، والصلابة، والسهولة، والحزونة، والارتفاع، والانخفاض،

وغير ذلك ١٩٩

ذكر تفصيل أسماء التراب وصفاته ٢٠٢

» » » القبار وأوصافه ٢٠٣

» » » الطين ٢٠٣

» » » الزمالة ٢٠٤

» ترتيب كمية الرمل ٢٠٥

» تفصيل أسماء الطرق وأوصافها ٢٠٦

الباب الثالث :

في طول الأرض ومساحتها ٢٠٧

الباب الرابع :

في الأقاليم السبعة ٢٠٩

ذكر ما يمتثل به مما فيه ذكر الأرض ٢١٣

» شيء مما قيل في وصف الأرض وتشبيهها ٢١٤

صفحة

الباب الخامس :

- في الجبال ... ٢١٨
 ذكر أسماء ما أرتفع من الأرض الى أن يبلغ الجليل ... ٢٢٠
 » ترتيب أبعاض الجبل ... ٢٢١
 » » مقادير الحجارة ... ٢٢٣
 » ما يمثل به مما فيه ذكر الجبال والحجارة ... ٢٢٦
 » شيء مما قيل في وصف الجبال وتشبيهها ... ٢٢٧

الباب السادس :

- في ذكر البحار والجزائر ... ٢٢٨
 ذكر بحار المعمور من الأرض ... ٢٢٩
 » ما يتفرع من البحر المحيط ... ٢٣١
 » الخلجان التي تخرج من البحر الرومي ... ٢٣٥
 بحر الهند وجزائره ... ٢٣٧
 ذكر خلجان البحر الهندي ... ٢٤٣
 بحر مايطش ... ٢٤٦
 بحر الخزر وجزائره ... ٢٤٧
 ذكر ما في المعمور من البحرات المالحة المشهورة وما بها من السحاب ... ٢٥٠
 » ما يمثل به مما فيه ذكر البحر ... ٢٥٤
 » شيء مما قيل في وصف البحر وتشبيهه ... ٢٥٥
 » » وصف به البحر والسفن ... ٢٥٦
 » ما وصفت به البحار والسفن ثرا ... ٢٥٨

الباب السابع :

في العيون والأنهار والفتراخ وما وصفت به البرك ، والدواليب ،

والتواخير ، والجداول ٢٦١

نهر النيل ٢٦٢

» الفرات ٢٦٦

» دجلة ٢٦٨

» مجستان ٢٦٩

» مهران ٢٧٠

» جيحون ٢٧٠

» سيحون ٢٧١

» الكلك ٢٧٢

» الكر ٢٧٣

» اطل ٢٧٣

ذكر ما في المعمور من الأنهار والعيون التي يتحجب منها ٢٧٤

» ما يمثل به مما فيه ذكر الماء ٢٧٧

» شيء مما قيل في وصف الماء وتشبيهه ٢٨١

» » وصفته به الأنهار ٢٨٢

» » » البرك ٢٨٥

» » » الدواليب والتواخير ٢٨٨

» » » » » ثرا ٢٨٩

حصيفة

ذكر شيء مما وصفت به الجداول ... ٢٩٠

» جَدَّاءُ الْمَاءِ ... ٢٩١

القسم الخامس من الفن الأول

في طبائع البلاد ، وأخلاق سكانها ، وخصائصها ، والمباني القديمة ،
والمعادل ، وما وصفت به القصور والمنازل ، وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

في طبائع البلاد ، وأخلاق سكانها ... ٢٩٢

الباب الثاني :

في خصائص البلاد ... ٢٩٧

مكة المشرفة ... ٢٩٧

ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض ٢٩٨

» بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم عليه السلام ومبدأ الطواف ... ٢٩٩

» زيارة الملائكة البيت الحرام ... ٣٠٠

ذكر هبوط آدم عليه السلام الى الأرض ، وبنائه الكعبة المشرفة وحجه

وطوافه بالبيت ... ٣٠١

ذكر فضل البيت الحرام ، والحرم ... ٣٠٤

» ما جاء في طواف سفينة نوح عليه السلام بالبيت ... ٣٠٧

» من تخير إبراهيم عليه السلام موضع البيت ... ٣٠٧

» حج إبراهيم عليه السلام وإذنه بالحج وحج الأنبياء بعده وطوافهم ... ٣٠٨

ذكر ما جاء من مسألة إبراهيم عليه السلام الأمن والرزق لأهل مكة

والكتب التي وجد فيها تعظيم الحرم ... ٣١١

صفحة

ذكر أسماء الكعبة ومكة ... ٣١٣

» ما جاء في فضل الركن الأسود ... ٣١٤

» » » استلام الركن الأسود، والجماعى ... ٣١٦

» » » الطواف بالكعبة ... ٣١٧

» » » زمزم ... ٣١٧

» » من آتساع مئى أيام الحج، ولم تسميت مئى ... ٣١٩

» » فى فضائل مقبرة مكة ... ٣١٩

» شئء من خصائص مكة ... ٣١٩

المدينة المشرفة (على ما كنها أفضل الصلاة والسلام) ... ٣٢٠

ذكر شئء من خصائص المدينة المشرفة وأسمائها ... ٣٢٣

البيت المقدس ، والمسجد الأقصى ... ٣٢٥

البدء بذكر الأرض المقدسة ... ٣٢٥

فضل بيت المقدس ... ٣٢٨

» زيارة بيت المقدس ، وفضل الصلاة فيه ... ٣٣٠

ما ورد فى بيت المقدس من مضاعفة الحسنات والسيئات فيه ... ٣٣٢

فضل السكنى فيه والإقامة والوفاء به ... ٣٣٢

ما بيت المقدس من قبور الأنبياء، ومحراب داود وعين سلوان ... ٣٣٣

ما ورد فى أن الحشر من بيت المقدس ... ٣٣٤

» فى فضل الصخرة والصلاة الى جانبها ... ٣٣٥

» فى أن الله عز وجل عرج من بيت المقدس الى السماء ... ٣٣٦

| | |
|-------|---|
| صحيفة | |
| ٣٣٩ | ثواب الإحلال من بيت المقدس |
| ٣٣٩ | ما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة |
| ٣٤٠ | اليمن وما يختص به |
| ٣٤٠ | الشام وما يختص به |
| ٣٤٠ | مسجد دمشق وما قيل فيه |
| ٣٤٤ | مصر وما يختص بها من الفضائل |
| ٣٤٩ | ذكر من ولد بمصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن كان بها منهم |
| ٣٤٩ | » » كان بها من الصديقين والصديقات، رضى الله عنهم |
| ٣٥٠ | » » صاهر أهل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام |
| ٣٥٠ | » » أظهرته مصر من الحكماء |
| ٣٥٤ | ومن فضائل مصر |
| ٣٥٧ | ما وصفت به مصر |
| ٣٥٨ | جزيرة الأندلس |
| ٣٥٩ | البصرة وما أختصت به |
| ٣٦٠ | بغداد وما أختصت به |
| ٣٦١ | الأهواز وما أختصت به |
| ٣٦١ | فارس وما أختصت به |
| ٣٦٢ | أصفهان وما أختصت به |
| ٣٦٢ | حرجان وما أختصت به |
| ٣٦٣ | نيسابور وما أختصت به |

| | |
|------|---|
| صفحة | |
| ٣٦٤ | طوس وما أختصت به |
| ٣٦٤ | بلغ وما أختصت به |
| ٣٦٥ | بست وما أختصت به |
| ٣٦٥ | غزنة وما أختصت به |
| ٣٦٦ | بجستان وما أختصت به |
| ٣٦٦ | الهند وما أختصت به |
| ٣٦٦ | الصين وما أختصت به |
| ٣٦٧ | سمرقند وما أختصت به |
| ٣٦٧ | بلاد الترك وما أختصت به |
| ٣٦٨ | خوارزم وما أختصت به |
| ٣٦٨ | ذكر الخصائص التي تجري مجرى الطلسمات |
| | ذكر خصائص البلاد في أشياء مختلفة (وهي العلم ، والعمل ، والجواهر ، |
| | والملابس ، والأوبار ، والفرش ، والمراكب ، والحیوانات ذوات |
| | السموم ، والحلوى ، والثمار ، والرياحين ، والخلق ، والأخلاق ، |
| ٣٦٩ | والأمراض والآثار العلوية) |

الباب الثالث :

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ٣٧٢ | في المباني القديمة |
| ٣٧٢ | ذكر أول بناء وضع على وجه الأرض |
| ٣٧٣ | » خبر آدم ذات العهد |
| ٣٧٤ | » خبر سد ياجوج وماجوج |

| | | |
|-----|--------|--|
| ٣٧٩ | | ذكر مباني القوس المشهورة |
| ٣٨٠ | | من مباني القوس إيوان كسرى |
| ٣٨١ | | « المباني القديمة الحضر |
| ٣٨٢ | | » » » القلّيس |
| ٣٨٣ | | » » المشهورة قطرة صنجة |
| ٣٨٣ | | » » القديمة ملعبا بلبك |
| ٣٨٤ | | ذكر مباني العرب المشهورة |
| ٣٨٤ | | غمدان |
| ٣٨٥ | | حصن تيماء |
| ٣٨٥ | | الخوزن والسدير |
| ٣٨٧ | | الغريان |
| ٣٨٧ | | ذكر الأبنية القديمة التي بالديار المصرية |
| ٣٨٨ | | الأهرام |
| ٣٩٢ | | حائط العجوز |
| ٣٩٣ | | ملعب أنصنا |
| ٣٩٣ | | مدينة عين شمس |
| ٣٩٤ | | البرابي |
| ٣٩٥ | | حنية الانزورد |
| ٣٩٥ | | منارة الاسكندرية |

(ف) من نهاية الأرب

| | |
|--------------------------|-----|
| رواق الإسكندرانيين | ٣٩٨ |
| ذكر شيء من عجائب المبانى | ٣٩٨ |

الباب الرابع :

| | |
|-----------------------------|-----|
| فيما وصفت به المعقل والحصون | ٤٠١ |
|-----------------------------|-----|

الباب الخامس :

| | |
|--|-----|
| فيما وصفت به القصور والمنازل | ٤٠٦ |
| ما وصفت به المنازل الخالية | ٤١٢ |
| ذكر شيء مما قيل في حب الأوطان | ٤١٥ |
| » » » في الجسم | ٤١٥ |
| نسخة ما هو مكتوب في آخر الأصل بخط المؤلف | ٤١٦ |

تم فهرس السفر الأول

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنورى

مطابع کوستانس و شرکاء

۵ شارع وقف الخمر بوطل بالظاهر - ۱۱۱۸
القاهرة

تراثنا

نَهْائِيَةُ الْاَدَبِ

في

فَنُوهُ الْاَدَبِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

السَّفر الثاني

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراقات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطالعہ کوستا اسوامس و شریکاء
فی شارع وقف النور بوسط القاهرة - ۱۹۱۸
القاهرة

فهرس

السفر الثاني

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للسوري

الفن الثاني

صفحة

١ في الإنسان وما يتعلق به

القسم الأول

في اشتقاقه، وتسميته، وتقلاته، وطبائمه، ووصفه، وتشبيهه،

والغزل، والنسيب، والموى، والمحبة، والعشق، والأسباب؛

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول :

٥ في اشتقاقه وتسميته وتقلاته وطبائمه وما يتصل بذلك

٧ فصل قال أحمد بن محمد بن عبد ربه

١٠ فصل وأما ترتيب أحواله

١٢ فصل في ظهور الشيب وعمومه

١٣ النفس الغضبية

١٣ النفس البهيمية

الباب الثاني :

- ١٦ ... في وصف أعضاء الإنسان وتسميتها
- ١٦ ... الشعر وما قيل فيه
- ١٧ ... فصل في تفصيل أوصافه
- ١٨ ... ومما وصف به الشعر
- ١٩ ... ومما وصفت به شعور النساء
- ٢١ ... ذكر ما قيل في الشيب والخضاب من المدح والذم
- ٢١ ... فاما مدح الشيب
- ٢٤ ... وأما ما ورد في ذم الشيب
- ٢٩ ... ومما قيل في الخضاب من المدح
- ٣٠ ... ومما قيل في ذم الخضاب
- ٣١ ... وأما ما وصف به الوجه
- ٣٤ ... ومن ذلك ما قيل في المؤنث
- ٣٥ ... ومما وصف به صفاء الوجه ورقة البشرة
- ٣٦ ... ومن ذلك ما قيل في المؤنث
- ٣٧ ... ومما قيل في صفرة الوجه
- ٣٧ ... ومن ذلك ما قيل في المؤنث
- ٣٨ ... ومما قيل في السمرة
- ٣٨ ... ومما قيل في السواد
- ٤٠ ... ومما وصف به أثر الجدري في الوجه

صحيفة

- ٤١ وما قيل في الحواجب ...
- ٤١ وما وصفت به الحواجب ...
- ٤٢ وما قيل في العيون ووصفها ...
- ٤٤ فصل في عوارض العين ...
- ٤٤ فصل في كيفية النظر وهيئته ...
- ٥٠ وما وصفت به العيون على لفظ التانيث ...
- ٥٢ وما قيل في أدواء العين ...
- ٥٣ وما قيل في أرمده ...
- ٥٥ وما قيل في أرمده غطى عينه بشعرية ...
- ٥٦ فصل في ترتيب البكاء ...
- ٥٧ فصل فيما قيل في الأنف ...
- ٥٧ وما قيل في الشفاه والفم ...
- ٥٨ فصل في تقسيم ماء الفم ...
- ٥٨ فصل في ترتيب الضحك ...
- ٥٩ وما قيل في طيب الريق والنكهة على لفظ التذكير ...
- ٦١ وما وصف به على لفظ التانيث ...
- ٦٢ وما قيل في طيب عرف النساء ...
- ٦٤ وما قيل في الأسنان ...
- ٦٥ فصل في مقابحها ...
- ٦٦ فصل في ترتيب الأسنان ...
- ٦٧ وما قيل في السواك ...

صحيفة

- ومما قيل في اللسان ... ٦٨ ...
- فصل في عيوبه ... ٦٨ ...
- فصل في ترتيب اليمى ... ٦٩ ...
- ومما وصف به حسن الحديث والنعمة ... ٧٠ ...
- ومما قيل في الأذن ... ٧٢ ...
- فصل في ترتيب الصمم ... ٧٢ ...
- ومما وصف به الصدغ ... ٧٣ ...
- ومما وصفت به الحدود والوجنات ... ٧٤ ...
- ومما وصفت به على لفظ التانيث ... ٧٧ ...
- ومما وصفت به الخيلان ... ٧٨ ...
- ومما وصفت به على لفظ التانيث ... ٨١ ...
- ومما قيل في العذار ... ٨١ ...
- ومما وصف به العذار على طريق النعم ... ٨٧ ...
- ومما قيل في العنق ... ٩٢ ...
- ومما قيل في اليد إذا باشرت ما يعلق بها ... ٩٣ ...
- ومما مدحت به اليد ... ٩٤ ...
- ومما قيل في النهود ... ٩٥ ...
- ومما قيل في البطن ... ٩٧ ...
- ومما قيل في الأرداف والخصور ... ٩٧ ...
- ومما وصفت به على لفظ التانيث ... ٩٩ ...
- ومما قيل في السوق ... ١٠٠ ...

صحيفة

- وما وصفت به القدود ... ١٠١ ...
- وما قيل في العناق ... ١٠٣ ...
- وما ورد على لفظ التأنيث ... ١٠٥ ...
- وما قيل في وصف مشى النساء ... ١٠٦ ...
- ما جاء من الأمثال في الإنسان ... ١٠٨ ...
- وما يمثل به في ذكر النفس ... ١٠٩ ...
- وما يمثل به من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة ... ١١٠ ...
- ما قيل في الرأس والشعر ... ١١٠ ...
- ما يمثل به من ذكر الوجه ... ١١٠ ...
- ما يمثل به من ذكر العين ... ١١١ ...
- ما يمثل به من ذكر الأنف ... ١١٢ ...
- ما يمثل به من ذكر الفم واللسان والأسنان ... ١١٢ ...
- ما يمثل به من ذكر الأذن ... ١١٣ ...
- ما يمثل به من ذكر العنق ... ١١٣ ...
- ما يمثل به من ذكر اليد ... ١١٣ ...
- ما يمثل به من ذكر الصدر والقلب ... ١١٥ ...
- ما يمثل به من ذكر الظهر والبطن والجنب ... ١١٦ ...
- ما يمثل به من ذكر الكبد والدم والعروق ... ١١٦ ...
- ما يمثل به من ذكر الساق والقدم ... ١١٧ ...
- من ضرب به المثل من الرجال على لفظ أفضل للتفضيل ... ١١٧ ...
- وأما من ضرب بها المثل من النساء ... ١٢٣ ...

الباب الثالث :

| | |
|--|-----|
| في الغزل والنسب والهوى والمحبة والعشق | ١٢٥ |
| ذكر شيء مما قيل في الهوى والمحبة والعشق | ١٢٥ |
| فأما كلام الحكماء والفلاسفة | ١٢٦ |
| وأما كلام الإسلاميين وما قالوه فيه | ١٢٦ |
| ذكر مراتب العشق وضروبه | ١٢٨ |
| ذكر ما قيل في الفرق بين المحبة والعشق | ١٣٠ |
| وأما سبب العشق وما قيل فيه | ١٣١ |
| فصل ومن أسباب العشق | ١٣٥ |
| فصل وذكر بعض الحكماء | ١٣٥ |
| فصل ويتأكد العشق بإدمان النظر | ١٣٧ |
| وأما ما قيل في مدحه وذمه والممدوح منه والمذموم | ١٣٨ |
| فأما الممدوح منه | ١٣٨ |
| وأما القسم المذموم منه | ١٤٥ |
| ذكر شيء من الشعر المقول في ذم العشق والحب | ١٥٠ |
| وأما من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوبه | ١٦٠ |
| ومن خاطر بنفسه في هواه وعرضها للتلف فنجبا ونال خيرا | ١٦٥ |
| وأما من كفر بسبب العشق | ١٧٣ |
| وأما من قتل بسبب العشق | ١٧٥ |
| وأما من قُتل بسبب العشق | ١٧٦ |
| وأما من قتله العشق | ١٨٤ |

صيفة

- وأما من قتل نفسه بسبب العشق ... ١٩٥ ...
 ذكر شيء مما ورد في التحذير من قتلة النساء وضم الزنا والنظر إلى المردان
 والتحذير من اللواط وعقوبة اللائط ... ١٩٨ ...
 أما ما ورد من التحذير من قتلة النساء ... ١٩٨ ...
 وأما ما جاء في ذم الزنا ... ٢٠١ ...
 وأما ما جاء في النهي عن النظر إلى المردان ومجالستهم ... ٢٠٢ ...
 وأما ما جاء في التحذير من اللواط وما ورد في محاق النساء ... ٢٠٤ ...
 وأما ما ورد في عقوبة اللائط والمولود به في الدنيا والآخرة ... ٢٠٥ ...
 أما عقوبة الدنيا ... ٢٠٥ ...
 وأما عقوبته في الآخرة ... ٢٠٨ ...
 ذكر نبذة مما قيل في النزل والنسب ... ٢١٠ ...
 لما قيل في المذكر ... ٢١٢ ...
 ومما قيل في المؤنث ... ٢٢٦ ...
 ومما قيل في المطلق والمشتك ... ٢٣١ ...
 ومما قيل في طيف الخيال ... ٢٣٧ ...
 ومما قيل في الرد على العذول ... ٢٤١ ...
 ومما قيل في رجوع العذول ... ٢٤٢ ...
 ومما قيل في الوصال ... ٢٤٢ ...
 ومما قيل في الفراق والين ... ٢٤٣ ...
 ومما قيل في مفارقة الأشخاص ... ٢٤٦ ...

صحيفة

| | | |
|-----|--------|---|
| ٢٤٦ | | ومما قيل فى التوديع ... |
| ٢٥٠ | | ومما قيل فى الصدّة والحجران ... |
| ٢٥١ | | ومما قيل فى الزيارة ... |
| ٢٥٣ | | ومما قيل فى تخفيف الزيارة ومواسمها ... |
| ٢٥٤ | | ومنها التاخر عن عيادة المرضى ... |
| ٢٥٥ | | ومما قيل فى المدامع ... |
| ٢٥٨ | | ومما قيل فى الرضا من المحبوب باليسير ... |
| ٢٥٩ | | ومما قيل فى التحول ... |
| ٢٦١ | | ومما قيل فى المحبوب اذا اعتلّ ... |
| ٢٦٢ | | ومما يناسب هذا الفصل ما قيل فى شرب الدواء ... |
| ٢٦٣ | | ومما قيل على لسان الورقاء ... |
| ٢٦٥ | | ومما قيل فى المراجعات ... |
| ٢٦٧ | | ومما قيل فى المردوف ... |
| ٢٦٨ | | ومما قيل فى الجناس ... |
| ٢٧٢ | | ومما قيل فى الموثحات ... |

الباب الرابع :

| | | |
|-----|--------|------------------------------|
| ٢٧٦ | | فى الأسلوب ... |
| ٢٧٧ | | الطبقة الاولى الجنم ... |
| ٢٨٣ | | وأما عزوة العرب الى يمن ... |
| ٢٨٤ | | والطبقة الثانية الجماهير ... |

من نهاية الأرب

(ك)

| | | | |
|------|-----|---------------------------------------|-----|
| صيفة | ... | والطبقة الثالثة الشعوب | ٢٨٤ |
| ... | ... | والطبقة الرابعة القبيلة | ٢٨٤ |
| ... | ... | والطبقة الخامسة المهاجر | ٢٨٤ |
| ... | ... | والطبقة السادسة البطون | ٢٨٤ |
| ... | ... | والطبقة السابعة الإغفاذ | ٢٨٥ |
| ... | ... | والطبقة الثامنة العشائر | ٢٨٥ |
| ... | ... | والطبقة التاسعة الفصائل | ٢٨٥ |
| ... | ... | والطبقة العاشرة الرهط | ٢٨٥ |
| ... | ... | أصل النسب أبو البشر آدم عليه السلام | ٢٨٦ |
| ... | ... | إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام | ٣٢٢ |
| ... | ... | ذكر نسب قيس ويطونها | ٣٣٤ |
| ... | ... | الياس بن مضر بن نزار | ٣٤٣ |
| ... | ... | مدركة بن الياس بن مضر | ٣٤٨ |
| ... | ... | مالك بن النضر | ٣٥٢ |
| ... | ... | فهر بن مالك | ٣٥٢ |
| ... | ... | كعب بن لؤي بن غالب | ٣٥٥ |
| ... | ... | مرة بن كعب | ٣٥٦ |
| ... | ... | كلاب بن مرة بن كعب | ٣٥٧ |
| ... | ... | عبد مناف بن قصي | ٣٥٩ |
| ... | ... | عبد المطلب بن هاشم | ٣٦٠ |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن الثاني

في الإنسان وما يتعلق به

وهذا الفن قد أشتمل على معاني مؤنسة للسامع، مشنفة للسامع، ومرصعة لصدور الطروس والدفاتر، جاذبة لنوافر القلوب والخواطر؛ واضحة البيان، معربة عن وصف الإنسان.

فمن تشبيهات فاقه، وغزليات راقه؛ وأنساب طاهره، ووقائع ظاهره؛ وأمثال امتدت أطنابها، وتبينت أسبأها؛ وأوائد جعلتها العرب لها عادةً ودليلاً، وأخذتها ضلالةً وتبدلاً؛ ونصبتها أحكاماً ونسكاً، وضيرتها عبادةً ومداواةً فتبرأت بها من النار دركاً؛ وشئ من أخبار الكهّان، وزجر عبدة الأوثان؛ وكنايات نقلت الألفاظ إلى معاني أبهى من معانيها، وبلغت النفوس بعدوتها غاية أمانها؛ وألغاز غوّرت بالمعاني وأنجذت، وأشارت إليها بالتأويل حتى إذا قربتها من الأفهام أبعدت؛ ومدائح رفعت للمدوح من الفضل مناراً، وأهاجى صيرت المهجّو من القوم يتوارى؛ ومجّون تراح إليها عند خلوتها النفوس، ويهيم عند سماعها ذو الوجه العيوس؛ وشئ مما قيل في النمر والمعاقره، وأرباب الطرب وذوي المسامره، وبهان نشرت من البشائر ملأه، ورفعت من الحامد لواءه؛ وتعايز حسرت نقاب الحسرات، وأبرزت مصبون العبرات.

وأوردت فيه نبذة من الزهد والإيتابه، وجملة من الدعوات المستجابة .
 وطرزته بذكر ملك، مد رواق العدل، ونشر لواء الفضل؛ وقام بفروض الجهاد
 وسننه، وأراع العدو في حالتي يقظته ووسننه؛ وعم الأولياء بمواصلته بزمه وموالاة
 نواله، وقهر الأعداء بمراسلة سهامه ومناضلة نصاله؛ وشمل رعاياه بعدله وجوده،
 وادرف سراياه بجيوشه وجنوده، فهو الملك الذي جمع بين شدة البأس، ولين الندى،
 وأزال مرارة الإياس، بحلاوة العطا .

وما يحتاج إليه لإقامة المملكة : من نائب ناهيك به من نائب ! ، يكف بعزمه
 كف الحوادث ويقل بحزمه نائب النوائب؛ وينصف الضعيف من القوى، ويفرق
 بين المريء والبري؛ ويتفقد أحوال الجيوش ويصرف همته إليهم، ويجعل
 اهتمامهم بفكرته فيهم وتعويلة عليهم؛ إلى غير ذلك من استكمال عتدها، والمطالبة
 بعرض خيولها وإصلاح عتدها؛ وسد ثغور الممالك، وضبط الطرق وتسهيل
 المسالك؛ وقمع المفسدين، وإرغام الملتحين؛ وبث السرايا، وتيسير الأرزاق والعطايا،
 ووزير يشيد قواعد ملكه بحسن تديره وجميل سداده، ويعمل فكره فيما يستقر
 بسببه نظام الملك على مهاده؛ ويأمر بتحصيل الأموال من جهات حلها، ويقتر
 مناصب الدولة الشريفة في الكفاة من أهلها؛ ويتصفح الأقاليم والمعاملات
 والأعمال، ويستكفي لمباشرتها أمناء النظار ومحقق المستوفين وكفاة المال .

وقائد جيوش إن أنتدبه للقاء عدو بدر الكائب، وأنهل من دماهم الشعر العوال
 وعلا هامهم بالبيض القواضب؛ تتبعه عساكر تنفر قلوبهم عن الفرار، ويحلوا من قائلهم
 من أعداء الله دار البوار؛ يدرعون السارية النوازل^(١)، ويعتقلون السهمرية التوابل؛

(١) هي دروع دقيقة النسج في إحكام، والنوازل جمع ذائقة وهي الطويلة "فامرس" .

ويتقلدون المشرّفة البواتر؛ ويتنكبّون القسيّ النواتر؛^(١) ويمتطون من كل جواد صفًا منه أديمه وعيناه وحوافره، وأنّسع منه جوفه وجهته ومناخره؛ وطال منه أنفه وعنقه وذراعه، وقُصّر منه ظهره وساقه وعصبيه وأمتدّ عند الحُضْر بابه: فهو من أكرم الأصائل، والمعنى يقول القائل:

وَقَدْ أَغْتَدَى قَبْلَ ضَوْءِ الصَّبَاحِ * وَوَرَدَ الْقَطَا فِي الْفُطَايِ الْحَثَاثِ .

بصافي الثلاث عرّيض الثلاث * قصير الثلاث طويل الثلاث .

وذكرت ماورد في فضل الرباط والجهاد، وما أعدّ الله تعالى من الثواب لمن أنفق فيه الطّوارف والتّلاذ؛ وبذل الكريمين: (النفس والمال) لحسن المال؛ وهجر الحبيين: (الوطن والعيال) لبلوغ الآمال .

وَمِنْ قَاضٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ ، وَيَقْدُمُ ذَوِي النَّبَاهَةِ وَالْفَضْلِ .

وَمَنْوَلٌ مَظَالِمَ يَرُدُّهَا عَلَى أَهْلِهَا بِقَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَسُطُوتِهِ وَأَعْوَانِهِ .

وناظر حُسبة يُجْرَى الْأُمُورُ عَلَى قَوَاعِدِهَا الشَّرْعِيَّةِ ، وَأَوْضَاعِهَا الْعُرْفِيَّةِ وَفَوَائِدِهَا الْمَرْضِيَّةِ .

إلى غير ذلك :

من كاتب ، ذى رأى صائب ، وفهم ثاقب؛ أشفادت له المعاني بأسهل زمام، وأغنت صحائفه عن صفحات الحُسام :

لَوْ لَا حَقَّقْتُ عَيْنُ ابْنِ أَوْيسَ كُتُبَهُ * مَا قَالَ: "إِنَّ السِّيفَ مِنْهَا أَصْدَقُّ" .

(١) في القاموس "قوس تارة تقطع وترها لصلابتها" .

وكاتب نراج ضبط بقلمه الأموال، وحذر بنبأته الغلال؛ وبسط الموازين،
 ووضع القوانين؛ وفصل بين الخراجي والهلالي، وميز ما بين الأعمال والتوالى .
 وما لا بدّ لك منه من خواصّ جُبلت على محبته قلوبهم، وتجاافت عن المضاجع
 فى خدمته جنوبهم .

- ومن معقّل شتمخ على الجوزاء بأفقه، وأتخذ الثريا وشاحاً لعطفه؛ توارى فى قرار
 النجوم أساسه، ولاح للسارى ككوكب الظلماء مقياسه . فالأرض تدعيه :
 لأنه ثبت على مناكبها، والسماء تنازعها فيه : لأنه تمنطق بكواكبها؛ والجبال تقول
 منى أُنحِذت أحجاره، والمياه تقول على استقرّ قراره؛ وجفن السحاب يهمع لأتمخطاطه
 عن هذه الرتبة، والطير تقول إن لم أبلغه فقد أتمدّ به من بينى وبينه نسبه .
- وضمّنت هذا الفن من المنقول ما يسهل تعاطيه على الأفهام، ووضعت على خمسة
 أقسام .

القسم الأول

في اشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه .
والغزل، والنسيب، والهوى، والمحبة، والعشق، والأسباب
وفيه أربعة أبواب

الباب الأول

من القسم الأول من الفن الثاني

(في اشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، وما يتصل بذلك)

فأما اشتقاقه وتسميته، فقد اختلف الناس في ذلك : هل هو من الأُنس الذي
هو تقيض الوحشة، أو التوس الذي هو تقيض السكون، أو الإيناس الذي هو بمعنى
الإبصار، أو النسيان الذي هو تقيض الذكر .

قال الشريف السيد ضياء الدين أبو السعادات هبة الله المعروف بابن الشجري
في "أماليه" (في المجلس التاسع عشر وهو يوم السبت سابع عشر رجب سنة أربع
وعشرين وخمسمائة) في شرح قول أعشى تغلب :

وَكَانُوا أَنَاسًا يَنْفَحُونَ فَأَصْبَحُوا ، * وَأَكْثَرُ مَا يُعْطُونَكَ النَّظْرَ الشَّرُّ .

قوله : "وَكَانُوا أَنَاسًا يَنْفَحُونَ" وزن أناس فُعَال، وناس متقوص منه عند أكثر
التحويين : فوزنه عَالٌ . والنقص والإتمام فيه متساويان في كثرة الاستعمال ما دام
متكورا . فإذا دخلت عليه الألف واللام، آتروا فيه الحذف، فقالوا "الناس"
ولا يكادون يقولون "الأناس" إلا في الشعر . كقوله :

إِنَّ الْمَنَاسِيَا يَطْلُبْنَ عَلَى الْأَنَاسِ الْأَمْنِيَا .

وحجة هذا المذهب وقوع الأُنْس على الناس . فاشتقاقه من الأُنْس نقيض الوحشة : لأن بعضهم يأنس إلى بعض . ^(١) [وبه أخذ بعض الشعراء في قوله : وما سُمِّيَ الإنسانُ إلا لأُنْسِهِ * ولا القلبُ إلا أنه يتقلبُ] .

قال : وذهب الكسائي إلى أن "الناس" لغة مفردة ، وهو أسم تام وألفه منقلبة عن واو ، وأستدل بقول العرب في تحقيره نُؤيس .

قال : ولو كان منقوصا من أناس لردّه التحقير إلى أصله ، فقليل "أُنيس" .

وقال بعض مَنْ وافق الكسائي في هذا القول : إنه مأخوذ من النُوس ، مصدر ناس نُوس إذا تحرك . ومنه قيل للملك من ملوك حمير ذو نُواس : لضفيرتين كانتا تُؤسان على عاتقه .

١٠ قال الفراء : والمذهب الأقول أشبه ، وهو مذهب المشيخة .

وقال أبو علي الفارسي : أصل الناس الأناس . فحذفت الهمزة التي هي فاء ويدل على ذلك الإِنْسُ والأَناسِي . فأما قولهم في تحقيره نُؤيس فإن الألف لماسارت ثانية وهي زائدة أشبهت ألف فاعل . يعني أنها أشبهت بكونها ثانية وهي زائدة أَلِف "ضارب" قليل نؤيس ، كما قيل ضويرب .

١٥ وقال سلمة بن عاصم ، وكان من أصحاب الفراء : الأشبه في القياس أن يكون كُلُّ واحد منهما أصلا بنفسه فأناس من الأُنْس ، وناس من النوس لقولهم في تحقيره نؤيس كبويرب في تحقير باب .

هذا ما قاله ابن السجري في أماليه .

(١) لم نجد هذه الزيادة في أمالي ابن السجري الموجود منها نسخة مخطوطة "بدار الكتب المصرية" .

وذهب أبو عمرو الشيباني : أنه مشتق من الإيناس ، الذي هو بمعنى الإبصار ؛
وحجته قوله تعالى : ” إِنِّي آنَسْتُ نَارًا “ أي أبصرت نارا .

وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من النسيان ، وحجته أن أصله إنسيان . فحذفت
الياء تخفيفا وفتحت السين لأن الألف تطالب فتح ما قبلها . ولأن العرب حين صغرت
قالت فيه أنيسيان ، فزادت الياء . والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، ولو لم تكن
في المكبر لما رُدَّت في المصغر . وبه أخذ أبو تمام في قوله :
لَا تَنْسِينَ تِلْكَ الْعُهُودَ فَإِنَّمَا هِيَ نَسِيَتَ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسِي .

وأنكر البصريون ذلك ، وقالوا : لا حجة فيه ، لأن العرب قد صغرت أشياء على
غير قياس كما قالوا في تصغير رجل بمعنى راجل رُوَيْيِل ، وفي تصغير ليلة لَيْلَلَة .
وفي تصغير عشيّة عَشِيْشَة .

وقال ابن عباس : إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عُهِد إليه فَنَسِيَ .
وهذا هو الأرجح والله تعالى أعلم .

فصل

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد في كتابه يرفعه إلى وهب بن منبّه
إنه قال : قرأت في ” التوراة “ أن الله عز وجل حين خلق آدم ركب جسده من
أربعة أشياء ؛ ثم جعلها ورأته في ولده ، تنمى في أجسادهم وينمى عليها إلى يوم القيامة .
رطب ، ويايس ، ومُخَن ، وبارد . قال : وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلقه من
تراب وماء ، وجعل فيه يئسا ورطوبة ، فيبوسة كل جسد من قبل التراب ، ورطوبة

- من قِبَلِ الماء، وحرارته من قِبَلِ النفس، وبرودته من قِبَلِ الروح . ثم خلق للجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواعٍ آخر وهي مَلَأَ الجسد وقوامه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ، ولا تقوم واحدة منهنّ إلا بالأخرى : المِزَّة السوداء، والمِزَّة الصفراء، والدم الرطب الحارّ، والبلغم البارد . ثم أسكن بعضَ هذا الخلق في بعض، فجعل مَسْكَنَ اليبوسة في المِزَّة السوداء، ومسكن الرطوبة في الدم، ومسكن البرودة في البلغم، ومسكن الحرارة في المِزَّة الصفراء . فأبعا جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع وكانت كُلُّ واحدة فيه وفقا لا تزيد ولا تنقص، بكت صحته واعتدل بناؤه . فإن زادت واحدة منهنّ عليهنّ وفقرتْهنّ ومالت بهنّ، دخل على أخواتها السُّقْم من ناحيتها بقدر ما زادت ؛ وإن كانت ناقصة عنهنّ، ملُن بها وعلونها وأدخل عليها السُّقْم من نواحيهنّ، لغلبتهنّ عليها حتّى تضعُف عن طاقتهنّ وتعجزَ عن مقاومتهم .

١٠

قال وهب : وجعل عقله في دماغه، وشَرَّه في كُليتيه، وغضبه في كبده، وصَرامته في قلبه، ورغبته في رثته، وضحكه في طحالهِ، وحزنه وفرحه في وجهه . وجعل فيه ثلثائة وستين مَفَصَلا .

- ويقال : إنما لُقِّبَ الإنسان بالعالم الصغير، لأنهم مثَّلُوا رأسه بالملك، ووجهه بالشمس إذ لا قِوامَ للعالم إلا بها كما لا قِوامَ للجسد إلا بالروح، وعقله بالقمر لأنه يزيد وينقص ويذهب ويعود، ومثَّلُوا حواسه الخمسَ ببقية الكواكب السَّيَّارة، وآراءه بالنجوم الثابتة، ودمعه بالمطر، وصوته بالرعد، وضحكه بالبرق، وظهره بالبرّ، وبطنه بالبحر، ولحمه بالأرض، وعظامه بالجلال، وشعره بالنبات، وأعضاءه بالأقاليم، وعروقه بالأشجار، ومغاره عروقه بالعيون .

١٥

ومنها : أن فيه مايشاكل الجمعة، والشهر، والأيام، والسنة .

أما أيام الجمعة، فإن بدنه سبعة أجزاء، وهي اللحم، والعظام، والعروق، والأعصاب،
والنظم، والجلد، والشعر .

وأما الشهور، فإن لبدنه اثني عشر جزءاً مذبرةً : ستة منها باطنة، وهي الدماغ،
والقلب، والكبد، والطحال، والمعدة، والكليتان، وستة ظاهرة، وهي العقل،
والحواس الخمس، فهذه الاثنا عشر مقابلة لشهور السنة .

وأما الأيام، فإن فيه ثلثمائة وستين عظماً، منها ما هو لبنة الجسد مائتان وثمانية
وأربعون عظماً . والإنسان ينقسم إلى أربعة أنواع : الرأس، واليدان، والبدن،
والرجلان، ففي الرأس اثنتان وأربعون عظماً، وفي اليدين اثنتان وثمانون عظماً، وفي البدن
أربعون عظماً، وفي الرجلين أربعة وثمانون عظماً، والباقي ستمائة لسد الفروج التي
تكون بين العظام . وفيه ثلثمائة وستون عرقاً .

وأما فصول السنة : فإن فيه أربعة أخلاط طبعها طبعُ الفصول الأربعة، فالدم
كالبزج في حرارته ورطوبته، والمزّة الصفراء كالصيف في حره ويسه، والمزّة
السوداء كالخريف في برده ويسه، والبلغم كالشتاء في برده ورطوبته . وهذه
الأخلاط من أول مزاج الأركان التي هي العناصر الأربعة، وهي : النار، والهواء،
والماء، والأرض .

فصل

وأما ترتيب أحواله وتنقل السن به إلى أن ينتهى :

[^(١) قال الله تبارك وتعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَىٰ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) .

وقال تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) .

وقال عز وجل : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيََكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوفَىٰ مِنْ قَبْلِ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَآ مُّسَمًّى وَلِلَّهِ كُتُبُ الْعِلْمِ) .

وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْعَلُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعٍ : بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ" .^(١) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "وَكُلُّ اللَّهِ بِالرَّحِمِ مَلَكًا : فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٍ ! أَيُّ رَبِّ عَلَقَةٍ ! أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٍ ! فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ : أَيُّ رَبِّ ذَكَرَ

(١) هذه الزيادة المحصورة بين قوسين مرجع من مقولات كهاى عن إحدى النسخ .

أَمْ أُنْثَى؟ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَا الرُّزْقُ؟ فَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .
نُزِجَ ذَلِكَ الْبَخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ" فِي بَابِ الْقَدَرِ .

وقال الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ :

"قالت الحكمة : يشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى أن يهرم ويموت على سبعة وثلاثين^(١) حالاً ، وسبعة وثلاثين^(١) أسماً : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظام ، ثم خلقا آخر ، ثم جنينا ، ثم وليداً ، ثم رضيعاً ، ثم فطياً ، ثم يافعاً ، ثم ناشئاً ، ثم مترعراً ، ثم حزوراً ، ثم مرأهاً . ثم محتاماً ، ثم بالغاً ، ثم أمرداً ، ثم طاراً ، ثم باقلاً ، ثم مسيطراً ، ثم مصرخاً ، ثم محتطاً ، ثم صملاً ، ثم ملجياً ، ثم مستريماً ، ثم مصعداً ، ثم مجتمياً .

وقال غيره [:

١٠ . مادام الولد في الرحم ، فهو جنين ، فإذا وُلِدَ ، فهو وليد ، وما دام لم يستتم سبعة أيام ، فهو صديغ : لأنه لم يستد صدغه إلى تمام السبعة ، ثم مادام يرضع ، فهو رضيع ، فإذا قُطِعَ عنه اللبن ، فهو فطيم ، ثم إذا غلظت وذهبت عنه تראה الرضاعة ، فهو جحوش .

قال الهذلي :

قَتَلْنَا عَمَلِدًا وَأَبَى نُرَاقِ ۖ وَآخَرَ جَحُوشًا فَوْقَ الْفَطِيمِ .

ثم إذا دب ونما ، فهو دارج .

١٥ . فإذا بلغ طوله خمسة أشبار ، فهو نحاسي .

فإذا سقطت رواضعه ، فهو مثبور .

فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط ، فهو متغر ومتغر معاً .

(١) البيانات التالية بعده سبعة وعشرون ظاهراً محرقة عنها .

- فإذا تجاوز عشرين أو جاوزها، فهو مترعرع وناشئ .
 فإذا كاد أن يبلغ الحلم أو بلنه، فهو يافع ومراهق .
 فإذا آحتم واجتمعت قوته، فهو خَزَزٌ، وأسمه في جميع هذه الأحوال التي تقدم ذكرها غُلام .
 • فإذا أخضرَّ شاربه وأخذ عذاره يسيل، قيل فيه قد بَقَلَ وجهه .
 • فإذا صار ذا قَنَاءٍ، فهو فقي وشارخ .
 • فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه، فهو مجتميع .
 • ثم مادام بين الثلاثين والأربعين، فهو شاب، ثم هو كهل إلى أن يستوفي الستين .

فصل

في ظهور الشيب وعمومه

- ١٠ . يقال للرجل أَوَّلَ ما يظهر به الشيبُ، قد وَخَطَه الشيب .
 • فإذا زاد، قيل خَصَّصَه وَخَوَّصَه .
 • فإذا ابيضَّ بعضُ رأسه، قيل قد أَخْلَسَ رأسه، فهو مُحْلِس .
 • فإذا غلب بياضه سواده، فهو أَعْتَمُّ .
 • فإذا شَمِطَت مواضعُ من لحيته، قيل وَخَزَ القَتِيرَ وَلَحَزَه .
 • فإذا كثُر فيه الشيبُ وانتشر، قيل فيه قد تَقَشَّعَ ^(١) فيه الشيبُ .

(١) وردت هذه الجملة هكذا بالأصل . وفي نسخة النعالي (فإذا كاد يجاوز العشرين، أو جاوزها

فهو مترعرع وناشئ) وهو الصواب .

(٢) كذا بالأصل وبقه اللغة وهو محرف عن "تَقَشَّعَ" قال في القاموس (وتَقَشَّعَ فيه الشيبُ أو الدم:

انتشر وكثر) .

ويقال أيضا : شاب الرجل ، ثم شَيط ، ثم شاخ ، ثم كبر ، ثم توجه ، ثم دلف ، ثم دب ، ثم حج ، ثم هـج ، ثم ثلب ، ثم الموت .
وقيل : ما السرور ؟ قال : إدراك الحقيقة ، واستنباط الدقيقه .



وأما النفس الغضبية ، فهم أصحابها منافسة الأكفء ومغالبة الأقران ومكاثرة العشيرة .

ومن ذلك ما أجاب به حصين بن المنذر ، وقد قيل له : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، والجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير .

وقيل للحسن بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيع جاز ، وأمر نافذ .

وقيل لعبد الله بن الأهم : ما السرو ؟ قال : رفح الأولياء ، ووضع الأعداء ، وطول البقاء مع الصحة والنماء .

وقيل لزياد : ما السرور ؟ قال : من طال عمره ، ورأى في عنقه ما يسره .

وقيل لأبي مسلم ، صاحب الدعوة : ما السرور ؟ قال : ركوب الهبالجة ، وقتل الجابرة . وقيل له : ما اللذة ؟ قال : إقبال الزمان ، وعز السلطان .



وأما النفس البهيمية ، فهم أصحابها طلب الراحة . وأنهمالك النفس على الشهوة من الطعام والشراب والتكاح .

وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفرس دهرها كله ، فقالوا :

يوم المطر للشرب ؛ ويوم الريح للنوم ؛ ويوم الدخن للصيد ؛ ويوم الصخو للجلاس .

قيل : ولما بلغ ابن خالويه ما قسمته الفرس من أيامها قال : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ! ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ .

ولكن نينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء : جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ؛ ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصة على العامة ، ويقول : "إِنلِفُوا حَاجَةً مِّنْ لَا يَسْتَطِيعُ إبْلَاحِي . فإنه مَن أَبْلَغَ حَاجَةً مِّنْ لَا يَسْتَطِيعُ ، آمنه الله يوم الفزع الأكبر" .

قالوا : والطبيعة البهيمية هي أغلب الطبائع على الإنسان : لأخذها يجتمع هواه ، وإيثار الراحة وقلة العمل .

١٠

ومن ذلك قولهم : الرأى نائم ، والهوى يقظان ؛ وقولهم : الهوى إله معبود .

ومن ذلك ما أجاب به أمرؤ القيس ، وقد قيل له : ما السرور ؟ فقال : بيضاء رعبوبه ، بالطيب مشبوبة ، باللحم مكروبه . "وكان مفتونا بالنساء" .

وقيل لأعشى بكر : ما السرور ؟ قال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غاديه . "وكان مغرما بالشراب" .

١٠

وقيل لطرفة بن العبد : ما السرور ؟ قال مطعم هنيء ، ومشرب رويء ، وملبس دقيء ، ومزركب وطيء . "وكان يؤثر الخفض والدعة" . وهو القائل :



فلولا ثلاث هُنَّ من عيشة الفقي ، * وعيشك ! لم أحفل متى قام عودي .

فمنن سبقي العاذلات بشرية * كُتبت متى ما نعل بالماء تزيد .

وَكَرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنَّبًا * كَسِيدَ الْفَضَا بَهْتَهُ الْمُتَوَرِّدُ.
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ، وَالْدَّجْنُ مُعْجَبٌ * بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ انْجِبَاءِ الْمُقَمَّدِ.

وسمع هذه الأبيات عمر بن عبد العزيز فقال : وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام
عُودِي : لولا أن أُعْدِلَ في الرعيه، وأُقسِمَ بالسوية، وأُنْفِرَ في السَّريَّةِ .

وقال عبد الله بن نبيك، عفا الله تعالى عنه :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عَيْشَةِ الْفَتَى ، * وَعَيْشِكَ، لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ رَأْسُ .
فهنَّ سَبْقُ الْعَاذِلَاتِ بِشْرِيَّةِ * كَأَنَّ أَخَاهَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ نَاعِسُ .
ومنهنَّ تَجْرِيدُ الْكَوَاعِبِ كَالَّذِي * إِذَا أَبْتَرَّ عَنْ أَكْفَاهُنَّ الْمَلَأِسُ .
ومنهنَّ تَقْرِيطُ الْجَوَادِ عِنَانَهُ * إِذَا أَبْتَدَرَ الشَّخْصَ الْخَفَى الْفَوَارِسُ .

وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟ فقال : قُبْلَةٌ عَلَى غَفْلَةٍ :

وقيل لحرقة بنت النعمان : ما كانت لذة أبيك ؟ قالت : شَرِبُ الْحُرَيَالِ ،
ومحادثة الرجال .

وقيل للحسن بن هاني : ما السرور ؟ فقال : مجالسة الفتيان ، في بيوت القيان ،
ومنادمة الإخوان ، على قُضْبِ الرِّيحَانِ ، ثم أنشد :

قُلْتُ بِالْقُصِّ لِمُوسَى ، * وَنَدَا مَايَ نِيَامُ :
يَارَضِيْعِي ثَدْيِ أُمِّ * لَيْسَ لِي عَنْهُ فِطَامُ !
إِنَّمَا الْعَيْشُ سَمَاعٌ * وَمُكْدَامُ وَنِدَامُ .
فَإِذَا قَاتَكَ هَذَا ، * فَعَلِ الدُّنْيَا السَّلَامُ !

الباب الثاني

من القسم الأول من الفن الثاني

(في وصف أعضاء الإنسان وتشبيهاها)

وما وصف به طيب الريق والنكهة، وحسن الحليث، والنغمة، واعتدال القدود،

ووصف مثنى النساء، وهو مرتب على ترتيب بنية الإنسان في المذكر والمؤنث .



فأما الشعر وما قيل فيه، قال تعالى عن أئمة اللغة :

العقيقة ، الشعر الذي يولد به الإنسان .

الفرقة ، شعر معظم الرأس .

الناصية ، شعر مقدم الرأس .

الدُّوَابَّة ، شعر مؤخر الرأس .

الفرع ، شعر رأس المرأة .

الغديرة ، شعر ذؤابتها .

الغفر ، شعر ساقها .

الدَّبَب ، شعر وجهها .

الوقرة ، ما بلغ شحمة الأذن من الشعر .

اللِّمَّة ، ما ألمَّ بالمنكب منه .

الطُّرَّة ، ما غشَّى الجبهة منه .

الجُمَّة والغفرة ، ما غطى الرأس منه .

- المُتَب، شعر أشجار العين .
- الشارب، شعر الشَّقة العليا .
- المنقَّعة، شعر الشقة السفلى .
- المُتَرَبَة، شعر الصدر. وفي الحديث أنه كان عليه الصلاة والسلام دقيق المُرَبَة،
الشَّعْرَة، العانة .
- الإسب، شعر الأست .
- الرَّيْب، شعر بدن الرجل . ويقال بل هو كثرة الشعر في الازدين .

فصل

في تفصيل أوصافه

- يقال : شعر جُفَّال، إذا كان كثيرا . ١٠
- وَوَحْف، إذا كان متصلا .
- وَكُث، إذا كان كثيرا كثيفا مجتمعا .
- وَمُعَلِّكس، ومُعَلِّكك، إذا زادت كثافته .
- وَمُنْطِر، إذا كان منبسطا .
- وَمُنْطِر، إذا كان مسترطلا . ١٥
- وَرَجَل، إذا كان غير جعد ولا سبط .
- وَقَطَط، إذا كان شديد الجعودة .
- وَمُقْلَط، إذا زاد على القَطَط .
- وَمُقْلَقَل، إذا كان نهاية في الجعودة كشمع الزنج .

وَمُخَّامٌ إِذَا كَانَ حَسَنًا لَيْتًا .

وَمُتَّوِدٌ ، إِذَا كَانَ طَوِيلًا نَاعِمًا .

وقال الأصمعي : من لم يَحْفَ شعره قبل الثلاثين لم يَصْلَحْ أبدًا ، ومن لم يجعل الخُمَّ قبل الثلاثين لم يجعله أبدًا .



وَمَا وَصَفَ بِهِ الشَّعْرُ ، قَالَ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

سَأْسَلُ الشَّعْرَ فَوْقَ وَجْهِهِ ، خَاكِي * طُلُمَّةَ اللَّيْلِ فَوْقَ ضَوْءِ الصَّبَاحِ .

وقال ابن الرومي :

وَفَاحِشٍ وَارِدٍ يُقْبَلُ مِمَّا إِذَا اخْتَالَ مَرْسِلًا غَدَرَهُ .

أَقْبَلَ كَاللَّيْلِ مِنْ مَقَارِقِهِ * مَنَحِدْرًا لَا يَدُمُ مَنَحِدْرَهُ .

حَتَّى تَنَاهَى إِلَى مَوَاطِنِهِ * يَلْتِمُ مِنْ كُلِّ مَوْطِنٍ عَفْرَهُ .

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ دَنَا شَفَقًا * حَتَّى قَضَى مِنْ حَبِيبِهِ وَطَرَهُ .

وقال فضح الدين بن عبد الظاهر :

حَلَّ ثَلَاثًا يَوْمَ حَمَائِهِ * ذَوَائِبًا يَبْقَى مِنْهَا النَّوَالُ .

فَقُلْتُ ، وَالْقَصْدُ ذَوَائِبَاتُهُ : * بِأَسْرَرِي فِي ذِي اللَّيَالِ الطَّوَالِ !

وقال آخر :

قَدْ عَلَّقَ التَّلَبُّ بِدُبُوقَةٍ * وَجُنَّ مِنْهَا فَهُوَ مَفْتُونُ ؟

وَأَعْيَا لِلْمِشْقِ فِي حُكْمِهِ : * بِشَعْرَةٍ قُبِسَ بِجَنُونُ !

وقال آخر:

رَأَيْتُ عَلَى قَدِّ الْحَبِيبِ دُؤَابَةً * فَنَبَّيْتُ عَلَى تِلْكَ الدُّؤَابَةِ تَهَمُّعًا .
يَقُولُ لِي الْوَأَشُونُ: مَا لَكَ بِأَيَّامٍ؟ * قُلْتُ: بَعْضِي شَعْرَةٌ فَهِيَ تَدْمَعُ .

وقال آخر:

وَشَعْرَةٌ عَابَتْهَا نَاطِرِي * عَلَى قَوَامِ مَائِسٍ انْطَرَدَتْ .
فَسَالَتْ دَمْعًا وَهَمَى جَفْنُهُ ، * وَالْدمْعُ لَأَشْكُ مِنَ الشَّعْرَةِ .

وقال آخر:

وَلَرُبَّ مَمْشُوقٍ الْقَوَامُ تَضَمُّهُ * مَشْوُوقَةٌ، فَتَضَاقُ غُصْنَيْنِ .
أَرْنَحْتُ ذَوَائِبَهَا وَأَسْبَلَ شَعْرَهُ ، * فَتَقَابَلَا قَرْنَيْنِ فِي بَيْلَيْنِ !



وَمَا وَصِفْتُ بِهِ شَعُورُ النَّسَاءِ؛ قَالَ بَكْرُ بْنُ الصَّغَّاحِ :

بَيْضَاءُ تُسَحَّبُ مِنْ قِيَامٍ فَرَّقَهَا * وَتَقْنِبُ فِيهِ فَهَوْجَتُهُ أَتَمُّ .
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ ، * وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلَمٌ .

وقال آخر:

نَسَرْتُ عَلَى ذَوَائِبِ مَنْ سَبَّحَهَا . . حَذَرَ الْكُؤَاسِ وَالْعَدُوِّ الْمُحْتَقِ .
فَكَأَنِّي وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُ . . صُبْحَانِ بَاتَتْ تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ .

وقال عمرو بن أبي ربيعة :

سَبَّهْتُ بِوَحْفٍ فِي الْمَقَاصِ كَأَنَّهُ * تَعَايَيْدُ، دَلَّاهَا مِنَ الْكَرَمِ قَاطِفُ .
أَسِيلَاتُ أَبْدَانٍ، دَفَاقُ خُصُورِهَا ، * وَثِيْرَاتُ مَا لَقِيتُ عَلَيْهِ الْمَلَاخِفُ .

وقال المتنبي :

وَمَنْ كُتِبَ جَرْدُهَا مِنْ ثِيَابِهَا ، كَسَاهَا ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعْرُ الْوَحْفُ .

وقال أيضا :

دَعَتْ خَلَاخِيلُهَا ذَوَاتِهَا ، فَخَفَّتْ مِنْ فَرْقِهَا إِلَى الْقَدَمِ .

وقال في أخرى :

نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا * فِي لَيْلَةٍ ، فَارَتْ لَيْلًا أَرْبَعًا .

وَأَسْتَقْبَلَتْ قَرْنَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ، فَارْتَفَى الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا .

وقد ألم في ذلك بقول ابن المعتز :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهَ بَشْعِهَا * شَبِيهَةَ حَنِينٍ بِشَيْرِ رَقِيبِ .

فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالْهَجَى ، * وَكَمْسَيْنِ مِنْ نَعْرِ وَحَدِّ حَبِيبِ .

وقال ابن المعتز :

فَلَمَّا أَنْ قَضَيْتُ وَطْرًا وَهَمْتُ * عَلَى تَحْلِيلِ بَاخِذِ الرُّدَاءِ ،

رَأَيْتُ تَخَفُّصَ الرَّقِيبِ عَلَى تَدَايِنِ * فَأَمْسَيْتُ الظَّلَامَ عَلَى الضُّيَاءِ .

وَنَابَ الصَّبْحُ مِنْهَا نَحْتَ لَيْلٍ ، * وَظَلَّ الْمَاءُ يَقَطُرُ فَوْقَ مَاءِ .

وقال ابن لَنَكَّك :

هَلْ طَالِبٌ ثَارَ مَنْ قَدْ أَهْدَرَتْ دَمَهُ * يَبِضُّ ، عَلَيْهِ نَثْرٌ قَتْلُ مَنْ عَشِقَا ؟

مِنَ الْعُقَاظِ مَا يَعْطِرُونَ عَنْ عُرْضِ * إِلَّا أَرَيْتُكَ فِي قَدِّ قَنَا وَنَقَا .

رَوَاعِفُ بَعْضُودِ زَانِهَا سَبَّحَ * قَدْ زَرَقَ الْحَسَنُ فِي أَصْدَاعِهَا حَلَقَا .

(١) زرقن مدغبه جلهم كالزرقين وهو حلقه الباب .

نَوَاشِرُ فِي الضُّحَى مِنْ فَرَجِهَا غَعَقَا ، * وَفِي ظَلَامِ الدُّجَى مِنْ وَجْهِهَا فَلَقَا .
أَعْرَنَ غَيْدَ ظِلَابٍ رُوِّعَتْ غَيْدَا ، * وَالْوَرْدَ تَوْرِدَ خَدٍّ ، وَالْمَهَا حَلَقَا .
وَقَالَ آبَنُ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ :

غَرَاءَ لَوْ جَلَّتِ الْخُلُودُ شَمَاعَهَا * لِلشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا ، لَمْ تُشْرِقْ .
غُضِنَ عَلَى دِغِصٍ تَأَلَّقَى قَوْقُهُ * فَمَرُّ تَأَلَّقَى تَحْتَ لَيْلٍ مُطِيقِ .
لَوْ قِيلَ لِلْمُسْنِ : أَحْكِمْ لَمْ يَلْهَها ، * أَوْ قِيلَ : خَاطِبٌ غَيْرُها ! لَمْ يَنْطِيقِ .
فَكَأَنَّ مِنْ فَرْعِها فِي مَقْرِيبٍ ، * وَكَأَنَّ مِنْ وَجْهِها فِي مَشْرِيقِ .
وَقَالَ آخَرُ :

جُودَةٌ شَعْرُها تَحْكِي غَدِيرًا * يُصَفِّقُهَا الْجَنُوبُ مَعَ الشَّمَالِ .



ذكر ما قيل في الشيب والخضاب من الممدح والذم

فَأَمَّا مَدْحُ الشَّيْبِ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .

وَقَالَ آبَنُ أَبِي شَيْبَةَ : "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَتَفِّ الشَّيْبِ
وَقَالَ : هُوَ نُورُ الْمُؤْمِنِ" .

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ أَوَّلَ مَنْ رَأَى الشَّيْبَ إِبْرَاهِيمُ
الْحَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ مَا هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ : الْوَقَارُ ، فَقَالَ : رَبِّ
زِدْنِي وَقَارًا" .

وتأمل حكيم شبيهه فقال : مرحبا بزهره الخنكة ويمن الهدى ومقدمة العفة
ولباس التقوى .

وقيل : دخل أبو دلف على المأمون وعنده جارية له ، وكان أبو دلف قد ترك
الخصاب ، فأشار المأمون إلى الجارية فقالت له : شبت يا أبا دلف ، إنا لله وإنا
إليه راجعون . فسكت عنها أبو دلف ، فقال له المأمون : أجبا ، فقال :

تَهَرَّأتُ إِذْ رَأَيْتُ شَيْبِي قَلْبْتُ لَهَا : « لَا تَهَرَّيْ مَنْ يَطْلُ عُمُرُهُ بِشَيْبٍ !
شَيْبُ الرِّجَالِ لَمْ زَيْنٌ وَمَكْرُمَةٌ ، وَشَيْبُكَ لَكُنَّ الْوَيْلُ فَاصْبِرِي !
فِيْنَا لَكُنَّ وَإِنْ شَيْبَ بَنَاءُ أَرْبٍ ، وَلَيْسَ فَيَكُنَّ مَعْدُ الشَّيْبِ مِنْ أَرْبٍ !

وقال آخر :



أَهْلًا وَبَهْلًا بِالشَّيْبِ وَمَرْحَبًا ، « أَهْلًا بِهِ مَنْ وَافِدٌ وَتَزِيلُ !
أَهْدَى الْوَقَارِ وَذَادَ كُلِّ جَهَالَةٍ » كَانَتْ ، وَسَاقَ إِلَى كُلِّ جَمِيلٍ .
فَصَحَبْتُ فِي أَهْلِ النَّحْيِ أَهْلَ النَّهْيِ » وَلَقِيتُ بِالْمَعْظِمِ وَالتَّبَجِيلِ .
وَرَأَيْتُ الشَّبَابَ فَضِلَّ جَلَالَةٍ » لَمَّا أَكْتَهَلْتُ ، وَكُنْتُ غَيْرَ جَلِيلِ .
فَإِذَا رَأَوْنِي مَقْبَلًا ، نَهَضُوا مَعًا : « فَعِلْ الْمَقْرُمِيَّةَ التَّفَضُّيلِ .
إِنْ قَلْتُ ، كُنْتُ مُصَدِّقًا مَنَطِقِي ، « مَاضِيَ الْمَقَالَةِ حَاضِرَ التَّعْدِيلِ .

وقال مسلم بن الوليد :

الشَّيْبُ كُرْهُ ، وَكُرْهُ أَنْ يُطَارِقَنِي * إِعْجَبْتُ لشيءٍ عَلَى الْبُغْضَاءِ مُؤَدَّدِ .

وقال علي بن محمد الكوفي :

بَكَى لِلشَّيْبِ ، ثُمَّ بَكَى عَلَيْهِ * وَكَانَ أَعَزَّ مِنْ قَدِّ الشَّبَابِ .

قَتَلَ لِلشَّيْبِ : لَا تَبْرَحْ تَحِيدًا * إِذَا نَادَى شِبَابُكَ بِالْأَنْهَابِ .

وقال العسكري :

يودُّ أنْ شَيْبُهُ n إذْ جاءَ لَا يَنْصَرِفُ .
يَخْلُفُ رِيعَانَ الصَّبَا n وَالْمَوْتُ مِنْهُ خَلْفُ .

وقال ابن المعتز :

قَدْ يَشِيبُ الْقَسَى ، وَلَيْسَ عَجِيْبًا n أَنْ يَرَى النَّوْرُ فِي الْقَيْضِ الرُّطِيبِ .

وقال أبو تمام :

وَلَا يُؤَرْقِكُ إِيمَاضُ الْقَيْصِرِ n فَإِنَّ ذَاكَ آتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ .

وقال أبو الفتح البسي :

يَا شَيْبَتِي دُوبِي وَلَا تَذَرَحَلِي n وَتَبَقِّنِي أَنِّي بَوْضُوكِ مُوَلَعُ !
قَدْ كُنْتُ أَجْرَعُ مِنْ حُلُوكِ مَرَّةً ، n فَالآنَ مِنْ خَوْفِ أَرْجَمَاكِ أَجْرَعُ !

وقال آخر :

فَأَمَّا الْمَشِيبُ فَصُبْحُ بَدَا * وَأَمَّا الشَّبَابُ فَلَيْلُ أَقْلَ .
سَقَى اللَّهُ هَذَا وَهَذَا مَعًا * فَنِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ الْبَدَلُ !

وقال أبو الفتح كشاجم :

تَمَكَّرْتُ فِي شَيْبٍ لَقِيَ وَشَبَابِهِ n فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْحَقَّ لِلشَّيْبِ وَاجِبُ .
بِصَاحِبِي شَرَحَ الشَّبَابُ فَمَتَّقِي ، * وَشَيْبِي لِي حَقِّي الْهَمَاتُ مَصَاحِبُ .

وقال أبو العلاء السروي ، شاعر البتيمة :

حَيَّ شَبِيحًا أَيْ لَغِيرِ رَجُلٍ ، n وَشَبَابًا مَضَى لَغَيْرِ لِرَأْبِ !
أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ عَا * حَجَّ مَشِيبٍ فِي آيَنُوسِ شَبَابِ ؟

وقال أبو عوانة الكاتب :

هَزَيْتُ إِذْ رَأَيْتُ مَشِييَ ، وَهَلْ غَيْرُ الْمَصَابِيحِ زِينَةُ السَّمَاءِ ؟
وَتَوَلَّيْتُ فَقُلْتُ قَوْلًا بَيَاضًا ۝ جَ لَهَا ، لَا بِالزَّمَنِ وَالْإِيمَانِ :
إِنَّمَا الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ كَالنُّو ۝ رَبَدَا وَالسَّوَادُ كَالظُّلُمَاءِ .
لَا يَحْصِي عَنْ الْمَشْيَبِ أَوَّلُ الْمَو ۝ ت ، فَكُنْ لِلْقَوْبَاءِ أَوَّلَ النَّهْءِ !
إِنْ عُمُرًا عَوَّضَتْ فِيهِ عَنِ الْمَو ۝ ت بِشَيْبٍ مِنْ أَهْطَمِ النَّهْءِ !

وقال ابن عبد ربه :

كَأَنَّ سَوَادَ لَيْتِهِ ظِلَامٌ ۝ يُطْلُ مِنْ الْمَشْيَبِ عَلَيْهِ نُورٌ .

وقال أبو عبد الله الأسباطي :

لَا يَرْثُكَ الْمَشْيَبُ ، يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَالْشَّيْبُ زِينَةٌ وَقَارُ !
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضَ إِذَا مَا ۝ تَحَكَّتْ فِي ظِلَالِهَا الْأَنْوَارُ .



وأما ما ورد في ذم الشيب ، قال قيس بن عاصم رحمه الله عليه : الشَّيْبُ مُخْطَلَمُ
الْمَنِيَّةِ .

وقال غيره : الشَّيْبُ نَذِيرُ الْمَوْتِ .

وقد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَجَاءَكَمُ النَّذِيرُ ﴾ . قيل : هو
الشَّيْبُ .

وقال أعرابي : كُنْتُ أَنْكَرَ الْبَيْضَاءِ ، فَصُرْتُ أَنْكَرَ السَّوْدَاءِ ، فَيَا خَيْرَ مَبْدُولٍ
وَيَا شَرَّ بَدَلٍ .

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : تَجَلَّ عليك الشيبُ يا رسول الله ، قال :
 "شَيْبَتِي هُوْدٌ وَأَخْوَاتُهَا" . قيل : هي عَسْ ، والمرسلات ، والنازعات .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوان : تَجَلَّ عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، قال : شَيْبِي
 أَرْقَاءُ الْمَنَارِ وَتَوَقُّعُ الْخَن .

وقال بعضهم : خرجت إلى ناحية الطَّفَاوَةِ ، فلما أنا بامرأة لم أر أجمل منها ، فقلت :

أيتها المرأة ، إن كان لك زوج فبارك الله له فيكِ ، وإلا فأعلميني . نال فقالت :

وما تصنع بي ؟ وفي شيء لا أراك ترتضيه . قلت : وما هو ؟ قالت : شيبٌ في رأسي .

قال : ففنت عَيْنَانِ دَاجِي رَاجِعَا ، فصاحت بي : على رِمْسِكَ ، أخبركِ بشيء ، فوقفتُ

وقلت : وما هو ، يرحمكِ الله ؟ قالت : والله ما بلغت العشرين بعدُ ، وهذا رأسي

فكشفت عن عناقيد كَأَلَمِّمْ ، وقالت : والله ما رأيتُ برأسي بياضا قطُ ، ولكن .

أحببت أن تعلم أنا نكوه منك ما نكوه منا ، وأنشدت :

أرى شيبَ الرجال من التَّوَانِي * بموضع شَيْبِي من الرجال !

قال : فرجعتُ تَجَلِّلا ، كاسف البال .

قال أبو تمام :

عَدَا الشَّيْبُ غَنَطًا بِقَوْدِي خَطَّةً * سَبِيلُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ مَهْمُجٌ .

هو الزُّورُ يُمَيِّقِي ، وَالْمُعَاشِرُ يُمَيِّتُنِي ، * وذو الإلف يُقْلِي ، والجديد يَرْقُعُ .

له مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أبيضُ ناصعٌ ، * ولكنه في القلب أسودُ أسْفَعُ .

وقال آخر :

تقول لَمَّا رَأَتْ مِشْبِي * بَدَأَ ، وَعِنْدِي لَهُ أَهْبَاضُ :

لَا تَرْجُ عَطْفًا عَلَيْكَ مَنِي ، * مَسْوَدٌ مَا بَيْنَا الْبَيَاضُ !

وقال آخر :

وقالوا : مَشَيْبُ الْمَرْءِ فِيهِ وَقَارُهُ ، ٥ وما علموا أن المَشَيْبَ هو الْعَيْبُ .
وأىُّ وَقَارٍ لَأَمْرٍ عُرِيَ الصَّبَا ، ٥ ومن خَلْفِهِ شَيْبٌ وَقْدَامُهُ شَيْبٌ ؟

وقال آخر :

مَنْ شَابَ ، قَدَمَاتٌ وَهُوَ حَيٌّ ، ٥ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ هَالِكٍ !
لو كَانَ عُمَرُ الْفَقِي حَسَابًا ، ٥ كَانَ لَهُ شَيْءٌ فَذَلِكَ .

وقال محمود الوراق :

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ ، ٥ وَبُعِدَ فَوَاتِ الْأَمَلِ !
وَوَافَقَ شَيْبٌ طَرًّا ، ٥ بَعَقَبَ شَبَابٌ رَحَلًا .
شَبَابٌ كَأَن لَمْ يَكُنْ ، ٥ وَشَيْبٌ كَأَن لَمْ يَزَلْ .
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِبًا ، ٥ كَذَلِكَ آخِذَا لُفُوفُ الدُّوَلِ !

وقال عبيد بن الأبرص :

وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ أَمْسَى بِسَاحَتِهِ ! ٥ لَقَدْ دُرُّ شَبَابٍ أَلَّةٌ الْخَالِي .

وقال البهري :

وِدِدْتُ بِيَاضَ السِّيفِ يَوْمَ لَقِينِي ، ٥ مَكَانَ بِيَاضِ الشَّيْبِ حُلٍّ بِمَفْرِقِي .

وقال أبو المتاهية :

عَرِيتُ عَنِ الشَّبَابِ ، وَكَانَ عَضًّا ، ٥ كَمَا يَرَى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ .
أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَسُودُ يَوْمًا ، ٥ فَأُخْرِجُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشَيْبُ !

(١). الفذالك جمع الفذلكة أى نتائج الحساب التى يقال عنها : فذالك يكون كذا . (أنظر : شفاء الغليل

وقال آخر :

يَا حَسْرَةً أَيْنَ الشَّابُّ الَّذِي • عَلَى تَعْدِيهِ الْمَشِيبُ أَعْتَدَى ؟
سَبَّحْتُ ، فَمَا أَثَقُّ مِنْ حَسْرَةٍ • وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ رَسُولُ الرَّدَى !
إِنَّ مَدَى الْعُمُرِ قَرِيبٌ فَمَا • بَقَاءُ نَفْسِي بَعْدَ قُرْبِ الْمَدَى ؟

وقال آخر :

هَذَا عِزَارُكَ بِالْمَشِيبِ مُطَرِّزٌ • قَبُولُ عُدُوكِ فِي التَّصَانِي مُعَوِّزُ !
وَقَدْ عَلِمْتُ - وَمَا عَلِمْتُ تَوْهَمًا - • أَنَّ الْمَشِيبَ لَهْذِمَ عَمْرِكَ يَرْمِزُ .

وقال أيضا :

أَلَسْتُ تَرَى نَجُومَ الشَّيْبِ لَاحَتْ • وَشَيْبُ الْمَرْءِ عَنَوَاتُ الْفَسَادِ !

وقال أيضا :

أَيْلَى جَدِيدِي هَذَانِ الْجَدِيدَانِ • وَالشَّانُ فِي أَنَّ هَذَا الشَّيْبَ يَتَعَانِي !
كَأَنَّمَا أَعْتَمَّ رَأْسِي مِنَ الْجَلِيلِ الرَّ • اسِي ، فَأَوْهَنِي ثِقَلًا وَأَوْهَانِي .

وقال آخر :

لَمَّا رَأَتْ وَضَعَ الْمَشِيبِ بِعَارِضِي • صَدَتْ صُدُودُ مُجَانِبٍ مَتَعَمِّلِ .
بِفِعْلُكَ أَطْلُبُ وَصَلَهَا بِتَلَطُّفٍ • وَالشَّيْبُ يَفْرِجُهَا بَانَ لَا تَقْمَلِ !

وقال كشاجم :

صَحَّيْكَتْ ! مِنْ شَيْئَةٍ صَحَّيْكَتْ • لَسَوَادُ اللَّيْلِ الرَّجُلَةَ
ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ هَازِنَةٌ : • جَاءَ هَذَا الشَّيْبُ بِالْعَجَلَةِ !
قُلْتُ : مَنْ حُيِّكَ ، لَا كَبِيرٌ • شَابُّ رَأْسِي فَأَتَنَّتْ نَجْمَةً .

وَقَتَّ جَفْنَا عَلَى كَحْلٍ هـ هِيَ مِنْهُ الدَّهْرَ مَكْتَمِلَةٌ.

أَكْثَرَتْ مِنْهُ تَعَجُّبًا! هـ فَهِيَ تَحْيِيهِ وَتَعَجُّبُ لَهُ.

وقال أبو تمام :

دَقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا، هـ مَثَلُ مَا سُمِّيَ اللَّذِيغِ سَلِيًّا.

غُرَّةٌ مَرَّةٌ إِلَّا لَأَمَّا كُنْشَتْ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهَا.

وقال ابن المعتز :

لَقَدْ أَبْغَضْتُ نَفْسِي فِي مَشْيِي هـ فَكَيْفَ تُجِيبُنِي الْخُودُ الْكَعَابُ؟

وقال أبو هلال العسكري :

فَلَا تَعَجَّبَا أَنْ يَبِينُ الْمَشْيَا هـ لَهَا عَيْنٌ مِنْ ذَاكَ الْإِمْعِيَا!

إِذَا كَانَ شَيْءٌ بَقِيضًا إِلَى هـ فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَيْهَا حَيًّا؟

وقال محمد بن أمية :

رَأَيْتُ الْفَوَائِي الشَّيْبَ لَاحَ عَارِضِي هـ فَأَعْرَضَنِي عَنِ الْخَمْدِ وَدِ النَّوَاضِرِ.

وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي هـ دَنَوْتُ فَوْقَ مَنْ الْوَلَّى بِالْمَحَاجِرِ.

وقال آخر :

قَالَتْ، وَقَدْ رَاعَهَا مَشْيِي هـ كُنْتُ أَبْنِ عَمَ فِصْرَتِ عَمَّا.

وَاسْتَهْزَأَتْ بِي، قَعَلْتُ أَيْضًا هـ قَدْ كُنْتُ بَنَاتًا فِصْرَتِ أُمَّا.

وقال آخر :

تَضَاحَكْتُ لَمَّا رَأَيْتُ هـ شَيْئًا تَلَالَا غُرَّةً.

قُلْتُ لَهَا : لَا تَعْجِي هـ أَنْيْكَ، عِنْدِي خَبْرَةٌ.

هَذَا عَمَامٌ لِلرَّدَى هـ وَدَمْعُ عَيْنِي مَطَرُهُ.



ومما قيل في الخضاب من المدح، ما رُوِيَ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : "غَيَّرُوا هَذَا الشَّيْبَ، وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ".

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يَخْضِبُ بِالْحِمْءِ وَالْكَمَمِ .
وقد مدح الشعراء الخضابَ .

فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز :

وَقَالُوا : النَّصُولُ مَشِيبٌ جَدِيدٌ ! * قُلْتُ : الْخِضَابُ شَبَابٌ جَدِيدٌ !

إِسَاءَةٌ هَذَا بِإِحْسَانٍ ذَا * فَإِنْ عَادَ هَذَا فَهَذَا يَمُودُ :

وقال أبو الطيب المتنبي :

وَمَا خَضَّبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ * قَبِيحٌ ، وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِهُ .

وقال محمود الوراق :

لِلضَّيْفِ أَنْ يُقْرَى وَيُعرفَ حَقُّهُ ! * وَالشَّيْبُ ضَيْفُكَ ، فَأَقْرِهِ بِخِضَابِ .

وقال عبدان الأصماني :

فِي مَشِيبِي تَمَاهُتُ لِعِدَاتِي ، * وَهُوَ نَاجٍ مَنْقُصٌ لِحَيَاتِي .

وَيَسِيبُ الْخِضَابُ قَوْمٌ ، وَفِيهِ * أَيْ أَنْتَ إِلَى حُضُورِ وَفَاتِي .

لَا وَمَنْ يَعْلَمُ السَّرَازِمَ مَتَى * مَا بِهِ رُمْتُ خُلَّةَ الْغَائِبَاتِ .

إِنَّمَا رُمْتُ أَنْ يُنِيبَ عَنِّي * مَا تُرِيفُهُ كُلُّ يَوْمٍ مِرَاتِي .

وهو نَاجٍ إِلَى خَمِيٍّ ، وَمَنْ ذَا * سَرَّهُ أَنْ يَرَى وَجْهَ النَّمَتِ ؟

وقال ابن الرومي :

يا بياض المشيب سودت وجهي ، * عند بيض الوجوه سود القرون !
فلعمري ، لأخفينك جهدي * عن عياني وعن عيان الميؤن !
ولعمري ، لأمنعنك أن تضحك في رأس أسف محزون !
بخضاب فيه أبيضاض لوجهي * وسواد لوجهك الملقون !

وقال آخر :

نهي الشيب الغواني عن وصالي * وأوقع بين أحبابي وبينني .
فلست ببارك تدير ذقني * إلى أن ينقضي أمدى لحيني .
أدبر لحيتي ما دمت حيا * وأعتقها ولكن بعد عيني .

وقال آخر :

قالوا : فلان لم يشب ، * وأرى المشيب عليه أبطأ .
فاجبتهم : لولا حديث الصبي لاكتشف المغطى .



ومما قيل في ذم الخضاب : قال محمود الزواق ، رحمه الله :

يا خاضب الشيب الذي * في كل ثلاثة يهود .
إن النصول إذا بدا * فكانه شيب جديد .
وله بديهة روعة * مكروها أبا عبيد .
فدع المشيب لما أرا * دفلن يعود لما تريد .

وقال آخر :

تستر بالخضاب ، وأى شيء * أدل على المشيب من الخضاب ؟

وقال ابن الرومي :

قُلْ للسَّوْدِ حَيْثُ سَوَدَ : هَكَذَا * غَشَّ النِّوَانِي فِي الْمَوَى إِيَّاكَ !
كَتَبَ النِّوَانِي فِي سَوَادِ عِنَارِهِ ، * فَكَتَبَتْهُ فِي وَدَعْنٍ كَذَاكَ !

وقال المتنبي :

وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مَوْهَةً * تَرَكْتُ لَوْ أَنَّ مَشِيئِي غَيْرَ مَخْضُوبِ .
وَمِنْ هَوَى الصَّدِيقِ فِي قَوْلِي وَعَادِيهِ * رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الْوَجْهِ مَكْذُوبِ .

❦

وقال الأمير شهاب الدين بن يسمور عفا الله عنه :

يَا صَابِغَ الشَّيْبِ ، وَالْأَيَّامُ تُظَاهِرُهُ : * هَذَا الشَّبَابُ ، وَحَقَّقَ اللَّهُ مَصْنُوعُ !
إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا كَانَ فِي خَلْقٍ : * يَبِينُ لِلنَّاسِ أَنَّ التَّوْبَ مَرْقُوعُ .

❦

وأما ما وصف به الوجه ، فمن ذلك ما قيل في المذكر

قال الوجيبي :

مُسْتَقْبَلُ الَّذِي هَوَى ، وَإِنْ كَثُرَتْ * مِنْهُ الْإِسَاءَةُ ، مَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا .
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَحْوِي إِسَاءَتَهُ * مِنْ الْقُلُوبِ ، وَجِبَا حَيْثَا شَفَعَا .

وقال الآخر :

١٥

رَأَيْتُ الْمَلَالَ عَلَى وَجْهِهِ * فَلَمْ أَدْرِ أَيُّمَا أُنُورُ ؟
سَوَى أَنْ ذَاكَ قَرِيبُ الْمَرَارِ * وَهَذَا بَعِيدُ مَنْ يَنْظُرُ .
وَذَاكَ يَنْفِي وَذَا حَاضِرٌ * فَمَا مَنْ يَنْفِي بَنْ يَحْضُرُ .
وَنَفَعَ الْمَلَالَ كَثِيرٌ لَنَا * وَنَفَعَ الْحَبِيبَ لَنَا أَكْثَرُ .

وقال ابن لنكك :

البدر والشمس المنيرة والشمى والكوكب :
أضحت ضرائر وجهه * من حيث يطلع تغرب .
وكان بحر جواحي في خذه يتلهب .
وكان غصن قوايه * من ماء دمي يشرب .
وصاليج في صلته * بسواد قلبي تلعب .

وقال ابن المعتل :

نظرت لى من زين الله وجهه ، * فيانظرة كادت على عاشق تفيض !
وكبرت عشرا ، ثم قلت لصاحبي : * متى تزل البدر المنير إلى الأرض ؟

وقال الخبازى :

رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر .
فلم أدر من حيرني فيهما * هلال الدجى من هلال البشر !
فلولا التوزد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر ،
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمرا !

وقال أبو الشيص :

تخشع شمس النهار طالمة * حين تراه ، وينشع القمر .
تصريفه أنه يوقها * بالحسن ، في عين من له بصير .

وقال أبو هلال السكري :

ووجه تشرب ماء النعيم ، * فلو غصير الحسن منه انصهر .

يُمَسِّرُ فَاَمْنَهُ نَاطِرِي * فَيَنْتُرُ وَرْدًا عَلَيْهِ الْخَمَرُ.
تَمَتَّتِ الْعَيْنُ فِي حُسْنِهِ، * فَاحَقَّتْ بِطُلُوعِ الْقَمَرِ.

وقال ابن المعتز :

بِأَمْعَرَدَا بِالْحَسَنِ وَالشَّكْلِ، * مَنْ دَلَّ عَيْنِيكَ عَلَى قَتْلِي؟
الْبَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورُهُ، * وَالشَّمْسُ مِنْ وَجْهِكَ تَسْتَعْلِي.

وقال ابن المعتز يصصف عتبة :

لَعُتْبَةٌ صَفْحَتَا قَمَرٍ * يَغُوقُ مَنَاهَمَا الْقَمَرَا.
يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حَسَنًا * إِذَا مَا زِدْتَهُ قَطْرًا.

وقال السري الرفاء :

قَرُّ نَمْرُودَ بِالْمُحَاسَنِ كُلِّهَا، * فإِلَيْهِ يُنْسَبُ كُلُّ حَسَنِ يُوَصَفُ.
بِغَيْبِهِ صُبْحٌ، وَطُرْقُهُ دُجَى، * وَقَوَائِمُهُ غَصْبٌ رَطِيبٌ أَهْبَفُ.
لَهُ ذَاكَ الْوَجْهُ أَكَيْفُ تَأَلَّفْتُ * فِيهِ عَاسِنٌ لَمْ تَكُنْ تَتَأَلَّفُ؟

وقال آخر :

وَفِي أَرْبَعٍ مَنَى حَلَّتْ مِنْكَ أَرْجٌ، * فَمَا أَنَا أَدْرَى أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي؟
أَوْجْهُكَ فِي عَيْنِي، أَمْ الرُّبْقُ فِي قَمِي، * أَمْ التَّطَلُّقُ فِي سَمِي، أَمْ الْحَبُّ فِي قَلْبِي؟

ومثله قول يعقوب الكندي :

وَفِي نَحْمِيَةٍ مَنَى حَلَّتْ مِنْكَ نَحْمَةٌ، * فَرَيْقُكَ مِنْهَا فِي قَمِي طَيْبُ الرَّشْفِ،
وَوَجْهُكَ فِي عَيْنِي، وَلَمْسُكَ فِي يَدِي، * وَطُفْقُكَ فِي سَمِي، وَعَرْفُكَ فِي أُنْفِي.

وقال أبو نؤاس :

كأنما الوجهُ إذ بدأَ فسرَّ * مرَّكبٌ فوقَ قامةِ الفُصنِ .
ياذا الذي أصبحَ العبادُ به * في فتنةٍ من عظامِ الفتنِ !
أقبلُ بوجهِ الهوى إلى ، فقد * أطلتُ بالصدِّ معرضاً حرني !

وقال محمد بن وهب :

ثمَّ فقد وُكِّلَتْ بي الأرقا * لاهتاً بعدُ لمن عَشَقَا .
إنما أبقيتُ من جسدي * شَيْعاً غيرَ الذي خُلِقَا .
ما لمن تَمَتَّتْ محاسنُهُ * أن يُعَادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا .
لك أن تُبْذَى لنا حسناً * ولنا أن نُعْمِلَ الحَدَقَا .



ومن ذلك ما قيل في المؤنث ، قال ابن مسكوة :

في وجهِ إنسانَةٍ كُفِّتْ بها * أربعةٌ ما أَجْتَمَعْنَ في أحدِ .
فالحدُّ وَرْدٌ وَالصَّدْغُ غَالِيَةٌ * والرَّيْقُ نَمْرٌ وَالْفَغْرُ مَنْ بَرِدِ .
لكلِّ جُزْءٍ من حُسْنِها يَدْعُ * تُودِعُ قَلْبِي ودائعَ الكَدِ !

وكان مكتوباً على عِصَابَةِ وَرْدٍ جاريةِ الماهاني :

تَمَّتْ لَوْنُ الحُسْنِ في وَجْهِها ! * فكلُّ شَيْءٍ ما سِوَاهَا مُجَالِ .
للناسِ في الشَّهْرِ هَلالٌ ، ولِي * في وَجْهِها كلُّ صَبَاحِ هَلالِ !

وقال آخر :

وَإِذَا الدُّرَّ زَانَ حُسْنَ وَجْوهِ ، * كانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهِيكَ زَيْنَا .
وَيَزِيدُنِي طَيْبَ الطَّيِّبِ طَيِّباً * إِنْ تَمَسَّيْهِ ! إِبْنُ مَثَلِكْ أَيْنَا ؟

وقال آخر :

ليس فيها أن يُقال لها : * كَلَّتْ ، لو أن ذا كَمَلَا .

كلُّ جزءٍ من عَاسِنِهَا * صائرٌ من حَسِنِهَا مَقَلَا .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

وفتاةٍ إن يغب بدرُ الدجى ، * فلنا في وجهها عنه خَلَف .

أجمع الناس على تفضيلها ، * وهوامٌ في سواها مختلف .

وقال الجاني من أبيات :

نرى الشمسَ والبدنَ ممتاهما * بها واحداً، وهما متعيان .

إذا طلعت وجهها ، أشرفا * بطلمتها ، وهما آفلات .



ومما وُصف به صفاء الوجه ورقةُ البشرة ، فن ذلك ما قبل مذكرا .

قال أبو نؤاس :

نظرتُ إلى وجهه نظرةً * فأبصرتُ وجهي في وجهه .

وقال آخر .

أعدْ نظراً ! فإني الخلدُ نبتٌ ، * حمأُ الله من ريبِ المنونِ !

ولكن رَقَّ ماءُ الوجه حتى * أراك مثلاً أهدابِ الجفونِ !

ومثله قول الآخر :

ولما استدارتُ أعينُ الناسِ حولهُ * مُلاحِظُهُ كيف استقلَّ وشارأ ،

تمثلتِ الأهدابُ في ماءِ وجهه ، * فظنُّوا خيالَ الشعرِ فيه عذارا .

وقال الأرجاني :

ما أنس، لا أنسى له موقفاً ، * واليأس قد تورهن الحنناء .
لما تجلى وجهه طالعاً ، * وقد ترامت نظرات الوشاء .
قابلي حين بدت أدعى * في خده المصقول مثل المراء .
يوهم صخي أنه مسعدي * بادمع لم تدرها مقلشاء .
وانما قلدي منة * بدنع حين من جفوني أمقاء .
ولم تقع في خده قطرة * إلا خيالات دموع البكاء .

وقال أيضا :

وأغيد رق ماء الوجه منه ، * فلو أرني لثما عنه ، سالا .
يئين سوادها الأبصار فيه ، * غيث لحظت منه ، حسبت خلا .



ومن ذلك ما قيل في المؤنث، قال بشار :

وما خلفت عيني غداة لقيتها * بشيء، سوى أطرافها والحناجر .
بحور آمن حور الجنان عزيزة ، * يرى وجهه في وجهها كل ناظر .

وقال السري الرفاء :

بيضاء تنظر من طرف قلبه : * مفرق بين أجساد وأرواح .
ماء النعم على دياج وجنتها * يحول بين جنى ورد وتفايح .
رقت : فلو منج الماء القراح بها * والراح ، لا مترجت بالماء والراح !

وقال الأرجاني من أبيات :

ولما تلاقينا، وللعين عادة * تُبَيِّرُ وَشاةً عند كل لقاء،
بدت أدمى في خدنها من صفاءه، * ففأروا وطنوا أن بكيت لبكائي !



ومما قيل في صفرة الوجه، فمن ذلك ما قيل مذكرا .

قال أبو عبادة البحرى :

بدت صفرة في وجهه، إن حمدتم * من النزع ما أصفرت نواحيه في العقد.

وقال آخر :

لم تثن وجهه المليح، ولكن * جعلت ورد وجهه بهارا.

وقال الأرجاني وأجاد :

راق ماء الحياة من وجهه، * فهو امرأة أوجه الشاق !



ومن ذلك ما قيل في المؤنث، قال سلم الخاسر :

تبدت قلت : الشمس عند طلوعها * بوجه غنى اللون عن أثر الورس !

قلت لأصحابي، وبى مثل ما بهم، * على مربية : ما هاتنا مطلع الشمس !

وقال أبو تمام :

صفراء - صفرة صحة - قدر ركبتي * جثائها في ثوب سقم أصفر.

وقال مسعود الأصبهاني، شاعر الخريدة :

وقينية قال لها ناقص : * كلفت، لولا صفرة اللوب.

قلت : أتبد ! فالشمس مصفرة، * وفي صلاح الأرض في الكون !



ومما قيل في السُّمرة، قال شاعر :

كَيْفَ لَا أُعْشِقُ ظِلِّيَا • سَارِحًا فِي ظِلِّ مَلِكِ .

إِنَّمَا السُّمْرَةُ فِيهِ • مَرْجُ كَافُورٍ بِمِسْكِ .

وقال آخر :

يَا ذَا الَّذِي يُذْهِبُ أَمْوَالَهُ • فِي حُبِّ هَذَا الْأَسْمَرِ الْغَائِي !

مَا الذَّهَبُ الصَّامِتُ مُسْتَكْتَرًا • إِذْ هَابَهُ فِي الذَّهَبِ النَّاطِقُ !

وقال آخر :

دَهَىُّ الْوَنِّ انْتَحَبَ مِنْ • وَجْهِهِ النَّارُ تَقْتَدَحُ .

خَزَنُونِي مِنْ فَضِيحَتِهِ • لَيْتَهُ وَافِي ، وَأَفْتَضِحُ !



ومما قيل في السَّوَادِ (وهو يختص بالثؤث) :

قال الزركشي في "دنانير" البرمكية :

أَشْبَهَكَ الْمِسْكُ ، وَأَشْبَهْتَهُ : • قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةٌ .

لَا شَكَّ ، إِذْ لَوْنُكَ وَاحِدٌ ، • أَنْكَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ .

وقال ابن الرومي :

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَّهَا صُبِيتَ • صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدِيقِ .

فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهَا الضَّامِرُ وَالْأَبْصَارُ ، يَعْقِنُ إِنَّمَا عَبَسِي !

يَفْتَرُ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ بَقِي • فِي ثَغْرِهَا كَالْأَلَى النَّسِيقِ .

كَأَنَّهُا ، وَالْمِزَاجُ يَضِيحُهَا ، • لَيْلُ ثَغْرِي دُجَاهُ عَنْ غَسَقِ .

وقال الصنوبري :

يا غُصْنًا من سَبَجِ رَطَبٍ ، * أصبح منك الذرقى كَرَبًا !
حُبِّكَ من قلبي مكان الذي * أشبهته من حبة القلب .

وقال محمد بن عبد الله السلمي ، شاعر اليتيمة عفا الله عنه :

يارب غانية بيضاء تصبّحني * من العتاب كؤوسا لهن نساغ .
أشتاق طزّتها أو صُدغها ومعى * من كلّها طررُ سود وأصداع !
كأننا ، لا أتاح الله فُرقنا ! * يا كعبة المسك ، يا زنجية ، زاغ .

وقال آخر :

أحب النساء السود من أجل تُكَيِّمَ ، * ومن أجلها أحببت من كان أسودًا !
لجفتي بمثل المسك أطيب نفعًا ! * وجفتي بمثل الليل أطيب مرقدًا !

وقال السكري :

صرفت ودى إلى السودان من حجر ، * ولا ألفت إلى روم ولا خرد !
أصبحتُ أعشّق من وجهه ومن بدني * ما يشقّ الناس من عين ومن شعر .
فإن حببت سواد الخلد منقصة ، * فانظر إلى سُفعة في وجنة القمر !

وقال بشار وأجاد :

يكون الخال في خد نقي * فيكسبه الملاحة والجمال ،
ويؤثقه لأعين مُصيريه ، * فكيف إذا رأيت اللون خالا ؟

وقال أبو علي بن رشيقي :

دعائك الحسن فاستجبي * باسمك في صبيحة وطيب .
تبيس على البيض وأستطيلي ، * تبه شباب على مَشِيب !

ولا يَرْعُكَ أَسْوَدُ لَوْنٍ * كَقَفْلةِ الشَّادِنِ الرَّيْبِ .
فَأَنعَمَا الثَّوَرُ عَنْ مَسَوَدٍ * فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَالْقُلُوبِ !

وقال آخر :

إِنْ أَزْهَرَتْ لَيْلًا نَجْمُومُ السَّمَاءِ * يَبْقَى عَلَى أَسْوَدٍ مَرْنَى الْإِزَارِ .
وَأَوْجِبِ الْعَكْسُ مَنْزِلًا لَهَا ، * فَالْأَسْوَدُ فِي الْأَرْضِ نَجْمُومُ النَّهَارِ .



ومما وصف به أثر الجُدري في الوجه ، فمن ذلك قول الناجم :
يَا لَمَرًّا جَدْرًا لَمَّا أَسْتَوَى * وَأَكْتَسَبَ الْمَلْعَ بَتْلَ الْكَأُومِ !
أَطْنَه غَيَّ لَشَمْسِ الضُّحَى * فَتَقَطَّنَتْهُ قَرَحًا بِالنَّجُومِ .

وقال آخر :

وَقَالُوا : شَاهَةُ الْجُدْرِيِّ ، فَانْظُرْ * إِلَى وَجْهِهِ بِهِ أَثَرُ الْكُلُومِ !
فَقُلْتُ : مَلَا حَةً يُثْرَتُ عَلَيْهِ ! * وَمَا حُسْنُ السَّمَاءِ بِلَا نَجُومِ ؟

ومثله قول الآخر :

أَيُّهَا الْعَائِبُونَ وَجْهًا مَلِيحًا * تَرَاهُ حُسْنُ فِيهِ تَبَدُّلُ خُدُوشِ !
أَيُّ أَفْقِي بَهَا بَغِيرُ نَجُومِ ؟ * أَيُّ ثُوبٍ زَعَا بَغِيرُ ثَقُوشِ ؟

وقال أبو زيد القاضى :

غَايَةُ الْحَاسِدِ الَّذِي لَمْ فِيهِ * أَنْ رَأَى فَوْقَ خَدِّهِ جُدْرِيًا .
إِنَّمَا وَجْهُهُ هَلَالٌ تَمَامٌ ، * جَعَلُوا بِرُقْعَا عَلَيْهِ التَّرِيًّا !

وقال أبو تمام بن رباح :

خَلَقَ مِرْأَةً كُلَّ حُسْنٍ ، تحسُّنُ مِنْ حُسْنِهَا الصِّفَاتُ !
مَالِي أَرَى فَوْقَهُ نُجُومًا ، قَدْ كُفِّتْ وَهِيَ نَيِّرَاتُ ؟



ومما قيل في الخواجب ، فن عاسنها : الرَّجَجُ ، والبَلَج .

فأما الرَّجَجُ ، فذقة الحاجبين وأمتدادهما .

وأما البَلَجُ ، فهو أن يكون بينهما قُرْجَة . والعرب تستحب ذلك .

ومن معايها : القَرْنُ ، والزَّيْبُ ، والمَلْعَطُ .

فالقَرْنُ ، اتصال الحاجبين . والعرب تكرهه .

والزَّيْبُ ، كثرة شعرهما .

والمَلْعَطُ ، تساقط الشعر عن بعض أجزائها .



ومما وُصِفَتْ به الخواجب ، قال الزاهي :

وَأَغْيَدَ مَجْدُولِ الْقَوَامِ جَبِينَهُ . سَنَا الْقَمَرِ الْبَذْرَى فِي الْفُصْنِ الرُّطْبُ .

تَتَكَبَّرُ قَوْسَ الْحَاجِبَيْنِ فَسَهْمُهُ . لَوَاحِظُهُ الْمَرْضَى . وَرِجَاسُهُ فُلْبِي !

وقال عبد الله بن أبي الشيص :

حَذَرْتُ الْمَوَى حَتَّى رُمِيتُ مِنَ الْمَوَى . بِأَصْرِدِ سَهْمٍ مِنْ قِيَمَى الْخَوَاجِبِ .

وقال محمد بن عبد الرحمن الكوفي :

وَمُسْتَلَبٌ عَيْنَ الْفَزَالِ وَقَدْ ثَرَى . بِجَبِينَتِهِ عَيْنُ الْفَزَالَةِ مَا بَلَ .

تناول قَوْسَ الْحَاجِبَيْنِ مُنَوَّقًا . بِأَسْهَمِ الْخَاطِطِ تَشْكُ الْمَقَاتِلَا .

وقال آخر :

غَزَزَني الهوى في جيشه وجُنوده * وعَيَّ على الخيل من كلِّ جانب .

بِيمينَةٍ أعلامُها أعيُنُ المَهْمَا * وميسرة تقضى رُجَّ الحِواجِبِ .

وقال آخر :

لها حاجبان ، الحُسن والفُتُوحُ منهما * كأنهما نِوان من خطِّ ماشِق .



ومما قيل في العيون ووصفها ، فن عاسنها :

النَّجَجُ ، وهو شدة السَّواد مع سعة المَقَلَّة .

الْبَرِيجُ ، وهو شدة سوادها وشدة بياضها .

النَّجَلُ ، سَعَتُها .

الكَمَلُ ، سواد جُفُونِها من غير نُحُل .

الحَوَرُ ، آتِساس سوادها كأعينِ الظباء . وقيل : هو سواد العين وشدة بياضها .

الوَطْفُ ، طول أشْفارها ؛ وفي الحديث أنه كان عليه الصلاة والسلام في أشْفاره وَطْفٌ .

الشُّهْلَةُ ، حمرة في سوادها .

ومن مَمايِها :

الْحَلَوَسُ ، ضيق العين .

الْحَلَوَسُ ، غُؤُورها مع الضيق .

الشَّسْتَرُ ، أَهْلابُ الجفن .

الْمَمَشُ ، هو أن العين لا تزال سائلة رامعة .

- الكَمَشُ ، أن لا تكاد تبصر .
 الغَطَشُ ، شبه العَمَشِ .
 الجَهَرُ ، أن لا تبصر نهارا .
 العَمَا ، أن لا تبصر ليلا .
 الخَسَرُ ، أن ينظر بمؤخر عينه .
 الغَضْنُ ، أن يكسر عينه حتى تَتَفَضَّنَ جُفُونُهُ .
 القَبْلُ ، أن يكون كأنه ينظر إلى الله . وهو أهون من الحول .
 الشُّطُورُ ، أن تراه ينظر إليك وهو ينظر إلى غيرك . وهو قريب من صفة الأحول .
 وفيه يقول الشاعر :
- ١٠ حَسَدْتُ إِلَهِي إِذْ بَلَغَنِي بِجَهِّهِ * وَبِي حَوْلٌ أَغْنَى عَنِ النَّظَرِ الشَّزْرِ .
 نظرتُ إليه - والرقبُ يطلُنِي * نظرتُ إليه - فاسترحْتُ من العذِرِ .
 الشُّوْصُ ، أن ينظر بإحدى عينيه ويُمِيلَ وجهه في شق العين التي ينظر بها .
 الخَفَشُ ، صَفَرُ العين وَضَعْفُ البصر . ويقال إنه فساد في العين يضيق له الجَفَنُ
 من غير وجع .
- ١٥ الدَّوْشُ ، ضيق العين وفساد البصر .
 الإطْرَاقُ ، استرخاء الجفن .
 الجُحُوزُ ، خروج المَقْلَةِ وظهورها من الحِجَاجِ .
 البَحْقُ ، أن يذهب البصر ، والعين منفتحة .
 الكَمَهِ ، أن يولد الإنسان وهو أعمى .
 ٢٠ البَحْصُ ، أن يكون فوق العين أو تحتها لحم ناعم .

فصل في عوارض العين

يقال :

حَمِرَتْ عَيْنُهُ ، إِذَا أَعْتَرَاهَا كَلَالٌ مِنْ طُولِ النَّظَرِ .

زَرَّتْ عَيْنُهُ ، إِذَا تَوَقَّلتْ مِنْ خَوْفٍ .

مَيَدَرَتْ عَيْنُهُ ، إِذَا لَمْ تَكُدْ تَبْصُرْ .

اسْتَمَدَرَتْ عَيْنُهُ ، إِذَا لَاحَتْ لَهَا سَمَادِيرٌ ، وَهِيَ مَا يَتَرَاءَى لَهَا مِنْ أَشْبَاهِ الذُّبَابِ وَغَيْرِهِ .

قَدِيعَتْ عَيْنُهُ ، إِذَا ضَعُفَتْ مِنَ الْإِكْجَابِ عَلَى النَّظَرِ .

حَرِجَتْ عَيْنُهُ ، إِذَا حَارَتْ .

قال ذو الرمة :

• وَيُخْرِجُ الْعَيْنُ فِيمَا حِينَ تَتَّقِبُ •

هَجَمَتْ ، إِذَا غَارَتْ .

وَنَقِصَتْ ، إِذَا زَادَ غُورُهَا ؛ وَكَذَلِكَ حَجَلَتْ وَهَجَجَتْ .

دَهَبَتْ ، إِذَا رَأَتْ دَهَبًا كَثِيرًا خَارَتْ فِيهِ .

تَخَصَّصَتْ ، إِذَا لَمْ تَكُدْ تَطُوفُ مِنَ الْحَيَةِ .

فصل في كيفية النظر وهيئته

إِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ إِلَى الشَّيْءِ بِجَمَاعِ عَيْنَيْهِ ، قِيلَ : قَدِ رَمَقَهُ .

فَإِذَا نَظَرَ مِنْ جَانِبِ أُذُنِهِ ، قِيلَ : لَحَظَهُ .

- فإذا نظر إليه ببجلة، قيل : كَحه .
- فإذا رماه ببعره مع حدة، قيل : حَدَّجه بَطْرَه .
- (وفي حديث ابن مسعود «حَدَّثَ القَوْمَ مَا حَدَّجُوكَ بِأَبْصَارِهِم») .
- فإن نظر إليه بشدة وحدة، قيل : أَرْشَقَه وَأَسْفَ النظر إليه .
- ٤ (وفي حديث الشعبي أنه كَرِهَ أَنْ يُسِفَ الرجلُ إلى أمه وأخته وأبنته) .
- فإن نظر إليه نظر المتعجب أو الكاره المبغض، قيل : شَفَنَه وَشَنَنَ إليه شُفُونًا وَشَفَنًا .
- فإن أعاره حَلَفَ العداوة، قيل : نظر إليه شَرًّا .
- فإن نظر إليه بين الحبة، قيل : نظر إليه نَظْرَةً ذَى عَاقٍ .
- فإن نظر إليه نظرة المستثبت، قيل : تَوَهَّجَه .
- فإن نظر إليه واضعاً يده على حاجبه مستظلاً بها من الشمس ليستبين المنظور إليه : قيل أَسْتَكْفَه وَأَسْتَوْهَّجَه وَأَسْتَشْرَفَه .
- فإن نشر الثوب ورفع به لينظر إلى صفاته : قيل أَسْقَشَفَه .
- فإن نظر إلى الشيء كاللمحة ثم خفي عنه، قيل : لَاحَه لَوْحَةً . قال الشاعر :
- « وَهَلْ تَسْفَعِي لَوْحَةً لَوْ أَلُوْحُهَا * »
- فإن نظر إلى جميع ما في المكان حتى يعرفه، قيل : تَقَضَّه تَقَضًّا .
- فإن نظر في كتاب أو حساب، قيل : تَصَفَّحَه .
- فإن فتح عينيه لشدة النظر، قيل : حَدَّقَ .
- فإن لألأها، قيل : بَرَّقَ .
- فإن أقلب حُلُلًا عَيْنِيهِ، قيل : حَمَلَقَ .
- فإن غاب سواد عينيهِ من الفزع، قيل : بَرَّقَ بَصْرُهُ .
- ٢٠

فإن فتح عين مُفَرِّع أو مهتد، قيل : حَجَّج .

فإن بالغ في فتحها وأحد النظر عند الخوف، قيل : حَدَّج .

فإن كسر عينه عند النظر، قيل : دَقَّقَشَ وطَرَفَش .

فإن فتح عينه وجعل لا يطُرف، قيل : تَخَفَّص . وفي القرآن العزيز : (شَاحِصَةً أَبْصَارُهُمْ) .

فإن أدام النظر مع سكون، قيل : اَتَمَّجَد .

فإن نظر إلى أفق الهلال ليراه، قيل : تَبَّصَّرَه .

فإن أتبع الشيء بصره ، قيل : أَتَّارَه بَصَرَه .

وقد أوسع الشعراء في وصف العيون ووصفوها بالمرض والسقم، وإن كانت

صحيحة . فمن ذلك قول الشاعر :

بَرَّحَ السُّتْمُ بِي وَلَيْسَ صَحِيحًا * مَنْ رَأَتْ عَيْنُهُ عُيُوتًا مَرِضًا .
إِنَّ لِلْأَعْيُنِ الْمَرِاضِ يَمَامًا * صَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْوَرَى أَغْرَاضًا .
جَوْهَرُ الْحُسْنِ مِنْذُ أَعْرَضَ لِلْقَلْبِ نَى الْجِسْمِ كُلِّهِ أَغْرَاضًا .

وقال جرير :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ * قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِنَا قَتْلَانَا .
يَصْرَعُنَ ذَا اللَّبْحِ لَأَحْرَاكَ بِهِ * وَهَنْ أَضْعَفُ خَلْقِي إِلهَ أَرْكَانَا .

وقال ذوالرمة :

وعينان قال الله كُوتَا فَكَانَتَا * فَعُولِينَ بِالْأَلْبَابِ مَا تَقَعَلُ الْخَمْرُ .^(١)

(١) الشهد فولان . بالرفع وصف اثنين .

ومما وصفت به العيون على لفظ التذكير، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز:

علم بما تحت الصدور من الهوى * سريع بكَرِّ الحَظِّ والقلب جازع .
ويخرج أحشائي بعين مريضة * كالألآن من السيف والسبب قاطع .

وقال خالد :

عينه سقاكة المهج * من دمي في أعظم الحرج .
أسهرتني وهي لاهية * باخوار العين والدَّجج .

وقال الحمْداني :

تَمَلُّ الأجناف بالدَّجج * عَمَل الصَّبا بالمُهَج .
قُلْ لَقَطِي تُسْرِقُ لَه * مُهَجُ الأحرار بالدَّجج :
أنت والأجناف ما حَلَقْتُ * من نُفُور العين في حرج .
كَيْفَ أَدْعُو اللَّهَ أَسْأَلُهُ * فَرَجاً مَنْ بِهِ تَرْجِي ؟

وقال خالد :

ومريض طرف ليس يصرف طرفه * نحو آمري ، إلا رماه بحتفه .
قد قلت إذ أبصرته متايلاً ، * والرَّدْفُ ينجذب خصره من خلفه :
يا مَنْ يَسْلَمُ خَصْرَهُ مِنْ رَدْفِهِ ، * سَلَّمَ فَوَادَّ عَجَبٍ مِنْ طَرَفِهِ !

وقال أبو هفان :

أخو دَنَفٍ رَمَتْهُ فاقصَدَتْهُ * سِهَامٌ مِنْ جُفُونِكَ لَا تَطْلِشُ .
قوايل لا قِداح سوى آخوارٍ * بهن ، ولا سوى الأهداب ريش .

وقال أبو تمام :

يَا سَقَمَ الْخَفَنِ مِنْ حَبِيبِي ، * أَلَيْسَنِي حُلَّةُ السَّقَامِ !
كَمْ قَتَلْتُ مُقْلَكَ ظُلُمًا * مِنْ تَأَشَّقِ الْقَلْبِ مُسْتَهَام .
يَا مَنْ بَعِينَهُ لِي غَرَامٌ * قَرَّبَ مِنْ مُهْجَتِي حِمَامِ !
قَدَرَوَيْتَ مِنْ دَمِي ، خُسْبِي * صَوَائِبُ النَّبْلِ وَالسَّهَامِ !

وقال المسكوي :

فَارْعَى نَحْتَ حَاشِيَةِ الدِّيَارِي * شَقَائِقَ وَجَنَةِ سَقَيْتَ مُدَامًا .
إِذَا كَرَّرْتُ لَوَاحِظَ مَقْلَتِيهِ ، * حَسِبْتُ قُلُوبَنَا مُطْطَرَّتِ سِهَامًا .

وقال ابن المعلم :

سَلْ مَنْ بَيْتِيهِ يَصُولُ : * أَيُّ الْخَاطِطِ أَمْ التَّصُولُ ؟
مَا جَرَّدَتْ يَوْمَ النَّوَى ، * إِلَّا لَصْخَتِلسَ الصُّقُولُ !
شَهَرَتْ عَيْوُنُهُمْ سُيُوءُ * فَا ، مَا يَمْضُرُهَا قُلُولُ .
تُصَيِّبُ بِضَيْرِ جَرَّاحَةٍ ، * تَفْرِي بِغَيْرِ دَرَمٍ يَسِيلُ .
وَلَهَا بِأَفْسَدَةِ الْهَوَى * قَتْلُكَ ، وَلَيْسَ لَهَا صِيلُ .

وقال آخر :

رُوحِي الْفَدَاءَ لِمَنْ أَدَارَ بِالْخِظَةِ * صِهْبَاءَ فِي عَقْلِي لَهَا تَأْمِيرُ !
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُدِيرَ بِالْخِظَةِ * مَشْمُولَةً ، وَإِنَاؤُهَا مَحْكُورُ !

وقال آخر :

الْقَلْبُ بِكَ الْمُسْلُوبِ وَالْمَلُوبِ * وَالصَّبُّ بِكَ الْمُتُوبِ وَالْمَتُوبِ .
يَا مَنْ طَلَبْتَ خَاطِلَهُ سَفَكَ دَمِي : * مَهْلًا ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ !

وقال أبو تمام :

مُتَطَلِّبٌ بِصُدُودِهِ قَتْلَى * فَرَدَّ الْحَاسِنَ وَجْهَهُ شُغْلَى .
الْحَاظِلُهُ فِي الْحَلَقِ مُسْرِعَةٌ * فَيَا تُرِيدُ كَسْرَةَ النَّبْلِ .

وقال آخر :

الْحَاظِلُكُمْ تَجَرَّحْنَا فِي الْحَسَا ، * وَلَحِظْنَا يَجْرَحُكُمْ فِي الْخُدُودِ .
جَرَّحَ يَجْرَحُ ، فَاجْعَلُوا ذَائِدَنَا ! * فَمَا الَّذِي أَوْجَبَ هَذَا الصُّدُودَ ؟

وقال آخر :

وَمُقَلَّةٌ شَادِنٍ أَوْدَتْ بَقْلِي ، * كَأَنَّ السُّقْمَ لِي وَلَهَا لِيَأْسُ .
يَسْأَلُ الْخَطَّ مِنْهَا مَشْرِفِي * لَقَتْنِي ، ثُمَّ يُنْمِدُهُ النَّعَاسُ .

وقال ابن الرومي :

يَا عَلِيًّا ، جَعَلَ الْعِلَّةَ مُفْتَاحًا لِقُلُوبِي !
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَلِيلٌ * غَيْرَ جَفْنِكَ وَجِسْمِي .
لَكَ سُقْمٌ فِي جُفُونِ ، * تُسَمِّهَا أَسَدٌ سُقْمِي .

وقال تاج الدين بن أيوب :

أَسْنَقَنِي طَرْفُكَ السَّقِيمُ ، وَقَدْ * حَكَاهُ بَنِي فِي سُقْمِهِ الْجَسَدُ !
هَبْ نَسِيمٌ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ لِي * فَنَزَادَنِي فِي هَوَاكَ مَا أَجْدُ .
وَهَاجَ سَوْفِي ، وَالنَّارُ مَا بَرِحَتْ * عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ نَقْدُ .

وقال ابن المعتز :

ضَمِيمَةٌ أَجْفَانُهُ ، * وَالْقَلْبُ مِنْهُ تَجَرُّ !
كَأَنَّمَا الْحَاظِلُهُ * مِنْ قَعْلِهِ تَقْتَنِرُ .



ومما وصفت به العيون على لفظ التأنيث، فن ذلك ما قاله عدى بن الرقاع :

وكانها بين النساء أعارها * عينية أحور من جاذر جاسم .
وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بناثم .

وقال الناجم :

كاذل الفزال يَكُونُها ، * لَكِنَّا هو دُونُها .
والترجس الفعس الحنى أغض منه جُفُونُها .
من كان يعرف فضلها * فمن القياس يصُونُها .

وقال أبو ذؤلف :

تَقْنِصُ الآسَادُ مِنْ غِيلِها ، * وَأَعْيَنُ الْعَيْنُ لَنَا صَائِدَها !
يَلْبُو الحُسامُ العَضْبُ عَنَّا وَقَدْ * تَكَلَّمُ فِيهَا النُّظْرَةُ القاصِدَها !
تَهَابْنَا الْأَشْدُّ وَتَحْشَى الْمَهَا * آيِدَها ما مِثْلُها آيِدَها !

وقال آخر :

لَقَدْ ما صَنَعَتْ بِنَا * تِلْكَ الْحَاجِرُ فِي الْمَعَاجِرِ !
أَمْضَى وَأَنْفَذُ فِي الْقُلُوبِ * بَ مِنْ الْحَنَابِرِ فِي الْحَنَابِرِ !

وقال آخر :

يَنْظُرُونَ مِنْ حَلَالِ السُّجُوفِ كَأَنَّمَا * يُمِطُّونَ أَحْشَاءَ الْكَرِيمِ نَيْلًا !
وقال أبو فراس الحمداني عفا الله تعالى عنه ورحمه :

وَبَيْضُ بِالْحَاطِظِ الْعُيُونِ كَأَنَّمَا * هَزَزْنَ سُبُوقًا أَوْسَلَّانَ خَنَاجِرًا .
تَصْبَدْنَ لِي يَوْمًا بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى * فَمُفَادِرْنَ قَلْبِي بِالتَّصْبِيرِ غَادِرًا .

سَقَرُونَ بُدُورًا، وَأَنْتَقِبْنَ أَهْلَةً، * وَمِنْ غَضُوبَنَا، وَأَلْتَقَيْنَ جَاذِرًا،
وَأَطْلَقْنِ فِي الْأَجْيَادِ لِلدَّرِّ أَجْمَمًا * جُعِلْنَ لِحَبَاتِ الْقُلُوبِ ضَرَارًا.

وقال ابن الرومي :

نَظَرْتُ، فَأَقْصَدْتُ الْفُؤَادَ بِطَرَفِهَا، * ثُمَّ أَنْشَلْتُ عَنِّي، فَكِدْتُ أَهْمِي !
وَبَلَايَ ! إِنْ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ : * وَقَعَ السَّهَامُ وَزَعَمْتَنَ إِلَيَّ !

وقال أيضا :

لَطَرْتُهَا وَهُوَ مَصْرُوفٌ كَتُوقِعِهِ * فِي الْقَلْبِ حِينَ يَرُوعُ الْقَلْبُ مَوْقِعُهُ .
تَصَدُّ بِالطَّرْفِ لَا كَالسَّهْمِ تَصْرِفُهُ * عَنِّي ، وَلَكِنَّهُ كَالسَّهْمِ تَزْعُمُهُ .

وقال الأترجاني :

قَبِيْهُنَّ خَشِيَّةَ الْمَشَاقِ ! * أَوْلَمْ تَكْفِ فِتْنَةُ الْأَخْدَاقِ ؟
إِنْ فِي الْأَعْيُنِ الْمِرَاضُ لَشَغْلًا * لِلْمُعْنَى عَنِ الْخُدُودِ الرِّقَاقِ !
كُلُّ مَا فَاتَ فِي اللَّيَالِي الْمَوَاضِي * فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّيَالِي الْبَوَاقِ .

وقال أيضا :

سَقَرْنَا الْحَاسِنَ إِلَّا الْعِيُونَ * كَمَا يَشْهَدُ الْمَرْكَ الدَّارِعُونَ .
سَلَّلْنَ سُيُوفًا وَلَا قِيْنَنَا ! * فَلَا تَسْأَلِ الْيَوْمَ مَاذَا لَقِينَا .
كَسَرْنَا الْجَفُونَ وَلَوْلَا الرِّضَا * بِحُكْمِ الْفَرَامِ كَسَرْنَا الْجَفُونَ .
وَحَسِبُ الشَّهِيدَ سُورَرًا بَانَ * يُعَايِنُ حُورًا مَعَ الْقَتْلِ عَيْنًا .

وقال أبو نُوَاس :

ضَعِيفَةُ كَرَّ الطَّرْفِ تَحْسَبُ أَنَّهَا * قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِنْفَاقَةِ مِنْ سَتَمِ .

وقال آخر :

يَا مَنْ تَكْهَلُ طَرَفُهَا * بِالسَّحَرِ لَا بِالْإِعْمَادِ !
نَفْسِي كَمَا عَبْدُهَا ، وَقَتْلُهَا بِالْإِثْمِ ، دَرَى !
+ +

ومما قيل في أدواء العين ، فمن ذلك :

الْقَمَص ، أَنْ لَا تَزَالَ الْعَيْنُ تَرْمَص .

الْقَحْص ، أَسْوَأُ الْقَمَص .

الْقَحْص ، التَّصَاقُ الْجُفُونِ .

العائر ، الرمد الشديد . وفيه يقول النابغة :

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ . كَلِيلَةُ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ .

وكذلك الساهك .

الْقَرْب ، وَرَمَ فِي الْمَاقِي .

السَّيْل ، أَنْ يَكُونَ عَلَى بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا شِبْهُ غِشَاء .

السَّيْجَا ، أَنْ يَسْرُعَ عَلَى الْإِنْسَانِ فَتُحُ عَيْنُهُ إِذَا أَتَبَهُ مِنَ النَّوْمِ .

الْقَلْفَر ، ظُهُورُ ظَفَرَةٍ (وَهِيَ جُلَيْدَةٌ تَقْشِي الْعَيْنَ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَاقِي) .

الْعُكْرَفَةُ ، أَنْ يَحْدُثَ فِي الْعَيْنِ تَقَطُّعٌ خَمْرَاء .

الْأَتَشَارُ ، أَنْ يَتَسَعَ قُبُ النَّاطِرِ حَتَّى يَلْحَقَ الْبَيَاضَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ .

الْحَسَرُ ، أَنْ يَخْرُجَ فِي الْعَيْنِ حَبٌّ وَهُوَ الْحَرْب .

الْقَمَرُ ، أَنْ يَعْزِضَ لِلْعَيْنِ قَرَّةً وَفُسَادَ . يقال : قَمَرَتْ عَيْنُهُ .

(١١)

(١) ضل أمر للثوث من "ودي" بمعنى دفع اليد بسبب الإثم الذي وقع منها .

(٢) في "قه القه" الجبابة [يتقدم الجيم على السين وله الصواب] .



ومما قيل في أرمذ، فن ذلك قول عبد الله بن المعتز (وقيل إنها لابن الرومي،

وقيل للناجم) :

قالوا: أَشْتَكْتُ عَيْنَهُ! قُلْتُ لَهُمْ: * مِنْ كَثْرَةِ الْفَتَاكِ نَالَتْ الْوَصْبُ!
حُرَّتْهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قُلْتُ، * وَالِدُ فِي التَّصَلِّ شَاهِدٌ حَجَبُ.

وقال ابن منير الطرابلسي :

رَأَى فِي طَرَفِهِ أَحْرَارٌ، * يَنْضُ مِنْ سِحْرِ مَقَلَّتِيهِ.
وَفَاضَ مِنْ زَجْسِيهِ مَاءٌ، * صَرَجَهُ وَرَدُّ وَجْنَتِيهِ.
قُلْتُ يَا مَعْزِي بُوَيْهِ، * أَظُنُّ دَائِي سَرَى إِلَيْهِ!
هِيَاتَ، لَا تَجْعَلَنَّ قَتْلِي، * هَذَا دِي شَاهِدٌ عَلَيْهِ!

وقال الواثق بالله :

لِي حَبِيبٌ قَدْ طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِ، * لَا أَسْمِيهِ مِنْ حَذَارِي عَلَيْهِ.
لَمْ تَكُنْ عَيْنُهُ لِتَجْعَلَ قَتْلِي، * وَدِي شَاهِدٌ عَلَى وَجْنَتِيهِ!

وقال الصولي :

يَكْبُرُ لِي طَرَفًا بِهِ حُمْرَةٌ، * قَدْ خَلَطَ التَّرْجَسَ فِي وَرْدِهِ.
مَا أَحْمَزَتِ الْعَيْنُ، وَلَكِنَّهُ * يَكْصِلُهَا مِنْ وَرْدِي خَدَّهُ!

وقال آخر :

قالوا: بَدَتْ فِي عَيْنِهِ حُمْرَةٌ * قَدْ حَازَهَا مِنْ وَرْدَةِ الْخُلْدِ.
قُلْتُ: لَمْ يَرَمَدْ وَلَكِنَّهُ * يُصَالِحُ التَّرْجَسَ بِالْوَرْدِ!

وقال أبو عبد الله بن الحداد الوزير :

يا شاكي الرِّمْدِ الذي بَشَكَاتِهِ ، * قد صار دحري فيه ليلة أَرَمْدًا !
اللهُ والإشفاق يعلم أنَّني * لو أستطيعُ فِدًا ، لَكُنْتُ لك الفِدَا !
كَمْ من دِمٍ سَفَكْتُ جُفُونُكَ لم تَزَلْ * تُخْفِي وتُكْتِمُ سَفْكَه حَتَّى بَدَا .
لَمْ يَسْتَمِلْ بَدَمِ غِرَارُ مَهْنَدٍ * إلا وقد أَهْدَى النفوسَ إِلَى الرَّدَى .

وقال أبو الفرج البقاء :

بَنَفْسِي مَا يَشْكُوهُ مَنْ رَاحَ طَرَفُهُ * وَتَرَجَّسَهُ مِمَّا دَهَى حَسَنَهُ وَرَدُ !
أَرَأَيْتَ دَمِي ظُلُمًا عَاسِنُ وَجْهَهُ ، * فَأَضَحَّتْ وَفِي عَيْنَيْهِ آثَارُهُ تَبَدُّو !
غَدَّتْ عَيْنُهُ كَالْخَمْرِ حَتَّى كَأَنَّهَا * سَقَى عَيْنَهُ مِنْ مَاءِ تَوْرِيدهِ الْخَلْبُ .
لَئِنْ أَصْبَحْتَ رَمْدًا مَقْلَةً مَالِكِي ، * لَقَدْ طَالَ مَا اسْتَشْفَتْ بِهِ مَقْلُ رَمْدُ !

وقال آخر :

قُضِبَ الْهِنْدِ وَالْقَنَا أَخْدَانُكَ ! * وَالْمَقَادِيرُ فِي الْوَرَى أَعْوَانُكَ !
أَيُّهَا ذَا الْأَمِيرُ مَا رَمَدَتْ عَيْنُكَ ! حَاشَا لَهَا ، وَلَا أَجْفَانُكَ !
بَلْ حَكَّتْ فَعَلَّكَ الْكَرِيمَ لِيَضْحَى * شَانُهَا فِي الْعُلِّ سِوَاءَ وَشَانُكَ .
فَهِيَ تَحْمَرُّ مِثْلَ سَيْفِكَ فِي الرُّو * ع ، وَتَصْفُو سِجَا صَفَا إِحْسَانُكَ .

وقال آخر وأجاد :

لَقَدْ جَارَ مَا تَشْكُوهُ فِي الْحُكْمِ وَأَعْتَدِي * وَأَسْرَفَ فِي أَعْمَالِهِ وَتَمَزَّدَا !
فَمَنْ لِي بِأَنْ لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ حِيلَةً * تُصَيِّرُ أَجْفَانِي لِأَجْفَانِكَ الْفِدَا ؟
دَهَتْ عَيْنُكَ الْعَيْنُ الَّتِي قَدْ قَضَى الْقَضَا * بِأَنْكَ فِيهَا سَوْفَ تُصْبِحُ أَرَمْدَا .

فَهِذْ بَدَلْتُ مِنْ نَرْجِسٍ بِشَقَائِقِ ، * أَعَادَتْ لِحَيْنَ الدَّمْعِ مِثْلَ عَسَجِدَا .
 سَلَبْتُ حُسَامَ الْحِظِّ مِنْهَا عَلَى الْوَرَى ، * وَقَدْ كَانَ أُخْرَى أَنْ يُصَانَ وَيُعْمَدَا !
 فَانْتَ الَّذِي أَبْلَيْتَهَا بِالَّذِي هُيَا ، * إِذَا السَّيْفُ لَمْ يُعْمَدْ تَرَكَبَهُ الصَّدَا .



وَمَا قِيلَ فِي أَرْمَدٍ غَطَى عَيْنِيهِ بِشَعْرِيَّةٍ ، قَوْلَ السَّرَاحِ الْوَزَاقِ :
 شَعْرِيَّةً ، مُذَرِّمِدَتْ قَدْ حَجَّيْتُ ، * طَرَفِي عَنْكُمْ ، فِصْرْتُ مُحْيَا .
 الْحَمْدُ لَهُ ! زَادَنِي شَرَفًا : * كُنْتُ سِرَاجًا فِصْرْتُ فَانُوسَا .
 وقال آخر :

غَطَى عَلَى عَيْنِيهِ شَعْرِيَّةً ، * تُشْعِلُ فِي الْقَلْبِ لَهَيْبَ الْغَرَامِ .
 كَأَنَّهُ الْبَدْرُ بَدَا نِصْفُهُ ، * وَنِصْفُهُ الْآخَرُ تَحْتَ الْغَمَامِ !
 وقال آخر :

لَا تَحْسَبُوا شَعْرِيَّةً أَصْبَحَتْ ، * مِنْ رَمِدٍ فِي وَجْهِهِ مُرْسَلَةٌ .
 وَإِنَّمَا وَجْهَتَهُ كَعَبَةٍ ، * أَمْتَارَهَا مِنْ فَوْقِهَا مُسْبَلَةٌ .

ومن رقعة كتبها أرمَد (وهو عبد الله بن عثمان الوائلي) عفا الله عنه ، قال :

صَادَفَ وَرُودُ كِتَابِهِ رَمْدًا فِي عَيْنِي قَدْ حَصَرَنِي فِي الظُّلُمَةِ ، * وَجَبَسَنِي بَيْنَ النِّعَمِ
 وَالْعُذَمَةِ ، وَتَرَكَنِي أُدْرِكُ بِيَدِي مَا كُنْتُ أُدْرِكُ بَعِينِي : كَلِيلَ سِلَاحِ الْبَصَرِ ، قَصِيرِ
 خَطْوِ النَّظَرِ ، قَدْ تَكَلَّفْتُ مِصْبَاحَ وَجْهِهِ ، * وَعِدَمْتُ بَعْضِي ، الَّذِي هُوَ آثَرُ عُنْدِي .

(١) لم نعلم على هذه الكلمة في اللسان ولا في القاموس . وفي شفاء الخليل النفاخي : أن "شعرية نسبة
 إلى الشعر : غشاء أسود رقيق يكون على وجه النساء والأرامل ، وأصله أنه ينسج من الشعر ثم يطلق
 على كل ما شابهه ، وهي موقدة" .

من كُلِّي . فالبيضُ عندي سُود ، والقريبُ منِّي بعيد ! قد أحاط الوجعُ أجفاني ،
وقبض عن التصرفِ بَنَانِي ، وفراغِي سُغْل ، ونهارِي ليل ، وطوال الخطأ قصار ، وقصار
أوقاتي طوال . وأنا ضريرو إن عُدِدْتُ في البصرَاء ، وأتَى وإن كنت من جملة
الكَتَّاب والقراء . قد قصرت العلةَ خطوئِي قلمي وَبَنَانِي ، وقامت بين يدي ولساني .

وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات ، فيقولون :

الْقَلْبَةُ ذَلَّةٌ ، وَالْوَحْدَةُ وَحْشَةٌ ، وَالْهَوَى هَوَانٌ ، وَالْأَقَارِبُ عَقَارِبٌ ، وَالْمَرَضُ حَرَضٌ ،
وَالرَّمْدُ كَمْدٌ ، وَالْعِلَّةُ قَلَّةٌ ، وَالْقَاعِدُ مُقْعَدٌ .

والله تعالى أعلم .

فصل

في ترتيب البكاء

إِذَا تَبَّأَ الرَّجُلُ لِلْبَكَاءِ ، قِيلَ : أَجْهَشَ .

فَإِذَا أَمْتَلَأَتْ عَيْنُهُ دُمُوعًا ، قِيلَ : أَغْرَوْرَقَتْ عَيْنُهُ . وَتَرَفَّرَتْ .

فَإِذَا سَالَتْ ، قِيلَ : دَمَعَتْ ، وَهَمَعَتْ .

فَإِذَا كَثُرَتْ دُمُوعُهُ ، قِيلَ : هَمَّتْ .

فَإِنْ كَانَ لِبَكَائِهِ صَوْتُ ، قِيلَ نَحَبٌ وَنَشَجٌ .

فَإِذَا صَاحَ مَعَ بَكَائِهِ ، قِيلَ : أَعُولُ .

قَالَ سَلَمُ الْخَاسِرُ :

أَتَتْنِي تَوْبَتِي فِي الْبُكَاءِ ، فَأَهْلًا بِهَا ، وَبَنَاتِيهَا !

قَوْلٌ ، وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ : أَتَبَّكِي بَعِيْنَ تَرَانِي بِهَا ؟

فَقُلْتُ : إِذَا أَسْتَحْسَنْتُ غَيْرَكُمْ ، أَمَرْتُ الدُّمُوعَ بِتَادِيَتِهَا .

فصل

فيما قيل في الأنف

- الشَّم ، ارتفاعُ قصبَةِ الأنفِ مع استواءِ أعلاها .
 القَناء ، طولُ الأنفِ ، ودِقَّةُ أرنبتِه ، وحَدَبٌ في وَسَطِه .
 القَطَس ، تطامُنُ قصبَتِه مع عِظَمِ الأرنبةِ .
 الخَلَس ، تأخُّرُ الأنفِ عن الوجهِ .
 الذَّلَف ، تَخْطُوضُ طَرْفُه مع صِغَرِ أرنبتِه .
 الخَشَم ، فَقْدانُ حامِصَةِ الشَّم .
 الخَرَم ، شَقٌّ في المَنخَرينِ .
 الخَثَم ، عِرْضُ الأنفِ . (يقال ثور أخْثَم) .
 القَمَم ، أعوجاجُ في الأنفِ . (قال الشاعر :
 لَمِثَّ المَنخَرينِ مَعْتَدِلُ المَا * رَنَ لاسائِلُ دَلا بَئْسَهُ .)



- ومما قيل في الشِّفاهِ والقِصَمِ ، الشَّدَق ، سَعَةُ الشَّدَقينِ .
 الضَّجَم ، مِيلُ في القَمِ وفيما يليه .
 الضَّرَز ، نُصُوقُ الحَنَكِ الأعلى بِالأَسفَلِ .
 المَدَل ، اسْتِرْخاءُ الشِّفَتينِ وغَلْظُهُما .
 اللَّطَع ، بَيَاضٌ يَمُرُّ بهما .
 القَلَب ، اتِّقلاهُما .
 الجَلَح ، قَصَرُهُما عَنِ الاتِّعْظَامِ .

فصل

في تقسيم ماء الفم

ما دام فيه ، فهو ريق ، ووضاب .

فإذا غلظ ، فهو عَصِيب .

فإذا سال ، فهو لُعَاب .

فإذا رى به ، فهو بَرَأق . وبَصَاق .

فصل

في ترتيب الضحك

التبسم أول مراتبه ، ثم الإهلاس وهو إخفاؤه ، ثم الاقتزار ، ثم الانكلال وهما الضحك الحَسَن ، ثم الكُنْكَتَةُ أشد منهما ، ثم القَهْقَهة والفرقة والكَرْكَرة ، ثم الاستغراب ، ثم الطَّحْطَحَة . ثم الإهزاق والزُهْرَقَة ، وهو أن يذهب الضحك به كل مذهب .

قال كشاجم :

عَدَبْتُ فِي الرَّشِيفِ مِنْ شَفَةِ ، مَضُجًا أَطْيَبُ مِنْ نَيْلِ الْأَمَلِ !

وَعَلَيْهَا حُمْرَةٌ فِي لَيْسٍ ، تَسْتَعِيرُ اللَّوْنَ مِنْ صَبْغِ الْمَجَلِ !

هِيَ خَيْمًا خَلَّتْ آثَارُ دِيمٍ ، مِنْ فُرَادَى عَلَّ فِيهِ وَهْلُ !

(١) في الأصل : في تقسيم ماء الوجه ورتيب الضحك . ولعدم وجود كلام على تقسيم ماء الوجه حذفناه من العنوان .

وقال ابن سكرة الهاشمي :

يا صاحبا، يستهل مضحكه * عن برد واضح وعن شرب !
أعطيتني قبلة رشقت بها الشهد مشوبا بعصرة العنب،
كأنني إذ لثمت فالك بها ، لثمت بفاحة من الذهب.

وقال كشافهم :

كان الشفاء اللعس منها خواتم * من التبر مخوم بهن على دُر.
وقال سيف الدولة بن حمدان ، في صباه :

أقبله على تحيل * كشرب الطائر القزع .
رأى ماء فاطمعه * تخاف عواقب الطمع .
فصادف فرصة قدنا ، ولم يلتد بالجرع .



ومما قيل في طيب الريق والنكهة على لفظ التذكير، فمن ذلك قول

ابن الرومي :

أهيف النُصن، أهيل الدعص لا * يفتسم قنده وشاح ومِرط .
طيب طعمه إذا دُقت فاده * والثريا في جانب القرب قُرط .

وقال آخر :

يا مانهي طيب المنام، وما يحيي * توب السقام، وتاركي كلال !
عمن أخذت جواز مني ريق التمسول، ياذا المعطف العسال ؟
عن تترك النظام، أم عن شمرك الشفطام، أم عن طرقت الغزال ؟

وقال آخر

أَتَدْرُونَ شَمَعْنَا لِمَ هَوَتْ؟ * لتَقِيلَ ذَا الرِّشَا الْأَكْلَ!
دَرْتُ أَنْ رِقَّتْهُ سُهْدَةٌ * فَخَفْتُ إِلَى الْفَهَا الْأَوَّلِ.

وقال بشار بن برد :

يَا أَطِيبَ النَّاسِ تَفَرًّا غَيْرَ مَحْتَبَرٍ * إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسْلُوكِ!

وقال ابن وكيع البستي :

رَبِّقْ إِذَا مَا أَزْدَدْتُ مِنْ شُرْبِهِ * رِيًّا، شَنَائِي الرَّيَّ طَعْمَانَا.
كَانَ لَمْ أَرَوْى مَا يَكُونُ الْفَتَى * مِنْ شُرْبِهَا أَعْطَشُ مَا كَانَ.

وقال ابن الرومي :

يَا رَبَّ رِبِّي بَاتَ بَدْرُ الْقَجَى * يَجْجُهُ بَيْنَ ثَنَائِيَا كَا.
يُرْوَى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شُرْبِهِ * وَالْمَاءُ يُرْوِيكَ وَيَنْهَاكَ كَا.

وقال أبو الفصح كشاجم :

بَلَقْتُهُ الْكَأْسُ فَارْتَمَدَتْ * طَرَبًا مِنْهَا إِلَى فَمِي.
مَنْعْتُهُ أَنْ يُؤْخِرَهَا * فِي يَدِيهِ مِنْ تَحْشِمِهِ.
فَحَسَاهَا ثُمَّ أَعْقَبَهَا * أَرْجَا مِنْ طَلِيبِ مَبْسِمِهِ.

وقال آخر :

بَقْدَرُ الصَّبَابَةِ عِنْدَ الْغَيْبِ، * تَكُونُ الْمَسْرُةُ عِنْدَ الْحُضُورِ.
وَأَطِيبُ مَا كَانَ بَرْدُ الثُّغُورِ * إِذَا هُوَ صَادَفَ حَزْرَ الصُّدُورِ.



ومما وصف به على لفظ التأنيث، فن ذلك قول ابن ميادة :
 كأنَّ على أنيابها المسك شابهُ * بُعِدَ الكرى من آخر الليل عائقُ.
 وما ذُفَّتْه إلا بعيني تَفَرَّسا * كما شِيمَ في أعلى السحابة بارقُ.
 يضم إلى الليل أذيالَ حُبِّها * كما ضمَّ أردانَ القميص البائِقُ.

وقال البحتري :

كأنَّ على أنيابها بعد هجعة ، * إذا ما تُجُومُ الليل حانَ أَعِدَارُها ،
 مُجاجةٌ مسكٌ صَفَقَتْ مُدَامَةٍ * معتقةٌ صَبَاءً ، حانَ أَعْتَصَارُها .

وقال ذو الرمة :

أَسِيلَةٌ تَجْرِي التَّمَعُ هَيْفَاءُ طِفْلَةٍ * عَرُوبٌ ، كَيَاضُ الغمامِ آبَسَامُها .
 كأنَّ على فيها ، وما ذُفَّتْ طَعْمَه ، * زُجاجةٌ نَحَرَ طَلَبَ فيها مُدَامُها .

وقال كشاجم :

البدْرُ لَا يُغْنِيكَ عَنْهَا إِذَا * غَابَتْ وَتُغْنِيكَ عَنِ الْبَدْرِ .
 فِي فَمِهَا مِسْكٌ وَمَشْمُولَةٌ * صِرْفٌ وَمَنْظُومٌ مِنَ النَّزْرِ .
 فَالْمِسْكُ لِلنَّكْهَةِ ، وَالنَّحْرُ لِلرَّيْقَةِ ، وَاللُّؤْلُؤُ لِلتَّغْرِ .

وقال الهذلي :

وما صَبَاءُ صَافِيَةٍ شَمْلٌ ، * كَمِينَ الذِّبْكِ مُنْجَابٌ قَدَّاهَا ،
 تُسَجُّ بِمَاءٍ سَارِيَةٍ عَرِيضٌ * عَلَى ظِلِّهِ بِهِ وَصَفَ صَبَّاهَا ،
 بِأَطْيَبِ نَكْهَةٍ مِنْ طَعْمِ فِيهَا * إِذَا مَا طَارَ عَنْ سَنَةِ كَرَاهَا .

وقال ابن الرومي :

وما تَقَرَّبَها آفةٌ بِشَرِّهٖ ۖ من النِّومِ إلَّا أَنهٗا تَحْتَرُّ
كذلك أنفاسُ الرِّياضِ بِسُحَرِ ۖ طَيبٌ وأنفاسُ الأنامِ تَغَيَّرُ
وما دُفِنَها إلَّا بِنَمِّ أَيْسَاهِما ۖ وَكَمْ تُحَيِّرُ يَدَيْهِ لِلْعَيْنِ مَنْظَرُ
وغير عَجيب طَيبُ أنفاسِ روضة ۖ مُنَوَّرَةٌ باتتُ تَرَّاحُ وتُحَطَّرُ

وقال جميل :

وكانَّ طارِقها على عَلَيِّ الكَرَى ، ۖ والنجمُ وهنَّ قد دَنَا لَتُغَوَّرُ
يَسْتَأْفِ رِيحُ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ ۖ بِذِكِّ مِسْكِ أَوْ يَحْيَقُ العَنَبَرُ

وقال الشريف الموصلي ، شاعر اليتيمة :

يا عَذْبَةَ المَيْسَمِ ! بُلِّ الجَسْوَى ۖ بِهَلَاةٍ من رِيْقِكَ البَارِدِ !
أرى غَدِيرًا سَيِّحًا مائِدُهُ ، ۖ فَهَلْ لَناكَ المِاءُ من وَّارِدِ ؟
مَنْ لِي بِذاكَ الصِّلِ الذَّائِبِ الشَّجَارَى خِلالَ البَرْدِ الجامِدِ ؟



ومما قيل في طيب عَرَفَ النساءُ ، قالوا : من أجود ما قيل في ذلك من

قديم الشعر قول الاعشى :

ما رَوْضَةٌ من رِياضِ الحَزْنِ مُعْشَبَةٌ ۖ خَضْرَاءُ جامٍ عليها مُسِيلٌ عَطِلُ ،
يُضاحِكُ الشَّمْسُ مِنْها كوكِبٌ شَرِيقُ ۖ مُؤَزَّدٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مَكْتَبِلُ ،
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْها تُنْثَرُ رائِحَتُهُ ۖ ولا باحْسَنَ مِنْها إِذْ دَنَا الأُصْلُ .

وقول القطامي :

وما ربح قاع ذي جُرأى وحولهُ * شَذَا أَرْج من طيب التبت غارب،
بأطيب من مَيَّ إذا ما تَقَلَّبت * من الليل وَشَى جانباً بعد جانب.

أخذه ابن المعتز ببعض لفظه وزاد زيادة حسنة، فقال :

وما ربح قاع زاهي مَسَّت الندى * وروض من الرِّيحان تَحْت سَحَابِهِ،
بغاء مُخَيَّر بين يومٍ وليلة * كما جَرَّ من ذيل الغلالة ساجِبِهِ،
بأطيب من أنياب سَرَّة موهِنَا * إذا الليلُ أَدجى وأَرَجَحْت كَنَابِهِ،
إذا رَغِبْتَ عن جانبٍ من فِرَاشِهَا * تَضَوِّعُ مِسْكَاً أين مَالَتْ جَوَابِهِ.

وقال ابن الرومي :

والعُزْبُ نَدَذِي، وهي ذَاكِه * إذا أَسَاءَ جَوَارَ العِطَرِ أَبْدَانُ،
نسيمُ كُلِّ بهارٍ من جَمَامِهَا * وَثِمْسُنُ الليلِ منها فهو صَحِيحَانُ،
كَأَنَّهُا وَعُتَانُ النَّدَى يَسْمَلُهَا * شَمْسٌ عَلَيْهَا ضَبَابَاتٌ وَأُدْجَانُ.

وقال ابن الأحنف :

لَذَكْتُكَ بِالرَّيْحَانِ لَمَّا شَمِمْتُهُ * وبالراح لما قَابَلْتَ أَوْجَهَ الشَّرْبِ،
لَذَكْتُكَ بِالرَّيْحَانِ مِنْكَ رَوَانَا * وبالراح طَمَأَ مِنْ مُقْبَلِكَ الْعَذْبِ.

ومن البالغ قول يحيى :

فما زَالَ بِرْدِي طَيِّباً مِنْ نِيَابِهَا * إلى المَولِ، حَتَّى أَتَهَجَّ البُرْدُ بِأَلَا.

وأبلغ منه قول الأحنف :

وَجَدَ النَّاسَ سَاطِعَ الْمِسْكِ مِنْ دِجْسَلَةِ قَدِ أَوْسَعِ الْمَشَارِعِ طَيِّبَا،
فَهُمْ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ وَمَا يَدُ * رَوْنُ أَنْ قَدْ حَلَلْتَ مِنْهَا قَرِيصَا.



وقال آخر، وأحسن :

جاريةً أطيبُ من طيبها * والطيبُ فيها المسكُ والنبثُ .
ووجهها أحسنُ من حلّها * والخللُ فيها التقرُّ والجوهرُ .

وقال امرؤ القيس :

ألم ترأى كُما جثت طارقاً ، * وجدتُ بها طيباً ، وإن لم تطيب .

وقال آخر :

أتأما يطرأ أهلها فتضا حكت * وقالت : وهل يحتاجُ عطر إلى عطر؟
وقد بالفوا حتى وصفوا طيب المواضع التي وطئها المحبوب .

وأول من قال ذلك النمرى الشاعر في زينب بنت يوسف أخت الجحاج فقال :

تَضُوعُ مِسْكَ بطنُ نَمَانٍ أَنْ مَشَتْ * به زينبُ في نِسْوةِ حَفِرَاتِ .

وقال جميل :

ألا أيها الرِّيحُ الذي غَيَّرَ البِلَى ! * عَفَا وَخَلَا ، من بعدما كان لا يخلو .
تَدَاعَبَ رِيحُ الْمِسْكِ فِيهِ وَإِنَّمَا * به المسكُ أَنْ جَرَتْ به ذيلُها جُمْلُ .

وقول الآخر :

أرى كلَّ أرضٍ دُسَّتِ فيها ، وإن مضت * لها حِجَجٌ ، يزدادُ طيباً بُرَاهُها !



ومما قيل في الأُسنان ، فمن محاسنها :

الشَّنبُ ، وهو رِقَّةُ الأُسنانِ وأستواؤها وحُسنُها .

الرَّزَلُ ، حُسنُ تَضْيِيقِها وآسَاقِها .

التَّطْلِيجُ ، تَضْرُجُ ما بينَها .

الشَّتتَ، فزَقَها من غير تباعد بل في استواء وحسن . (يقال : فزَقَتِ الثَّيِّبَةُ ، إذا كان مُقَلِّجا حسنا أبيض) .

الأشْرُءُ ، تحزِيز في أطراف الثنايا يدل على حذائفة السن .
الظَّلْمُ ، الماء الذي يجري على الأسنان من البريق لا من الرِّيق .

فصل

في مقابيحها

- الزُّرْقُ ، طولها .
- الكَسَسُ ، صَفَرها .
- النَّمَلُ ، تراكُّبها وزيادة مِن فيها .
- الشَّنَا ، اختلاف منابتها . ١٠
- الْفَصْصُ ، شدة تقاربها وانضمامها .
- الْيَلُّ ، إقبالها على باطن التيم .
- الدَّقِيُّ ، انصبابها إلى قدام .
- الْفَقْمُ ، تقدم سفلاها على العليا .
- الْقَلْعُ ، صُفْرَتها . ١٥
- الطَّرَامَةُ ، خُضْرَتها .
- الحَقَرُ ، ما يلزق بها .
- الدَّرْدُ ، ذَهَابها .
- الْهَمُّ ، آنكسارها .
- الأَطْطُ ، سقوطها . ٢٠

فصل

في ترتيب الأستان

وهي : أربعُ ثَنَابَا ، وأربعُ رَآعِيَّاتٍ ، وأربعُ أُنْيَابٍ ، وأربعُ ضَوَاحِكٍ ،
وثَلَاثَا عَشْرَةَ رَحَا ، وأربعةُ نَوَاجِدَ .

قال أبو الفتح كشاجم :

عَرَضُنْ ! فَمَرَضُنْ الْقُلُوبَ مِنَ الْجَوْدِ * لِأَسْرَعِ فِي كَيِّ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَمْرِ !
كَأَنَّ الشَّنْفَاءَ الْفُحْسَ فِيهَا خَوَافُ * مِنَ الْمِسْكِ ، مَخْتَوِمٌ مِنْ عَلَى دُرٍّ .

وقال أيضا :

كَالْقَصْنِ فِي رَوْضَةِ تَمِيْسُ : * تَصْبُو إِلَى حُسْنِهَا الْفُؤُوسُ .
مَا شَهِدْتُ وَالنِّسَاءَ عَرُوسًا ، * فَشُكُّ فِي أَنَّهَا عَرُوسُ !
تُيَسِّمُ عَنْ بَاسِمِ بَرُودٍ * تَعْبِقُ مِنْ طِيْبِهِ الْكُؤُوسُ .
يَجْمَعُ فِيهِ لَهَجِيْنِهِ : * مِسْكٌ ، وَوَرْدٌ ، وَخَنْدَرِيْسُ .

وقال المعنوي :

وَيَسْمُنُ عَنْ دُرٍّ تَقْلُدَنَّ مِثْلَهُ * كَأَنَّ التَّرَاقِي وَتَحَبَّتْ بِالْمَآسِمِ .

وقال الصنوبري :

تِلْكَ الثَّنَابَا مِنْ عَقْدِهَا تَظَلُّمَتْ ، * بَلْ يُظَمُّ الْعَقْدُ مِنْ شَأْيَاهَا .

وقال البحتري :

وَيَرْجِعُ اللَّيْلُ مُيْضًا إِذَا صَحَّكَتْ * عَنْ أَبْيَضِ خَصَلِ السَّخَطِيْنِ وَضَاحٍ .

وقال ابن الرومي :

كَأَنِّي لَمْ أَتِ أُنْقَى رُضَابًا : * يَمُوتُ بِهِ وَيَحْيَا الْمُسْتَهَامُ !

تَمَلُّنِيهِ وَاحِجَةُ الشَّيَا، * كَأَن لِّسَاءِهَا حَوْلًا لِّمَامٍ.
تَنَقُّسُ كَالشَّمُولِ حُمَّى شَمَالٍ * إِذَا مَا قُصَّ عَنْ قَهَا الخِلَامِ.

وقال النابغة :

تَجَلُّوْا بِنَادِيٍّ حَامِيٍّ أَيْكَةٍ * بِرَدٍّ أَسْفُ لِسَانِهِ بِالْإِمْدِ.
كَالْأَخْوَانِ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ * جَنَّتْ أَعَالِيهِ، وَأَسْفَلُهُ نَدَى.

وقال شقيق بن سليل :

وَتَبَيَّنَ عَنِ أَلْمَى الثَّلَاثِ، مَفْلُجٍ : * خَلِيْلِي الثَّنَائِيَا بِالْعَذُوبَةِ وَالْبَرِّ.

وقال جميل :

بَذَى أَشِيرُ كَالْأَخْوَانِ يَرْبُشُهُ * نَدَى الطَّلِّ، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَمْلَحُ.

وقال السهمري :

كَأَنَّ وَمِيضَ الْبَرْقِ يَبْجِي وَبِنَهَا، * إِذَا حَادَّ مِنْ بَعْضِ الْيُبُوتِ، أَهْتَامُهَا.

وقال آخر :

أَحَازِرُ فِي الظُّلُمَاءِ أَسْبَ تَسْتَشْفِي عِيُونَ الْعَبَّارَى فِي وَمِيضِ الْمَضَاحِ !



ومما قيل في السَّوَالِكِ، قول بعض الشعراء :

أَقُولُ لِسَوَالِكِ الْحَبِيبِ : لَكَ الْهَنَاءُ، * بَلِّغْ قِيمَ مَا نَالَهُ تَفَرُّعُ عَاشِقٍ !
فَقَالَ، وَفِي أَحْسَانِهِ حَرْقُ الْجُلُوبَى * مَقَالَةً صَبَّ لِلدِّيَارِ مُفَارِقَ :
تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي فَقَلْبِي كَمَا تَرَى، * أَعْلَاهُ بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ !

وقال آخر :

نقل الأراك بأن رِيْقَةَ ثَقْرِهِ * من قهوة، مُرِجَتْ بِمَاءِ الْكَوْثَرِ .
قد صَحَّ ما نقل الأراك لأنه * قد جاء يروي عن "صحيح الجوهري" .

وقال آخر :

بالله ، إن جُرَتْ بوادي الأراك * وقَبِلْتُ أغصانه اللدنُ فالكُ ،
فابعت إلى المملوك من بعضها * فأتاني واقفه مالي سِوَاك !

وَمِمَّا قَبِلَ فِي اللِّسَانِ ، فَمِنْ مَحَامِنِهِ :

إذا كان الرجلُ حاذِ اللسانِ قادراً على الكلام ، فهو ذَرَبُ اللسان ، وقَبِيحُ اللسان .

فإذا كان جَبِيْده ، فهو لَسِن .

فإذا كان يَضْمُهُ حيثُ أَرَادَ ، فهو ذَلِيق .

فإذا كان فصيحاً بَيِّنَ اللَّهْجَةَ ، فهو حُنَاقِي .

فإذا كان مع حِدَّةِ اللسانِ بليغاً ، فهو مِسْلَاق .

فإذا كان لا يَعْترِضُ لسانَهُ عُقْدَةً ، ولا يَتَحَيَّفُ بِإِثْنِهِ نُجْمَةً ، فهو مِصْقَع .

فإذا كان المتكلمَ عن القومِ ، فهو مِدْرَةٌ .

فصل

في عيوبه

الرُّتَّةُ ، حُبْسَةُ فِي لِسَانِ الرَّجُلِ ، وَتَجَلَّةٌ فِي كَلَامِهِ .

الْأُكْنَةُ وَالْحُكْلَةُ ، عُقْدَةٌ فِي اللِّسَانِ وَتُجْمَةٌ فِي الْبَيَانِ .

الْمُتَهَنِّتَةُ (بِالْهَاءِ وَالْثَاءِ) ، حِكَايَةُ آتَوَاءِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الْكَلَامِ .

- التَّعَمَّة (النَّاء والنَّاء)، حكاية صوت الألف والياء .
 اللَّنْة ، أن يُصَيَّرَ الرَّاءُ لَأَمَّا من كلامه .
 التَّافَاة ، أن يتردّد في الفاء .
 التَّعَمَّة ، أن يتردّد في التاء .
 اللَّفَف ، أن يكون في اللسان ثَقُلٌ وانعقاد ،
 اللَّفْج ، أن لا يبيّن الكلام ،
 التَّجْلِجَة ، أن يكون فيه عَيٌّ وإدخال بعض كلامه في بعض .
 التَّخَنُّنَة ، أن يتكلّم من لَدُنْ أَنفِهِ . ويُقال : هي أن لا يبيّن الرجل كلامه فيُخَنَّن
 في خياشيمه .
 التَّعَمَّة ، أن يتكلّم من أقصى حلقة .

فصل

في ترتيب العي

- يقال : رجل عَيٌّ ، ثم حَصِرَ ، ثم فَهُ ، ثم مُنْصَمٍ ، ثم لَفْلَاجٌ ، ثم أَبْكُ .
 قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : المرءُ يُخَبِّئُ نَحْتُ لِسَانِهِ .
 وقال شاعر :
 وما المرءُ إلّا الأَصْفَرَانِ : لِسَانُهُ ، ومَعْقُولُهُ ، والجَسَمُ خَلْقٌ مَصُورٌ .
 وقال امرؤ القيس :
 وذلك من نَبِيٍّ جَاءَنِي ، وَخُبْرَتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ .
 ولوعن نَتَأَ غَيْرِهِ جَاءَنِي . وَجُرِحَ اللِّسَانُ بِكُرْحِ الْيَدِ .
 (التَّائِي القَبِيح من الكلام) .

وقال جرير :

لساني وسيني : صاربان كلاهما ! * والسيف أشوى وقعة من لسانيا !
(قوله أشوى إذا أخطا القتل) .

وقال آخر :

وخرج السيف تدمله فيري ، * وخرج الدهر ما جرح اللسان !



ومما وصف به حسن الحديث والنعمة ، فن ذلك قول ذى الرقة :
ولما تلاقينا ، جرت من عيوننا * دموع كففنا غريها بالأصابع .
ونلنا سقاطا من حديث كأنه * جنى النحل مزوجا بماء الوقائع .

وقال أيضا :

وإنا ليجري بيننا حين نلتقى * حديث له وثى كوشي المطارف !
حديث كوقع القطر في الخيل يستقى * به من جوى في داخل القلب ، لأطف .

وقال ابن الرومي :

ولقد سمعت ما ربي ، * فكان طيبها خيلت .
إلا الحديث فإنه * مثل اسمه أبدا حديث .

وقال بشار :

وكان رجع حديثها * قطع الرياض حين زهرا .
وكانت تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا .
وتخال ما أشتلت عليه ثيابها : نعبا وعطرا .

وقال البحتري :

فَلَمَّا آتَيْنَا - وَأَلْقَا مَوْعِدَنَا - * تَعَجَّبَ رَأَى الدُّرُ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً .
فَمَنْ لَوْلُو يَجْلُوهُ عِنْدَ آبَتَايَاهَا ، * وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَافِقُهُ !

وقال آخر :

ظَلَّلْنَا نَسَاوَى عِنْدَ أُمِّ مُحَمَّدٍ * بِنَوْمٍ ، وَلَمْ نُشْرَبْ شَرَابًا وَلَا تَحْمُرًا !
إِذَا صَمِتَتْ عَنَّا ، صَحَّوْنَا بِصَمَّتِهَا ، * وَإِنْ نَطَقَتْ ، هَاجَتْ لِأَلْبَابِنَا سُكْرًا .

وقال ابن الرومي عفا الله عنه :

وَحَدِيثُهَا السُّحْرُ الْحَلَالُ ، لَوْ أَنَّهُ * لَمْ يَتَّعِنِ قَسَلَ الْعَاشِقِ الْمُتَحَرِّزِ .
إِنْ طَالَ لَمْ يُعَلَّلْ ، وَإِنْ هِيَ أَوْجِرَتْ * وَذَ الْمَحَدَّثُ أَنَّهُا لَمْ تُوجِزِ .
شَرَكُ الْقُلُوبِ ، وَفَتْنَةُ مَا مَثَلُهَا * لِلطَّمِينِ ، وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ .

وقال التطائي :

فَهِنْ يَنْيِدُنْ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِرْ بِهِ * مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي .

وقال علي بن عطية البلنسي :

كَتَمْتَنِي نَفْثُ دُرَّاتِيهَا ، * وَتَأَمَّلْتُ عِقْدَهَا هَلْ تَنَازَرُ .
غَارَ ذِمَّاهَا جَاهِلًا ، فَارْتَقَى * عِقْدُ دُرٍّ مِنَ التَّبَسُّمِ آتَرَا !

وقال الواواء الدمشقي :

وَحَدِيثُ كَكَاثَةٍ * أَوْبَةٌ مِنْ مُسَافِرٍ .
كَانَ أَحْلَى مِنَ الرِّقَا * دَلْدَى طَرْفِ سَاهِرٍ .

بُتَّ الهويطيه * في رياض زواهير :
يَبَّ ساق وسامر * ومُغْنَّ وزاهير .

وقال الطائي :

مَدَّتْ إِلَيْكَ بِنَانَهُ أُسْرُوعًا ، * تَشْكُو الْفِرَاقَ ، وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا .
كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَنْفَاعُهَا * مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا .

وقال ابن المعتز :

وَسَرَّ أَحَادِيثَ عِذَابٍ لَوْ أَنَّهَا * جَنَى النَحْلِ ، لَمْ تَهْجُجْ حَلَاوَتَهَا النَحْلُ .



وَمَا قِيلَ فِي الْأُذُنِ ، الصَّمْعُ ، صِنْوُهَا .
السَّكُّ ، كَوْنُهَا فِي نِهَآيَةِ الصَّفَرِ .
الْقَنْفُ ، اسْتِرْخَاضُهَا وَإِقْبَالُهَا إِلَى الْوَجْهِ .
الْخَطَلُ ، غُلْظُهَا .

فصل

فِي تَرْتِيبِ الصَّمَمِ

يَقَالُ :

بِأُذُنِهِ وَقَرَّ .

فَإِذَا زَادَ ، فَهُوَ صَمٌّ .

فَإِذَا زَادَ ، فَهُوَ طَرَشٌ .

فَإِذَا زَادَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الرِّعْدَ ، فَهُوَ صَمٌّ .



ومما وصف به الصُّدُغُ، فن ذلك قول عبدالله بن المعتز :
 رِيمٌ ! يَلْبَسُهُ بِحُصْنِ صُورِهِ ، * عَبَتْ الْفُتُورُ بِلِحْظِ مُقْلَبِهِ .
 فَكَأَنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ وَقَعَتْ ، * لَمَّا دَنَتْ مِنْ نَارِ وَجَّتِهِ .
 وقال ابن الرومي :

أَبْدَانُحْنُ فِي خِلَافٍ : فَمَعْنَى * فُوطُ حُبٍّ وَمِنْكَ لِي فُوطُ بُغْضٍ .
 فَبَصْدُغَيْكَ فَوْقَ خَطِّ عَذَابٍ * ظُلُمَاتٌ ، وَبَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ .
 وقال صاحب بن عباد :

وَعَهْدِي بِالْمَقَارِبِ حِينَ تَسْتَوِ * تُخَفِّفُ لَدَغَهَا وَتَقْلُ صُرَا .
 لِمَا بَالُ الشَّيْءِ أَتَى ، وَهَذَا * عَقَارِبُ صُدْغِهِ يَزِدُّنَ شُرَا ؟
 وقال ابن المعتز :

أَمِنْ سَبَجٍ فِي عَارِضِيهِ صَوَالِجُ * مُعْطَفَةٌ تُفَاحَ خَدَيْهِ تَضْرِبُ ؟
 وَمَا ضَرَّهُ نَارٌ بِخَدَيْهِ الْهَيْبُ ؟ * وَلَكِنْ بِهَا قَلْبُ الْمَحَبِّ يُعَذِّبُ ؟
 عَنَاقِيدُ صُدْغِيهِ بِخَدَيْهِ تَلْوِي * وَأَمْوَاجُ رَدْفِيهِ بِخَضْرِيهِ تَقْلِبُ .
 شَرِبْتُ الْهَوَى صِرْفًا زَلَالًا ، وَإِنَّمَا * لَوَاحِظُهُ تَسْفِي وَقَلْبِي يَشْرِبُ .
 وقال التتالي :

وَصَوْبُ لَحَائِنٍ فِي يَدَيَّ شَادِيَةٍ * لَا يَسْمَعُ الْعَاشِقُ أَنْ يَذْكُرَهُ .
 وَصَوْبُ لَحَائِنِ الْمُسْكِ فِي خَدِّهِ * مَتَّخِذٌ حَبَّةَ قَلْبِي صُكْرَهُ .

وقال النافى الأصغر :

لَكَ ضُدْعُ كَأَنَّمِ . نُؤْنُهُ نُؤْتُ كَاتِبِ .
بَلَدْعُ النَّاسِ إِذْ تَعْقَسِرَبَ لَدْعُ الْعَقَارِبِ .

وقال صاحب بن عباد :

يَاشَادَانَا فِي وَجْهِهِ عَقْرُبٌ . مَا يَسْجِبُ الدَّهْرَ لِلرَّاقِي .
يَسْلُمُ خَدَاهُ عَلَى لَدَغِهَا . وَلَدَغُهَا فِي كَيْدِي بَاقٍ !

وقال عمر الموطوعى :

بَنَفِيٍّ مَنِ تَمَّتْ حَاسِنُ وَجْهِهِ ! لِمَا هُوَ إِلَّا الْبَدْرُ عِنْدَ تَمَامِ .
وَأَرْسَلَ ضُدْعًا فَوْقَ خَدِّ كَأَنَّهُ . جَنَاحُ غُرَابٍ فَوْقَ طَوْقِ حَمَامِ .

وقال آخر :

حَلَّتْ عَقَارِبُ ضُدْعِهِ فِي خَدِّهِ * قَمَرًا ، بِحُلٍّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ !
وَلَقَسَدَ عَهْدَانَا يَحِلُّ بِدُرْجِهَا * فَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ ؟

وقال المهاد الأصبهاني :

وَإِذَا بَدَأَ لَكَ ضُدْعُهُ فِي وَجْهِهِ * أَبْصَرْتَهُ قَمَرًا بَدَأَ فِي الْعَقْرِ !

وقال أبو الفتح كُشَاجِم :

وَمَنْعَنَ وَرَدَّ خَدُودَهُنَّ فَلَمْ يُطِقْ * قَطُّفًا لِمَا لِمَقَارِبِ الْأُصْدَاعِ !



ومما وصفت به الحدود والوجنات ، من ذلك ماورد على لفظ التذكير .

قال أبو الفتح كُشَاجِم :

غَدَاً ، وَعَدَا تَوَرَّدَ وَجَنَّتِي * لَمِينٍ مِجْهٍ يَصِفُ الرِّيَاضَا .

على خديته ماءً عَسَجْدِي، * فلو نظَرَ الرقيبُ إليه، غَاصَا.

وقال آخر :

دَعَوْتُ بَاءً فِي رُجَاجٍ، بَغَاءِي * حَبْلِي بِهِ نَحْرًا نَظَرْتُ لَهُ شَرَا.
فَقَالَ : هُوَ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ وَإِنَّا * تَجَلَّى لَهُ خَدِي فَأَوْهَمَكَ الْخَمْرَا !

وقال أبو القاسم عبد الغفار المصري، شاعر القيمة :

وَرَدُّ الْخُدُودِ أَرْقُ مِنْ * وَرْدِ الرَّيَاضِ وَأَنْهَمُ.
هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأَنْوُ * فُ، وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُ.
فَإِذَا عَدَلَتْ، فَأَفْضَلُ السُّورِدَيْنِ وَرْدَ يَلْسَمُ.



وقال أيضا (ويروى للوأواء النمشي) :

لَا تَظْلِمُوا النَّاسَ وَلَا تَطْلُبُوا * بِنَارِي الْيَوْمِ أَذَى مُسْلِمٍ !
وَيَا لِقَسْوَى دُونَكُمْ شَادَةً * مَعْتَدِلِ الْقِسَامَةِ وَالْمَيْسَمِ !
فَإِنْ أَبِي إِلَّا جُحُودَ الْمَوْىِ * وَأَكْتَمَ الْأَمْرَ وَلَمْ يُعْلِمِ،
قُولُوا لَهُ يَكْشِفُ عَنْ خَدِّهِ * فَإِنْ فِيهِ قَطْعًا مِنْ دَمِي.

وقال ابن الزوني :

وَضُرَّالِي تَرَى عَلَى وَجْهِتِي * قَطْرَ سَهْمِيهِ مِنْ دِمَاءِ الْقُلُوبِ.
لَمْ تُفْ تَقِي لِفُلْكَ مِنْ وَجَّاتٍ * وَرَدُّهَا وَرْدُ شَارِقٍ مَهْضُوبِ !
أَنْهَلْتُ صَبْغَ نَفْسِي ثُمَّ عَلَّتْ * مِنْ دِمَاءِ الْقَتْلِ بَنِيرُ دُؤُوبِ.
بِحَرْجَةِ الْعِيُوثِ فَأَقْتَصَّ مِنْهَا * بِيحْوَى فِي الْقُلُوبِ دَائِمِي الْبُدُوبِ.

وقال أيضا :

بأوجنتيه اللتين من بهج : في صدغيه اللذين من دحج !
ما حمره فيكما : أمن تحجيل ، * أم صبغه الله ، أم دم المهج ؟

وقال أبو الفتح البقي :

ومهمهم غنج الشايل أزعجت قلبي محاسن وجهه إزعاجا .
درت الطبيعة أن فاحم شعره * ليل فاذكت وجنتيه هراجا .

وقال عبد الله بن المعتز :

بأمن يهود يوعيد من لحظه : وبصدق أقول : أين الموعد ؟
ويقل صباغ الحياء بخده * تعبأ : يعصفير تارة ويورد .

وقال الراضي بالله :

يصفر وجهي إذا تأملني * خوفا ، ويمر خده تحجلا .
حتى كأنت الذي بوجنته * من ماء وجهي إليه قد قفلا .

وقال الخبزا رزي :

صل بخدي خديك ، تلق عجبيا : من معان يحار فيها الضمير .
فيخديك للربيع رياض ، * وبخدي للدموع غدير .

وقال أيضا :

أظهر الكبرياء من قرط زهو ، * فلقيت به بلل الخضوع .
وحباني ربيع خديه بالور * د فامطرته بحباب الدموع .

وقال الصوري :

رق ، فلو صكفته أعينا * أن يرشح الخمر خده ، رشحاً .

وقال المفتح :

طَلَبْتُ إِذَا عَقَرَبَ أَصْدَاغَهُ ، رَأَيْتَ مَا لَا يُجْنِسُ الْعَقْرَبُ .
تُفَاحَ خَدَيْهِ لَهُ نَضْرَةٌ • كَأَنَّهُ مِنْ دَمْعِي يَشْرَبُ .

وقال آخر :

وَمُبِيعُ أَسْرَارِ الْقُلُوبِ • بِبُوجَيْتِهِ وَحَاجِيَّتِهِ .
جَمَعَ إِلَهُ لَهُ الْحَا • سَنَ ثُمَّ أَفْرَعَهَا عَلَيْهِ .
وَكَاثُ مِرْآئِينَ عُلْقَتَا بِصَفْحَةِ عَارِضِيهِ .
وَكَاثُ وَرَدَ الْبُلْبُلُ نَارَ مُضَعْفٍ فِي وَجْتِيهِ .

وقال علي بن عطية البلنسي في غلام جريح خذه :

وَأُخْوَى رَمَى عَنْ قَبِيئِ الْحَوَرِ • سَهَامًا يُوقِفُهُنَّ النَّظَرُ .
يَقُولُونَ : وَجْتَهُ قُضِمَتْ • وَرَسْمُ مُحَاسِنِهِ قَدْ دَثِرُ .
وَمَا شَقَّ وَجْتَهُ عَابِتًا • وَلَكِنَّا آيَةُ لِلْبَشَرِ .
جَلَاها لَنَا اللَّهُ كَمَا نَرَى • بِهَا كَيْفَ كَانَ أَشْفَاقُ الْقَمَرِ .



ومما وصفت به على لفظ التأنيث ، فن ذلك قول عبد الله بن المعتز :

يُجَلُّ الْيُمُونُ ، سَوَاحِرُ اللَّحْظَاتِ • هَيْجَنُ مِنْكَ سَوَاكِنُ الْحَرَكَاتِ .
أَقْبَلَنَ يَرِمِينَ الْجَمَارَ تَشْكَا ، بِفَعْلَنَ قَلْبَكَ مَوْضِعَ الْجَمْرَاتِ .
فَكَانَتْ غُصُونُ بَابٍ نَاعِمٍ • يَحِيلَنَّ تُمَاسِحًا عَلَى الْوَجَنَاتِ .

وقال آبن الرومي :

تَسْرَعُ الْأَخْطَا فِي وَجْهِهَا • فَتُضَلِّقُ الرِّىَ مِنْ مَشْرِهَا •
فَتَهْىَ حَسْبُ الْعَيْنِ مِنْ زُجْجَتِهَا • وَهِيَ حَسْبُ الْأُذُنِ مِنْ مَطَرِهَا •

وقال ديك الجحش :

بَابِي السَّلَاحُ الْأَنَسَا • ثَ الرَّاغِبَاتِ الْغَانِيَاتِ !
أَقْبِلْ • وَالْأَصْدَاغُ فِي • وَجَنَاتِنِ مُعْقَرَاتِ !
أَلْهَاطُهُنَّ مُؤَنَّنَاتَا • تَ وَالْجَفُونُ مَذْكُرَاتِ !
حَسْبِي إِذَا عَاطَيْتَنِي • وَالْأُمُورُ مُسَبِّحَاتِ •
جَمَشْتَنِي • وَقُلْتُ : طَيْشِبُ عَنَّا كُنَّ هُوَ الْحَيَاةِ !
فَجَلَنَ حَتَّى خَلَّتْ أُنْتُ خُدُودَهُنَّ مُعْصِرَاتِ •



ومما وصفت به الخيلان ، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير .

قال بعض الشعراء :

فِي السَّاعِدِ الْإِيْمَنِ خَالٌ لَهُ • مِثْلُ السُّوَيْدَاءِ عَلَى الْقَلْبِ •
كَأَنَّهُ مِنْ سَحَابٍ فَاحِمٍ • مُرَكَّبٌ مِنْ لَوْلَا رَطْبِ •

وقال آبن منير الطبري :

لَا حَ لَنَا عَاطِلًا ، قَصِيحٌ لَهُ • مَنَاطِقُ مِنْ مَرَّاشِقِ الْقَلِيلِ •
حَيَاةٌ رُوحِي فِي لَوَا حِطْلِهِ • حَقَقِي بَيْنَ النَّشَاطِ وَالْكَلِيلِ •
مَا خَالَهُ مِنْ تَمَحُّتٍ عَنِّي صَدِّ • نَجِيهِ وَلَا قَطَرِ صِبْغَةِ الْكَمَلِ •
لَكِنْ سُوَيْدَاءُ قَلْبٍ عَاشِقِهِ • طَقَّتْ عَلَى نَارِ وَرْدَةِ الْفَحْمَلِ •

وقال أيضا :

أَنْكَرْتُ مُقَلَّتُهُ سَفْكَ دَمِي ، * وَعَلَى وَجْنَتِهِ فَأَعْتَرَفْتُ .
لَا تَحْأَلُوا خَالَهُ فِي خَدِّهِ ، * قَطْرَةٌ مِنْ صَبْغٍ جَفْنِي تَنْقَطُ .
تِلْكَ مِنْ نَارِ قُؤَادِي جَدُّوهُ ، * فِيهِ سَاخَتْ وَأَنْظَفْتُ ثُمَّ طَفْتُ !

وقال آخر :

لَا تَحْأَلِ الْخَالَ بَعْلُو خَدَّهُ ، * تَقَطَّ مِسْكٌ ذَابَ مِنْ طَرَفِهِ .
ذَلِكَ قَلْبِي سُلِّتَ حُبَّتُهُ ، * فَاسْتَوَتْ خَالًا عَلَى وَجْنَتِهِ .

وقال آبن منير :

كَأَنَّ خَدَّيْهِ دِينَارَاتٍ قَدُوزَاتُهَا ، * وَحَزَرَ الصَّيْرِقُ الْوَزْنَ وَأَحْطَاطُهَا .
نَخَفْتُ إِحْدَاهُمَا عَنِ وَزْنِ صَاحِبِهِ ، * لَخَطُّهُ فَوْقَ الَّذِي قَدْ جَفَّ قِرَاطُهَا .

وقال آخر :

أَحْمَى لِيُوسُفَ فِي الْجَمَالِ خَلِيفَةُ ، * يَحْشَاهُ كُلُّ الْعَالَمِينَ إِذَا بَدَأَ .
عَرَّجَ مَعِيَ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ لِكَيْ تَرَى ، * فِي خَدِّهِ عِلْمَ الْخِلَافَةِ أَسْوَدَا .

وقال آخر :

كَمْ قَلْتُ لِلنَّفْسِ : إِلَيْهِ أَنْعَمِي ، * فَجَبَّهِ الْمَشْهُورُ مِنْ مَدْهَمِي !
مُهْمَنْهَفٌ الْقَدُّ لَهُ شَامَةٌ ، * مِنْ عَتَبِي فِي خَدِّهِ الْمُنْهَبِ .
أَيْسَرِي التَّوْبَةَ مِنْ حُبِّهِ ، * طَلُوْعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرِبِ !

وقال آخر :

وَمُهْمَنْهَفٌ مِنْ شَعْرِهِ وَجْهِيهِ ، * يَنْدُو الْوَرَى فِي ظُلُمَةِ وَضِيَّاهِ .
لَا تَسْكُرُوا انْطِلَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ ، * كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةِ سَوْدَاهِ .

وقال آخر:

لَهِيبُ الْخَذَجِينَ رَأَيْتُهُ عَيْنِي * هَوَى قَلْبِي عَلَيْهِ كَالْفَرَاشِ .
فاحرقه فصار عليه خلأ * وما أثر الدخان على الحوائشي !

وقال آخر:

بَدَأَ عَلَى خَدِّهِ خَالٌ بِرُيْتِهِ ، * فزادني شغفاً منه إلى شغفي .
كَأَنَّ حَبَّةَ قَلْبِي عِنْدَ رُيْتِهِ * طارت قَلْتُ لَهَا : فِي الْخَلْدِ مِنْهُ فَي !

وقال آخر:

خِيْلَانُ خَدِّكَ رَدْتُ * صحيحَ قَلْبِي مَرِيضًا .
فِي الْعَيْنِ سُودٌ ، وَلَكِنْ * مَا زِلْتُ فِي الْقَلْبِ يَهِيشًا .

وقال آخر:

خُدُّكَ مِرْآةٌ كُلُّ حُسْنِي * يَحْسُنُ مِنْ حُسْنِهَا الصِّفَاتُ .
مَا لِي أَرَى فَوْقَهُ نُجُومًا * قَدْ كَسَفَتْ وَهِيَ نَيِّرَاتُ ؟

وقال آخر:

حَجَّتْ إِلَى وَجْهِكَ أَبْصَارُنَا * طَائِفَةٌ ، يَا كَعْبَةُ الْحُسْنِ !
تَمَسُّحٌ خَلَا مِنْكَ فِي وَجْهِهِ * كَالْجَمْرِ الْأَسْوَدِ فِي الرُّكْنِ .

وقال الأسعد بن بليلة :

سَكَرَانُ لَا أَدْرَى - وَقَدْ وَافَى بِنَا - * أَمِنْ الْمَلَاةِ أَمْ مِنَ الْخُرْيَالِ .
نَتَنَفَّسُ الصَّبَاءَ فِي لَمَسَوَاتِهِ * كَتَنَفَّسُ الرُّيْحَانِ فِي الْأَصَالِ .
وَكُنَّا نَمُوتُ الْخِيْلَانُ فِي وَجَّتَاتِهِ * سَاعَاتُ هَمْرِي لَيْلٍ وَصَالِ .



ومما وصفت به على لفظ التأنيث ، فن ذلك قول أبي الفتح كشاجم :-

هديت زائرة في العيد واصلة ٠ لمستها بمها للوصل منتظرة .

فلم يزل خدما رُكبا الوُد به ، ٠ والحال في صحنه يُفني عن البحر .

وقال العباس بن الأحنف :

ومعجوبة في الخلد عن كل ناظر ، ٠ ولو برزت ماضل بالليل من يسرى .

يُحَالِ بِذَلِكَ الخلد أحسن منظرا ٠ من النقطة السوداء في وَصَح البدر .



ومما قيل في العذار ، فن ذلك ماورد فيه على سبيل المدح .

قال ماني الموسوس عفا الله عنه ورحمه :

وما غاضت حماسته ؛ ولكن ٠ بماء الحسن أورق عارضاه .

سمعت به فهمت إليه شوقا ؛ فكيف لك التصبر ، لِرَازاه ٠

وقال أبو فراس :

يس أين للرسل الغرير الأحمور ، ٠ في الخلد مثل عذاره المتعذر ؟

يا من يلوم على هواه سفاهة ؛ ٠ أنظر إلى تلك السوالف ، تعذر .

فمُر كأنك بعارضتيه كليهما ٠ مسك تساقط فوق ورد أحمر .

وقال ابن المعتل :

سالت مسأيل عارضتيه بنفسها في ورده .

فكأنه من حسنه ٠ عبت الربيع بخدّه .

وقال الخباز البلدي :

وعارض مثل دارة البدر * دار بوجه كليله القدر.
فلو تراه وحسن منظره، * شهدت أن الجمال للشعر.

وقال ابن المعتز :

وتكاد الشمس تُسبّه * وتكاد البدر يحكيه.
كيف لا يحضر عارضه، * ومياه الحسن تسقيه؟

وقال محمد بن وهب :

صدودك في الوري هتك أستاري، * وساعده البكاء على اشتغاري.
ولم أخضع عذاري فيك إلا * لما عاينت من حسن العذار.
وكم أضرت من حسن، ولكن * عليك من الوري وقع اختياري.

وقال أبو الفرج الواواء :

وشمس بأعلاه وإسلا^(١)ن أسبلا * بخديته، إلا أنها ليس تقرب.
ولما حوى نصف الذهب نصف خده * تحير حتى ما درى أين يذهب.

وقال الخباز الرزي :

أنظر إلى الفصح يجرى في ألواحظه، * وأنظر إلى دجج في طرفه الساجي !
وأنظر إلى شعرات فوق عارضه * كأنهن نبال سرت في العاج !

وقال أيضا :

وجه تكامل حسنه * لما نظره عذاره.
والسيف أحسن ما ترى * ما كان محضرا غراره.

وقال الأمير سيف الدين المشد :

ولائم في عذار بئر * لم أسطع عن هواء مَيْلا .
 قَلْتُ ، والذمُّ في جُفوي * لفرط وجدى تسيل سَيْلا :
 ضَلَلْتُ في خَدِّه نهارا ! . كيف رشادى ، وصار ليلا ؟

وقال أيضا :

ولمَّا أن بنا في الخلد شمر * توقَّف عند منتصف العذار .
 قَلْتُ للآثي فيه : تعجَّب ، لنصف الليل في نصف النهار !

وقال أيضا :

ومنهف يحمى وُردُ رُضاه * بصواريم سَلَّت من الأجفان .
 كتب العذار بليقة مِسْكِيَّة * في خَدِّه سَطَوا من الرِّيحان .

وقال أيضا :

يقول السَّوافِلُ لَمَّا بنا * على خَدِّه شمر زائرُ :
 دَوَى وُردُ خَدِّه ، قلت : أقصروا * فخرجس الحافظه وإفسر !

وقال آخر :

وقالوا : تسلَّ قد شائهُ * عذار أراحك من صَدِّه .
 قلت : ومِثْم ، ولكنِّي * خلَّفت العذار على خَدِّه .

وقال آخر :

بروحى وقلبي ذلك المارض الذى * غدا مسكُه فوق السَّوافِ سائلا .
 درى خُدِّه أَى أَجْنُ من الموى * فأظهر لى قبل الجُنون سَلاسل !

وقال آخر :

أصبحتُ مأسوراً بفتح يَظَاهِ * ومقيداً من صُدغِه بِسَلَّاسِلِ .
حتى بدا سيفُ العذار مجرداً . نغشيتُ منه ، قُلتُ هذا قاتلي !

وقال آخر :

قالت : أسودَّ عارضاك بَشْعِرٍ ، * وبه تَفُحُّ الوجوهُ الحسانُ !
قلتُ : أشتلتُ في فؤادي ناراً ، * فلي عارضِي منه دُخانُ !

وقال آخر :

قلتُ ، وقد أبصرته مُتَبَيِّلاً * وقد بدا الشَّعرُ على الخدِّ :
صُعُودُ ذا النملِ على خذه * يشهد أن الرِّيقَ من شَهِدِ .

(١٨)

ومثله قول الآخر :

قالوا : آلتحي ، فأصبُ إلى غيره ! . قلتُ لم : لست إذا أسلُوا !
لو لم يكن من عيل ريقه ، * ما دَبَّ في عارضه النملُ .

وقال آخر :

عذاره أحسنُ ما فيه ، * وتبيهُ من أحسن التَّبيهِ .
في فمِه الشَّهْدُ ، فلا تنجَّبوا * إن دَبَّ نملٌ بصناريه .

وقال آخر :

أَسْلَى بنار الخدِّ صَخرَ خاله * فندا العذار دُخانَ ذاك العيرِ .
وقال آخر (وقد تقدّم إيرادُه في معناه الخدِّ) .

أَعَدَّ نظراً ، فما في الخدِّ تَبُّ * حماءُ الله من رَيبِ المُنُونِ !
ولكن رِقَّ ماءُ الوجهِ حتى * أراك مثلاً لأهدابِ الجُفُونِ .

ومثله قول الآخر (وقد تقدم إيماده) :

ولَمَّا اسْتَدَارَتْ أَعْيُنُ النَّاسِ حَوْلَهُ ، تَلَا حَظَّهُ كَيْفَ اسْتَقَلَّ وَسَارَا ،
تَمَثَّلَتْ الْأَهْدَابُ فِي مَاءِ وَجْهِهِ ، فَظَنُّوا خِيَالَ الشَّعْرِ فِيهِ عِنَارَا .
وقال الجاحزي :

وَمَا أَخْضَرَ ذَاكَ الْخَلْدُ نَبْتًا ، وَإِنَّمَا * لِكثْرَةِ مَا شُقَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَائِرُ .
وقال آخر :

يَا لَأَيْمَى فِي حُبِّ ذِي عَارِضٍ ، مَا الْبَلَدُ الْخُصْبُ كُلُّ سَاحِلٍ !
يَمُوجُ مَاءُ الْحَسَنِ فِي وَجْهِهِ * فَيَقْدِيفُ الْعَبْرَ فِي السَّاحِلِ .
وقال آخر :

وَلَمَّا بَدَأَ خَطَّ الْعِدَارِ بِرُوحِهِ ، كَطَلْمَةِ لَيْلٍ فِي ضِيَاءِ نَهَارٍ ،
تَغْلَقُ فِي قَلْبِي هَوَاهُ فَلَمْ أَزَلْ * خَلِيعَ عِنَارِي فِي جَدِيدِ عِنَارٍ .
وقال آخر :

قَالُوا : أَلَتَحَى ، فَاثْمَحَتْ بِالشَّعْرِ بِهَجَّتِهِ ! ، قُلْتُ : لَوْلَا التُّجَى لَمْ يَحْسُنِ الْقَمَرُ .
مَنْ كَانَتْ مَتَظَرًّا لِلصَّبْرِ عَنْهُ ، يَا لَأَيْمَى لَعَرَايِي كُنْتُ أَنْتَظَرُ .
خَطَّتْ يَدُ الْحَسَنِ مِنْهُ فَوْقَ وَجْهِهِ : * هَذِي عَاسُنُ ، يَا أَهْلَ الْهَوَى ، أَنْتَرُ !
وقال آخر :

وَقُلْتُ : الشَّعْرُ يُسَلِّبُنِي هَوَاهُ ! ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّ الشَّعْرَ حَيٌّ .
فَظَلْتُ لِشَقْوَى أَفْدَى وَأَحْيَى * سَوَادِ عِنَارِهِ بِسَوَادِ عَيْنِي .
وقال محمد بن عبد الله السلامي ، شاعر البيتمة :

عِنَارُكَ جَادَتْ عَلَيْهِ الرِّيَا * ضُنَّ بِأَجْفَانِهَا وَبِأَمَاقِهَا .

وطال غرامُ الفسوانِ به * فقد طرَزَتْه بأحداقها.

وقال ابن سكرة الهاشمي :

وغزال لولا نيمَةُ شَمْرِ * ذكَّرتُه، اهَلْتُ: إحدى الجوارى.
شاربُ أثربِ الصَّباةِ قَلبي، * وعذارُ خلعتُ فيه عِذارى.

وقال آخر :

قالوا: أَلتَحَى وَسَتَسْلُوَعَه، قُلْتُ لهم: * هل يحسن الروضُ ما لم يطلع الزهرُ؟
هَلِ التَّحَى طَرَفُهُ السَّاجِي، فَأَجْمَرُهُ؟ * وهل تَرْجَحُ عن الحَاطِظَةِ الحورُ؟

وقال أبو الفتح كشاجم :

مَنْ عَذِرِي مِنْ عِذَارِي قَرِي، * عِزُّ القَلْبِ لَأَسْبَابِ التَّلَفِ؟
زَيْدٌ حُسْنًا وَضِيَاءٌ بِهِمَا، * فَهُوَ الْآنَ كَبْدِي فِي سَدَفِ.
نَحْمَسًا خَدَيْهِ هِمَّ أَنْعَطَفًا، * آه مَا أَحْسَنَ ذَاكَ الْمُنْعَطَفِ!
عَلِمَ الشَّعْرُ الَّذِي عَاجَلَهُ * أَنَّهُ جَارٌ عَلَيْهِ، فَوَقَفَ.
فَهُوَ فِي وَقْفَتِهِ مَعْتَرِفٌ * بِالتَّنَاهِي فِي التَّعَدِّي وَالسَّرَفِ.

وقال آخر :

لَا تَعْتَقِدُوا مَا لَاحَ فِي وَجَّتِيهِ * شعرا، غَلَطًا! ما ذاك من شَيْئِهِ!
بَلْ سَاكُنْ مَاءَ الْحَسَنِ قَدْ حَرَّكَ * مَوْجٌ قَذَفَ الْعَبْرَ فِي حَاقِيهِ.

وقال عبد الله بن سارة الإشبيلي :

وَمُنْذِرٌ رَقَّتْ حَوَاشِي حُسْنِهِ، * قَلْبُونَا حَذَرًا عَلَيْهِ رِقَاقُ.
لَمْ يُكْسِ عَارِضُهُ السَّوَادَ، وَإِنَّمَا * نَقَصَتْ عَلَيْهِ صِبَاغُهَا الْأَحْدَاقُ.

وقال أبو بكر الداني، شاعر النخبة :

بنا على خده عذارٌ ، في مثله يُعذر الكُثيبُ .
وليس ذاك العذارُ شعراً ، لِكُنْيا سِسْرهُ غريبُ .
لَمَّا أراق الدماء ظُلُمًا ، بدتْ على خده الذُّنوبُ .

وقال عبد الجليل الأندلسي :

ومُعذِّرين كَأَنما يُحْدِثِينِمْ طُرُقُ العيونِ وَمَنَهِجُ الأوداجِ .
وكَأَنما صَقَلُوا الجِمالَ فَأَظْهَرُوا مَشَى النِّمالِ على مُتُونِ العَجاجِ .



ومما وصف به العذار على طريق الدم ، فن ذلك ما قاله الوزير أبو المغيرة
ابن حنم ، عند ما عُرِضَتْ عليه رسالة بديع الزمان في الغلام الذي خطب إليه وذه
بعد أن علَّو ، قال :

« ورد كتابك يَنشُدُ ضالَّةً ودُّنا . ويرَقِّعُ خَلَقَ عهدنا ؛ ويَطْلُبُ ما أَفادته جبريتك
« إلينا ، وذهبت به جنابتك علينا ؛ أيامَ غصنك ناضر ، وبدرك زاهر ؛ لانجد رسولا
« إليك ، غير لحظة تَحْرِقُ حجابَ الدموع ، أو زفرة تُعِيمُ مُنَادَ الضُّلوع ؛ فإن رُمنا شكوى
« يَنفُثَ بها مَصْدُورنا ، ويستريح إليها مَهْجُورنا ؛ لقينا دُونها أَمْنٌ سَدَ ، وأَفْجَحَ كُفَّ
« وصدَّ ، وأَقْدَحَ رَدَّ .

وفي فصل منها :

« حتَّى إِذا طَفِئَتْ نَلكَ النِّيرانُ ، وأَتَنَصَفَ لنا مِنكَ الزَّمانُ ؛ بِسَعَرَاتٍ أَغْشَتْ
« هَلاكَ كُسُوفًا ، وقَلَبَتْ دِياجَكَ صُوفًا ؛ وأَعادَتْ نَهارَكَ لَيلًا ، وناحَتْ عَليكَ تَلَهُّفًا

«وَوَيْلَا ؛ وَأَطَارَ حَمَامَكَ غِرَابُكَ، وَحَجَبَ ضِيَاءَكَ صَبَابُكَ؛ فَصَارَ عُرْسُكَ مَاتَمًا،
وَعَادَ وَصْلُكَ مَحْزَمًا، قَالَ الْقَائِلُ :

«وَبِتَّ مُدَامًا تُسِرُّ الزَّرِيفَ» فَأَصْبَحَتْ تُجْرَعُ خَلًّا تَقِيْفًا.

«وَصَرَتْ حِجَابًا جَدِيبَ الْحَلِّ، وَقَدْ كُنْتَ لِلطَّالِبِ الْخِصْبِ رِيْفًا.

- ٥ «أَقْبَلْتَ نَسْأَلُ الْبِنَا لَوَانَا، وَتَطْلُبُ مِنَّا عِيَادًا؛ قَدْ أُنْسَكَ ذُلُّ الْعَزْلِ عَنِ الْوِلَايَةِ،
وَأَوَّلَاكَ طَعْمًا نِسْيَانًا تِلْكَ الْبِنَايَةِ؛ أَيَّامَ تَرْشُقْنَا سِهَامُ الْخِلَاطِكِ رَشْقًا، وَتَقْتُلُنَا سِيَوْفُ
«أَلْفَاظِكَ عِشْقًا، وَتَمِيسُ غَصْبًا، فَتَتَبَرَّحُ زَنَا وَتَطْلُعُ شَمْسًا، فَتَقْتَتِ نَفْسًا.

«فَالآنَ نَلْقَاكَ بَدْعٌ قَدْ جَفَّ، وَوَجَدَ قَدْ كَفَّ؛ وَعِزَاءُ قَدْ أَبَدَ، وَصَبْرٌ قَدْ أَغَارَ

«وَأُتْمِدَ، وَنَنْظَرُ مِنْكَ إِلَى رَوْضٍ قَدْ صَوَّحَ، وَسَارِقٌ قَدْ أَصْبَحَ؛ وَأَعْجَمٌ قَدْ أَفْصَحَ،

- ١٠ «وَمُبَهِّمٌ قَدْ صَرَّحَ، فَلَا شَيْءَ قَدْ رُفِعَ الْغِطَاءُ، وَلَا إِلَافَ قَدْ بَرِحَ الْخِلْفَاءُ، وَلَا لَوْمَ قَدْ وَقَعَ
«الْجَزَاءُ. وَهَلَّا ذَكَرْتَ الْمَثَلَ الْمَتَّحِينَ «الصَّبِيفَ ضَيَّعَتِ اللَّيْنُ! «وَنَسِيتَ مِنْ أَحْرَقَتْ

«قَلْبَهُ صَبْدًا، وَأَقْلَقْتَ جَنْبَهُ رَدًّا؛ وَمَلَأْتَ جَوَانِحَهُ نَارًا، وَتَرَكْتَ نَوْمَهُ غِرَارًا؛

«أَنْتَ يُوفِيكَ قَرْضًا، وَيَجَازِيكَ حَتَّى تَرْضَى؛ حِينَ تُنْكَسُ عَلْمُكَ، وَتَعْتَرِثُ قَدَمُكَ؛

«وَضَاقَتْ طُرُقُكَ، وَأَظْلَمَ أَفْقُكَ؛ وَهَوَى لُجْجُكَ، وَخَابَ قَدْحُكَ؛ وَقُلَّ سَيْفُكَ، وَحُطَّ

- ١٥ «رُحْمُكَ، فَاطْمَوْثَوْبٌ وَصَلَكٌ فَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى لِبَاسِهِ، وَأَزْوٍ طَارِقٌ شَخِصُكَ فَلَا رَغْبَةَ
«لَنَا فِي إِبْنَانِهِ؛ فَمَا يَشْتَبِي الْيَوْمَ زِيَارَةَ رَمْسٍ، مَنْ زَهَدَ فِيهِ أَمْسٍ. قَالَ :

«حَانَتْ مِنْهُتُهُ فَاسْوَدَّ عَارِضُهُ، * كَمَا كُسُوْدُ بَعْدِ الْمَيْتِ الدَّارُ.

«يَا مَنْ نَمَتْهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لِحِيَّتُهُ، * أَدْبَرَتْ، وَالنَّاسُ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ!

«فِي الْبَهْرِ مَضَى مَا كَانَ أَحْسَنَهُ! * إِذْ أَنْتَ مَمْتَنِعٌ وَالشَّرْطُ دِينَارُ.

- ٢٠ «أَيَّامٌ وَجْهُكَ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهُ، * وَلِلرَّيَاضِ عَلَى خَدَيْكَ أَنْوَارُ!

وقال علي بن نصر الكاتب تعزية لمن طلعت لحيته :

« لكل حادثة يفعج بها الدهر — أحسن الله معونتك — حد من القلق والألتعاج ،
« ومبلغ من التحزق والأرتياع ؛ تستوجب قنًا من التعزية ، وتستحق نصيبا من العظة
« والتسليه ؛ والاختصار فيها لما قرب خطبه وشانه ، والإكثار لما جلّ عمله
« ومكانه . »

« ومُصائبك هذا — أعانك الله — في بياض بزيتك لما أسود ، كُصائبك في سواده
« إذا أبيض ؛ والألم بياض روضه جميا ، نظير الألم به يوم يعود هشيا . »

« فليس أحد يدفع عظيم النازل بك ، ولا يستصفر جسيم الطارق لك ؛ وإن كان
« ما يتعقبه من المشيب أقضى للميون . »

١٠ « التفتت عنك النواظر ، وكانت ملتفتة إليك ، ووقفت عنك الخواطر ، وكانت
« موقوفة عليك ؛ وصيرك قننى الأجفان وكنت جلاها ، وجعلك كربة النفوس
« وكنت هواها ؛ وأبدلك من أنس التقبل ، وحشة التقل ؛ وعوضك من رقة الترفوف ،
« كلفة التأفف ؛ فبارك الله الذى صرف عنك الابصار ، وهزل فيك الأطوار ! »

١٥ « فصولا دائما وبكاء ؛ وعزاء عن الذكر الجميل عزاء ! فلكل أجل كتاب ، وعلى كل
« جائحة ثواب . »

« ولقد استوفيت أمد الصبا والصبا به ، وأسقنت الحسرة عليها والكا به . فوزيتك
« راسية الرزايا سوائر ، ومصيبتك ثابتة المصائب عوائر . » إنا لله وإنا إليه
« راجعون » .

- «ثم لاحيلة، فإنها الأيام التي لا تثبت على حاله، ولا تعرف غير التنقل والاستحالة !
 «فأجرك الله في وجه نَضَبِ مائه، وذهب رُؤُوه ومات حَيَاؤه ! وفي ضيعة أستأجم
 «برها، وأستدغل نورها، وأسبع طريقها، وأتسمت تَوَفُّها ! وفي جاه كان عامرا
 «تغرب، ودخل كان وافرا فذهب، وتذكار كان واصلا إلى القلوب لحجب !
 «فأصبحت مسبوق السَّكَيْت، وظللت حيا وأنت الميت، فلا حول ولا قوة إلا بالله
 «من يحني دُفعت إليها، ولم تُنَّ بحال عليها .

- «وقد يشغل الإنسان عن نوابه المشاركون فيها ، ويسلبه عنها المساهمون في معنى
 «معانيها، وأنت من بين هذه المنزلة لاشريك لك، فإنهم يمتاضون عنها ولست
 «بممتاض، وبركضون للعيش ولست بركاض . والدمر يطوى محاسنك طي السجل
 «تُكَّابه، وينشر مقايحك نشر اليماني أثوابه . ويملُّ الطرف رؤيتك فلا يقيق عليك
 «جفنا، ويحج السمع ذكرك فلا يجد عنده أذنا .

ومنها :

- وقد جعلت رُفقي هذه جامعة بين البكاء عليك والأين، وناظمة بين العزاء
 «والتاين . لها حلاوة الثرى، وعليها طلاوة الشعر . تتجها قريحة عليك، ونسجتها خواطر
 «خاطرت إليك ؛ تحفف غرامك والناس مشاغيل بتثقيله، وتكرم مكانك والإجماع
 «واقع على توينه . فإن عرفت لى ذاك، وإلا عرفه الصندق؛ وإن شكره، وإلا
 «شكره الحق .

والسلام عليك من أسير لا يخلص بالتفدية، وقتيل بسيف السَّال والحقية . «

وقال الصنوبري :

- ما مدت شفرة بحدك إلا :: قلت في ناظرى أو في قواذى .

أنت بدرُجَتِي السُّوفُ عليه * ظلمةٌ، لا أرى لها من نَّادٍ.
فأسوداد العِذارِ بعدَ أبيضاضٍ * كأبيضاضِ العِذارِ بعدَ أسودادٍ.

وقال آخر :

أصبحَ نَحْصًا - وكانَ سَعْدًا - * مَنْ كانَ مَوْلَى فَصارَ عَبدًا.
بكى على حُصْنِهِ زمانًا، * لما رأى الشَّعْرَ قد تَبَدَّى.
لو نَبَتَ الشَّعْرُ في وِصالٍ، * لَمَادَ ذاكَ الوِصالُ صَدًا!

وقال الخبزأرزي :

بدا الشَّعْرُ في وَجْهِهِ، فَأَنْتَمَّ * لِمَاشِئِهِ مِنْهُ لَمَّا ظَلَمَ.
وما سَلَّطَ اللهُ بَتَّ الحَقِّ * على المُسْرِدِ إِلَّا زوالَ النِّعَمِ.
تَوَحَّشَتِ العَيْنُ في وَجْهِهِ، * وَحَقَّ لَهَا وَحْشَةٌ في الظُّلَمِ.
إذا أسودَ فاضِلُ قِرطاسِهِ، * فما ظَنُّهُ بِمِجَارِي القَلَمِ؟
ولم يَعلُ في خَدِّهِ كاللِّدْخَانِ * ن إِلَّا وَأَسْفَلَ كاللِّحَمِ.

وقال التَّنَوُّخِي :

قُلْتُ لِأَصْحَابِي، وَقَدْ مَرَّ بِي * مُنْتَقِبًا بِمَدِّ الضُّبِّ بِالظُّلَمِ:
يا اللهُ، يا أَهْلَ وِدَادِي! قِفُوا * كَيْ تَبْصُرُوا كَيْفَ زُوالَ النِّعَمِ!

وقال إبراهيم بن خُضَّاجة الأندلسي في مِطْعَمٍ :

ما لِلْعِذارِ، وكانَ وَجْهُكَ قِبْلَةً، * قد حَطَّ فِيهِ مِنَ الدُّجَى عِجْرابًا.
وَإِذا الشَّبَابُ - وكانَ لَيْسَ بِمُناشِعٍ - * قد نَزَّ فِيهِ رَاصِمًا، وَأَنَا بَا.

وقال أيضا :

وإني بأقوله صحيفةً صَفْحَةٌ * جعل العذار بها يسيل مِدَادًا .
متجهما نُكَلَّ الشَّبابِ كَأَمَّا * ليس العذار على الشَّبابِ حَدَادًا .

وقال عمر المطوعى ، من شعراء اليتيمة :

غَدَا - مِنْذُ أَلْهَى - لَيْلًا بِيهَا ، * وكان كَأَنَّهُ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ .
فَقَدْ كَتَبَ السَّوَادُ بِمَارِضِيهِ * لمن يقرأ : "وجاء ثم النذير" .

وقال عبد الجليل الأندلسى ، من شعراء الذخيرة :

وَأَمْرَدٌ يَسْتَبِيهِمْ بِكُلِّ وَادٍ ، وَيَتَنَبَّسُ لَهَا خَدَا صَلِيلًا .
دَعَوْتُ دُعَاءَ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ ، * وَكَانَ اللَّهُ مُسْتَمِعًا لِحَيَا
فَطَرَّقَهُ الزَّمَانُ بِمَا جَاءَهُ ، * وَعَلَّقَ مِنْ عِندِ رَبِّهِ مَذْوَرًا .

ومما قيل فى العُتُق ، يقال :

الْجَيْدُ ، طَوْلُهَا - التَّلْعُ ، إِشْرَافُهَا - الْهَنْعُ ، نَظَامُهَا - الْقَلْبُ ، غِلَظُهَا -
الْبَنَعُ ، شِدَّتُهَا - الصَّعْرُ ، مِيلُهَا - الْوَقْصُ ، قِصْرُهَا - الْخَضَعُ ، خُضُوعُهَا -
الْحَدَلُ ، عَوْجُهَا .

وقال دَعِيل :

أَتَانَحَ لَكَ الْمَسْوَى بِيضَ حَسَانٍ * مَلَبْتُكَ بِالْعُيُونِ وَبِالنُّحُورِ .
نَظَرْتُ إِلَى النُّحُورِ فَكَدَنْتَ قَضِي * فَأَوَّلِي لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الْبُصُورِ .

وقال قهيس بن الخليم .

وجيد بكيد الرِّيم صافٍ بَرِيْنُهُ * تَوَقَّدُ ياقوتِ وفصل زَرَجَدِ .

كَأَنَّ التَّريَّا فوق ثُفْرة نَحْرِهَا * تَوَقَّدُ في الظُّلُماءِ أَيْ تَوَقَّدِ .



ومما قيل في البِد إذا باشرت ما يعلّق بها ، يقال :

- من اللحم غَمِرة ، ومن الشمع زَهْمَة ، ومن السمن نَسِمة ، ومن الزُّبد وَصِرة ،
ومن الجُبْن نَسِمة ، ومن اللبن مَذَقَة ، ومن البَيْض زَهْكة ، ومن السمك صَمِرة ، ومن
الزيت قَمِنة . ومن الخمر عَمِكة ، ومن الخل نَحْطة ، ومن العسل دَعْوَة لَزِجة ، ومن
الطَّيب عَطِرة ، ومن الغالية عَقِة ، ومن الزعفران رَدِعة ، ومن العنبر لَطِخة ، ومن
الخلوق صَمِخة ، ومن الحناء قَمِنة ، ومن التَّم صَرِجة ، ومن الماء بَلَلَة ، ومن الطين
لَيْقَة وَرَدِعة ، ومن البرد صِرْدَة ، ومن التراب كَثِبة وَغَضِرة ، ومن القار حَلِكة ، ومن
الفحم حِمَة ، ومن المداد طَرِسة ، ومن الحديد سَبِكة ، ومن الفضة سَبِكة ، ومن
الذهب نَضِرة ، ومن النار شَعِلة ، ومن الرياح فَوْحة ، ومن البقل زَهْرة ، ومن
الفاكهة الرطبة لَزِقة ، ومن البابسة فَكِكة ، ومن العمل مِجَلَة وَنَقْطة ، ومن الخُشونة
شَلِنة وَنَقْنة ، ومن الشوك مَشْطَة وَشَطِية ، ومن الحطب حَرِمة ، ومن الرمح كَبِية ،
ومن الصولجان لَمِبة ، ومن الجلود سَبِطة ، ومن النظية مَنِخة ، ومن البخل جَمِدة ،
ومن المنع لَحْرة ، ومن الدم تَرِبة ، ومن الرز زَنْجة ، ومن الصبايون حَفْرة ، ومن الفِرصاد
قَانِية . ومن الرجيع قَمِنة ، ومن كل القاذورات قَدِرة ، ومن الوحش دِرنة . ١٥

ومما مُدِحت به اليدُ، قال مؤيد الدين الطُّفرائي :

ويَدُ مُمَدِّ الْمَالِ رَاحَتُهَا * أَبَدًا، وَيَنْمُرُ ظَهَرُهَا الْقَبْلُ.
إِنْ ضَنَّ غَيْثٌ أَوْ خَبَا قَمَرٌ، * بِخَيْفَتِهِ وَيَمِينِهِ الْبَدْلُ.

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني

قالوا: بَدَتْ عَارِضَةٌ لَابَدَتْ! - * فِي كَفِّ ذَاكَ السَّيِّدِ الْأَوْحِدِ.
رَاحَتُهُ رَاحَةٌ مِنْ يَحْتَدِي، * وَكَفُّهُ كَفٌّ الَّذِي يَحْتَدِي.
فَلَا أَصَابَتْ يَدَهُ آفَةٌ! * فَكَمْ يَدٍ عِنْدِي لَتَلُكَ الْيَدِ!

وقال ابن دريد :

يَا مَنْ يَقْبَلُ كَفَّ كُلِّ مُخْرِقٍ، * هَذَا ابْنُ عَمِي لَيْسَ بِالْمُخْرِقِ!
قَبْلُ أُنَامِلُهُ، فَلَسْنُ أُنَامِلَا، * لَكِنَّهُنَّ مَقَامِعُ الْأَرْزَاقِ!

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد :

لِقَضِيلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ : تَقَاصَرُ عَنْهَا الْمَثَلُ.
فَبَاطِنُهَا لِلنَّعْدَى، * وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ.
وَبَسْطَتُهَا لِلْفَتَى، * وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ.

وقال ابن الرومي :

فَأَمْسُدْ إِلَى يَدَا تَمَوَّدَ بَطْنُهَا : بِذَلِّ النَّوَالِ، وَظَهَرُهَا التَّنْبِيلِ.

وقال أبو نواس :

يَا قَرَأَ، أَبْرَزُهُ مَا تَمَّ : يَنْدُبُ تَجْبُوا بَيْنَ أَثْرَابِ!
يَبْكِي فَيُدْرِي الدَّرَمَ تَرَجِيسَ، * وَيَلْطَمُ الْوَرْدَ بَسَابِ.

وقال الناشئ :

مَنْ كَفَّ جَارِيَةً كَأَنَّ بَنَانَهَا * مِنْ فِضَّةٍ قَدْ طُرِفَتْ عُنَابًا .
وَكَاثُ يُنَمِّئُهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهَا * تُنْقَى عَلَى يَدِهَا الشَّمَالِ حِسَابًا .

وقال الراضى بالله :

قَالُوا : الرَّحِيلُ ! فَأَنْشَبْتَ أَطْفَارَهَا * فِي خَلْعِهَا ، وَقَدْ أَعْتَلَقْنَ خَضَابًا .
فَاخْضَرُّ نَحْتِ بَنَانِهَا فَكَأَنَّهَا * غَرَسَتْ بَارِضٌ بِنَفْسِ عُنَابًا .

وقال ابن كينغلم :

لَمَّا أَعْتَقْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَعْرَبْتُ * عَبْرَاتُهَا عَنَّا بِدَمْعِ نَاطِقِ ،
فَرَّقْنَا بَيْنَ مَعَايِرٍ وَمَعَايِرِ ، * وَجَعَلْنَا بَيْنَ بَنَفْسِجٍ وَشَقَاتِ .

وقال كشاجم :

فَمَا أَتَيْنَاهَا ، لَا أُنْسَ مِنْهَا إِشَارَةً * بِسَبَابَةِ الْيُمْنَى إِلَى خَاتَمِ الْقَمِ !
وَأَعْلَنْتُ بِالشُّكْوَى إِلَيْهَا فَأَوْمَأَتْ * حِذَارًا مِنَ الْوَاشِنِ أَنْ لَا تَكَلِّمِ .
فَلَمْ أَرْ شَكْلًا وَاقِعًا فَوْقَ شَكْلِهِ * كَمَثَابَةِ تُوَيْيِ بِهَا فَوْقَ عَنَدِمِ .



ومما قيل في النهود ، يُقال :

تُشَدُّوهُ الزُّجْلَ ، تُدْنَى الْمِرَاةُ ، خِلْفُ النَّاقَةِ ، ضَرْعُ الشَّلَّةِ وَالْبَقْرَةِ ، طِيْلُ الْكَتَبَةِ .

قال ابن الرومى :

صُدُورٌ فَوْقَهُنَّ حِقَاقٌ عَاجٍ ، * وَحَلَى زَاهُهُ حُسْنُ أَنْسَاقِ !
يَقُولُ النَّاطِرُونَ إِذَا رَأَوْهَا : * أَهَذَا الْحَلَى مِنْ هَذِي الْحِقَاقِ ؟
وَمَا تِلْكَ الْحِقَاقِ سِوَى تُدْنَى * قُدْرَتِ مِنَ الْحِقَاقِ عَلَى وِقَاقِ .

نَوَاهِدُ لَا يُعَدُّ لَهَا عَيْبٌ * سِوَى مَنَعِ الْحُبِّ مِنَ الْعِتَاقِ.

وهو مأخوذ من قول بعض الأعراب :

أَبَتِ الرَوَادِفُ وَالتُّدَى لِقَمْعَهَا * مَسَّ الْبَطُونُ، وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا.

وقال محمد بن مبادر :

وَلَمَّا تَذَيَّنَ مَاعَدَوَا * مِنْ حِقَاقِ الْعَاجِ أَنْ كَلَبَا.

فُسِمَتْ نِصْفَيْنِ دِعْصَ تَقَا * وَقَضِيًّا لَانَ، فَاضْطَرَبَا.

وقال عبد الله بن أبي السَّحْطِ بْنِ مَرْوَانَ :

كَأَنَّ التُّدَى إِذَا مَا بَدَتْ * وَزَانَ الْعُقُودُ بَيْنَ النَّحُورِ،

حِقَاقُ مِنَ الْعَاجِ مَكْنُونَةٌ * يَسْنَنُ مِنَ التَّرْشِيفَةِ كَثِيرًا.

وقال علي بن الجهم :

كُنْتُ مُشْتَاقًا وَمَا يَحْجُزُنِي * عَنْكَ إِلَّا حَاجِرٌ يَنْعُمُنِي.

شَاخِصٌ فِي الصَّدْرِ، غَضْبَانٌ عَلَى * قَبَبِ الْبَطْنِ وَطَى الْمُكْنَى.

يَمَلَأُ الْكَفَّ وَلَا يَفْضُلُهُ، * وَإِذَا أَتَيْتَهُ لَا يَنْتَفِي.

وقال ابن الرومي :

مُنْفَعَاتُ أَطْفَالِهَا نُذِيًا * نَاهِيَاتُ كَأَحْسَنِ الرُّمَانِ.

مُنْفَعَاتُ كَانَهَا حَافِلَاتٌ * وَهِيَ صِفْرٌ مِنْ دَرَةِ الْأَلْبَانِ.

وقال أس المعتز :

فَيَبِغُ بِمِثْلِكَ أَنْ تَهْجُرِي، * وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُهْجَرِي.

أَكَايِلِي بَقُورَ الْحَفُونِ * وَرُمَاتِي عَلَى مِنْبَرٍ،

كَحَقِّينَ مِنْ لُبِّ كَانُورَةٍ * بِرَأْسَيْهِمَا تُحْمَلَتَا عَنَدِي!



ومما قيل في البطن ، يقال :

التَّحَلَّ ، عِظْمُهُ — الحَيْنَ ، نَحْرُوجُهُ — النَّجَلُ ، أَسْتَرْخَاؤُهُ — الْقَدَلُ ، حَيْدَرُهُ —
الضُّمُورُ ، لَطَافَتُهُ — الْعَجَرُ وَالْبَجَرُ ، تُخْصِصُهُ — التَّحَرُّرُ ، اضْطِرَابُهُ .

قال محمد بن مبادر :

وَالْبَطْنُ دُوْعُكَ لَطِيفٌ = صِفَرٌ وَشَاحَاهُ جَائِلَاتٌ .
أَشْرَفَ مِنْ فَوْقِهِ عَلَيْهِ * تَدْيَانِ مِيلَانَ نَاهِدَانِ .

... ..



ومما قيل في الأرداف والخصور ، فمن ذلك ما ورد على لفظ التدكير .

فنه قول عبد الله بن طاهر :

صَبَّ كَثِيبٌ يَسْتَكِينُ الْهَوَى - كَمَا أَشْتَكِي خَصْرُكَ مِنْ رِدْفِكَ .
لِسَانُهُ عَنْ وَصْفِ أَسْقَامِهِ * أَكَلْتُ مِنْهُ عَنْ مَدَى وَصْفِكَ .

وقال ابن أبي البغلة :

كَأَنَّهُ فِي أَعْتِدَالِهِ غُصْنٌ * وَفِي السَّرَاوِيلِ مِنْهُ أَمْوَاجٌ .
إِذَا مَشَى كَالْقَضِيبِ جَاذِبُهُ * رِدْفٌ لَهُ كَالْكَثِيبِ رَجْرَاجٌ .
وَيَسْلُمُ اللَّهُ أُنْثَى رَجُلٍ * إِلَيْهِ مَدَقَدُ كَرْتٍ مُحْتَاجٌ .

وأنشد أبو بكر بن دُرَيْدٌ عفا الله عنه ورحمه :

قد قلتُ لَمَّا مَرَّ بِحَيْطَرٍ مَاشِيًا ۖ وَالرَّدْفُ يَجْذِبُ خَصْرَهُ مِنْ خَلْفِهِ .
يَا مَنْ يُسَلِّمُ خَصْرَهُ مِنْ رِدْفِهِ ۖ سَلِّمْ قُوَادَ عَجَبِهِ مِنْ طَرَفِهِ .

وقال السري الرفاء :

ضَعُفْتُ مَعَاقِدَ خَصْرِهِ وَعَهْوُهُ ۖ فَكَأَنَّ عَقْدَ الْخَصْرِ عَقْدُ وَفَائِهِ .

وقال المتنبي :

وخصر تنبت الأبصار فيه ۖ كأن عليه من حدق نطاقا .

وقال السري الرفاء :

أحاطت عيون الناظرين بخصره ۖ فهين له دهب التطلاق نطاقا .

وقال الأمير سيف الدين المشد :

وأهيف القد بث أشكو ۖ له تلافى وما تلاق .

فلأن عطفا ودق خصرا ۖ وإنما ردفه نجاف .

وقال أبو نؤاس :

لَئِنْ الْقَدَّ لَنَدِيدُ الْمُعْتَقِ ۖ يُسْبِهُ الْبَدْرَ إِذَا الْبَدْرُ أَسْق .

مقل الردف إذا ولَّى حكي ۖ موهما في القيد يمشي في ذلق .

وإذا أقبل كادت أعين ۖ تحوه فبحرح فيه بالحدق .

وقال آخر وأجاد :

أَيَّامَنْ نَصَفَهُ غُصْنٌ ۖ يَمِيلُ وَنَصَفَهُ كَفَلُ .

صفاتك في تباينها ۖ فتنفصل وتنصل .

فنصفك موج عاصفة ۖ ونصفك شارب تمل .



ومما وصفه : « في إتيان التائبين » ، فنه قول أبي عمارة البصري :
 كانهن وقد تارن في قناري ، ضئيل في الحسن تقيلا وإخطانا .
 ردا ، ما جئتهن من الصور إلى ، ما في المازر طسنتفن أرداما .
 وقال آخر :

لما ردف ، نعلني في لطيف : فذاك الردف لي ولما ظلوم .
 يسدني إذا فكرت فيه ، ويثبها إذا فصدت قوم .
 وقال مؤمل وأفرط :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَقِي : مُشَبِّهَ الْبَدْرِ إِذَا بَدَا .
 تَحْسُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدُ : مِثْلُ أَرْدَائِهَا عَمَّا .

وقال أبو نواس :

تَمَشَّى بِأَرْدَائِهِ أَبْرَ ، فَوَدَّهَا : بَيْنَ النِّسَاءِ كَمَا آتَيْنَ قِيَامَهَا .

وقال علي بن عطية البلنسي :

وإني زارت من الليل مَنجعي ، فمادت عُشَّ الْإِنِّ مِنْهَا إِلَى النَّجْرِ .
 أما لها أين الرشاح ؟ وقد سرت ، مُعْطَلَةٌ مِنْهُ ، مَطْشَرَةُ النَّشْرِ .
 قتالت : وأومت ، للسوار ثقته ، إلى يعصبي لها ثققل في خنصري .

وقال الطائي :

من الحيف لو أن الخلال صيرت ، لها وئجحا جالت عليا الخلال .

وقال إسحاق الموصلي :

طِبَاءُ كَالْبَعَايِرِ ۝ كُتُوسٌ فِي الْمَقَاصِيرِ .
وَأَدْبَرَتْ بِأَعْيَازِ ۝ كَأَوْسَاطِ الزَّيَاسِيرِ .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

يَتَقَابَلَنَّ كَالْبُدُورِ عَلَى الْأَغْصَانِ فِي مُتَقَلٍّ مِنَ الْأَرْدَافِ .
بِحُصُورٍ تَحْكِي حُصُورَ الزَّيَاسِيرِ ضَعَايِفَ هَمٍّ بِالْأَنْصَافِ .

وقال آخر :

عَظُمَتْ رَوَادِفُهَا فَأَذَتْ خَصَرَهَا ۝ وَوَشَّاحُهَا قَلَقٌ كَقَلْبِ الْمَغْرَمِ .

وقال آخر :

أَتَرَهَا مُنِيبٌ لِأَوَّلِهَا ۝ فَبِمَعْصَا جَارٍ عَلَى بَعْضِ .

وقال آخر :

تَمَشَّى فَنَتَقَلُّهَا رَوَادِفُهَا ۝ فَكَأَنَّمَا تَمَشَّى إِلَى خَلْفِ .

وقال البجلي :

إِنَّ الْعَزِيزَ عَلَى خَصْرِكَ إِنَّهُ ۝ بِالرَّدْفِ حَمْلٌ مِنْكَ مَا لَا يُحْمَلُ .
نَحْنُذِي لَهُ جِسْمِي مَكَانَ وَشَاحِهِ ۝ إِنَّ الْعَلِيلَ بِشَكْلِهِ يَتَعَلَّلُ .



ومما قيل في السُّوقِ، فمن ذلك قول الأمير سيف الدين المشد :

سَاقٍ تَجَلَّى كَأَنَّهُ قَرُّ ۝ يَحْمَلُ شِمَاءَ أَفْئِدِهِ مِنْ سَاقِ !
تَمَرٌ عَنْ سَاقِهِ غَلَاثِلُهُ ۝ قَقَلْتُ : مَهْلًا ، وَأَكْفَفْتُ عَنْ الْبَاقِ !
لَمَّا رَأَيْتِي ، وَقَدْ فُتِنْتُ بِهِ ۝ مِنْ فَرَطٍ وَجَدِي وَعُظْمِ أَشْوَاقِ ،
غَمِّي وَكَأَنَّ الْمُسْدَامَ فِي يَدِهِ ۝ قَامَتْ حُرُوبُ الْهَوَى عَلَى سَاقِ .

وقال عروة :

فَقُمْنِ بَطِيئًا مَشِيئًا تَأْوِدَا * عَلَى قَصَبٍ قَدْ ضَاقَ عَنْهُ خَلَاخِلُهُ .
كَمَا هَزَبَتِ الْمِيزَانَ رِيحُ حُرُوكِثَ * أَعَالِيهِ مِنْهُ وَأَرْجَحَتْ أَسَافِلُهُ .
وقال كثير عزة :

وَيَجْعَلْنَ الْخَلَاخِلَ حِينَ تَلْوِي * بِأَسْوَفِهِنَّ فِي قَصَبٍ خَدَلِ .

وقال كشاف :

قُلْتُ : وَقَدْ أَبْصَرْتُهَا حَاسِرًا * عَنْ سَاقِهَا فَاضِلَ سِرِّهَا :
لَوْ لَمْ تُكُنْ مِنْ بَرْدِ سَاقِهَا ، * لَأَحْتَرَقَتْ مِنْ نَارِ خَلَاخِلِهَا .

وله أيضا :

وَإِذَا لَيْسَتْ خَلَاخِلًا ، * كَذَّبْنَ أَسْمَاءَ الْخَلَاخِلِ .



ومما وصفت به القدود ، فن ذلك قول أبي فراس الحمداني :

غُلَامٌ فَوْقَ مَا أَصِفُ * كَأَنَّ قَوَامَهُ أَلْفُ .
إِذَا مَا مَالٌ يُرْعَبُنِي : * أَخَافُ عَلَيْهِ يَتَقَصِّفُ .
وَأَسْفُقُ مِنْ تَأْوَدِهِ : * أَخَافُ يَذِيهِ التَّرَفُ .

وقال الخبز أَرْزَمِي :

أَهَيْفُ يَمْكِي بِسَدِّهِ الْأَلْفَا * يَتَحَسَّرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ كَلْفَا .
أَحْسَنُ مِنْ هَجَةِ الْخِلَافَةِ وَالْأَمْسِنِ لِمَنْ قَدْ يُحَازِرُ التَّلَفَا .
لَوْ أَبْصَرَ الْوَجْهَ مِنْهُ مُنْهَزِمٌ * يَطْلُبُهُ أَلْفُ فَارِيسَ ، وَقَفَا .

وقال ماني :

أَتَمَنَّى الذى إذا أَوَمَّأتُ إليه بطَرْفِ عَيْنِي، يُعِينِي .
أُحِبُّ كَالْقَضِيبِ لو أَنَّ رِيحًا .. حَرَّكَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ، لَتَلَقَى !

وقال آخر :

أَيَسْأَلُنِي عَنْ قَدِّ عَجْوِي الَّذِي * كَانَتْ بِهِ وَجْدًا وَشَمَتْ غَرَامَا .
أَبَى قِصَرَ الْأَغْصَانِ ثُمَّ رَأَى الْقَنَا * طَوَالَ، فَأَضْحَى بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامَا .

وقال آخر، وهو محمد بن التلساني :

يَا مُحِجَّلًا يَقَوَّامِي * أَغْصَانًا، بَانَاتِ اللَّوَى !
مَا أَنْتَ عِنْدِي وَالْقَضِيبُ * اللَّذْنُ فِي مَدِّ سِرِّي !
هَذَاكَ حَرَّكَهُ الْمَوَا * وَأَنْتَ، حَرَّكَهُ، الْوَى !

وقال آخر :

يَا غُصْنَا رَاحَ الصَّبَا * يَتَّيْهِ، لَا رِيحَ الصَّبَا !
مَا إِنْ بَنَّا لِلْعَيْنِ إِلَّا أَرَاتَاحَ قَلْبِي وَصَبَا .
وَلَا أَتَى يَحْطُرُ إِلَّا أَزْدَادَ قَلْبِي وَصَبَا .

وقال آخر، وهو كُشَّاجِم :

مُعْتَدِّلٌ مِنْ كُلِّ أَعْطَافِهِ، * مُسْتَحْسِنُ الْقَامَةِ وَالْمُتَفَتِّ .
لو قَبِيسَ الدُّنْيَا وَلِئَانِهَا * بِسَاعَةٍ مِنْ وَصَلِهِ، مَا وَفَّتْ .
سَلَّطْتَ الْأَلْحَاطَ مِنْهُ عَلَى * قَلْبِي، فَلَوَأْدَتْ بِهِ مَا اشْتَقَّتْ .
وَأَسْتَعِذَّتْ رُوحِي هَوَاهُ فَلَا * تَصْحُرُ وَلَا تَسْلُو، وَلَوْ أَتَلَفَتْ .

ومما قيل في العناق، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير .

فنه قول الحسين بن الضحك :

ومَوْجٌ، نازعتُ فضلَ وشاحه * وكسوتُهُ من ساعدِي وشاحا .
بات النُّورُ يُسْقِ جِلْدَةَ خَدِّه * وأمالَ أعطافًا على مِلَاحا .

وقال آخر :

بِثْ وِبْدُرُ الدُّجَى نَدِي * وهو مَوَاتٍ بلا أَمْتِناج .
قَلْتُ لِلْحَاسِدِينَ لَمَّا * أَشْرِقَتِ الشَّمْسُ بِالشَّمَاعِ :
الْقَلْبُ وَالطَّرْفُ مَثْرَلًا * وهو إلى الآن في الذَّرَاعِ .

وقال ابن المعتز :

ما أَقْصَرَ اللَّيْلَ على الرَّاقِدِ ! * وأهْوَنَ السَّخَمَ على العائِدِ !
يَفْدِيكَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ مُهْجَتِي ، * لَسْتُ لِمَا أَوْلَيْتَ بِالْجَائِدِ .
كَأَنِّي عَاقَتُ رِيحَانَهُ * نَسِيتُ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ .
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَبْرِ الدُّجَى ، * حَبِيبَتَنَا فِي جَسَدِ وَاحِدِ .

وقال أبو هلال في نحو ذلك :

ونحنُ في نَظْمِ الْهَوَى وَاحِدٌ * كَأَنَّا عِفْدَانِ فِي نَحْرِ .

وقال ابن الصبلي :

طَالَ عُمْرُ اللَّيْلِ عِنْدِي * إِذْ تَوَلَّيْتُ بِصَدِّ .
يَا ظَلُومًا هَضَّ الْعَهْدَ * وَلَمْ يُوفِ بِعَهْدِ !

أَتَسِيتَ الْوَصْلَ إِذْ بَشَّنَا عَلَى مَرْقِدٍ وَرِدٍ .
وَأَعْتَقْنَا كَوْشَاخَ * وَاتَّعَظْنَا نَظْمَ عَقِدٍ .
وَتَعَطَّفْنَا كُنْصَيْنَ ، فَقَدَانَا كَقَدِّ .

وقال ابن عبد كان الكاتب :

وَكَلَّانَا مُرْتِدَ صَاحِبِهِ * كَارِتِدَاءِ السَّيْفِ فِي يَوْمِ الْوَعَى .
بُخْلُوْدٍ شَافِيَاتٍ مِنْ جَوَى * وَشِفَاءٍ مُرَوِيَّاتٍ مِنْ ظَلَمَا .
تَمْسَاقُ الرِّبَى فَيَا بَيْتَنَا : * زَقَّ أُمَاتُ الْقَطَا زُغَبَ الْقَطَا .

وقال علي بن الجهم :

سَقَى اللَّهُ لِيْلَا صَحْنًا بِعَدِ فُرْقَةٍ ، * وَأَذَى فَوَادًا مِنْ فَوَادٍ مُعَذِّبٍ !
فَيْتَنَا جَعِيًّا : لَوْ تَرَأَى زُجَاجَةً * مِنَ الْخَمْرِ فَيَا بَيْتَنَا ، لَمْ تَسْرِبْ .

وقال الخبزازري :

طَلُوْقُهُ طَلُوْقُ الْعِنَاقِ بِسَاعِدِي ، * وَجَعَلْتُ كَفِّي لِلنَّامِ وَشَاحَا .
هَذَا هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ خُفْلَنَا ، * مُتَعَاتِفِينَ فَا تُرِيدُ بَرَاخَا !

وقال صالح بن يونس :

لِي سَيِّدٌ مَا مِثْلُهُ سَيِّدٌ ، * تَصَبَّتِ الْحُمَى لَهُ فَاشْتَكَى .
عَاقَبْتُهُ عِنْدَ مُوَافَاتِهِ ، * وَالْأَفْقُ بِاللَّيْلِ قَدْ أَحْلَوَ لَكَا .
بِفَايَتِ الْحُمَى كَهَادَاتِهَا ، * فَلَمْ يَجِدْ مَا بَيْنَنَا مَسْلَكَا !

وقال الحسين بن علي بن بشر الكاتب :

صَمَمَتْهُ صَمٌّ مُفْرِطُ الظُّمِّ ، * لَا كَأَبِ مُشْفِقٍ وَلَا أَمٍّ .
وَلَمْ تَزَلْ ، وَالظَّلَامُ حَارِسُنَا ، * جَسَمَيْنِ مُسْتَوْدَعَيْنِ فِي جَسَمٍ .

أَلْتَمَّهْ فِي الدُّجَى ، وَبَرَّقَ سَآءٌ يَأْهُ يُرِيْنِي مَوَاضِعَ الْكُفْرِ .
ثُمَّ أَفْرَقْنَا عِنْدَ الصَّبَاحِ وَقَدْ * أَثْرَتْ فِيهِ كَهَيْئَةِ الْخَلْمِ .

وقال أبو عبد الله الحامدي :

سَقَانِي وَحَيَّانِي وَبَاتَ مُعَانِقِي ! * فَيَا عَطْفَ مَعْشُوقٍ عَلَى ذُلِّ عَاشِقِي !
وَيَا لَيْلَةً ، بَاتَتْ سَوَاعِدُنَا بِهَا * تَدْوُرُ عَلَى الْأَعْنَاقِ دَوْرَ الْخَطَائِقِي !
نَبْتُ مِنَ الشُّكْوَى حَدِيثًا كَأَنَّهُ * قَلَانْدُ دُرٍّ فِي نُجُورِ الْعَوَاقِي .



ومما ورد على لفظ التأنيث ، فمن ذلك قول أبي إسحاق الصائى :

هَبِصَاءُ نَحْيَى قَضِييَا * قَدْ جَمَّسْنَاهُ الرِّبَاحُ .
نَفَرْتُ عَنْ سَمَطِ دُرٍّ * عَلَيْهِ مِنْكَ وَرَاحُ .
هَرَدْتُهَا وَأَعْتَقْنَا : * كُلُّ لُكْلٍ وَشَاحُ !
بَاتَتْ ، وَكُلُّ مَصُونٍ * لِي مِنْ حِمَاها مُبَاحُ .
فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَمِيعْهَا * فِي النَّحْرِ إِلَّا الصَّبَاحُ .

وقال أيضا :

أَقُولُ وَقَدْ جَرَدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا * وَعَاطَتْهَا كَالْبُسْرِ فِي لَيْلَةِ النَّمِّ :
لَئِنْ أَلَمْتُ صَدْرِي بِشِدَّةٍ صَمَّهَا ، * لَقَدْ جَبَرْتُ قَلْبِي وَإِنْ أَوْهَنْتُ عَظْمِي !

وقال أبو الفضل الأصبهاني :

يَا لَيْلَةً قُرْنَتْ لَنَا * فِيهَا الْمَارِبُ بِالنَّجَاحِ .
بَيْنَا رَغْمٌ وَشَاتِنَا * مَتَاعَيْنِ إِلَى الصَّبَاحِ .

مَنازِجِيثُ كَانُنَا * رُوحَانِ مِنْ مَاءٍ وَرَاخِ .
ظَنَّ الْوَشَاءَ لَقَرَطَ ضَمْسِي أَتَيْ بِعُصِّ الْوَشَاخِ !

✦ ✦

وَمَا قِيلَ فِي وَصْفِ مَشْيِ النِّسَاءِ ، يُقَالُ :

تَهَلَّكَتِ الْمَرْأَةُ ، إِذَا أَفْتَلَتْ فِي مَشْيِهَا .
تَاوَدَّتْ ، إِذَا اخْتَلَّتْ فِي تَنٍّ وَتَكْشَرِ .
بَدَحَتْ وَتَبَدَّحَتْ ، إِذَا أَحْسَنْتِ مَشْيَها .
تَهَزَّعَتْ تَهَزُّعًا ، إِذَا أَضْطَرَبَتْ فِي مَشْيِهَا .
قَرَصَعَتْ قَرَصَعَةً ، وَهِيَ الْمَشْيَةُ الْقَسِيحَةُ ؛ وَكَذَلِكَ مَنَعَتْ مَنَعًا .

وَقَالَ الْأَعْنَى :

غَرَاءُ ، قَرَاءُ ، مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا * تَمْشِي الْمَوْبِي كَمَا يَمْشِي الْوَحْيُ الْوَحْلُ
كَأَنَّ مَشْيَهَا مِنْ بَيْتِ جَارِيهَا * مَرُّ السَّحَابَةِ : لَا رَيْثَ وَلَا تَحْلُلَ .

وَقَالَ آخَرُ :

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا الْبَطَاحِ تَاوَدًّا ، * قَبِ الْبَطُونِ ، رَوَاجِ الْأَكْفَالِ .

وَقَالَ آبَنُ عَائِشَةَ مِنْ أَيْبَاتِ :

فَكَانَتْ إِذَا أَرَدَتْ خَطَا * يَقْلَعَنَّ أَرْجُلَهُنَّ مِنْ وَحَلِ

وَقَالَ أَبُو الْقَتَحِ كُشَاجِمُ :

وَتَهَزَّتْ فِي مَشْيِهَا مِثْلَ مَا * تَهَزُّ الصَّبَا عُصْبًا نَاعِمًا .
وَتَأْمُرُ بِالْأَمْرِ فِيهِ الَّذِي * كَرِهَتْ فَارَضَى بِهِ رَاغِمًا .

وقال آخر:

شَبَّهْتُ مِشْيَتَهَا بِمِشْيَةِ ظَاوِرٍ * يَخْتَالُ مِنْ أَسْنَةِ وَسُوفٍ.
صَلِيفٌ تَبَاهَتْ نَفْسُهُ فِي نَفْسِهِ، * لَمَّا أَتَتْ بِلِسَانِهِ الْمَرْعُوفِ.

وقال آخر:

تَمْشِي الْهُوَيِّ إِذَا مَشَتْ فُضْلاً * مَشَى التَّرِيفُ الْمُخْمُورِ فِي صَعَدِ.
تَقْلُّلٌ مِنْ زَوْرِ يَتَّ جَارِيَهَا * وَاضِعَةٌ كَفُّهَا عَلَى الْكَيْدِ.

وقال الْمُتَخَلِّلُ الشُّكْرَى :

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا * هَا الْخَدَرُ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ.
فَدَفَعْتُهَا فِدَاغَتْ * مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْقَدِيرِ.
وَلَيْسَتْهَا فَتَنْفَسَتْ * كَتَنْفَسَ الظُّلْمِيُّ الْبَهِيرِ.

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً، وَنِسْوَتُهَا * يَمْشِينَ مِنْ الْمَقَامِ وَالْجَحْرِ.
يُرْقِنُ فِي الرُّبُطِ وَالْمُرُوطِ كَمَا * تَمْشِي الْهُوَيِّ حِوَاكُنُ الْبَقْرِ.

وقال ابن مقبل :

يَهْزُنُ لِلشَّيْ أَوْصَالًا مَتَمِّعَةً * هَزَّ الْجَنُوبُ مَحْيَى عِيدَانِ يَرِينَا^(١).
أَوْ كَاهَسْتَ رَازِ رُدْبِي تَدَاوُلُهُ * أَيْدِي التَّجَارِ فَرَادُوا مِنْتَهُ لِينَا.
يَمْشِينَ هَبِلَ التَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ * يَنْهَالُ حِينًا وَنِهَالُ التَّرَى حِينَا.

(١) العيدان : النخل الطوال واحدة يبا، و يرين : اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بجذا.
الأحبا،

وقال أُمّجُج السلمي :

وما جَت كَوُجُج المَاءِ بَيْنَ نِيَابِهَا * يَمِيلُ بِهَا شَطْرٌ وَيَعْدِلُ شَطْرُ.
إِذَا وَصَفَتْ مَا تَوْفَقَ يَجْرِي وَشَاحِهَا * غَلَاثِلُهَا رَدَّتْ شَهَادَتَهَا الْأُزْرُ.

وقال العباس بن الأحنف :

شَمْسٌ مَقْدَرَةٌ فِي خَلْقٍ جَارِيَةٍ * كَأَنَّمَا كَشَحُهَا طَى الطَّوَامِيرِ .
كَأَنَّهَا حِينَ تَمُشِي فِي وَصَائِفِهَا * تَخْطُو عَلَى الْبَيْضِ أَوْ خُضِرِ الْقَوَارِيرِ !

اتهى الغرض في وصف الأعضاء، وما شاكلها وأتصل بها .

فلنذكر إن شاء الله تعالى ما جاء فيما قدمناه من الأمثال .

فأما ما جاء منها في الإنسان، يقال :

- ١٠ شَدِيدٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعُودَ .
- وَمَا عُلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لَيْعَلًا .
- النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثِيلِ أَكْفَاءُ .
- النَّاسُ أَخْيَافٌ وَشَقَى فِي الشِّيمِ .
- النَّاسُ بِزَمَانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِأَبَائِهِمْ .
- وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ .

١٥

وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَالٍ فَنَعِلُوا * أَنْ قَدْ أَقْلَلُ فُهُجُورٌ وَعَقُورُ.

وقال آخر :

النَّاسُ أَكْبَسُ مَنْ أَنْ يَحْسُدُوا رُجُلًا * حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانِ.

ويقال :

- المرء أعلم بشأنه .
- المرء مع من أحب .
- دجّ امرأ وما أخسار .
- كلّ أمريّ في شأنه ساع .
- كلّ أمريّ مُصبحٌ في أهله .
- كلّ أمريّ من شجرٍ صاحبه خلّو .
- المرء ينجز لا محالة .
- المرء تواقٌّ إلى ما لم يتلّ .
- المرء يجمع ، والزمان يفرّق .

ويقال :

- الرّجالُ بالأموال .
- تُقطّعُ أعناقُ الرّجالِ المطامعُ .
- ولكلّ دهرٍ دولةٌ ورّجالٌ .

♦♦

١٥

ومما يتمثل به في ذكر النفس ، يقال :

- النفسُ مَوْلعةٌ بحُبِّ العاجِلِ .
- النفسُ أعلمُ منْ أخوكِ النافعُ .
- اكْذِيبِ النفسَ إذا حَدَّثَتْها .

ما عاتبَ الرجلَ اللبيبَ كَنَفِيسِهِ .
الجُودُ بالنفسِ أقصى غايَةِ الجُودِ .
نَفْسُ عَصَايِمَ سَوَدَتْ عَصَايِمَا .



ومما يَتمثلُ به من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة

ما قيل في الرأس والشعر

مَنْ نَجَا بِرَأْسِهِ فَقَدْ رَجَى .
رماه بالخفافِ رأسه ، أى بالهراى .
اِخْتَلَفَتْ رُءُوسُهَا فَرَقَتْ .
كُلُّ رَأْسٍ بِهِ صُدَاعٌ .
ويقال :
ادقُّ من الشعر .
أهونُ من الشعر الباقط .

ما يَتمثلُ به من ذكر الوجه

وَجْهُ المَحْرَشِ أَفْبَحُ . أى وجه مبلغ القبيح أفبح من وجه فاعله .
فِي وَجْهِهِ مَالِكٌ يُقَرِّفُ إِسْرَهُ .
قَبْلَ الْبُكَاءِ كَانَ وَجْهُكَ عَابِسَا .
قال أبو تمام :

وما أبالي ، وخيرُ القولِ أصدقُهُ ، * حَقَنْتَ لى ماءً ووجهى أم حَقَنْتَ دِمْي .

وقال ابن الرومي :

وَقُلْ مَنْ صَمِنَتْ خَيْرًا طَوَيْتَهُ * إِلَّا فِي وَجْهِهِ لَخَيْرٌ عُنَاؤُ.
لَهُ حُبًّا جَمِيلٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ * عَلَى جَمِيلٍ، وَلِلْبَطْنَانِ ظَهْرَانُ.

وقال آخر :

صَلَابَةُ الْوَجْهِ صَلَاحُ الْقَتْلِ * وَرِقَّةُ الْوَجْهِ مِنَ الْخُرْقَةِ.

ما يمثّل به من ذكر العين، يقال :

أَسْرَعُ مِنْ طَرْفِ الْعَيْنِ .

أَسْرَعُ مِنْ لَمْعِ الْبَصَرِ .

الْعَيْنُ تَرْجِيحُ الْقَلْبِ .

شَاهِدُ الْبُيُضِ اللَّفْظُ .

رُبَّ عَيْنٍ أَتَمُّ مِنْ لِسَانٍ .

لَيْسَ لَهَا قُوَّةٌ بِدَلِيلِ الْعَيْنِ تُمَنِّ .

نَظَرُهُ مِنْ ذِي عَاقٍ .

عَيْنٌ عَرَفَتْ فَدَرَفَتْ .

لَحْظَةُ أَصْدَقُ مِنْ لَفْظِهِ .

لَيْسَ لِعَيْنٍ مَا رَأَتْ، وَلَكِنْ لِكَيْفَ مَا أَخَذَتْ .

لَا تَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ .

مَنْ أَطَاعَ طَرَفَهُ، أَصَابَ حَقَّهُ .

وَأَنْتَ عَارِ عَلَى عَيْنٍ بِلا حَوَرٍ .

وَالْتَمَعُ قَدْ يُعْلِنُ مَا فِي الصُّدُورِ .

ومن الأبيات :

وعين الرضا عن كل عيب كيلة ؛ * ولكن عين السخط تبدي المساويا .

وقال الأمير أبو الفضل الميكال :

كم والدي يحرم أولاده * وخيره يحظى به الإبد .

كالعين لا تنظر ماحولها ، * ولحظها يدرك ما يبعد .

ما يمثل به من ذكر الأنف

أنفك منك وإن كان أجدع . يضرب في القريب السوء .

شفيت نفسي وجدعت أنفي .

لأمر ما جدع قصير أنفه .

كل شيء أخطا الأفت جلال .

لُدغت حيث لا يضع الراق أنفه . يضرب للأمر الذي لا دواء له .

رب حاتم لأنفه وهو جادعه . يضرب لمن أفت من الشيء فرفقه الأفت في أئذنه .

مات حقف أنفه .

جدع الحلال أنف الغيرة . قاله رسول الله . صل الله عليه وسلم .

أنف في السماء ، وأست في الماء !

ما يمثل به من ذكر الفم ، واللسان ، والأسنان

كل جان يده إلى فيه .

حدتي ، فاه إلى في .

فلان خفيف الشفة . أي قليل المسالة .

سَكَتَ أَقْنَاءُ، وَنَطَقَ خُلَفَاءُ .

قَرَعَ سِنَّ النَّادِمِ .

كَدَمَتِ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ . أَيْ طَلَبَتْ غَيْرَ مَطْلَبٍ .

وَبُجِرَحَ التَّهْمِرُ مَا بَجَرَ اللِّسَانُ .

وَبُجِرَحَ اللِّسَانُ بِجُرْحِ الْيَدِ .

ما يتمثل به من ذكر الأذن

جَاءَ فُلَانٌ نَائِشِرًا أُذُنَيْهِ .

لَيْسَتْ عَلَى ذَلِكَ أُذُنٌ .

أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً .

كَلَامُهُ يَدْخُلُ فِي الْأُذُنِ بِلَا إِذْنٍ .

جَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرًا أُذُنِي .

ما يتمثل به من ذكر العنق

حَسْبُكَ مِنَ التَّغْلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

أَذَلَّ الْحَرَصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ .

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

فَكَمْ دَقَّتْ وَشَقَّتْ وَاسْتَرْقَتْ . فَضُولُ الْعِيشِ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ .

ما يتمثل به من ذكر اليد

أَهْدَى مِنَ الْيَدِ إِلَى النَّفْسِ .

الزُّمُّ مِنَ الْيَمِينِ لِلشَّمالِ .

يَدَاكَ أَوْكَتَا ، وَقَوْلُكَ فَهَج .

الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى .

أَثَرُ لَدَيْهِ مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ .

ذَهَبُوا أَيْدَى سَبَا . أَيْ مَضْرُوبِينَ .

بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الْكَفَّ .

عَلَى يَدَى دَارِ الْحَلِيتِ . إِذَا كَانَ غَيْرًا بِالْأَمْرِ .

هُوَ عَلَى جَبَلٍ ذِرَاعِهِ . أَيْ مَوَاقِفِهِ .

تَرَبَّتْ يَدَاهُ . دُمَاهُ طَبَقَ بِالْفَقْرِ .

مَا تَبَلُّلَ إِحْدَى يَدَيْهِ الْأُخْرَى . الْبُخْلُ .

تَرَكَّهُ عَلَى أَنْفٍ مِنَ الرَّاحَةِ .

فَلَانٌ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ .

سُقِطَ فِي يَدَيْهِ . لِلنَّادِمِ .

أَعْطَاهُ عَنْ ظَهْرِ يَدٍ . أَيْ ابْتَدَأَهُ لَا مِنْ مَكَلَّاهُ .

مَا سَدَّ قَعْرَكَ مِثْلُ ذَاتِ يَدِكَ .

إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضْدُ .

يَدٌ تَسْحُ ، وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُوْنِي .

عَلَى الْيَدِ رَدٌّ مَا أَخَذْتَ .

وَمَا الْكَفَّ إِلَّا إَصْبَعٌ ثُمَّ إَصْبَعٌ .

٥

١٠

١٥٠

ومن الأبيات :

قد تطرف الكف عين صاحبا ، * ولا يرى قطعها من الرشد.

وقال آخر :

فلو أني إحدى يدي رزتها ، * ولكن يدي بانت على إثرها يد.

وقال أبو تمام :

وهل يستعيص المرء من خمس كفه ، * ولو صاع من حُر الحنين بناتها؟

ما يمثل به من ذكر الصدر والقلب

صدرك أوسع لسرك .

صدور الاحرار، قبور الامرار .

لا بد للصدور من أن يتفت .

الزم له من شعرات صدره .

ما جعل الله لرجل من قلوب في جوفه .

القلب طليعة .

القلوب تتقلب .

قال بعض الشعراء :

متى تجمع القلب الذكي وصارما * وأثا حيا ، تجتنيك المظالم.

وقال آخر :

إن التباعد لا يضُر * إذا تقاربت القلوب.

ما يمثل به من ذكر الظهر والبطن والجنب

استظهر على التهر بِنَفْعَةِ الظَّهْرِ .

قَلْبُ الْأَمْرِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ .

لا تجعل حاجتي بظهر ، أى لا تقفها وراء ظهرك .

انقطع السِّلَى في البَطْنِ . لتنام الشدة .

تَزَتْ به البَطْنَةُ . لمن لا يحتمل النسبة .

لِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ .

بجانبه فلتكن الوجبة ، في الدعاء عليه .

دَمْتُ لَجْنَتِكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا .

ما يمثل به من ذكر الكبد والدم والعروق

يَا بَرِّدْهَا عَلَى الْكَيْدِ !

فَلَا تَبْنِ الْخُلْبَ وَالْكَيدَ .

مَا يَنْفَعُ الْكَيدَ يَضُرُّ الطَّحَالَ .

ويقال :

بَرَّى مِنْهُ بَجَرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ .

هُوَ أَعَزُّ مِنْ دَمِ الْقُوَادِ .

سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ .

لَا تَكَايَلِ بِالدَّمِ .

لَا يَحْزَنُكَ دَمُ هَرِاقَةِ أَهْلِهِ . لَبَانِي عَلَى قَمِيهِ .

فَلَا تَلَيْسَرِبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ .

الْعَرَقُ تَرَّاعٌ .

أَلَا إِنَّ عَرَقَ السَّوءِ لَا يُبْذَرُ مُدْرِكُ !

ما يمثّل به من ذكر الساق والقدم، يقال :

التَّقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . في الشدة .

كشفت الحرب عن ساقها، وكشّرت عن ناهها .

قدّح في ساقه، إذا عمل في شيء، يكرمه .

لَا يُرْسَلُ السَّاقُ إِلَّا مُتَمَسِّكًا سَاقًا .

قد تَمَرَّتْ عن ساقها، فشعري ! في الحث على اليد .

ويقال :

لَهُ قَدَمٌ فِي الْخَيْرِ . أي سابقة .

إِنَّكَ لَا تَسْعَى بِرَجُلٍ مِنْ آتَى .

وقال الشاعر :

إِنَّ قُرَيْشًا - وَهِيَ مِنْ خَيْرِ الْأُمَمِ - لَا يَضَعُونَ قَدَمًا عَلَى قَدَمٍ .

من ضرب به المثل من الرجال على لفظ أفعال للتفضيل

يقولون :

أَتَمَّحَى مِنْ حَاتِمٍ .

أَجُودُ مِنْ كَثَبِ بْنِ مَامَةَ .

أَجُودٌ مِنْ هَرِمٍ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : هُوَ هَرِمٌ بْنُ سَيَّانٍ بْنِ أَبِي حَارَةَ .

وفيه يقول زهير بن أبي سلمى :

إِنَّ الْبَيْخِلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَيْسَ كَيْفَ الْجَوَادِ عَلَى عِلَالِهِ هَرِمٌ .

أَقْرَى مِنْ مَطَاعِيمِ الرَّيْحِ . وَمَطَاعِمِ الرِّيحِ أَرْبَعَةٌ : مِنْهُمْ أَبُو عَجْجَنَ النَّخَعِ .

وكان ليذ بن ربيعة العامري يعلم إذا هبت الصبا .

أَنْجَبُ مِنْ رُبْعَةٍ بْنِ مُكَّكَمٍ .

أَعْرُ مِنْ كَلِيبِ بْنِ وَائِلٍ .

أَعْرُ مِنْ مَرْوَانَ الْقُرَيْطِ .

أَسْوَدُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ .

أَحْلَمُ مِنَ الْإِحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ .

أَزْكَى مِنْ إِيَّاسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ .

١٠

أَفْتَكُ مِنَ الْبَرَّاضِ بْنِ قَيْسِ الْغَزْوِيِّ ، خَلِيعُ بَنِي كَثَّانَةَ . فَكَ بَرَّةُ الرِّحَالِ ، وَالْمَسَاوِدِ بْنِ



مَالِكِ النَّظَفَانِيِّ ، وَاسِدُ بْنُ خَيْثَمِ الْغَزْوِيِّ بِسَبَبِ لَطِيفَةِ النَّعَانِ . وَبِسَبَبِ ذَلِكَ كَانَتْ أُمَامُ الْقُبَارِ الْأَنْحَرِ ،

وَسَلَكُوا فِي وَقَائِعِ الْعَرَبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

١٥

أَوْفَى مِنَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ . وَخَبْرُهُ مَشْهُورٌ مَعَ مَهْلِلِ أُمِّ كَلِيبَ لَمَّا أُمِّهُ يَوْمَ تَخْلُقُ الْأُمُّ

أَوْفَى مِنْ عَوْفِ بْنِ مُحَلَّمٍ .

أَوْفَى مِنْ هَاتِي بْنِ قَيْصَةَ . وَخَبْرُهُ مَشْهُورٌ فِي أَدْرَعِ النَّعَانِ ، وَبِسَبَبِهَا كَانَتْ وَقْعَةُ ذِي قَارٍ .

أَوْفَى مِنَ السَّمُوعِلِ بْنِ عَادِيَاءٍ .

أَجَلُ مِنْ ذِي الْعِمَامَةِ . وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةٍ ، وَبَنَى أَبَا أُحَيْمَةَ ، وَهُوَ الْمَقْتُولُ لَهُ :

أَبُو أُحَيْمَةَ مَنْ يَسْتَمِ حَمَتَهُ ۖ يَضْرِبُ وَلَوْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا وَلَةٍ .

٢٠

أَمْضَى مِنْ سُلَيْكِ الْمَقَاتِبِ .

أَعْلَى فِدَاءً مِنْ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ ؛ وَمِنْ سِطَامِ بْنِ قَيْسٍ ؛ وَمِنْ الْأَشْعَثِ .
أَسْرَمَهُ مَلْجِجٌ قَدَى قَسَمَةِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ بِمِير .

أَعْدَى مِنَ الشُّنْفَرَى ؛ وَمِنْ السُّلَيْكِ بْنِ السُّلَكَةِ .

أَبْطَأُ مِنْ فَنْدٍ . وَهُوَ مَوْلَى لَمَانِثَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ؛ وَقَالَ أَبُو هَلَالٍ الْمَسْكِيُّ : عَائِثَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، بَشَتْ بِهِ مَوْلَانَهُ لِقَيْتِسَ نَارًا ، فَأَتَى مِصْرَ ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً ، ثُمَّ جَاءَ بِشَنَدٍ وَمَعَهُ نَارٌ ، فَبَدَدَتْ فَقَالَ : قَصَصْتُ السَّجْلَةَ !

أَنْوَمُ مِنْ عَجُودٍ . كَانَ عَجُودٌ عَبْدًا أَسْوَدَ ؛ وَكَانَ اللَّهُ عَنْ وَجِلٍ قَدْ بَشَتْ نِيَا إِلَى قَوْمِهِ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ :
إِنَّ النَّبِيَّ هُوَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ ، نَبِيُّ أَهْلِ الرَّسِّ . فَلَمْ يَزِمْنِ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا ذَلِكَ الْعَبْدَ الْأَسْوَدَ ، وَإِنْ قَوْمُهُ
أَحْتَرَقُوا لَهُ بَرًّا فَصَبَّوهُ فِيهَا وَأَطْبَقُوا عَلَيْهِ حَصْرَةً . فَكَانَ ذَلِكَ الْأَسْوَدُ يَخْرُجُ مِنَ الْقَرْيَةِ فَيَحْتَطِبُ ، وَيَبِيعُ
الْحَطَبَ فَيَشْتَرِي بِهِ طَعَامًا وَهَرَابًا ، ثُمَّ يَأْتِي بِهِ إِلَيْهِ فَيُبَيْعُهُ اللَّهُ فَيَصَالُ عَلَى الصَّخْرَةِ فَيُرْفَعُهَا وَيَدُلُّ إِلَيْهِ الطَّعَامَ
وَالشَّرَابَ . فَاحْتَطِبَ يَوْمًا وَجَلَسَ فَنَامَ عَلَى شِشْقَةِ الْأَيْسَرِ سَبْعَ سِنِينَ . ثُمَّ هَبَّ مِنْ قَوْمِهِ فَأَقْلَبَ عَلَى شِشْقِهِ
الْأَيْمَنِ ، فَنَامَ سَبْعَ سِنِينَ ، وَهُوَ يظُنُّ أَنَّهُ نَامَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ . ثُمَّ أَحْتَمَلَ حَزَنَتَهُ وَأَتَى الْقَرْيَةَ ، فَبَاعَ الْحَطَبَ
وَجَاءَ إِلَى الْحَفْرَةِ فَلَمْ يَجِدِ النَّبِيَّ وَكَانَ قَدْ بَدَأَ الْقَوْمُ فَانْتَرَحِمُوهُ . فَكَانَ يَسْأَلُ عَنِ الْأَسْوَدِ ، فَيَقُولُونَ : لَا تَدْرِي .
فَضْرَبَ بِهَ الْمَثَلُ لِمَنْ يَنَامُ نَوْمًا طَوِيلًا . وَقِيلَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ . وَذَكَرَهُ الْمِيدَانِيُّ فِي أَمْثَالِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ السَّبْعَةَ الثَّانِيَةَ ،
وَأَمَّا ذِكْرُهُمَا صَاحِبَ كِتَابِ الْمَقَاتِلِ ^(١) .

أَنْعَمُ مِنْ خُرَيْمِ النَّاعِمِ . هُوَ وَجِلٌ مِنْ وَلَدِ سَتَانَ بْنِ أَبِي حَارَةَ ، كَانَ فِي زَمَنِ الْجُلُوحِ .

أَبْلَغُ مِنْ تَحْيَانَ وَائِلٍ . وَيُقَالُ أَخْطَبُ مِنْ تَحْيَانَ : وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

قَسَدٌ لَمْ أَلْمِ إِلَّا تَأْتُونَ أَنِّي ۖ إِذَا قُلْتُ : أَمَا بَدَأَ ، أَلَيْ خَطِيئًا .

أَخْطَبُ مِنْ قُفْسٍ . هُوَ قُفْسُ بْنُ سَاعِدَةَ بْنِ حُدَافَةَ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ إِيَادِ بْنِ زُرَّارٍ . وَكَانَ مِنْ حِكَاةِ الْعَرَبِ
وَهُوَ أَرْكَلٌ مِنْ كَتَبَ مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ ؛ وَأَقُولُ مِنْ أَقْرَبِ الْبَيْتِ مِنْ غَيْرِ لَمْ ؛ وَأَقُولُ مِنْ قَالَ : "الْبَيْتُ : نِلٌّ مِنْ
أَدْعَى ، بِرَأْيَيْنِ عَلَى مَنْ أَتَكَ" . وَقِيلَ : إِنَّهُ عُمَرَاءُ وَمَعَانِينُ سَنَةٍ .

(١) هو كتابه "الفتوح" وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : وقد وفد يكرين وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فلما فرغ من حوائجهم قال : أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الإيادي ؟ فقالوا : كلنا نعرفه ! قال : مانفل ؟ قالوا : هلك ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كافي به على جمل أحر بمكافئ قائما ، يقول : « أيها الناس اجتمعوا وأسمعوا وعلموا ! كل من عاش مات ، وكل من مات مات ، وكل ما هويت آت ! إن في السماء نجيرا ، وإن في الأرض نجيرا : مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، وبحار متوج ، وبحارة لن تبور دليل داج ، وسما ذات أرباب ! أنتم قس حقا : إن كان في الأرض رضا ليكون بعده سمحط ! وإن لله عز وجل ديناً هو أحب إليه من دينكم الذى أتم عليه ! ما لى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا فاناموا ؟ أم تركوا فاناموا ! » ثم أنشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه شعرا حفظه له ، وهو :

في الدهرين الأولين من القرون لنا بصائر .

لنا رأيت مواردا * قوت ليس لها مصادر .

ورأيت قسوى تحوها * نسي : الأصاغر والأكابر .

لا يرجع الماضى إلّا * ولا من الباقين ظاير .

أقننت أنى لاحسا * له حيث صار القوم صائر !

وقال : أعيا من باقى . وهو رجل من ربيعة أتباع عليا وحشيا بأحد عشر درهما ، وجعل بقية

الدرهم في فيه . فسل عن ثمنه ، فقبل يديه لنجاة السائل (أى فتح أصابعه وفتر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك إلى ثمنه) . فحصل من ذلك أكلات الطلى ، وسقوط الدرهم ؛ والإساءة على السائل . ضرب به المثل .

أبر من المملس . كان برأ بأمه فكان يحملها على عاتقه .

أبر من فطحس . وهو رجل من شيان . حمل أباه على ظهره وسحب به .

وفيه أيضا يقال :

أسأل من فطحس . كان سيذا عزريزا ، يسأل بها فى الجيش وهو فى بيته فيطلى لزمه ؛ فإذا

أعطى سأل لأمرأه ؛ فإذا أعطى سأل لبعيره ، وكان له ولد يقال له زاهر ، فكان مثله ، فقيل فيه : « المصا من المصية » .

ويقال :

أَخِيْبُ صَفْقَةٍ مِنْ شَيْخٍ مَهْوٍ . وَهُوَ جِي مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ أَشْتَرُوا النَّسْوَمَ إِيَادَ وَكَانُوا يُعْرِفُونَ
بِهِ ، فَمَرَّتْ بِهِ عَبْدِ الْقَيْسِ . قَالَ الْمَيْدَانُ : هَذَا الشَّيْخُ أَسَمَهُ عَبْدَاهُ بْنُ بَيْدَرَةَ ، أَشْتَرَى النَّسْوَمَ مِنْ إِيَادَ بَيْدَرَةَ
جِيَّةً ، وَقَالَ قَوْمُهُ : أَشْتَرَيْتُمْ لَكُمْ عَارَ الدَّهْرِ ، فَقَالَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ فِي ذَلِكَ :
بِئْسَ الْقَسَاةُ قَبْلَنَا إِيَادُ * وَنَحْنُ لَا تَقْصُرُ وَلَا تَكَادُ .

وفيه يقول شاعر :

يَا مَنْ رَأَى كَهْفَقَةَ ابْنِ بَيْدَرَةَ * مِنْ صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ مُخْسَرَةٍ ؟

الْمُنْشَرَى الْعَادِي بَيْدَرَةَ جِيَّةً ! * ثَلَاثٌ بَيْنَ صَافٍ وَأَخْسَرَةٍ !

أَخْسَرُ صَفْقَةٍ مِنْ أَبِي غَبَّشَانَ . فَإِنَّهُ بَاعَ مَفَاتِيحَ الْكَبَةِ مِنْ قُصَى بَرْقِ نَعْرِ .

أَصْلُ مِنْ سَيَّانٍ . وَهُوَ ابْنُ أَبِي حَارَةَ الْمُرِّي ، وَكَانَ قَوْمُهُ عَفْوُهُ عَلَى الْجُودِ ، فَكَبَّ نَافَةَ لَهُ وَرَى
بِئْسَ الْفَلَاةُ ، فَلَمْ يَرْهَدْ ذَلِكَ . وَسَمِعَ الْعَرَبُ ضَالَّةً غُلْفَانًا ، وَقَالُوا : إِنْ الْجَانُ اسْتَفْجَلَتْهُ تَطْلُبُ كَرَمٍ نَجْمَهُ .
أَبْطَلُشُ مِنْ دَوَّسَرٍ . وَهِيَ كَتِيبَةُ التَّنْهَانِ .

أَهْدَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ .

أَفْرَغُ مِنْ سَجَامٍ سَابَاطٍ . يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ إِذَا أَعْوَزَهُ مِنْ يَحْبَبِهِ هَمُّ أُمِّهِ . فَلَمْ يَزَلْ يَحْبِبُهَا حَتَّى تَرَفَّ
دُمُهَا ، فَاتَتْ .

أَنْدَمُ مِنَ الْكُحْبِيِّ . وَأَسَمَهُ مُحَارِبُ بْنُ قَيْسٍ ، وَقِيلَ غَامِدُ بْنُ الْحَارِثِ . وَكَانَ أَرَى النَّاسَ ، لَا يَحْطُلُ
لَهُ سِمٌ ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ قَوْسٌ وَنَحْسٌ سِهَامٌ فَرَى صَيْدًا فِي اللَّيْلِ فَأَصَابَ سِهْمَهُ وَقَعْدَ ، فَوَقَعَ فِي الْحَجَرِ فَقَدَحَ نَارًا .
ثُمَّ رَى كَذَلِكَ حَتَّى اسْتَفْجَدَ السَّهَامَ . وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي الْجَمْعِ فَكَسَرَ قَوْسَهُ ، وَخَطَعَ إِيَّاهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ
رَأَى رَدِيَّتَهُ ، فَلَمْ يَلَمْزْهُ .

أَمْنَعُ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ . وَسَيَّاتِي خَبْرُهُ فِي وَقَائِعِ الْعَرَبِ

أَبْجَلُ مِنْ مَادِرٍ . وَسَيَّاتِي خَبْرُهُ فِي بَابِ الْمَجِيَاءِ .

أَكْذَبُ مِنْ مُسَيَّلَمَةَ الْحَنْفِيَّةِ ، (مخبره مشهور في دعواه النيرة) ومن المَهْلَبِ ، (وكان يكذب لأصحابه في حرب الأزارقة ، يَدْعُهُمُ بِالْجَنَّةِ وَالْإِمْدَادِ) .

أَحْمَقُ مِنْ رَاعِي ضَائِنِ ثَمَانِينَ ، (وذلك أن أعرايا بَشْرِكْرِي بِبِشَارَةِ مَرْبِهَا ، فقال له كسرى : سَلْنِي مَا شِئْتَ ! فقال : أَسْأَلُكَ مَنَانَا ثَمَانِينَ) ؛ ومن هَبْنَقَةَ ، وهو ذو الودعات ؛ وأسمه يزيد بن زروان أحد بني قيس بن ثعلبة ؛ وبلغ من حُفِّهِ أَنَّهُ ضَلَّ لَهُ بَعِيرٌ ، فَنَادَى مَنْ وَجَدَ بَعِيرِي فَهَوِّ لَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : فَلَمْ تَنْتَبِهْ ؟ قال : فَأَيْنَ حَلَاةُ الْوَجْدَانِ . وفيه يقول الشاعر :

عَشَى بِحَجَّةٍ وَكُنْ هَبْنَقَةَ الْفَيْسِي تَوَكَّأَ وَشَيْئَةً بَنَ الْوَلِيدِ .
رُبَّ ذِي إِدْرِيَّةٍ مَقُلُّ مِنْ أَلَا * لَ وَذِي عُنْجِيَّةٍ تَجِدُودِ .

المنجنية الجهل

أَحْمَقُ مِنْ رِبْعِيَّةِ الْبَكَاءِ . هو رِبْعِيَّةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ رِبْعِيَّةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ صَعْمَةَ . ومن حُفِّهِ أَنَّهُ تَزَوَّجَتْ بِمَسْدِ أَبِيهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا إِنْجَاءً ، وَكَانَ قَدْ أَلْتَمَسَ فُوجِدَ زَوْجَهَا بِبِشَارَتِهَا ، فَخَوَّمَ أَنَّهُ يَرِيدُ قَتْلَهَا ، فَكَرِهَ وَهَكَذَا الْخَبَاءُ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَسَلَّوْهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ وَجَدَهُ عَلَى بَطْنِهَا يَرِيدُ قَتْلَهَا ، فَقَالُوا : "أَهْوَنُ مَقْتُولٍ" فَصَارَ مَثَلًا .

أَتَيْتُهُ مِنْ أَحْمَقٍ ثَقِيفٍ . وهو يوسف بن عمرو .

أَلَسُّ مِنْ شِطَّاطٍ . وهو رجل من بني سَبَّةٍ .

أَزْنَى مِنْ قِرْدٍ . وهو قِرْدٌ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ هَذِيلٍ .

أَمْطَلُ مِنْ عُرْقُوبٍ .

وقال كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا * وَمَا مَوَاعِدُهَا إِلَّا الْإِبَاطِلُ .

أَشْأَمُ مِنْ خَوَقَعَةٍ . وهو رجل من بني ثَعْلَبَةَ بْنِ قَاسِطٍ أَخِي النَّزْرِ بْنِ قَاسِطٍ .

أَشْأَمُ مِنْ قُدَّارٍ (وهو عافر الناقة) ؛ ومن أَحْمَرِ ثَمُودَ (وهو عافرها أيضا) .

أشام من طوئيس . وهو عنت ، كان يقول إنه ولد له يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعلم يوم مات أبي بكر ، وبلغ يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل علي .
أمر من قيس بن زهير .

وأما من ضرب بها المثل من النساء

يقال . أنجب من مارية . ولدت لوزارة : حابيا ، وقليلا ، وطقمة .

أنجب من بنت الحارث ^(١) . ولدت لزيد العبيس بن بك الكثرة ، وهم : ربيعة الكامل ، وعصاة الوهاب ، وقيس الحافظ ، وأنس القوارس .

أنجب من أم البنين ^(٢) . ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب ، ملأب الأسمه عامرا ، فارسا .

أنجب من عائكة : ولدت لعبد مناف هاشما ، وعبد شمس ، والمطلب .

أسرع من نكاح أم خارجة . وهي عمية بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة بن معاوية بن زيد .

آبن الفوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الفوث بن تبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب . آبن يعرب بن حطان . ولدت في تيف وعشرين حيا من العرب . كان الرجل يقول لها : خطب أبقول : نكح !

قال أبو الفرج الأصبهاني : قمن ولدت ، الدليل ، وليث ، والحارث بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة ؛ وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن زينة ؛ والعبير ، وأسيد ، والمجم بنو عمرو بن تميم ؛ وخارجة آبن يشكر (وه كانت تسمى) ؛ وسعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا (وهو أبو المصطلق) .

(١) صوابه انخرشب وهي فاطمة بنت الخرشب الأمازية أنظر "مجمع الأمثال" و"تاج المروس" .

(٢) هم كافي "أمثال الميداني" أبو راء ، وملأب الأسمه عامر ، ومطهر فارس قرظيل وربيعة ، ومعاوية ، وأم البنين هي آبة عمرو بن عامر فارس الضحيان ، وبذلك تعلم مافي الأصول من السقط .

قال : وزعموا أن بعض أزواجها طلقها فحمل بها آبن لها عن حبه إلى حيا فطلقها راكم ؛ فلما تبينه ،
قالت لأبنها : هذا خاطب لي لأشك فيه ، أقرأه يسجل أن أنزل عن بعري ، فجعل أبنا يسفها .

أحق من المشهورة إحدى خلعتيها . وذلك أن زوجها طلقها ، فطالبته بمهرها ، فأخذ أحد
خلعائها من رجلها وأعطاه إياه ، فرضيت به .

أحق من دقة . هي مارية بنت منج بن ربيعة بن عجل ، وقيل بنت منج ، تزوجت وهي صغيرة
في بني العنبر بن تميم ، حملت . فلما أدركها المخاض ، طنت أنها تريد اللولاء فبرزت فولدت فاستبل الولد .
فأنصرفت وهي تحذر أنها إنما أحدثت . فقالت لفرثها باحتاء ، هل يفر الجرفاء ؟ قالت : نعم ،
ويدعو أباه ! فبض ضرباً للولد فأخذته ، فبنو العنبر تسمى بني الجفراء .

أبصر من زرقاء الإمامة . وهي امرأة من طهم ، كانت تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال . ومياتي
إن شاء الله تعالى خبرها في وقعة طهم وجديس .

أزنى من هرة . وهي امرأة يهودية ، وهي التي قطع المهاجر يدها فيمن قطع من النساء حين تفتن
بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أشبق من حبي المدينة .

أشام من البسوس . وهي جارة جساس بن مرة ، صاحبة الناقة التي قتل بسببها كليب ، وفاتت
الحرب بين بكر وتقلب أرومين سنة .

ويقال :

أمنع من أم قرفة . وهي امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري . كان يملق في بيتها سبعون سيفاً ،
كل سيف لذي حرم منها . ففُضرب بها المثل . وادقه سبحانه وتعالى أعلم .

(١) في الأصل "منج" وفي اللسان والقاموس وشرحه "منجج" وفي بعض النسخ "منجج" قال المنفل

بن سلة : من أجم العين فتح الهم ومن أهلها كسر الميم . قاله البكري في شرح أمالي القائل .

الباب الثالث

من القسم الأول من الفن الثاني

(في الغزل ، والنسيب ، والهوى ، والمحبة ، والعشق)

ولنبداً بذكر الهوى ، لأنه السبب الباعث على الغزل . وذلك أنه إذا حلَّ في الأجسام
ارتاحت النفوس ، ورقَّت القلوب ، وأنجذبت الحواطر ، وصفت الأذهان ، وسهل
على القرائح فابرزته الألسن . والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم .

ذكر شئ مما قيل في الهوى ، والمحبة ، والعشق ، وما قيل في ماهية العشق ، وحقيقته
وسببه ، وما قيل في مدحه ، وذقه ، والمدح منه ، والمنعوم ، وضرر العشق في الدنيا ،
والآفات التي تجرى على الماشق : من المرض ، والجنون ، والفصا ، والمخاطر
بالنفوس ، وإلقائها إلى الهلاك .

ثم نذكر أخباراً ومن أخرجه عن دينه حتى
كفر بربه ، ومن قتل ، وقُتل فيه ، ومن قتل نفسه .

ثم نذكر ماورد في التحذير من فتنة النساء ، وذم الزنا ، والنظر إلى المردان ، والتحذير
من اللواط ، وعقوبة اللواط ، وغير ذلك من أمر العشق ، على ما سنشرحه إن شاء
الله تعالى فتقول ، والله التوفيق .

أما ماهية العشق وحقيقته ، فقد تكلم عليه أوائل الحكماء والفلاسفة وغيرهم من
المسلمين ، على ما نشرحه إن شاء الله تعالى .

فأما كلام الحكماء والفلاسفة

- فقال أفلاطون : العشق ، حركة النفس الفارغة بنير فكرة .
 وسئل ديوجانس عن العشق ، فقال : سوء اختيار صادف نفسا فارغة .
 وقال أرسطاطاليس : العشق ، هو عى الحس عن إدراك عيوب المحبوب .
 وقال فيثاغورس : العشق ، طبع يتولد في القلب ويتحرك وينبى ثم يتربى ،
 ويجتمع إليه مواد من الحرص ، وكلنا قوى آزداد صاحبه في الأهتياج واللباج ،
 والتماهى في الطمع ، والفكر فى الأمانى ، والحرص على الطلب ، حتى يؤديه ذلك إلى
 الغم المقلق .

وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله :

- وما العشق إلا غيرة وطاعة : * يمرض قلب نفسه فيصاب .
 وقال بعض الفلاسفة : لم أر حقا أشبه بباطل ، ولا باطلا أشبه بحق من العشق :
 هزله جدد ، وجدته هزل ، وأوله لعب ، وآخره عطب .
 وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا .

وأما كلام الإسلاميين وما قالوه فيه

- فقد حكى عن أبي العالية الشافى ، قال : سأل المأمون يحيى بن أكثم عن العشق
 ما هو ؟ فقال : هو سوانح للراء يهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه ! قال فقال له ثمامة :
 اسكت يا يحيى ! إنما عليك أن تحجب فى مسألة طلاق أو تحريم صادظيا ، أو قتل
 نكلة ، فأما هذه فمائلنا نحن ! فقال له المأمون : ما العشق ؟ يا ثمامة ، فقال : العشق
 جليس ممتنع ، وأليف مؤنس ، وصاحب مملك ، ومالك قاهر ، مسالكة لطيفة ،

ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جائزة ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول وآرائها ، وأعطى عنان طاعتها ، وقبض تصرفها ، توارى عن الأبصار مدخله ، وغبض في القلوب مسلكه ! فقال له المامون : أحسنت والله ، يا ثمامة ! وأمر له بالف دينار .

وحكى عن الفضل بن يعقوب : قال لما اجتمع ثمامة بن أشرس ، ويحيى بن أكرم عند المامون ، قال ليحيى : خبرني عن العشق ماهو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سوانح تسع للعاشق يؤثرها ، وسيم بها تسمى عشقا ! فقال له ثمامة : يا يحيى ، أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا ، ونحن بهذا أخلق منك ! فقال المامون : فهات ما عندك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا امتزجت خواطر النفوس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقول ، ويتصور من ذلك اللع نور خاص بالنفوس متصل بجواهرها يسمى عشقا ! فقال له المامون : صدقت ، هذا وأبيك الجواب !

وحكى عن الأصمعي ، قال : دخلت على هرون الرشيد ، فقال : يا أصمعي ، إني أركت ليلتي هذه ، فقلت : مم ؟ أنام الله عين أمير المؤمنين ، قال : فكرك في العشق ثم هو ، فلم أقف عليه ، فصغف لي حتى إخاله جسما مجسما ! قال الأصمعي : لا والله ما كان عندي قبل ذلك فيه شيء فاطرقت مليا ، ثم قلت : نعم يا سيدي ، إذا تفاعلت الأخلاق المشاكلة وتمازجت الأرواح المشابهة ، لمح نور ساطع يستضيء به العقل ، وتهت لإشراقه طبايع الحياة ، ويتصور من ذلك النور خلق خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى العشق ! فقال : أحسنت والله ! يا غلام ، أعطه وأعطه وأعطه ! فأعطيت ثلاثين ألف درهم .

وحكى عن الأصمعي أنه قال : لقد أكثر الناس في العشق ، فاسمعت أوجز
ولا أجل من قول أعرابية (وقد سئلت عن العشق) فقالت : ذلٌ وجنونٌ . قلت :
هذه صفة ثمرة العشق وماله .

والتحقيق أن العشق شدةٌ مبل النفس إلى صورة تلائم طبعها ، فإذا قوى فكرها
فيه تصوّرت حصولها وتمنّت ذلك ، فيتجدد من شدة الفكر مرضٌ .

وقيل لبعضهم : ما العشق ؟ فقال : آرتياح في الخلق ، وفرح يحول في الروح ، وسرور
ينساب في أجزاء القوى .

وقال أبو العيّن : سألت أعرابياً عن الهوى ، فقال : هو أظهر من أن يخفى ،
وأخفى من أن يرى ، كامنٌ كيمون النار في الحجر ، إن قدحتهُ أورى ، وإن تركته توارى .

وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقة المحبة ، فقال : التي لا تزيد بالبر ، ولا تنقص بالجفاء .

وسئل بعض الصوفية عن الهوى والمحبة فقال : الهوى يحلّ في القلب ، والمحبة
يحلّ فيها القلب !

والعشق مراتب من ابتدائه إلى آتائه .

ذكر مراتب العشق وضروبه

قالوا : أول ما يتجدد الاستحسان للشخص تحدث إرادة القرب منه ، ثم المودة ،
(وهو أن يودّ لو ملكه) ، ثم يقوى الودّ فيصير محبة ، ثم يصير هوى (فهوى بصاحبه
في محابّ المحبوب من غير تمالك) ، ثم يصير عشقاً ، ثم يصير تقيماً (والتّيم حالة يصير بها
المعشوق مالكا للعاشق لا يوجد في قلبه سواه) ، ثم يزيد التّيم فيصير ولفاً (والولة
المخروج عن حدّ التّريب ، والتعطّل عن أحوال التّميز) .

«قال بعضهم : أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحب، ثم يستحكم الهوى فيصير مودة تزيد بالمؤانسة، وتدرس بالجفاء والأذى، ثم الخلقة، ثم الصباية (وهي رقة الشوق) تولدها الألفة، ويمشها الإشفاق، ويبهجها الذكر، ثم تصير عشقا. وهو على ضرب، فبذوه يصفى الذهن، ويهذب العقل. كما قال ذو الرياستين لأصحابه : «أعشقوا، ولا تعشقوا حراما! فإن عشق الحرام يطلق اللسان ويرفع التبلد ويطلق كفت الخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء، فإذا زاد؛ مرض الجسد، فإذا زاد؛ أخرج العقل وأزال الرأي فاستهلك، ثم يترق فيصير وها، ويسمى ذوالولة متنا، ومستهما، ومستقرا، وحيران، ثم يعلها التتم فيدعى متيا، والتتم نهاية الهوى، وآخر العشق، ومن التتم يكون الداء النوى، والجنون الشاغل» .

وقال بعض الحكماء : أول الحب العلاقة (وهو شيء يحده النظر أو السمع فيخطر للبال، ويمرض للفكر، ويرتج له القلب، ثم ينمى بالطمع، والتمساج، وإدمان الذكر)، ثم يقوى فيصير حبا، ثم يصير هوى، ثم يصير خلقة، ثم عشقا، ثم وها، فيسمى صاحبه متنا، ومستهما، وهائما، وحيران، ثم يصير متيا، وهو أرفع منازل الحب، لأن التتم التعب، والوجد ألم الحب، والهميان النهاب في طلب غرض لا غاية له، والكلف والشغف اللهيج بطلب الفرض .

وقال القزويني : اللوعة، حرقه القلب من الحب .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : العلاقة الحب اللازم للقلب، والهوى الهوى الباطن، واللوعة حرقه الهوى، والللاج الهوى المحرق، والشغف أن يبلغ الحب شغاف القلب (وهو جلد دونه) ، والتتم أن يستعبد الهوى، والتبيل أن يُتقمة الهوى،

يقال : رجل متبول ، والتدليّة ، ذهاب العقل من الهوى ، يقال : رجل مُدَلٍّ ، والهَيُوم
أن يذهب على وجهه ، والشَّغَف إحراق القلب مع لذة يحدها وهو شبيه باللوعة .
وقال أبو عبد الله بن عرفة : الإرادة قبل المحبة ، ثم المحبة ، ثم الهوى ، ثم العشق .
وقال ابن دريد : الصّابة رقة الهوى . واشتقاق الحب من أحب البعير ، إذا برّك
من الإعياء .

ذكر ما قيل في الفرق بين المحبة والعشق

قالوا : المحبة جنس ، والعشق نوع . فإن الرجل يحب أباه وأمه ، ولا يبعثه ذلك
على تَلَف نفسه ، بخلاف العاشق .

وقد حكى أن بعض العشاق نظر إلى جارية كان يهاها ، فارتعدت فرائضه وُغِيَتْ
عليه ، فقيل لبعض الحكماء : ما الذي أصابه ؟ فقال : نظر من يحبه ، فانخرج قلبه ،
فصحتك الجسم لانفراج القلب ا فقيل له : فتحن نحب أهالينا ولا يصيبنا ذلك
فقال : تلك محبة العقل ، وهذه محبة الرُّوح !

قالوا : كل عشق يسمى حُبًّا ، وليس كل حب يسمى عشقا . لأن العشق أسم
لما قُضِلَ عن المحبة ، كما أن السَّرَف أسم لما جاوز الجُود ، والبُهْل أسم لما نقص
عن الاقتصاد ، والجبن أسم لما قُضِلَ عن شدة الاحتراس ، والهَوَج أسم لما قُضِلَ
عن الشجاعة .

قال الشاعر :

ثلاثة أحباب : حُبُّ علاقة ، * وَحُبُّ تِمْلَاقٍ ، وَحُبُّ هَوَاتِلٍ !



- وأما سبب العشق وما قيل فيه ، قالوا : سبب العشق مصادفة النفس ما يلازم طبعها فتستحسنه وتميل إليه . وأكثر أسباب المصادفة النظر . ولا يكون ذلك بالبح ، بل بالتثبت في النظر ومعاودته بالنظر ، فإذا غلب المحبوب عن العين طلبته النفس ، ورامت التقرب منه ، وتمتعت الاستمتاع به . فيصير فكرها فيه ، وتصويرها إياه في الفية حاضرا ، وشغلها كله به ، فيعجزد من ذلك أمراض لأعراض الفكر إلى ذلك المعنى . وكلما قويت الشهوة البدنية ، قوى الفكر في ذلك . وقد أمر الله عز وجل بنقض البصر فقال : **(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْفُسُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)** **(وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَنْفُسْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)** . فقرر غرض البصر بحفظ الفرج ، لأنه يسببه ويؤول إليه .
- ١٠ وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لَا تُفْسِدِ النظرُ النظرَ ، فإن لك الأولى ! وليست لك الآخرة"** .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"العينان تزنيان ، وزناهما النظر"** .
- ١٥ وعن علي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! **"يا علي ، أتبي النظرُ بعد النظر ! فإنها سهم مسموم ، يورث الشهوة في القلب"** .
- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"نظرُ الرجل إلى حائسين المرأة سهم مسموم من سهام إبليس"** .
- وعن يحيى بن معيذ قال : كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول : **"النظرُ يزرعُ في القلب الشهوة ، وكفى بها خطيئة !"** .
- ٢٠

وعن سفيان قال: قال عيسى عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالنَّظَرَ! فَإِنَّهُ يَزُوعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ، وَكَفَى بِهَا لِمُصَاحِبِهَا فِتْنَةً!» .

وقال الحسن البصري: من أطلق طَرَفَهُ، أطلالَ أَسَفِهِ .

وقال ذو النون: الْخَطَطَاتُ تَوْرَثُ الْحَسَمَاتِ : أَوَّلُهَا أَسْفٌ، وَآخِرُهَا تَلَفٌ . فمن تابع طَرَفَهُ، تابع حَتْفَهُ .

وقال حكيم: أَوَّلُ الْعَشَقِ النَّظَرُ، وَأَوَّلُ الْحَرِيقِ الشَّرَرُ .

- وقال أبو الفرج بن الجوزي: البصر صاحب خَبَرِ القلب . ينقل إليه أخبار المَبْصَرَاتِ، وينتَشِرُ فِيهِ صُورُهَا، فيجول الفكر فيها فيشغلُه ذلك عن الفكر فيما ينفعُه من أمر الآخرة . فاحذَر من شر النظر! فكَم أَهْلَكَ مِنْ عَابِدٍ، وَفَسَخَ عِزَمَ زَاهِدٍ! وهو سبب الآفات، إِلا أَنْ علاجه في بدايته قريب . فإذا كرر تمكن الشر فصعب ١٠ علاجه . فإن النظرة إذا أثرت في القلب، فإن أعجل الحازم بنفسها وحسم المادّة من أَوَّلِهَا سهّل علاجه، وإن كرر النظر نقّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب متفتّح ونقشها فيه . فكلما تواصلت النظرات كانت كالمياه تسقي بها الشجرة، فلا تزال تنمو فيفسد القلب، ويُعرض عن الفكر فيما أَمَرَ به، ويخرج بمصاحبه إلى الحِنِّ، ويوجب ١٥ ارتكاب المحظورات، ويلقي في التلف .

وقد أكثر الشعراء في وصف ما يحدثه النظر من البلايا ، فمن ذلك ، قول الفرزدق :

تَرَوَدُ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدْعُ لَهُ * قُوَادًا، وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَرَوَدَا .

فَلَمْ أَرِ مَقْتُولًا وَلَمْ أَرِ قَاتِلًا * بِشَرِّ سِلَاحٍ مِثْلَهَا حِينَ أَقْصَدَا .

وقال إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب :

فَن كَانَ يُؤْنِي مِنْ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ ، * فَلَأَنِّي مِنْ عَيْنِي أَتَيْتُ وَمِنْ قَلْبِي !
هَبْ أَعْتَوَرَانِي نَفْثَةً ثُمَّ فِكْرَةً ، * فَمَا أَجِيَأُ لِي مِنْ رُقَادٍ وَلَا لُبٍّ !

وقال إسماعيل بن عمار الأعرابي :

عَيْنَانِ مَشْهُومَتَانِ ، وَيَحْهُمَا ! * وَالْقَلْبُ حَيْرَانٌ مُبْتَلًى بِهِمَا ،
عَرَفَهُمَا الْهَوَى لِقَائِهِمَا ، * بِالْيَتِي قَبْلَهُ عَدَمُهُمَا !

وقال أبو عبد الله المارستاني :

رَمَانِي بِهَا طَرَفِي فَلَمْ يُحِطْ بِمَقْتَلِي ، * وَمَا كُلُّ مَنْ يَرَى نُصَابُ مَقَاتِلِهِ !
إِذَا مِتُّ ، فَاكْبُرُونِي قَتِيلًا لِعَطْرِهِ * قَتِيلَ عَدُوٍّ حَاضِرٍ مَا يُرَايِلُهُ !

وقال ابن المعتز :

مَتِّمٌ يَرَى نُجُومَ اللَّبَى * يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلَةً !
صَنِي أَشَاطَلَتْ بِدِي فِي الْهَوَى ، * فَاكْبُرُوا قَتِيلًا بَعْضُهُ قَاتِلُهُ !

وقال الخنفي :

وَأَنَا الَّذِي أَجْتَلَبُ الْمَنِيَّةَ طَرَفَهُ * لَقَدْ لِمُطَالَبٍ؟ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ !

وقال ابن المعتز :

وَمَا أَدْرِي ، إِذَا مَا جَنَّ لَيْلٌ ، * أَشَوْقًا فِي قُوَادِي أَمْ حَرَبًا ؟
أَلَا يَا مَقْلُوقَ ، دَعَيْتَانِي * بِلَحِظِكَ فُلُوقًا ! ثُمَّ ذُوقًا !

وقال أبو عبد الله بن الجراح :

يَا مَنْ رَأَى سُقْمِي يَزِيدُ وَعَلَى نَفْسِي طَيْبِي .
لَا تَجِبَنَّ فَهَكَذَا * تَجَنَّبِي الْعِيُونَ عَلَى الذُّلُوبِ !

وقال أبو منصور بن الفضل :

لواحِظْنَا، تَجَنَّبِي وَلَا عِلْمَ عِنْدَهَا * وَأَتُسِّنَّا مَأْخُوذَةً بِالْحَرَائِرِ.
وَلَمْ أَرَ أَغْيَ مِنْ نَفْسٍ عَفَافٍ * تُصَدِّقُ أَخْبَارَ الْعِيُونِ الْقَوَائِرِ.
وَمَنْ كَانَتِ الْأَجْفَانُ مُجَابَ قَلْبِهِ * أَذِنَتْ عَلَى أَحْشَائِهِ بِالْفَوَائِرِ!

وقال أبو محمد بن الخفاجي :

رَمَتْ عَيْنَاهُنِي، وَرَاحَتْ سَلِيمَةً * لَنْ حَاكِمٍ بَيْنَ الْكَيْحِيلَةِ وَالْعَبْرَا؟
فِيَا طَرُفُ، قَدْ حَذَرْتُكَ النُّظْرَةَ الَّتِي * خَلَسَتْ فَا رَاقَبْتَ نَهْيَا وَلَا زَجْرَا!
وَيَا قَلْبُ، قَدْ أَرَادَكَ مِنْ قَبْلُ مَرَّةً * فَوَيْحُكَ! لَمْ طَاوَعْتَهُ مَرَّةً أُخْرَى؟

وقال عبد الحسن بن غالب الصوري :

مَا نَقَرْتُ إِلَّا لَهَا سَكْرَةً * كَأَنَّمَا طَرَفُكَ تَمَارُ.
هَذَا هَوًى يَصُدُّ عَنْهُ جَوًى * يَسْأَلُوهُ لَوَاعُتٌ وَأَفْكَارُ.
وَهَذِهِ أَعْمَالُهَا، هَذِهِ! * مَا بَعْدَ رَأْيِ الْعَيْنِ إِخْبَارُ.
وَلَمْ يَكُنْ أَوَّلَ مَنْ غَرَّنِي! * كُلُّ غَرِيرِ الطَّرْفِ غَرَّارُ!

وقال أبو شعاع الوزير :

لَا عَذْبُ الْعَيْنِ غَيْرَ مَفْكُرٍ * فِيهَا، جَرَتْ بِالدَّمْعِ أَمْ فَاضَتْ دَمًا!
وَلَا تَهْوُونَ مِنْ الرِّقَادِ لِنَيْدِهِ * حَتَّى يَصِيدَ عَلَى الْبُلْقُونِ عُحْرًا!
سَفَكْتُ دَمِي، فَلَا تُسِفِكُنْ دَمُوعَهَا * وَهِيَ الَّتِي بَدَأَتْ فَكَانَتْ أَظْلَمًا!
هِيَ أَوْ قَسَمِي فِي حَبَائِلِ فَتْنَةٍ * لَوْلَمْ تُكُنْ نَظَرْتُ، لَكُنْتُ مَسْلَمًا!

وقال آخر عفا الله عنه :

بِأَعْيُنٍ أَنْتَ تَقْتُلُنِي، * وَجَعَلَتْ ذَنْبُكَ مِنْ دُنُوبِي!

وَأَرَاكَ تَهْوِينِ الشُّعْو * عَ كَانَهَا وَفَى الْحَبِيبِ.
ثَانَهُ، أَحْلَفَ صَادِقًا * وَالصَّدُوقُ مِنْ شَيْمِ الْأَرِيبِ!
لَوْ مُبْزَتْ نُوبُ الزَّيْمَا * نَ مِنْ الْبَعِيدِ إِلَى الْقَرِيبِ،
مَا حُكِّنَ إِلَّا دُونَ مَا * جَنَّتِ الْعَيُونُ عَلَى الْقُلُوبِ!

وقال آخر، وأجاد :

أَنَا مَا يَتَّ عَشَوَيْتَيْنِ هَا : قَلْبِي وَطَرْفِي .
يَنْظُرُ الطَّرْفُ وَيَهْوِي الشَّقْلُبُ ، وَلِلمَقْصُودُ حَتْفِي .

وقال ابن الحريري :

فَصَبْرٌ وَلَا تَنْيَمُ كُلُّ بَرَقٍ ! * رَبِّ بَرَقَ فِيهِ صَسَوَاعِي حَيْنِ !
وَأَفْضَلُ الطَّرْفِ ، تَسْتَرْجُ مِنْ غَرَامِ * تَكْتَبِي فِيهِ نُوبَ ذُلٍّ وَشَيْنِ .
فَقِيَادُ الْقَسَى مَوَاقِفُ النَفْسِ ، وَبَذَةُ الْهَوَى طُمُوحُ الْعَيْنِ .

فصل

قالوا : ومن أسباب المشق ، سماع الذناء وإنشاد الفزل . فإن ذلك يصور في النفس
قشور صور فتختر جملة صورة موصوفة ، ثم تصادف نظرا مستحسننا ، فتتعلق
النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف .

فصل

وذكر بعض الحكماء أنه لا يقع المشق إلا للجبانس ، وأنه يضعف ويقوى على
قدر التشاكل . وأستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّةٌ
مَاتَارَفٌ مِنْهَا أَشْتَفَ ، وَمَا تَنَازَرَتْ مِنْهَا أَخْتَلَفَ » . قال : وقد كانت الأرواح موجودة

قبل الأجسام ، فالجنس إلى الجنس . فلما اقترقت في الأجساد ، بقى في كل نفس حب ما كان مقارنا لها . فإذا شاهدت النفس من نفس نوع موافقة ، مالت إليها ظانّة أنها هي التي كانت قريبتها . فإن كان التشاكل في المعاني كانت صداقة ومودة ، وإن كلف في معنى يتعلق بالصورة ، كان عشقا . وإنما يوجد الملل والإعراض من بعض الناس لأن التجربة أبانت ارتفاع المجانسة والمناسبة .

وأنشدوا على ذلك :

وقائل : كيف تهاجرتم ؟ * فقلت قولا فيه إنصاف :
لم يك من شكلي ففارقته ، * والناس أشكال وألأف .

- قال أبو الصرخ بن الجوزي : فإن قيل إذا كان سبب العشق نوع موافقة بين شخصين في الطباع ، فكيف يجب احدهما صاحبه والآخر لا يحبه ؟ فالجواب أنه يتفق ١٠ في طبع الممشوق ما يوافق طبع العاشق ، ولا يتفق في طبع العاشق ما يلائم طبع الممشوق . فإذا كان سبب العشق اتفاقا في الطباع بطل قول من قال : إن العشق لا يكون إلا للأشياء المستحسنة . وإنما يكون العشق لنوع مناسبة وملاءمة ، ثم قد يكون الشيء حسنا عند شخص غير حسن عند آخر . وحكي على ذلك حكاية رفعها بالسند إلى علي بن الحسين القرشي ، عن رجل من أهل المدينة كان أديبا طريفا ١٥ طالبا للأدب والملح ، قال : كنت يوما في مجلس رجل من قريش وممّا قينة ظرفة حسنة الصورة ، وممّا قتي من أقبح مآرائه العين ، والقينة مقبلة عليه بمحديتها وغناها . فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا قتي من أحسن الناس وجها ، وأزاهم ثوبا ، وأطيبهم ريحا ، فأقبل علي صاحب البيت ، فقال : إن في أمر هذين لعجبا ! قلت : وما ذاك ؟ قال : هذه البخارية تحب هذا (يعني القبيح الوجه) وليس لها في قلبه محبة ، وهذا ٢٠

الحسن الوجه يحبها، وليس له في قلبها محبة. فبينما نحن على شراينا إذ مرّ القتي الحسن الوجه فتفتى وقال :

يَدِ الذِي شَغِفَ الْفُؤَادُ بِهِمْ * فَرَجُ الذِي أَلْقَى مِنَ السُّنَمِ !
فاسْتَفَيْنِي أَنْ قَدْ كَلَّمْتُ بِكُمْ * ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتِ عَنْ عِلْمِ !
فأقبلت عليه، وقالت : قد علمنا ذاك، فقه ! ثم تركته، وأقبلت على الصبيح الوجه، فلبثنا ساعة، ثم تفتى القتي أيضا :

أَلَا لَيْتَنِي أَعْمَى أَصَمُّ تُقَوِّدُنِي * بُيُوتُهُ لَا يَخْنِي عَلَى كَلَامِهَا !
فقال : اللهم أعط عبدك ماسأل ! فناظنني، فقلت لها : يا فاجرة تخارين هذا، وهو أقبح من ذنوب المصيرين، على هذا الذي هو أحسن من توبة التائبين، فقلت لي : ليس الهوى بالأختيار ! ثم أنشأت تفتى وتقول :

فَلَا تَسْلِمِ الْحُبَّ عَلَى هَوَاهُ * فَكُلُّ مَنْ سَلِمَ كَلِمَ عَمِيدِ
يُظَنُّ حَبِيبَهُ حَسَنًا جَمِيلًا * وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبُ مِنَ الْقُرُودِ !
فقلت : أجل ! إنه لكما قلت، وليس في هذا حيلة، وذهكرت قول عمر ابن أبي ربيعة :

فَبُضَاحَكَ، وَقَدْ قُلْنَا : * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَا تَوَدُّ !

فصل

قالوا : ويتأكد الشق بإدعان النظر، وكثرة اللقاء، وطول الحديث . فإن انضم إلى ذلك معاهدة أو تقبيل فقد تم استحكامه .

وقد ذكر حكيم الأوتار أنه إذا وقعت القبل بين المتحابين ووصلت رلة من ريق كل واحد منهما إلى معدة الآخر، آخطط ذلك بجميع البدن ووصل إلى رحم

خبد، وهكذا إذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه، فإنه يخرج مع ذلك النفس
شيء من نسيم كل واحد منهما فيختلط بأجزاء الهواء، فإذا استلشق من ذلك الهواء
دخل في الخياشيم، فوصل بعضه إلى الدماغ فسرى فيه كسريان الثور في جرم البور،
ووصل بعضه إلى جرم الرئة، ثم إلى القلب فينبئ في المروق الضوارب في جميع البدن
فينتقد في بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا، فيتولد به العشق ويبنى .
هذا ما قيل في سبب العشق والله أعلم .



وأما ما قيل في مدحه وذمه والمدح منه والمذموم، قال ابن الجوزي
في كتابه المترجم: "ذم الهوى": أختلف الناس في العشق، هل هو مدح
أو مذموم. فقال قوم: هو مدح، لأنه لا يكون إلا من كفاية الطبع، ولا يقع
عند جامد الطبع. ومن لم يجد منه شيئا فنلك من غلظ الطبيعة. فهو يميل والعقول،
ويصنئ الأذهان، ما لم يُفِرط. فإن أفرط عاد شيئا قاعلا. وقال آخرون: هو
مذموم، لأنه يستأمر العاشق ويحمله في مقام المستعبد. قال: قلت: وفصل الحكم
في هذا الفصل أن تقول: أما المحبة والود والميل إلى الأشياء المستحسنة والملائمة
فلا يُذَمُّ، وأما العشق الذي يزيد على حد الميل والمحبة فيملك العقل ويصرف
صاحبه على غير مقتضى الحكمة فذلك مذموم. ويحتاج من مثله الحكماء.
هذا ما قيل في مدحه وذمه مجالا. والله تعالى أعلم .



فأما المدح منه، وهو الذي قلنا ذكره، فقد وقع فيه جملة من الخلفاء
والأكابر فلم يُعَبِّ عليهم ولا تقصمهم. وقد تكلموا في مدحه وتفضيله بما سندكر
منه إن شاء الله تعالى طرعا .

بقاراً : العشق يولد الأخلاق الحيدة ! وقالوا : لو لم يكن في الهوى إلا أنه يشجع
الجبان، ويصفى الأذهان، ويبعث حزم العاجز، لكفاه شرفاً !
وقال أعرابي : من لم يُحب قط فهو ردىء التركيب جافى الطبع كثر المعاطف .
وقد روى أن الشعبي كان ينشد :

إذا أنت لم تهش ولم تدر ما الهوى ، هـ ، فانت وعير في القلّة سواه !

وسمع ابن أبي مليكة غناء وهو يؤذن ، فطرب ، فقيل له في ذلك ، فقال :
إذا أنت لم تطرب ولم تدر ما الهوى • فكن حجراً من يابس الصخر جليداً ،
وسئل أبو نوقل : هل يسلم أحد من العشق ؟ فقال : نعم الخلف الجلف الذي
ليس فيه فضل ولا عنده فهم • فاما من في طبعه أدنى ظرف أو منه دماثة أهل
البحار ورقة أهل العراق فهبات !

وحكى أبو الفرج بن الجوزي بسند يرفعه إلى الجبان بن عمرو مولى ذى الرياستين ،
قال : كان ذو الرياستين يبعث ويبيعت أحدانا من أهله إلى شيخ عالم بخراسان ، له
أدب وحسن معرفة بالأمور ، ويقول لنا : تعلموا منه الحكمة ، فإنه حكيم ! ، وكنا نأثبه .
فإذا أنصرفنا من عنده ، سالنا ذو الرياستين وأعرض ما حفظناه فنخبر به . فقصدناه
ذات يوم ، فقال : أتم أدباء ، وقد سمعتم الحكمة ولكم جدات ونعم ، فهل فيكم عاشق ؟
فقلنا لا . فقال : آعشقوا ، فإن العشق يطلق اللسان التي ، ويفتح جيلة البلبد ، ويبعث
على التنظيف وتحسين اللباس وتطبيب المظلم ، ويدعو إلى الحركة والدكاء ،
ويُشرف الهمة ! وإياكم والحرام ! فانصرفنا من عنده إلى ذى الرياستين ، فسألنا عما
أخذنا في يومنا ذلك فهبتاه أن نخبره . فعزم علينا فأخبرناه ، فقال : صدق واقع ! فهل

- تعلمون من أين أخذ هذا؟ قلنا : لا . قال ذوالرياستين : إن بهرام جور كان له ابن ، وكان قدرته للأمر من بعده ، فنشأ الفتى ناقص المهمة ، ساقط المروءة ، خامل النفس ، سيئ الأدب . فعنه ذلك ووكل به من يلازمه من المؤدبين والحكماء ليعلموه . فكان يسألهم عنه فيحكون عنه ما يفتنه من سوء فهمه وقلة أدبه . إلى أن سال بعض مؤدبيه يوما ، فقال له المؤدب : قد كنا نخاف سوء أدبه ، فحدث من أمره ما صيرنا إلى اليأس من فلاحه ، قال : وما ذاك الذي حدث ؟ قال : إنه رأى ابنة فلان المكرزبان فغشقه حتى غلب عليه هواها ، فهو لا يهتدي إلا بها ، ولا يتشاغل إلا بذكرها . فقال بهرام : الآن رجوت فلاحه ! ثم دعا بابي البخارية ، فقال : إني مسر إليك سرا فلا يحدوثك . فضمن له ستره . فاعلمه أن أبسه قد عشق ابنته ، وأنه يريد أن ينكحها إياه ، وأمره أن يأمرها بإطاعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها ، فإذا استجبت طمعه فيها تجنت عليه وهجرته ، فإن استعنتها أعلمته أنها لا تصلح إلا للملك ومن همته همة الملوك ، وأنه يمنها من مواسلته أنه لا يصلح لذلك ، ثم ليعلمه خبرهما ، فقبل أبوها ذلك منه . ثم قال للمؤدب الموكل به خوفه مني وشجعه على مراسلة المرأة ! ففعل ذلك وفعلت الصبية ما أمرها به أبوها . فلما آتته إلى الصحن عليه ، وعلم الفتى السبب الذي كرهته له ، أخذ في الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرياسة ١٥ وضرب الصواب لجة حتى مهر في ذلك . ثم رفع إلى أبيه أنه يحتاج من الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء إلى فوق ما عنده . فسر الملك بذلك ، وأمر له بما طلب . ثم دعا مؤدبه ، فقال : إن الموضع الذي وضع به أبني نفسه من حب هذه المرأة لا يزيى به . ففقمتم إليه أن يرفع ذلك إلى ويسألي أن أزوجه إياها . ففعل . ورفع الفتى ذلك إلى أبيه ، فاستدعى أباه ، وزوجه بها ، وأمر بتعجيلها إليه ، وقال له : ٢٠

إذا اجتمعت بها فلا تحدث شيئا حتى آتيك! فلما اجتمع أناه، قال: يا بني لا يضرنّ منها عندك مراسلتها إليك، وليست في حبالك! فإني أنا أمرتها بذلك. وهي أعظم الناس منة عليك، بما دعيت إليه من طلب الحكمة والتخلق بإخلاق الملوكة، حتى بلغت الحد الذي تصلح معه لذلك بعدى. فزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك! ففعلت ذلك، وعاش مسرورا بإطارية، وعاش أبوه مسرورا به، وأحسن ثواب أبيها، ورفع مرتبته وشرفه بصيانة سره وطاعته، وأحسن جائزة المؤذّب، وعقد لأبيه على الملك من بعده.

قال اليمان: ثم قال لنا ذو الراسيتين: سلوا الشيخ الآن: لمّ حكمكم على العشق؟ فسالناه: فلفشنا بحديث بهرام جور وآيته.

فهذا من أرفع بالهوى وترقى بسببه إلى مرتبة الملك.

وحكى ابن الجوزي أيضا، قال: حدث القاسم بن محمد النخعي، قال: مارأيت شابا ولا كهلا من ولد العباس أصون لنفسه، وأضبط لسانه وفرجانه عبد الله بن المعتز! وكان ربما عبتنا بالهزل في مجلسه، بغفري معنا فيه فيما لا يقدح به عليه قادح. وكان أكثر ما يشفّل به نفسه سماع الفناء. وكان كثيرا ما يعيب العشق، ويقول: هو ضرب من الحق! وكان إذا رأى منا من هو مطروق أو مفكر أتهمه بالعشق ويقول: وقعت والله يا فلان! وقّل عقلك وتنفقت! إلى أن رأيناه، وقد حدث به سهو شديد، وفكر دائم، وزفير متتابع، وسميمته ينشد أشعارا منها:

مالي أرى الشّريا * ولا أرى الرّقيبا؟

يا مُرسلا غزّالاً، * أما تحاف ذيباً؟

وسمعناه مرة أخرى ينشد، وهو يشرب في إزاء قد لقه، فاتهمناه فيه، وكتب عبد

هذا الشعر :

ما قَلِيلُ مَنْكَ لِي بِقَلِيلٍ ، * يَأْمُنِي عَيْنِي وَغَايَةَ سُؤْلِي !
سَلْ بِحَقِّ اللَّهِ عَيْنِكَ عَنِّي : * هَلْ أَحْسَنُ فِي الْمَوَى بِقَيْلٍ ؟
أَنْتَ أَفْسَدْتَ حَيَاتِي بِهَجْرِي ، * وَمَتَانِي بِسَابِ طُكُولِي !

وأنشد :

أَسْرَ الْحُبِّ إِسِيرًا * لَمْ يَكُنْ قَبْلُ إِسِيرًا .
فَارْحَمُوا قُلَّ عَزِيزٍ * صَارَ عَبْدًا مَسْجِيرًا !

وأنشد يوما ، وقد رأى دار بعض الناس ، فقال :

أَيَادَارُكُمْ فِيكَ مِنْ لَذَّةٍ * وَعَيْشٍ لَنَا ، كَانَ مَا أَطْيَبَهُ !
وَمِنْ قَبْنَةٍ أَفْسَدَتْ نَاسِكًا ، * وَكَانَتْ لَهُ فِي التَّقَى مَرْتَبَةٌ .

وقال أيضا مرة :

لَقَدْ قَلَّتْ عَيْنَاكَ نَفْسًا كَرِيمَةً ، * فَلَا تَأْمَنْ إِنْ مِتَّ سَطْوَةً نَارًا !
كَانَتْ قُوَادِي فِي السَّمَاءِ مَعْلُوقٌ ، * إِذَا غَبَتْ عَنْ عَيْنِي ، يَحْتَلِبُ طَائِرٌ .

وأنشد يوما ، وفي يده خاتم :

حَصَلْتُ مِنْكَ عَلَى خَا * تَمَّ حَوْتُهُ الْبِنَانُ !
فَا يُبَارِقُ كَفِّي * كَأَنَّهُ قَهْرَمَانُ .
يَا أَهْلَ وُدِّي بَعْدَكُمْ * وَأَنْتُمْ جِيرَانُ !

قال النخعي : قلت له : جعلنا الله فداك ! هذه أشياء قد كنت تعيب أمثالها

منا ، ونحن الآن نشكرها منك ! وكان يرجع عن بعض ذلك تصنعا ، ثم لا يلبث

مستوره ان يظهر حتى تحقق عندنا عشقه، ودخل في طبقة المرحومين، فسمعت
يوما يفشد :

مَكْتُومٌ، يَا أَحْسَنَ خَلْقٍ إِلَهٍ • لَا تَرْجِكُنِي هَكَذَا بِإِلَهٍ!
ثم تنفس إثر ذلك فأجته :

• قَدْ ظَفِرَ الْمِسْقُ بِعَبْدِ إِيَّاهِ • وَأَنْتَكَ السَّرُّ بِعَبْدِ إِيَّاهِ.
فَقُلْ لَهُ : سَمَّ لَنَا سَيِّدِي • هَذَا الَّذِي تَهْوَى، بِحَقِّ إِيَّاهِ!
فضحك وقال : لا، ولا كرامة !

فكُتِبَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْقَدِّ :

بَصَكْتُ عَيْنَهُ وَشَكَأَ حُرْقَةً • مِنَ الْوَجْدِ فِي الْقَلْبِ مَا تَطْفُنِ.
فَقُلْتُ لَهُ : سَيِّدِي، مَا الَّذِي • أُرَى بِكَ ؟ قَالَ : سِقَامَ خَنِي.
فَقُلْتُ : أَعِشْهُ ؟ فَقَالَ : أَقْتَصِرُ • عَلَى مَا تَرَى بِي، أَمَا تَكُنْتَنِي ؟
فكُتِبَ إِلَيْ :

يَا مَنْ يُحِبُّنِي عَنِّي • بَلَّغْنِي مَعَ وَعِيبِ!
إِنْ كُنْتُ تَحْطُبُ سِرِّي، • فَارْجِعْ بِنُفْسِي حُسَيْنِ!

فكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

• فَيَبَاتَ لِحْظِكَ عِنْدِي • يُقْرِئُنِيهِ بِشَيْئِكَ!
دَخَعْتُ عَنْكَ خُفِّي حَتَّى • وَأَحْرِصَ عَلَى حَلِّ رِيفِكَ!
تَسْأَلُ تَحْصَالُ فِيمَا • تَهْوَى، بِرِفْقِي وَوَقْتِكَ!

وصرَّتْ إِلَيْهِ قَالَتْ : يَا أَبَا طَيْبٍ، قَدْ عَصَيْتُ إِبْلِيسَ أَكْثَرَ مَا عَصَى رَبَّهُ إِلَى أَنْ



أَوْفَقِي فِي حَبَالِهِ، فَأَنْشُدْتَهُ :

من أين لا كان إبليس جاني بك يسسى؟

أبداك لي من يبيد * قلت : طوعا وسمعا!

فاخبرني بقصته . فسمعت له بلطف الحيلة وأعانني بحزم الرأي حتى فاز بالظفر .

قال أبو بكر الصولي : أعتل عبد الله بن المعتز فأتاه أبوه عائدا وقال : ما عراك ،

يا بني ؟ فأنشأ يقول :

أيها العاذلون ، لاتعذُّوني * وأنظروا حسن وجهها تعذروني!

وأنظروا هل تزوّج أحسن منها ، * إن رأيتم شبيها فاعذُّوني!

بي جنون الهوى ، وما بي جنون * وجنون الهوى جنون الجنون!

قال : فتبع أبوه الحال حتى وقع عليها ، فابتاع الحارية التي شُفِّب بها بسبعة آلاف

دينار ، ووجهها إليه .

وحكى أن الرشيد كان له ثلاث جوارٍ اشتد شغفه بهن ، فقال العباس بن

الأحنف على لسانه :

ملك الثلاث الآيات عاني * وحلّ من قلبي بكل مكان!

مالي تطاوعني البرية كلها ، * وأطيعهن وهن في عصياني؟

حاذلك إلا أن سلطان الهوى * وبه عز زن أعز من سلطاني!

أخذ المعنى والروى سليمان بن الحكم المستعين ، أحد خلفاء بني أمية بالأندلس ،

فقال :

عجبا سباب الليث حد متاني ، * وأهاب لحظ قواير الأجنان!

وأقارُع الأهوال لا متييا * منها سوى الإعراض والمجران!

وتعلكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه ناعم الأبدان!

ككواكب الظلماء لحن لناظير * من فوق أغصان على كُثبان.
هذي الهلال، وتلك بنت المشتري * حُسنًا، وهذي أختُ غصن البان!
حاكتُ فيهنَّ السُّلُو إلى الصبا * قفضى لسلطان على سلطان.
فأبحن من قلبي الحى وشينتي * عن عِزِّ مُلِكى كالأسير العاني.
لا تعذلوا ملكًا تذلل في الهوى! * ذُلُّ الهوى عِزٌّ ومُلكٌ ثاقب!
إن لم أطلع فيهنَّ سلطان الهوى * كلَّفا بهنَّ، فليست من مروان!
وإذا الكريمُ أحب، أَمِنَ الله * خطبَ الفيلَى وحوادث السلوان!
وقال العباس :

لأعازرِ الحبِّ إنَّ الحبَّ مكرمة * لكنه ربَّما أزرى بذى الخطر!



وأما القسم المذموم منه، وهو الذى شئنا بذكره في صدر هذا الفصل فقد
أكثر الناس القول في ذمه، ويتنوا أسبابه .

فقال ابن الجوزى : بيان ذمه أن الشيء إنما يعرف مذموما أو ممدوحا بتأمل
ذاته وفوائده وعواقبه، وذات العشق لمَّح بصورة، وهذا ليس فيه فضيلة فتمدح،
ولا فائدة في العشق للنفس الناطقة، إنما هو أثر غلبة النفس الشهوانية .

وقال بعض الحكماء : ليس العشق من أدواء الخُصَفَاء الحكماء ، إنما هو من
أمراض الخُلَمَاء الذين جعلوا دأبهم ولحجهم متابعة النفس وإرخاء عَنَان الشهوة
وإمراح النظر في المستحسَنات من الصور . فهناك تنقيد النفس ببعض الصور
فتأنس، ثم تألف، ثم تتوق، ثم تلَّهج، فيقال «عَشِقَ» . وليس هذا من صفة الحكماء :

لأن الحكيم من استطال رأيه على هواه، وتسلمت حكته على شهوته . فرعونات طبعه مقيدة أبدا كصبي بين يدي معلمه أو عبد بمرأى سيده ، وما كان العشق قط إلا لأرعن بطل . وقل أن يكون لمشغول بصناعة أو تجارة ، فكيف لمشغول بالعلوم والحكم ، فإنها تصرفه عن ذلك . ولهذا لا تكاد تجده في الحكماء .

- وقال ابن عقيـل : العشق مرض يعترى النفوس العاطلة ، والقلوب الفارغة المتلمصة للصور لدواعج من النفس ، ويساعدها إدمان اغطاطة ، فينادي كد الإلف ويتمكن الأئس ، فيصير بالإدمان شغفا . وما عشق قط إلا فارغ . فهو من علل البطالين وأمراض الفارغين من النظر في دلائل العبر ، وطلب الحقائق ، المستدل بها على عظم الخلق . ولهذا قلما تراه إلا في الرغن البطرين ، وأرباب الخلاعة التوكي . وما عشق حكيم قط : لأن قلوب الحكماء أشد تمنا عن أن توقعها صورة من صور الكون مع شدة تطلبها ، فهي أبدا تلحظ وتخطف ولا تقف . وقل أن يحصل عشق من لحة ، وقل أن يضيف حكيم إلى لحة نظرة ، فإنه ماز في طلب المعاني ، ومن كان طالبا لمعرفة الله لا توقفه صورة عن الطلب لأنها تحجبه عن الصور .

- وقال ابن الجوزي : وأعلم أن العشاق قد جاوزوا حد البهائم في عدم ملكة النفس في الاقياد إلى الشهوات : لأنهم لم يرضوا أن يصيبوا شهوة الوطء وهي أقبح الشهوات عند النفس الناطقة من أي موضع كان حتى أرادوها من شخص بعينه فضموا شهوة إلى شهوة ، ودلوا للهوى ذلا على ذل . والبهيمة إنما تقصد دفع الأذى عنها حسب . وهؤلاء استخدموا عقولهم في تدبير نيل شهواتهم .

- ثم قال : والعشق بين الضر في الدين والدنيا . أما في الدين فإنه يشغل القلب عن الفكر فيما له حاق : من معرفة الله تعالى ، والخوف منه ، والعرب إليه . ثم ينفذ ما ينال

من موافقة غرضه المحزوم الذي يكون فيه خسران آخرته . ويعرضه لعقوبة خالفه .
فكلما قُرب من هواه ، بُعد من مولاه . ولا يكاد العشق يقع في الحلال المقدور عليه
فإن وقع ، فيأسرعان زواله ! قالت الحكمة : كل مملوك مملول . وقال الشاعر :
وزادني شغفا بالحبيب أن متعت . أحب شيء إلى الإنسان مامئعا .

فإن كان الممشوق لا يباح ، آتتد التلق به والطلب له . فإن نيل منه عرض ،
فالعذاب الشديد في مقابلته . على أن بلوغ الغرض يزيد ألما فتزني مرارة التفرق على
لذة الوصال . كما قال الشاعر :

كل شيء ربيته في التلاني . والتلاني خسرته في الحراق .

فإن منعه خوف الله تعالى عن نيل غرضه ، فالامتناع عذاب شديد فهو معذب
في كل حال .

هذا ضرره في الدين .

وأما ضرره في الدنيا فإنه يورث الهم الدائم . والفكر اللازم . والوسواس . والأرق ،
وقلة الطعام . وكثرة السهر . ويتسلط على الجوارح فتشتا الصغرة في البدن ، والرعدة
في الأطراف . والتجلمجة في اللسان . والتحول في الجسد . فالرأى عاقل ، والقلب
غائب عن تدبير مصلحة ، والدموع هواطل ، والحسرات تفتزع . والزفات تتوالى ،
والأفاس لا تمتد . والأحشاء تضطرم . فإذا غشي على القلب غشاء ثانياً أخرج
إلى الجنون . وما أقرب حيلته من التاف !

فإن : هذا ، وكبحي من جناية على العرض . ووهن الجاه بين الخلق . وربما أوقع
في عقوبات البدن وإقامة الحدود .

وقال جالينوس : العشق من فعل النفس . وهي كائمة في الدماغ والقلب والكبد .

وفي الدماغ ثلاثة مساكن :

مسكن للتخيّل ، وهو في مقمّ الرأس ؛

ومسكن للذكّر ، وهو في وسطه ؛

ومسكن للذكّر ، وهو في مؤخره .

- ولا يسمى عاشقا إلا من إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد ، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيّل والفكر والذكر فيكون جميع مساكن النفس قد أشتغلت به .

وقال الجاحظ : ذكر لي عن بعض حكماء الهند أنه قال : إذا ظهر العشق عندنا في رجل أو امرأة ، غَدونا على أهله بالعزّية .

- ١٠ ناد : وبلغني أن عاشقا مات بالهند عشقا ، فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله به .
وقال الرمي : سمعت أعرابية تقول : مسكينُ العاشق ! كل شيءٍ عدوه ! هُوب
الريح يُفْلِقُه ، ولَمّا ان البرق يُوْرِقُه ، ورسوم الديار تُحْرِقُه ، والمسلل يؤلّه ، والتذكّر يُسَمِّعُه ، والبعد والقُرب يبيّجُه ، والليل يُضَاعِفُ بلاءه ، والرقاد يهْرُبُ منه . ولقد
تداوَبْتُ بالقرب والبعد فلم ينجع فيه دواء ، ولا عَزَّ بِي عزاء .

وقال شاعر :

وقد زعموا أنّ الحبَّ إذا دنا * يُمِلُّ ، وأنَّ النَّأْيَ يَشْفِي من الوجد !

بكلِّ تداوينا ، فلم يُشْفَ ما بينا ! * على أنّ قُرب الدار خيرٌ من البعد !

وأشدُّ المارساتاني :

إذا قُربت دار كُفْتُ ، وإن نأت * أَسِفْتُ ! فلا بالقُرب أسلو ولا البعد !

وإن وعدت زاد الهوى لاستنظارها ، وإن نجلت بالوعد مُت على الوعد !
ففى كُلِّ حُبٍّ لا محالةَ فرحةٌ ، وحبُّك ما فيه سوى مُحْكَمِ الجهد !

وحكى الزبير بن بكار قال : حدثني موهوب بن راشد قال : وقفت امرأة من
بنى عُقَيْل على أخت لها ، فقالت لها : يا فلانة ، كيف أصبحت من حبِّ فلان ؟
قالت : قلَّقل والله حبه الساكن ، وسكن المتحرك ! ثم أنشدتها :

ولو أن ما بيني بالحصى فلق الحصى ، وبالريح لم يسمع لمَّ هُبُوب !
ولو أني أستغفرُ الله كَلِّا ، ذكرتك لم يكتب على ذُنُوب !

قالت : لا بَرَمَ والله ، لا أقف حتى أسأله كيف أصبح من حبِّك ! فجاءته فسأته
فقال : إنما الهوى هو أن ، وإنما حُوفُلب باسمه ، وإنما يعرف ما أقول من كان
مثل قد أبكته المعارف والطلول .

وقال مسلم بن عبد الله بن جندب المذلي : نهرجت أنا وريان السواق إلى العقيق
فلقينا نسوة نازلات من العقيق ذوات جمال وفيهن جارية حسناء العينين ، فأنشد ريان
قول أبي :

ألا يا عباد الله ، هذا أخوكم ، قِيلَ ! فهل فيكم اليوم نازر ؟
خُلُوا بدي إن مت كلَّ حريرة . مريضة جفن العين ، والطرف ساحر !

وأقبل على ، وأشار إليها فقال : يا أبن الكرام دم أبيك في أنوابها فلا تطلب
أثرا بعد عين ! قال : فاقبلت على امرأة جميلة ، أجمل من تيك ، فقالت : أنت ابن
جندب ؟ قلت : نعم . قالت : إن أسيرة لا يفك ، وقتيلنا لا يودى ، فاحتسب أباك ،
وأغنم نفسك ! ومضين .

ذكر شيء من الشعر المقول في ذم العشق والحب

قال الأحمسي: سئل أعرابي عن الحب، فقال: وما الحب؟ وما عسى أن يكون؟
هل هو إلا سحر أو جنون. ثم قال:

هل الحب إلا زفرة بعد زفرة، وحرر على الأحشاء ليس له برد؟
وفيض دموع العين متى كلبا. بدا علم من أرضكم لم يكن يلدو؟

وقال: قلت لأعرابي: ما الحب؟ فقال:

الحب مشغلة عن كل صالحة، وسكرة الحب شتى سكرة الوسن.

وقال محمد بن عبد الله بن مبادر:

من فني أصبح في الحب سقاءه الحب ممتا؟

كلما أخى جوى الحب، عليه الدمع تمنا.

ساهر لا يطعم النوم، إذا الليل آداهما.

كلما راقب نجما، فهو، راقب نجما.

أنتموهمي فإن لم، فصلوني من غما.

يا ثقاتي، خطم الحب لكم انفي وزنا!

يا أنبي، داني جوى الحب وداء الناس حمي.

لا تلم مفتضا في الشحب، إن الحب أعمى!

وقال محمد بن أبي أمية:

فوافقه، ما أدري امن لوعة الهوى = صبرت على التقصير أم ليس لي قلب؟

أصبح أمرا، والفؤاد يوده، = أجن فؤادي في الهوى؟ بل هو الحب.

وقال أبو عبادة البصري :

قال بطلا وأبال الراى مَنْ * لم يُقَلْ إن المنيا في الحندق !
إن تكن محسباً مَنْ قد نوى * يحمام ، فاحتسب من قد عشق !

وقال أبو تمام :

أما الهوى فهو العذاب ، فإن جرّت * فيه النوى فالتيم كل التيم .
وقال ابن أبي حصينة :

والعشق يجذب النفوس إلى الردى * بالطبع ، واحسدا لمن لم يعشق !
طرق الحبال فهاج لي بطروقه * ولها ، فليت خيالها لم يطرق !

وقال صالح بن عبد القدوس :

عاص الهوى إن الهوى مركب * يصعب بعد اللين منه القول !
إن يحلب اليوم الهوى لذة * ففي غد منه البكا والعويل .

وقال ابن المعتز :

فكان الهوى أمرؤ عاوى * ظن أني وليت قتل الحسين !
وكأن لديه تجمل زياد * فهو يختار أوجع القتلين !

وقال أبو عبد الله بن الجراح :

ويحك ، يا قلبى ما أغفلك ! * تعشق من يشق أن يقتلك ؟
وأنت يا طرقي أوقعتني ، * ويحك يا طرقي ما لي ولك ؟
قد كان من حق بكائي على * تبلي الحب أن يشغلك .
حتى توصلت لقتلي ، فلا * كنت ولا كان الذي أرسلك !

وقال عبد المحسن بن غالب الصوري :

وكان أبنا الذي بي جُونا ، * فلما تمكّن أَمسى جُونا .

وكنْتُ أَظُنُّ الهوى هَيْبًا * فَلَاقَيْتُ مِنْهُ عَذَابًا مُهِينًا .

وقال أبو بكر بن محمد بن عمر العنبري :

إِصْباح ، إِنِّي مُدَّ عَرَفْتُ الهوى * غَرِقْتُ فِي بَحْرِ يَلا سَاحِل !

عَيْنِي لَحْنِي نَظَرْتُ نَظْرَةً * رُحْتُ بِهَا فِي شُغْلِي شَاغِل .

عَلَّقْتُهُ فِي الْبَيْتِ مِنْ فَارِس ، * لَكِنَّهُ فِي السَّحَرِ مِنْ بَايِل .

يَظْلُمُنِي ، وَالْعَدْلُ مِنْ شَانِهِ ! * مَا أَوْجَعَ الظُّلْمَ مِنَ الْعَادِل !

وقال آخر :

مَنْ مَرَّ أَنْ يَرَى الْمَنَايَا * بَيْنَهُ مَنَظَرًا صَرَّاحًا .

فَلْيَحْسُ كَأَنَّ مِنَ الصَّحَى * وَلْيَتَشَقَّ الْأَوْجُهُ الْمَلَّاحًا !

يَا أَعْيُنًا أُرْسِلَتْ مِرَاضًا * فَاخْتَلَسَتْ أَعْيُنًا مَحْضًا !

وقال آخر :

مَا أَقْتَلَ الْحُبَّ ! وَالْإِنْسَانُ يَجْهَلُهُ * وَكُلُّ مَالٍ يَذْفُقُهُ فَهُوَ جَهْلُهُ .

رَاحَ الرِّمَاءُ إِلَى بَعْضِ الْمَهَا ، فَإِذَا * بَعْضُ الرِّمَاءِ يَبْقِضُ الصَّيْدَ مَقْتُول !

وأما الآفات التي تجرى على العاشق من المرض والقضا والجنون والمخاطرات

بالنفوس وإلقائها إلى الهلاك ، فهي كثيرة جدًا ، مشاهدة ومسموعة .

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج بن الجوزي بسند يرفعه ، قال : لما بعثت قُرَيْشُ

عمارة بن الوليد مع عمرو بن العاص إلى النجاشي يكلمانه فيمن قدم عليه من المهاجرين ،

فراسل عمارة جارية لعمرو بن العاص كانت معه فصَبَّتْ إليه . فاطلع عمرو على ذلك

فوجد على عمارة. وكان عمارة أخبر عمرا أن زوجة النجاشي علقته وأدخلته إليها فوشى عمرو بعمارة عند النجاشي وأخبره بالخبر، فقال له النجاشي: آتني بعلامة أستدل بها على ماقلت! ثم عاد عمارة فأخبر عمرا بأسره وأمر زوجة النجاشي، فقال له عمرو: لا أقبل هذا منك إلا أن تُعطيك من دُهن الملك الذي لا يُلغى به غيره. فكلما عمارة في ذلك، فقالت: أخاف من الملك فأبي أن يرضى منها حتى تعطيه من ذلك الدهن فأعطته منه فأعطاه عمرا بخاء به عمرو إلى النجاشي فنسخ عمرا في أحليل عمارة، فذهب مع الوحش (فيما تقول قريش) فلم يزل متوحشا يرد ماء في جزيرة بأرض الحبش حتى خرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه فرصدته على الماء فأخذته فجعل يصيح به: يا بجير أرسلي! فإني أموت إن أمسكتني! فأمسكه فمات في يده.

وحكى عن محمد بن زياد الأعرابي قال: رأيت بالبادية أعرابيا في عتقه تماثم وهو عريان وعلى سواته نرقعة وفي رجله حبل ومن خلفه عجز آخذة بطرف الحبل وهو يعض ذراعيه، فقلت للمجوز: من هذا؟ قالت: ابن أبتى! فقلت لها: أبه مس من الجن؟ قالت: لا والله ولكنه نشأ وأبنة عم له في مكان واحد، فعلقها وعلقته. فحبسها أهلها ومنموها منه فزال عقله وصار إلى ما ترى! فقلت لها: ما اسمه قالت: عكرمة. فقلت: أيا عكرمة ما أصابك؟ قال: أصابني داء قهس وعصرة وجيل: فالجسم مني نحيل، والفؤاد عليل. قال: فتركته ومضيت.

وحكى عن عباس بن عبيد، قال: كان بالمدينة جارية ظريفة حاذقة بالغناء قويوت

فهي من قريش، فكانت لا تُفارق ولا يفارقها. فلما الفتي وفارقها، وزادت محبتها له حتى ولدت. وذهاب الأمر بها حتى هامت على وجهها ومزقت ثيابها، فزأما مولها في ليلة من الليالي، وهي تدور في السكك ومعه أصحاب له، فجعلت تبكي وتقول:

الحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ . تَأْتِي بِهِ وَتَسْوِقُهُ الْأَقْبَادُ .
حَقٌّ إِذَا أَفْتَحَ الْفَتَى بُلُوحَ الْهَوَى . جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تَطْلُقُ كِبَارُ .
قال : فما بين أحد إلا رحمة . فقال لها مولاه : يا فلانة ، أمضى معنا إلى بيتنا !
فابت وقالت :

سَقَلَ الْحَلُّ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا .

قال : وذكر بعض من رآها ليلة وقد لقيتها جارية أخرى مجنونة فقالت لها :
فلانة ، كيف أنت ؟ قالت : كما لا أحب ، فكيف أنت من ولحك وحبك ؟ قالت :
على ما لم يزل ، يترأى على مرّ الأيام ! قالت لها : ففني بصوت من أصواتك فإني قريبة
الشبه بك ! فاخذت قصبة توضع بها وغتت :

يَا مَنْ شَكَا أَلَمًا لِحُبِّ شَبِيهِ * بالنار في القلب من حزنٍ وتذكارٍ
إِنِّي لِأَعْظِمُ مَا بِي أَنْ أَشَبِّهَهُ * شيئا يُقَاسُ إِلَى مِثْلٍ وَمِقْدَارٍ .
لَوْ أَبَتْ قَلْبِي فِي نَارٍ لِأَحْرِقَهَا * لَأَبْتُ أَجْزَاءَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ !
ثم مضت .

وحكى عن سليمان بن يحيى بن معاذ قال : قدم على بنيسابور إبراهيم بن سبابة
الشاعر البصري . فأنزلته على جلاء ليلة من الليالي وهو مكروب قد هاج . فجعل يصيح
بى : يا أبا أيوب ! نخشيت أن يكون قد غشيت به بليّة ، فقلت : ما تشاء ؟

فقال :
أَعْيَانِي الشَّادِدُ الرَّيْبُ ! *

فقلت : بما ذا ؟

فقال :
أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَا يُجِيبُ ! *

فقلت : داره وداوه !

قَالَ :

مِنْ أَيْنَ أَبْنَى شِفَاءَ دَائِي ؟ • وَإِنَّمَا دَائِي الطَّيِّبُ !

قُلْتُ : إِذْ ذَا يُزَوِّجُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ !

قَالَ :

يَا رَبِّ • فَزَجَّ إِذَا وَجَلَ • • فَلَئِكَ السَّامِعُ الْغَيْبُ !

ثُمَّ أَنْصَرَفَ •

وَحَدَّثَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ عَنْ أَبِي الْخَطَّارِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ الْبَيْهَقِيِّ ، قَالَ :

إِنِّي لِمُزْدَلَقَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَالْغَيْظِ إِذَا سَمِعْتُ بَكَاءَ حَرْقًا وَغَيَاءَ عَالِيًا • فَاتَمَّتْ الصَّوْتُ

فَإِذَا أَنَا بِمِجَارِيَةِ كَأَنَّهُا الشَّمْسُ حَسَنًا وَمِمَّا عَجُوزَ • فَلَقَلْتُ بِالْأَرْضِ لَأَمْتَعَنَّ عَيْنِي

بِحَسَنِهَا ، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ :

دَعْوَتُكَ يَا مُوَلَّيَ سِرًّا وَجَهْرَةً • دَعَاءُ ضَعِيفِ الْقَلْبِ عَنْ مَجْلِ الْحُبِّ !

يُكَلِّمُ بِقَاسِيِ الْقَلْبِ لَا بِعَرَفِ الْهَوَى • وَأَقْسَلُ خَلْقَ اللَّهِ لَهَائِمِ الصَّبِّ !

فَإِن كُنْتُ لَمْ تَقْضِ الْمَوْتَةَ بَيْنَنَا • فَلَا تُحْمِلْ مِنْ حَبِّ لَهٍ أَبَدًا قَلْبِي !

رَضِيتُ بِهَذَا مَا حَبِيتُ فَإِنْ أَمْتُ • لِحُسْبَى مَعَادًا فِي الْمَادَدِ بِهِ حُسْبَى !

قَالَ : وَجَعَلْتُ تَرْتَدُّ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَتَبْكِي ، فَقَعْتُ إِلَيْهَا وَقُلْتُ : بِنَفْسِي مَنْ أَنْتِ ؟

مَعَ هَذَا الْوَجْهِ وَهَذَا الْجَمَالِ يَمْتَنِعُ عَلَيْكَ مَنْ تَرِيدِينَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ! وَاللَّهِ إِنَّهُ يَفْعَلُ

تَصَبُّرًا وَفِي قَلْبِهِ أَكْثَرُ مَا فِي قَلْبِي ! قُلْتُ : فَلَئِمَّ الْبَكَاءُ ؟ قَالَتْ : أَبَدًا ! أَوْ يَصِيرُ

الدَّمْعُ دِمَا وَتَتَلَقَّهَ نَفْسِي غَمًّا • قُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْحَيِّجِ ، فَلَوْ سَأَلْتُ

اللَّهَ تَعَالَى التَّوْبَةَ مَا أَنْتِ فِيهِ ، رَجَوْتُ أَنْ يَذْهَبَ حَبِي مِنْ قَلْبِكَ ! قَالَتْ : يَا هَذَا ،

عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ فِي طَلَبِ رَغْبَتِكَ ، فَإِنِّي قَدْ قَلَمْتُ رَغْبَتِي إِلَيْكَ مِنْ لَيْسَ بِمَجْلٍ بَقِي !

وَحَزَلْتُ وَجْهَهَا عَنِّي ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى بَكَائِهَا وَشَعْرَهَا •

وحكى أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي في كتابه المترجم
 به "ذم الهوى" بسند رفعه إلى هشام بن عروة، قال: أذن معاوية بن أبي سفيان
 يوما للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بنى عُدرة. فلما أخذ الناس مجالسهم،
 قام الفتى العذرى بين الساطين فأنشأ يقول:

- مُعَاوِي، يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْحِلْمِ وَالْعَقْلِ * وَذَا الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْبَلَدِ!
 أَنْتَ كَلَّمَا ضَاقَ فِي الْأَرْضِ مَسْكَنِي * وَأَنْتَ كَرْتُمْ مَا قَدْ أَصَبْتُ بِهِ عَقْلِي.
 ففَرَّجَ - كَلَّاكَ اللَّهُ - عَنِّي فَاثْنِي * لَقِيتُ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ قَبْلِي!
 وَخَذَلَنِي - هَذَاكَ أَفْسَحِي - مِنَ الَّذِي * رَمَانِي بِسَمِّهِ كَأَنَّهُ قَتَلَنِي!
 وَكَنتَ أَرْجُو عَذْلَهُ إِنْ أَتَيْتَهُ * فَأَكْثَرَ تَرْدَادِي مَعَ الْحَيْسِ وَالْكَجْلِ!
 سَبَّابِي سَعْدِي وَأَبْرَى نُحُوصُمِي * وَجَارَ وَلَمْ يَفْزِلْ وَغَاصِبِي أَهْلِي.
 ففَطَّقْتُهَا مِنْ جَهْدِ مَا قَدْ أَصَابَنِي! .. فهذا أمير المؤمنين من العُدل!
 فقال معاوية: أَدُّ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ! مَا خَطْبُكَ؟ فقال: أظال الله بقاء أمير المؤمنين!
 إني رجل من بنى عُدرة، تزوجت ابنة عمي. وكانت لي صِرمَةٌ من الإبل وشُويَّات
 فأهفقت ذلك عليها، فلما أصابني نائبة الزمان وحادثات الدهر، رَغِبَ عَنِّي أبوها.
 وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكَرِهْتُ مَخَالَفَةَ أَبِيهَا. فَأَتَيْتُ عَامِلَكَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ
 مستصرخا به راجيا لنصرته. فذَكَرْتُ لَهُ قِصَّتِي، فَأَحْضَرَ أَبَاهَا وَسَأَلَهُ عَنِ قِضِي. وَكَانَ
 قَدْ بَلَغَهُ جَمَالُهَا، فَدَفَعَ لَأَبِيهَا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَقَالَ لَهُ: هَذِهِ لَكَ، وَزَوَّجْنِي بِهَا
 وَأَنَا أَضْمِنُ خِلَاصَهَا مِنْ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ! فَرَغِبَ أَبُوهَا فِي الْبَذْلِ فَصَارَ الْأَمِيرُ لِي خَصْمًا
 وَعَلَى مَنِكَرٍ! فَاتَهَرْتُ وَأَمَرَ بِي إِلَى السِّجْنِ وَأُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ أَطْلُقَهَا فَلَمْ أَفْعَلْ. فَخَبَسَنِي
 وَضَبُّقَ عَلَيَّ وَعَذَّبَنِي بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، فَلَمَّا أَصَابَنِي مَسُّ الْحَدِيدِ وَالْمُ عَذَابِ وَلَمْ أَجِدْ

بداً عن ذلك، طلقها . فما استجلبت عنها حتى تزوج بها . فلما دخل بها أرسل إلى فاطمى . وقد أتيتك يا أمير المؤمنين مستجيراً بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب . فهل من فرج ؟ ثم بكى وقال في بكائه :

فِي الْقَلْبِ مِثِّي نَارٌ * وَالنَّارُ فِيهَا اسْتِعَارُ !
وَالْحَسَمُ مِثِّي تَحِيلٌ * وَاللَّوْنُ فِيهِ أَصْفَرَارُ .
وَالْعَيْنُ تَبْكِي بِسَجْوٍ * فَسَدَمُهَا مَذَارُ .
وَالْحُبُّ دَاءٌ عَسِيرٌ * فِيهِ الطَّيِّبُ يَحَارُ .
حَلَّتْ مِنْهُ عَظِيَا * فَمَا عَلَيْهِ أَصْطَبَارُ .
فَلَيْسَ لِي لَيْلٌ لَيْلًا * وَلَا نَهَارٌ نَهَارًا !

فوق له معاوية وكتب إلى ابن الحكم كتاباً غليظاً، وكتب في آخره :

رَكِبْتَ أَمْرًا عَظِيمًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ * أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جَوْرِ أَمْرِي زَانِي !
قَدْ كُنْتُ تُنْسِبُهُ صَوْفِيًّا لَهُ كُتِبُ * مِنَ الْفَرَاهِضِ أَوْ آيَاتِ فُرْقَانٍ .
حَتَّى أَتَانَا الْفَتَى الْعَذِرِيُّ مَتَحِبًّا * يَتَسَكَّوْا إِلَى بَحْقٍ غَيْرِ بُهْتَانٍ .
أُعْطِيَ الْإِلَاهَ عَهْدًا لَا أَخْيِسُ بِهَا * أَوْ لَا فُيِّرَتْ مِنْ دِينٍ وَإِيمَانٍ !
إِنْ أَنْتَ رَاجَعْتَنِي فِيمَا كُتِبْتُ بِهِ * لِأَجْعَلَنَّكَ لِمَا بَيْنَ عِقَابَانِ !
طَلَّقْ مُسَاعَدًا، وَجَهِّزْهَا مَجْجَلَةً * مَعَ الْكَيْتِ، وَمَعَ نَصْرَيْنِ ذِيانِ !
فَمَا سَمِعْتُ كَمَا بُلِّغْتُ مِنْ عَجَبٍ * وَلَا ضَالَّكَ حَقًّا فَعَلَّ إِنْسَانُ !

ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الكيت ونصرين ذيان وقال : أذهباً به إليه !

قال : فلما ورد كتاب معاوية على ابن الحكم وقرأه تنفس الصعداء، وقال : وَدِدْتُ

٢٠ أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَلَّى بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَنَةً ثُمَّ عَرَضَنِي عَلَى السَّيْفِ ! وَجَعَلَ يُؤَاسِرُ نَفْسَهُ

في طلاقها فلا يقدر . فلما أزعجه الوفد طلقها وأسماها إليهما . فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما أشتملت عليه من الجمال المفرط ، قالوا : لا تصلح هذه إلا للأمير المؤمنين ! وكتب ابن الحكم كتابا للأمير المؤمنين معاوية ، ودفعه إليهما مع الجارية . فكان مما كتب فيه يقول :

- لا تحننَ أمير المؤمنينَ قَدَدُ * أوفى بهُلك في رفق وإحسان .
وما ركبْتُ حرامًا حينَ أعجبتُ ، * فكيف تُبَيِّتُ باسمِ الخاطِرِ الزاني ؟
أعذر فانك لو أبصرتها لجرتُ * منك الأمانى على تمثال إنسان !
وسوف تأنيك شمسٌ ليس يعيها * عند البرية من إنس ومن جان !
حوراءُ بقصرِها الوصفُ إن وُصفَتْ ، * أقولُ ذلك في سرٍّ وإعلان !

- فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه ، قال : لقد أحسن في الطاعة ، ولكن أظن
في ذكر الجارية ! ولئن كانت أعطيت حسن النعمة مع هذا الوصف الحسن فهي
أجل البرية ! فأمر بإحضارها ، فلما مثلت بين يديه ، استنطقها فإذا هي أحسن الناس
كلاما وأكملهم شكلا ودلالا . فقال : يا أعرابي ، هذه سعدى ! ولكن هل لك عنها
من سلوة بأفضل الرغبة ؟ قال نعم ، إذا فرقت بين رأسي وجسدي ! فقال : أعوضك
عنها يا أعرابي ثلاث جوارٍ أبكار ومع كل واحدة ألف دينار وأقسم لك من بيت
المال ما يكفيك في كل سنة ويعينك على صحبتن . فشوق شهقة ظن معاوية أنه
مات . فقال له : ما بالك يا أعرابي ؟ قال : أشربال وأسوأ حال ، استجرت بذلك
من جور ابن الحكم ، فعند من أستجير من جورك ؟ ثم أنشأ يقول :

- لا تجمعلني والأمنال تُضربُ بي * كالسيفِ من الرمضاء بالنار !
أرددُ سعادَ على حيرانَ مكتئبٍ * يُسمى ويصيح في همٍّ وتدكار !

قَدْ شَقَّهَ فَلَقَّ مَامِثْلُهُ فَلَقَّ ۝ وَأَسْمَرَ الْقَلْبُ مِنْهُ أَيْ إِسْجَارًا !

كَيْفَ السُّكُوءُ ، وَقَدْ هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا ۝ وَأَصْبَحَ الْقَلْبُ عَنْهَا غَيْرَ صَبَارٍ ؟

(١٨)

قال : فغضب معاوية غضبا شديدا ، ثم قال : يا أعرابي ، أنت مقر بأنك طلقها !
ومروان مقر بأنه طلقها ، ونحن نخبرها فإن اختارتك أعدناها إليك بعقد جديد ، وإن
اختارت سواك زوجناه بها ، ثم ألفت إليها أمير المؤمنين وقال : ما تقولين ، يا سعدى ؟
أيما أحب إليك ، أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده ،
أومروان بن الحكم في شغفه وجوره ، أو هذا الأعرابي في فقره وسوء حاله ؟
فأنشأت تقول :

هَذَا ، وَإِنْ كَانَ فِي فَقْرٍ وَإِضْرَارٍ ، ۝ أَعَزُّ عِنْدِي مِنْ قَوْمِي وَمِنْ جَارِي !

وَصَاحِبِ النَّسَاجِ أَوْ مَرْوَانَ عَالِيَهُ ۝ وَكُلَّ ذِي دَرْهَمٍ عِنْدِي وَدِينَارٍ !

ثم قالت : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنا بخاذلته لحاجة الزمان ولا لتفترات الأيام !
وإن لي معه محبة لا تنسى ومحبة لا تبلى ! والله إنني لأحق من صبر معه في الضراء
كما تتعمت معه في السراء ! فعجب كل من كان حاضرا ، فامر له بها ثم أعادها له بعقد
جديد ، وأمر لها بألف دينار . فأخذها وأنصرف يقول :

خَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ لِلْأَعْرَابِيِّ ! ۝ أَلَمْ تَرَ قَوْمًا ، وَيَحْكُمُ مَسَائِي ؟

[قال : فضحك معاوية وأمر بها فأدخلت في قصوره حتى أقضت عتقها من
أبن الحكم ثم أمر برضاها إلى الأعرابي] ۝

(١) روى هذا الشترقي نسخة أخرى على وجه آخر وهو :

هَذَا وَإِنْ أَصْبَحَ فِي الْحَارِ ۝ وَكَانَ فِي قَصْرِ مِنَ الْيَسَارِ

أَكْثَرُ عِنْدِي مِنْ أَيْ وَجَارِي ۝ وَصَاحِبِ الدَّرْهَمِ وَالْدِينَارِ

۝ أَخْشَى إِذَا غَلَوْتَ حُرَّ النَّارِ ۝

(٢) وجدت هذه الزيادة في بعض النسخ .

ولقد ساق ابن الجوزي في كتابه من أخبار المشاق وما نالهم من الأمراض والجنون والضنا، وقص كثيرا من أخبارهم، تركا لإيراد ذلك رغبة في الاختصار، لأنه أمر غير منكور.



- وأما من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوه، فمن ذلك ما روى عن أبي ربحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان أنه قال: كان عبد الملك يميل يومين في الأسبوع جلوسا عاما للناس: فبيتا هو جالس في مُستشرف له وقد ادخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قصة غير مترجمة. فيها:
- «إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تنفني ثلاثة أصوات ثم ينفذ في ما شاء من حكمه، فعل! »
- ١٠

- فاستشاط من ذلك غضبا وغيظا، وقال: يا رباح! على بصاحب هذه القصة! فخرج الناس جميعا فادخل عليه غلام كما عُدَّ، من أحسن الفتيان، فقال له عبد الملك: يا غلام، هذه قصتك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي غرَّكَ مني؟ والله لأمثلنَّ بك ولأردعنَّ بك نظرائك من أهل الجسارة! ثم قال: على بالجارية فجاء بها كأنها فلقة قر! وبيدها عودها ووضع لها كرسي، بغلست، فقال عبد الملك: مرها
- ١٥
- يا غلام! فقال لها: يا جارية، غنني بشعر قيس بن ذريح:

فهدكنتِ حَبَّ النِّس، لودام وودنا، * ولصكنا الدنيا متاع غُورٍ!
وكنا جميعا قبل أن يظهرَ الهوى * بأنسمِ حالي غبطة وسُورٍ.
فأبرح الواثونَ حتى بدت لنا * بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورٍ.

ففتت . فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب مخروقا ، ثم قال له
عبد الملك : مرها فتتك الصوت الثاني ! فقال : غننى بشعر جميل :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً * بَوَادِي الْقُرَى؟ إِنْى إِنَّا لَسَمِيدُ!
إِذَا قُلْتُ : مَا بِي بِأُثْبِنُهُ قَانِلِي * مِنَ الْحُبِّ! قَالَتْ: ثَابِتٌ وَزَيْدُ!
وَإِنْ قُلْتُ: رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشِيهِ * مَعَ النَّاسِ! قَالَتْ: ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ!
فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا، * وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ!
يَمُوتُ الْهَوَى مَتَى إِذَا مَا لَقِيَتْهَا، * وَيَحْيَا إِذَا فَارَقَهَا فَيُعْصِدُ!

ففتته الجارية . فسقط الغلام مغشيا عليه ساعة ، ثم أفاق ، فقال له عبد الملك : مرها
فلتتك الصوت الثالث ! فقال بإجارية ! غننى بشعر قيس بن الملقح :

وَفِي الْحَبْرِ الْعَادِينَ مِنْ بَطْنٍ وَجَعٍ * غَزَالٌ غَضِيبُ الْمُقْلَتَيْنِ رَيْبُ.
فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى، * وَلَكِنْ مَنْ تَتَأَنَّى عَنْهُ غَرِيبُ!

ففتته الجارية فطرح نفسه من المستشرف ، فتقطع قبل وصوله إلى الأرض . فقال
عبد الملك : ويحه ! لقد عَجَّلَ على نفسه ! ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل !
وأمر بإخراج الجارية عن قصره ، فأخرجت . ثم سأل عن الغلام فقالوا : غريب ،
لا يعرف إلا أنه منذ ثلاث ينادى في الأسواق ، ويده على رأسه :

غَنَا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ، * وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ عُنَا!

(١٧)

وحكى أن مثل هذه الحكاية جرت في مجلس سليمان بن عبد الملك .

حكى عن أبي عثمان الجاحظ أنه قال : قعد سليمان بن عبد الملك يوما فلقام
وعُرضت عليه القصص فزوت به قصة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أن يخرج إلى فلانة

(أخذى جواريه) حتى تفتني ثلاثة أصوات، فعل . فأغتاظ سليمان وأمر أن يؤتى برأسه . ثم أتبع الرسول برسول آخر فأمره أن يدخل الرجل إليه . فلما مثل بين يديه، قال له : ما الذي أهلك على ما صنعت ؟ فقال : الثقة بملكك، والافتكال على عفوك . فأمره بالخلوس فأجلس حتى لم يبق لمن يثق بمن أمانة أخذ . ثم أمر بإخراج البحارية فأنزعجت وملأها عوداً ثم قال : آخذوا . فقبلك . فتنى لي بقول قيس بن الملقح :

تعلق رويح روعها قبل أن تحلقنا * ومن بعد أن كنا نطافاً وفي المهد !
فبما أتنا الكا عشنا فأصبح نأمية * فليس نوا إن مئتنا بنصف العهد .
يكاد قضيض اللاء يحدس بجلدها * إذا أغسلت بالماء من رقة الجلد .
وإني لمستأق إلى ربيع حبيها * كما أشتاق إلى جنة الخلد !
ففتت . ثم قال : تأمر لي برطل . فأمر له به فشربه . ثم قال : تنى بقول جميل :
تعلقت الهوى منها وليناً * فلم يزل . إلى اليوم ينمى حبيها ويريد .
والأفتى شمري في انتظار نولها * وأبليت فيها الدهر وهو جديد .
فلا أنا مردود بها للبحث طالبا * ولا حبيها فيما بين يد .
إذا قلت : ما بي بأشيشة قاتلي * من الخب : قالت : ثابت وزيد .
وإن قلت : ردى بمن عقي أعش به * مع الناس : قالت : ذاك منك بيد .
ففتت ، فقال له سليمان : قل ماتريد ؟ قال : تأمر لي برطل ، فأمر له به فشربه .
ثم قال : تنى بقول قيس بن ذريح :

وقد كنت حسب النفس الأيات

فنت . فقال له سليمان : قل ما نشاء ! قال : تأمر لي برطل ! فأمر له به ،
فما أستتمه حتى وثب فصعد إلى أعلى قبة ثم زج نفسه على دماغه فمات . فاسترجع
سليمان وقال : أترأه توهم الجاهل أني أخرج إليه جاريتي وأردّها إلى ملكي ؟ يا غلام
خذ بيدها فأطلق بها إلى أهله إن كان له أهل ، وإلا فيميها وتصدقوا بتمثها عنه .
فلما أنطلقوا بها ، نظرت إلى حفرة في الدار قد أعلت للطير ، فجذبت يدها من أيديهم
وأنشأت تقول :

مَنْ مَاتَ عَشَقًا فَلَيْمَتْ هَكَذَا ! * لَأَخْبِرَنَّ عَشَقِي بِلَا مَوْتٍ !

وزجت نفسها في الحفرة على دماغها . فماتت .

وقد حكى أيضا مثل هذه ، وأنها وقعت للرشيدي .

روى عن أبي بكر محمد بن علي الخزومي قال : اشتريت للرشيدي جارية مدنية .
فأعجب بها وأمر الفضل بن الربيع أن يبعث في حمل أهلها ومواليها لينصرفوا بجوارزها .
وأراد بذلك تشريفها . فوفد إلى مدينة السلام ثمانون رجلا ، ووفد معهم رجل من أهل
العراق استوطن المدينة كان يهوى الجارية . فلما بلغ الرشيدي خبر مقدمهم أمر الفضل
أن يخرج إليهم ليكتب أمم كل واحد منهم وحاجته ، ففعل . فلما بلغ إلى العراق
قال : ما حاجتك ؟ قال له : إن أنت كتبتني وضمتني لعرضها مع ما يمرض ، أنباتك
بها . فقال : أفعل ذلك ، فقال : حاجتي أن أجلس مع فلانة حتى تنفني ثلاثة أصوات
وأشرب ثلاثة أرطال ، وأخبرها بما تئمن ضلوعي من حبها ! فقال الفضل : أنت مؤسوس
مدحول عليك في عقلك ! فقال : يا هذا ، قد أمرت أن تكتب ما يقول كل واحد منا
فأكتب ما أقول وأعرضه ، فإن أجبته إليه وإلا فانت في أوسع العذر ، فدخل
الفضل مغضبا فوقف بين يدي الرشيدي ، وقرأ عليه ما كتب من حوائجهم . فلما فرغ

قال : يا أمير المؤمنين فيهم واحد مجنون ! سال ما أجّل مجلس أمير المؤمنين عن التفوه به .
 فقال : قل ، ولا تجزعن ! فقال : قال كذا وكذا . فقال : أخرج إليه ، وقل له « إذا كان
 بعد ثلاث ، فأحضر لي نجر لك ماسالت » . وكن أنت متوّل الاستئذان له . ثم دعا بخادم
 فقال له : امض إلى فلانة فقل لها : حضّر رجل يذكر كذا وكذا وقد أجبناه إلى ماسال
 فكوني على أهبة . وخرج الفضل إلى الرجل وأخبره بما قال الرشيد ، فأنصرف وجاء
 في اليوم الثالث . فعزف الفضل الرشيد خبره فقال : يوضع له بحيث أرى كرسى
 من فضة ، وبها رية كرسى من ذهب ! وليخرج إليه ثلاثة أرطال ! ففعلوا ذلك وجاء
 الفتى بفلس على الكرسي ، والبحارية بإزائه ، فجعل يحثها والرشيد يراها ، فقال له
 الخادم : لم تدخل فقتشو وتصفى ! فأخذ رطلا ونثر ساجدا ، وقال : إن شئت
 أن تقبّ فتقبّي :

١٠

خيل لي عوجا ! بارك الله فيكما * وإن لم تكن هندا بارضكما فصدا !
 وقولا لها : ليس الضلال أجازنا ، * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا !
 غدا يكثر الباكون منا ومنكم ، * وترداد داري من دياركم بعدا !
 ففنت ، فشرب الرطل ، وحادثها ساعة . فاستحثه الخادم فأخذ الرطل بيده وقال :

١٥

غنى جعلني الله قدامك !
 تكلم من في الوجوه عيوننا ، * فنحن سكوت والهوى يتكلم !
 ونفصب أحيانا ونرضى طريفنا ، * وذلك فيما بيننا ليس يعلم !

ففتته وشرب الرطل الثاني وحادثها ساعة . وأستعجله الخادم فخر ساجدا يسكن
 واخذ الرطل بيده وأستودعها الله وقام ودموعه تستبق آسباق المطر وقال : إذا شئت
 أن تقبّي فتقبّي .

٢٠

أَحْسَنَ مَا تُكَاثِرُنَا ۖ وَخَانَا الذَّهْرُ وَمَا خُنَا!

فَلَيْتَ ذَا التَّهَرُّ لَنَا مَرَّةً ۖ عَادَ لَنَا الذَّهْرُ كَمَا كُنَا!

فنته الصوت، فقلّب التي طرفه فبصر بدرجة في الصحن، فأمها . فاتمه الخدم
ليهدوه الطريق، ففاتهم وصعد الدرجة فالتى نفسه إلى الأرض على رأسه ففات. فقال
الرشيد : عَجَلُ التّي ! ولو لم يَجَلْ لوهبها له !

+

ومن خاطري بنفسه في هواه وعرضها للتلف فنجا ونال خيرا، ما حكاها
أبن الجوزي بسند يرفعه إلى أبي الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه
المعروف بابن الترسى قال : كنت جالسا بمحضرة أبي، وأنا حدث، وعنده جماعة .
فحدثني حديث وصول النعم إلى الناس بالألوان الطريفة . وكان من حضر صديق
لأبي . فسمعت يحدث أبي، قال : حضرت عند صديق لي من التجار - كان يتجر بمائة
ألف دينار - في دعوة . وكان حسن المرأة، فقدم مائدة وقدم عليها ديك ريكة^(١) فلم يأكل

(١) في الباب الثاني الخاص بالحواض من كتاب "صفة الأطعمة" الموجود منه نسخة في مخطوطات دار الكتب المصرية ما نصه :

«ديكر بكة . يقطع اللحم أساطا ويترك في القدر ويلقى عليه يسير ملح وكف حمص مقشور وكفرة
بابية ورطبة ويصل مقطع وكراث ويطرح عليه غمرة ماء . ويقل ثم تؤخذ دعونه ويلقى عليه شويج
يسير ويخل بخر وعصى ويلقى عليه قليل قليل مسحوق ناعم ويطنخ حتى يتبين طعمه . ومن الناس
من يخلها بقليل سكر فاذا تضجت طرح فيها أطراف الطيب مع قليل وكزبرة بابية ويترك حتى يهدأ
وترفع آتتهى .

والظاهر أن صواب القبط (ديكرديكة) ثم اختصر أو حرف إلى ديكير بكة وذكر بكة لأن الذي
في المعاجم الفارسية (ديك برديك) فنى (ديك) القدر و(ر) فوق وعلى، فيكون المراد قدر فوق
قدر . وتقول هذه المعاجم إن هذا النوع المزوج يستعمل لأعمال التصعيد والتعطير . ولا يبعد أن
يكون هذا الطعام مما يبالغ في طيبه بالبخار أى يوضع قدره على قدر آخر فيها ماء يغل على النار
فسمى الطعام باسم وعائه ١٠

أفادني حضرة صاحب السعادة العلامة أحمد تيجور باشا .

١٥

٢٠

٢٥

- منها ، فامتنعنا . فقال : اكلوا ! فإنى أنا ذى بأكل هذا اللون ، فقلنا : نسألك على تركه . قال : بل أسألكم على الأكل ، وأحمل الأذى ! فأكل وأكلنا ، فلما أراد غسل يده أطال . فعددت عليه أنه قد غسلها أربعين مرة . فقلت : يا هذا ، وسوست ! فقال : هذه الأذى التي قرفت منها ! فقلت : وما سببها ؟ فامتنع من ذكر السبب ، فلما ألححت عليه ، قال : مات أبى وسنى عشرون سنة ، وخلف لى نعمة وفيرة ورأس مال ومتاعا فى دكانه . فقال لى حضرته الوفاة : يا بُنى ! إنه لا وارث لى غيرك ، ولا دين على ولا مظلمة ، فإذا أنا مت فاحسبْ جهازى وتصدق على بكذا وكذا . وأخرج عني حبة بكذا . وبارك الله لك فى الباقي ! ولكن أحفظ وصيقي ! فقلت : قل ! قال : لا تسرف فى مالك . فتحتاج إلى ما فى أيدي الناس فلا تجده . وأعلم أن القليل مع الإصلاح كثير ، والكثير مع الفساد قليل . فآلزم السوق وكن أقول من يدخلها ، وآخر من يخرج منها . وإن استطعت أن تدخلها سحرا بليل فافعل ، فإنك تستفيد بذلك فوائد تكشفها لك الأيام ، ومات . فانفذت وصيته . وعملت بما أشار به . وكنت أدخل السوق سحرا ، وأخرج منها عشاء . فلا أعدم من يحى ، يطلب كفتنا فلا يجد من قد فتح غيرى فاحتكم عليه ، ومن يبيع شيئا والسوق لم تقم فابتاع منه ، وأشياء من هذه القوائد . ومضى على سنة وكسره فصار لى بذلك جاء عند أهل السوق وعرفوا استقامتى وأكرموني .
- فبينما أنا جالس يوما ولم تكامل السوق ، وإذا بامرأة راكبة حمارا مصريا وعلى كفله منديل ديبقى^(١) ومعها خادم وحى بزى القاهرة . فبلغت آخر السوق ثم رجعت ، فزلت عندى . فقممت إليها وأكرمتها ، وقلت : ما تأمرين ؟ وتأملتني فإذا بامرأة لم أر قبلها

(١) ديبقى (بالياء الموحدة ثم الياء) مدينة كانت بالقرب من دمياط وكانت مشهورة بفنانش المسوحات

التي تعرف بأسمها .

ولا يسد لها إلى الآن أحسن منها في كل شيء . فتكلمت وقالت : أريد كذا وكذا (شيئا طلبتها) . فسمعت نغمة ورأيت شكلا قتلني فمشقتها في الحال أشد عشق ، وقلت : أصبري حتى يخرج الناس ، فأخذ ذلك لك فليس عندي إلا القليل مما يصلح لك . وأخرجت الذي عندي وجلست تحادثني ، وكان السكاكين في فؤادي من عشقها . وكشفت عن أنامل رأيها كالطلع ، ووجه كدارة القمر . فممت لئلا يزيد على الأمر ، وأخذت لها من السوق ما أرادت ، وكان ثمنه مع مالى نحو خمسمائة دينار ، فأخذته وركبت ولم تعطني شيئا . ودفع عني لما بداخلي من حبها أن أمنعها من المتاع إلا بالمال ، وأن أستبدل على متنها ومن دار من هي ؟ فحين غابت عني ، وقع لي أنها محتالة وإن ذلك سبب فقرى . فتصيرت في أمرى وكتمت خبري ، لئلا أتضجع بما للناس على . وأجمعت على بيع مالى بلى من المتاع وإضافته إلى ما عندي من الدراهم وأدفع أموال الناس إليهم ولزوم البيت والاقتصار على غلة المقار الذي ورثته . وأخذت أشرع في ذلك مدة أسبوع ، وإذا بها قد أقبلت ونزلت عندي ، فحين رأيته أنسيت جميع ما جرى علي ، وقت إليها . فقالت : يا فقي ، تأخرنا عنك لشغل عرض لنا ، وما شككنا في أنك لم تشك أنا آحتلنا عليك ، قللت : قد رفع الله قدرك عن هذا ! فقالت ، هات التخت والطيَّار ، فأحضرتها ، فأخرجت دنانير عتقا ، فوقفتي المال بأسره . وأخرجت تذكرة بأشياء أخر . فأنفذت إلى التجار أموالهم وطلبت منهم الذي أرادت ، وحصلت أنا

(١) . في شرح المقامات الحربية للحرزي . المسمى بالإيضاح في تفسير قول الحرزي في المقامة الثانية والأربعين « ثم احتضد صا السيار وأشد ملقا في الطيار » .

وفى طيشة شقه مائل « وما طاب بهما عاقل »

ما نعه : « الطيار ميار القهب لأنه على شكل الطائر وقيل هو ميزان لسان له » . فأقاده
حضرة صاحب السعادة العلامة أحمد . تهر باشا .

- في الوسط رجلاً جيداً، وأحضر التجار الثياب فقامت وعنتها معهم لنفسى، ثم بعها عليها بربح عظيم، وأنا في خلال ذلك أنظر إليها نظر من تألف حبها، وهي تنظر إلى نظر من قطنت بذلك ولم تنكره. فهممت بخطابها ولم أقدر عليه. وجمعت المتاع فكان ثمنه ألف دينار. فاخذته، وركبت ولم أسالها عن موضعها. فلما غابت عني، قلت: هذه الآن الحيلة المحككة! أعطيتي خمسمائة دينار وأخذت ألف دينار، وليس إلا بيع عقارى الآت، والحصول على الفقر! وتطاولت غيبتها عني نحو شهر. وألح التجار على المطالبة، فعرضت عقارى على البيع، ولازمني بعض التجار فوزنت جميع ما كنت أملكه ورقاً وعيناً. فبينما أنا كذلك، إذ نزلت عندي، فزال عني جميع ما كنت فيه برؤيتها. واستعدت الطيار والتخت، فوزنت المسال ورمت إلى تذكرة يزيد ما فيها على ألفي دينار بكثير. فتشاعلت بإحضار التجار ودفع أموالهم إليهم وأخذ المتاع منهم، وطال الحديث بيننا. فقالت لى: يا فتى، ألك زوجة؟ قلت: لا، والله ما عرفت امرأة قط، وأطمعني ذلك فيها، وقلت: هنا وقت خطابها، والإمسائك عنها عجز، ولعلها تعود أو لا تعود. وأردت كلامها فهيئتها. وقت كائى أحت التجار على جمع المتاع. وأخذت يد الخادم وأخرجت إليه دنانير وسألته أن يأخذها ويقضى لى حاجة. فقال: أفعل، فقصصت عليه قصتي وسألته توسط الأمر بيني وبينها. فضحك وقال: والله إنها لك أعشق منك لها! والله ما بها حاجة إلى أكثر هذا الذى تشتريه، وإنما تأتيك محبة لك وطريقاً إلى مطاولتك، فخطبها ودعنى، فحسرتنى على خطابها فخطبتها وكشفت لها عشقى ومحبتى وبكيت، فضحككت. وتقبلت ذلك أحسن قبول. وقالت: الخادم باتيك برسالتى. ونهضت ولم تأخذ شيئاً من المتاع، فرددته على أصحابه. وحصل لى مما أشتريته أولاً وثانياً ألفوف دراهم ربحاً،

ولم أعرف النوم في تلك الليلة شوقا إليها، وخوفا من انقطاع السبب بيننا. فلما كان بعد أيام جاءني الخادم، فأكرمتُه وسألته عن خبرها، فقال: هي والله علية من شوقها إليك، فقلت: أشرح لي أمرها، فقال: هذه مملوكة السيدة أم المقتر وهي من أخص جواربها، وأشتهت رؤية الناس والدخول والخروج. فتوصلت حتى جعلتها قهرمانة. وقد والله حشنت السيدة بحديثك وبكت بين يديها وسألها أن تزوجه منك، فقالت السيدة: لا أمل أو أرى هذا الرجل. فإن كان يستأهلك وإلا لم أدعك ورأيك. وتحتاج أن تحتال في إدخالك الدار بحيلة، فإن تمت وصلت بها إلى تزويجك بها، وإن أنكشفت ضرب عثقك. وقد أهدتني إليك في هذه الرسالة، وقالت لك: إن صبرت على هذا، وإلا فلا طريق لك واقه إلى، ولا لي إليك بعدها! فخلني ما في نفسي أن قلت: أصبر، فقال: إذا كانت الليلة فاعبر إلى المحرم، وأدخل إلى المسجد، وبث فيه. ففعلت ذلك. فلما كان وقت السحر، إذا بطيار قد قدم، وخدم قد رفعوا صناديق فراغا. فجعلوها في المسجد وأنصرفوا. ونرجعت الجارية فصعدت إلى المسجد، والخدم معها. فخلست وقرئت باقي الخدم في حوائج، وأستدعني فماتتني وقبلتني. ولم أكن نلت ذلك منها قبله. ثم أجلسني في بعض الصناديق وأقفلته. وطلعت الشمس وجاء الخدم بذياب وحوائج من المواضع التي كانت أهدتهم إليها، فجعلت ذلك بحضرتهم في باقي الصناديق، وأقفلتها. وحملت إلى الطيار وأتحدرد. فلما حصلت فيه ندمت وقلت: قتلت نسي لشهوة، وأقبلت ألومها تارة، وأشجعها وأمتبها أخرى، وأنذر النذور على خلاص، وأوطن مرة نفسي على القتل إلى أن بلننا الدار. وحل الخدم الصناديق، وحل صندوقي

- الخدم الذي يعرف الحديث ، وبادر به أمام الصناديق وهي ملى ، والخدم يحلون
 بقيتها . وكلما جازت بطائفة من الخدم والبوايين ، قالوا : نريد أن نقش الصندوق ،
 فتصيح عليهم ويقول : متى جرى الرسم ملى بهذا ؟ فيمسكون عنها وروحي في السباق
 إلى أن آتينا إلى خادم خاطبته ملى بالأستاذ . فعلت أنه أجل الخدم . فقال :
 لابد من فتح الصندوق الذي معك ، فخطبته بلين وذل ، فلم يجيبها . وعلمت أنها
 ماذلت ولها حيلة ، فأغى على . وأنزلوا الصندوق ليفتحوه . فبكت من شدة ما نالني
 من الفزع ، فخرى البول من خلال الصندوق . فصاحت : يا أستاذ ، أهلكك علينا
 متاعا بخسة آلاف دينار في الصندوق . ثياب مصبغات وماء ورد ، وقد أهلب
 على الثياب ، والساعة تخطط ألوانها . وهي هلاكي مع السيدة ! فقال لها : خذي
 صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو ، مرمى ! فصاحت بالخدم : أحملوا ، فأدخلت
 الدار ورجعت إلى روعي . فبينما نحن كذلك إذ قالت : واويلاه ! الخليفة والله !
 بفناء أعظم من الأول . وسمعت كلام خدم وهو يقول من بينهم : ويلك يا فلانة !
 إيش في صندوقك ؟ أرىنى هو ، فقالت : ثياب لستى يا مولاي ، والساعة أفتحها
 بين يديها ، وتراه . وقالت للخدم : أسرعوا ويلكم ! فأسرعوا فأدخلني إلى الحجر
 وفتحت الصندوق وقالت : أصعد من هذه الدرجة إلى الثرفة فاجلس فيها ،
 وفتحت صندوقا آخر فقلت بعض ما فيه إلى الصندوق الذي كنت فيه ، وأقبلت
 الجميع . وجاء المبتدر وقال : آفتحيه ، ففتحته ، فلم ير شيئا فيه . فصعدت إلى
 وجعلت تقبلي وترشقي . ونسبت ماجرى . ثم تركتني ، وأقبلت باب الحجر يومها .
 ثم جاءتني ليلا فاطمعتني . وسقتني وأنصرفت . فلما كان من غد جاءتني ، فقالت :
 السيدة الساعة نجيء ، فانظر كيف تخاطبها . ثم عادت بعد ساعة مع السيدة .

وقالت : أنزل ، فنزلت . فإذا بالسيدة جالسة على كرسي وليس معها إلا وصيفتان وصاحبتي . فقبلت الأرض وقتت بين يديها ، فقالت : أجلس ، فقلت : أنا عبد السيدة وخادمها ، وليس من علي أنت أجلس بحضرتها ، فتأملتني وقالت : ما آخرت يافلاة إلا حسن الوجه والأدب ، ونهضت ، بفاءتي صاحبتى بعد ساعة . وقالت : أبشر ، فقد أذنت لي في تزويجك ، وما بقي الآن عقبة إلا الخروج . فقلت : يسلم الله ! فلما كان من غد حملتني في الصندوق . فخرجت كما دخلت بعد مخاطرة أخرى وفزع نان . ونزلت في المسجد ورجعت إلى منزلي ، فتصنعت ، وحمدت الله تعالى على السلامة . فلما كان بعد أيام جاءني الخادم ومعه كيس وفيه ثلاثة آلاف دينار عينا وقال : أمرتني سني بإفاد هذا إليك من الملاء . وقالت : اشتري شيئا ومكروبا وخدماء ، وأصلح به ظاهرَكَ ، وأحضري يوم الموكب إلى باب العامة ، وفِف حتى تُطلب . فقد وافق الخليفة أن يزوجه بحضرتها . فأخذت المال وأجبت عن رُقعة كانت معه ، واشترت . أقالوه بشيء يسير منه وبقي الأكثر عندي . وركبت إلى باب العامة في يوم الموكب رَوى حسن . وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة ، ووقفوا إلى أن استلعيحتُ ودخلتُ . فإذا أنا بالمتنذر جالسا والقضاة والقواد وغيرهم من المشائمين . فنهبتُ المجلس وعُلبت كيف أسلمت . ففعلت . وتقدم المتنذر إلى بعض القضاة الحاضرين فخطب لي ووزجني . وخرجت من حضرتها . فلما انتهيت إلى بعض الدهاليز ، علل بي إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع القُرش الفائرة وفيها من الآلات والخدم والتماش مالم أر مثله قط . وآتصرف من أدخلني . فخلستُ يومى لا أقوم إلا إلى الصلاة . وخدم يدخلون وخدم يخرجون ، وطعام عظيم ينقل وهم يقولون : الليلة تُزَف فلانة باسم صاحبي إلى زوجها البزاز ،

- وأنا لا أصتق فرحا . فلما جاء الليل أُنْزِلَ في الجوع وأُثْقِلَتِ الأبوابُ ، ويُسْتُ
من الجارية ، فقامت أطوف الدار فوقعت على المطبخ . ووجدت الطباخين
جُلُوساً فاستطعمتهم فلم يبرقوني وقدروني بعض الكلاء . فقدموا إلى هذا اللون
مع رغيفين فاكلتهما وغسلت يدي بأشنان كان في المطبخ وقدرت أنها قد نثيت .
وعدت إلى مكاني . فلما جئ الليل إذا طبول وزمور وأصوات عظيمة ، وإذا
أنا بالأبواب قد نُفِثَتْ وصاحبتي قد أُهْدِيَتْ إلى وجاءوا بها بغلواها على . وأنا أقتر
أن ذلك في النوم . ثم تُرِكَتُ معي في المجلس . ونفزع ذلك البؤس . فلما خلونا ،
تقدمتُ إليها قبلتها وقبلتني . فلما شئت راحمة لحيتي ، رفستني فرمت بي عن المنصة
وقالت : أنكرتُ والله أن تُفْلِحَ يا عاتى ، يا سفلة ، وقامت لتخرج . فقامت وعَلِقَتْ
بها وقبلت الأرض ورجلها . وقلت : عرفيني ذنبي وأعملى بعده ما شئت ،
فقلت : ويحك ، أكلت ولم تنيلْ بذلك ! فقصصت عليها قصتي . فلما بلغت
إلى آخرها قلتُ : على وعلى — وحلفتُ بطلاقها وطلاق كل امرأة أتزوجها وصدقة
مالى وجميع ما أملكه والحج ماشيا على قدمي وكل ما يحلف به المساكين — لا أكلتُ
بعدها ديكيركة إلا غسلتُ يدي أربعين مرة . فاستحييتُ وتبسمتُ وصاحبت :
يا جوارى ! بغاء مقدار عشر جوار ووصائف ، فقالت : هاتوا شيئا تأكل ،
فقدمتُ ألوان ظريفة وطلعام من أطعمة الخلقاء . فاكلنا وغسلنا أيدينا .
وَأَسْتَدَعَتْ شرباً فشربنا وغنى أولئك الوصائفُ أطيبَ غناء وأحسنه ، ثم قنا
إلى الفراش فغلوْتُ بها وبتُّ بأطيب ليلة ، ولم نفرق أسبوعاً . وكانت يوم الأسبوع
وليمة عظيمة اجتمع فيه الجوارى . فلما كان من الغد ، قالت لي : إن دار الخلافة
لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا مع جارية غيرة ، لمحة سيدتي لي . وجميع ما تراه

فهو هبة من السيدة لى . وقد أعطتني خمسين ألف دينار من عين وورق وجوهر .
 ولى ذخائر في خارج القصر كثيرة من كل لون . وجميعها لك ، فانخرج إلى منزلك ،
 وخذ معك مالا واشتر داراً سرية واسعة الصحن . فيها بستان ، كثيرة الحجر .
 وتحول إليها ، وعرفني لأهل إليها هذا كله ، ثم آتيتك ، وصلمت إلى عشرة آلاف
 دينار عينا . فخرجت وأتعت الدار وكتبُ إليها بالخبر . فحملت إلى تلك النعمة
 بأسرها . فجميع ما أنا فيه منها ، فأقامت عندي كذا وكذا سنة أعيش معها عيش
 الخلفاء ، ولم أدع مع ذلك التجارة . فزاد مالى وعظمت منزلي وأثرت حالى ،
 وولدت لى هؤلاء الفتيان وادأ إلى اولاده . ثم ماتت (رحمها الله) وبقى على من مضرة
 الديكيريكة ما شاهدته :

وبالجملة فلا يفتّر أحد بهذه الحكاية وأمثالها ، فيجهل نفسه فيهلكها . ” فإلّا المُرَدِّ
 محمود وإن سلباً “ .



وأما من كفر بسبب العشق فكثير جداً لا يخصصون ، ومما ورد
 في ذلك حكاية عجبية أوردتها لغرابتها وهى مما حكاه ابن الجوزى في كتابه المترجم
 ” بزم الهوى “ قال :

سمعت شيخنا أبا الحسن على بن عبيد الله الزعفراني يحكى أن رجلاً اجتاز
 بباب امرأة نصرانية ، فرآها فهوى بها من وقته ، وزاد الأمر به حتى غلب على عقله ،
 فحمل إلى البيارستان . وكان له صديق يتردد إليه ويرسل بينه وبينها . ثم زاد
 الأمر به ، فقالت أمه لصديقه : إني أجيء إليه فلا يكلمني ، فقال : تعالى معي ،

فأتت معه . فقال له : إن صاحبك بعث إليك رسالة ، قال : كيف ؟ قلت : هذه أمك تؤذي رسالتها . بفعلت أمه تحذثه عنها بشيء من الكذب . ثم زاد الأمر عليه ونزل به الموت ، فقال لصديقه : قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبي في الدنيا ، وأنا أريد أن ألقاها في الآخرة . فقال له : كيف تصنع ؟ قال : أرجع عن دين محمد ، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم . فقال ذلك ومات .

فضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها عسيلة فجعل يحسنها ، وأخبرها بموت صاحبها ، فقالت : أنا ما لقيته في الدنيا وأنا أريد أن ألقاه في الآخرة . وأنا أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأنا بريئة من دين النصرانية . فقام أبوها فقال للرجل : خذوها الآن فإنها منكم ، فقام الرجل ليخرج ، فقال له : ١٠ قف ساعة ، فوقف ، فمالث أن مات .

قال : وبلغني عن رجل ببغداد (يقال له صالح المؤذن ، أذن أربعين سنة ، وكان يعرف بالصالح) أنه صعد يوما إلى المنارة ليؤذن فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد . فافتتن بها ، فجاء فطرق الباب فقالت له : من أنت ؟ قال : أنا صالح المؤذن . فتصحت له الباب فدخل وضما إليه ، فقالت : أتم أصحاب الأمانات ، فما هذه انشيانة ؟ فقال : إن واقعتني على ما أريد وإلا قتلتك ، قالت : لا ، إلا أن ترك دينك ، فقال كلمة الكفر وبرئ من الإسلام . ثم تقم إليها فقالت : إنما قلت هذا لتضني غرضك ثم تعود إلى دينك . فكل من لم ينشأ ، فاكل منه ، قالت : فأشرب الخمر ، فشرب . فلما دب الشراب فيه دنا منها فدخلت بيتا وأغلقت بينا وبينه

الباب، وقالت له : اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوجني منك . فصعد فسقط
فمات . فخرجت إليه ولقته في مسج . وجاء أبوها فقصت عليه القصة فأنجزه
في الليل ورماء في السكة . وظهر حديثه ، فرمى على مربة .

وأما من قتل بسبب العشق فلا يكاد ذلك يحصر كثرة ، وأعظمه وأشدّه
واقعة عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، لعنه الله .

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى عبد الله بن أبي طالب كرم الله وجهه :
”يا علي أشقى الأولين عاقر ناقة صالح ، وأشقى الأولين والآخرين قاتلك ، وهو هذا“
وأشار إلى ابن ملجم فبهه الله تعالى ولعنه ، وأوجب له نزيه ومقته وعذابه ، وذلك
نكالا لما أجترأ عليه في قتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وذلك
أن ابن ملجم فبهه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام ، كانت من أجل
النساء وكانت ترى رأى الخوارج ، وقد قتل علي رضي الله عنه قوما يوم النهروان .
فلما رآها ابن ملجم عشقها فخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف درهم
وعبد وقينة ، وأن تقتل علي بن أبي طالب . فعمله العشق على أن خسر الدنيا
والآخرة ، وتزوجها على ذلك . وكان من خبره في قتل علي رضي الله عنه ما نذكره
إن شاء الله تعالى في التاريخ .

وفي ذلك يقول الشاعر :

قَلَمَ أَرْمَهَا سَاقَهُ دُوسِمَاحَةً * كَهَرُ قَطَامَ بَيْنَا غَيْرَ مَعْمَمٍ .
ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَعَبْدٌ ، وَقِينَةٌ ، * وَضَرْبُ ”عَلِيٍّ“ بِالْحُسَامِ الْمُصَمَّمِ .
فَلَا مَهْرَ أَغْلٍ مِنْ ”عَلِيٍّ“ وَإِنْ عَلَا ، * وَلَا تَفْكَ إِلَّا دُونَ تَفْكِ ابْنِ مُلْجَمٍ !

③

ومنهم من حمله العشق على قتل أبيه . وهو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن
آبن مروان بن عبد الرحمن الناصر، ويعرف هذا "بالطليق". كان يتعشق جارية كان
أبوه قد رآها معه وذكر أنها له، ثم استأثر بها وخلا معها . فحمله العشق على أن
آتسقى سيفا ورصد أباه في بعض خلواته بها فقتله . فسجنه المنصور بن أبي عامر
سنتين ، ثم أطلقه . فلقَّب "بالطليق" وأعتراه من ذلك شبه الجنون فكان يُصرَّع
في بعض الأوقات .

+
+

وأما من قُتل بسبب العشق، فروى عن الشعبي قال : دخل عمرو بن
معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له عمر : يا عمرو، أخبرني عن
أشجع من آليت ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين .

١٠

خرجت مرة أريد الفارة . فبينما أنا أسير إذا أنا بفرس مشدود وريح مركز،
وإذا رجل جالس، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقا، وهو محب بسيف .
فقلت له : خذ حذرَكَ فإني قاتلك ، فقال : ومن أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن
معد يكرب ، فشبهني شبهة فئات .

١٥

فهذا أجبت من رأيت يا أمير المؤمنين .

ونجرت يوما حتى آتيت إلى حي . فإذا أنا بفرس مشدود وريح مركز وإذا
صاحبه في وحدة يقضي حاجة . فقلت : خذ حذرَكَ فإني قاتلك ، قال : من أنت ؟
قلت : أنا عمرو بن معد يكرب ، قال : أبا نور، ما أنصفتني ، أنت على ظهر فرسك ،
وأنا في بر، فأعطني عهدا أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وأخذ حذري ، فأعطيتُه
عهدا أن لا أقتله حتى يركب فرسه . يأخذ حذره . فخرج من الموضع الذي كان فيه

٢٠

حتى آتني بسيفه وجلس . فقلت له : ما هذا ؟ فقال : يا أبا ذر ، فإني قد فلتت من
بمقاتلك ، فإن نكثت عهدك فإني أعلم ، فتركته ومضيت

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيك !

ثم إنني خرجت يوما آخر حتى آتيت إلى موضع كنت أقطع فيه . فمرا أرا أحدا

فأجريت فرسي بيننا وشمالا فظهر لي فارس . فلما دنا مني إذا هو غلام قد أقبل

من نحو الجمامة . فلما قرب مني سلم فرددت عليه وقلت : من أنتي ؟ قال أنا

الحارث بن سعد . فارس الشهباء ، فقلت له : خذ حذرک ، فإني قاتلك فقال : الويل

لك ! من أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن معد يكرب ، قال : الحقير الذليل ؟ والله ما يعنني

من فظك إلا أسنصفارک ، فتصاغرت نفسي إلى وعظم عندي ما أستقبلني .

فقلت له : خذ حذرک ، فوالله لا ينصرف إلا أحدا ، قال : أغرب ، نكثتک أمک !

فلما من أهل بيت ما نكلنا عن فارس قط ! فقلت : هو الذي تسمع ، قال : اختر

لنفسك ، إما أن تطرد لي ، وإما أن أطرِد لك ، فاعتنمتها منه ، فقلت : أطرِد لي ،

فأطرد وحملت عليه ، حتى إذا قلت لي وضعت الرمح بين كتفيه ، إذا هو قد صار

سزاما لفرسه ، ثم آتني ففرع بالقناة رأسي ، وقال : يا عمرو ، خذها إليك واحده ،

فوالله لولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك ، فتصاغرت إلى نفسي ، وكان الموت والله

يا أمير المؤمنين أحب إلي مما رأيك ، فقلت : والله لا ينصرف إلا أحدا ، فقال :

اختر لنفسك ، فقلت : أطرِد لي ، فأطرد لي . فظننت أني قد تمكنت منه وأتبعته

حتى إذا ظننت أني قد وصعت الرمح بين كتفيه ، فإذا هو قد صار لسا لفرسه . ثم

آتني ففرع رأسي بالقناة وقال : يا عمرو ، خذها إليك اثنتين ، فتصاغرت إلى

نفسى فقلت : والله لا ينصرف إلا أحدا ، فقال : اختر لنفسك ، فقلت : أطرِد

ل ، فأطرد حتى إذا قلت إني وضعت الرمح بين كفيه وثب عن فرسه فإذا هو على الأرض ، فاختطاه ومضيت ، فاستوى على فرسه وأتبعني ففرع بالقناة رأسي وقال : يا عمرو ، خذنا إليك ثالثة ، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك ، قلت له : أقتلني ، فإن الموت أحب إلي مما أرى بنفسى وأن تسمع فتیان العرب بهذا ، فقال يا عمرو : إنما العفو ثلاث ، وإني إن استمكنت منك الرابعة قتلتك ، وأنشأ يقول :

وَكُذِّتُ أَغْلَظًا مِنَ الْأَيْمَانِ * إِنْ عُنْتُ يَاعْمُرُو إِلَى الْعُلَمَانِ ،
لَتَوَجَّهْتُ لَهَبَ السَّيِّئَاتِ * أَوَّلًا ، فَلَسْتُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ !

فلما قال هكذا ، كرهت الموت ، وهبته هيبة شديدة ، وقلت : إن لي إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قلت : أكون لك صاحباً ، ورضيت بذلك يا أمير المؤمنين ، قال : ١٠
لست من أصحابي ، فكان ذلك والله أشد علي وأعظم مما صنع . فلم أزل أطلب إليه حتى قال : ويحك ، وهل تدري أين أريد ؟ قلت : لا ، قال : أريد الموت عياناً ، فقلت : رضيت بالموت معك ، فقال : أمض بنا ، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتى جئنا الليل وذهب شعره . فوردنا على حي من أحياء العرب ، فقال لي : يا عمرو ١٥
في هذا الحي الموت ، ثم أومأ إلى قبة في الحي فقال : وفي تلك القبة الموت الأحمر ، فإذا أن تمسك على فرسي فأقول فأتى بجاحتي ، وإما أن أمسك عليك فرسك فتزول فتأني بجاحتي ، قلت : لا ، بل أنزل أنت ، فأتت أعرف بموضع حاجتك ، فرمى إلى بطن القرمس ونزل ، فرضيت لنفسى يا أمير المؤمنين أن أكون له سائداً . ثم مضى حتى دخل القبة فاستخرج منها جارية لم تر عيناي قط مثلها حسناً وجمالاً ، فحملها على ناقه ، ثم قال : يا عمرو ، قلت : لبيك ، قال : إما أن تعينني وأقود أنا ، وإما أن ٢٠

أحبك ونفرد أنت، قلت: بل تحبني أنت، وأقود أنا، فرمى إلى بزمام الناقة، وسرنا بين يديه وهو خلفنا حتى أصبحنا، فقال لي: يا عمرو، قلت: ليك، ماتشاء؟ قال: التفت فأنظر هل ترى أحدا؟ قال: فالتفت، فقلت: أرى جمالا، قال: أغذ السير، ثم قال لي: يا عمرو، قلت: ليك، فقال: أنظر، فإن كان القوم قليلا فالجِد والقوة والموت، وإنت كانوا كثيرا فليسوا بشيء، قال: فالتفت، فقلت: هم أربعة أو خمسة، قال: أغذ السير، ففعلت، وسمع وقع الخيل، فقال لي: يا عمرو، قلت: ليك! قال: كن عن يمين الطريق، وقف وحول وجهك دوابنا إلى الطريق، ففعلت، ووقفت عن يمين الراحلة ووقف هو عن يسارها. ودنا القوم منا، فإذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية وأخواها غلامان شابان، فسلموا فرددنا السلام، ووفوا عن يسار الطريق. فقال الشيخ: خلّ عن الجارية يا ابن أمي، فقال: ما كنت لأخذها ولا لهذا أخذتها، فقال لأصغر آبيه: أخرج إليه، فخرج وهو يجر رمحاً وحمل عليه الحارث وهو يقول:

مِنْ دُونِ مَا رَجَّحُوهُ تَحْضِبُ الذَّائِلُ . مِنْ فَارِسٍ مَسْتَلِيمٍ مَقَاتِلُ ،
يُنْجِي إِلَى شِدَائِهِ خَيْرُ وَالِيلِ . مَا كَانَتْ سَبْرِي تَحْوِيهَا بِيَا طِيلُ !

ثم شدّ عليه فطعمه طعنة دقّ منها ضربه ، فسقط ميتا . فقال الشيخ لابنه الآخر : أخرج إليه يا بني ، فلا خير في الحياة على الذلّ ، فخرج إليه وأقبل الحارث يقول :

لَقَدْ رَأَيْتُ كَيْفَ كَانَتْ طَعْنَتِي ! * وَالطَّمَنُ لِلْقَرْنِ الشَّدِيدِ حَرْمَتِي .
وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ فِرَاقِ خَلَّتِي * فَتَلَّتْنِي الْيَوْمَ وَلَا مَدَّتْنِي !

ثم شذ عليه فطعنه طعنة سقط منها ميتا . فقال له الشيخ : حَلَّ عن الطعينة
يا ابن أمي ، فإنني لستُ كمن رأيت ، قال : ما كنت لأخْلِبَها ولا لهذا قصدت ،
فقال له الشيخ : آخر يا ابن أمي ، فإن شئت طاردتك ، وإن شئت نازلتك ،
فاغتنمها التقي وازل . ونزل الشيخ وهو يقول :

• ما أرني بمسد قنـاء عُمرى ؟ * ساجلُ السنينَ مثلَ الشَّهرِ .
• شيخٌ يحامى دونَ بيضِ الحذرِ . * إنَّ استباحَ البيضُ قَصَمَ الظَّهرِ .
• سوف ترى كيف يكونُ صبري . *

فأقبل الحارث وهو يقول :

بَدَّ ارمحالى وطويل سَفْرى * وقد طَفِرْتُ وشَبَبْتُ صَدْرِي .
والموتُ خيرٌ من لِباسِ القَدْرِ ، * والعارِ أهديه لحي بكر .

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أمي ، إن شئت نازلتك . وإن بقيت فيك قوة
ضربتي ، وإن شئت فاضربني ، فإن بقيت في قوة ضربتك . فاغتنمها التقي فقال :
وأنا أبذلوك ، قال : هات ، فرفع الحارث السيْفَ ، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به
إلى رأسه ، ضرب بطنه ضربة فقد رمّاه ، ووقعت ضربة الحارث في رأسه . فسقطا
ميتين . فأخذت يأمر المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف ، ثم أقبلت إلى الناقة
فصعدت أعنة الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها . فقالت الجارية : يا عمر ،
إلى أين ؟ ولستُ لى بصاحب ، ولستُ كمن رأيت ، ولو كنت صاحبي لسلكت
سبيلهم ! فقلت : آسكتي ، قالت : فإن كنت صادقا فاعطني سيفا ورمحا ، فإن غلبتني
فأنا لك ، وإن غلبتك فقلّطك ، فقلّطها : ما أنا بمعطيك ذلك ، وقد عرفتُ أصلك
وجرأة قومك وشجاعتهم ، فرمت بنفسها عن البعير وهي تقول :

أَبَدَ مَا سَيَحْيِي وَيَبْدَأُ خَوْفِي ١٠ أَطْلُبُ عَيْشًا جَدِّعُ فِي لَذَّةٍ؟

هَلْ لَا تَحْكُمُ قَبْلَ ذَا مَنِّي؟ *

وأهوت إلى الرِّيح فكادت تنزعه من يدي . فلما رأيتُ ذلك خُفْتُ إنْ هي ظَفَرَتْ
بِي أَنْ تَقْتُلَنِي ، فقتلتها

٥ فهذا أشدُّ ما رأته يا أمير المؤمنين .

فقال عمر بن الخطاب : صدقت يا عمرو .

- وروى ابن الجوزي - بسند يرفعه إلى الليث بن سعد أنه قال : أتى عمر رضي الله عنه بنيتي أمرد قد وجد قتيلًا ملقًا في الطريق . فسأل عمر عن أمره وأجهده فلم يقف له على خبر ، ولم يعرف قاتله . فتشَّقَّ ذلك عليه ، وقال : اللهم ظفُرِي بقاتله .
- ١٠ حتَّى إذا كان رأس الحول أو قريب من ذلك ، وجَدَ صبيًّا مولودًا ملقًا بموضع القَتيل فأَنَّى به عمر . فلما أَنَّى به وأخبر بمكانه ، قال : ظَفَرْتُ تَأَلَّهَ بدم القَتيل إن شاء الله تعالى ، فدفع الصبيَّ إلى امرأة ، وأمرها أن تقوم بشفائه وأعطاهما نفقة . وقال : أنظري مَنْ يأخذه منك ، فإذا وجدتِ امرأةً تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها . فلما شَبَّ الصبيِّ جاءت جاريةٌ فقالت للراة إن سيدتي بعثتني إليك لتبشي إليها بالصبي لتراه وتردِّه إليك . قالت : نعم ، أنهيتُ به إليها وأنا معك ، فنهبتُ بالصبي والمرأة معها إلى سيدتها . فلما رأته أخذته قبلته وضمته إلى صدرها . وإذا هي بنت تسيخ من الإنصار ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبرت عمر خبرها . فاشغل على سيفه ، ثم أقبل على منزلها ، فوجد أباها متكئًا على باب داره . فسلم عليه ، وقال له : أبا فلان ، قال : كَيْفَ ، قال : ما فعلت أبتك فلانة ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، جزلها الله خيرًا ، هي من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها ، مع حُسْنِ صَلَاتِهَا
- ٢٠

وصيامها والقيام بدينها، فقال عمر: قد أحببتُ أن أدخل إليها فأزبدها رغبةً في الخير وأحبتها على ذلك . فقال : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ، أمكثت مكثك حتى أعود إليك ، فاستأذن بعمره ، فلما دخل عمر ، أمر من كان عندها بالخروج عنها ، فخرجوا . وبقيت هي وعمر ليس معهما ثالث . فكشف عمر عن السيف ، وقال : لنصدقني وإلا ضرت عنقك ، وكان عمر لا يكذب ، فقالت : على رسلك يا أمير المؤمنين ، فوالله لأصدقك . إن عجوزا كانت تدخل على فاتخذتها أمًا ، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة ، وكنت لها بمنزلة البنت ، فامضت بذلك حيناً . ثم إننا قالت لي يوما : يا بنية ، إنه قد عرض لي سقر ، ولي بنت في موضع اتخوف عليها فيه أن تضيع ، وقد أحببتُ أن أضفيها إليك حتى أرجع من سفري ، فعمدتُ إلى ابن لها شاب أمرده فهبأته كهيئة الجارية وأنتقي به لأشك أنه جارية . فكان يرى مني مائري الجارية من الجارية حتى أغفلني يوما وأنا نائمة فما شعرتُ حتى علاني وخالطني . فمددت يدي إلى سفرة كانت إلى جنبي ففتلته . ثم أمرتُ به فألقي حيث رأيت . فاشتلتُ منه على هذا الصبي ، فلما وضعته ألقىته في موضع أبيه . فهذا والله خبرهما ، فقال عمر : صدقت ، بارك الله فيك ، ثم ألوصاحا ووعظها ودعا لها وخرج ، وقال لأبيها : بارك الله لك في أبنيتك ، فتم الابنة هي ! وقد وعظتها وأمرتها ، فقال : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، وجزاك خيرا عن رعيتك .

وروى أيضا بسنده إلى أبي عباد قال : أدركتُ الخادم الذي كان يقوم على رأس الحجاج ، فقلت له : أخبرني بأعجب شيء رأيته من الحجاج ! قال : كان ابن أخيه أميرا على واسط ، وكان بواسط امرأة يقال لها أبة ، لم يكن بواسط في ذلك الوقت

- أجل منها . فأرسل ابن أخيه إليها يرادها عن نفسها مع خادم له . فأبى عليه
وقالت : إن أردتني فأخطبني إلى إخوتي ، وكان لها أربعة إخوة فأبى ، وقال :
لا ، إلا كذا . وعادها فأبى ، فراجعها وأرسل إليها بهدية فأخذتها وعزلتها .
وأرسل إليها عشية الجمعة : إنى آتيك الليلة ، فقالت لأُمها : لله الأمير بعث إلى
٥ بكنا وكذا . فانكرت أمها ذلك ، وقالت أمها لاختوتها إن أخكم قد زعمت كيت
وكيت : فانكروا ذلك وكذبوها . فقالت إنه قد وعدنى أن يأتينى الليلة ، ترؤنه .
قال : ففقد إخوتها في بيت حبال البيت الذى هى فيه ، وجويرية لها على باب
الدار تنتظره . فجاء ونزل عن دابته وقال للنلامه : إذا أذن المؤذن فى الطلح ، فأتنى
بدابتي ، ودخل والجارية أمامه . فوجد أبة على سرير مستلقية . فمستلقى لى
١٠ جانبها ثم وضع يده عليها ، وقال : إلى كم ذا المَطْلُ ؟ فقالت له : كف يدك
يا فاسق ، ودخل إخوتها عليه بأيديهم السيوف فقطعوه ثم لقوه في نطح وجعلوا به إلى
سكة من سكك واسط فالتوه فيها . وجاء النلام بالدابة فجعل يثق الباب دقا رفيقا
فلا يكلمه أحد . فلما خشي الضوء وأن تعرف الدابة أنصرف . وأصبح الناس فإذا هم
به على تلك الصفة . فأتوا به الجهاج فأخذ أهل تلك السكة ، فقال أخبروني : ما قصته ؟
١٥ قالوا : لا نعلم حاله ، غير أننا وجدناه ملقى . ففطن الجهاج فقال : على بمن كان يخدمه : فأق
بذلك الخصى الذى كان الرسول بينهما ، فقالوا : هذا كان صاحب سره ، فقال له
الجهاج : أصدقني عن خبره وقصته ، فأبى . فقال : إن صدقتني لم أضرب عنقك ،
وإن لم تصدقني فعلت بك وفعلت . قال : فأخبره الأمر على وجهه . فأمر بالمرأة وأمها
وإخوتها ، يخى بهم ، وعزلت المرأة عنهم . فسألها فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصى ،
٢٠ ثم سأل إخوتها ، فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا ، وقالوا : نحن صنعنا به الذى ترى ،

فأمر بريقه ودوابه للراة ، فقالت المرأة - هديته عندي ، فقال : بارك الله لك فيها ،
وكثر في النساء مثلك ، هي لك ، وماترك من شيء فهو لك ، وقال : مثل هذا لا يُدفن .
فألقوه للكلاب ، ودعا بالخصي فقال : أما أنت فقد قلت لك إنى لا أضرب عتقك !
وأمر بضرب وسطه ، فقطع نصفين .

والأخبار في مثل هذا كثيرة ، فلا نطول بذكرها .



وأما من قتله العشق فكثير جدًا لا يكاد يحصر ، روى عن عكرمة قال :
إنى لَمَعَ ابن عباس عشية عرفة ، إذ أقبل فتيةٌ يحملون فتى من بنى عُدره في كساء ،
وهو نازل البَندُ ، أحل من رأيت من الفتيان ، فوضعه بين يديه ثم قالوا : آستشف
لهذا يا ابن عم رسول الله ، فقال : وما به ؟ فترنم الفتى بصوت ضعيف خفى الأثين ،
وهو يقول :

بِنَا مِنْ جَوَى الْأَحْزَانِ وَالْحُبِّ لَوْعَةٌ * تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ !

وَلَكِنَّا أَبْنَى حَشَاشَةً مُعُولٍ * عَلَى مَا بِهِ عُودٌ هُنَاكَ صَلِيبُ !

وَمَا نَحْبُ مَوْتَ الْمُحِبِّينَ فِي الْهَوَى ؛ * وَلَكِنْ بَقَاءُ الْعَاشِقِينَ عَجِيبُ !

قال : ثم حل فأت في أيديهم ، فقال ابن عباس : هذا قتيلُ الحب ، لا عقل
ولا قود .

قال عكرمة : فا رأيت ابن عباس سأل الله تعالى تلك الليلة — حتى أمسى —
إلا العافية مما آتيت به ذلك الفتى .

وروى عن الأصمعي قال : حدثني أبو عمرو بن العلاء قال : حدثني رجل من بنى تميم

قال : نرجعت في طلب ضالّة لي . فبينما أنا أدور في أرض بنى عُدره أنشد ضالّتي ،

إذا بيْتُ معتزل عن البيوت، وإذا في كِسر البيت شابٌ مغنى عليه، وعند رأسه عجوز لها بَقِيَّةٌ من جمال، وهي ساهيةٌ تنظر إلى وجه الفتى. فسلمتُ فودَّت السلام. فسألتها عن ضائتي فلم يك عندها منها علم. فقلت: أيتها العجوز، مَنْ هذا الفتى؟ قالت: آجى، ثم قالت: هل لك في أجرٍ لا مَثُونَةٌ فيه؟ فقلت: والله إنى لأحبُّ الأجر وإن رُزيت! فقالت: إن آجى هذا يهوى أبنَةَ عمِّ له علقها وهما صغيران. فلما كبرُحُجبت عنه، فأخذته شبيهٌ بالحنون. ثم خطبها إلى أبيها فامتنع من تزويجه، وخطبها غيره فزوجه إياه. فَنَحِلَ جسمٌ ولدى وأصفى لونه وذَهَلَّ عقله. فلما كان منذ خمس، رُفَّت إلى زوجها، فهو كما ترى: لا يأكل ولا يشرب، مغنى عليه. فلو نزلت إليه فوعظته!

قال: فنزلت إليه فلم أدع شيئاً من الموعظة إلا وعظته به حتى أن قلت له فيما قلت: إنهنَّ العوانى صاحباتُ يوسف. ناقضاتُ العهد، وقد قال فيهنَّ كُثَيِّرٌ عَزَّةٌ:

هَلْ وَصُلَّ عَزَّةٌ إِلَّا وَصُلَّ غَانِيَةٌ ۖ فِي وَصْلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصْلِهَا خَلْفٌ

قال: فرفع رأسه، حمرةً عيناه كالمنضَّب، وقال: لستُ ككثيِّر عَزَّة! إن كثيراً رجل مائتٌ، وأنا رجل وامقٌ! ولكنني كأخى تميم حيث يقول:

﴿٦٦﴾

أَلَا لَا يَضِيرُ الْحُبَّ مَا كَانَ ظَاهِرًا، ۖ وَلَكِنْ مَا أَخْتَفَى الْفُؤَادَ يَضِيرُ!

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهَوَى كَيْفَ قَادِنِي، ۖ كَمَا قَبَدَ مَغْلُولُ الْبَدَنِ أَسِيرُ!

فقلتُ له: فإنه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ أَصِيبَ مِنْكَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَدْكُرْ مُصَابَهُ بِى".

فأنشأ يقول:

أَلَا مَا لِلْمِلْحَةِ لَا تَسْوَدُّ؟ ۖ أَلَمْ تُجَلِّ بِالْمِلْحَةِ أَمْ صُدُودُ؟

مَرِضْتُ فَمَدَّنَى أَهْلِي جَمِيعًا ۖ فَمَا لَكَ لَا تَرَى فِيمَنْ يَبُودُ!

فَقَدْتُكَ يَنْهَمُ فَبَكَيْتُ شَوْقًا ، * وَقَدُّ الْإِلْفِ يَا أَمْلَى شَدِيدُ !
وما أَسْتَطَاعْتُ غَيْرَكَ فَأَعْلَيْهِ * وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَحْمَى عَدِيدُ !
ولو كُنْتُ السَّقِيمَةَ ، كُنْتُ أَسَى * إِلَيْكَ وَلَمْ يُنْهِنْنِي الْوَعِيدُ !

قال : ثم شق شقة وَخَفَتَ ، مات ، فبكت العجوز وقالت : فاضت والله نفسه !
فدخلني أمر لم يدخلني مثله قط . فلما رأت العجوز ما حلَّ بي ، قالت : يا فتي لا تُرْعَ !
عاش بأجل ، ومات بقدر ، وقدم على ربِّ كريم ، وأستراح من تباريحِهِ وَغُصَصِهِ !
ثم قالت : هل لك في أَسْكَالِ الصَّنِيعَةِ ؟ قلت : قولي ما أَحْبَبْتَ ! قالت : تَأْتِي الْيُوتَ
فتنمأ اليهم ليعاؤنوني على رَمْسِهِ ، فَإِنِّي وَحِيدَةٌ ، قال : فركبت فرسي وقصدت الْيُوتَ
وأقبلت أنماه إليهم . فبينما أنا أنماه ، إِذَا خِيْمَةٌ رُفِعَ جَانِبُهَا ، وَإِذَا أَمْرَأَةٌ قَدْ نَزَجَتْ
كأنها القمر ليلة البدر - ناشرة شعرها ، نَجْرُ نِجَارِهَا ، وهي تقول : يَغِيكَ الْكَتْكُ !
١٠ يَغِيكَ النَجْرُ ! مَنْ تَنَى ؟ قلت : أنى فلانا ! قالت : أَوَقَدْ مات ؟ قلت : إى والله
قد مات ! قالت : وهل سمعت له قولاً ، قلت : اللهم لا ، إلا شعرا ، قالت :
وما هو ؟ فَأَنْشَدْتُهَا قَوْلَهُ :

* أَلَا مَا لِلِجَعَةِ لَأَعْوُدُ * الْآيَاتُ .

١٥ فاستمرت باكية وأنشأت تقول :

عَدَانِي أَنْ أَزُورَكَ يَا مُنَايَ * مَعَاشِرُكُمْ وَاشِ حَسُودُ !
أَشَاعُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ الدَّوَاهِي * وَطَابُوا ، وَمَا فِيهِمْ رَشِيدُ !
فَمَا إِذْ تَوَيَّتَ الْيَوْمَ حَسَدًا * فَكُلُّ النَّاسِ دُورُهُمْ لِحُودُ .
فَلَا طَابَتْ لِي الدُّنْيَا فَوَاقًا * وَلَا هُمْ وَلَا آثَرُ عَدِيدُ !

ثم شهقت شهقةً وخرت مغشياً عليها، ونخرج النساء من البيوت وأضطربت ساعة وماتت. فوالله ما برحت حتى دفنتهما جميعاً .

وروى الساجي عن الأصمعي قال : رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه ، وضوّل جسمه ، ورق جلده . فتمعجت ودنوت منه أسأله عن حاله . فقالوا : أذكر له شيئاً من الشعر يكلك ، فقلت :

سَبَقَ الفُضَاءُ بِأَخِي لَكَ عَاشِقُ * حَتَّى المَآتِ ، فَأَيُّ مَنكَ مَذَاهِبُ ؟

فشهق شهقةً ظننت أن روحه قد فارقت ، ثم أنشأ يقول :

أَخْلُوْا بَذِكْرِكَ لَا أُرِيدُ عَذَابًا * وَكُنِي بَذِكْرِكَ سَامِرًا وَسُرُورًا !

قال : فقلت له : أخبرني عنك ! قال : إن كنت تريد علم ذلك فاحلني وأقيني

على باب تلك الخيمة ! ففعلت ، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه :

أَلَا مَا لِلْمَلِيحَةِ لَا تَسْوَدُ * أَمْحُلُ بِالْمَلِيحَةِ أَمْ صُدُودُ ؟

فلو كنت المريضة كنت أَسْعَى .. إليك ولم يُنهي الوعيد !

فإذا جارية مثل القمر ، قد خرجت فالتفت نفسها عليه فاعتقا . وطال ذلك ،

فسترتهما بثوب خشية أن يراها الناس . فلما خفت عليهما الفضيحة ، فرقت بينهما .

فإذا هما ميتان . فما برحت حتى صليت عليهما ودُفِنَا . فسالت عنهما ، فقيل لي :

عَامِرُ بْنُ غَالِبٍ ، وَجِيلَةُ بِنْتُ أَمِيلِ الْمُزَنِّيَّانِ .

وروى ابن الجوزي بسند يرفعه إلى محمد بن خلف قال : ذكر بعض الرواة عن

العمري قال : كان أبو عبد الله الجليشاني يشق صفراء العلاقية . وكانت سوداء ،

فاشكى من حبها ، وضني حتى صار إلى حد الموت . فقال بعض أهله لمولاهما : لو وجهت

١٨٨ صفراء إلى أبي عبد الله الجليشاني، فلعلمه أنت يعقل إذا رآها! ففعل. فلما دخلت عليه قالت له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير ما لم يهرج! قالت: ما تشتهي؟ قال: قُرْبِكَ! قالت: ما تشتهي؟ قال: حُبِّكَ! قالت: فتوصي بشيء؟ قال: نعم، أوصي بك إن قبلوا مني! فقالت: إني أريد الانصراف! قال: فتعجلى ثواب الصلاة على! فقامت فانصرفت، فلما رآها مولية تنفس الصعداء.

• ومات من ساعته .

وروى أيضا بسند يرفعه إلى عَوَّانَ بن الحكم أن عبد الله بن جعفر وفد إلى عبد الملك بن مروان فحدثه، قال: آشرت جارية بمشرة آلاف درهم، فوصفت لي زيد بن معاوية فارسل إلى يقول: إما أن تهديها لي، وإما أن تبعها بحكك، فكتبت إليه: لا تخرج والله من ملكي بيع ولا هبة أبدا. ومكثت عندي لا أزداد لها إلا حبا. حتى ألتقي عجموز من عجمائنا، فذكرت أن بعض عُرَّاب المدينة يهاوها، وأنه يبيع في كل يوم متوكرا فيقف بالباب حتى يسمع غناها. فراعيت مجيئه ليلة، فإذا به قد أقبل متفجع الرأس حتى قدم مستخفيا فدعوت قيمة الجارية، فقلت: أنطلق الساعة فأصلح هذه الجارية بأحسن ما أمكن، وعجلي بها، ففعلت. فقممت وقبضت على يدها وفصت الباب وأتيت إلى الرجل لحركته فأنبته مذجورا. فقلت: لا بأس عليك، خذ هذه الجارية، هي لك، فإذا هممت ببيعها فاردها إلى، فلبثت التي. فدنوت إلى أذنه فقلت: ويحك، قد أظفرك الله عز وجل ببغيتك، فانصرف إلى منزلك، فإذا التي ميت، فلم أر شيئا قط أعجب من ذلك، وهانت علي الجارية، فكبرت أن أوجه بها إلى يزيد فيعلم حالها أو يخبره

عن نفسها فيحيد ذلك على . فكشّت مذة مديدة ثم ماتت . ولا أظنها ماتت إلا كيدا وأسفا على الفتي .

وروى ابن الجوزي أيضا بسنده قال : حكى عن شبابة بن الوليد العذري أن فتي من بني عذرة يقال له أبو مالك بن النضر، كان عاشقا لأبنة عم له عشقا شديدا . فكان على ذلك مقة . ثم إنه فقيد يضع عشرة سنة ، لا يجس له خبر . قال شبابة : فاضلّت إبلا لي . فخرجت في طلبها . فبينما أنا أسير في الزمان لنا بهاتف يهتف بصوت ضعيف :

يا ابن الوليد ، ألا تحمون جاركم . وتحفظون له حرق القرباب ؟
عهدي إذا جار قوم نابه حدث ، وقوه من كل مكروه الملبسات !
هذا أو ملكت للنسي بيلمعة من الضباع وآساد بغابات !
طليح سيوي . بنار الحب عترقي ، تعاضده زفرات إترلوطات !
أما النهار فنبعبه تذكركه . والليل مرتقب للمصبح هل يأتي .
يهدى بجارية من طيرة أخلست . فؤاده ، فهو منها في يليات !

قلت : فطلى عليه ، رحك الله ! قال : نعم ، أفصد الصوت ، فقصدته ، فسمعت

أينا من خباء ، فإذا قائل يقول :

بارسيس نفوى ، أذبت فؤادي وحشوت الحشا عذابا إليا !

فدنوت منه فقلت : أبو مالك ؟ قال : نعم ! قلت : ما بلغك إلى ماوى ؟ قال :
حي سعاد أبنة أبي المندام العذري . شكوت يوما ما أجد من حبا إلى ابن عم لنا
فاحتملني إلى هذا الوادي ، منذ يضع عشرة سنة ، يأتي كل يوم بغيرها ويقوتني من
عنده . فقلت إلى أصير إلى أهلها فأخبرهم ما رأيت . قال : أنت وذلك ، قال : فاصرفت

فاخبرتهم، فرقوا له فزوجه بحضرك . فرجعتُ إليه لأخرج عنه، فلما أخبرته الخبر،
نظر إليّ، ثم تأوه تأوّه شديدا بلغ من قلبي، ثم قال :

الآن إذ حشرجت نفسي وخامرها ۞ فراق دُنْيَا وناداهَا مُنَادِيهَا !

ثم زَفَرَزَفَرَةً فمات . فدفتته في موضعه ثم أنصرفت فاخبرتهم الخبر . فأقامت الجارية
بعده ثلاثا لا تَظَلُّمْ، ثم ماتت .

وحكى عن المبرد قال : خرجتُ أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون . فلما قُرُبْنَا من
الرَّقَّةَ، إذا نحن بدير كبير، فقال لي بعض أصحابي : ملّ بنا إلى هذا الدير لننظر من فيه
ونحمد الله تعالى على ما رَزَقَنَا من السلامة، فدخلنا إلى الدير، فرأينا مجانين مُتَلَفِلِينَ، وهم
في نهاية التَّدَارَةِ، فإذا فيهم شابٌ عليه بقية من ثياب ناعمة، فلما بَصُرْنَا قال : مَنْ
أنتُمْ يَا قِيَانُ؟ حياكم الله! قلنا : نحن من العراق . فقال : بأبي العراق وأهلها ! بالله
أنشدوني أو أنشدكم ! فقال المبرد : قلت : والله إن الشعر من هذا لطيف، فقلنا :
أنشدنا، فأنشأ يقول :

الله يَسْلَمُ أَنِّي كَعِدُّ ۞ لَا أَسْتَطِيعُ ابْتُ مَا أَجِدُّ !
رُوحَانِي : رُوحٌ تَضَمَّنَهَا * بَلَدٌ وَأُخْرَى حَازَهَا بَلَدٌ !
وَأَرَى الْمَقِيْمَةَ لَيْسَ يَنْفَعُهَا * صَبْرٌ وَلَا يَقْوَى لَهَا جَلَدٌ .
وَأُظَنُّ غَائِبِي كَنَدِي هَدِي ۞ فَكَأَنِّي تَجِدُّ الَّذِي أَجِدُّ !

قال المبرد : بالله زدنا، فأنشأ يقول :

لَمَّا أَنَاخُوا قِيْلَ الصَّبِيحِ عِيْرُهُمْ * وَرَحَلُوا فَشَارَتْ بِالْهَوَى الْإِيْلُ،
وَقَلْبْتُ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ نَاطِرَهَا * تَرَوُلِي وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِلُ،

وودعت بنان عسلها عَمَّ ، ناديت : لاحت رجلك رجلاكم يا بجل !
وعلى من الين ! ماذا حل بي وبها * من نازل الين ؟ حان الين فارتحلوا !
ياراحل العيس ، عرج كي تودعها ! ياراحل العيس ، في ترحالك الأجل ؟
إني على العهد لم أنقض مودتهم ، ياليت شعري ! بعد العهد ما فعلوا ؟

قال : فقال رجل من البغضاء الذين معي : ماتوا ! قال : قال إذن فاموت ! فقال
له : إن شئت ! فتمطى وأسند إلى السارية التي كان مشدودا فيها فات ، فابرحنا
حتى دفناه .

وحكى عن أبي يعبي التيمي ، قال : كنا نختلف إلى أبي مسعر بن كدام ، وكان
يختلف . معنا فتى من النساء ، يقال له أبو الحسن ، ومعه فتى حسن الوجه يفتن به
الناس إذا رأوه ، فأكثر الناس القول فيه وفي صحبته إياه . فتمعه أهله أن يصحبه
وأن يكلمه . فذهل عقله حتى خيف عليه التلث . فلقيته فأخبرته بذلك ، فتنفس
الصعداء ثم أنشأ يقول :

يا من بدائع حسن صورته * نثني إليه أعة الحديق !
لي منك ما للناس كلهم : * نظر ونسليم على الطروق .
لكنهم سعلوا بأمنهم - وشقيت حين أراك بالفرق !

ثم صرخ صرخة وشخص بصره نحو السماء وسقط إلى الأرض . فزكته فإذا
هو ميت .

وروى ابن الجوزي قال : أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي ، قال :
أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي قال : حدثني أبو محمد علي بن أحمد

الفييه الحافظ قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الأديب ، قال : كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي في جماعة ، أيام الحداثة . وكان معنا أسلم بن سعيد قاضي قضاة الأندلس . قال محمد بن الحسن : وكان من أجل من رآته العميون . وكان معنا عند ابن خطاب أحمد بن كليب . وكان من أهل الأدب والشعر فأشنتد كلفه بأسلم ، وفارق صبره ، وصرف فيه القول متسترا بذلك ، إلى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الألسنة ، وأشدت في المحافل . فلهذهى بُعس في بعض الشوارع " البكوري " الزامر في وسط المحفل يزمر بقول أحمد بن كليب في أسلم .

أَسَلَّتَنِي فِي هَوَا * هَاسَلَمْتُ هَذَا الرَّشَا!
 ١٠ غَزَالَ لَهُ مُقْلَةً * يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَا!
 وَفِي يَمَنَّا حَايِدٌ * سَأْسَأُ عَمَّا وَشَى!
 وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَرَيْتَنِي * عَلَى الْوَصْلِ رُوحِي ، أَرَأَيْتَنِي!

وممن محسن بسايره . فلما بلغ هذا المبلغ ، أقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه . فكان أحمد بن كليب لا تُسئل له إلا المرور على باب دار أسلم نهاره كله . فاقطع أسلم عن الجلوس على باب داره ، فإذا صلى المغرب ١٥ وأخلط الظلام ، خرج مستروحا ، وجلس على باب داره . فعيل صبر أحمد بن كليب . فتحيل في بعض الليالي وليس جبة من جباب أهل البادية ، وأعمت مثل عماهم ، وأخذ بإحدى يديه دجاجة وبالأخرى قفصا فيه بيص . وجاء كأنه قدم من بعض الضياع ، فتقدم إلى أسلم وقبل يده ، وقد أخلط الظلام ، وقال : يا مولاي ، ممن يقبض

هذا؟ فقال له أسلم : من أنت ؟ فقال : أجيرك في الضيعة القلانية - (وقد كان يعرف أسماء ضياعه) . فامر أسلم غلمانه بقبض ذلك منه على يادهم في قبول هدايا العاملين في ضياعهم . ثم جعل أسلم يسأله عن أحوال الضيعة ، فلما جاوبه أنكر الكلام فتأمله فعرفه ، فقال له : يا أخى ! وإلى هاهنا تتبعني ؟ أما كفاك أقطاعي عن مجالس الطلب ، وعن الخروج جملة ، وعن القعود على بابي نهارا حتى قطعت على جميع مالي فيه راحة فصرت في حبيبك ؟ والله لافارقت بعد هذه الليلة قمر منزلي ، ولا جلست بعدها على بابي ، لا ليلا ولا نهارا ، ثم قام . وأنصرف أحمد بن كليب حزينا كئيبا .

قال محمد : وأتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب : وخسرت دجاجك وبيضك ؟ فقال : هات كل ليل قبلة في يده ، وأخسر أضعاف ذلك ! فلما يئس من رؤيته البتة ، نهكته السلة وأضجعه المرض . قال محمد بن الحسن : فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال : فعُدته فوجدته بأسوا حال . فقلت له : لم لا تتداوى ؟ فقال : دوائى معروف ، وأما الأطباء فلا حيلة لهم في البتة ، فقلت له : وما دواؤك ؟ قال : نظرة من أسلم ! فلو سمعيت في أن يزورنى لأعظم الله جزاءك بذلك ، وأجره . قال : فرحمته وتقطعت نفسي عليه ، فهضمت إلى أسلم فاستأذنت عليه ، فأذن لى وتلقانى بما يجب ، فقلت : لى حاجة ، فقال : وما هى ؟ قلت : قد علمت ما جمعت مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندى . فقال : نعم ، ولكن قد تعلم أنه يرحب بى ، وشهر آسى وأذانى . فقلت له : كل ذلك يُنتفى في مثل هذه الحال التى هو فيها ، والرجل يوت ، ففضل ببيادته . فقال لى : والله ما أفيد على ذلك ، فلا تكلفنى هذا ! فقلت : لا بد من ذلك فليس عليك فيه شئ ، وإنما هى عيادة مريض . فز : ولم أزل به حتى أجاب ، فقلت له : قم الآن ، قال : لست والله أقبل ، ولكن غدا ، فقلت له : ولا تخلف ،

(١٩٣)

- قال : نعم ، فأنصرفت إلى أحمد بن كليب فاخبرته بوعده فسرد بذلك وأرناحت نفسه .
فلما كان من الغد بكرت إلى أسلم ، وقلت له : الوعد ، قال : فوجهم ، وقال : والله
لقد تمحلت على خُطّة صعبة على ، وما أدري كيف أطيق ذلك ؟ فقلت له : لا بد
أن تقي بوعدك لي ، قال : فأخذ رداءه ونهض معي راجلاً ، فلما أتينا منزل أحمد ،
وكان يسكن في درب طويل . فعند ما توسط الزقاق وقف . وأحمر ونجل ، وقال :
يا سيدي ، الساعة والله . أموت ! وما أستطيع أن أعرض هذا على نفسي ! فقلت :
لا تفعل بعد أن بلغت المنزل ، قال : لا سبيل والله إلى ذلك البتة ! ورجع هارباً
فاتبعته وأخذت بردائه ، فمادى وتمزق الرداء وثبتت قطعة منه في يدي لشدة إمساكي
له . ومضى ولم أذكره . فرجعت ودخلت على أحمد ، وكأني غلامه قد دخل عليه
لما رأنا من أول الزقاق مبشراً . فلما رأي تغير وجهه وقال : أين أبو الحسن ؟
فأخبرته بالقصة فاستحال من وقته وأختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر
من الاسترجاع . فاستبشعت الحال وجعلت أتوجع وقت ، فتاب إليه ذهنه ،
وقال لي : يا أبا عبد الله ، قلت : نعم ، قال : اسمع مني ، وأحفظ عني ، وأنا يقول :
أسلم ، يراحة الليل * ريقاً على الهائم النحيل !
وصلك أشهى إلى قوايدي * من رحمة الخالق الجليل !

١٥

قال : فقلت له : أتق الله ، ما هذه العظيمة ؟ قال : قد كان ، فخرجت عنه
فوافقه ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه . وقد فارق الدنيا .

وهذه الحكاية مشهورة عند أهل الأندلس . وأسلم هذا من بني خالد وكانت فيهم
وزارة وحجابة . وهذا الباب طويل والحكايات والأخبار والوقائع فيه كثيرة يطول
الشرح بذكرها .

٢٠

✱ ✱

وأما من قتل نفسه بسبب العشق، حكى عن عبد الرحمن بن إسحاق القاضي قال : أحمدرت من "سُرْمَنْ رَأَى" مع محمد بن إبراهيم أنى إسحاق، ودجلة تَزَحْر من كثرة ماها . فلما سَرْنَا سَاعَةً ، قال : أَرْقُوا بِنَا ، ثم دعا بطعامه فاكلنا ، ثم قال : ماترى في التبيذ ؟ قلت له : أعز الله الأمير، هذه دجلة قد جاءت بمذ عظيم يُرْغَب مثله . وبينك وبين منزلك مَبِيتُ لَيْلَةٍ ، فلوشئت أنحرته ، قال : لا بد لى من الشراب ، وأندفعت مغنية فَنَنَّتْ ، وأندفعت أخرى فَنَنَتْه :

يَا رَحْمَتَا الْعَاشِقِينَ ، « مَا إِنْ أَرَى لَمْ مُعِينَا !

كَمْ يُسْتَمُونَ وَيُضَرُّو « نَوِيْجَرُونَ ، فَيَصِرُونَ !

فألت لما المغنية الأولى : فيصنعون ماذا؟ قالت : يصنعون هكنا ، وَرَفَعَتِ السَّارَةَ وَقَدَفَتْ بِنَفْسِهَا فِي دِجْلَةٍ . وكان بين يدي محمد غلامٌ ذَكَرَ أَنَّ شَرَاءَهُ أَلْفُ دِينَارٍ ، بيده مِذْبَةٌ ، لم أر أحسن منه . فوضع المِذْبَةَ من يده وقذف بنفسه في دجلة ، وهو يقول : أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي . بعد انْفِضَا ، لَوَعَلَّيْنَا !

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما ، فصاح بهم محمد : دَعُوهُمَا يَتَرَوَا إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! قال : فوَأَيْتَهُمَا وَقَدْ نَحَرَجَا مَعْتَقَيْنِ ثُمَّ غَرَّقَا .

❧

وحكى عن جميل بن معمر العذري أنه قال : دخلتُ على عبد الملك بن مروان فقال لى : يا جميل حدثنى بعض أحاديث بنى عذرة . فإنه بلغنى أنهم أصحاب أدب وَغَزَل ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، آتَجْعُوا عَنْ حَبِّهِمْ مَرَّةً فوجدوا النُّجْمَةَ بموضع نازح ققطنوه . فخرجت أريدهم . فبينما أنا أسير ، غِلَطْتُ الطَّرِيقَ وَجِئْتُ عَلَى اللَّيْلِ ،

- فلاح لي باب قصصته . فوردت على راجع في أصل جبل قد ألبا غنمه إلى كهف في الجبل ، فسلمت عليه ، فردّ على السلام ، وقال : أحسبك قد صلّلت الطريق ؟ قلت : قد كان ذلك ، فأرشدني ! قال : بل أنزل حتى تريح ظهرك ، وتبيت ليلتك ، فإذا أصبحت وقفتك على القصد . فنزلت فرحبت بي وأكرمني ، وعمد إلى شاة فذبحها ، وأجج نارا ، وجعل يشوي ويلقي بين يدي ، ويحدثني في خلال ذلك . ثم قام إلى كساء فقطع به جانب الخباء ومهد لي جانباً ، ونزل جانباً خالياً . فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكو إلى شخص . فأرقت ليلتي . فلما أصبحت ، طلبت الإذن فأبي ، وقال : الضيافة ثلاث ! فأقمت عنده ، وسألته عن اسمه ونسبه وحاله ، فأنتسب لي ، فإذا هو من بني عذرة ، من أشrafهم . فقلت : يا هذا ، وما الذي أحلك هذا الموضع ؟ فأخبرني أنه كان يهوى أخته عم له وتواه ، وأنه خطبها إلى أبيها فأبي أن يزوجه إياها لقلّة ذات يده ، وأنه زوجها رجلاً من بني كلاب فخرج بها عن الجحى وأمسكها في موضعه ذلك ، وأنه تنكر ورضى أن يكون راعياً لتأنيته ويرأها . وجعل يشكو إلى صبيّاته بها وعشقه لها ، حتى إذا جئنا الليل وحان وقت مجيئها ، جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كلتوقع لها . فلما أبطأت عن الوقت المعتاد وغلبه الشوق ، وشب قائماً وأنشأ يقول :
- ١٥ ما بال مية لا تأتي لغادتها ! • أهاجها طرب أم صدها شغل ؟
لكن قلبي لا يلهيه غيرهم • حتى الممات ، ولال غيرهم أمل !
لو تملين الذي بي من فراقكم • لما أعطلت ولا طابت لك العال !
روحي فدائك ! قد هيّجت لي سقا • تكاد من حرّ الأعضاء تنفصل !
لو أن عاديه مني على جبل ، • لزال وأنهد من أركانه الجبل !

ثم قال : يا أخا بني عذرة ، مَكَانَكَ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ ! لِمَا أَتَوْهُمْ أَنْ أَمَرَ ابْنَةَ عَمِّي صَهِيحًا ! ثم مضى ، لِمَا لَبِثَ أَنْ أَقْبَلَ وَعَلَى يَدِهِ شَيْءٌ مَحْمُولٌ ، وَقَدْ عَلَا شَبِيهَتُهُ وَنَحْبِيهٌ ، فَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي عَذْرَةَ ، هَذِهِ ابْنَةُ عَمِّي ، أَرَادَتْ أَنْ تَأْتِيَنِي فَأَعْرَضَهَا الْأَسَدُ فَالْكُلْهَا ! ثم وضعها عن يده ، وقال : عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ ، وَمَضَى فَاعْلَأَ حَتَّى يَلْسُتُ مِنْ رَجُوعِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَرَأْسُ الْأَسَدِ عَلَى يَدِهِ ، فَالْقَاهَا وَجَعَلَ يَنْكُتُ عَلَى أَسْنَانِ الْأَسَدِ وَيَقُولُ :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الْمُحِيلُ بِنَفْسِهِ ! هَلَكْتَ ! لَقَدْ حَرَّثَ بِدَاكِ لَنَا حُرْثًا !
وَعَادَرْتَنِي فَرْدًا وَقَدْ كُنْتُ آلِفًا ۖ وَصِرْتَ بَهْنِ الْأَرْضِ ثُمَّ لَنَا بَحْنًا !
أَقُولُ لَدَهْرٍ خَاتَمِي بِفِرَاقِهِ : « مَعَاذَ إِلَهِي أَنْ أَكُونَ لَهُ خِدْنًا !

ثم قال : يا أخا بني عذرة ، إِنَّكَ سَتَرَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ مَيْتًا ! فَإِذَا مِتُّ فَأَعِمْدَ إِلَى وَابْنَةِ عَمِّي ، فَأُدْرِجْنَا فِي كَفَنٍ وَاحِدٍ ، وَأَحْفُرْ لَنَا جَدْنًا وَاحِدًا ، وَأَدْفِنْنَا فِيهِ ۖ وَأَكْتُبْ عَلَى قَبْرِى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

كُنَّا عَلَى ظَهْرِيهَا ، وَالْعَيْشُ فِي مَهْلٍ ! ۖ وَالشَّمْلُ يَجْمَعُنَا وَالِدَارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ وَالتَّصْرِيفُ أَلْفَتَنَا ۖ فَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَلَدِهَا الْكَفَنُ .

وَرُدُّ النِّعَمِ إِلَى صَاحِبِهَا وَأَعْلَامِهِ بِقِصَّتِنَا ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى خِذَاقِ فِطْرِهِ فِي عَقَبِهِ ، فَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَفْعَلَ ، فَأَبَى وَجَعَلَ يَخْتَقِ نَفْسَهُ حَتَّى سَقَطَ مَيْتًا ، فَكَفَّنَتْهُمَا وَدَفَنْتَهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، وَكَتَبَتْ الْبَيْتَيْنِ عَلَى قَبْرِهِمَا ، وَرَدَّدَتْ النِّعَمَ إِلَى صَاحِبِهَا ، وَأَعْلَمَتْهُ بِقِصَّتِهِمَا بِخَزْنٍ حُرْثًا شَدِيدًا أَشْفَقَتْ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ

ذكر شيء مما ورد في التحذير من فتنه النساء ، ودم الزنا ، والنظر
إلى المردان ، والتحذير من اللواط ، وعقوبة اللائط



أما ما ورد من التحذير من فتنه النساء ، فقد روى عن أبي أمامة بن يزيد ،
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا تَرَكَتُ فِي النَّاسِ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرُّ
عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ .
فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي النِّسَاءُ وَانْحِرَاءُ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لم يكن كفر من مضى إلّا من قبل
النساء ، وهو كائن ، كفر من بقي من قبل النساء .

وعن حسان بن عطية ، قال : ما أثبت أمة قط إلا من قبل نسايتهم .

وعن سعيد بن المسيب ، قال : ما يئس الشيطان من آبن آدم قط ، إلا أنه من
قبل النساء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قَالَ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ : يَا رَبِّ قَدْ أَهْطَ آدَمُ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سَيَكُونُ لَهُمْ كِتَابٌ

ورسِل، فما كَلَّمَهُمْ وَرُسَلَهُمْ؟ قال الله عز وجل: رسلهم الملائكة والنبِيُّونَ منهم، وَكُتِبَتْهُمْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالْفُرْقَانُ، قال: فما كَلَّمَاي؟ قال: كَلَّمَاكَ الْوَشْمُ، وَقُرْآنُكَ الشَّعْرُ، وَرُسُلُكَ الْكَهَنَةُ، وطعامُكَ ما لم يُذَكَّرْ اسمُ الله عليه، وشَرَابُكَ من كل مُسْكِرٍ، وصِدْقُكَ الْكَنْبُ، وَيَتُّكَ الْحَمَامُ، وَمَصَايِدُكَ النِّسَاءُ، وَمُؤَذِّنُكَ الْمِزْمَارُ، وَمَسْجِلُكَ الْأَسْوَاقُ“ .

* *

ومن فتنة النساء، ما رَوَى عن وهب بن منبه أن عبدا كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه. وكان في زمانه ثلاثة إخوة لم يَأْخِذْ. وكانت بكرا. فخرج البعثُ عليهم فلم يَدْرُوا عند من يُخَلِّفُونَ أَخْتَهُمْ، ولا من يَأْمَنُونَ عَالِيَا، فأجمعوا رأيهم على أن يُخَلِّفُوهَا عند العابد. فَأَتَوْهُ وسألوه أن يُخَلِّفُوهَا عنده. فأبى ذلك. فلم يَزَالُوا به حتى قال: أنزلوها في بيتِ جِوَارٍ صَوْمِعَتِي، فأنزلوها في ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها. فمَكَثَتْ في جِوَارِ الْعَابِدِ زمانًا يُنْزَلُ إليها الطعامُ من صومعته فيضعه عند باب الصومعة، ثم يُفَلِّقُ بابه ويضعه صومعته. ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام. قد: فتألف له الشيطان، فلم يزل يُرَغِّبه في الخير ويعظم عنده خروج الجارية من بيتها نازا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلم يزل به حتى مشى بطعامها ووضعه عند باب بيتها، ولا يكلمها. فَلَبِثَ بذلك زمانا. ثم جاء إبليس فرغبه في الخير والأجر، وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها. كان أعظم لأجرك. فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها. فَلَبِثَ بذلك زمانا. ثم جاء إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه، وقال له: لو كنت تكلها وتحبها، فتأنس بجديتك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، فلم يزل به حتى حدثها

- زمانا، يطْلُع إليها من فوق صومعته . ثم أتاه إبليس بعد ذلك ، فقال له : لو كنت تنزل إليها فتتعد على باب صومعتك وتحثها ، وتتعد على باب بيتها فتحدثك ، كان آتس لما . فلم يزل به حتى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحثها ، وتخرج الحارية من بيتها حتى تتعد على بابها ، فلبثا زمانا يتحدثان . ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير ، فقال : لو خرجت من باب صومعتك جلست قريبا من بيتها تحدثها ، كان آتس لما . فلم يزل به حتى ٥
- فعل . فلبثا بذلك زمانا . ثم جاءه إبليس فقال : لو دتوت من باب بيتها ، ثم قال : لو دخلت البيت تحدثها ولم تركها تُبرز وجهها لأحد ، كان أحسن ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحثها نهاره كله . فإذا أمسى صعد في صومعته . قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك ، فلم يزل يزيئها له حتى ضرب العابد بيده على فخذه وقبلها . ثم لم يزل يحسنها في عينه ويُسول له حتى وقع عليها فأحبلها ، فولدت غلاما ، فجاء إبليس ، فقال له : أرايت إن جاء إخوتها ، وقد ولدت منك كيف تصنع ؟ فاعمد إلى آبنها فاذبحه وأدفنه ، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها ، فقتله . ثم جاءه ، فقال : أترأها تكتم ما صنعت بها ؟ خذها فاذبحها وأدفنها مع آبنها ، فذبحها وألقاها في الحفرة . فكث ما شاء الله حتى قتل إخوتها من الغزو . فجاءه فساءلوه عن أختهم فنعاه لهم وترحم عليها وبكأها ، وقال : كانت خير امرأة ، وهذا قبرها . فأتى إخوتها القبر فبكوا ١٥
- وترحموا عليها ، وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا إلى أهاليهم . قال : فلما جثم الليل وأخذوا مضاجعهم ، أتاهم الشيطان في النوم فبدأ بكبرهم فسأله عن أختهم . فأخبره بقول العابد وموتها . فكذب الشيطان . وقال : لم يصدقكم أمر أختكم . إنه أحبلها وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه قرقا منكم ، وألقاها في الحفرة خلف باب البيت . وأتى الأوسط في منامه ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتى أصغرهم ، فقال له مثل ٢٠

نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ مِنْ فَتْنَتِهِمْ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وعن أبي حمزة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 “لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ - وَلَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ” الحديث
 وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 “ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، مَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أُمَّتَهُ تُزْنِي ” .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "اشتد غضب الله تعالى على الزناة".

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 "إن الإيمان سِرْبَالٌ يُسَرِّبُهُ اللهُ مَنْ يَشَاءُ. فإذا زنى العبدُ، بُزِعَ منه سِرْبَالُ الإيمانِ.
 فإذا تاب رُدَّ عَلَيْهِ".

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ما من ذنبٍ بعد الشركِ أعظمَ عند الله
 من نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ فِي رَحِمِ لَيْلَى لَهُ".

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِيَّاكُمْ
 وَالزَّيْنَاءَ، فَإِنَّ فِي الزَّيْنَاءِ خِصَالًا، ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا، وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ : فَمَا اللُّوَاقِ
 فِي الدُّنْيَا، فَتَهَابُ نُورُ الْوَجْهِ، وَانْقِطَاعُ الرِّزْقِ، وَسُرْعَةُ الْفَنَاءِ؛ وَأَمَا اللُّوَاقِ فِي الْآخِرَةِ،
 فَغَضَبُ الرَّبِّ، وَسُوءُ الْحِسَابِ، وَالخُلُودُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ تَعَالَى".

وعن عبد الله قال : قلت : يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ
 نِدَاءً، وَهُوَ خَلَقَكَ !" قلت : ثم أى ؟ قال : "أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ
 مَعَكَ". قلت : ثم أى ؟ قال : "أَنْ تَرَى بِحَلِيلَةٍ جَارَكَ".

والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة .



وأما ما جاء في النهي عن النظر إلى المُرْدَانِ ومجاسمهم . روى عن أبي السائب
 أنه قال : لَأَنَا عَلَى الْقَارِئِ مِنَ الْغُلَامِ الْأَمْرِدِ أَخَوْفُ مِنِّي عَلَيْهِ مِنْ سَبْعِينَ عَدْرَاءَ.
 وفي لفظ عنه : لَأَنَا أَخَوْفُ عَلَى عَابِدٍ مِنْ غُلَامٍ أَمْرَدٍ مِنْ سَبْعِينَ عَدْرَاءَ .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : إذا رأيتم الرجل يُلحُ النظر إلى غلام أمرد ،
فأتهموه .

وكان سفيان الثوري رضي الله عنه لا يدع أمرد يحاله .

وعن يعقوب بن سوال قال : كما عند أبي نصر بشر بن الحارث . فوقفت عليه
جارية مارأينا أحسنَ منها ، فقالت ياشيخُ : أين مكانُ باب حرب ؟ فقال لها :
هذا الباب الذي يقال له باب حرب . ثم جاء بعدها غلام فسأله ، فقال له ياشيخُ :
أين مكانُ باب حرب ؟ فأطرق بشرٌ . فردَّ عليه الغلامُ السؤالَ فغمضَ عينيه . قلنا
للفلام : أي شيء تريد ؟ فقال : باب حرب . قلنا : بين يديك . فلما غاب . قلنا
يا أبا نصر . جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها ، وجاءك غلام فلم تكلمه ؟ فقال : نعم ، يروى
عن سفيان الثوري أنه قال : مع الجارية شيطانٌ . ومع الغلام شيطانان ، فخشيت على
نفسى من شيطانيه .

وعن أبي سعيد الخراز . قال : رأيت إبليس في النوم . وهو يزعج ناحية . فقلت :
تعال ، فقال : أي شيء أعمل بكم ؟ أنتم طرحتكم عن نفوسكم مأخادعُ به الناس ، قلت
ماهو ؟ قال : الدنيا ، فلما ولى . آلفت إلى فقال : غير أن لي فيكم لطيفةً ،
قلت : ماهي ؟ قال : محبةُ الأحداث .

وعن مظفر القرميضي . قال : من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة ،
أذاه ذلك إلى البلاء ، فكيف من صحبهم على غير وجه السلامة ؟

وقد ذكر أبو العرج في كتابه المترجم "بذم الهوى" من آفتن بالأحداث ، وصرح
باسمائهم . فلم تؤثر التمرض لذلك ، لما فيه من التشجيع عليهم والإذاعة لمساوئهم .



وأما ما جاء في التحذير من اللواط وما ورد في تحاق النساء، روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ملعون ملعون من عمل بعمل قوم لوط" . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ولعن الله من عمل بعمل قوم لوط" .

وعن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط" . وفي لفظ آخر عنه صلى الله عليه وسلم : "إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدى عمل قوم لوط ، ألا فالتَّزَوُّبُ أمتي العذاب إذا كان الرجل بالرجال والنساء بالنساء" .

١٠ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دُبُرِها" .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لم يعمل خلقٌ خلقاً حتى كان قوم لوط ، فإذا علا الفحلُ الفحل ، أرتج أدامتُ عرش الرحمن عز وجل ، فاطلمت الملائكة تعظيماً لفعلهما ، فقالوا : يا رب ، ألا تأمر الأرض أن تنورَ بهما ، وتأمر السماء أن تحبسَ بهما ، فيقول الله تعالى : إني حلیم لا يفوتني شيء" . ١٥

وعن سماك بن حرب ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إن الرجل لبأى الرجل فتضيح الأرض من تحتها ، والسماء من فوقهما ، والبيت والسقف ، كلهم يقولون : أي رب ، أئذ لنا يطبق بعضنا على بعض فنجعلهم نكالا ومعتبرا ، فيقول الله عز وجل : إنهم وسعهم حابي ولن يفوتوني .

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول : لو أنَّ رجلاً عَبَثَ بِنِظَامٍ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَجُلٍ يَرِيدُ الشَّهْوَةَ ، لَكَانَ لِرِوَاطَا .

وروى عن مكحول عن وائلة بن الأسقع أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **”يُخَالِقُ النِّسَاءَ زَيْنٌ بَيْنَهُنَّ“** .



وأما ماورد في عقوبة اللائط والملوط به في الدنيا والآخرة :

أما عقوبة الدنيا، فقد جاء بها نص القرآن في قصة قوم لوط، وشرح أفعالهم، وما عذبوا به في آي كثيرة :

وجاء في الأحاديث النبوية، على فائتها أفضل الصلاة والسلام، في عقوبة اللائط والملوط به ما يدل على التغليظ والتشديد .

فمن ذلك ما روى عن عكرمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيمن عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطَ : **يُقْتَلُ الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ**، وفي لفظ آخر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : **أَقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ**، في عَمَلِ قَوْمِ لُوطَ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **”مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطَ قَاتِلُوهُ“** .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **”مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطَ ، فَارْجِعُوا الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ“** .

وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه وجد رجلا في بعض الأضاحي ينكح رجلا كما تنكح المرأة . فجمع أبو بكر رضي الله عنه لذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم . فبهم علي بن أبي طالب، وقال : إن هذا ذنب لم تعمل به أمة إلا أمة واحدة . ففعل الله بهم ما قد علمتم . أرى أن يحرقه بالنار . فأجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يحرق بالنار . فأمر به أبو بكر رضي الله عنه أن يحرق بالنار . وقد حرقهم عبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك .

— وعن يزيد بن قيس أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجم لوطيا .

— وعن سعيد بن زيد قال : مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ما حدث اللوطي؟ قال : ينظر أعلى بيت في القرية فيرى منكسا ثم يلبع بالحجارة .
والتابعين ولأئمة العلماء في ذلك أقوال :

فمنهم من رأى أن حده كحد الزنا، وفوق بين المحصن وغير المحصن .

ومنهم من رأى أن حده القتل أحصنا، أولم يحصنا .

روى سفيان عن جابر عن الشعبي أنه قال : اللوطي يرمي، أحصن أولم يحصن .

وعن ابن أبي نعيم عن عطاء قال : حد اللوطي حد الزاني، وإن أحصن رجم،
والأجلد . وبه قال الميثم .

وعن قتادة عن الحسن أنه قال في الرجل يخاطب الرجل : إن كان أحصن، جلد .
ورجم، وإن كان لم يحصن، جلد ونفى .

وعن مالك بن أنس عن الزهري قال : يرمي، أحصن أولم يحصن .

وعن الطيالسي قال : حدثنا إسحاق الكوفي ، قال : قلت لأحمد بن حنبل :
أيرجم اللوطي ، أحسن أولم يُحصن ؟ قال : يرجم ، أحسن أولم يُحصن .
وقد روى عن أحمد بن حنبل أن حد اللوطي - كحد الزاني - يختلف بالثبوتة والبراءة .
وهو قول محمد عن الشافعي .

وقال الحكم : يضرب اللوطي دون الحد . قال ابن الجوزي : وإلى هذا مال
أبو حنيفة .

وأما مذهب ابن حزم الظاهري : فإنه لا يضرب في اللواط فوق عشرة أسواط .
وقال النخعي : لو كان أحد يبغي أن يرجم مرتين ، لكان يبغي أن يرجم اللوطي
مرتين .

وحكي أبو الفرج بن الجوزي ، قال : أخبرتنا شهدة بنت أحمد ، قالت : أخبرنا
جعفر بن أحمد السراج ، قال : أخبرنا عبد العزيز بن علي ، قال : أخبرنا علي بن جعفر
الصوفي ، قال : سمعت الموازي يقول : قال لي رجل من الحاج : مررت بدار قوم
لوط ، وأخذت حجرا مما رجموا به ، فطرحت في غلالة ، ودخلت مصر ، فزلت في بعض
الدور في الطبقة الوسطى . وكان في أسفل الدار حدث ، فأنجرت الحجر من خُرْجِي ،
ووضعت في روضة في البيت . فذا الحدث الذي كان في البيت صبيا إلى عنده
وأجتمع معه ، فسقط الحجر على الحَدِّث من الروضة ، فقتله .

وقال أيضا : أخبرتنا شهدة ، قالت : أخبرنا جعفر بن أحمد ، قال : أخبرنا أبو الحسين
محمد بن عثمان بن مكي ، قال : أخبرني جدِّي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد ،
قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقرئ ، قال : سمعت أبا عبد الله

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : خرجت حاجاً إلى مكة . فلما كانت ليلة عرفات ، رأى الإمام الذي حج بنا تلك الليلة مناماً . فلما صرنا إلى مكة بعد انقضاء الحج ، سمعنا منادياً ينادى فوق الحجر : أنصتوا يا معشر الحجيج ، فأنصت الخلق ، فقال : يا معشر الحجيج ، إن إمامكم رأى أن الله عز وجل قد غفر لكل من وافى البيت العام إلا رجلاً واحداً فإنه فبقى بفلام .

وأما عقوبته في الآخرة، فقد روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قالوا : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في خطبته : "مَنْ نَكَحَّ أَمْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ غُلَامًا أَوْ رَجُلًا، حُسِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْتَنَ مِنَ الْجَنَّةِ، يَتَأَذَى بِهِ النَّاسُ حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ. وَيُحْبَطُ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرَفًا وَلَا غَدَلًا. وَيُحْمَلُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ، وَيُسَمَّرُ عَلَيْهِ بِمَسَامِيرَ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ نَارٍ، فَتَشْتَبِكُ تِلْكَ الْمَسَامِيرُ فِي وَجْهِهِ وَفِي جَسَدِهِ". قال أبو هريرة : وهذا لمن لم يُتَّبَعْ .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^{١٥} قال: "سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولا يجمعهم مع العالمين، يَدْخُلُونَ النَّارَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا، فَمَنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: النَّاسِحُ بِهِ، وَالْقَاعِلُ وَالْمُتَوَلِّئُ بِهِ، وَمَنْشُنْ نَحْرِي، وَالضَّارِبُ أَبِيهِ حَتَّى يَسْتَفِيكَا، وَالْمُوَدِّي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ، وَالنَّاكِحُ حَلِيلَةَ جَارِهِ".

وعن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 "اللوطيان لو اغتسلوا بماء البحر، لم يجزها إلا أن يتوَّأ".

وعن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي يَعْمَلْ عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ ، نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ حَتَّى يُخْتَرَ مَعَهُمْ" .

قلت : وقد بلغني من كثير من الناس أن رجلين مشياً على جانب البركة المعروفة ببركة قوم لوط ، وهى فى غور الكرك على جانبها ضياعٌ ، منها الصافية واللاخية وسويمة وغيرها ، وتعرف هذه البركة أيضاً بالمتقنة ، ويقال إنها إحدى المدائن التى خُسِفَ بها (من مدائن قوم لوط) . فغلاً يتباسطان . فكان من جملة ما قالاه أو قاله أحدهما للإخرفلم ينكره : هذه بركة أحمائنا ، فطلعت من البركة موجة أختطفتهما معاً ، وألقتهما فى البركة . فكان آخر العهد بهما .

وهذه الحكاية يتداولها أهل تلك البلاد . لا ينكرها سامع منهم على قائل . ولا يُبعد أن يُعاقب من تجاهر بمعاصى الله وأنسب لمن كفر بالله وعصاه وكذب رسوله أن يعاقبه الله بما عاقبهم به ويلحقه بهم . وفى بعض هذا عبرة لمن اعتبر .

ولنرجع إلى سياق ما جاء فى ذلك من الأحاديث والأخبار .

روى أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "مَنْ قَبْلَ غُلَامًا بِشْمُوهُ ، عَذَّبَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَمَنْ جَامِعَهُ لَمْ يَحِدِّ رَأْمَةً الْجَنَّةِ ، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ" .

وعن خالد بن إسماعيل بن كثير عن مجاهد ، قال : لو أنب الذى يعمل ذاك العمل (يعنى عمل قوم لوط) أغتسل بكل قطرة فى السماء وكل قطرة فى الأرض ، لم يزل نجساً .

وعن عباد بن الوليد العبدي قال : سمعت إبراهيم بن شماس يقول : سمعت
القضيل بن عياض يقول : لو أن لوطياً أغتسل بكل قطرة من السماء، لقي الله تعالى
غير طاهر .

- وعن طلحة بن زيد عن برد بن سنان عن أبي المنيب عن عبد الله بن عمرو رضى
الله تعالى عنهما، قال : يُحْشَرُ اللّوْطِيُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْخَازِيرِ .
وعن أبي الصهباء عن سعيد بن جبيرة عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قال :
مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَالٍ، خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، حَتَّى إِنْ الْوُطَى يَخْرُجَ
يُطَاقُ ذِكْرُهُ عَلَى دِرْصَاحِهِ مَفْتَضِحِينَ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

- هذا ما أمكن إيراد في هذا الفصل على سبيل الاختصار والإيجاز، وإلا فالأخبار
في العشق وتوابعه وما يتولد عنه كثيرة جداً، ووقفنا منها على كثير، ولا يحتمل أن
يُورَدَ فِي الْكُتُبِ الشَّامِلَةِ لِمَنُونٍ مُخْتَلَفَةٍ أَكْثَرُ مِمَّا أوردناه . فلنذكر الآن نبذة مما
قيل في الغزل والنسيب .

ذكر نبذة مما قيل في الغزل والنسيب

- هذا الباب — أكرمك الله وعافاك، ووقاك من فتنه وكفالك — باب متسع، قد
أكثر الشعراء القول فيه، وتنوعوا في أساليبه ومعانيه؛ لو استقصيناها لطال به
هذا التصنيف، وأنبسط هذا التأليف؛ وكان يفرد كُتُباً مبسطة وأسفاراً كبيرة،
فلخصنا منه درراً نفيسة وأعلاماً خطيرة؛ وأقتصرنا منه على ما رقق معناه وراق،
وحسن لفظه وشاق؛ وأرناحت إليه النفوس، وتحلت به الطروس؛ ولجئته النواظر،
وأنجذبت إليه الأنظار . وقد تنوع الشعراء في الغزل : فتمزّلوا في المحبوب باسمه،

(٧٨)

وَكُنُوا عَنْهُ وَأَسْتَعَارُوا لَهُ ، وَوَصَفُوا أَعْضَاءَهُ وَشَبَّهُوا بِأَشْيَاءَ ، فَشَبَّهُوا الْعِيُونَ
بِالنَّجَاسِ ، وَأَفْعَالَهَا بِالْفَحْشِ وَالسَّهَامِ ، وَشَبَّهُوا الْحَوَاجِبَ بِالْقَيْسِ ، وَالْجَيْنَ بِالصَّبَاحِ ،
وَالشُّعُورَ بِاللَّيَالِي ، وَالسَّوَالِفَ بِالْفَوَالِي وَالصَّوَابِجَ وَالْعَقَارِبَ ، وَشَبَّهُوا الْوَجْهَ بِالشَّمْسِ
وَالْقَمَرِ ، وَشَبَّهُوا الْخُدُودَ بِالرُّودِ وَالثَّقَاجِ ، وَشَبَّهُوا الثُّغُورَ بِالْأَحْقُوانِ ، وَالْيَاسَ بِالْفَخْرِ ،
وَالرِّيقَ بِالشَّهْدِ ، وَالشَّفَاةَ بِالْعَقِيقِ ، وَالْأَسْنَانَ بِاللُّؤْلُؤِ ، وَشَبَّهُوا التَّهَوُّدَ بِالرُّمَّانِ ، وَالْقَوَامَ
بِالْفُصُونِ ، وَالْأَرْدَافَ بِالْكُتُبَاتِ . وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ إِيرَادُ ذَلِكَ كُلِّهِ مَسْتُوفًى
فِي مَوْضِعِهِ ، وَهُوَ فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا الْبَابِ .

وَتَقَرَّرُوا أَيْضًا فِي أَصْنَافِ الْقَوَائِدِ الْمَأْكُولَةِ وَالْمَشْمُومَةِ ، وَتَقَرَّرُوا فِي الرِّيَاضِ
وَالْأَزْهَارِ .

١٠ وَسَبْنُورِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ ، وَهُوَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
مِنَ الْفَنِ الرَّابِعِ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ، فِي السَّفَرِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذِهِ النِّسْخَةِ .

فَلَنُورِدُ الْآنَ هَاهُنَا مِنْ بَابِ الْفَزْلِ وَالنَّسِيبِ خِلَافَ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ
وَمَا نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالَّذِي نُورِدُهُ فِي هَذَا الْبَابِ نَبِيئَةً مِمَّا قِيلَ فِي الْمَذْكُورِ ، وَالْمُؤَنَّثِ ، وَالْمُطْلَقِ ،
وَالْمَشْتَرَكِ ، وَطَيْفَ الْخِيَالِ ، وَالرَّدَّ عَلَى الْمَذُولِ ، وَرُجُوعَ الْعَذُولِ ، وَالْوِصَالَ ، وَالْفَرَاقَ ،
وَالْبَيْنَ ، وَالتَّوَدُّعَ ، وَالصَّدَّ ، وَالْهَجْرَانَ ، وَمَا قِيلَ فِي الزِّيَارَةِ وَتَخْفِيفِهَا ، وَمَوَانِعِهَا ،
وَالْمَدَامَعِ ، وَالرِّضَا مِنَ الْمَحْبُوبِ بِالسَّيْرِ ، وَالتَّحْوِيلِ ، وَمَا قِيلَ فِي الْمَحْبُوبِ إِذَا أَعْتَلَّ
وَمَا قِيلَ عَلَى لِسَانِ الْوَرَقَاءِ ، وَالْمَرَاஜِمَاتِ ، وَالْمُرْدُوفِ ، وَالْجَنَاسِ ، وَالْمُؤَنَّثَاتِ .

فما قيل في المذكر

قال العباد الأصغفاني الكاتب :

وأخوذي سبي يطرف يكل * وتَجَلُّ منه القلب والظباء.
بجدي من حُسنه والشباب * تَجَمَّع ضِدَان : نار وماء،
وفي مُقَابله وقد صَحَّما * كما صَحَّما سَقَمُ وأنشاء،
عَفَّت وعَفَّت الحَيَا في هوا * حتى أَسْتوى صَدُّه واللقاء،
وكلُّ حياءٍ يَلُود العَفَا * فَعَنْ وَدَّ، فعليه العَفَا!

(٧٨)

وقال آخر :

وكان بهجة وجهه في شعره * قَرَّبَنَا في لَيْلَةٍ لَيْسَاءِ،
وكان قَرَّبَ صُدُغِهِ في خَدِه * وَقَفَّتْ غُفَاةً نَارِه والماء،
قَرَّرَجُوتُ من الزمانِ وَصَالُهُ * يَوْمًا، فَاخْلَفَ الصُّدُودَ رَجَائِي!

وقال عبد الجليل بن وهبون :

وَأَمْتُ بِهِ غَفْلَةُ الرِّقِيبِ * والنَّجْمُ قد مَالَ للغُرُوبِ ،
تَشْوَانٌ قد هَزَّتْ الحُجْيَا * مِنْهُ قَضِيًّا عَلَى كَثِيبِ !
يَعْتَرُّ في ذَيْلِهِ فَيُحَكِّي * عَثْرَةَ عَيْنِهِ في القُلُوبِ !
وَاللهِ لو نَالَتِ السُّرُيَا * مَا نَالَ مِنْ بهجةٍ وَطِيبِ ،
دَنَا إِلَيْهَا المَلَالُ حَتَّى * قَبْلَ في كَفْهَا الخَضِيبِ !

وقال ابن حجاج :

وَمَنْ لِّلْ ! أَمَا القَضِيبُ قَعْدُهُ * شَكَلَا وَأَمَا رِدْفُهُ فَكَثِيبُ !
يَمْنَى وقد فَعَلَ الصَّبَا بَقَوَامِهِ * فَعَلَ الصَّبَا بالنُّصْنِ ، وهو رَطِيبُ .

مُتَلَوْنَ يُسَدِّى وَيُنْفِى تَخْصَمَهُ * كَالْبُسْدِ يَطْلُعُ تَارَةً وَيَنْبُ.
أَرَى مَقَاتِلَهُ فَتَحَطُّ أَسْهُى * غَرَضِي، وَرَبِّى مُهَجِّبِي فَيُصِيبُ!
نَفْسِي فِدَاؤُكَ! إِنَّ نَفْسِي لَمْ تَرَلْ * يَحُلُو فِدَاؤُكَ عِنْدَهَا وَيَطْلِبُ!
مَالِي وَمَالِكَ لَا أَرَاكَ تَرَوَّرِي * إِلَّا وَدُونَكَ كَاشِحٌ وَرَقِيبُ!

وقال أبو نُوَاس :

شَبِهُهُ بِالْقَضِيبِ وَبِالْكَنْيَبِ ! * غَرِيبُ الْحَسَنِ دُونَكَ غَرِيبُ!
بَعِيدٌ . إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا ، * رَجَعْتُ وَأَنْتَ ذُو أَجَلٍ قَرِيبُ!
تَرَى لِلصَّمْتِ وَالْحَرَكَاتِ فِيهِ * سَوَامًا لَا يُبَادُّ عَنِ الْقُلُوبِ .
وَيَمْحُضُ الْقُلُوبَ بِمَقْلَبَتِهِ ، * فَيَتَكَشَّفُ الْبَرَى مِنَ الْمُرَبِّ!

وقال الواواء الدمشقي :

بَدْرٌ تَقَنَّبَعَ بِالظَّلَا * مَ عَلَى قَضِيبٍ فِي كَثِيبِ!
تَدْعُو عَاسِيَهُ الْقُلُوبُ * بَ إِلَى مُشَاقَّةِ الذُّنُوبِ .
فَعَلْتُ بِهِ رِيحُ الصَّبَا * مَا لَيْسَ تَفْعَلُ بِالْقَضِيبِ .
عُقِلْتُ رِكَابُ حَسَنِ * بِقَوْلِنَا عِنْدَ الْمَقِيبِ .
وَتَلَطَّمْتُ وَجَنَاتِنَا * بِيَدِ السُّمُوعِ مِنَ النَّحِيبِ!

وقال الأمير تاج الملوك ابن أيوب :

سَلَبَ الْفُؤَادَ فَلَا عَيْتُ السَّالِبَا ! * وَرَبَا ، فَكَانَ الْحُطُّ سَهْمَا صَائِبَا!
قَرَّرَ مَشَارِقَهُ الْجُيُوبُ ، فَلَا تَرَى * أَبَدًا لَهُ إِلَّا الْقُلُوبَ مَفَارِبَا!
مَلَكَ الْفُؤَادَ بِمَقْلَبَتَيْنِ وَحَاجِبِ * أَمْسَى لِحْسَنِ الصَّبْرِ عَنِّي حَاجِبَا .
وَحَكَى الْقَضِيبَ شِمَاثًا عَيْتَتْ بِهِ * أَيْدَى النَّسِيمِ شِمَاثًا وَجَنَابَا!

وقال أيضا :

يَا أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي * مَطْلَعُهُ طَوُوقُ الْقَبَا!
يَا جَنَّةَ الْقَلْبِ الَّذِي * أَضْرَمَ فِيهِ لَهَبًا!
قَدَّيْتُ هَذَا الْوَجْهَ ، مَا * أَحْسَنَهُ وَأَعْجَبًا!
لَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهُ : * صُبْحًا تَرَدَّى غَيْبًا!

وقال أبو نُوَاس :

يَا بَدْعَةً فِي مِثَالٍ * يَحُورُ حَدْ الصِّفَاتِ!
فَالْوَجْهَ بَدْرٌ تَعْلَمُ * بِسَيْنِ ظَلْمِي فَلَاةِ!
وَالْقَدَّ قَدْ غُلَامٍ * وَالنَّجَجَ غَنَجَ قَنَاءِ!
مَذْكَرٌ حِينَ يَبْدُو ، * مَوْثُتُ الْخَلَوَاتِ!
زَعَا عَلَى بَصْدَنِغٍ * مُزْدَقِنِ الْحَلَقَاتِ .
مِنْ فَوْقِ حَنْدِ أَيْلٍ * يُضِيءُ فِي الظُّلُمَاتِ!

وقال كُشَاجِم :

مُعْتَدِلٌ مِنْ كُلِّ أَعْطَافِهِ * مُسْتَحْسِنُ الْإِقْبَالِ وَالْمُلْتَقَاتِ!
لَوْ فَهِمْتَ الدُّنْيَا وَلَذَائِبَهَا * بِسَاعَةٍ مِنْ وَصْلِهِ ، مَا وَفَّتِ!
سَلَّطْتَ الْإِلْحَاطَ مِنْهُ عَلَى * قَلْبِي ، فَلَوْ أَوَدَّتْ بِهِ مَا أَشْتَفَّتِ!
وَأَسْتَعْدَبْتَ رُوحِي هَوَاهُ فَمَا * تَسْلُو وَلَا تَصْحُو ، وَلَوْ أُنْقَلَّتِ!

وقال فضل الرِّقَاشِي :

وَسَاطِرُ فَاتِكِ الشَّائِلِ قَبْدٌ * خَالَطَ مِنْهُ الْمَجُورُ تَحْنِينًا .
تَرَاهُ طَوُورًا مَذْكُورًا ، فَإِذَا * عَاقَرَ رَاحًا ، رَأَيْتَ تَأْنِينًا .

أَتَنَحُّ إِنْ قُلْتَ بِأَفْدَيْتَكَ : قُلْ * مُوسَى، يَقُلْ مِنْ رُطُوبَةٍ: مُوتًا.
مَا زَالَ حَتَّى الصَّبَاحِ مَعْتَنِي * مُطَارِحِي فِي الدُّجَى الْأَحَادِيثَا.

وقال كُشَايَم :

بَلَيْتُ بُوَجْدِيْنِ وَجِدِي بَقَلِي * يَصُدُّ، وَمَا بِهِ إِلَّا لِحَاجُ.
وَعَدْنِي قَضِيْبٌ فِي كَتِيْبٍ * تَسَاوَى فِيهِ لَيْتٌ وَأَنْدِمَاجُ.
أَغَارُ إِذَا دَنَتْ مِنْ فِيهِ كَأْسُ * عَلَى دُرٍّ يَقْبَلُهُ رُجَاجُ.

وقال أيضا :

يَا قَوِي! مَنْ لِمُكْتَبٍ * دَمْعُهُ فِي الْخَدِّ مُنْصَفِحُ؟
لَأَمَّةُ الْعُدَالِ فِي رَشِي * صُدْرُهُ مِنْ مِثْلِهِ يَضْحُ.
وَأَدْعُوا نُصْحِي! وَأُخُوْنُ مَا * كَانَ عُدَالِي إِذَا نَصَحُوا!
خَوْفُونِي مِنْ قَضِيْحَتِهِ، * لَيْتَهُ وَافِي وَأَقْضِيْحُ!
كَيْفَ يَسْأَلُوا الْقَلْبَ عَنْ غُصْنٍ، * عَالَهُ مِنْ مَائِهِ الْمَرْحُ؟
ذَهَبُ الْحُسْنِ مَحَبٌّ مِنْ * وَجَنَّتِهِ النَّارُ تَقْتَدِحُ!
وَكَأَنَّ الشَّمْسَ نِيْطَ لَهَا * قَمَرٌ، يُنْهَاهُ وَالْقَدْحُ.
صَدَّ أَنْ مَا زَحْتَهُ غَضَبَا! * مَا عَلَى الْأَحْبَابِ إِنْ مَزَحُوا؟
وَهُوَ لَا يَدْرِي لِنُخْوَتِهِ * أَنَّنَا فِي النَّوْمِ نَصْطَلِحُ!
ثُمَّ لَا أُنْسِي مَقَالَتَهُ : * أَطْفِيْلِي وَمُقْتَرِحُ؟

(١) كَذَا فِي الْأَجُولِ، وَهُوَ غَالِفُ الْوَزْنِ الثَّمَرِي، وَالْقِي فِي دِيْرَانِ كُشَايَمِ الْمَطْبُوعِ :

* بَلَيْتُ وَلَجَّ بِي وَجِدِي بَقَلِي * الْاِيْبَاتِ.

وقال تاج الملوك آبن أيوب :

قَدِيتُ وَجَهَ الْحَبِيبِ بَدْرًا ! * وَالْبَدْرِ يُقْدِي ، وَلَيْسَ يَقْدِي !
مَسَى فُؤَادِي بِلَيْلِ شَمَرٍ * وَصُبَّحَ وَجْهِهِ وَغَضِبَ قَدَّ .
فِي لَيْلِهِ عَنَبٌ مُدَاغٌ * فِي قَهْوَةٍ خُرْلُطٌ بِشَهْدِ .
كَأَنَّمَا خَدُّهُ شَقِيقٌ ، * نُقْطَ مِنْ خَالِهِ بَنْدِ .
ظَلَمْتُ مِنَ الْعُرْكَ دُودَلَالٌ * يَسْتَحْسِنُ الْجَوْرَ وَالتَّعَدِي .
كَأَنَّهُ غَضَبٌ خَيْرُ رَايَةٍ ، * إِذَا أَنْتَلَى أَوْ قَضِبُ رَنْدِ .
يُحِلُّ فِي الْحُبِّ عَقْدَ صَبْرِي * إِنْ شَدَّ فِي الْخَصْرِ عَقْدَ بَنْدِ !

وقال أبو نُوَاس :

أَيَا مَنْ يُجْئِي عَلَى أَجْتَرِي ؟ * وَمَنْ يَلْسَانِي عَلَى افْتَرِي ؟
وَمَنْ يَسْدِي غَلِي لِلْهَوَى ، * فَاصْبَحْتُ لِلْحُبِّ مَسْتَايِرَا ؟
أَمَّا وَالَّذِي جَعَلَ الْمُسْتَهَامَ * صِدِيقَ الشَّهَادَةِ الْكَرَى !
لَقَدْ ذَهَبَتْ مُهْجَتِي بِاطْلَالٍ ، * لَنْ مَتَّ مِنْكَ عَلَى مَا أَرَى !

وقال آخر :

وَمُهْمَهَيْفِ طَاوِي الْحَشَا * خَنِيتُ الْمَاعِطِيفَ وَالنَّظَرَ !
مَالًا الْقُلُوبَ بِصُورَةٍ * ثَلَيْتُ عَمَاسِنَهَا سُورًا !
إِذَا رَأَى وَإِذَا شَدَا * وَإِذَا سَقَى وَإِذَا سَفَرَا :
فَقَضَّحَ الْفَزَالَ وَالْحَمَامَةَ وَالْمُدَامَةَ وَالْقَمَرَا !

وقال آخر :

إِذَا أَكْثَرَ الْوَاثُونَ فِينَا مَقَالَهُمْ * وَلَيْسَ لَمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ تَارِ ،

وَسَنُوا عَلَى أَسْمَاعِنَا كُلِّ غَارَةٍ • وَقَلَّتْ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي،
لَقِينَاهُمْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَدْمَى • وَأَقَابَسْنَا بِالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ.
وقال آخر، من شعراء اليتيمة :

وَأَعْنِ أَعْبَدَ حُبِّهِ • مَسْتَأْنِسٌ لِي، وَهُوَ نَافِرُ!
إِنْ قُلْتُ : زُرْنِي! قَالَ : تَمْ، • فَالطَّيْفُ لَيْسَ بِزُرٍّ سَاهِرُ!
كَبَيْفِ السَّبِيلِ إِلَى الرُّقَا • دِكَا رَمَمْتُ، وَأَنْتَ هَاجِرُ!
وَبَقُولُ لِي فِيمَا يَقُو • لُ : تَمْ! وَمَا لِلْقَوْلِ آخِرُ!
حَتَّى أَشَاوِرَ! قُلْتُ : لَسِكُنِّي هَوَيْتُ وَلَمْ أَشَاوِرَ!
وقال تاج الملوك :

يَا قِرًّا أَقْبَلَ يَسْعَى عَلَى • دَغِصٍ مِنَ الْأَغْصَانِ مَهْزُوزَا
وَصُكِّكَ، وَوَأَوَّلِي! عَلَى طَيْبِهِ • أَصْبَحَ ذَا مَعٍ وَتَعَزَّيْزِ.
مَا كَانَ إِلَّا بَيْضَةُ الدَّيْكَ لِي • أَوْ مَطْرَةٌ فِي شَهْرِ تَمُوزِ.

وقال أبو نُوَّاس :

عَدَنِي قَلْبِي بِمَنْ قَلْبُهُ • لِلصَّبِّ مِثْلُ الْجَحْرِ الْقَاصِيِ.
أَحْوَرَ قَتَانٍ قَطْرُوفِ الْخَطَا • أَغْبَدَ مِثْلَ الْفُضْنِ مَبَاسِ.
أَيُّتُ لَيْلِي وَنَهَارِي مَعَا • مُعَلِّقًا مِنْهُ يَوْمُوسَاسِ.
لَأَنِّي وَإِنْ لَمْ يَكْ لِي نَائِلٌ • مِنْهُ لَا أَرْجُوهُ عَلَى يَاسِ.

وقال سيف الدين المشد :

لَمَنْ قَتَلَكَ اللَّذَنُ يُعْزَى الْهَيْفُ! • فَمَا هَبَّ الرِّيحُ إِلَّا أَنْعَطَفُ!
قَسَاوَمُ أَرَادَ قَضِيْبُ الْقَبَا • يُحَاكِيه، لَمَّا أَنْتَنِي، فَانْهَضَفُ!

فَيَارِمِيَا قَدْ رَمَانِي هَوَاهُ ٥ بِنَارِ الْأَسْفَى فِي بِحَارِ الْأَسْفِ!
 سِهَامُ جُنُودِكَ قَلْبِي غَدَا ٥ لِمَا غَرَضًا، وَضُلُوعِي هَدَفَ.
 وَأُورِدْتَنِي فِي الْهَوَى مَوْرِدًا ٥ تَجَوَّعْتُ فِيهِ مَرِيرَ التَّلَفِ.
 وَأَعْرَضْتَ عَنِّي، وَلَا ذَنْبَ لِي! ٥ فَكَمْ ذَا الدَّلَالِ! وَكَمْ ذَا الصَّلَفِ!
 وَخُطِفْتُ خَصِيرَ عَلَى رِدْفِهِ، ٥ فَكُلُّ فُؤَادٍ بِهِ مَخْطُوفُ!

(٨٥)

وقال أبو القاسم المطار :

وَبِي غَرَالٌ، إِذَا صَادَقْتَ غِرَّتَهُ ٥ جَنَيْتَ مِنْ وَجَنِيهِ رَوْضَةً أُنْثَا!
 كَالْبَتْرِ مَكْتَمِلًا، كَالظُّلِيِّ مُلْتَفِتًا، ٥ كَالرَّوْضِ مُبْتَسِمًا، كَالنَّصْنِ مُنْعَطِفًا!

وقال تاج الملوك :

بِأَقْرَابِي غُصْنٍ مِنْ بَانِيَةٍ، يَمِيلُ عُجْبًا فِي كَيْتِيهِ مِنْ نَهْأٍ!
 أَصْبَحَ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ مَقْرِبًا ٥ وَأَطْوَأُ الْقَبَاءَ مَشْرِقًا!
 أَغِيدُ، لَا يَقْصِدُ إِلَّا تَلْفِي! ٥ وَلَمْ يَزَلْ قَلْبِي بِهِ مُعْلَقًا.
 ذَكَرَنِي حَسَنُ أَبَسَامٍ نَفْرَهُ الْتَوَاضِعِ لَمَعَ الْبَرْقِ إِذَا تَأَلَّقَا.
 وَطَالَمَا ذَكَرَنِي رِضَابُهُ الشَّبَارْدُ صِرْفَ الرِّيحِ إِذَا تَمَتَّقَا.
 أَغْنَى مَا تَوَقَّعْتُ سَهْمَ لِحْظِهِ ٥ إِلَّا أَصَابَ الْقَلْبَ لَمَّا تَوَقَّعَا.
 حَاجِبُهُ قَوْسٌ وَلِحْظُهُ عَيْنٌ ٥ سَهْمٌ، فَمَا يُحِيطُ إِذَا مَارَشَقَا.

وقال أبو نُوَاس .

جَالُ مَاءِ الشَّبَابِ فِي خَدِّيكَ، ٥ وَتَلَالَا الْبَهَاءُ فِي عَارِضِيكَ.
 وَرَمَى طَرَفُكَ الْمَكْهَلُ بِالسَّحِيرِ فُؤَادِي فَصَارَ رِقْنًا لَدَيْكَ.

أنا مستَهْتَرٌ بِجُبِّكَ صَبُّ * لستُ أشكو هَوَاكَ إِلَّا إِلَيْكَ .
يا بَدِيعَ الْجَمَالِ وَالْحَسَنِ وَالذَّلِّ ، حَيَاتِي وَبَيْتِي فِي يَدَيْكَ .
بَابِي أَنْتَ ! لَوْ بَلَيْتَ بَوَّجِدِي * لَمْ يَهْنُ مَا لَقِيتُ مِنْكَ عَلَيْكَ !
أَصْبَحْتَ بِالْهَوَى سِهَامُ الْمَنَايَا * قاصِداً إِلَى مَنْ عَيْبِكَ !

وقال أيضا :

يَا مَنْ جَدَّاه قَلِيلُ * وَمَنْ بَلَّاه طَوِيلُ !
وَمَنْ دَعَانِي إِلَيْهِ * طَرَفُ أَحْمُ كَيْلُ ،
وَوَاحِجُ النَّهْبِ يَحْكِي * مَزَاجَهُ الرَّجِيلُ ،
وَوَجْنَةُ جَائِلُ مَا * وَهَذَا وَخَدُّ أَسِيلُ .
وَعُضْنُ بَابِي تَنَى * قَدَّاءَ وَرْدَفِ تَهْمِيلُ ،
وَيَمِيعُ الْحَسَنِ فِيهِ * وَجْهٌ وَسِيمٌ جَمِيلُ !
فَكُلُّ نَاجِيَةٍ مِنْ * قَلْبِي إِلَيْهِ تَمِيلُ !

وقال الواواء الممشق :

رَمَاهُ رِيمٌ فَأَصَا * بَبِ الْقَلْبِ مِنْهُ ، إِذْ رَمَى .
وَاحْتَجَّ فِي قَتْلِهِ * بِأَنَّهُ مَا عَلِمَا .
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ ! أَمَا * يُنْصِفُنِي مَنْ ظَلَمَا ؟
عَلِمَ سُقْمَ طَرَفِهِ * جِسْمِي مِنْهُ سَقَمَا .
فَسُقْمُ جِسْمِي فِي الْهَوَى * مِنْ طَرَفِهِ تَعَلَمَا .
لَوْ قِيلَ لِي : مَا أَتَشَبَّيْ ؟ * عَمِيرًا عَمَّكَمَا .
لَقُلْتُ أَنْتَ أَثَمَّةُ * تَحَرَّا وَوَجَّهَا وَقَا !

١٠

١٥

٢٠

وقال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور :

أحوى النواظر، ألعس الشفتين، عذب الربى، ألقى !

لو زأرنى طيسف له * عند المجوع ولو ألقا،

لأفاد رُوحا أو لفرج من هموم النفس هما !

وقال آخر :

وأهيف، مهزوز القوام إذا أتني * وهبت لعدوى فيه ذنب اللوام.

بنفركا يدو لك الصبح باسم، * وشعركا يدو لك الليل فاحم.

مليح الرضا والسخط، تلقاه عاتبا * بالضايط مظلوم والضايط ظالم.

ومما تجبانى أتني يوم يلبسهم * شكوت الذى ألقى إلى غير راحم.

وحملت أهال الجوى غير حامل * وأودعت أسرار الهوى غير كاتم.

وأبرح مالا قبته أن متلنى * بما حل لي في حبه، غير عالم.

ولو كنت مذبانوا سهرت لساير * لهات، وليكني صهرت لسانم.

وقال أبو نؤاس :

ياربم هات الدواة والقلم * أكتب شوقى إلى الذى ظلمنا !

غضبان قد غرني رضاء ولو * يستل مما غضبت، ما علما.

فليس ينقلك منه عاشقه * في جمع عذر لنير ما أجزما.

أظلل يقطان في تذكره * حتى إننا نمت، كان لي حلما.

لو تفكرت عينه إلى سحر، * ولد فيه قسورها سقما !

وقال سيف الدين المشد :

وي رشيقي القوام لذي * لقيه ينسب الرديني !

ما نظَرْتَهُ الْيُوبُ إِلَّا * فَدَنَّهُ مِنْ نَظَرِهِ وَعَيْنِ !
قَابِلَ بِالْكَاسِ وَجَنَّتِهِ ، * خُفَّ نَحْمٌ بِسَيْرِيهِ .
وَزَيَّنَتْ كُفَّهُ الْحَمِيًّا ! * مَا أَحْسَنَ التَّبَرُّقَ الْمُجِينِ !

وقال كشافهم :

بِاللهِ يَأْمُرُنَا فِي حُسْنِهِ * وَمَقْبَلًا هَارُوتَ بَيْنَ عَجَاجِرِهِ !
وَمُحْكَمًا أَرَادَهُ فِي خَصَرِهِ ، * وَمُصَاحِبًا خَلْعَالَهُ بِضَفَائِرِهِ !
لَا تَنْصَبَنَّ عَلَى قَتَى يَرْضَى بِهَا * أَوْلِيَّتَهُ ، وَلَوْ أَنْتَبَلْتَ بِنَاطِيرِهِ .
وَيُكَلِّمُ الْأَسْرَارَ حَتَّى إِنَّهُ ، لَيَصُونُهَا عَنْ أَنْ تَعْرِىَ بِخَاطِيرِهِ .

وقال أبو تمام الطائي :

هَلَا ، وَأَعَارِنِي وَلَهَا ! * وَأَبْصَرَ ذِلَّتِي فَزَوَّاهَا !
لَهُ وَجْهٌ يَمْزِيهِ ، * وَلِي حُرْقٌ أَذِلُّ بِهَا !
دَقِيقُ عَمَاسِنٍ ، وَصَلَتْ : * عَمَاسُنُ وَجَنَّتِي بِهَا .
الْأَحْطُ حَسَنُ وَجَنَّتِي ، * فَتَجَرَّخُنِي وَأَبْرَحَهَا .

وقال أيضا :

نَشَرْتُ فِيكَ رَسِيمًا كُنْتُ أَطْلُوهُ ! * وَأَطْهَرْتُ لَوْعَتِي مَا كُنْتُ أَخْفِيهِ !
إِنْ كَانَ وَجْهُكَ لِي تَتَرَى عَمَاسَتَهُ ، * فَإِنَّ فِطْلَكَ لِي تَتَرَى مَسَاوِيهِ !
مُرْتَجَّةٌ فِي تَهَادِيهِ أَسَافِلُهُ ، * مُهْتَرَّةٌ فِي تَشْيِيهِ أَعَالِيهِ !
تَاهَتْ عَلَى صُورِ الْأَشْيَاءِ صُورَتُهُ * حَتَّى إِذَا كُنْتُ ، تَاهَتْ عَلَى أَلْبَتِهِ !

وقال المخزومي :

أَيُّ حُبِّ فَيْكَ لَمْ أَحْكِكْ ؟ - وَأَيُّ تَيْسَلٍ فَيْكَ لَمْ أَيْكِكْ ؟
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا دَيْمِي ، * فَقَدْ أَذْنًا لَكَ فِي سَفْهِكَ !

وقال أبو نُوَاس :

يَا قَابِرِي بِمَلَالَةٍ * وَدَامِرِي بِمِطَالَةٍ !
وَيَا مُبَدِّلَ لَيْلِي * قِصَارِهِ بِطَوَالَةٍ !
أَعُوذُ مِنْكَ بِوَجْهِ * بِدَرِّ الدُّجَى فِي مِتَالَةٍ !
لَعَنَهُ مِنْهُ أَهْلُ * الْحُسَيْنِ مَوْضِعَ خَالَةٍ .
هَلَّا رَجَحْتَ صَرِيحًا * تَحْتَ الرِّدَى وَطِلَالَةٍ ؟
مَنْ لَا يَرَى مِنْهُ فَوْقَ السُّفْرَاشِ غَيْرُ خِيَالَةٍ .
مِثْلَ الْخِلَالِ نَحِيْلًا * يَخْفَى عَلَى عُدَالَةٍ .
لَنْ بَقِيَ لَكَ سُوءًا ، * فَكَانَ فِي مِثْلِ حَالَةٍ !

وقال محمد بن عبد الله السلامي ، شاعر البَيْتِمة :

وَمُخْتَصِرُ الْخُصْرِ ، مِنْ بَعْدِهِ * هَرَبْتُ فَأُثْقِيتُ فِي صَدِّهِ !
وَقَابَلْتَنِي وَجْهُهُ مُقْبِلًا * بِحَدِّ الْحَسَامِ وَإِفْرِنْدِهِ .
فَا زِلْتُ أَغْصِرُ مِنْ تَحْرِيهِ * وَأَقْطُفُ مِنْ مُجْنَى وَرْدِهِ .
وَأَنْظِمُ فَأَرْشِفُ مِنْ رِيْقِهِ ! * فَيَا حَرَّ صَدْرِي مِنْ بَرْدِهِ !

وقال أبو هلال السكري :

أَقُولُ لَمَّا لَاحَ مِنْ خِدْرِهِ ، * وَاللَّيْلُ يُرِيحِي الْقَضَلَ مِنْ سِتْرِهِ :
أَبْدَرُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ ، * أَمْ وَجْهُهُ أَحْسَنُ مِنْ بَدْرِهِ ؟

قد مالت الرقة في شطره، * ومالت النلظة في شطره.
 فأزره غصت بأردافيه، * ووثحه جالت على خصره.
 أصبحت لا أدري وإن لم يكن * في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من قده؟ * أم قده أحسن من شعره؟
 ودره يؤخذ من لفظه، * أم لفظه يؤخذ من دره؟
 ونصره ينظم من عقده، * أم عقده ينظم من نصره؟
 فمن عذير الصب من صده؟ * ومن محير القلب من هجره؟
 باليت يعرف حي له! * عساه يحزني على قدره!

وقال تاج الملوك بن أيوب :

يا ملالاً لاح في غصني، * تُشرق الدنيا بطلعيه!
 وغزلاً طالماً خضع الأسد الضاري لهبيته!
 ما رنا إلا وجرد لي * صارماً من لحظ مقابيه.
 صل عيلاً، أنت أعلم من * كل مخلوق بعلييه.
 قد أطالت مقتلناك بلا * سبب تعذيب مهجيه.
 كُتبَ لحَّت عواذله * أجمت نيران لوعيه.
 فأتئذمن طول عدلك لي، * يا عدول في محبته!
 من بني الأثرأك مُعتدل، * قد تمادى في قطيعيه.
 ليس شفي القلب من ظمإ * غير زشفي راح ريقه!
 لا، ولا يطفي لظى كيدي * غير قليل لوجتيه!
 ليت أن الدهر مكثني * يسدي من حل يكتيه!

١٠

١٥

٢٠

وقال آخر :

وَمُهْمَهَيْفِ! عَنِّي يَمِيلُ وَلَمْ يَمِيلْ * يَوْمًا لَنِي ، قُلْتُ مِنْ أَلَمِ الْجَسُورِ :
لَمْ لَا تَجْمِلُ لَنِي ، يَا غَضَنَ النَّقَا؟ * فَأَجَابَ : كَيْفَ ، وَأَنْتَ مِنْ جِهَةِ الْهَوَى؟

وقال ابن منير الطرابلسي :

- ٥ مَن رَكِبَ الْبَيْدَرَ فِي صَدْرِ الرُّدَيْنِيِّ ، وَمَوَّهَ السَّحَرَ فِي حَدِّ الْبَمَانِيِّ؟
وَأَنْزَلَ النَّيِّرَ الْأَعْلَى إِلَى فَلَاكِ : مَدَارُهُ فِي الْقَبَاءِ الْخُسْرُوَانِيِّ؟
طَرَفُ زَنَا أَمْ قَرَابُ سَلِّ صَارِمُهُ؟ * وَأَعْيَدُ مَا سَ أَمْ أَعْطَاظُ خَطِي؟
وَبَرِّ غَادِيَةِ أَمْ بَرِّ مُبْتَسِمٍ؟ * يَفْتَرُ مِنْ خَلَلِ الصُّدُغِ الدُّجُورِي؟
وَيَلَاهُ ، مِنْ فَارِسِي النَّحْرِ مَفْتَرِي * بَضَائِرَ أَسَدِي الْقَتْلِكِ رَيْمِي!
يَكِيكُنْ نَظِيرُهُ مَا فِي كِتَابِيهِ! * فَلَيْسَ يَنْفَكُ مِنْ إِقْصَادِ مَرَمِي!
١٠ أَذْنِي بَسْدَعٍ ، وَالْهَوَى أَبَدًا * يَسْتَعِيدُ اللَّيْلَ لِلظُّلِيِّ الْكِتَابِي.
مَا مَاتَ مَا نِي ، لَوْلَا لَيْلُ عَارِضِي * مَا شَدَّ خَيْلَ الْمُنَايَا بِالْأُمَانِي.
تَكْنِفُ الْحَسَنُ مِنْهُ وَجْهَ مُشْتَعِلٍ * نَفَارَ أَحْوَرٍ فِي ثَانِيَةِ حُورِي.
أَمَّا وَذَائِبُ مِسْكَ مِنْ ذَوَائِيهِ * عَلَى أَعَالِي الْقَضِيْبِ الْخُسْرُوَانِي؟
١٥ لَوْ قِيلَ لِلْبَيْدَرِ : مَنْ فِي الْأَرْضِ مُحْسِنُهُ؟ * إِذَا تَجَمَّلِي ، لَقَالَ ابْنُ الْفَلَانِي!
أَرَبِي عَلَى بَسْتَى مِنْ عَمَاسِيهِ * تَأَلَّفَتْ مِنْ مَسْجُوعٍ وَمَرَمِي.
إِبَاءُ فَارِسَ مَعَ لَيْنِ الشَّامِ مَعَ الظُّرْفِ الْعِرَاقِي فِي التُّطْقِي الْجَاهِزِي.
وَمَا الْمُدَامَةُ بِالْأَلْبَابِ الْعَبِّ مِنْ * فَصَاحَةِ الْبَيْدَرِ فِي أَلْفَاظِ تُرْمِي!
أَشْبَهْتُهُ بِعَادِي ، ثُمَّ كَلَفَ لَهُ * مَزِيَّةُ الْخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ وَالزَّرَمِي.
٢٠ مِنْ أَيْنَ لِي لَهَبٌ يَجْرِي عَلَى ذَهَبٍ * فِي مَحْنٍ أَيْبَضُ صَبَا فِي الْمَاءِ فَضِي؟

(١) الإشارة إلى مافي القائل بالتوبة أي بالنور والظلام .

وروضة لم تحمها كف سارية * ولا شكاً خدّها من لثم وسيء؟
 يحفها سوسن غصن يغازله * بترجس يتطاف السحر مولى.
 من متقدي أو مجيرى من هوى رشيد * أفتى وأفتك من عمرو بن معدى؟
 لا يعشق التمهّر إلا ذكر معركة * أو خوص مهلكة أو ضرب هندی.
 ولا يحدث إلا عن ربابه * من المهار العبّالي والمهاري.
 والصافيات ولبس الصافيات وشره * ب الصافيات وإطراب الأغاني،
 أشهى إليه من الدوح الظليل على الروح العليل وتغريد القمارى،
 شذ الحيات لأيام الحلال وإر * شاد البعماد إلى طعن الأناسى؟
 وحث باز على ناي وحمل قضا * م تكد منه عيش كدري؟
 في غنمة كصبرن البان يحملها * ككتاب برد على غادات بردى؟
 يمشون في الوشي أسراباً، فتحسبهم * روض الربيع على بيض الأداحي.
 والساحر الساهر الفرار بينهم * كالشمس تكسف أنوار الدارى.
 مهتف القدممهل الخلد، أغرب في الجلال * أنة في لفظ تجاى.
 يلهبه عن كتيب تروى ونصربه * لشافى فقيه أو حنفي.
 عوج القمي وقب الأعرجية والشهب المالبغ تربي في الأوازي.
 والشعر في الشعر الداجي على الفتح الساجي يلين منه قلب حوشي.
 فلو بصرته به يعضى وأنسده، * قلت النواصي تسجو قلب عذري.
 أو صائد الإنسان قد ألقى حياته * ليلا فوقع فيها صيد وحشي.
 أغراه بي بعد ما جد الثمار به * شدو القريض وألحان المربي.
 فصار أطوع لي منه لقلته، * وصرت أعرف فيه بالعزى.



ومما قيل في المؤنث، قال ابن الرومي :

عَفْوَ مَقْلَّةٌ ، تَرَاهَا * كَأَنَّ لَمْ يَعُدْ نَصْفَهَا غِذَاءُ !
إِذَا الْإِغْيَابُ جَدَّدَ حُسْنَ شَيْءٍ * مِنْ الْأَشْيَاءِ ، جَدَّدَهَا الْقَلَاءُ .
لَهَا رِيْقٌ تَسِفُّ لَهُ الثَّنْيَا ، * وَيَرَوِي عَنْهُ - لَامِنَهُ - الْقَلَاءُ .
وَأَنْفَاسُ كَأَفَاسِ الْخُزَايِ * قُبِيلَ الصُّبْحِ ، بَلَّتْهَا السَّمَاءُ !
تَنْفَسَ نَشْرَهَا تَهْرَاءَ ، بِلَامَتِ * بِهِ تَهْجِيرَةَ الْمَسْرَى رُخَاءُ !
وقال أبو نوَّاس :

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ * يَتَدَي مِنْهُ وَيَنْشَبُ .
فَنَتَّ قَلْسِي عُجْبَةً ، * وَجَهُّهَا بِالْحُسْنِ مَتَقُّ .
خُلَيْتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ * تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَحِبُ .
فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ * وَأَسْتَرَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُ .
صَارَ جِدًّا مَا مَزَحْتُ بِهِ * رُبُّ جِدِّ سَافِهِ الْغَلَبُ !

وقال أيضا :

يَا قَرَا ، أَبْصَرْتُ فِي مَاتَمٍ * يَنْدُبُ تَهْجُوا يَنْ أَتْرَابِ !
يَكِي فَيُدْرِي الدَّرْمَنَ نَزِجِسْ ، * وَيَلْطَمُ الْوَرْدَ بَعْنَابِ .
أَبْرَزُهُ الْمَاتَمُ لِي كَارِيهَا ، * بَرَّغَمَ دَايَاتٍ وَجْجَابِ !
لَا تَبْكُ مَيْتًا حَلَّ فِي رَسَمِهِ ، * وَأَبْكُ قَيْلًا لَكَ بِالْبَابِ !

وقال سيف الدين المشد :

وَبُهِجَتِي ! مَنْ لَوْ بَدَتْ * لِلشَّمْسِ مِنْ غَمَتِ النَّقَابِ ،
سَتَرْتُ مَحَاسِنَ وَجْهِهَا * خَجَلًا ، وَلَازَتْ بِالسَّحَابِ !

وقال القاضي أبو علي التَّنُوخِي ، شاعر اليتيمة :

أَقُولُ لَهَا وَالْحَىُّ قَدْ فِطَنُوا بَنَا * وَمَالِي عَنْ أَيْدِي الْمُنُونِ بَرَّاحُ
لَمَّا سَاءَ بِي أَنْ وَتَحْتَنِي سَيُوفُهُمْ * وَلَئِنْ لَكُمْ دُونَ الْوِشَاحِ وَشَاحُ .

وقال عمارة اليماني :

طَرَقَتْهَا ، وَاللَّيْلُ وَحُفَّ الْجَنَاحُ ، * وَمَا تَلَبَّسْتُ بِتُوبِ الْجَنَاحِ .
فِي لَيْلَةٍ بَاتَ يُجَادِي بِهَا * ذَوَابًّا يَحْفِقْنَ فَوْقَ الْوِشَاحِ .
وَالْخَسْفُ قَدْ أَلْفَ أَشْتَاتَهُ * غُصْنٌ ثَقِيٌّ فَوْقَ رِذْفِ رِدَاحِ .
نَامَ رَقِيبُ الصُّبْحِ عَنْ لَيْلِي ، * وَبَاتَ لِي كُلُّ مَصُونٍ مُبَاحِ !
أَجْعُ مِنْ خَدٍّ وَمِنْ مَبِيسٍ * بِمُجَرَّةِ الْوَرْدِ بَيَاضَ الْأَفَاحِ .
حَصَلْتُ مِنْ رِيْقِي وَمِنْ مَنَظِي * عَلَى آفَتِي رَاحٍ وَبِمِيرِ قَرَّاحِ .
تَرْتَحُّ مِنْ نَسَوَاتِ الصَّبَا * فَيْتُ مَسْرُورًا بِشَوَانِ صَاحِ .
وَفَاحَ مِنْ نَشْرِ الصَّبَا عَنَبَرٌ * أَحْرَقَهُ النَّجَرُ بِحَمْرِ الصَّبَاحِ !

وقال أبو نُوَاس :

وَذَاتَ خَدِّ مُورِدَةٍ * قُوَيْبَةِ الْمُجَرَّدِ .
تَأْمُلُ الْعَيْنُ مِنْهَا * عَاسِيًا لَيْسَ تَتَفَدَّ .
فَالْحُسْنُ فِي كُلِّ جُزْءٍ * مِنْهَا مُعَادُ مَرَدَّدِ .

فبعضه في آتياه * وبعضه يتنولده
وكلما عدت فيه * يكون لي العود أحدا!

وقال علي بن عبد الرحمن بن المنجم :

شبهها بالبدر فاستضحكت * وقابلت قولي بالنكر
وسفحت قولي وقالت : متى * سيجت حتى صرت كالبدر
البدر لا يرؤ بعين كما * أرؤ ، ولا يتيم عن قسر
ولا يبيط المرط عن ناهد ، * ولا يشد المقد في نحر
من قاس بالبدر صفائي ، فلا * زال أسيرا في يدى هجرى !

وقال الهادي الأصفهاني :

لئن الألهة بالمعابر * وكان بالسقم الحاجر
ونظرون عن حدق حجر * ن بها على آرام حاجر
شهرت لحاظ ظبائهن على القلوب قلبا بواتر
آرام خنير بالفا * ط تصيد أسادا خوادير
غيد لسفك دم المحب تظافرت منها الطغائر
بيض التراب حمرها * خضر إلى سود الغدائر

وقال كشافهم :

جملت إليك الهوى * شفيعا فلم ، شفيي !
وناديت مستطفا * رضاك فلم تسمعي
أناركتي مدتها * أذا جسد موجي !
ومفرتي والشمو * ع قد أحرق مدمعي

أَحِينَ سَبَّتِ الْقَوَا * دَبَانِظِرِ الْمُطْمَعِ،
جَفَوْتَ وَأَقْصَيْتَنِي؟ * فَهَلَّا، وَقَلِي مَعِي؟

وقال ابن المعلم :

صَمْدَةُ الْقَدِّ وَسَيْفُ الْكَحْلِ * حَكَا حُكْمَ الْهَوَى فِي أَجَلِي .
بِالْقَوَى ! حَلَّتْ ثِقَلُ دَمِي * غَادَةً يُقْلَعُا حَمْلُ الْحُلِي !
قَلْبُهَا مُعْتَدِلٌ يَظْلُمُنِي ! * حَزَنِي مِنْ قَدَمِهَا الْمُعْتَدِل !
خَصَرُهَا يَنْشَطُ، لَكِنْ رَدْفُهَا * أَبَدًا يَقْهَرُهُ بِالْكَعَل .
نَظَرُهُ مِنْ مُقْلَى جَارِيَةٍ * وَثَنَتْ عَظْفُ الْقَضِيبِ الثَّمِيل .
لَسْتُ أَدْرِي : قَمَرِي فِي كَلَّةٍ * مَا أَرَى ، أَمْ دُمِيَّةٌ فِي هَيْكَل ؟
سَأَلْتُ جَسْمِي عَنْ سَاكِنِهِ ! * وَمَنِ الْجَهْلُ سَوَّالُ الطَّلَال !

وقال سيف الدين المشد :

وَعَادَةٍ - أَعَشَّقُ مِنْ أَجْلِهَا * بِدْرِ الدُّجَى وَالطُّبَى وَالْخَيْرِ رَأَى .
لَأَنْتِ ذَا يُشْبِهُهَا بِهَجَةٍ * وَذَلِكَ الْخَاطِلَا ، وَهَذَا بَيَانُ .

وقال أبو نُوَاس :

يَا مَنَى الْمَأْتَمِ أَشْجَانَهُ * لِمَا أَتَاهُمْ فِي الْمَعْرِنَا !
حَلَّتْ بِجَارِ الْوَسْطَى عَنْ صُورَةٍ * أَلْبَسَهَا اللَّهُ التَّعَاسِيَا !
اسْتَفْتَتْهُنَّ بِتَجَالِهَا * فَهِنَّ لِلتَّكْلِيفِ يَتَّعِيَا .
حَقٌّ لَذَلِكَ الْوَجْهَ أَنْ يَزْدَجَى * عَنْ حُرَّتِهِ مَنْ كَانَ مَحْزُونَا .

وقال أيضا :

أَيَا لَيْتَ شَعْرِي أَيْمَنَ صَفْرَةٍ * فَوَؤَادِكَ هَذَا الَّذِي لَا يَكِين !

تَقُولُ إِذَا مَا أَشْكَيْتُ الْهَوَى ، * كَمَا يَشْكِي الْبَاسُ الْمُسْتَكِينُ :
أَفَى النَّوْمِ أَبْصَرْتَ ذَا كَلِّهِ ؟ * نَغِيْرًا رَأَيْتَ ، وَخَيْرًا يَكُونُ !

وقال المشوق الشامي :

أَرَى بَشِيرًا أَوْ بَدِينٍ * عَلِقَتْ حَاسِئُهَا بِعَيْنِي ؟
فِي خَصْرِهَا وَقَوَامِهَا * وَلِحَظِهَا مَا فِي الرُّدْنِيِّ .
وَبَوَاجِئِهَا مَاءُ الشَّبَا * بِخَلِيطِ نَارِ الْوَجْتَيْنِ .

وقال السري الرفاء ، شاعر اليتيمة :

قَامَتْ وَخُوطُ الْبَانَةِ السَّمِيَّاسُ فِي أَنْوَابِهَا .
وَيَهْزُهَا سُكْرَانٌ : سُكْرُ شَرَابِهَا وَشَبَابِهَا !
تَسْمَى بِصَهْبَاوَيْنِ مِنْ * الْحَظِظِهَا وَشَرَابِهَا .
وَكَانَ كَأْسُ مُدَامِهَا * لَمَّا ارْتَدَّتْ بِحُبَابِهَا :
تَوْرِيْدُ وَجَنَّتِهَا إِذَا * مَا لَاحَ تَحْتَ نَقَابِهَا .

وقال ابن الرومي :

مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ ، لَا يَكْذِبُنَا * لَوْنُهَا الْمَشْرِقُ عَنْ مَنَاصِبِهَا .
قَامَةُ الْفُضْنِ - إِذَا مَا أَعْتَدَلَتْ ، * قَامَةُ الْفُضْنِ - إِلَى مَنْكِبِهَا .
شَهِدَ الشَّاهِدُ مِنْ أَحْسَنِهَا ، * بَعْدَ الْغَائِبِ مِنْ أَطْيَبِهَا .
تَسْتَعْفُ الْحَسَنَ بِإِحْسَانٍ لَهَا * يَحْتَلِبُ الْأَفْسَاحَ مِنْ مَجْلِبِهَا .
تَشْرَعُ الْأَلْحَاطُ فِي وَجَنَّتِهَا * قُضْلَاقِ الرَّيِّ فِي مَشْرِيبِهَا .
وَجَنَّةٌ لِلْفَنَجِ فِيهَا عَقْرُبٌ ، * وَبِلَاءُ الصَّبِّ مِنْ عَقْرِيبِهَا .

وإذا قامت إلى مَلْعِيهَا * كَهَاةِ الرَّمْلِ في مَلْعِيهَا،

سألت أَرْدَاهُهَا أَعْطَاهُهَا: « هَلْ رَأَتْ أَوْطَأً مِنْ مَرَكِبِهَا؟ »

وقال أبو الحسين بن فارس :

مَرَّتْ بِنَا هَيْفَاءُ مَقْدُودَةً * تُرْكِيَّةٌ تُنْشِئُ لِرُكْبَةٍ،

تَرَوُّهُ بِطَرَفٍ فَاتِرٍ فَاتِرٍ * أَضْعَفَ مِنْ حُجَّةٍ تَحْوِي .



ومما قيل في المطلق والمشارك، قال الطغرائي :

فِيمَ التَّعَجُّبِ مِنْ قَلْبِي وَصَبُوتِهِ * كَأَنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا مِنْ قَبْلِهِ عَجَبًا !

نُوقُوا الْهَوَى لَمْ لَوْمُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ * أَوَّلًا ، نَحْلُوا مَلَامِي وَأَرْجَحُوا التَّعَبَا !

وقال أيضا :

وَكُنْتُ أَرَانِي مُفْلِتًا شَرَكَ الْهَوَى ، * وَقَدْ صَادَنِي سَحَرُ الْعُيُونِ التَّوَانِيثِ ،

وَأَسْتَمَعْنِي دَاعِيَ الْفَرَامِ نِدَاءَهُ ، * فَقُمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِطًا غَيْرَ لَايِثِ .

وَأَعْطَيْتُ إِخْوَانَ الْبَطَالَةِ صَفْقَتِي ، * وَبَعْتُ قَدِيمًا مِنْ غِرَامِي بِحَادِثِ .

فَمَا صَفَّقَتْنِي فِي الْبَيْعِ صَفْقَةُ خَاسِرٍ ، * وَلَا بَيْعَتْنِي لِلْحُبِّ بَيْعَةُ نَاكِثِ .

فَلَا تَعْدِلُونِي فِي غِرَامِي بَعْدَ مَا * تَوَلَّى الصَّبَا ، فَالْعَدْلُ أَوَّلُ بَاعِثِ !

وَلَا تَبْجَحُوا عَن سِرِّ قَلْبِي إِنَّهُ * صَفَاءٌ ، لَيْسَ يَمْنَعُنِي فِيهِ مَعُولُ بَاخِثِ .

أَرَى صَبَوَاتِ الْحُبِّ قَدْ جَدَّ جَدُّهَا ، * وَقَدْ كَانَ بَدْءُ الْحُبِّ مَرَّحَةً عَائِثِ !

وقال الأرجاني :

قَفَا مَعِي فِي هَذِهِ الْمَلَاهِدِ ! * لَا بُدَّ لِلصَّبِّ مِنَ الْمُسَاعِدِ !

لَا تَجْهَلَا بِصَاحِبِي وَأَسْمَحَا * بِوَقْفَةٍ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاجِدِ .

في منزِلٍ عَهِدْتُ في عِرَاصِهِ ، * لورَدٍ مَعُوهِدًا بَكَاءَ عَاهِدِ ،
 كَوَاعِبًا مِّنَ الدَّمَى لَوَاعِبًا * مُشَبَّهَةً التَّنُفُّورَ لَا التَّقَالِيدِ .
 يَمِشِينَ مِّنَ فِرطِ النِّعَمِ وَالصَّبَا * كَالْقُضْبِ الْمَوَائِدِ .
 فِيهِنَّ ظَلَمِي عَاقَ الْقَلْبُ بِهِ * مِّنَ الظُّبَاءِ الثُّغْرِ الشَّوَارِدِ .
 إِذَا تَبَدَّدَ مَرَضٌ بِطَرَفِهِ ، * لَمْ يَخُلْ مِّنْ أَفْسَدَةِ عَوَائِدِ .
 رَمِيَتْهُ ، فَصَادِي ، فَمَنْ رَأَى * صَيْدًا يَمُرُّ بِفُؤَادِ الصَّائِدِ ؟
 قَطَعْتُ مِّنْ قَلْبِي رَجَائِي فِي الْهَوَى ! * وَالْقَطْعُ طَبٌّ كُلُّ عُضْوٍ فَاسِدِ !

وقال أبو القاسم عبد الله الدينوري : شاعر البتحة :

يَا لِعَصْرِ الْخَلَاةِ الْمُدُودِ * وَلِظِلِّ النَّسِيبَةِ الْمُدُودِ !
 وَأَرْتَسَانِي الرُّضَابَ مَن يَرِدُ التَّفَشُّرَ وَيُثْمِي عَلَيْهِ وَرَدَّ الْخُدُودِ !
 وَيُكْجَرِي إِلَى مَجَالِسِ عِلْمٍ * وَرَوَاحِي إِلَى كَوَاعِبِ غِيدِ !
 فِي قَبِيصٍ مِّنَ السُّرُورِ مُدَالٍ * وَرَدَاءٍ مِّنَ الشُّبَابِ جَدِيدِ !

وقال تاج الملوك بن أيوب :

أَلَا رَجِمْتُمْ مَتِيًّا دَهْشًا * مَا زَالَ مَن جَوَرِكُمْ بِكُمْ عَائِدُ !
 صَبًا قَضَى اللَّهُ أَنْ يَهِيمَ بِكُمْ * وَلَا مَرَدَ لِحِكَةِ النَّافِذِ !
 يَلُودُ جُبًّا دُونَ الْأَنَامِ بِكُمْ * وَحَسْبُهُ أَنَّهُ بِكُمْ لَائِدُ !

وقال نضر الدين الوركانى، شاعر الخريدة :

أَحْبَابَنَا أَمَّا حَيَاتِي بَعْدَكُمْ * فَوَيْتٌ ، وَأَمَّا مَشْرِئِي فَمَنْصُصٌ
 وَأَسْمَعُ شَيْءَ فِى قَلْبِي لِأَنَّهُ * لَدَيْكُمْ ، وَجَسْمِي بِالْعَادِ مَخْصُصٌ !

وقال الهاد الأصفهاني :

بذلت لهم أبقري رضاهم مودتي * وقلبي وصبري والرقاد، فما رَضُوا.
وهني عن كل تموضت بعمهم * فقل لي : بماذا عنهم أتموض ؟
وما كان ظني أن عيشي يتقضى * ونعيم الصبا يتقض والمهد يتقض .

وقال الطغرائي :

إن الألى أرضاك قولهم * بالأمس، تحت رضاهم سخط !
لما صفا ذاك الجمال لهم، * تاهوا على العشاق وأشتطوا.
هموا ببيت فاستطار له * قلبي، فكيف يكون إن شطوا ؟

وقال الطغرائي أيضا :

في القلب من حرّ التراق شواطئ، * والدمع قد شرفت به الأحلاظ.
ولقد حفظت عهدكم، وغدرتم. * شتان غدر في الهوى وحفاظ !
لله أي موافق رقت لنا * فيها الوسائل، والقلوب غلاظ !

وقال أيضا :

وسائل عن جوى قلبي، فقلت له : * ما أنت عندي على سر بتمهم !
طاب الجوى في الهوى حتى أنست به، * فهو المسارة يحلو طعمها بعم !

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

أنتقلني طلما وتجدي قتي، * وقد قام من عينك لي شاهدا عدل !
أطلاب دخلي، ليس لي غير شادين * بعيني سحر فاطلبوا عنده دخلي !
أغار على قلبي، فلما أتيت * أطالبه فيه، أغار على عقلي !
بنفسي التي ضفت برد سلامها ! * ولو سألت قتي، وهبت لها قتي !

إذا بختها صلت حياة بوجهها ، قتهجرني هجرًا ألد من الوصل .
 وإن حكمت جارت على بحكمها ، ولكن ذلك الجور أشهى من العدل .
 كتمت الهوى جهدي ، فجوده الأسي ، بماء البكاء هذا يحط وذا يغلي !
 وأحببت فيها العدل حبًا لذكرها ، فلا شيء أحل في فؤادي من العدل !
 أقول لقلبي كلما ضامه الأسي : إذا ما أبيت العز ، فاصبر على الدل !
 برأيك لا رأي تعرضت للهوى ، وأمرتك لا أمرى وفعلك لا فيلي .
 وجدت الهوى نصلًا من الموت مُغمدا ، فغردته ثم أتكأت على النصل !
 فإنت كنت مقتولًا على غير رية ، فإنت الذي عرضت نفسك للقتل !

وهذه الأبيات معارضة لصريح الفوائ في قوله :

أدبراً على الكأس ، لا تشرباً قيلي * ولا تطلباً من عند فائتي دخلي !
 لها حزني أني أموت صباه ، ولكن على من لا يحل لها قتلي !
 فديت التي صلت وقالت ليربها : دعوه ، الثريا منه أقرب من وصلي !

وقال ابن عبد ربه :

صحا القلب ، إلا خطرة تبعث الأسي * لها زفرة موصولة بختين .
 بل ، رُمحا حلت عرى عز ماته * سوائف آرام وأعيت عين .
 لو احط حبات القلوب إذا رنت * بسحر عيون وأنكار جُفون .
 وريط من الموشى أينع تحته * ثمار صدور ، لا ثمار عُصون .
 برود كأنوار الريح يسنها * ثياب تصاب لا ثياب جُفون .
 فرين أديم الليل عن نور أوجه * تجرث بها الأبواب كل جُفون .
 وجوه جرى فيها النعم فكلت * بورد خدود يُحتنى بعُيون .

سألتهم للأيام دُرْعاً من العزّاء ، * وإن لم يكن عند اللقاء بحصين .
وكيف ، ولي قلبٌ إذا هبت الصبا * أهاب بشوقٍ في الصلوع دفين ؟

وقال آخر :

هزروا القُدودَ وجردوا الأَجفانَا ! * فاطلبُ لفسك ، إنْ قَدَرْتَ أمانَا .
وألقى السَّلاحَ إذا أَتَنَوا وإِذا رَنَوا ، * وكُنِ الجَبانَ وإنْ مَلَكَتْ جَنانَا .
وأحذرْ ضراماً بالعيون ، وسَلْ به * مِنِّي ، وجانبِ بالقُدودِ طعانَا .
فلقد رأيتُ الأسدَ وهي كواسِرٌ * تَحْشَى بمَعْرَكِ الهوى الغزلانَا .
لا تَعَبْتُ بِذا بَيْلٍ وبِإِيرٍ ! * وَخَفِ المَهْجَفَ وأحذرِ الوَسانَا !
لولا نِشابُهُ مَقْلَةُ أوقامِيه ، * ما خَفْتُ يوماً صَدْعَهُ وَسانَا .
وأنا الَّذي حَضَرَ الوَقائعَ في الهوى * وأقامَ في أَسْرِ الفِرامِ زَمانَا .
ولَكُم رأيتُ به الشَّدائدُ مَرَّةً ! * وَلَكُم رأيتُ به المَواتَ عِيانَا !
وثَبْتُ بينَ مَعاظِفٍ ولواحِظٍ * في مَوقِفٍ يَدُرُّ الشُّجاعَ جَبانَا !
مُسْتَسائِماً لِلعِشقِ : لا مُسْتَصْرِخاً * صَبْرًا ، ولا مُسْتَجِدًّا سُلوانَا .
أرجو الشهادةَ إنْ قُتِلْتُ به ، وما * وَلِيتُ فيه ولا ثَبِتُ عِنانَا .
يا وَجَّهِ قَليبٍ ما خَلا من سُفْهِلِهِ * بِصِبايَةٍ وَحِجَّةٍ مَذْكَانَا !
لو قُتِّسَوه لَمَّا لَقُوا لِسوى الهوى * فيه ولا غَيْرِ الفِرامِ مَكانَا .

وقال التلعفري :

هَذَا الْعُدُولُ عَلَيَّكُمْ ، مَالِي وَلَهُ ؟ * أَنَا قَدْ رَضِيتُ بِذَا الْفِرامِ وَذَا الْوَلَةِ !
شَرَطُ الْمَحَبَةِ أَنْ كُلَّ مَتَبٍّ * صَبَّ يَطِيعُ هَوَاهُ ، يَعِصِي عُدْلَهُ .
وَأَخَذْتُ مَوْنِي حِينَ سَارَ بِحَبِّكُمْ * مِنِّي ، وَمِنِّي سِرُّهُ لَنْ يَبْذُلَهُ !

ما أعربت والله عن وجدي بكم * وصباي إلا دموعي الممثلة.
 جزتم مدام في قطيعكم ، فلا * عطف إيمانكم برأى ، ولا صلة.
 ألوكم في هجركم وصدودكم ، * ما هذه في الحب منكم أؤلة !
 قسما بكم ، قد حرت مما أشتكى ! * حسبي الدجى ، فعدته ما أطولة !
 ليس لي يوم الحشر معي إن يكن * لا ليل ذاك له ، فذا لأصبح له .
 يا سائل من بعيد عن حالي ! * ترك الجواب جواب هذى المسألة !
 حالي إذا حدثت لا لعم ولا * جملا لإيضاح لها من تكلمة .
 عندي جوى يدر الفصح مبتدا : * فترك مقصلا ! ودونك بمجلة !
 القلب ليس من الصالح فيرتجى * إصلاحه ، والعين تحب مقلة .
 يا نازحين ، وفي أكلة عيسهم * رشا عليه حشا الحب مققلة !
 قرله في الطرف بل في القلب بل * في الثرة الحصداء أشرف منزلة .
 الصدغ منه عقرب ، ولحافظه * أسد ، وخلف الظهر منه سنبلة .
 ما أجور الألفاظ منه إذا رنا ! * وإذا أنتى ، فقوامه ما أعمله !
 لو لم يصب صنغيه عارض خده ، * ما أصبحت في عارضيه سلسلة .
 لله منه مهتف أجنبيته * عسل الهوى بختت منه حنطة !
 لو كنت فيه قلت نصح عوانلى ، * ما أدبرت أيام حطى المسيلة !

(١) إشارة إلى الكتب الشيرة : الفج ، الجل ، الإيضاح ، التكملة . وكلها في علم العربية .

(٢) يشير إلى "الفصح" ، "الطلب" ، و "الفصل" ، "لرخشى" ، و "المجلد" ، "لأبن فارس . وكلها كتب في اللغة .

(٣) الإشارة إلى "الصالح" ، "الهررى" ، و "العين" ، "فليل بن أحمد" . وهما من كتب الفقه .

(٤) يشير إلى بعض منازل القمر ، وهى : الطرفة ، والقلب ، والثرة .

(٥) يشير إلى بعض البروج ، وهى : المقرب ، والأسد ، والسنبلة .

وقال الطغرائي :

رَوَيْدُكُمْ ! لَا تَسْبِقُوا بِقَطِيعِي * صُرُوفَ اللَّيَالِ، إِنَّ فِي التَّمَرِ كَافِيَا.
وَيَا قَلْبُ، عَاوِدْ مَا لَقِيتُ مِنَ الْجَوَى ! * مَعَاذَ الْهَوَى أَنْ تُصْبِحَ الْيَوْمَ سَائِيَا !
وَيَا كَيْدِي، ذُوبِي ! وَبِامْقَلِي، ائْتَهَرِي ! * وَبِانْفِيسٍ لَا تُبْقِي مِنَ الْوَجْدِ بَاقِيَا !
فَلَا تَطْمَعُوا فِي بُرَى مَائِي، فَإِنَّهُ * هُوَ الدَّاءُ قَدْ أَغْيَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا !

✦ ✦

ومما قيل في طيف الخيال، قال قيس بن الخطيم :

١٧

إِنِّي شَرِيتُ، وَكُنْتُ غَيْرَ شُرُوبٍ ! * وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ .
مَا مَنَعَنِي يَقْطُلِي، فَقَدْ تَوَلَّيْتُهُ * فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُكْدَرٍ مَحْشُوبٍ .
كَانَ الْمُنَى تِلْقَاءَهَا، فَلَقِيْتُهَا * وَلَمُوتُ مِنْ لَهْوَ أَمْرِي مَكْدُوبٍ !

وقال عمرو بن قبيصة :

نَأْتَمُّكَ أَمَامَهُ، إِلَّا سُؤَالَي * وَالْأَخْيَالَ يُوَافِي خَيَالَا .
خَيَالَا يُحَيِّلُ لِي نَيْلَهَا، * وَلَوْ قَدَرْتُ لَمْ يُحَيِّلْ نَوَالَا !

قال أبو هلال العسكري : ومن هاتين القطعتين أخذ المحدثون أكثر معانيهم

في الخيال ١٥

وقال البعيث :

أَزَارَتْكَ لَيْلِي، وَالرَّكَابُ خَوَاضِعُ * وَقَدْ بَهَرَ اللَّيْلُ النُّجُومَ الطَّوَالِعُ !
وَأَعْطَتْكَ غَايَاتِ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّهَا * كَوَادِبُ ابْنِ حَصَلَتِهَا وَخَوَادِعُ .

وقال أبو تمام :

إِسْتَرَارْتُهُ فِكْرَتِي فِي الْمَتَامِ ، * فَأَتَاهَا فِي خَفِيَّةٍ وَأَكْتِنَامِ .
يَا لَهَا لَبْلَةٌ تَرَاوَرَّتِ الْأَرْ * وَاحَ فِيهَا سِرًّا عَنِ الْأَجْسَامِ !
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ * غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ !

وقال الحمدوني :

لَمْ أَنَلْهُ ، فَنَلَّه بِالْأَمَانِي * فِي مَنَامِي سِرًّا مِنَ الْمِجْرَانِ !
وَاصِلَ الْحُلُمِ بَيْنَنَا بَعْدَ هَجْرٍ ، * فَاجْتَمَعْنَا وَنَحْنُ مُفْتَرِقَانِ .
وَكَاَنَّ الْأَرْوَاحَ خَافَتْ رَقِيبًا ، * فَطَوَّتْ سِرَّهَا عَنِ الْأَبْدَانِ .
مَنْظَرٌ كَانَ نَزْهَةً السَّيْنِ إِلَّا * إِنَّهُ مَنْظَرٌ بَغِيرِ عَيَانِ .

وقال ابن الرومي :

طَرَقْتُنَا ، فَأَنَاءَتْ نَائِلًا * شُكْرُهُ - لَوْ كَانَ فِي النَّبَةِ - الْجُحُودُ .
ثُمَّ قَالَتْ ، وَأَحْسَنْتِ عَجْجِي ، * مِنْ سُرَاهَا حَيْثُ لَا تَسِيرِي الْأَسُودُ .
لَا تَعْجَبْ مِنْ سُرَانَا ، فَالْسُرَى * عَادَةُ الْأَقْفَارِ وَالنَّاسِ الْمُجُودُ .

أخذ العسكري المعنى ، فقال :

رَقِبتَ غَفْلَةَ الرَّقِيبِ ، فَرَارَتْ * تَحْتَ لَيْلٍ مُطَرِّزٍ بَنَاهِ .
فَتَعْجَبْتُ مِنْ سُرَاهَا ، فَقَالَتْ : * غَيْرُ مُسْتَطَرِّفٍ سُرَى الْأَقْفَارِ !
ثُمَّ مَالَتْ بِكَاسِهَا فَسَقَتْنِي * جُنَّارِيَّةً عَلَى جُلٍّ نَارِي !

وقال آخر :

فِيَا لَيْتَ طَلِيقًا ، خَيْلَتُهُ لِي الْمُنَى ، * وَإِنْ زَادَنِي شَوْقًا إِلَيْكَ ، يَبُودُ !
أَكَلَّفَ نَفْسِي عَنْكَ صَبْرًا وَسَلَوَةً ، * وَتَكَلِّفَ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ !

وقال السكيتي :

طَرَقَ الخَيْلَالُ، فزَارَ مِنْهُ خَيَالًا . * فسرَى يُغَاذِلُ فِي الرُّقَادِ غَزَا لَا .
يَا كَشْفَةً لِلْكَرْبِ، إِلَّا أَنَّهُ * وَثَى عَلَى دُبُرِ الظَّلَامِ فِرَالَا .
قَعَدَ الْمُتَمِّمُ، وَهُوَ أَكْثَرُ صَبَوةً * وَأَشَدُّ بِلْبَالًا وَأَكْشَفُ بَالَا !

وقال الهادي الأصفهاني :

طَلَبْتُ طَرِبْتُ لَطِيفُهُ الْمَتَاوِبَ . * طَرَبَ الْعَلِيلُ لِرُؤْيَا الْمُنْتَطَلِبِ .
لَمْ أَذِرْ زَوْرَتَهُ، أَكَانَتْ خَطْفَةً * مِنْ بَارِقِ أَمِّ لَمْعَةٍ مِنْ كَوْكَبِ .
زَارَ الْكَرَى مُتَبَيِّبًا رُقْبَاءَهُ . * أَهْلَابَهُ مِنْ زَائِرٍ مُنْهَبِ !
لَمَّا رَأَى وَجْدِي، تَأَوَّهَ رَحْمَةً . * اللَّهُ مِنْ مُتَأَوِّهِ مُتَاوِبِ !
وَأَتَى لِيُقْرَبَ مِنْ وَسَادِ مَتِّمٍ * لَمَّا أَحْسَسَ بِنَارِهِ، لَمْ يَقْرَبِ .

وقال محمد بن بختيار :

لَوْ أَنَّ طَيْفَ الْخَيْلَالِ يَسْرَى ، * بَلَّ سُرَاهُ غَلِيلَ صُدْرِي .
وَلَوْ أَرَادَ الْحَبِيبُ أَنْ لَا * يَضْمِنِي ، مَا اسْتَطَابَ هَجْرِي .
يَلُومُنِي فِي هَوَاهُ مَنْ لَا * يَعْلَمُ أَنَّ الْمَلَامَ يَنْسُرِي .
كَمْ لَيْلَةٍ زَارَ فِي دُجَاهَا ، * فَكَانَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ بَدْرِي .
يُخَفِّنِي بِالْجَمْرَارِ خَدَّ * مُورِدٍ وَأَبْيَضَ قَفْرِي .
يَجْمَعُ لِي بَيْنَ سُكْرِ لَحِيطِ * وَسُكْرِ رَيْنِ وَسُكْرِ تَحْرِ ،
وَدَّرَ لَقِظٍ وَدَّرَ قَفْرٍ * وَدَّرَ كَأْسَ وَدَّرَ تَحْمَرِ .

وقال آخر :

قلت للمعرض الذي صد عني : * إن طيف الخيال لي عنك يقيني .
قال : لا تحمد الخيال فا ذا * رك إلا عن اختيارى وإذنى .
كدت تنفى أسى ، فقلت لطيفي : * أنحلي روحه يزور الثقي !
ليس تخا بان موت ، ولكن * خفت أن تستريح بالموت مني !

وقال آخر :

فإن يحبوها بالنهار ، فما لهم * بأن يحبوا بالليل عني خيالها !

وقال المجنون :



وإني لأستغنى ، وما بي نسيء ؛ * لعل لها في المنام يكون !
تخبرني الأحلام أني أراكم ، * ألا ليت أحلام المنام يقين !

وقال المؤمل :

أنا في الكرى ليلًا بسخص أحبه ، * أضاعت له الآفاق ، والليل مظلم .
فكلبني في النوم غير مضضب ، * وعهدي به يقظان لا يتكلم .

ودكر العباس بن الأحنف العلة في طروق الخيال . فقال :

خيالك حين أرقد نصّب عيني * إلى وقت أتيساهي لا يزول .
وليس يزورني صلة ، ولكن * حديث النفس عنك به الوصول .

وتبعه الطائي فقال :

زار الخيال لها ، لا بل أزاركه * فكر ، إذا نام فكر الخلو لم يتم .
ظلي تقصته لما نصبت له * في آخر الليل أشرا كما من الحلم .



ومما قيل في الرد على العذول، قال أبو نؤاس :

ما حطَّك الواشون من رتبة * عِنْدِي، ولا ضَرَّكَ مُغْتَابُ.
كأنَّما اشْتَوْا - ولم يَشْعُرُوا - * عَلَيْكَ عِنْدِي بالذي عَابُوا.

وقال تاج الملوكة :

مَهْ يَاعْدُولُ عَنْ الْحَبِّ، فَإِنَّمَا * عَدْلُ الْحَبِّ يَزِيدُ فِي بِلَالِهِ !
لَا تَعْدُلَنَّ عَلَى الصَّبَابَةِ مُغَرَّمًا * حَتَّى تَبْتَيتَ مِنَ الزَّمانِ بِجَالِهِ !

وقال أيضا من قصيدة :

ولقد قُلْتُ للذي لَامَنِي فيشك، وما زال حاله مثل حالي :
يَاعْدُولِي فِي حُبِّهِ، كُفَّ عَدْلِي. * أَنَا مَا لِلْعَدُولِ فِيهِ وَمَا لِي !
كُلَّمَا زِدْتُ فِي مَلَامِي وَعَدْلِي، * زِدْتُ فِي لَوْعَتِي وَفِي بَلْبَالِي !

وقال الأترجاني :

وَجِدِي بِلَوْمِكَ، يَاعْدُولُ يَزِيدُ ! * فَاسْتَبَقِي سَهْمَكَ، فَالْمِي بَعِيدُ !
بَلَّغِ الْهَوَى مِنْ سِرِّ قَلْبِي مَوْقِعًا : * لَا الْمَدْلُ يَلْفُهُ وَلَا التَّفْنِيدُ !
وَتَنِمُّ بِالشَّجْوِ الْمُكْتَمِ عَبْرَتِي، * وَمِنَ الدَّمُوعِ عَلَى الْقَرَامِ شُهُودُ !

وقال سيف الدين المشد :

يَا عَذْلِي، خَلَّ عَنِّي ! * أَسْمَعْتَ غَيْرَ سَمِيعِ !
لَا تَرْجُ مَنِي سُلُوكًا ! * فَإِذَا دَى مُطِيبِي !
وَكَيْفَ أَكْتُمُ مَا بِي * مِنْ لَوْعَةٍ وَوُلُوعِ،
وَالذَّارِبَاتُ جُفُونِي، * وَالْمُرْسَلَاتُ دُمُوعِي !

(١) إشارة إلى اسم السردتين الكريمين : الداربات والمرسلات .

وقال ابن الخبيسي :

وَأَمْرِي الْمَدَالُ بِالصَّبْرِ عَنُّكُمْ * وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَى عَنِ الْحُلُوِّ بِالصَّبْرِ؟
وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ عَوَازِلِي * يُطِيلُونَ لَوْحِي فِي الْهَوَى، وَالْهَوَى عُذْرِي!



ومما قيل في رجوع العذول، قال ابن وكيع :

أَقْبَلَ وَالْمَدَالُ يَلْحُونِي، * فَكَلِّهِمْ قَالَ : مَنِ الْبَدْرُ؟
فَقُلْتُ : ذَا مَنْ طَالَ فِي حُبِّهِ * مِنْكُمْ لِيَ التَّعْنِيفُ وَالزَّجْرُ!
قَالُوا : جَهْلُنَا، فَاغْتَفَرُ جَهْلُنَا * فَلَيْسَ عَنْ ذَا لِأَمْرِي صَبْرًا
عُذْرُكَ فِي الْحُبِّ لَهُ وَاجِعٌ، * وَمَا لَنَا فِي لَوْحِنَا عُذْرًا

وقال أيضا :

أَبْصَرَهُ طَائِلِي عَلَيْهِ، * وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا رَأً.
فَقَالَ لِي : لَوْ عَشَقْتُ هَذَا، * مَا لَأَمَكَ النَّاسُ فِي هَوَاهُ
قُلْ لِي : إِلَى مَنْ عَدَلْتَ عَنْهُ * فَلَيْسَ أَهْلُ الْهَوَى سِوَاهُ؟
وَقُلْ لِي مِنْ جَيْتِ لَيْسَ يَدْرِي، * يَا مِرَّ بِالْحُبِّ مَنْ نَهَاهُ!



ومما قيل في الوصال، قال ابن الرومي :

وَلَقَدْ يَرْوُفُنَا الْإِقْدَاءُ بِلَيْلَةٍ * جُمَعْتُ لَنَا حَتَّى الصَّبَاحِ نِظَامًا.
تَجْزِي الْعَيُونَ جَزَاءً عَنْ الْبُكَاءِ * وَعَنِ الْمُهَادِ وَلَا نُصِيبُ أَكْثَامًا.
فَنُيْحُهُنَّ مَرَادَهُنَّ، يَرُدُّهُ * فِيمَا أَدْعِيَتْ، مَلَا حَقَّةً وَوَسَامًا.

❦

ونكافئُ الأَذَانَ ، وهي حَقِيقَةٌ * إذْ لَا تَرَالُ تُكَايِدُ الأَسْوَامَا .
فَتَيْبُهُنَّ مِنَ الحَدِيثِ مَثُوبَةٌ * تَشْفِي الغَلِيلَ وَتُكْشِفُ الأَسْقَامَا .
ونكافئُ الأَفْصَوَاءَ عَنْ كِتْمَانِهَا ، * إذْ لَا يَرَالُ لَهَا الصَّمَاتُ بِطَامَا .
فَنِيحُهُنَّ مَلَأْنَا وَمَرَّاشِقَا ، * مَاضَرَهَا أُنْثَى لَا تَكُونُ مُدَامَا !
تَجْزِي الثَّلَاثَةَ أَنْصِبَاءَ ثَلَاثَةً * مَقْسُومَةً آتَاوُهَا أَقْسَامَا .



ومما قيل في الفراق والبين ، قال بعض الكُتَّاب : في الفراق مصافحةُ
التسليم ، ورجاءُ الأَوْبَةِ ، والسلامةُ من المَلَالِ ، وعمارةُ القلبِ بالشوق ، والدلالةُ
على فضلِ المواصلَةِ واللقاءِ .

قال شاعر : ١٠

جَزَى اللهُ يَوْمَ الْبَيْنِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُ * أَرَانَا عَلَى عِلَالِيهِ أُمَّ ثَابِت !
وقال ابن الرومي :

فَإِذَا كَانَ فِي الْفِرَاقِ أَعْتِنَا ، * جَعَلَ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ فِرَاقًا !
وقال أبو حفص الشطرنجي :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ ، فَإِنَّ * أَشْتَبِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ !
إِنَّ فِيهِ أَعْتِنَا لِفِرَاقٍ * وَأَنْتَظَرُ أَعْتِنَا لِقُدُومِ .

وقال سيف الدولة بن حمدان :

رَاقِبَتِي الْمَيُوتُ فِيكَ ، فَاشْفَقْتُ ، وَلَمْ أَخْلُ قَطُّ مِنْ إِشْفَاقِ .
وَرَأَيْتُ الْعَدُوَّ يَحْسُدُنِي فِيكَ مُجِنًا بِأَنْفُسِ الْأَعْلَاقِ .

فَتَمَنَيْتُ أَنْ تَكُونَ بَيْنَنَا ، * وَالَّذِي بَيْنَنَا مِنَ الْوَدِّ بَاقٍ !
رُبَّ هَجْرٍ يَكُونُ مِنْ خَوْفٍ هَجِيرٍ * وَفِرَاقٍ يَكُونُ خَوْفٍ فِرَاقٍ !
وَأَرَى هَذَا كُلَّهُ عَلَى سَبِيلِ التَّمَلُّلِ لَيْسَ إِلَّا ، وَإِنَّمَا الْفِرَاقُ لَا شَكَّ فِي إِيلَامِهِ لِلْقُلُوبِ .
قال بعض الشعراء :

فَلِمَ لَا تُسَبِّلُ الْعَبْرَاتُ مِنِّي ، * وَلَسْتُ عَلَى الْيَقِينِ مِنَ الْإِتْلَاقِ ؟
فَلَا وَأَيْبُكَ ، مَا أَبْصَرْتُ شَيْئًا * أَمَرَ عَلَى النَّفُوسِ مِنَ الْفِرَاقِ !
وقال آخر :

يَا رَبِّ ، بَاعِدْ بَيْنَ جَفْنِي وَالْكَرَى * مَا دَامَ مِنْ أَهْوَاهُ فِي هَجْرَانِي !
لَئِنْ لَأَخْشَى أَنْ أَنَامَ فَأَلْتَقِي * بِخَيَالِهِ ، خَوْفَ الْفِرَاقِ الثَّانِي !
وقال آخر :

فَارْقُهُ وَبُودَى لَوْ تَمَارِقُنِي * رُوحُ الْحَيَاةِ ، وَأَنْتِ لَا أَفَارِقُهُ !
وقال أبو تمام :

الْمَوْتُ عِنْدِي وَالْفِرَا * قُ : كِلَاهُمَا مَا لَا يُطَاقُ !
يَتَمَاوَأَتُ عَلَى النَّفْسِ * س : فَذَا الْجَنَامُ وَذَا السَّيَاقُ !
لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا كَدًّا ، * مَا قِيلَ : مَوْتُ أَوْ فِرَاقُ !

وقال غريب بن سعيد شاعر "البقيعة" :

الْآنَ يَوْمُ الْفِرَاقِ قَسَّوَتْهُ * حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ وَمَا شَعَرَا .
نَفِثْتُ مَا سَالَ مِنْ مَدَامِيهِ * دُرًّا عَلَى وَجْنَتَيْهِ مُتَشَرًّا .
لَمْ يَكُنْ شَوْقًا ، لَكِنْ بَكَى جَزَعًا * لَهْوٍ يَوْمَ الْفِرَاقِ إِذْ حَضَرَا .

في مَشَهْدٍ لو أطلقَ شاهِدُهُ * فيه استنارًا لوجهه ، سَتَرَا .
أبي أساهُ وفيضُ أدْمِعِهِ * إلا اشتَهَارًا في الحُبِّ ، فاشْتَهَرَا .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

هَيَّجَ البَيْنُ دَوَائِي سَقَمِي ، * وَكَسَا جِسْمِي ثَوْبَ الأَلَمِ !
أَيُّهَا البَيْنُ ، أَقْلِي مَرَّةً * فَإِذَا عُدْتُ ، قَدْ حَلَّ دَمِي .
يَا خَلِي الرُّوعِ ، تَمَّ في غِطْلَةٍ ! * إِنِّ مَنْ فَارَقَهُ لَمْ يَنْمِ .
وَلَسْتُ هَاجَ لِقَلْبِي سَقَمًا * ذِكْرُ مَنْ لَوْ شَاءَ ، دَاوَى سَقَمِي .

وقال آخر :

بَكَتْ وَبَكَتْ لَوْ شَكَ الْفِرَاقُ ، * نَفِيفٌ ، تَرَمَّنْ مَدْمَعِينَا الْعَجَبُ !
فَذَا فَضْلاً في عَفِيقِ جَرَى ، * وَهَذَا عَفِيقُ جَرَى في ذَهَبُ !

وقال آخر :

قُلْتُ لَهُ وَالرَّقِيبُ يُزَيِّجُهُ * مُسْتَعِجِلًا لِلْفِرَاقِ : أَيْنَ أَنَا ؟
فَدَكَّكَ إِلَى تَرَائِيهِ * وَقَالَ : كُنْ أَمْنَا ، فَانْتَ هُنَا !

وقال آخر :

قَدْ قُلْتُ إِذْ سَارَ السَّفِينُ بِهِ ، * وَالشُّوقُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهْبًا :
لَوْ كَانَ لِي مُلْكُ أَصُولُ بِهِ ، * "لَأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا"

وقال كُشَايِم :

مَرْجَحَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ يَمْنَى يَوْمَ بَانُوا بِاللِّدْمَا .
فَكَأَنَّمَا مَرْجَحَتْ بِخَدَيِ مُقَلَّتِي نَحْمَا بِمَا !

وقال آخر:



لم أنس يومَ الفراقِ مَوْفَها، * وطَرَفُها في دُمُوعِها غَرِقَ.
وقولُها، والركابُ سائِرٌ: * تَتَرَكُنَا هَكَذَا، وَتَظَلُّقُ؟

ومنه ما قيل في مفارقة الأصحاب:

لَمَّا رَأَيْتُ مُصَاحِبِي وَمَعَاشِرِي * بِحَدِيدِ وَدَى بِالْقَطِيعَةِ مَرْقَا،
فَارَقْتُهُ وَسَلَّتُ مِنْ يَدِهِ يَدِي، * وَقَرَأْتُ لِي وَلَهُ: "وَأِنْ يَنْفَرَقَا".

وقال آخر:

قَالُوا: قَطَعْتَ صِدْقَكَ الْبَرَّ الَّذِي * مِنْهُ أَسْتَفَدْتَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.
فَاجِبْتَهُمْ: بِعُصْبِ الْمَفَاصِلِ رُبَّمَا * فَسَدْتُ، فَتُضَلَّعُ فِي صَلَاحِ الْبَاقِي!

وقال آخر:

وَلَقَدْ شَكَّرْتُ مُفَارِقِي * إِذْ سَاءَ فِي أَخْلَاقِهِ.
لَوْ كَانَ أَحْسَنَ عَشْرَتِي، * لَهَلَكْتُ يَوْمَ فِرَاقِهِ.

ومثله قول الآخر:

عَلَّمَتْنِي بِهَجْرِهَا الصَّبْرَ عِنْدَهَا، * فَهِيَ مَشْكُورَةٌ عَلَى التَّقْسِيرِ!
وَأَرَادَتْ بَذَا قَيْسَاحَ فَعَالٍ * صَنَعَتْهُ، فَكَانَ حِينَ الْمَلِيحِ!



ومما قيل في التوديع، قال البحتري:

أَقُولُ لَهُ عِنْدَ تَوْدِيْعِهِ، * وَكُلُّ بَعِيرِهِ مُبْلِسُ:
لَنْ قَعَدْتُ عَنْكَ أَجْسَامَنَا، * لَقَدْ سَاقَرْتُ مَعَكَ الْأَنْفُسُ!

وقال أبو الطيب المتنبي :

ياراحلاً ، كلُّ مَنْ يودَّعه * مُودِّعٌ دِينَهُ ودُنْيَاهُ .
إنَّ كانَ فيما نراهُ مِنْ كَرَمٍ * فيكَ مَزِيدٌ ، فزادَكَ اللهُ !

وقال البحتري :

ألم تَرِنِي يَوْمَ فارقَتُهُ * أودَّعه ، والهوى يَسْتَرِيدُ
أولَى إذا أنا ودَّعْتُهُ ، * فيغلبني الشوقُ حتَّى أعود .

وقال أبو تمام :

نأى وشيكٌ وأُفلاقٌ ، * وغليلُ شوقٍ وأَحْزَانُ .
بأبي فتى ودَّعْتُهُ * تاهت بصُحبته الرِّفاقُ !
بدرُ يضيءُ لعاشِقِيه * فما يُطِيفُ به الحِفاقُ !

وقال ابن زيدون :

ودَّعَ الصَّبْرُ حُبَّ ودَّعَكَ ، * حافظٌ من سِرِّه ما أَسْتودَّعَكَ !
يَفْرَعُ السَّنَّ على أنْ لم يَكُنْ * زاد في تلكَ الخطأ ، إذ شَبَّعَكَ !
يا أخا البَدرِ سَنَاءَ وسَنَاءَ ، * حَفِظَ اللهُ زماناً أطلَمَكَ !
إن يَطلُنْ بِمَعْنِكَ ليلي ، فلكم * بئ أشكو قِصرَ الليلِ مَعَكَ !

وقال أبو عبد الرحمن شاعر "اليتيمة" :

إذا دَهَكَ الوداعُ فاصبر * ولا يهولَنَّكَ البعادُ !
وآتِظِر العودَ عن قريب ، * فإنَّ قلبَ الوداعِ عادُوا .

وقال آخر :

وَدَعْتُهُ حَيْثُ لَا تُودَعُهُ * رُوحِي، وَلَكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهُ
ثُمَّ تَوَلَّى وَفِي الْقُلُوبِ لَهُ * ضَيْقُ عِجَالٍ وَفِي الدُّمُوعِ سَعَهُ

وقال الإمام الصولي :

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ حَاضِرًا * وَهَنْ يَشْكُونُ عِلَّةَ الْوَجْدِ،
لَمْ تَرَ إِلَّا الدُّمُوعَ جَارِيَةً * تَسْقُطُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدٍّ.
كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطَرُنْدَى، * يَقْطُرُ مِنْ نَزْجِيٍّ عَلَى وَرْدٍ!

وقال أبو منصور أحمد بن محمد المصممي :

وَقَفْتُ يَوْمَ النُّوَى مِنْهُمْ عَلَى بَعْدٍ * وَلَمْ أُودِعْهُمْ وَجْدًا وَإِشْفَاقًا.
إِنِّي خَشِيتُ عَلَى الْأَطْمَانِ مِنْ نَفْسِي * وَمِنْ دُمُوعِي : إِحْرَاقًا وَإِغْرَاقًا.

وقال ابن نباتة :

وَلَمَّا اسْتَقَلْتُ لِلرَّوَاكِ حُومَلَمْ * وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَائِمٌ وَغَيُورُ،
وَقَفْنَا : مِنْ يَدَيْكَ يُكْفِئُكَ دَمْعُهُ، * وَمُلْتَمِمْ قَلْبًا يَكْكَادُ يَطِيرُ!

وقال آخر :

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ، وَقَلْبُهَا * وَقَلْبِي يَدْنَانِ الْمَصَابَةِ وَالْوَجْدِ،
بَغْتٌ لَوْلَا رَطْبًا قَفَاضَتْ مَدَامِي * عَقِيقًا فَصَارَ الْكُلُّ فِي نَحْرِهَا عَقْدًا.

وقال آخر :

وَدَعْتُهَا وَهَيْبَ الشَّوْقِ فِي كَيْدِي * وَالْبَيْنَ يَبْعُدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ،
وَدَاعَ صَبْرٍ لَمْ يُمْكِنْ وَدَاعُهُمَا * إِلَّا بِالْحِظَّةِ عَيْنٍ أَوْ بِنَانٍ يَدِ.

وحاذرت أعين الواشين فانصرفت * نفض من خوفها الثناب بالبرد.
وكان أول عهد العين يوم نأت * بالدمع آخر عهد القلب بالجلد.
وقال الهيثم الكلاعي، من شعراء "الليمة" :

ولم أنسها يوم الوداع، ومسحها * بواد دمع العين، والعين تدرف.
أفانين تجري من دموع ومن دم * على الخد منها تستهل وترعف.
وتكراراً تجوى الهوى ذات بيننا، * وكل إلى كل يلرب ويغطف.
جعلنا هناك المجرماً بجانب، * وللبين داج بالترحيل يبتف.
ولولا النوى، لم تشك ضعفان الأبي * ومن يحل الامتحان بالين يضعف!
فقلت : كلاً ما مقل من صباية، * ولكنني عن حملها منك أضعف.

وقال الظاهر البصري :

نفي الضياء لمن جاءت تودعني * يوم الفراق قلب خائف وجل!
قد كنت فارقت روعي يوم فراقها * لكن حيث بطيب الضم والقبل!

وقال يزيد بن معاوية :

جاءت بوجه كأن البدر برقه * حسنا على مثل غضن البانة الثمل.
أحدي يديها تطايني معتقة * نكحتها عصفرته حمرة التجل.
ثم استبتت وقالت وهي عالمة، * بما تقول وشمس الكاس لم تقل:
لا ترحلن، فما أبقيت لي جلدا * مما أطبق به توديع مريحل!
ولا من الصبر ما ألقى الفراق به * ولا من الدمع ما أبكى على طلل!

ومن الناس من كره الوداع، وفي ذلك يقول البحتري :

الله جارك في انطلاقك * تلقاء شامك أو عراقك!

لَا تَسْلُدُنِي فِي مَسِيرِي يَوْمَ سَرْتِ وَلَمْ أَلِكَ!
إِنِّي خَشِيتُ مَنَاقِفًا * لِلَّيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِلْ!
وَعَلِمْتُ أَنَّ بُكَاءَنَا * حَسْبُ أَشْتِيَاقِي وَأَشْتِيَاقِكَ!
وَذَكَرْتُ مَا يَجِدُ الْمَوْدُعُ عِنْدَ ضَمِّكَ وَأَعْتِنَاكَ،
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعْمَدًا * وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ!

وقال آخر:

الله يعلم ما تَرَكْتُ وَدَاعَهُ، * وَلَقَدْ جَزَعْتُ لُبْعِدِهِ وَفِرَاقِهِ،
إِلَّا عَافَا أَنْ يُذِيبَ فُؤَادَهُ * مَا فِي فُؤَادِي مِنْهُ عِنْدَ عِنَاقِهِ!

وقال آخر:

إِنَّ تَرْكِي فَضِيلَةَ التَّشْيِيعِ * لَا جُنَابِي مَشَقَّةَ التَّوَدِيعِ،
مَا بَقِيَ أَنَسُ ذَا بَوْحَشَةِ هَذَا، * فَسَرَأَيْتُ الصُّوَابَ تَرَكَ الْجَمِيعِ!

وقال آخر:

مَا تَرَكْتُ الْوَدَاعَ يَوْمَ أَفْتَرَقْنَا * عَنْ مَلَالٍ وَلَا لَوْجِهِ قَيْحِ.
أَنْتَ رُوْحِي عَلَى الْحَقِيقَةِ مَا زِلْتِ، وَمَا أَحْتَرْتُ أَنْ أُودَعَ رُوْحِي!



ومما قيل في الصّدِّ والمهجّران، قال أبو عبادة البحرى:

هَجَّرَ الْحَبِيبُ، فَتٌ مِنْ شَفِيفٍ * لَمَّا حُرِمْتُ عَزِيزَةَ الصَّبْرِ!
فَإِذَا قَضَيْتُ، فَنَادِ: يَا حَرَنِي، * هَذَا قَتِيلُ الصَّدِّ وَالْمَهْجَرِ!
وَالْبَدْرُ فِي حَلٍّ وَفِي سَعَةٍ * مِنْ سَفَكِهِ دَمَ عَبِيدِهِ الْحَرِّ!

وقال ابن ميادة :

كأنوا بعيدًا، فكنت أملهم * حتى إذا ماتقاربوا، هجروا.
فالبعدُ منهم على رجائهم * أنفع من قربهم إذا هجروا!

وقال أبو الحسن أحمد بن عمر النهرواني :

على قلبي الأجيَّةُ السَّماوي في الهوى غلبوا.
وبالهجْران من عيني طيبَ النوم قد سلبوا.
وما طلبوا سوى قتلي، * فهات على ما طلبوا!

ولما سمع الشيخ العالم صدر الدين محمد بن الوكيل هذه الأبيات، عارضها، وأنشدني
لنفسه في صقر الأغر الميمون سنة ثلاث عشرة وسبعائة .

لئن غلبوا على عقلي، * لقد سلبوا لمن غلبوا!
وإن أبكي تبسمهم، * نخلب برقمهم خلَّبوا!
وإن ترجُ العيون، فقد * إليها الشهد قد جلبوا!
وإن عطفوا برقمهم، * فدرمدامى خلَّبوا!

♦♦

ومما قيل في الزيارة، قال الوزير أبو عبد الله بن الحنّاد :

إذا جاءني زائرًا حُسنه * أقام عليه رقيبًا عيَّدا.
إذا ما بدا، سرَّ بلكه العيون * ونَحِرتُ وُجوهَ إليه سُجودًا.
هو البدر والنَّصن : خَدَّاهُ قَدَا، * كما أنه الطُّغَي : لَحْظًا وجيِّدا.
أنى زائرًا وفؤادي خَلِي، * فمرَّ به مُستَهامًا عيَّدا.
وغادرتي بشده في غرام * تضرَّم بين ضلوعي وقودًا!

وقال نصير الحُبَارِزِيِّ، شاعر "التيمة" عفا الله عنه :

خَلِيلِي ! هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا * بِأَكْرَمَ مِنْ مَوْلَى تَمَنَّى إِلَى عَبْدٍ !
أَتَى زَائِرًا مِنْ غَيْرِ وَعَدَّ وَقَالَ لِي : * أَصَوْنُكَ عَنْ تَعْلِيْقِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ !

وقال الواوَاءُ الدمشقي :

• زَارَ بَلِيلٌ عَلَى صَبَاحٍ * عَلَى قَضِيْبٍ عَلَى كَثِيْبٍ !
حَتَّى أَتَى أَلْسُنُ اللَّيَالِي * مُعْتَذِرَاتٍ مِنَ الدُّبُوبِ .
فِيهَا زُورَةٌ أَخَذْنَا * بِهَا أَمَانًا مِنَ الْخُطُوبِ !

وقال أبو عبد الله الحنّاد :

يَا زَائِرًا، مَلَأَ النَّوَاطِرَ نُورًا * وَالنَّفْسَ لَهْوًا وَالْفؤَادَ سُورًا !
لَوْ اسْتَطِيعَ، فَرَشْتُ كُلَّ سَالِكِي * حَدَقًا وَبَيْضَ سَوَالِفِ وَخُورًا .

١٠

وقال آخر :

أَهْلًا وَمَهْلًا بِطَارِقِ طَرَفًا، * أَحَبَّتْ فِيهِ السَّهَادُ وَالْأَرْفَا !
زَارَ عَلَى غَفْلَةِ الرُّقْبِ وَيَمْنَاهُ تَدَارِي وَيَشَاحِهِ الْقَلَفَا .
فِيَتْ مِنْهُ مُعَاقِفًا صَحْنًا * يَنْفَعُ مِسْكًَا وَعَنْبَرًا عَيْقَا .
لَوْ شِئْتُ، أَنْشَأْتُ مِنْ ذَوَائِبِهِ * لَيْلًا، وَمِنْ نُورِ وَجْهِهِ فَلَقَا !

١٥

وقال أبو عبد الله الحامديّ من شعراء "التيمة" :

مُشْتَاقَّةٌ طَرَقَتْ فِي اللَّيْلِ مُشْتَاقًا ! * أَهْلًا بَيْنَ لَمْ يَخْنُ فِي السَّهْدِ مِيطَا !
أَهْلًا بَيْنَ سَاقٍ لِي طَيْفِ الْأَحْيَةِ فِي * لَيْلِ الدُّجْنَةِ، بَلْ أَهْلًا بِمَا سَاقَا !
يَا زَائِرًا زَارَ مِنْ قُرْبٍ عَلَى بَعْدٍ، * آتَيْتَ مُسْتَوْحِشًا ! لَا دُقْتُ مَا ذَاقَا !

الله يعلم لو أني استطعت، لقد ٥ فرشت تمثالك أمامًا وأحدًا!
باليل، عرج على العين قد جملاً ١٠ عقد السواعد للأعناق أطواقاً!
وقال مؤيد الدين الطغرائي :

وزائرة وافت، فأجلت خلتها ٥ وقبلت إكراما لموردها الأرض!
فيا زورة جاءت على غير موعد، ٥ فقرت عيون واشتفت أنف من مرضى!
فلم أر إلا ما الله واشتبهى، ٥ ولم أر إلا ما أود وما أرضى!
على أنها ولت ولم أقض سنة ٥ - من الوطر المطول دهرًا - ولا فرضاً!
وما سوغتنا ليلة الوصل قرضها ٥ إلى أن بدا الإصباح يسترجع القرضا.
وقال ابن سكرة، من شعراء "البيضة" :

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عتية ٥ تحت الظلام ولم تحذر من الحرس!
تسترت بالدجى عمداً، فما استترت ٥ وبات إشراقها ليلاً على قس!
ولو طواها الدجى عنا، لأظهرها ٥ برق اللثات وعطر النحر والنفس!



ومما قيل في تخفيف الزيارة وموانعها، قال شاعر الحماسة :

ولما رأيت الكاشحين تنبعوا ٥ هواناً وأبدوا دوننا نظراً شزراً،
جعلت - وما بي من جفاء ولا قِل - ٥ أزورك يوماً وأهجركم شهراً!

وقال مسلم بن الوليد :

أقلل زيارتك الصديق، يراك كالتوب أسجدته!
إني الصديق يملهُ ٥ أن لا يزال يراك عنده.
إلا الكرام ذوي النهى، ٥ إني الكريم يديم عهده!

وقال آخر:

إذا ما كثرت على صاحب * وقد كان يذنيك من نفسه،
فلا بُد من مللٍ وإحس، * يُغيّر ما كان من أنسه!

وقال آخر:

لئن تأخرت عن مفروض خدمتك * تجمّعا، فضميري غير مهمهم!
سعى ودادى إليكم بالوفاء لكم، * والسعى بالقلب فوق السعى بالقدم!

وقال ابن المعلم:

لم أطو ببحر تذاك - مع قرى - قلى * إلا تخافة موجه التراكب،
وعلبت أنى إن آتيتك زائرا، * ثقلت، والنثقل ليس بواجب.

وقال المعوج:

ثلاثه منعتها من زيارتها، * وقد طوى الليل جفن الكاشح الحنيق:
نور الجبين، ووسواس الحلي، وما * يمس أردانها من عنبر عنيق.
هب الجبين بفضل الثوب تستره، * والحلى تزعجه، ما الشأن في العرق؟

وقال أبو فراس الحمداني:

لقد نأفسي الدهر * بتأخيري عن الحضرة.
فما ألقى من السيلة ما ألقى من الحضرة!

ومنها التأخر عن عيادة المرضى، قال ابن زريق الكوفي الكاتب:

يا مريضاً ليقيم، * مريض العلم والوفا!
لم يكن تركي العيا * دة هجرًا ولا جفا.

لم أطلق أن أراك يا * أكرم الناس مدنها!
طال خوفي عليك، والحمد لله إذ كفى!

وقال آخر:

منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد.
لو بأذني سمعت منك أنباء، * لتصرى على الآتين قوادى.

وقال آخر:

فواقه! ليس أنقطاعي جفا * وفي كيدي منك نار تشب!
ولكنني قط لا أنسى * أرى من أحب كما لا أحب!



ومما قيل في المدامع، قال المسكوي: أبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع
قول بعض الأعراب:

فطلت كأي من وراء زجاجي * إلى الدار من قرط الصباية أنظر.
وقال البحرى:

ويحسن دلمها والموت فيه، * وقد يستحسن السيف الصليل!
وقفنا والعيون مثقلات * بعالج دمعها طرف كيل!
نهته رقة الواشين حتى * تعلق: لا يبيض ولا يسيل!

وقال السرى:

بنفس من رد الحية ضاحكا، * بفتد بعد اليأس في الوصل مطمعي!
إذا مابدا، أبدى القرام سرايري * وأظهر للعدال ما بين أضلعي.
وحالت دموع العين بيني وبينه، * كات دموع العين تمسقه معي.

وقال الصوليّ :

قد كَانَ فِي طُولِ الْبُكَاءِ رَاحَةٌ ، * وَعَيْنُ مِرْرى فِي يَدِ الْكِتَابِ .
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَّهَ وَاشْتَبَاهُ ، * رَقَأَتْ دُمُوعِي خَشْيَةَ الْإِعْلَانِ !

وقال بشار :

مَاءُ الصَّبَابَةِ ، نَارُ الشَّوْقِ تَحْدِثُهُ * فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ فَاضٍ مِنْ نَارٍ ؟
وقال أبو هلال العسكري :

أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعٍ قَادَهَا قَلْبُ * حَتَّى عَلِقَتْ بِحَفْنِ رَدْمِ الْفَرْقِ .
فِي السَّوَادِ سَبِيلٌ لِلْأَمَى جَدُّ ، * وَفِي الْخُفُونِ مَقِيلٌ لِلْكُرَى قَلْبُ .
لَمْ يَسُبْ قَلْبِي أَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ بَصَرِي ، * وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ يَحْتَرِقُ !

وقال الصوليّ : أنشد أبو الحسن بن رجاء المبرد يوما بيتَ ذِي الرِّمَّةِ :

”لَعَلَّ الْأَحْمَدَارَ الدَّمْعُ يُعْقِبُ رَاحَةً * مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَيْحِي الْبَلَايِلَ !“

وقال : من قال في مثله ، فقد ملح .

وقال الحسن بن وهب :

إِيكَ ! إِنَّمَا أَكْثَرَ نَفَعَ الْبُكَاءُ ! * وَالْحُبُّ إِشْتَفَاكَ وَتَعَلَّلُ !

أَفْرِغْ إِلَيْهِ فِي أَرْزِ حَامِ الْجَوَى * ففِيهِ مَسْأَلَةٌ وَتَسْبِيلُ .

وهو إذا انت تأملتَهُ * حُزْنٌ عَلَى الْخَلْقَيْنِ مَحْمُولُ !

وقال العباس بن أحمد بن الأحنف :

إِنِّي لَا أَبْجُدُ حُبَّكُمْ وَأُسِرُهُ * وَالِدَمْعُ مُعْرِفٌ بِهِ لَمْ يَجْعَدْ .

وَالِدَمْعُ يَشْهَدُ أَنَّكَ لَكَ غَاشِقٌ * وَالنَّاسُ قَدْ عَلِمُوا وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ !

- ثم قال : أهدى يا جرباء ، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :
 كأن الكرى سقاهم صرخديّة * عفاراً تمشى في المطا والقسائم^(١)
- فقال عقيل : شربتها ورب الكعبة ! لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قرطك ،
 أما وجدت من الكلام غير هذا ! فقال جثامة : وهل أسأمت ! إنما أجازت . وليس
 فبرى وغيرك . فرماه عقيل بهم فاصاب ساقه وأفض المعجم ساقه والرّجل ، ثم شدّ
 على الجرباء فعقر ناقها ثم حملها على ناقه جثامة وتركه عقيراً مع ناقه الجرباء . ثم قال :
 لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة . ثم خرج متوجّهاً إلى أهله وقال : لئن
 أخبرت أهلك شأن جثامة ، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك . فلما
 قدّموا على أهل أبيير (وهم بنو القين) ندب عقيل على فعله بجثامة . فقال لهم : هل لكم
 في جزور أنكمسرت ؟ قالوا : نعم . قال : فآكلوا ثم هذه الراحة حتى تجدوا الجزور ،
 فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أئزفه الدم ، فاحتملوه وتقسّموا
 الجزور ، وأنزلوه عليهم ، وما لجوه حتى برا ، وألحقوه بقومه .
- ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الله الزبدي بخطه ولم أجده ذكر
 سماعه إياه من أحد قال :

- قريئ على علي بن محمد المدائني عن الطريقاح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل
 ما ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جثامة ليحقيقوه بقومه ، حتى إذا
 كانوا قريباً منهم تغى جثامة :
 أيبدر لأهينا وطمسين في الصبا * وما هنّ والفيتان إلا شقائق

- (١) الصرخديّة : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . المقار : الخمر .
 المطا : الظاهر . (٢) في الأصول : « لأهينا » وهو تحريف ، سواه من الأما لآبي على فقال
 في حديث رجل كان قد عضل بئانه (٢ : ١٠٥) ، وروايته فيه :
 أيزجر لأهينا وطمسين في الصبا * وما نحن والفيتان إلا شقائق

فقال له القوم : إنما أنزلت من الجراحة التي جرحك أبوك آخا، وقد عاودت ما يكرهه، فأسيك عن هذا ونحوه إذا لقيته لا يلحقك منه شرٌ وعسر . فقال : إنما هي خَطَرَةٌ خَطَرَتْ، والراكب إذا سار قَتَى .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سفيد القمشي قال حدثنا الزبير ابن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجعفي قال :

أما به القولج في
المدنية فنتت له
الحقة فأبي فقال
ابنه شعرا في ذلك

قَدِمَ عَقِيلٌ بِنُ مَلَقَةٍ الْمَدِينَةَ فَتَزَلَّ عَلَى ابْنِ بَنْتِهِ يَمْقُوبَ بْنَ سَلَمَةَ الْخَزُومِيِّ، فَرِيضٌ وَأَصَابَهُ الْقَوْلَجُ، فَتَنَّتْ لَهُ الْحَقَّةُ^(١)، فَأَبَى . وَقَدِمَ ابْنُهُ عَلَيْهِ فَبَلَّغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ :

لَقَدْ سَرَنِي وَاللَّهِ وَقَالَكَ شَرَّهَا * نَجَاؤُكَ مِنْهَا حِينَ جَاءَ يَقُودُهَا
صَكْنَى خَزْيَةً لَا تَزَالُ مُجْبِيًا^(٢) * عَلَى شَكْوَةٍ تَوَكَّى^(٣) فِي أَمْتِكَ عَوْدُهَا

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال
حدثنا علي بن محمد عن زيد بن عياش التغلبي والريعي بن مُجَيْلٍ قَالَا :

شد على ابنه عقة
بالسيف فخادعه
وقال في ذلك شعرا

خَدَا عَقِيلٌ بِنُ مَلَقَةٍ عَلَى أَفْرَاسٍ لَهُ عِنْدَ بَيُوتِهِ فَأَطْلَقَهَا ثُمَّ رَجَعَ، فَإِذَا بَنُوهُ مَعَ بَنَاتِهِ وَأَهْمُهُمْ مُجْتَمِعُونَ، فَشَدَّ عَلَى عَمَلَسٍ فَخَادَ عَنْهُ، وَتَنَّى مَلَقَةً فَقَالَ :

٨٨
١١

قَتَى يَا بَنَةَ الْمُرَيَّةِ أَسْأَلُكَ مَا الَّذِي * تَرِيدِينَ فَمَا كُنْتَ مَتِينًا قَبْلُ
نَحْبُورِكَ إِنْ لَمْ تَسْجُزِي الْوَعْدَ أَنَا * ذَوْرًا خَلَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمَا وَصْلُ
فَإِنْ شَكِلْتَ كَانَ الصَّرْمُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا * وَإِنْ شَكِلْتَ لَا يَفْنَى التَّكَارُمُ وَالْبَذَلُ

(١) مره يكرهه : أصابه به وساءه . (٢) القولج : مرض معوي .
(٣) كذا في ب، س، ط، م . وفي جـ « مجنيا » ، وفي ف « مجنيا » ، تصحيف ، يقال : جني جني .
فلان إذا أكب على وجهه باركا . (٤) الشكوة : القربة الصغيرة . وتوكى : تربط .

فقال عقيل : يا بن الحناء ، متى متَّك ففسك هذا ! وشدَّ عليه بالسيف — وكان
عَمَلَسَ أخاه لأمه — خال بينه وبينه ، فشدَّ على عَمَلَسَ بالسيف وترك عُلْفَةَ
لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فسقط عقيل وجعل يتمك في دمه
ويقول :

إِنَّ بَنِيَّ مَرَبَلُونُ بِالْدِّمِ • مِنْ يَلْقَى أَطْالَ الرِّجَالُ يُكَلِّمُ^(١٥)
وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يَقُومُ • شَيْشِنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنْزِمِ^(١٦)

قال المدائني : « شَيْشِنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنْزِمِ » مثلُّ ضربه . وأنزِمُ : خُلِّ سَنَّ
لرجل من العرب ، وكان منجياً ، فضرب في إبل رجل آخر — ولم يعلم صاحبه —
فراى بعد ذلك من نسله رجلاً ، فقال : شَيْشِنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنْزِمِ^(١٧) .

ما به عمر بن
عبد العزيز في شأن
بناته فأجابه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني مصعب
ابن عبد الله قال :

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن عُلْفَةَ : إنك تخرج إلى أقاصي البلاد
وتدع بناتك في الصحراء لا كَالِي لَهْنَ ، والناس يسُبُّونك إلى الفرية ، وتأبى
أن تزوجهن إلا الأكفاء . قال : إني أستمع طليق بختين تَكَلَّاهُنَّ ، وأستغنى
عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العُرَى والحوُجُ .

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي :

(١) الحناء ؛ من الحن ، (بالحر يك) ، وهو الحن . (٢) كذا في ف ، وفي سائر الأصول :
« عليه » . (٣) يفسك في دمه : يترغ . (٤) رواية اللسان مادة شَنَ : « زملو » .
(٥) رواية اللسان : « آماد » . (٦) الشفنة : الخليفة . (٧) المثل في اللسان
منسوب إلى أبي أنزم الطائي ، قال : « قال ابن بري : كان أنزم حاتفا لأبيه فات وترك ابنيه فقرأ
بهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك » .

قال خالد بن كلثوم : لما رمى عهس بن عقييل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألا يساكن بنيه ، فأحتل ونرج إلى الشام ، فلما استوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحتت ناقته ، فقال :

بناه ابنه عهس
أصاب ركبته ،
غضب ونرج إلى
لشام ، وقال في
ذلك شعرا

لم تريا أطلالاً حنّت وشاقها * تفرقنا يوم الحبيب على ظهر^(١)
وأسيل من جرباء دمع كانه * بجأن أضاع السلك أجزته في سطر^(٢)
لعمرك إني يوم أغزو هملاً * لكلمتني حنقه وهو لا يدري^(٣)
وإني لأسقيه عبقوق وإني * لفرثان منهنوك الذراعين والنحر^(٤)

قال : ومضى علقه أيضا ، فافترض بالشام وكتب إلى أبيه :

رج ابني طفلة إلى
لشام أيضا وكتب
إلى أبيه شعرا

ألا أبلغا حتى عقيلاً رسالة * فإنك من حرب على كريم^(١)
أما تذكر الأيام إذ أنت واحد * وإذ كل نبي قربي إليك نعيم^(٢)
وإذ لا يفيك الناس شيئاً تخافه * بأنفسهم إلا الذين تقيم^(٣)
تأول شأوا الأبدن ولم يقم * لشأوك بين الأقرين أديم^(٤)
فأما إذا عصبتك الحرب عصبة * فإنك معطوف عليك رحيم^(٥)
وأما إذا آمنت أمتا وريخوة * فإنك للقربي ألد ظلموم^(٦)

فلما سمع عقييل هذه الأبيات رضى عنه ، وبعث إليه فقدم عليه .

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا الرياشي عن محمد بن سلام قال
حدثني ابن جعدة قال :

(١) حبيب : يد من أعمال حلب بالشام . (٢) الجان : القوز الصنار أو حب يثخن من
القضة أمثال القوز . (٣) تربيته وترباه : أحسن القيام عليه ووليه . (٤) غرثان :
جائع . النحر : الصدر . (٥) اقترض الجند : أخذوا عطاياهم . (٦) الأله :
الخصم الجدل الذي لا يرجع إلى الحق .

سب عمر بن
عبد العزيز بن أخيه
صاحبه في ذلك

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش، أمه أخت عقيل بن علفة فقال له :
قبحك الله ! أشبهت خالك في الجفاء . فبلغت عقيلًا بغاء حتى دخل على عمر فقال له :
ما وجدت لابن عمك شيئا تمسره به إلا أخوولتي ! فقبح الله شركا خلا . فقال له
مُضَرِّبُ أَبِي الْجَهْمِ الْعَدَوِيُّ (وأمه قُرْشِيَّة) : آمين يا أمير المؤمنين . فقبح
الله شركا خلا ، وأنا معكما أيضا . فقال له عمر : إنك لأعرابي جلف جاف ،
أما لو كنت تخدمت إليك لأدبتك . والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئا ، قال :
بل ، إني لأقرأ ، قال : فاقرا . فقرا : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ حتى بلغ إلى
آخرها فقرأ : فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، فقال له
عمر : ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال : أولم أقرأ ؟ قال : لا ، لأن الله
جَلَّ وعزَّ قدم الخير وأنت قدمت الشر . فقال عقيل :

خذا بطنَ هَرَشَى أو قفاها فإنه • يَكَلَّا جانبِي هَرَشَى لمن طريق ^(١)
لجعل القوم يضحكون من عَجْفَرِيَّتِهِ .

وروى هذا الخبر علي بن محمد المدايني ، فذكر أنه كان بين عمر بن
عبد العزيز وبين يعقوب بن سامة وأخيه عبد الله كلام ، فاعظم يعقوب
لعمري الكلام فقال له عمر : اسكت فإنك ابن أعرابية جافية . فقال عقيل
لعمر : لعن الله شر الثلاثة ، مني ومنك ومنه ! فنضب عمر ، فقال له مُضَرِّبُ
أَبِي الْجَهْمِ : آمين . فهو والله أبها الأمير شر الثلاثة . فقال عمر : والله إني
لأراك لو سأتته عن آية من كتاب الله ما قرأها . فقال : بل والله إني لعارئ لآية
وآيات فقال : فاقرا ، قرا : إنا بعثنا نوحا إلى قومه ، فقال له عمر : قد أعلمتك

(١) هَرَشَى : تبة في طريق مكة قريبة من الجفة .

قرأ شيئا من القرآن
فأعظم فاعترض
عليه عمر فأجابته

أنك لا تُحْسِن . ليس هكنا قال الله ، قال : فكيف قال ؟ قال : ((إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا))
فقال : وما الفرق بين أرسلنا وبشنا !

خذا أنف هرشي أو قفاها فإنه • كلا جاني هرشي لمن طريق

أخبرني عبيد الله بن أحمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال
حدثني علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أسلم القرشي قال :

دخل المسجد
بمخفين غليظين
وجعل يضربهما
فضحك الناس منه

قدم عقيل بن طرفة المدينة ، فدخل المسجد وعليه خفان غليظان ، فجعل يضرب
برجليه ، فضحكوا منه فقال : ما يضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم — وكانت أخته
عقيل تحتها — : يضحكون من خفيك وضربك برجليك وشدة جفالك . قال : لا ،
ولكن يضحكون من إمارتك ؛ فإنها أعجب من خفي . فجعل يحيى يضحك .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أنس الأصمعي
قال حدثني عمي عن عبد الله بن مصعب قاضي المدينة قال :

خبره مع يحيى بن
الحكم أمير المدينة
وزواج أخته

دخل عقيل بن طرفة على يحيى بن الحكم ، وهو يومئذ أمير المدينة . فقال له
يحيى : أنت كع ابن خالي — يعني ابن أوقي — فلانة أبتك ؟ فقال : إن ابن خالك
ليرضى مني بدون ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : أن أكتف عنه سنن الخيل إذا
غشبت سوامه . فقال يحيى لحرسيين بين يديه : أخرجاه . فأنجزاه ، فلما ولى قال :
أعيده إلى ، فأعاداه ، فقال عقيل له : مالك تكررني إكرار الناضج ^(١) ؟ قال : أما والله
إني لا أكررك أعرج جافيا . فقال عقيل : كذلك قلت :

(١) السنن : استئان الخيل ، وهو طرفها لمرحها ونشاطها .

(٢) السوام : كل ماضي من المال في القلوات إذا خل برعى حيث شاء .

(٣) الناضج : الدابة يستقر عليها الماء .

تَسَجَّتْ إِذْ رَأَتْ رَأْسِي تَجَلَّاهُ • من الروائع شيبُ ليس من كبر
وَمِنْ أَدِيمٍ تَوَلَّى بِسَدِّ جِدَّتِهِ • وَالْجَفْنُ يَخْلُقُ فِيهِ الصَّارِمُ الذِّكْرُ^(١)

فقال له يحيى، أنشدني قصيدتك هذه كلها . قال : ما أتيتُ إلا إلى ما سمعت .
فقال : أما والله إنك لتقول تقصّر، فقال : إنما يكفى من القلادة ما أحاط بالرقبة .
قال : فانيكحني أنا إحدى بناتك . قال : أنا أنت فنعيم . قال : أما والله لأملأَنَّك مالا
وشرفا . قال : أما الشرف فقد حلتُ ركابي منه ما أطاقت، وكلفتها تحمُّمٌ ما لم تعلق،
ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاحَ الأيِّمِ ورضا الأبى . فزوجه ثم خرج فهداها
إليه ، فلما قَدِمَتْ عليه بَسَتْ إليها يحيى مولاةً له لتنظر إليها ، بغايتها فجعلت تميز
عُضُدَهَا ، فرفعت يدها ، فعدَّتْ أُنْهُهَا . فرجعت إلى يحيى وقالت : يمثنى إلى أعرابية
مجنونةً صنعتُ بي ما ترى ! فنهض إليها يحيى ، فقال لها : مالك ؟ قالت : ما أردتُ
أنْ بَسَّتْ إلى أمة تنظر إلى ! ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نظرك إلى قبل
كلِّ ناظرٍ ، فإن رأيتَ حسنا كنتَ قد سبقتُ إلى بهجته ، وإن رأيتَ قبيحا
كنتُ أحقُّ من ستره . فسرَّ بقولها وحفظت عنده .

وذكر المدائني هذا الخبر مثله ، إلا أنه قال فيه : فإن كان ما تراه حسنا كنت

أَوَّلُ من رآه ، وإن كان قبيحا كنتُ أَوَّلُ من وراه .

أخبرني ابنُ دريد قال حدثنا عبدُ الرحمن عن عمه قال :

خطب يزيدُ بنُ عبد الملك إلى عَقِيلِ بْنِ مُقْلَةَ ابنته أَلْجَرَاءَ ، فقال له عَقِيلُ :
قد زوّجْتُكها ، على أن لا يُزْهِقَهَا إِلَيْكَ أَعْلَاجُكَ^(٢) ، أكونُ أنا الذى أُجِئُ بها إليك .

(١) الذكر والمدائني من الحديث : أَيْسَهُ وَأَشَدُّه وَأَجْوَدُهُ ، وفق البيت إقراء .

(٢) أعلاج = جمع طلع (كسر فسكون) : الرجل الشديد النليظ .

- قال : ذلك لك . فترجّحها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابيٌّ على بعير ، معه امرأةٌ في هودج قال : أراه والله عقيلا . قال : بغاء بها حتى أناخ بعيرها على يابه ، ثم أخذ بيدها فأذعنت ، فدخل بها على الخليفة فقال له : إن أنتم^(١) ودين^(٢) بينكما ، فيبارك الله لكما ، وإن كرهت شيئا فضع يدها في يدي كما وضعتُ يدها في يدك ثم برئت ذمتك . فحملت الجرباء بغلام ففرج به يزيد ونَحَلَه وأعطاه . ثم مات الصبي^(٣) ، فوديت أمه منه الثلث ، ثم ماتت فورئها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن أبنك وأبنتك هلكا ، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينار ، قَهْلَمُ فاقْبِضْهُ . فقال : إن مصيبتني بابي وأبتي تَسْقُطُني عن المال وطلبه ، فلا حاجة لي في ميراثهما ، وقد رأيتُ عندك فرسا سَبَقَتْ عليه الناس ، فأعطينيه أجعله خفلا لخليل . وأبى أن يأخذ المال ، فبعث إليه يزيد بالعريس .

موت ابنه
وامتناعه عن أخذ
ميراثها

أخبرنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا الخزاز عن المدائني عن إصحاق بن يحيى قال :

قال لرجل من
قريش بالقاء
والبين فأذكر له
ذلك

- رأيت رجلا من قريش يقول له عَقِيلُ بن عُلْفَةَ : بالقاء والبين والطائر المحمود . فقلت له : يابن عُلْفَةَ ؛ إنه يَكْرَهُ أن يُقَالَ هذا . فقال : يابن أُمَي ، ما تريد إلى ما أُحَدِّثُ ! إن هذا قولُ أخوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون فيه . قال : فحدثتُ به الزُّهْرِيَّ فقال : إن عَقِيلًا كان من أجهل الناس . قال : وإنما قال لإصحق بن يحيى بن طلحة : « هذا قول أخوالك » ، لأن أم يحيى بن طلحة مَرَّتِي .

(١) الرود والودان : حسن القيام على العريس ؛ ويقال : ودن العروس : أحسن القيام عليها .

(٢) نَحَلَه ، من النحل (بالغص) ، وهو العطية والهدية .

خطب إليه رجل
كثير المال مضموز
في نسيه فقال فيه

شعرا

٩١
١١

خطب إليه رجل
من بني مرة فظعن
ناقته بالريح فصرعه

قال المدائني وسدثني علي بن بشير الجهمي قال قال الرضيع :

خطب إلى عقيل رجل من بني مرة كثير المال ، يُفَمَزُّ في نسيه ، فقال :

لَعَمْرِي لئن زَوَّجْتُ من أجل ماله * هَيْبَتَا لَقَدْ حُبَّتْ إِلَى الدَّرَاهِمِ

أَأُنْكِحُ مَبْدَا بَعْدَ يَحْيَى وَخَالِدٍ * أَوْلَاكَ أَكْفَأَى الرِّجَالِ الْأَكْرَمُ

أَبَى لِي أَنْ أَرْضَى الدَّنِيَّةَ أُنَى * أُمْدُ عِنَانَا لَمْ تَخْنَهُ الشَّكَاثِمُ

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي بخطه يأثره عن خالد بن كلثوم بن غير

إسناد متصل بينهما :

أن رجلاً من بني مرة يقال له داود أقبل على ناقته له ، فخطب إلى عقيل

ابن علفة بعض بنيائه ، فنظر إليه عقيل - وإن السيف لا يناله - فظعن ناقته بالريح

ففسطت وصرعته ، وشد عليه عقيل فهرب ، وفار عقيل إلى ناقته فنحرها ،

وأطعمها قومه وقال :

أَلَمْ تَقُلْ يَا صَاحِبَ الْقُلُوبِ * دَاوُدَ ذَا السَّاجِ وَذَا الْقَمِيصِ

كَانَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ جِيعِيسَ * حَتَّى يَلْتَفِعَ عِصَصَهُ بَعِيصِ

• وَكَنتُ بِالشَّبَانِ ذَا تَمِيصِ •

فقال داود فيه من أبيات :

أَرَاهُ نَفْسِي جَعَلَ الْحَلَالَ بَيْنَهُ * حَرَامًا وَيَقْرَى الضَّعِيفَ عَضْبًا مَهْنَدًا

(١) الهجين : العربي - ابن الأمة . (٢) الشكية في الجاه ، الحديدة المقرنة في فم الهرم .

(٣) يأثره : يتقله ويريد . (٤) الساج : الغليظ الضخم الغليظ .

(٥) جيعيس يعس في الأصل : جهر القارء ، ويقال : إنك لحسب على الأرض حيماء يعض ، يفتح

الحاء والباء ، وجيعيس يعس يكسرهما : أى ضيقة ، وفي القطنين لفات عدة لاتنفرد إسداً عما عن الأخرى .

(٦) عيس المره : أسله .

وقال الملائى حدثني جوشن بن يزيد قال :

فرت من زوجته
الأنمارية فردّها
إليه حامل فذك

لما تزوج عَقِيلُ بْنُ طُفَّةٍ زَوْجَتَهُ الْأَنْمَارِيَّةَ - وَقَدْ كَرَّ - فَوُتَ مِنْهُ ، فَلَقِيهَا
جَمَاهُفٌ ، أَحَدُ بَنِي قَتَالِ بْنِ رَبِيعٍ ، فَحَمَلَهَا إِلَى عَامِلٍ قَدْكَ ، وَأَصْبَحَ عَقِيلٌ مَعَهَا ،
فَقَالَ الْأَمِيرُ لِعَقِيلٍ : مَا هَذِهِ تَسْتَعْدِي عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَرْبَاءِ ؟ فَقَالَ عَقِيلٌ : كُلُّ
ذَكَرَى ، وَهَذِهِ ذَفْرَى ، وَتَقَابَيْتَ قَفْرَى ، فَقَالَ : خَذْ بَيْدَهَا ، فَاخْذُهَا وَانصَرَفَ ،
فَوَلَدَتْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ طُفَّةُ الْأَصْغَرِ .

- أخبرني هاشمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا دَمَازُ عَنْ أَبِي عَيْسَةَ قَالَ :
- لَمَّا نَشِبَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ بَنِي جَوْشَنَ وَبَيْنَ بَنِي سَهْمٍ بَنِي مَرَّةٍ وَهَطَ عَقِيلُ بْنُ طُفَّةٍ
الْمُرِّيَّ - وَهُوَ مِنْ بَنِي غَيْظَ بْنِ مَرَّةٍ بَنِي سَهْمٍ بَنِي مَرَّةٍ لِأَخْوَتِهِمْ - فَاقْتَلَوْا فِي أَمْرِ
يَهُودَى تَحَارِكَانِ جَارِلَهُمْ ، فَتَقَتْنَهُ بَنُو جَوْشَنَ مِنْ غَطَفَانٍ ، وَكَانُوا مُتَقَارِبِي الْمَنَازِلِ
وَكَانَ عَقِيلُ بْنُ طُفَّةٍ بِالشَّامِ غَائِبًا عَنْهُمْ ، فَكُتِبَ إِلَى بَنِي سَهْمٍ يُخْبِرُهُمْ .
فَإِنَّمَا هَلَكْتُ وَلَمْ أَتَيْكُمْ * فَأَبْلَغُ أَمَائِلَ سَهْمٍ رَسُولًا
بِأَنِّ الْقِيَامِ سَامِكُ قَوْمِكُمْ * لَقَدْ جَعَلُوهَا عَلَيْكُمْ عُدُولًا
هَوَانِ الْحَيَاةِ وَضَيْمُ الْمَوْتِ * وَكَلَّا أَرَاهُ طَعْمًا وَبَيْلًا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ضَيْرُ إِحْدَاهُمَا * فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا جِيلًا
وَلَا تَقْعُدُوا وَبِكُمْ مُنَّةٌ * كُنِّي بِالْحَوَادِثِ لِلرَّءُفِ غُولًا^(٢)

شعره يحرض
بني سهم على
بني جوشن

قَالَ : فَلَمَّا وَرَدَتْ الْأَبْيَاتُ عَلَيْهِمْ تَكَفَّلَ بِالْحَرْبِ الْحَصِينُ بْنُ الْحُمَامِ الْمُرِّيَّ أَحَدُ بَنِي
سَهْمٍ ، وَقَالَ : إِلَى كَتَبَ وَبِي تَوَهَّ ، خَاطَبَ أَمَائِلَ سَهْمٍ وَأَنَا مِنْ أَمَائِلِهِمْ . فَأَبْلَى فِي تِلْكَ
الْحُرُوبِ بَلَاءً شَدِيدًا . وَقَالَ الْحَصِينُ بْنُ الْحُمَامِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لَهُ :

- (١) القفر : شدة ذكاء الرمح . (٢) وردت بعض هذه الآيات في المخطوطات (طبع
أوردنا ص ٨٨) منسوبة إلى بشاعة بن عمرو ، مع اختلاف في بعض أفعالها .
(٣) القول : كل ما أهلك الإنسان .

^(١) يَتَّانُ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدَ الْقَتْلَ * خَبَارًا فَا يَنْهَضْنَ إِلَّا تَقَحُّجًا
^(٢) عَلَيْهِنَ فَيَتَّانُ كَسَامٍ مَحْرَقُ * وَكَانَ إِذَا يَحْكُمُوا أَجَادُوا كَرَمًا
^(٣) صَفَاحَ بَصَرِي أَخْلَصَتْهَا قُبُورُهَا * وَمَطْرِدًا مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَحْكَا
 تَأَخَّرَتْ أَسْبَقِي الْحَيَاةِ فَلَمْ أَجِدْ * لَنَعْمَى حَيَاةٌ مِثْلَ أَنْ أَتَقَدِّمًا

٩٢
 ١١

نهب بنو جعفر
 إبلا بلاره فردها
 إليه وقال شعرا
 في ذلك

وقال المدائني قال جراح بن عصام بن مجير :

مَدَّتْ بَنُو جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ عَلَى جَارِ لَمَقِيلٍ فَاطْرَدَتْ إِلَيْهِ وَضَرَبُوهُ ، فَغَضَا
 عَقِيلٌ عَلَى جَارِهِمْ فَضَرَبَهُ ، وَآخَذَ إِلَيْهِ فَاطْرَدَهَا ، فَلَمْ يَرْقُهَا حَتَّى رَقَدُوا إِبِلَ حَارِهِ
 وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

إِنِّي بَشَرْتُ الْكَلْبِيَّ فِيكُمْ بِرَيْقِهِ * بَنِي جَعْفَرٍ يُعْبَلُ لِحَارِكُمُ الْقَتْلُ
 فَلَا تَحْسَبُوا الْإِسْلَامَ غَيْرَ بَعْدَكُمْ * رَمَاحُ مَوَالِكُمْ فَذَلِكَ بِكُمْ جَهْلُ
 بَنِي جَعْفَرٍ إِنْ تَرَجِعُوا الْحَرْبَ بَيْنَنَا * نَذِثْكُمْ كَمَا نَذِثْكُمْ قَبْلُ
 بِدَائِمِ بِيَارِي فَأَنْثَيْتُ بِيَارَكُمْ * وَمَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ عِنْدَنَا حَبْلُ
 وَذَكَرَ الْمَدَائِنِيُّ أَيْضًا :

أسره بنو سلامان
 وأطلقه بنو القين

أَنْ عَقِيلًا كَانَ وَحْدَهُ فِي إِلَيْهِ ، فَرَبَهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي سَلَامَانَ فَأَسْرَوْهُ ، وَصَرُّوا بِهِ
 فِي طَرِيقِهِ عَلَى نَاسٍ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ ، فَأَتَرَعَوْهُ مِنْهُمْ ، وَخَلَوْا سَبِيلَهُ . فَقَالَ عَقِيلٌ فِي ذَلِكَ :
 أَسْعَدَ هُنَّيْمٌ إِنْ سَعِدَا أَبَاكُمْ * أَبِي لَا يَوَاقِي غَايَةَ الْقَيْنِ مِنْ كَلْبٍ

(١) النصد : جمع قصدة ، وهي القطعة من القنطرة المكسرة . الخبر من الأرض : مالان واسترعى .

(٢) محرق : لقب غمور بن هند وإنما سمي بذلك لأنه حرق مائة من بني عيم .

(٣) قيون : جمع قين : وهو الخداد ، ومطردا : أى دربا مطردا (والفرد قد تذكر) . اطرد الشئ :

تبع بعضه بعضا ، والمدنى تأبست حلقاتها واتصلت .

وجاء هُذَيْمٌ والركاب مُناخَةٌ * فقيل تأتُر يا هُذَيْمٌ على العَجَبِ^(١)
 فقال هُذَيْمٌ إن في العَجَبِ مركبِي * ومركب آباءِي وفي عَجَبِهَا حَسْبِي
 قال : وسعد هُذَيْمٌ هم عُدَّةٌ وسَلَامانٌ والحارثُ وَضِيَّةٌ .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني
 أبو مسلم عن المدائني عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عُثَيْلَةَ قال :

مات ابنه طرفة
 بالشام فرثاه

مات عُلْفَةُ بن عَقِيل الأكبر بالشام ، فنعاه مُضَرَّس بن سَوَادَةَ لعَقِيل بأرض
 الجَنَاب ، فلم يصدِّقه وقال :

قَبَحَ الْآلُ — وَلَا أَقْبَحَ مِنْهُ — * فخر الحمار مُضَرَّس بن سَوَادِ^(٢)
 تَتَنَّى امراً لم يَلْ أَمْسَكَ مثْلُهُ * كالسَّيْفِ بين خَضَارِمِ أَمْجَادِ^(٣)

ثم تحقق الخبر بعد ذلك ، فقال يرثيه :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ قَوَافِلُ خَبَرَتْ * بأمرٍ من الدنيا على قَعِيلِ
 وقالوا ألا تبكي لمصرع فارس * نعتُه جنودُ الشام غير ضَبِيلِ
 فافسَمْتُ لَا أَبْكِي على هُلُوكِ هَالِكِ * أصاب مِمْبِيلُ الله خيرَ سَبِيلِ
 [كُنْتُ المُنَايَا تَجَنَّى في خِيَارِنَا * لها نَسِيباً أو تَهْتَدِي بِدَلِيلِ^(٤)]
 تَحُلُّ المُنَايَا حَيْثُ شَامَتْ فَلْنَهَا * عُلْفَةُ بعد الفسَى ابن عَقِيلِ
 فَتَى كَانَ مَوْلَاهُ يَحُلُّ بِرَبْوَةٍ * قَلَّ المَوَالِي بعده بِمَسِيلِ

(١) العجب : أصل القنب وهو السمص .

(٢) الفخر : السير القوي في مؤثر السرج تحت ذنب الهاجة .

(٣) خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

(٤) هذا البيت لم يرد في ط و ج .

علم رجل من بني
صرمة بيوت فاقبل
ابنه علس من
الشام فانتم له

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة :
قال : كان عقيل بن علفة قد أطرد بنيه ، ففرقوا في البلاد وبقى وحده . ثم إن رجلا
من بني صرمة ، يقال له بجيل — وكان كثير المال والماشية — حطّم بيوت عقيل
بماشيته ، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلا لقي شرا . فطردت صافنة
(أمة له) الماشية ، فضر بها بجيل بعصا كانت معه فشجها . فخرج إليه عقيل وحده
— وقد هيرم يومئذ وكبرت سنه — فزجره فضره بجيل بعصاه ، وأحرقه . فجعل
عقيل يصيح : يا ملقة ، يا عتس ، يا فلان ، يا فلان ، بأسماء أولاده مستغيثا بهم ،
وهو يحسبهم لهمه أنهم معه . فقال له أوطاة بن سمية :

أكلت ينيك أكل الضب حتى * وجدت مرارة الكلال الويل

ولو كان الألى غابوا شهودا * منعت فينا بيتك من بجيل

وبلغ خبر عقيل أبته العتس وهو بالشام ، فاقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عمد
إلى بجيل فضره ضربا مبرحا ، وعقر عذّة من إبله وأوثقه بجيل ، وجاء به يقوده حتى
ألقاه بين يدي أبيه ، ثم ركب راحلته ، وعاد من وقته إلى الشام ، لم يطعم لأبيه
طعاما ، ولم يشرب شرا .

أخبرني عبي قال حدثنا الكزاني قال حدثنا ابن عاتكة قال :

نزل أعرابي على المقشيز بن عقيل بن علفة المزني فشربا حتى سكرنا وناما ،
فانتبه الأعرابي - مروعاً في الليل وهو يهذي ، فقال له المقشيز : مالك ؟ قال :
هذا ملك الموت يقبض روحي ، فوثب ابن عقيل فقال : لا والله ولا كرامة ولا نعمة
(١)

خبر ابنه المقشيز
مع أعرابي نزل .

مبين له ! أبيض رُوحك وأنت ضيفي وجاري ! فقال : بأبي أتم وأمي ! طال واقه
 ما منتم الضيم . وتلفف ونام .
 تمت أخبار عقيل وقله الحمد والمِنَّة .

قد مضت أخبار عقيل فيما تقدم من الكتاب ، ونذكرها هنا أخبار شبيب
 ابن البرصاء ونسبه ، لأن المُنْتَين خلطوا بعض شعره ببعض شعر عقيل في الغناء
 الماضي ذِكْرُهُ ، ونعیدُها هنا من الغناء ما شعره لشبيب خاصة وهو :

صوت

من المائة المختارة

سَلَا أم عمرو فمِ أضحى أسيرها * تُفَادَى الأسارى حوله وهو موقُ
 فلا هو مقتول ففى القتل راحة * ولا منعمٌ يوماً عليه ففُطِّق^{الكد}
 ويروى :
 * ولا هو مَمْنُونٌ عليه ففُطِّق * .

الشعر لشبيب بن البرصاء ، والغناء لدُفَاق جارية يحيى بن الزبيح . رمل بالوسطى
 عن عمرو . وذكر حبش أن فيه رملاً آخر لطلويس .

نسبه

أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

هو شبيب بن يزيد بن جبرة، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن
نُسْبة بن غَيْظ بن مرة بن سعد بن دُبَّان. والبرصاء أمه، واسمها قُرْصافة بنت الحارث
ابن عوف بن أبي حارثة، وهو ابن خالة عقيل بن علفة، وأم عقيل عمرة بنت الحارث
ابن عوف، ولُقِّبت قُرْصافة البرصاء لبياضها، لا لأنها كان بها برص.

وشبيب شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية، بتوى لم يتحضر
إلا وافدا أو متجعا. وكان هاجي عقيل بن علفة ويأديه لشراسة كانت في عقيل
وشرعظيم. وكلاهما كان شريفا سيدا في قومه، في بيت شرفهم وسؤددهم.
وكان شبيب أعور، أصاب عينه رجل من طلي في حرب كانت بينهم.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم السجستاني عن
أبي عبيدة قال:

دخل أوطاة بن مهيبة على عبيد الملك بن مروان — وكان قد هاجى شبيب بن
البرصاء — فأنشده قوله فيه:

أبي كان خيرا من أبيك ولم يزل • جنيبا لأبائي وأنت جنيب

٩٤
١١

فقال له عبد الملك: كذبت! ثم أنشده البيت الآخر فقال:

وما زلت خيرا منك مذ عَضَّ كَارِها • برأسك عادي النجاد رُكُوب^(١٥)

(١) وقيل: إن اسمها أمانة وهو قول ابن الكلبي وقيل إنها لقب البرصاء لأن أباهما الحارث بن عوف
جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب إليه صلى الله عليه وسلم ابنته فقال: إنها ومضا فرجع وقد أصابها
ولم يكن بها وضح (تاج العروس وشرح الأمالي وشرح الحاشية القيرزي).

(٢) انشعر في الأمالي لأبي علي القتالي ج ٢ ص ٢٤ طبعة دار الكتب المصرية.

(٣) الجنيب: المتفاد التامع. (٤) كذا في ج، وفي سائر النسخ «النجاد» بالياء. تصحيف.

(٥) قال أبو علي القتالي في شرح البيت: «ما زلت خيرا منك مذ عَضَّ برأسك فضل أمك (والفضل
بالفتح: فرج كل أنثى)، أي مذ ولدت. والمعادي: القديم، والنجاد: جمع نجد: وهو الطريق =

هاجي عقيل بن
طقفة

هاجي أوطاة بن
سببة

٥

١٠

١٥

٢٠

فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أرطاة أفضل من شبيب نفسا ، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتا .

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا الحزنبلى عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه قال :

فانقره فضيل بن
علقة فقال شعرا
يهجوه

- فانقر فضيل بن علفة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجو ، ويهجو برجيل من طيء كان يأتى أمه عمرة بنت الحارث يقال له حيّان ، ويهجو غيظ بن مرة :
- ألسنا بجرع قد علمتم دمامة * وراية تنشق عنها سيوم^(١)
وقد علمت سعد بن ذبيان أنا * رحاها الذى تأوى إليها وجوم^(٢)
إذ لم نُسكّم فى الأمور ولم نكن * لحرب عوانٍ لا يقيع من يثوم^(٣)
فلستم بأهدى فى البلاد من التى * تردد حيرى حين غاب دليلها^(٤)
- ١٠ دعت جُلّ يربوع عقيلا لحديث * من الأمر فاستخفى وأحيا عقيلا
فقلت له : هلا أجبت عشيرة * لطارق ليل حين جاء رسوما
وكان لنا من ربة لا سالها * مراقبك أو جرثومة لا تلوها
نقرت بإيام لنصرك نقرها * وغررتها معروفة ومجوها
- ١٥ إذا الناس هابوا سومة عمدت لها * بنو جابر شبانها وكهولها

= المرتفع : والركوب : المركوب المطرود ، وهو فحول فى معنى مفعول . وإنما هذا تشبيه ؛ جعل ما مضى برأسه من فرجها مثل الطريق القديمة المركوبة فى كثرة من يسلكها ؛ يريد أنه قد دُخل حتى صار كتركك .

(١) القوم (بضم القاف) وسكون الراء المهلهلة ثم حين نهمة : عدة ترى أكلة على أربعة أيام من المدينة .

(٢) رعى القوم : سديم الذى يصعدون عن رأيه ويجهون إلى أمره . (٣) البسول :

الصخرة التى فى الماء يكون عليها الخيل فإن زالت تلك الصخرة تهز البئر . (٤) حرب عوان :

قوتل فيها مرة كأنهم يسجلوا الأولى يكرأ ، وحرب لاخ : من قصعت الناقة إذا جلت فهي لاخ ، على التشبيه بالأشئ الحامل التى لا يدعى ما تلد ، قال الحارث بن عباد :

وقال الأعمش : إذا شمست بالناس شبها لاخ * عوان شديد حمزها وأظلت

يثلها : يسومها ، و « من » خبر « تكن » ؛ أى سائسين لها .

فما بذّر، من المصروع * صبّ قد استعبر، من الولوع .
أودى به جؤذّر، يوم البقيع * فهو قتلٌ ؛ لابل طعير .
« بين الرجا والبأس، له منورٌ »

[خرجتُ العين، كفى بكفى . وحيل ما بيني، وبين إلى .
لا شك بالبين، يكون حنى . حان الرحيل، ولي ديون .
« إن ردها العباس، فهو الأمين^(١) »]

أما ترى البدرا؟ بدر السعود * قد آكنسى خضرًا، من البرود .
إذا أنتى نضرًا، من السدود * أضى يقول، : مت يا حزين .
« قد آكنسى بالبأس، الياسمين »

قلت وقد شرّد، النوم عني * وأيس العود، السقم متى :
صدّ فلما صدّ، قرعت سقي * جسى نعل، لا يستين .
« يطلبه الجلاس، حيث الأثين »

تجاوز الحذا، فلي أشتيافا * وكلف السهدا، من لا أطافا .
قلت وقد مدّا، ليل رواقا * ليل طویل، ولا معين :
« ياقلب بعض الناس، أمالين »

وقال سراج الدين عمر الكتّاني الحلبي، يمدح الملك المنصور صاحب حماه :

جسى ذوى، بالكبد، والسهير، والوصب، من جاني
ذى شنب، كالبرد، كالنور، كالليب، جاني .

(١) الزيادة من فتح الطيب .

لى غصن يابٍ نَضْرُ * يسبك منه الحَبِيفُ .
يرتفع فيه النظرُ * فزهرة يُتَطَفُّ .
وانلخت منه قِيفَرُ * والجسم منه تَرْفُ .
قد جاءنا يتنذرُ * عِذاره المنعطِفُ .

ثم ألتوى، كالزرد، مُعَبِّقِي، مُعَقِّبِي، رِيحَانِي

• فى مُلْهَبٍ، مَوْدٍ، مَذَرٍ، مَكْتَبٍ، مَوَسَانِي .

ظبيُّ له مرْتَسَفُ * كالسلسيل البَارِدِ .
غصنُ ثَقَا ينعطِفُ * من لِينٍ قد ماثِدِ .
بدرٌ عَلاه مَلَفُ * من ليل شِعْرٍ وارِدِ .
مُقَرَطُكُ مشنَّفُ * يَحْتَالُ فى القَلَائِدِ .

١٠

بين اللوى، وشَهْدٍ، بَهْؤُودِرٍ، فى رَبْرَبٍ، غِرْلاَنِي

ذى ضَرْبٍ، ذى غَيْدٍ، ذى حَوَرٍ، ذى هُدْبٍ، وَسَانِي .

أما وَحَلِي جِده ! * ورثَهِ الخِلاخِيلُ !
والضَّمُّ من بروده * قَدَّ قَضِيْبٍ مَائِلِ .
والوَرْدُ من خُدوده * إِذْ تَمَّ فى الفَلَائِلِ .

١٥

لا كُنْتُ من صُدوده * متصلا بِعَاقِلِ !

نَارُ الجُوى، لا تَحْمِدِي، وَأَسْتَعِرِي، وَكَذَّبِي، سُلُوَانِي

وَأَسْبِلِ ، وَأَطْرِدِي ، وَأَتَهْمِي كالسُّحْبِ، أَجْفَانِي .

مولاي جفني ساهر * مؤرق كجزي.

فلا خيال زائر * يطرئني ولا كرى.

أني عليل صابر * فاجزا من صبرا؟

إن تغمّ دمي الهامر * فلا تألمه إن جرى.

جبال الهوى، في جلدي، ومضمرى، أضربى، كتمانى

مؤثى. أتيد، لا تقتير. وجنب، عن عاني.

إن صال بالهجر وصد * رحبت بصبري مرتدي.

عنه وإن طال الأمد .. إلى ذرى محمد.

وكيف يخشى من قصد * ملكا كريم المحتد.

الملك المنصور قد * سما سماء السود.

ثم استوى، بأجرى، مضمر، ومقتضب، يمانى

ذى شطى، مهتد، ومتهير، مضطرب، مرانى.

ملكاً علت هباته * من فوق هام المشتري.

وبخلت راحته * نوح السحاب المطر.

وعودت راياته * بمحكات الشور.

بدر بدت هالاته * من الصباغ السفير.

تحت لوى، متعقد، بالظفر، في موكب، فرسانى

كالأشهب، في الأمد، كالأمر. في أمدب، سيجانى.

يَانِلِكَا دَوْتَ الْوَرَى * تَخْطُبُهُ الْمَالِكُ.

وَمَالِكَا إِذَا سَرَى * تَحْجُبُهُ الْمَلَالِكُ.

بَعْضُ عَطَاكَ هَلْ تُرَى * جَادَتْ بِهِ الْبَرَايِكُ.

فَاسْتَجَلَهَا مِنْ عُمَرَا * نَفَرُ مِنْهَا ضَا حَاكُ.

لَا يُجْتَوَى : كَالشَّهْدِ ، كَالسُّكْرِ . كَالضَّرْبِ ، مَعَانِي

كَالسُّحْبِ ، كَالْمَسْجِدِ ، كَالْجَوَهِرِ ، مِنْ حَلَبٍ ، تَكْنِي .

أَتَمَى مَا أوردناه من الغزل والنسب في هذا الموضع ؛ وقد آن أن نأخذ في ذكر
الأنساب وبالله التوفيق .

الباب الرابع

من القسم الأول من الفن الثاني في الأنساب

١٠

﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا)﴾ . ومعرفه أنساب الأمم مما أفتخرت به العرب على العجم ، لأنها أحتزرت

على معرفه نسبها ، وتمسكت بمتين حسنها ؛ وعرفت جماهير قومها وشعوبها ، وأفصح

عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها ؛ وأتجدت برهطها وقصائلها وعشائرها ، ومالت

١٥

إلى أنفاذها وبطونها وعمارتها ؛ وقتت الدعى فيها ، ونطقت بعل فيها .

وسأورد منها إن شاء الله تعالى ما يكفى به ، ويمسك بأسبابه .

وقد وقتت على المقدمة التى وضعها الشريف "أبو البركات الجوازى" فرقت له

علما ، ونصبت له إلى المعالى سلما : لأنه أتقن أصولها ، وحرر فصولها ؛ وأورد

فيها من الأنساب ما يفتن به اللبيب، ويستغنى بوجوده الكاتب الأريب . فوجدته بدأ فيها بذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بابائه ، وشرح جملة من نسبه الطاهر وأبنائه . فرأيت أن أسرد النسب من أصله ، وأبدأ بأدم عليه السلام ، ثم بنسله ؛ وأجعل العمدة على سرد عمود النسب المتصل بسيد البشر . وأذكر من ذلك ما اشتهر عند أهل الأنساب وانتشر ؛ إلى أن أتت إلى اسمه الشريف فأجمله خاتمة النسب ، وأتمسك من شريعته وعقبته بأوثق سبب . وأرجو يركته بلوغ مآربي ، ونجح مطالبي ، وستر عيوبى ، ومغفرة ذنوبى ، وتزكية عملى ، وسد خللى ، والتجاوز عن سيئاتى ، والمسامحة بفتاتى ولفئاتى ، والخيرة فى حركاتى وسكناتى .

هذا والله رجائى من كرم ربي ، وإن قل عمل وكثر ذنبى ؛ وعلى الشريف العمدة فيما أوردته ، والمهدة فيما قلته ؛ فمن تأليفه نقلت ، وعلى مقالته اعتمدت .

قال السيد الشريف نقيب النقباء أبو البركات بن أسعد بن علي بن معمر الحسيني الجلواني ، النسابة رحمه الله : إن جميع ما بنت عليه العرب فى نسبها أركانها ، وأست عليه بنائها ، عشر طبقات .

الطبقة الأولى الجذم

وهو الأصل إما إلى عدنان وإما إلى قحطان ، والجذم القطع ، يقال : جذم وجذمت ، وذلك لما كثر الاختلاف فى عدد الآباء وأسمائهم فيما فوق ذلك ، وشق على العرب تشعب النتائج فيه وتصعب المسالك ؛ فُقطع الخوض فيما فوق قحطان ومعد وعدنان ، واقتصر على ذكر ما دونهما ، لاجتماعهم على سمته . ومنه قول سيدنا رسول الله

- صلى الله عليه وسلم لما انتسب إلى معد بن عدنان : « كذب النسابون فيما فوق ذلك » لتطاول المهدة . فمن كان من ولد قطان ، قيل يئى . ومن كان من ولد معد بن عدنان ، قيل خندف ، أو قيسى ، أو زارى ، وإن كان الجميع داخلا فى زار ، أعنى معد بن عدنان ؛ وإنما كان بعد زار جماعهم استغنى بالنسبة إليها عن زار بن معد بن عدنان ؛ ولأن جمهور العلماء طبقوا النسب على ما قدمناه أربع طبقات : خندف ، وقيسى ، وزارى ، ويمى . فقولهم : خندف أى كل من يرجع إلى الياس بن مضر بن زار بن معد بن عدنان ؛ وهو جماع خندف ، فتوسعت العرب فى ذلك إلى أن قالوا : الياس هو خندف ، لأن ولده وهم مُدْرِكَة ، وطائِجَة ، ولَمْعَة ، أهم خندف ، وهى ليل بنت حُلَوات بن عمران ، بن إلخاف بن قُضَاعَة ، خندف فى طلب ولدها .
- أى أسرع ، قال لها الياس : مالك تخدفين ؟ أى تهرولين فسميت خندف ، فرجع إلى خندف أبطن مئة : كُزَيْنَة ، والرَّاب ، وَضْبَة ، وَصُوفَة ، والشَّعِيرَة ، وَنَمِيم ، وهُدَيْل ، وأَسَد ، والقَارَة ، وَكَكَاة ، وَفُرَيْش ، فقيل لولد الياس "خندف" ثم قيل لإلياس نفسه خندف إذ كان أباً لمن أمه خندف لا غير ولا ولد له إلا من خندف .
- ولذلك نظائر وأشباه فى العرب ، كما قيل لمالك بن نُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن الياس بن مضر : "عائدة" لأن أم ولده عائدة بنت الحُجْس بن حُفَاة النخَعَمِيَّة .
- وكما قيل لَمُوف بن وَائِل بن قَيْس بن عَوْف بن عبد مَنَاة بن أَد بن طائِجَة بن الياس بن مضر : "عُكَل" لأن أمةً يقال لها عُكَل حضنت ولده .
- وكما قيل لعمر بن أَد بن طائِجَة بن الياس : "مُزَيْنَة" لأن أم ولده مُزَيْنَة بنت كَلْب بن وَرَة القُضَاعِيَّة .

وكما قيل لعمر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار "جَدِيلَةُ قَيْسٍ" لأن أم ولده جَدِيلَةُ بنت مُرَّة، أخت تميم بن مرَّة، بن أَدَّ، بن طابخة .

وكما قيل للحارث بن عَدَى بن الحارث بن مُرَّة بن أَدَّ بن زيد بن يَسْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَلَا بن يَسْجُب بن يَعْرُب بن حَقْطان "عاملة" لأن أم ولده عاملة بنت مالك بن ودعة القضاعية .

وكما قيل لأشْرَس بن السكون بن أَشْرَس بن كِنْدَةَ "مُحِيبٌ" لأن أم ولده مُحِيبُ بنت تَوْبَانَ المَدَحِيَّة، وغير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه والله أعلم .

وأما قولهم قَيْسِيٌّ فالمراد به من ولد قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نَزَار بن مَعَد بن عَدَنان، ويكون عيلان هاهنا أخا إلياس بن مضر، وكان اسم إلياس عيلان .

وقال الوزير ابن المغربي : هو الناس بتشديد السين فيكون مضر أعقب إلياس والناس . ومن العلماء من قال : إن عيلان كان حاضناً، حَضَنَ قَيْسا وليس بأب فيقول قيس عيلان بن مضر، مضاف إليه بغير ذكر البتوة، كما قيل في أخذ من قضاة سَعْدَ هَدِيمٍ، وَهْدِيمٌ حاضنٌ، وغير ذلك في العرب كثير والأقول أحسن . وهذا قيس بن عيلان بن مضر هو الذي قيل لقيس به قيس والله أعلم .

وزهب قوم إلى أن ولد مَعَد بن عدنان كلهم يقال لهم قيس وهو خطأ، وإنما هم يجوزون ذلك على وجه بعيد ليميزوا بالزوجة إلى ذلك بين يمين وغيرها فيقولون قيس ويمين، فيظن السامع أنهما أخوان، وأين قيس من حَقْطان جدِّ يمين : لأن حَقْطان أبا اليمين هو أخو الجدِّ العشرين لقيس : وهو فالْع بن عابر، وحَقْطان بن عابر . وسير ذلك في مرد النسب بمون الله ومشيئته .

(١) له أركان اسم إلياس الخ ليستم الكلام .

وبيانه هاهنا أن قيس بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان ،
أبن أد ، بن أدد ، بن اسماعيل الذبيح ، بن ابراهيم الخليل ، بن تارح : وهو آزر بن
ناحور ، بن ساروخ ، بن أرغو ، بن فالغ ، بن عابر . فقال أخو قطان ، وقطان هو
الجد الذي ترجع إليه من كلها ، وهو أحد جذتي النسب كما تقدم .

- فقد بان أن قول من يقول قيس : ويمن قبيلة ليس بشيء ، وإنما قال ذلك
لولد معد بن عدنان إشارة لإعلام السائل إذا سال المدي من أي نسب هو ، فكانه
يقول له من البطن التي منها قيس . وهذا بعيد وشاذ .

- ومما يؤكد بعده أنا إذا جوزنا ذلك لمن ينسب إلى جمجمة فوق قيس كريمة
أبن نزار بن معد بن عدنان ، وإياد بن نزار وغير ذلك وإن كان بعيدا فكيف يجوز
أن يطلق ذلك على قريش . فنقول : هم قيس ، وإنما قريش بنو فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وإلياس هو عم قيس
فيكون قريش دون قيس بهذه العلة ، فلا يجوز أن يقال : إن قريشا من قيس ،
وقيس إنما هو أبن عم الأب السادس من قريش : وهو مدركة ، ولو كان عما له ،
لكان ربما يجوز على وجه التعارف عند العرب بأن الم أب كما أخبر الله تعالى عن
نبيه يعقوب عليه السلام فقال تعالى : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ
إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ ﴾ ، والذي ذهب إلى أن الم أب قال : أنا أطلق على ولد معد بن عدنان
قيسا لأن قيسا منهم ، فأقول : قريش من قيس . وهذا بعيد من وجه أن قيسا ليس

(١) هكذا بالأصل . وفي كتاب الجوائز المتقول به هذا الفصل والموجوده نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ،

ناقصة الآخر (ابن أذ بن اليسع بن المهيع بن سلمان بن نبت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل الذبيح الخ) .

بعم لقريش، وإنما هو ابن عم، ولا ترجع العزوة في الانساب إلى ذيل الأعقاب،
إنما يعزى لأعلى النسب، لا لأسفل العقب، ولو صح ذلك، لعزى الإنسان لابن
ابن عمه وهذا لا يصح .

فقد وضع أن العزوة إلى قيس لا تصح إلا لمن يرجع إليه بالولادة منه: لأن ربيعة
وإياداً أبني نزار أصل منه، فلا يصح أن يعزوا إليه؛ وقريش وكنانة أسفل منه
فلا يصح أن يعزوا إليه .

وبالجملة فإنه ابن عم لها، أعنى قريشاً وكنانة، وأخ لها أعنى ربيعة وإياداً؛
ولا يجوز أن يعزى الأب إلى أبنه إذ كانت النسبة في ذلك لا ترجع إلى الأب
إنما ترجع إلى الأب. ولو اعتمد ذلك في الانساب لأختلطت العزوة إلى كل أب
بالأب الآخر فلم يتميز، ولم يقف عند حد دون الآخر. وهذا يؤول إلى الجهالة
بالأبطن والأخفاذ والعشائر .

وأما شهرة العزوة إلى قيس، فلما فيها من الجمال والرءوس والقبائل والأرحاء
وهي عند النساء أكبر من تميم ومن بكر أبي مر بن أد بن طابخة؛ إذ كان قيس
بنو عيس، وذبيان، وغطفان، وأعصر، وهوازن، وعدوان، وفهم: وهم جديلة
قيس، ومسلم، وقتيب، وعامر، وجشم، ونهر، وبكر، وسعد، وسلول،
وربيعة، وكلاب، وقشير، وحبيب، وعقيل، وحريش، وخفاجة، وطهفة، وغير
ذلك من الأخفاذ والعشائر التي تشرح في مواضعها بمشقة الله وجهونه .

وأما نزار بن معد بن عدنان، ففيها من الأبطن والأخفاذ والعشائر: كبنى ربيعة
الفرس، وضبيعة أحميم، وأكلب، وأسلم، ويقدم، وأجلان، وهميم، وعبد القيس،
ودعن، والنير، وقليب، ووايل، وبكر، وصعب، وعلي، وحبيب، وعزة، وعتر،

ورُقَيْدَة ، وإِراشَة ، وَيَسْكِر ، وَعُكَايَة - وَعِجْل ، وَبَحْسِم ، وَحَنِيفَة ، وَزَمَان ، وَالْدُّوْل ،
وَشَيْثَان ، وَذُهْل ، وَمَازِن ، وَسَلُوس ، وَبَلِيّ ، وَعَوُف ، وَبَدْر ، وَمَعْن ، وَدُنْجِيّ ،
وُذْهَرَة ، وَحُدَاة .

فأما أُمّار بن زيار ، فاقبل في يمن كما انقلبت قضاعة في غير ذلك من الأنغاز والعشائر
مما بين في موضعه إن شاء الله تعالى والحمد لله .

وأما يمن ، فهم أولاد حطّان ، بن عابر ، بن صالح ، بن أَرْثَشَدَة ، بن سَام ، بن نوح
عليه السلام .

وفيهما عدة جماع وقبائل وأبطن وأنغاز وعشائر : كَسَبِيّ ، وَطَيّ ، والأشعر ،
وَجَبَر ، وَقُضَاعَة ، وَغَسَّان ، وَأَوْس ، وَالْحَزْرَج ، والأزد ، وَلَحْم ، وَجَدَام ، وَعَامِلَة ،
وَحَوْلَان ، وَغَافِق ، وَمَنْجِج ، وَحَرْب ، وَسَعْد العَشِيرَة ، وَمَعَاقر ، وَهَمْدَان ، وَكَنْدَة ،
وَكَلْب ، وَمَهْرَة ، وَصِنْهَاج ، وَبَارِق ، وَبَجِيلَة ، وَثَعْلَبَة ، وَدَرْمَا ، وَزُرَيْق ، وَعُثَيْر ،
وَعَتَاب ، وَبَحْتَر ، وَحَرَم ، وَمَرَاد ، وَعَبَس ، وَجُعْفِيّ ، وَسَلَمَان ، وَثُجَيْب ، وَصَدَا ،
وَالنَّخَع ، وَالصِّدْف ، وَحَضَر مَوْت وغير ذلك .

وكل ما ذكرناه فهو أبطن وأنغاز وعشائر مختلطة ، وما قصدنا فيها الترتيب ، على
طبقات النسب والتصنيف ، وإنما جئنا من كل عُرْوَة ببعض مشاهيرها التي تنسب
إليها : ليتبين بعضها من بعض ويعلم غرضنا في تحرير ما قدمناه والله أعلم .

(١) يضم الدال وإسكان الواو وهو غير الدؤل الذي يثبت إليه أبو الأسود الدؤل .

(٢) الذي في القاموس : وصناهجة قوم بالمغرب من ولد صناهجة الجبيري وفي تاج العروس : "قال ابن دريد

يضم الصاد ولا يجهز غيره . قال شيخنا والمعروف عندنا الفتح خاصة في القليلة بحيث لا يكادون
يسرفون فيه" .



وأما عِزَّةُ العرب إلى يمن : وهم ولد حِطَّان ، فلكونهم نزلوا اليمن ؛ وكان
منهم ملوك الحيرة وأصحاب سد مأرب فتيامنوا ، فنسبوا إلى اليمن .
وقيل : إنما قيل لهم : يمن بآيَمَن بن هَمَيْسَع بن حَمِير ، وهو جد الملوك التابعة ؛
والأول أولى .

وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نسبه إلى اليمن ، لأجل أن الملوك كانت في اليمن :
مثل آل النعمان بن المنذر من نَحْم ، وآل سليح من قُضَاعَة ، وآل مُحَرَّق ، وآل العَرَجَج
وهو حمير الأكبر بن سبأ كالتبابعة والأذواء وغيرهم .

والعرب يطلبون العز ولو كانت في شاعات الشواقي [ويطون الأمانتي البواني
فيتسبون إلى الأعر لحماية الحمية وإبادة الدينية وسكون النفوس إلى نفيس الكثرة
والمصيبة بطريق دقيق في النظر لا على الظن المشتهر] : كما جرى لقضاعة بن معد
أبن عدنان [لما خلف على أمه الجرهمية بعد] مالك بن مرة بن عمرو بن زيد بن مالك
أبن حمير أباه معد بن عدنان ؛ فجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرة فنسبه العرب
إلى زوج أمه [مالك بن مرة ، عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه] . وقيل إن
أسم الجرهمية : قضاعة ، فلما جاءت بولدها سمته باسمها . وقيل بل كان اسمه عميرا فلما
تقضى عن قومه أي بعد سمي قضاعة . والمادة عند العرب أن تنسب الرجل إلى زوج
أمه ؛ ألا ترى أنها قالت في عهد مائة بن كنانة : بنو علي وهو علي بن مسعود الأزدی
وكان حضن بن أخيه لأمنه بكر وعامر ومرة أولاد عبد مائة بن كنانة ، فغلب

(١) زيادات وجدت في نسخة الجوزاني المخطوطة ولم توجد في الأصل «الفوتوغرافية» .

أسمه عليهم لما تزوج أمهم هند أبنة بكر بن وائل وخلف عليها بعد أخيه، فضم إليه
بني أخيه المذكورين مع أمهم هذه، وهم صفار فربوا في حجره فنسبهم العرب إلى
علي . وسأني من هذا الباب أمثال له في مواضعها إن شاء الله تعالى .



- والطبقة الثانية الجماهير، والتجمهر : الاجتماع والكثرة؛ ومنه قولهم : جماهير
العرب أي جماعتهم، ومنه ترجمة مجموع لفظة العرب "الجمهرة" الكتاب الذي ألفه
أبو بكر بن دريد وجمهرة "الأنساب" أي مجموعها والله أعلم .



- والطبقة الثالثة الشعوب، واحدها شعب؛ ويقال شعب؛ ويقال في القبيلة
بالفتح وفي الجبل بالكسر : وهو الذي يجمع القبائل وتشعب منه ، ويشبه بالراس
من الجسد؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ الآية .



والطبقة الرابعة القبيلة، وهي التي دون الشعب تجمع العائر؛ وإنما سميت قبيلة
لتقابل بعضها بعض وأستوائها في الصدر؛ وهي بمنزلة الصدر من الجسد .



- والطبقة الخامسة العائر، واحدها عمارة : وهي التي دون القبائل . وتجمع
البطون؛ وهي بمنزلة الدين .



والطبقة السادسة البطون، واحدها بطن : وهي التي تجمع الأخفاد .



والطبقة السابعة الأنفاذ، واحدها نَحَذُ ونَحْذُ، مثل كبد وكبد : وهي أصغر من البطن . والنفض تجمع العشار .



والطبقة الثامنة العشار، واحدها عشيرة : وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة آباء .
وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .
فدعا النبي صلى الله عليه وسلم علياه قريش إلى أن اقتصر على بنى عبد مناف ، وهم يجتمعون معه في الجدة الرابع . فن هاهنا جرت السنة بالمعاقلة إلى أربعة آباء ، وهم بمنزلة السابقين من الجسد اللتين يعتمد عليهما دون الأنفاذ .



والطبقة التاسعة الفصائل ، واحدها فصيلة ، وهم أهل بيت الرجل وخاصة ؛
قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ .
وَقَصِيصَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿ وهي بمنزلة القدم .



والطبقة العاشرة الرهط ، وهم رهط الرجل وأسرته : بمنزلة أصابع القدم .
والرهط دون العشرة ، والأسرة أكثر من ذلك ، قال الله عز وجل : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ . قال السيد أبو طالب في قصيدته المشهورة التي يمدح فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأحضرت عند البيت رهطى وأسرني * وأمسكت من أتوا به بالوصائل .

ورحله بنو عبد المطلب وكانوا دون العشرة . وأسرتهم من بنى عبد مناف الذين عاضدوه في نصرته سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تمثيل التفصيل — عدنان جذم ، قبائل معد ، جمهور ، نزار بن معد شعب ، مضر قبيلة ، خندف عمارة : وهم ولد إلياس بن مضر ، كنانة بطن ، قريش نخذ ، قعبي عشيرة ، عبد مناف فصيلة ، بنو هاشم رحط .

وحيث انتهى القول في ذكر الطبقات فلنأخذ الآن في بسط النسب وسرده فنقول وبالله التوفيق .

أصل النسب

(أبو البشر آدم عليه السلام)

١٠ وأدم هو الجنة الخمسون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمود النسب الطاهر المسمى من آدم عليه السلام في أبنة شيث بن آدم عليهما السلام : وهو هبة الله ، وأمه حواء أمة الله .

ولما قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل ، ولد شيث ، وقال آدم عليه السلام :

هذا هبة من الله وخلف صالح . وهو الذي بنى الكعبة — شرفها الله تعالى — بالطين

١٥ والمجاعة على موضع الخيمة التي كان الله تعالى وضعها لآدم من الجنة .

وقال وهب : إن الله تعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة ، ورزق علة من البتين والبنات .

والعقب منه في أبنة أنوش بن شيث وأمه لبود أبنة آدم عليه السلام . وهو الذي غرس النخلة وزرع الحبة ، ونطق بالحكمة ؛ وتدعى أمه محوالة البيضاء .

والعقب منه في أبنة قينان بن أنوش ، وله ولد اسمه أروى (أعنى لأنوش) ،
اعقب وأقرض عقبه .

والعقب من قينان في أبنة مهلائيل بن قينان ولم يرزق غيره .

والعقب منه في ولده يارد بن مهلائيل . وكان ليارد اخوة .

والعقب من يارد في أبنة أخنوخ بن يارد ، وهو إدريس النبي عليه السلام ،
وأتمه تدعى بره . قيل سمي إدريس لدرسه الصحف الثلاثين التي أنزلها الله تعالى عليه ؛
وهو أقول من خط بالقلم ، وكان له إخوة أقترضوا .

والعقب منه في أبنة متوشلخ بن أخنوخ ، وأتمه بروخا .

وعقبه في أبنة ملك بن متوشلخ ، وأسمه لاخ .

والعقب منه في أبنة نوح النبي عليه السلام ، وأتمه قينوش أبنة بركائل بن
محويل ، وهو عليه السلام آدم الثاني : لأنه لا عقب لآدم عليه السلام إلا من نوح
وولده . وإخوة نوح عليه السلام جماعة : منهم صالح بن ملك . وسقطان . ومنان ،
وتريس ، وصدفا . وكان لهم أولاد أقترضوا كلهم والعقب من نوح لا غير ؛ ورزق
ملك والد نوح عليه السلام نوحا ، وله من العمر مائة واثان وثمانون سنة ؛ وتوفى وقد
مضى من عمر نوح خمسمائة سنة .

وأختلف في عمر نوح : ف قيل عاش ألف سنة إلا خمسين عاما ؛ ستمائة قبل الطوفان
وثلاثمائة وخمسين سنة بعده . وقيل بل لبث قبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما ،
على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في قصته في التاريخ . وعمود النسب من نوح
في أبنة سام بن نوح عليه السلام ؛ وسام هو الجد الأربعون لسيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم، وأتمه عمدة . وإخوة سام حام، وإفث، وبوناطل، وسالوم وهو الذى غرق فى الطوفان .

وأما سام بن نوح، فإن الله تعالى جعل فى ذريته الكلاب والنبوة والملك والجمال والياض، ونزلوا ما بين ساقيد إلى البحر، وما بين البحر إلى الشام : وهو وسط الأرض، والحرم وما حوله، والحرم إلى حضرموت، وإلى عمان، وإلى طاج والدنهاء .

والعقب من يافث بن نوح طرمسوس، وهمذان، والجبال، والجزر، وفرنجة، والصفالبة الذين على تخوم القسطنطينية، واشكار، والترك، وقبرس، وأجوج، وماجوج، وكومر، والمصيصة، وأدنه، ورواديم، ومايج، ونراسان، وباوال، ويونان، وبرجام، وكرد بن مرد بن يافث .

قال : وهذه رواية العلماء بالنسب، وسنذكر خبر كرد بعد هذا فى موضعه .
ومن ولد يونان بن يافث الروم واليونانيون ؛ كان منهم الفلاسفة وأهل الحكمة كالإسكندر وغيره .

وولد بوناطل بن نوح : وهو الذى عقد الألوية للناس حين تفرقوا : الأرغار، والبساس، والدكايك، والدمشق ؛ وهم أم لا يحصون خلف صين الصين .
والعقب من حام بن نوح، الهند والسند والنوب، والنج، والحبشة، والقبط، والبربر، ومصرأيم أو أسمه مصر بن حام .

وذكر صاحب الشجرة : أن مصرأيم أعقب من ابنه لوديم، وأن لوديم أعقب قبط مصر بالصعيد، واليهيم، والتفوحيم، والبرنسيم، والكشلوجيم، والقابذقاين، ومودشاي، وكوشابا، وهبورشابا

قال : وهؤلاء بأجمعهم ولد قوط بن حام ، وأندلس ، وكوشان ، فولد قوط بن حام مصر ، فولد مصر بن قوط قبط : وهم قبط مصر ، وبهم سُميت مصر مصر . قال : هذا قول شيوخنا . وذكر أهل التاريخ : أن مصر سُميت بمصر بن بيصر بن حام ، كل ذلك قد قيل وهو الأكثر عن العلماء .

وقال أبو المنذر النسابة في روايته : إن السند والهند وما بينهما من البلاد قتلهم يوشع ابن نون إلا بقية منهم يسيرة لحقوا بأطراف بلاد السودان : وهم الذين ما بين مصر إلى بلاد السودان ، ومنهم البربر والبيجة .

وذكر صاحب الشجرة : أن كوش أبو الحبش ، وأنه كوش بن حام ، وأنه أعقب من نمرود أبي ملوك بابل ، ومن أحويلا وهو الواحات ، ومن سُفنا وهو أبو زغاوة ، ومن سببا ، ومن سففا : وهو أبو الدلم ، ومن رعما وهو أبو البقاو من السودان ، والعقب من رعما هذا من سببا أبي الهند ومن دادان أبي السند .

وذكر أبو المنذر النسابة أن كنعان بن حام أعقب من حماة ، وحص ، واروادودي وطرابلس ، وصيدون ، وهي صيداء ، وحاث ، وثقوسة ، وهوارة ، ومزانة ، واموراء ، وكركاسي ، ومزانة من البربر .

قال الجوافي : وهذا كله بين الخلاف بين النسابين ، ومن النسابين من يلحق لؤثانة وهم ولد بر بالبر هذا بن كنعان بن حام ، ومن اللواتيين من يقول فيهم : إنهم فيس ، ويعبرون أنهم من ولد جابر بن يفيص ، بن ريث ، بن غطفان ، وأن جابرا جثهم عم فزارة . ومن لؤثانة ومزانة من يزعم أنهم قوم ناقلة صاروا إلى بلد البربر ، وأن البربر إنما هم هؤارة ، وصنّهاجة ، وأن أباهم تزوج امرأة منهم يقال لها : تصوين ، فنسبوا إلى أمهم ، وهؤارة يزعم أنهم قوم ناقلة من يمن جهلوا أنسابهم .

وولد لَوَاقَةَ بن بَرٍّ : وهو لَوَاقَةُ أربعة أنفاد : وهم زُنَّارَةٌ وَمَصَّانَا وَنَيْطَا وَتَطَوَّقَا ؛
ولكلّ نفد من هذه الأنفاد عدة عشائر ، حصل الإضراب عن ذكرها رغبة
في الاختصار . فلنرجع إلى عمود النسب فنقول :

إن عمود النسب الشريف من سام بن نوح في أبنته أَرْفَخْشَد بن سام ، وأمه من
بنات الملوك .

وكان لسام من الأولاد غير أَرْفَخْشَد : إرم ولَاوَدَ وَأَشُوذَ وَعُلَيمَ ومَاشَ (والموصل
ولد وأبو الأرمن وخُوزِستان أولاد سام) ^(١) . وفيهم خلاف عند النساين .

والعقب من إرم بن سام من عَوْصَ وِجَاثَرٍ ومَاشَ وأهلُوا وإيران أولاد إرم .
فالعقب من أهلوا بن إرم بن سام : قَادِسان .

والعقب من أكراد جدّ القبيلة المعروفة بالأكراد ، في قول أكثر النساين . ومن
عشيرة القبيلة من يذكر أنهم من بنى عمرو بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن
المبشّر كما نذكره في بنى هوازن .

وفي الأكراد عدة بطون : كالحلالية والمروانية وغيرها .

وقد ذكر بعض النساين أن كُرْدَ بن مُرْدَ بن ياقث بن نوح . وفي ذلك خلاف .

والعقب من عَوْصَ بن إرم بن سام : عاد ، وبه سميت عاد إرم .

والعقب من مَاشَ بن إرم بن سام من نَيْطَ : وهو نَيْطَ مِوَادِ العراق .

(١) هكذا في الأصل بحروجه وجاء في "البر" أن بنى أشوذ هم أهل الموصل وبنى غليم أهل حوزستان ،
ولله الصواب .

(٢) لعله والعقب من إيران في كرد الخ ، أنظر "البر" .

وخطان بن عابر هو أبو اليمن كلها، وجدّم نسبا .

وولد خطان هم العرب المتعربة ؛ إذ العرب ثلاث فرق : عاربة و متعربة
و مستعربة .

فأما العاربة فهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح : وهم عاد ، ثم ثمود ،
ثم أميم ، ثم عييل ، ثم طسم ، ثم جديس ، ثم عمليق ، ثم جرهم ، ثم وبار . فعاد و عييل .
آبنا عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وطسم و عمليق و أميم : بنو لاوذ بن سام ؛
و ثمود و جديس آبنا جائر بن إرم بن سام ؛ و وبار و جرهم آبنا فالغ بن عابر : فهذه
العرب العاربة .

وأما المتعربة فهم بنو خطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة و سكنوا
ديارهم .

وأما المستعربة فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم : وهم بنو عدنان بن أذ .

قال الشريف الجعفي : وهذا مختصر من نسب اليمن . قال : إن العقبة من خطان
آبن عابر من يعرب بن خطان : وهو الذي زعمت بين أن العرب إنما سميت عربا به
وأنه أول من تكلم بالعربية و نزل أرض اليمن فهو أبو اليمن كلها .

وذكر بعض النساين أن حضرموت بن خطان ، وإليه يُنسب كلّ حضرمي .
وقيل . حضرموت من ولد حمير ، وإنه حضرموت بن عمرو بن قيس بن معاوية
آبن جُثم بن عبد شمس بن وائل بن القوث بن قُطن بن عريب بن زُهَير بن أَيْمَن
آبن الهمَيسَع بن جَمِر . قال : وعلى ذلك أعتاد شيوخنا في النسب .

وقال آمعرون : هو حضرموت بن يقطان بن عابر .

فولد يَعرُب بن حَطَّان : يَنْسُجِب ؛ فولد يشجب بن يعرب : سبأ وأسمه عبد شمس ؛
وإنما سُمي بسبيل لأنه أَوَّل من سَبَى من العرب ؛ فولد سبأ بن يشجب : حمير وكَهْلان .
وقالت طائفة من النِّسَّابين : ومراء بن سبيل . فولد مراء بن سبيل : شعبان قبيلة
وصَريحان قبيلة ، ولهم عدد ومدد .

٥ . وولد حمير بن سبيل بن يشجب : مالكا وعامرا وعوفيا وسعدا ووائله وعمرا
وميسما .

فأما عمرو بن حمير فهم آل ذى رَعَيْن ملوك اليمن : وهم بنو الحارث بن عمرو
أبن حمير .

١٠ . ومن النِّسَّابين من ينسب ذا رَعَيْن الى أنه ولد زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن
معاوية بن جُثَم بن عبد شمس بن وائل بن النُّوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زهير بن
أَيْمَن بن الهمَيْسَع بن حمير : وهم عشيرة ذى أصبح وعشيرة سيف بن ذى يَزَن .

قال : وشيوخنا في النسب ينسبون التابعة الملوك إلى أَيْمَن بن هَمَيْع بن حمير
ولا خلاف عندهم فيه وأنهم يرجعون إلى أَيْمَن .

١٥ . وأما عامر بن حمير، فإنه قبائل يَحْصِب كُلُّهَا، وهو يحصب بن دُهْمَان بن عامر بن
حمير . قال : ومن شيوخ النسب من قال : يحصب بن ذى يَزَن بن ذى أصبح بن زيد بن
النُّوث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن مَدَد بن زُرْعَة ، وهم حمير الأصغر .

• وأما هَمَيْسَع بن حمير فن ولده : صَنْهَاجَة : القبيلة المشهورة المعقبة بالمغرب وفي ذلك
خلاف ؛ وهي من بني دُهير بن أَيْمَن بن هَمَيْسَع بن حمير ، وصَنْهَاجَة آسم الجذة للقبيلة
كلها : وهو صَنْهَاجَة بن المَثْنَى بن المِسُور بن يَحْصِب بن ذى يَزَن بن ذى أَصْبَح بن

زيد بن الفوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم
حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم، بن زيد بن سهل بن عمرو بن
قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الفوث بن قطن بن عريب بن
زهير بن أيمن بن هبشع المذكور.

- قال: وإلى ذى أصبح هذا يرجع الإمام مالك بن أنس الأصبحي، وقيل: ذوزن
أبن أسلم بن زيد، وذو أصبح بن مالك بن زيد.

قال: ومن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس هذا الذي في عمود
النسب ثلاث بطون غير سهل بن عمرو: وهم شعبان بن عمرو وخبيران بن عمرو
وحضرموت بن عمرو؛ وحضرموت هذا هي القبيلة التي ينسب إليها كل حضرمي
وقد تقدم ذكره.

وأما سعد بن حمير، فنه السلف البطن المشهورة، وأسلم بطن: وهما أبنا ربيعة
أبن سعد بن حمير.

وأما وائلة بن حمير، فنههم السكاسك: وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير، وهي غير
سكاسك كتندة.

- 1٥ وأما مالك بن خبير فن ولده قضاة: وهم قضاة بن مالك بن مرة بن عمرو بن
زيد بن مالك بن حمير البطن المشهورة على ما ذكره. وقيل: إنها من ولد معد بن عدنان
وفى ذلك يقول الفائل:

أبوكم معد كان يكتى بيهكم * قضاة ما كنى به من تجمجا.

ومن قضاة ثلاث بطون: وهم عمران بن الحلاف بن قضاة وعمرو بن الحلاف
وأسلم بن الحلاف بن قضاة.

فاما البطن الأولى من قضاعة : وهم ولد عمران ، فأعقب حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة من نهمس قبائل : وهم تغلب القلباء ، ويقال : تغلبي قضاعي أو يمني ، يراد به هذا الأب ، وتغلبي معدني أو زاربي ، فيراد به تغلب بن وائل بن قاسط الذي في أسد بن ربيعة بن زار ، وعشم بن حلوان ، وزبان بن حلوان ، وعمرو بن حلوان وهو سليح وتزيد بن حلوان (بالباء بائنتين من فوق وفتحها) .

والعقب من تغلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة : وبرة بن تغلب . والعقب من وبرة بن تغلب من نهمس أنفاذ : كلب بن وبرة . وإليه يُلَسَّب كلُّ كَلْبِي ، وفيهم عدة أنفاذ وعشار : كني عوف وبنى ضَمَضَم وبنى غليم وبنى زهير وبنى كنانة ، والجميع عشائر يرجعون إلى عُدرة بن زيد الله بن رُقيدة بن ثود بن كلب ، وعُرَيْنة بن ثود بن كلب بن وبرة ، وإليه يرجع كلُّ عُرْفِي ، وأسَد بن وبرة ، والبرك ابن وبرة ، والنمر بن وبرة ، والتغلب بن وبرة ، وفهد ، وضيع ، ودب ، وسيد ، وسرحان ، وذئب أولاد وبرة بن تغلب القلباء .

(١٦)

فن أسد بن وبرة : بنو القَيْن بن جَمْر بن شَيْع الله بن أسد ، وتُوش : وهو مالك بن زهير بن عمرو بن فُهَم بن تَيْم الله بن أسد ، والي تُوش هذا يُلَسَّب كلُّ تُوشِي ، وإليه يرجع أبو العلاء المَعَرِّي الشاعر .

وأعقب تَمِر بن وبرة بن تغلب في ثلاث أنفاذ : حُشَيْن . وإليه يرجع كلُّ حُشَنِي وهو تَمِير ، منهم أبو تَغْلِبَة الحُشَنِي الصَّحَابِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ومُشَجَّة بن تَيْم بن النمر بن وبرة ، وإليه يرجع كلُّ مَسْجَعِي ، وغَضِرَة بن النمر وعاتية بن النمر إلا أنهما دخيلان في مُلَيْم . قالوا : عاتية وغاضرة أبنا سليم بن منصور .

١٥

وأما زَبَّانُ بْنُ حُلَوَانَ فَأَعْقَبَ مِنْ جَرَمِ بْنِ زَبَّانَ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ كُلُّ جَرَمٍ . وَفِي جَرَمٍ
عِدَّةٌ يَطْلُونُ : مِنْهَا مَلَكَانُ بْنُ جَرَمٍ يَخُجُّ الْمِمْ وَالْهَامَ ، يَطْلُنُ .

وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ فَأَعْقَبَ مِنْ ثَلَاثِ أَنْفَازٍ : بَيْلَى بْنُ عَمْرٍو، وَبَهْرَاءُ
أَبْنِ عَمْرٍو، وَحَيْدَانُ، وَقِيلَ : حُدَّانُ بْنُ عَمْرٍو، وَإِلَى بَيْلَى هَذَا يُنسَبُ كُلُّ بَلَوَى كَكَعْبِ
أَبْنِ عَجْرَةَ الْبَلَوَى، وَبَنُو الْعَجَلَانِ، وَبَنُو أَتَيْفٍ، وَبَنُو عَصِيَّةٍ : وَهُمْ كُلُّهُمْ حَلَفَاءُ
الْأَنْصَارِ : بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ مِنَ الْأَوْسِ وَهِيَ قِبَائِلُ مِنْ بَيْلَى فِي الْأَنْصَارِ، مِنْهُمْ : الْمُجَذَّرُ
أَبْنُ زِيَادٍ وَطَلْحَةُ بْنُ الْبَرَّاقِ، وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارِ الصَّبَاحِيِّ بَلَوَى حَلِيفُ الْأَنْصَارِ
وَأَسْمُهُ هَانِ .

وَأَمَّا بَهْرَاءُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ، فَإِلَيْهِ يُنسَبُ كُلُّ بَهْرَانِيٍّ كَالْمِقْدَادِ بْنِ
الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ وَلَمْ يَكُنْ كِنْدِيًّا وَلَكِنْ كَانَ بَهْرَانِيًّا قُضَاعِيًّا : لِأَنَّهُ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ
ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ ثُمَامَةَ بْنِ مَطْرُودِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَمْعَدِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ ثَعْلَبَةَ
أَبْنِ مَالِكِ بْنِ الشَّرِيدِ بْنِ أَبِي أَهْوَنَ بْنِ قَيْسِ بْنِ دُرَيْمِ بْنِ الْقَيْنِ بْنِ أَهْوَدَ بْنِ بَهْرَاءَ .
وَالْمَقَابِلُ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ لِأَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَمُوثَ بْنَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ
أَبْنِ زَهْرَةَ تَبَنَاهُ حَلِيفَ كَانَ مِنْهُمْ فَنسَبَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ عَمْرٍو حَلِيفًا فِي كِنْدَةَ .
وَفِي بَهْرَاءَ يَطْلُونُ .

وَأَمَّا حَيْدَانُ، وَيُقَالُ : حُدَّانُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ، فَمِنْ يَطْلُونُهُ نَعَسٌ :
عَرِيبُ بْنُ خَيْدَانَ، وَعُرَيْدُ بْنُ حَيْدَانَ، وَتَزِيدُ بْنُ حَيْدَانَ، وَإِلَيْهِ تُنسَبُ الثِّيَابُ
الَّتِي يُدْبِئُهَا، وَمَهْرَةُ بْنُ حَيْدَانَ . وَإِلَى مَهْرَةَ هَذَا يُنسَبُ كُلُّ مَهْرَى، وَفِي مَهْرَةَ أَنْفَازُ،
وَحَيْدَادَةُ بْنُ حَيْدَانَ .

(١) هكذا في الأصل، وفي الجوهري : "عَصِيَّةٌ" .

وأما أسلم بن الحلاف بن قضاة، فاعقب بن نخذين: حوثكة وسود؛ فاما سود
 ابن أسلم بن الحلاف، فاعقب من زيد وليث أبني سود، وأعقب زيد بن سود من أربع
 بطون: جُهينة، واليه يرجع كل جُهني، ونَهْد: رهط أبي عثمان التَّهْدِي، واليه يرجع
 كل تَهْدِي، وسعد هَذِيم، وعُدرة؛ واليه يرجع كل عُدري أولاد زيد بن سود بن
 أسلم بن الحلاف بن قضاة .

وقال ابن الكلبي: عُدرة بن زيد الآلات بن رَقِيدة بن كلب بن وبرة .
 فاما جُهينة بن زيد، فرهط عَقبة بن عامر الجُهني الصَّحابي، وفي جُهينة الحُرقة
 وهم بنو أَحْمَس بن عامر بن مُودعة بن جُهينة .
 وفي نَهْد بن سُود المَقْتَم ذكره: بنو حُرقة بن نُزَيْمة بن نَهْد .
 وفي عُدرة بن زيد بن سُود بن أسلم: بنو ضِنَّة والنون بن عبد بن كبير بن عُدرة بن زيد
 ابن سُود بن أسلم بن الحلاف بن قضاة .

ومن ولد ليث بن سُود بن أسلم: بنو عِلَّة بكسر الهمزة مشددة اللام بن غنم بن سعد
 ابن زيد بن ليث بن سُود، وفي سعد هَذِيم بن زيد بن سُود: بنو عِلَّة بن غنم
 ابن ضِنَّة بن سعد هَذِيم بن زيد بن سُود بن أسلم .
 قال: فهذا نهاية الاختصار في نسب حمير . وهذا ولد كَهْلان أخيه .

قال: وولد كَهْلان بن سَبِل بن يَسْجُب بن يَعْرب بن حَقَطَانَ بن عامر عليه
 السلام: زيداء، فولد زيد بن كَهْلان بن سَبِل بن يَسْجُب بن حَقَطَانَ: مَالِكًا وعَرِيًّا
 وهما غَفْذَان .

فالعقب من عَرِيْب بن زيد بن كَهْلان من يَسْجُب .

والعقب من يُسْجُب بن زَيْد بن كَهْلان من زَيْد بن يُسْجُب .
والعقب من زَيْد هذا : أَدَد بن زَيْد بن يُسْجُب .

والعقب من أَدَد في طَيِّ بن أَدَد ، واسمه جُلْهُمَة ؛ وهو البطن العليا ، وإليه ينسب كل طائي ، والأشعر بن أَدَد ، وإليه يرجع كل أشعري ، واسم الأشعر بُت ، وإنما قيل له الأشعر : لأنه ولد أشعر الجسد ، ومالك بن أَدَد وهو مَذْجج ، وإليه يرجع كل مَذْججي . وقيل : إن مَذْجج أم مالك بن أَدَد فنُسب إليها ولدها . وقيل : بل هي أكمة حمراء ولد عليها مالك ، فعُرف بها ولده . وقيل : بل اجتمعوا على الأكمة بالين ، والأكمة تسمى مَذْجج ، فقالوا : تعالوا نجعل مَذْججا أما .

وذكر ابن عبد البر في روايته : أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
"أكثر القبائل في الجنة مَذْجج" : ومَذْجج إحدى الجماع التسع من جماع العرب ،
سُموا بجماع لأن ميلادها آستوى بميلاد قبائل بإزائها من أفاء العرب ، ثم تفرعت
منها قبائل اجترأت بأسمائها والأنتساب إليها فبعدت عنها وأكتفت بانتسابها إليها .
ومرّة بن أَدَد : أربع أبطن لأَدَد .

والعقب من طَيِّ بن أَدَد بن زَيْد بن يُسْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان من
نَخْزِينَ : قُطْرَة والقُوْث أبى طَيِّ .

والعقب من قُطْرَة بن طَيِّ بن أَدَد من سَعْد بن قُطْرَة . ومنه في خَارِجَة بن
سَعْد ومنه في جُنْدَب ، ومنه في رُوْمَان بن جُنْدَب .

والعقب من رُوْمَان بن جُنْدَب بن خَارِجَة بن سَعْد بن قُطْرَة من بطنيين : ذُهَل
وَمَلَبَة ، وهما الثَّملَبَتَان وبجاعة صغار .

والعقب من القوث بن طي من عمرو بن القوث .

والعقب من عمرو بن القوث بن طي من قمل : بطن ، ونهبان : بطن ، وهناء
ابن عمرو : بطن . وتعلبة بن عمرو : بطن . ومزروع بن عمرو : بطن . وحسان بن
عمرو : بطن ، وزيد بن عمرو : بطن . وخشين بن عمرو : بطن ، وإلى نهبان هذا
ينسب كل نهباني .

والعقب من نهبان بن عمرو بن القوث بن طي من أبيه : سعد ونائل . ومن
بن سعد بن نهبان : بنو اليسر بن تعلبة بن نصر بن سعد بن نهبان : نخذ ، وإلى هناء
ابن عمرو هذا ينسب كل هنائي .

والعقب من قمل بن عمرو بن القوث . فأما سلامان فالعقب منه من عتيذ وتعلبة^(١)
وسل أولاد سلامان لصلبه ؛ وعتيذ هذا جد القبيلة المشهورة ؛ وتعلبة هذا جد تعلبة^(٢)
طائفة من العربان المجاورين للذاروم من الشام [وهم] بطنان : درما وزريق ، فالعقب
من عتيذ بن سلامان بن قمل بن عمرو بن القوث بن طي من نخدين : فرير بن عتيذ ،
له عدد ، وعتود بن عتيذ .

والعقب من عتود ، من معن وبجتر أبيه ، وإليهما يرجع كل معني وبجترى ،
والشاعر البجترى منهم .

والعقب من معن بن عتود من ثلاث : ثوب ، وود ، ومالك : بن معن بن عتود .

(١) أسقط النسخ الخمر وهو " من سلامان وجرول فأما الخ " كما يؤخذ مما يأتي في التفصيل فنه .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها محرفة عن " نائل " أنظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ؛ للقلقشندي .

في الكلام على بن نائل .

والعقب من ثوب بن مَعْن : غَمَّ له عدد، وأبو حَارِثَةَ فَأَعْقَبَ مِنْ غَمِّ بْنِ ثُوبِ بْنِ مَعْنِ بْنِ سَلِيلَةَ الْفَخَّذِ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا كُلُّ بَنِي سَلِيلَةَ الْمَعْنِيِّينَ .

وأما مُحْتَرُّ بْنُ عَتُودَ بْنِ عُنَيْزِ بْنِ سَلَامَانَ فَأَلْعَقَبَ مِنْهُ فِي تَكْوَلِ بْنِ مُحْتَرِّ .

والعقب من تَكْوَلِ مِنْ نَسَبِ أَنْحَاذِ : وَهُمْ جُدَيْ، وَسَنَامٌ، وَأَيْمَنٌ، وَخَيْثَمٌ، وَأَعُورٌ، وَسَالِمٌ أَوْلَادُ تَدُولِ .

وأما ثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامَانَ بْنِ مُحَلِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّوْثِ بْنِ طَلْحٍ فَأَعْقَبَ مِنْ عَوْفِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَأَعْقَبَ عَوْفٌ مِنْ نَخْذِينَ : دِرْمًا وَزُرَيْقٌ ، وَدِرْمًا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ وَدِرْمًا أَنَّهُ . فَأَعْقَبَ دِرْمًا بْنُ عَوْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَلَامَانَ مِنْ نَحْسِ أَنْحَاذِ : سَلَامَةُ وَالْأَحْمَرُ وَعَمْرُو وَقَيْصِرُ وَالْأَوْسُ : أَوْلَادُ دِرْمَا . وَأَعْقَبَ زُرَيْقٌ بْنُ عَوْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ نَخْذِينَ : لُبَيْنٌ وَالْأَشْعَثُ وَلَدِي زُرَيْقٍ .

وأما جَرُولُ بْنُ مُعَلِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّوْثِ بْنِ طَلْحٍ ، فَأَعْقَبَ مِنْ أَبِيهِ : مُعَاوِيَةَ وَرَبِيعَةَ ، فَأَعْقَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ جَرُولَ مِنْ سِنَيْسٍ : الْقَبِيلَةَ الْمَشْهُورَةَ ، وَعَدِيَّ وَلَوْذَانَ : أَوْلَادُ مُعَاوِيَةَ .

والعقب من سِنَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَرُولَ مِنْ ثَلَاثِ أَنْحَاذِ : عَمْرُو ، وَلَيْدٌ ، وَعَدِيٌّ ، فَأَمَّا لَيْدُ بْنُ سِنَيْسٍ ، فَأَعْقَبَ مِنْ حَرْمِزٍ ، فَأَعْقَبَ حَرْمِزٌ مِنْ يَحْصَبٍ وَحَرْمٍ ؛ وَغُفْدَةُ أَوْلَادُ لَيْدٍ نَخْذَانَ . وَإِلَى لَيْدٍ هَذَا تُنْسَبُ الْعَرَبُ السَّنَابِيَةُ الَّذِينَ بِالْبَحِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ ، وَهُمْ مِنْ نَخْذِ يُقَالُ لَهَا : قُنَّةُ بْنُ خَلَادِ .

وأما عَدِيٌّ بْنُ سِنَيْسٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَأَعْقَبَ مِنْ أَبَانِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَهُوَ نَخْذِ .

(١) ضبط في الأصل بضم السين والياء، وكذا في صبح الأعشى : وضبطه السويدي في سبائك الذهب

بنح السين . وذكر في القاموس أنه بالكسر وكذا هو في الصحاح واللسان وكتاب المعارف لأبن خزيمة .

والعقب من ربيعة بن جَرول بن أبي أَرْحَم: هَزْوَمة، وأَعْصَب هَزْوَمة من أَرْحَم،
وأَعْصَب أَرْحَم من عَيْشَمَس مَكْشُور الباء متصلا .

وأما مَدْحِج : وهو مالك بن أَدَد بن زَيْد فأعقب من أنْخَاز أربعة : سَعْد العَشيرة .
وَمُرَاد : هو يُحْيَارُ، وَعَنْس، وَلَمِيس، وَجَلَد أولاد مالك وهو مَدْحِج . وإلى مُرَاد
هذا يُنسب كلُّ مُرَادِيٍّ، وتُسمى مُرَادا لِقَرْدِهِ، وإلى عَنْس يُنسب كلُّ عَنَسِيٍّ، منهم
عَمَّار بن يَاسِر الصَّعْبَانِيّ والأَسود العَنَسِيّ الكَذَّاب .

والعقب من سَعْد العَشيرة بن مالك من ثلاث عشرة نَفْدا : وهم زَيْد اللات ،
وَعَايد اللات ، وَعَبْد اللات ، وَجَا ، وَجُعْفَى ، وَجَرْد ، وَحَكَم ، وَأَوْس اللات ،
وَنَمْرَةَ ، وَأَنَس اللات ، وَسَعْد اللات ، وَعَمْرُو ، وَصَعْب : أولاد سعد العَشيرة لصلبه .
فإلى جُعْفَى هذا يُنسب الجُعْفَوْنَ ، وإلى نَمْرَةَ يُنسب النَمْرَوْنَ ؛ وفي نَمْرَةَ نَفْذان :
جَدَا ، عَل وَزَنَدَا ، وَسِلْهِم أَبْنَا نَمْرَةَ .

وأما جُعْفَى فالعقب منه في نَفْذَيْن : مَرَّان ، وَحَرِيم أَيْ جُعْفَى بن سعد العَشيرة ،
(٢١) يرجع بنو سِلْهِم بن حَكَم نَفْذ بَكْر السَيْن داما .

وأما صَعْب بن سعد العَشيرة ، فالعقب منه في زَبِيد ، وَأَسَمه مُنْبَه . وإليه يرجع كل
زَبِيدِيٍّ ؛ وفيهم عَدَّة أنْخَاز منهم بنو حرب وغيرهم . وقيل للْفَقْذ زَبِيدٌ وهم بنو مُنْبَه
الأكبر لأنَّ مُنْبَه الأصغر بن صَعْب بن سعد العَشيرة بن مالك بن أَدَد قال :
من يَزِيدِي رِفْدَه ؛ فأجابه إلى ذلك أعمامه كلهم بنو مُنْبَه الأكبر فقيل لهم جميعا
زَبِيد . ومن بنى زَبِيد مَازِن بن مُنْبَه .

(١) كذا بالأصل وصوابه " غاربة " .

(٢) كذا بالأصل والكلام مبني . ٢٠

- والعقب من مُراد بن مَذِج من نخذين : نَاجِيَة وزاهر أبني مُراد بن مَذِج .
- والعقب من ناجية : جَمَل بن كَافَة بن نَاجِيَة بن مُراد : رهط هند بن عمرو الجَمَلِيّ الذي قتله ابن يَثْرِبِي في يوم الجمل ؛ وجمل هذه رهط سَيْفَوِيهِ القاص . قال :
- ويزلون بنهر الملك ؛ وعُطِيف بن ناجية بن مراد رهط قُرَوَة بن مُسَبِّك العُطَيْفِيّ الصَّحَابِيّ ، وسَامَان بن يَشْكُر بن ناجية بن مراد رهط عُيَيْلَة السُّلَمَانِيّ ؛ وهو جاهلي إسلامي من كبار التابعين .

ومن نَاجِيَة : قَرْنُ بن رَذْمَان بن نَاجِيَة بن مُراد : رهط أُوَيْس القُرَنِيّ فَعَنَّا الله والمسلمين ببركته .

- وفي مراد، تَجُوب : وهو رجل من جبر، كان أصاب دَمًا في قومه فلجأ إلى مُراد فقال : جئت إليكم أجوبُّ البلاد لأحالفكم ؛ فقبل له : أنت تَجُوب ، فُسِّمَ به ؛
- وهو في مُراد رهط عبد الرحمن بن مُلْجَم المُرَادِيّ التَّجُوبِيّ لعنه الله ، قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

- وأما جَلْد بن مَذِج ، فأعقب منه عِلَّة بن جَلْد ؛ والعقب من علة من ثلاث أنفاذ : عَمْرُو وَعَامِر وَحَرْب . فن بن حرب بن علة : رَهَاء ؛ وهو رهاء بن منبه بن حرب ابن علة : منهم مالك بن مُرَادَة الرِّهَآوِيّ الصَّحَابِيّ ، وَيَزِيد بن شَيْمَةَ الرِّهَآوِيّ ، وَصَدَاء ؛ وهو يزيد بن حرب بن علة ، منهم زِيَاد بن الحَارِث الصَّدَائِيّ الصَّحَابِيّ .
- وأما عَمْرُو بن علة بن جَلْد بن مَذِج ، فأعقب منه ثلاث أنفاذ : النَّضْعُ القَبِيلَة المشهورة ، وَكُثَب ، وَعَامِر .

فأما النَّضْعُ بن عَمْرُو ، فأعقب منه خندان : مَالِكٌ وَعَوْفُ أَبْنَا النَّضْع .

وأما كعب بن عمرو، فأعقب منه نخدان : الحارث ، وهم بالحارث بن كعب
ورعيل بن كعب .

وأما عامر بن عمرو بن علة ، فأعقب منه في نخذ واحدة : وهي مُسَيْلَة بن عامر .
وأما مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ،

فأعقب من نخذين : مرهم والحارث أبى مرة بن أدد؛ فأعقب من الحارث من
نخذين : عدى ومالك ولديه . فأعقب من مالك بن الحارث بن مرة خولان بن
عمرو بن مالك وإليه ينسب كل خولاني ، ومعار بن يعفر بن مالك بن الحارث
أبن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب ، وإليه ترجع المغافر في أنسابها ، ولم خلة
بمصر ، ومنهم نخذي قرافة وهي أمهم : وهم الذين عُرفت بهم القرافة بمصر .
ومسجدهم المسجد المعروف بمسجد الرحمة بالقرافة : وهم بنو عَص بن سيف بن
وائل بن الحويّ بن المغافر بن يعفر .

وأما عدى بن الحارث بن مرة فأعقب من أربع أبطن لصلبه : وهم عُفَيْر ونخم :
قبيلة ، وأسمه مالك بن عدى ، وجذام بن عدى : قبيلة ، وأسمه عامر ، والحارث بن
عدى وهو عاملة : قبيلة ، وإسمائيل بن جذام : لأن أحدهما نخم وجه أخيه فسمي
نخما ، والتممة : اللطمة ، وجذم الآخر أصبع أخيه فقطعها فسمي جذاما : وهما القليلتان
المشهورتان ، والحارث بن عدى وهو عاملة وإليه يرجع كل عاملي ، وعاملة وهي
بنت مالك بن وديعة بن قضاة ، وهي أم ولد الحارث المذكور .

فأما عُفَيْر بن عدى بن الحارث فأعقب من ثور بن عُفَيْر ، وثور هو كندة الملوك
فأعقب كندة من نخذين : معاوية وأشرس أبى ثور . والعقب من معاوية هذا من
أبنه مُرَيْع وزيد بن مُرَيْع : بنو أمريئ القيس وبنو الرأش وبنو معاوية

- الأكرمين وبنو وهب . وبنو بدأ شذذ، نحسة : بنو الحارث بن معاوية بن قور بن
مرثع . وإلى معاوية بن الحارث يرجع أمرؤ القيس بن مجر بن الحارث بن عمرو
أبن حجر آكل المرار بن معاوية المذكور الكندي الشاعر . والنسب إلى أمرئ
القيس بن الحارث بن معاوية المقدم ذكره : مرثعي، مسموع عن العرب، وكل
أمرئ القيس غيره في العرب فالنسب مرثعي بوزن مرثعي .
- والعقب من أشرس بن قور وهو : كندة بن عُقير بن عدى : السكون بن أشرس،
والسكاسك : وهو حميس السكك بن أشرس ، وإليهما ينسب السكونيون
والسكسكيون ؛ ومن السكونيين معاوية بن حديج السكوني الصعابي، وحاشد بن
أشرس، ومالك بن أشرس .
- والعقب من السكون بن أشرس من نفذين : شيب وعقبة آخي السكون .
- أعقب شيب بن السكون من أشرس وشكامة، فأعقب أشرس بن شيب بن السكون
أبن أشرس من عدى وسعد : وهم ثجيب البطن المشهورة ؛ ولم خطة بمصر،
وعرفوا بثجيب : وهي أتهم بنت ثوبان بن سلم بن رهاء بن منبه بن حرب بن طلة
أبن جلد بن مذحج .
- والعقب من مالك بن أشرس بن شيب المذكور : الصديف، وأسمه عمرو بن مالك،
والإبه ينسب كل صديف بالفتح كما قالوا : شقري ونمري : سلمى : في شقرة نعيم ونمر
أبن قاسط وسلمة من الأصهار . ومن النساء من قال : الصدف هو سمالك بن عمرو
أبن دهمي بن حضرموت .
- وأما نلم بن عدى، فأعقب من نفذين وهما لصلبه : ثمارة وجديلة، ويقال :
جديلة ؛ وذكر الوزير أبو القاسم بن المفرج أنه قيل فيها : جديلة بالباء بواحدة .

والعقب من ثُمارة بن نلح بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد بن مالك بن ثُمارة
نخذ، وحبيب بن ثُمارة، وهو عَمُّ [وعدى بن ثُمارة] سُمي بذلك لأنه أول من
أعتم، وهو الذي عتم ملوك العراق؛ ولم إخوة صفار: كالوجفا بن ثُمارة وقبيصة
وعمر ووعوف ووجن أولاد ثُمارة أعقبوا؛ ومن ينسب إليهم يُعزى لحذم نلح
وأثمهم ثُمارة .

ومن بنى مالك بن ثُمارة الفخذ الأولى: بنو راشدة بن مالك بطن مشهورة .

ومن بنى عدى بن ثُمارة؛ وهم عَمُّ بن نلح: بنو نصر بن ربيعة من ربيعة بن نصر .

ومن ولد نصر بن ربيعة: النعمان بن المنذر بن ماء السماء: وهي أمه، بضد ما في غسان،
لأن غسان عامراً ماء السماء أب فهو عَمُّ "أب" وهاهنا "أم"، وماء السماء هاهنا هو
أمرؤ القيس بن النعمان بن أمرؤ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة .
قال: وفي ذلك خلاف .

ومن بنى حبيب بن ثُمارة: بنو الدار بن هاني بن حبيب بن ثُمارة، ينسب كل
داري إلى هذه البطن، وهم رهط تميم الدار بن الصحابي المعروف بالختطف، وقد
أقرض تميم الداري ولا عقب له .

وأما جزيلة بن نلح ويقال: جزيلة، فأعقب من أراش وحجر وحليل وبشكر وعمرو،
أولاد جزيلة بن نلح . فمن بنى أراش بن جزيلة أرض بن أراش لا غير؛ ويقال:
أريش مصغراً .

(١) اثر يادة عن "الساكن" فترتخذ أيضاً من كلامه الآتي قريباً .

(٢) كذا في الأصل وفي الساكن أيضاً بالزاي وأوردتها القاموس في مادة (ح زل) وهو مخالف لما
حلف له قريباً من قوله (جزيلة) فكتبه .

والعقب من أَرَش بن أَرَش من نخذين : غَنَم وَحَدَس — بالحاء المهملة والبدل
المهملة المحرکتين — والجرء القبيلة ؛ لها خطة بمصر ، والأشعث نخذ ، وهذه الجرء
في غيرها من الجرء من قُضاعة ، وفَهْم ، وعدوان ، والأزد ، وهُدَيْل بن مدركة
وبنى الأزرق وهم من الروم ، ومنهم سُميت الجرءات .

فالعقب غَنَم بن أَرَش بن أَرَش بن بَزِيلَة بن نَلم من صعب وفَهْم وزَر وعَمرو :
أولاد غَم .

ومن شيوخ النسب من قال : إن النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن أمري القيس
أبن المنذر بن النعمان بن أمري القيس بن عُيَنة بن أبي الحرام بن العَمَرَط بن غَم
أبن عَوْدَة بن هُيَيد بن زَر المذكور .

والعقب من حَدَس بن أَرَش بن أَرَش بن بَزِيلَة بن نَلم من ربيعة ورَمِيمة .
والعقب من ربيعة بن حَدَس أربع عشائر : مَنارة ، وسعد ، وكعب ، والهذيم :
بنو ربيعة .

والعقب من هُذَيم هذا من حَدَاد وعامر والحارث : بنى الهذيم .
والعقب من رَمِيمة بن حَدَس بن أَرَش بن أَرَش بن بَزِيلَة بن نَلم وعَمرو وبنوه .
والعقب من عمرو بن رَمِيمة هذا : الحارث وصعب وعلامة وعدى والمنذر
ومعلبة .

فأما الحارث بن عمرو فاعقب من أَبِي بن الحارث ، فاعقب أَبِي من كليب وعدى .
واعقب من كُليب بن أَبِي [بن] الحارث من أربع أنفاد : فيض وخارث
وغَنَم ونَمِيَت : أولاد كليب .

والعقب من فيض بن كليب بن أريج أنخاز : أبي الشتاء ، ورقاش ، وقران ، وصابي : أولاد فيض بن كليب .

والعقب من الحارث بن كليب بن أبي من سعد وجده . وولد كعب بن غنم ثلاث أنخاز : بني قرق بن كعب وبني بر بن كعب وبني مُرقش بن كعب . ومن بني بر بن كعب : بنو واسع بن كعب : وهم بنو رومي وزهير وزير وحسان وبر : أولاد واسع ، كل منهم نخذ .

والعقب من محبت بن كليب بن أبي من دنجان وجده ، ومن أنخازه : مغالة بن دنجان : الفخذ المعروفة في آثرين .

وأما حجر بن جزيلة بن نلم ، فأعقب من ثلاث أنخاز : أزدة وزُهر وأذب . فأعقب أزدة من نخذين : منيع وعوف أبني أزدة بن حجر . وأعقب زُهر بن حجر من مالك بن دعين ، وهو الذي أخرج يوسف الصديق عليه السلام من الحب ، وله عقب . فهذا مختصر في نسب نلم .

وأما جذام وأسمه عامر ، فالعقب منه في بطنين : حرام وحشم أبني جذام .

والعقب من حرام بن جذام من نخذين : لياس ومالك أبني حرام بن جذام .

والعقب من لياس بن حرام من ربيع بن لياس ، ومن سعد بن لياس ، فأعقب سعد هذا من أنصى ، فأعقب أنصى بن سعد بن لياس من نخذين : زيد ومالك أبني أنصى ، وأعقب مالك هذا من سعد بطن المنسوب إليها بنو سعد جذام ، وإن كان في جذام عدة سعود ، لكن هذه ذات القمعد والبيت والصيت .

ومن ولد زيد بن أفضى بن سعد بن إياض بن حرام بن جذام: سعد بن مالك بن زيد
المذكور: بطن؛ ووائل بن مالك ولحبة؛ وائل بن مالك بن زيد: يرجع زيد بن
زنياع في نسبه .

والعقب من مالك بن حرام بن جذام، من وائل وسعد، أعقب وائل بن مالك من
حبيش وجمع ومازن . من ولد حبيش: شعيب النبي عليه السلام: وهو شعيب بن
ثويب بن حبيش المذكور ابن وائل بن مالك بن حرام بن جذام. وأعقب سعد
ابن مالك بن حرام بن جذام من غطفان: البطن الأكبر في جذام. وأعقب غطفان
ابن سعد من يامة بن عتب بن غطفان وغم بن غطفان . وأعقب يامة بن عتب
ابن غطفان من علي بن يامة . وأعقب علي من كعب بن علي . وأعقب كعب بن
علي من ثلاثة أغاخذ للصلبة: عبيد ومطروود وعوف؛ من ولد عبيد بن كعب هذا:
الضبيب بن قُرط بن حفيد بن بلح بن عبيد: نخذ . وأعقب مطروود الضبيب هذا
من ثعلبة بن أمية بن الضبيب: نخذ، وعمرو بن مالك بن الضبيب: نخذ. وأعقب
مطروود بن كعب بن علي من خالد وعمرو ومبذول وثقافة .

فأعقب غم بن غطفان بن سعد، من نضرة بن غم في آخرين، فأعقب نضرة
ابن غم بن صبرة القمذ المشهورة ابن نصر .

والعقب من حشم بن جذام من بديل بن حشم . فالعقب من بديل: بكر وشؤنة
أبى بديل . والعقب من بكر هذا من سود بن بكر . والعقب من سعد: أسود وعمرو

(١) ليل الصواب "روح" .

(٢) كذا بالأصل ولم نثر على صحتها في كتب الأنساب .

أبنا سود . والعقب من أسعد بن سود بن بكر بن بديل بن حشم بن جذام من
نخذين : السَّم والهُون أبى أسعد . وفي سود أيضا : السَّم بن مالك بن سود باسكان
اللام نخذ .

والعقب من عمرو بن سود من لَهَبَة وحَيْش وعدا : أولاد عمرو .

لهذا مختصر من نسب جذام .

وأما عائلة : وهم ولد الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب
وهو أخو جذام ونظم ، فالعقب من الحارث بن عدى المذكور من نخذين : الزهد ومعاوية
أبى الحارث : وهما أبنا عاملة كما تقدم ، وزهد : فعل ، من زعم : شئ ، زهيد أى قليل .
والعقب من الزهد بن الحارث بن عدى من ثلاث أنفاذ : عَوَّكَلان وزَحْفان
وسَلَمان : بنى الزهد . ومن بنى عَوَّكَلان المذكور السَّم بن ظبيان بن أبى عزم بن
عَوَّكَلان المذكور .

والعقب من معاوية بن الحارث بن عدى أخو الزهد خمس أنفاذ لصلبه : ثمل ،
وعَجَل ، وسامة ، وقُرَّة ، وثعلبة . قال : وهذا النهاية فى اختصار نسب مرة بن أدد .

وأما الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، فأعقب
من بُهاير بن الأشعر وله عدد ، وعبد الثريا بن الأشعر وعبد شمس والأدغم
ونعيم : أولاد الأشعر . وأعقب بُهاير وهو بُهاير بن الأشعر من ناجية بن جَاهِر
له عدد . وأعقب ناجية من وائل بن ناجية وهو البيت .

وهذا مختصر نسب الأشعرين . ومنهم من الصحابة : أبو موسى وأبو عامر
وأبو بَرْزة ، وهم نخذ متنع وفيه عدة أنفاذ وعشائر يطول الكتاب بشرحها .

قال : وهذا نسب بنى مالك بن زيد بن كهلان بن سلبا بن يشجب بن يعرب
ابن حطّان .

فالعقب من مالك بن زيد من بطنين : هم نبت والخيار أبنا مالك . والعقب
من نبت من الفوث أبنه . والعقب من الفوث بن نبت من عمرو والأزد؛ وإلى هذا
الأزد ينسب كل أزدى .

فمن ولد عمرو بن الفوث : بجيلة : وهم ولد أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان
ابن عمرو وأم الفوث وبجيلة بن أنمار : وهى بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج ،
وقد قيل : بل هى أم ولد أنمار .

والعقب من أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد : خمس
قبائل : الفوث وعَبقر وصُهَيْبة ووداعة وأقل : وهو خثعم : بنو أنمار بن أراش .
قال : وذكر صاحبنا فى النسب أن بجيلة هو عَبقر والفوث وصُهَيْبة ، وسموا بذلك لأجل
أهمهم بجيلة ، وأن خثعم هو أقل وأمه هند بنت الغافق الأزدى ، وسمى خثعم باسم
جبل كان لآل أنمار أولاد أقل بن أنمار ، وكانوا يسمونه خثعم . ويقال : بل قيل
خثعم لأنهم تَخَثَّموا بالدم ؛ والأول أقرب إلى الصحيح .

والعقب من الفوث بن أنمار من ثلاث أنفاد : وهم زيد وأحمس وقيس كندة :
بنو الفوث . وفى أحمس هذا : أسلم بن أحمس : نخذ ؛ وفى أسلم بن أحمس بن الفوث :
دُهْن . معاوية بن أسلم بن أحمس : نخذ : رهط عمار بن أبى معاوية الدهنى الصحابى .
والعقب من عبقر : بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو من ثلاث أنفاد : قسّر
وعَلقة وقطن : أولاد عبقر . وفى قسّر : عُرَيْنة بن زيد بن قسّر ، يقال له : قسرى
فى النسب ، ويقال : عُرْنى . وإلى عَلقة يرجع كل عَلَقى .

والعقب من صهيبة بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو: أُنْتِد بن خطام بن صهيبة
ابن أنمار : نخذ .

والعقب من زُرعة بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو من ثلاث
أَنفَاز : حُرُوقٌ وسَمَطٌ وحبيب : أولاد زُرعة .

والعقب من خشم وهو أقتل بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان من ثلاث
أَنفَاز : شَهْرَانٌ وربيعة ونَاهِش : أولاد عَقْرَس بن حَلَف بن أقتل وهو خشم .
وفي ربيعة بن أَقرس : بنو أَكْلَب بن ربيعة .
فهذا مختصر كافٍ في بجيلة وخشم .

وأما الأزد بن الفوث (وأسمه دِراء : مثل دِراء وقيل : دِره مثل درع) فالعقب
من ولده أربع أبطن : وهم مازن وَغَسَّان ؛ وَغَسَّان ماءٌ بِسَـمَاءٍ بِالْيَمِينِ وقيل : بِالمُثَلِّلِ ١٠
زَلْوَا بِهِ فَتَسْبُوا إِلَيْهِ . وإلى غَسَّان هذا يُنسَبُ كُلُّ غَسَّانِيٍّ ، ونصر وعبد الله والمُنَوُّ
بنو الأزد بن الفوث . وإلى غَسَّان هذا يرجع الأنصار ، وقد يكون من غَسَّان من
ليس أنصاراً كثيراً ، ويكون من مازن من ليس غَسَّانياً .

والذي نزل على غسان من الأزد بعض بنى أمري القيس الطريق بن ثعلبة البهلُول
ابن مازن ومالوية وربيعة وأمروء القيس : بنو عمرو بن الأزد ، وَكَرَزٌ وعامرُ آبنا ١٥
ثعلبة البهلُول بن مازن بن الأزد .

والعقب من عبد الله بن الأزد بن الفوث من ثلاث أَنفَاز : الحارث وقرن وعُدْثَان :
أولاد عبد الله بن الأزد

والعقب من عدنان هذا من عكّ وسود ومالك وغالب وكعب . ومن بنى سود
أبن عدنان : طاحية بن سود : نخذ .

والعقب من عك بن عدنان نخذان : الشاهد ومُحمّار أبنا عكّ .

والعقب من الشاهد بن عكّ : غافق ، وإليه يُنسب كلّ غافق ، قال : ولم خطّة
بمصر ، وساعدة أبنا الشاهد . وقيل : بل هو غافق بن الحارث بن عك بن الحارث .
أبن عدنان .

والعقب من مُحمّار بن عك بن عدنان : بولان وعيس وعُسان : أولاد مُحمّار هذا .
وأما نصر بن الأزد ، فأعقب من مالك بن نصر من أربع قبائل : عبد الله
وراسب وميدعان وأكفر من حمير : أولاد مالك بن نصر بن الأزد . وإلى راسب
ينسب كلّ راسبي . وفي بنى مالك راسبيون آخر يأتى ذكرهم إن شاء الله تعالى .

والعقب من عبد الله بن مالك في كعب بن عبد الله . ومنه في الحارث بن كعب .
والعقب من الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك من ثلاث أنفاز : كعب
ومالك ونبيشة وهو فاصحة . فمن ولد فاصحة بن الحارث بن كعب : بنو غراء بن شريق
أبن فاصحة ؛ ومن ولد مالك بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر : بنو
بجاعة وبنو الأرنب : آبي مالك .

والعقب من كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر : زهران
وأجمن وعبد الله : أولاد كعب بن الحارث . وإلى زهران ينسب كلّ زهراني .

(١) ورد في كل كتب النسب التي تحت أيدينا باسم (عدنان) بالنون وقال عنها صاحب الفاموس ما يأتى :

« يدعى بن عدنان بالهاء المخلقة أبن عبد الله بن الأزد » وليس أبن عدنان أخا عمه .

ومن أنخازة: دهمان بن نصر بن زهران، وغاضرة بن زهران، ودوس بن عدنان من زهران، منهم: أبو هريرة الدوسي الصحابي، وأسمه عمرو بن عامر، وفي أسمه خلاف.

والعقب من أحمج بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر من ثلاث: أسلم ولطب وقرن، أولاد أحمج فمن أنخاز أسلم هذا: بنو ثماله وهو عوف بن أسلم بن أحمج: ربهط محمد بن يزيد المبرزد النحوي، وفيه يقول عبد الصمد ابن المعتدل.

سألنا عن ثماله كل شيء * فقال القائلون: ومن ثماله؟

قلت: محمد بن يزيد منهم * فقالوا: زدنا بهم جهالة.

وأما مبدعان بن مالك بن نصر فله أربع أنخاز: راسب واليه ينسب الراسيون أيضاً، ومثيب وحبيب ومعاوية: بنو مالك بن مبدعان. فهذا مختصر نسب بني نصر الأزدية.

وأما الهنو بن الأزد، فأعقب من سبع أنخاز: الهون وبديد ودھنة وبرقا وعويجا وأفكك ونجر: أولاد الهنو. فأعقب الهون من نخذين: النذب ونكل.

وأما مازن بن غسان بن الأزد فأعقب من نخذين لصلبة: وهما عمرو وتعلبة الصفاء، سمي بالصفاء: لطول عتقه.

فالعقب من عمرو بن مازن بن الأزد في عتة أولاد، كلهم في الأزد، من جاجهم: مدى والعاص، فأما العاص فمن ولده: بنو بقليلة بن سئين بن زيد بن سعد بن عدى ابن نعيم بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن، وسمي بقليلة: لأنه لبس ثوبين أخضرين.

وأما عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد، فأعقب من عدة أولاد، من جماعهم:
هند بن هند بن عمرو بن عدى وصبرة بن عمرو بن صبرة بن حارثة بن عدى
ومسمود بن مازن بن ذئب بن عدى؛ إليه يرجع سطيح الكاهن وكل مسعودى
فى الأزد، وجميع بنى عدى بن عمرو يعزون الى الأزد.

- وأعقب ثعلبة العنقاء بن مازن بن غسان من أمرئ القيس البطريق بن ثعلبة؛
فأعقب أمرئ القيس البطريق: حارثة النطريف؛ فأعقب النطريف من عامر ماء
السماء؛ فأعقب عامر ماء السماء من عمران وعمرو وهو مزيقياء سُمي بذلك: لأنه كان
يمزق فى كل يوم [حلتين] لثلا يلبسهما غيره.

- والعقب من عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة النطريف بن أمرئ القيس
البطريق بن ثعلبة العنقاء بن مازن بن غسان وهو السراج بن الأزد بن الفوث
فى ست أنخاذ: ثعلبة: بطن الأنصار، وحارثة: بطن خزاعة، وجفنة: بطن، وعمران
من أزد عثمان، وعمرق: بطن، سُمي بذلك لأنه أول من حرق بالنار، وكعب: أولاد عمرو
مزيقياء واليهما يرجع نسب الأنصار. فاما الأوس بن ثعلبة بن عمرو فأعقب من
مالك بن الأوس، وأعقب مالك من خمس قبائل: النبيت، وعوف، وجشم،
وأمرئ القيس، ومرة: أولاد مالك بن الأوس.

- قال: وسُمي النبيت نبيًا لكثرة ولده، فأعقب النبيت من نخذين: الحارث وكعب
وهو ظفر بن الخزرج بن النبيت الأوسى. فأعقب الحارث بن الخزرج بن النبيت
من آبنيه: جشم وحابية. فأعقب جشم من رعان وأقرض، ومن عبد الأشهل:
أبى جشم. وأعقب حابية بن الحارث من مجذعة وجويرة وجشم بنى حارثة. ومن بنى
جشم بن حارثة: بنو خديج بن رافع بن عدى بن جشم، وطهر بن رافع بن عدى.

وأما ظَفَر وهو كعب بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس — وبنو ظفر
البطن المشهورة في الأوس — فأعقب من أربع أنفاد : وهم بنو مُرّة وهَيْم وعبد
رَدّاح وسواد : بن ظفر بن الخزرج . ومن بني سواد : بنو الحطيم بن عدى بن عمرو
أبن سواد : نخذ ؛ فهؤلاء بنو النبيت .

٥ . أما عوف بن مالك بن الأوس ، فأعقب من عمرو ، وأعقب عمرو من لؤذان ، فبقهم
بنو السبيعة وعلبة وحبيب وعوف : أولاد عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

والعقب من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من بنيهِ : مالك
وجلس وكُفّة . فأعقب مالك بن عوف من بنيهِ : عَزْرَر ومعاوية وزيد . وأعقب
زيد بن مالك هذا من ضُبَيْعة : الفخذ المشهورة ، وأمية الفخذ المشهورة في الإسلام ،
وعبيد أولاد زيد . وبنو ضُبَيْعة بن زيد بن مالك ، يقال لولده : بنو كسر الذهب ، منهم :
بنو حارثة بن عامر بن مُجَمَّع بن عطاف بن ضبيعة بن زيد : بطن معروفة ، ومن
أنفاد كفلة بن عمرو بن عوف : جُلّاح بن حَرِيش بن بَحْجَبِي من كفلة : بطن .

وأما جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة ، فأعقب من خَطْمَة : بطن ؛ وأسم خطمة
عبد الله ، وإنما سُمِّيَ خطمة : لأنه خَطَم رجلاً بسيفه على خَطْمه فسُمِّيَ به ، وأعقب
خطمة بن جشم من ثلاث أنفاد : الحارث و عامر ولؤذان : بنى خطمة .

١٥ . وأما امرؤ القيس بن مالك بن الأوس ، فأعقب من نخذين : بنى السُّلَم وبنى واقف ،
وآلِيهِ يرجع كل واقف في الأوس .

وأما مَرّة بن مالك بن الأوس بن حارثة ، فأعقب من ثلاث أنفاد : عامر وسعيد
ومازنت .

٢٠ . وهذا نهاية الاختصار في ولد الأوس .

وأما الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أنفاذ :
الحارث وعمرو وعوف وجشم وكعب : بنى الخزرج .

والعقب من الحارث هذا من سبع أنفاذ : عوف وحريش وجشم وصخر وجلد
والخزرج وزيد : أولاد الحارث، ومن عوف بن الحارث بن الخزرج : خُدرة
وخُدَّار أبنا عوف، وخُدرة يرجع أبو سعيد الخدري، وهو نَفَذ بن خُدرة .

وأما عمرو بن الخزرج فن ولده : بنو النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج :
البطن المشهورة، وأسم النجار : تيم الله يدعى العتر، وإليه يرجع حسان بن ثابت
أبن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار
الشاعر : أعنى بالشاعر حسان، وقد أنقض عقب حسان .

وأما عوف بن الخزرج فن أنفاذه : بنو غنم قوقل : نفذ، وهو أظم كان لبني غنم،
وسالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وغنم : رهط عبادة بن الصامت
الصحابي . ومن بنى عوف بن الخزرج : سالم الحنلي بن غنم بن عوف، سُمي بذلك
لعظم بطنه .

وأما جشم بن الخزرج، فأعقب من نفذين : وهما يزيد وغصب أبناه لصلبه،
فن أنفاذ يزيد بن جشم هذا : بنو سلمة وربيعة أبنا سعد بن علي بن راشد بن ساردة
أبن يزيد . وسلمة رهط معاذ بن جبل الصحابي بكر الام .

وأما غصب بن جشم بن الخزرج، فن أنفاذه : بنو ذريق وبياضة : أبني عامر
أبن ذريق بن عبد بن حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج .

وأما كعب بن الخزرج فمن أنفذه: سعيد وقيس أبنا سعد بن عباد بن دليم بن حارثة
ابن أبي جديعة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج؛ وقد أنقض
قيس بن سعد بن عباد .

ومن كعب بن الخزرج المذكور غير طريف هذا: ثلاث أنفاذ أخر إخوة طريف
ابن الخزرج هذا : وهم ثعلبة وعامر وعمرو؛ كان لعامر هذا ابن الخزرج بن ساعدة
ابن كعب بن الخزرج الأول : بنو قسيّة بن عامر وقد أنقضوا عن آحرم .

فهذا مختصر كاف في أنساب الأوس والخزرج .

وأما حارثة بن عمرو مزريقاء، فاعقب من أربع أنفاذ : عمرو بن ربيعة بن حارثة
وهو أبو خراعة؛ وإنما قيل لم خراعة: لأنهم أنخرعوا من بني عمرو مزريقاء بن عامر،
والأنخرع القاعر والتنف، فأقاموا بمز الظهران يمينات الحرم وولوا حجابة البيت
دهرا وهم حلفاء بني هاشم؛ وقد اختلف النسابة في خراعة بعد إجماعهم على أنهم
ولد عمرو بن لحي وأن خراعة هو كعب بن عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف، وهو
ابن إلياس بن مضر؛ وعمرو بن لحي : هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
[فيه] لا أكتم بن أبي الجون الخراعي: "يا أكتم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف
يمقر قصبه في النار، ما رأيت رجلا أشبه منه برجل منك"، قال أكتم : أبيضرتني
شبهه يارسول الله ؟ فقال : "لا، لأنك مسلم وهو كافر" والقُصْبُ: الخشنة من الأساء،
ومر المران؛ وكان عمرو بن لحي أول من غير دين إسماعيل عليه السلام، فنصب
الأوثان وسبب السائبة وبمر البحيرة ووصل الوصيلة وحى الحامى . قال عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما : نزل القرآن بلغة الكهين : كعب بن لؤى وكعب بن

عمرو بن لحي ، وذلك أن دارهم كانت واحدة ، وأقصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء
وعدي بن حارثة وعمرو بن حارثة .

فأما عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء ، قال شيخنا شيخ الشرف : عمرو
هو خزاعة نفسه أعقب من خمس أنفاذ : كعب وسعد وعدي ومليح وهو لحي :
بطن كثير بن عبد الرحمن الشاعر ، وعوف بن عمرو خزاعة .

فأما كعب بن عمرو خزاعة بن ربيعة ، فأعقب من ست أنفاذ : وهم منقذ
وسلول وحشينة ومطروذ ومازن وسعد : أولاد كعب بن عمرو خزاعة .

فأما سلول بن كعب ، وإليه ينسب كل سلولي ، فأعقب من ثلاث أنفاذ :
حشينة وعدي وحريمز ، فأعقب حشينة بن سلول من غير وصايطر وكليب
وحليل وغازية : بينه لصلبه . وأعقب عدي بن سلول من حيدر وهينه وحريز :
بني عدي .

وأما حشينة بن كعب بن عمرو خزاعة ، فأعقب من أبنيه لصلبه : غاضرة وحرام .
وأما سعد بن عمرو وهو خزاعة ، فأعقب من ثلاث قبائل : بني المصطليق ،
وبني عامر وبني الكاهن .

وأما أقصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء ، فإنه أعقب من أسلم : بطن في آثرين :
وهم ملكان وزيد وعمرو وعدي وجهادة وحطاب وسودة وحريش وأمرؤ القيس
وصهبة وحشم . فن بن أسلم بن أقصى : سلامان : نخذ ، وهوزن : نخذ : أبنا
أسلم بن أقصى ، ومن ملكان ، بالفتح ، بن أقصى : غيشان بن ملكان : نخذ ، منهم :
ذو الشمالين المقتول بيدر .

وأما عدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من سعد بارق، نزل بماء بالمرأة أيام سد مأرب يسمى بارق، وقيل: هو جبل. وقيل: بل تبعوا البرق فسموا بذلك، وعمرو وعوف: بنى عدى.

وأما عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من الأسد والمجر أبنيه لصلبه، فأعقب الأسد من ثلاث أنفاذ: العتيك وشهيل والحارث: بنى الأسد. فمن ولد العتيك: أسد بن الحارث بن العتيك: نخذ، ووائل بن الحارث، وإليه ينسب المهلب بن أبي صفرة.

وأما المجر بن عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أنفاذ: زيد مائة ومرحوم وعمرو وسود: أولاده لصلبه، فأعقب عمرو بن المجر من أبنة رباب.

وأما كعب بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أنفاذ: السمول وحنظلة وثعلبة ومالك وقائل الجوع: أولاد كعب بن عمرو.

وأما عمرو بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من ثلاث أنفاذ: حارثة والرثة وملادس: بنى عمرو.

وأما جفنة بن عمرو مزيقياء، فهم ملوك الشام. والعقب من جفنة من ثلاث أنفاذ: كعب ورفاعة والحارث: بنى جفنة في آخرين.

فالعقب من كعب بن جفنة بن مزيقياء، من أمام والحارث: أبنيه لصلبه، ومن ولد أمام: جبلة بن الأيهم بن عمرو بن جبلة بن الحارث الأعرج بن جبلة بن خدرت الأوسط بن ثعلبة بن الحارث الأكبر بن عمرو بن حجر بن هند بن أمام هذا ابن كعب بن جفنة بن عمرو مزيقياء. وقيل: بل هو جبلة بن الأيهم بن جبلة

أَبْنُ الْحَارِثِ الْأَكْبَرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَفْنَةَ ، وَفِيهِ ابْتِخَافٌ ؛ وَجَبَلَةٌ هُوَ الَّذِي تَنَصَّرَ فِي خِلَافَةِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمِنْ رِفَاعَةَ بْنِ جَفْنَةَ : السَّمُوعِلُ أَبُو أَوْفَى بْنِ عَادِيَاءَ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ جَفْنَةَ : بَطْنٌ ؛ وَأَعْقَبُ الْحَارِثِ بْنِ جَفْنَةَ مِنَ الْمَنْذُورِ .
أَبْنُ النِّعْمَانِ بْنِ الْحَارِثِ : بَطْنٌ ، وَمِنْ الْحَسْحَاسِ وَمِثَارَةٍ : أَبُجَى عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ : بَطْنٌ . وَجَمَاعَةٌ مِنْ قَبِيلَةِ الْأَرْمَنِ نَصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّ جَدَّهُمْ هُنَيْرٌ رَجَعَ إِلَى جَفْنَةَ غَسَّانَ .

وَأَمَّا الْخِيارُ بْنُ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ ، فَالْعَقَبُ مِنْ وَلَدِهِ فِي هَمْدَانَ : وَهُوَ أَوْسَلَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَوْسَلَةَ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ الْخِيارِ الْمَذْكُورِ . وَقِيلَ : هُوَ الْجَبَّارُ بِالْجِيمِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ .

وَالْعَقَبُ مِنْ هَمْدَانَ : أَبُو مَالِكِ بْنُ جِشْمِ بْنِ خَيْرَانَ بْنِ تَوْفٍ بْنِ هَمْدَانَ هَذَا ، وَمِنْ جِشْمٍ : أَبُو كَيْكَلٍ وَهُوَ الْحَبْكُ : نَخْذٌ ، وَحَاشِدُ آبَنَّا جِشْمَ لَصْلِبِهِ . فَأَعْقَبُ الْحَبْكُ مِنْ دُومَانَ وَسَوْدَانَ وَخَيْرَانَ . فَهَنْ وَلَدَ دُومَانَ بْنِ الْحَبْكِ وَهُوَ يَكِيلُ : أَرْحَبُ وَمَرْهَنَةُ : آبَنَا عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ دُومَانَ ، إِلَيْهِ يُنْسَبُ كُلُّ أَرْحَبِيٍّ . وَمِنْ حَاشِدِ أَبِي جِشْمِ بْنِ خَيْرَانَ : سَبِيعٌ : نَخْذٌ ، أَبُو سَبِيعِ بْنِ صَعْبِ أَبِي خَيْرَانَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ خَيْرَانَ : وَهُوَ مَالِكُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جِشْمِ بْنِ حَاشِدِ بْنِ جِشْمِ بْنِ خَيْرَانَ : رَهْطُ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّعِيِّ ؛ وَفِي ذَلِكَ خِلَافٌ بَيْنَ النَّسَائِيِّينَ فِي الْأَسْمَاءِ .

وَذَكَرَ بَعْضُ النَّسَائِيِّينَ أَنَّ الْهَمَانَ بْنَ مَالِكٍ : أَخَا هَمْدَانَ بْنِ مَالِكٍ ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ وَيُنْسَبُ كُلُّ الْهَمَانِيِّينَ : وَنَعَمْ قَلِيلٌ ، وَيَأْمُرُ بْنُ أَحْمَرَ بْنِ نَافِعِ بْنِ خَيْرَانَ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ زَيْدِ : رَهْطُ زَيْدِ الْيَاسَمِيِّ التَّوْزِيِّ .

وذكر بعض النسابين : أن الأوزاع ، وهم من مَريدة بن زيد عددهم في همدان
 وهم من حمير ، واليه يرجع كل أوزاعي . ومن ولد سَدَد بن زُرعة وهو حمير الأصغر :
 الأوزاع بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سَدَد ، والأوزاع بن زيد
 ابن سدد ، والأوزاع بن سدد ، والأوزاع بن شُقْران بن المعلل بن سَدَد .

❦

قال : وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن . وقد آحتوت على الغاية في حسن
 لمصالح البطون وتبيينها في الترتيب ، فلترجع الى عمود النسب المسمى فنقول :

إن عمود النسب من عابر بن شالخ في أبنه : فالخ بن عابر ، وأمه ميشاخا ، وكان له
 من الولد غير عمود النسب الجبارة ، مثل تميم وقينان وسيرى ومُدَبَّر وغيرهم آتقروا
 كلهم لم يقبب منهم إلا أرغو بن فالخ ، وهو الجلد الذي يرجع إليه كل قرشي وكل
 قيسي ، وهو أحد شعبي النسب .

والمقب من ولده في أرغو بن فالخ وكان منه جبارة آتقروا . وعقبه في أبنه
 ساروغ بن أرغو . وكان له غير عمود النسب من المقب عشائر وأولاد جبارة . منهم
 يَمْعَم ، ويَمْعُظ ، ونعمان ، وبسلاك ، وبهران ، وكأشم ، وطولان ، وغيرهم هلكت أدارجين .
 والمقب منه في أبنه ناحور بن ساروغ ، فالمقب من ناحور في أبنه تارح : وهو
 آزد بن ناحور .

ومن تارح غير عمود النسب : هاراز بن تارح وناحور بن تارح ، فولد هَارَاز : لوطا
 النبي صلى الله عليه وسلم .

وعمود النسب من آزر في أبنه :

(١) الأسمان المرقومان برقم ١ وردا في الأمل هكذا ، وفي التوراة : (سَيرى) . (دَعْر بن فالخ) .

إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام

- وهو الجد الحادى والثلاثون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأمه أدباً بنت
نمر بن أرغو بن فالغ بن عابر. وله من الولد غير إسماعيل عمود النسب : إسحاق عليه السلام
ويشباق : وهو طالب، وسواح : وهو خاضع، ويزمران : وهو نجدان، ومدان،
وئشان : وهو مصعب، فهؤلاء ولد إبراهيم عليه السلام لصلبه، والعقب منهم غير
عمود النسب وهو إسماعيل لإسحاق لا غير . فولد إسحاق صلى الله عليه وسلم :
يعقوب إسرائيل صلى الله عليه وسلم والعيسى وهو عيسو، ولدا في بطن واحد،
نفرج عيسو أولاً ونرج يعقوب بعده، ويده عالقة بمعبه فسبى يعقوب . وأمهما
رفقا بنت ناحور بن تارح بنت عم أبيهما إسحاق . فولد العيسى بن إسحاق : رعو^(١)ال
ويؤس وأليفاز ويثلام وقورح ورؤم . فولد أليفاز بن العيسى : عمالي وغيره .
وليد رعو^(١)ال بن العيسى : ناجب وغيره . فولد رؤم بن العيسى بن إسحاق : بنى الأصفر
لأن رؤم كان رجلاً أصفر في بياض فلذلك سُميت الروم : بنى الأصفر .
قال : وعمر عيسو مائة وسبعا وأربعين سنة . وكذلك يعقوب ، ودفنا معا عند
قبر أبيهما إبراهيم الخليل عليه السلام في مزرعة حبرون . وقيل : هى مزرعة عفر^(١)ون
كان إبراهيم اشتراها لقبره، وفيها دفنت سارة .
ومن ولد العيسى : أيوب النبي عليه السلام، قيل : هو أيوب بن أموص بن تارح
أبن رفو بن عيصان بن إسحاق، وأمه من ولد لوط بن هاران عليه السلام .
وولد يعقوب عليه السلام : أنثى عشر سبطاً . منهم يوسف النبي عليه السلام :
عزيز مصر وصاحبها ، وإخوته : كاد وبنيامين ويهوذا وتفثالي وزبولون وشمعون
(١) الأسماء المنورة بمزة ١ وردت كذا في الأصل : وفي التوراة : عيسو . رفقا . رعو^(١)يل . يئوس .
عماليق . جاد .

ورأوين، وكشاحا، ولأوى، ودان، وبشير. جاء من ولد يهوذا : سليمان النبي عليه السلام، وجاء من سليمان : مريم آمنة عمران أم المسيح عليهما السلام . وجاء من لأوى بن يعقوب : موسى كليم الله وهارون عليهما السلام أبنا عمران بن قاهت، وجاء من ولد هارون : يحيى بن زكريا والياس والتبع والعزير. وقد روى : أن الياس بن مضر بنى، وأنه المسمى بقوله تعالى وَتَرَكَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ في قراءة نافع وابن عامر، وأن آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم .

والعقب من يوسف الصديق عليه السلام : أفرائيم ومنشا آبنه لصلبه ^(١)، فن ولد أفرائيم : يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام : وهو الذي ردت عليه الشمس في حربه : وهو يوشع بن نون بن عازر بن شوتالج بن داباد بن ناحب بن العاد آبن ناحب بن يارد بن شوتالج بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب . وفي ولد منشا آبن يوسف : موسى بن منشا بن يوسف . وولد لمنشا آبنه أسمها رجمة : وهي امرأة أيوب عليه السلام .

قال : وزعم أهل التوراة أن الله تعالى نبأه وأنه صاحب الخضر. وذكر المؤرخون أنه لما مات يعقوب ، فشا في الأسباط الكهانة فبعث الله تعالى موسى بن منشا ^(٢) يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وهو قبل موسى بن عمران بثمانمائة سنة والله تعالى أعلم .
ونزح إلى عمود النسب ، وهو من إبراهيم في ولده إسماعيل : الذبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وأمه أم ولد، تدعى هاجر، من قبيل مصر، من قرية يقال لها : أم العرب نحو القرما .

(١) في التوراة : أشير .

(٢) في التوراة : مَسي .

وآختلف العلماء فيما بين عدنان إلى إسماعيل في ذكر الآباء: فمن العلماء من ينسب اليمن إلى إسماعيل عليه السلام ويقولون: إنهم من ولد يَمَن بن ثَبَّت بن إسماعيل، وأقربق باقي ولد إسماعيل في أقطار للأرض فدخلوا في قبائل العرب ودرج بعضهم فلم ينسب النسابون لهم نسباً إلا من كان من ولد قيذار أبنة عمود النسب.

- قال: وأتفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه في التوراة وكما حملوه عن علماء أهل الكتاب، وكما روى عن عبدالله بن عباس: أن النسب فيما بين آدم وإسماعيل صحيح على ما أوردناه لاختلف فيه بينهم ولا خلاف إلا في الأسماء تنتقل الأسماء، وإنما الخلاف فيما بين إسماعيل وعدنان، وذلك أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض، فمن أجل ذلك حدث الاختلاف فيما حفظوه، فقال قوم برواية وقال آخرون برواية. قال: وهذه الرواية التي أوردتها في هذا التأليف هي أحسن الروايات، وهي عمدة أكثر النسابين الأجلاء، وعليها كان يتمدشخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسيني القبيدلي النسابة، وهي رواية عبدالله بن عباس، واختيار أبي بكر محمد بن عبده العبقي النسابة الطرسوسي وغيره.

- وكان لإسماعيل عليه السلام من الولد غير قيذار عمود النسب أحد عشر ولداً: وهم مَسَا ويطور ومِسَاع وُدُوماء، وقيل: هو الذي بنى دُومَةَ الجَنْدَل، ومِبْشَام وإِدِيَال ونَعَابُوا وِيَمَاء، وحُلَاد ونَافِيس وقَيْدَمَاء.

وعمود النسب من إسماعيل عليه السلام في أبنة قيذار بن إسماعيل، وأمه هَالَة بنت الحارث بن مَضَاض الجرهمي ويقال: أسمها سلمى، وقيل: الحنفا، وقيل: هي أم أولاد إسماعيل كلهم.

- والمقب منه في آبنه حَلَّ بن قیدار؛ وأمه الغاضرية بنت مالك الجرهمي .
- والمقب منه في نبت بن حل وأمه هامة بنت زيد بن كهلان بن سبيل بن يشجب
آبن يعرب بن حطان، وتدعى حريرة .
- والمقب من نبت في آبنه سلامان بن نبت .
- والمقب من سلامان في آبنه الحميسع بن سلامان، أمه حارثة بنت مراد بن
زرعة ذي رعين الحميري .
- والمقب منه في آبنه اليسع بن الحميسع .
- والمقب من اليسع في آبنه أدد بن اليسع، وأمه حية من حطان .
- والمقب منه في آبنه أذ بن أدد، وأمه النعجا بنت عمرو بن ثُبَّع سعد ذي فائس
الحميري .
- والمقب منه في آبنه عدنان بن أذ، وأمه المتطيرة بنت عدى الجرهمية : وهو
الجد الحادي والعشرون لسيدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وقد قال أكثر النساين : إن المقب من عدنان غير معد عمود النسب من عك :
وهو الحارث والذئب والنعمان والضحاك لا عقب له : وهو المذهب الذي يقال
في المثل : « أحسن من المذهب » وعدى درج، والفقي وأبى وعَدَن : وهو صاحب
عدن، وعمرو ونبت وأذ وعدنا أنقلبت في اليمن .
- فأما عك بن عدنان فكل من كان منهم بالشرق فهم يُنسبون إلى الأزد، والذي
في الأزد أيضا عك بن عدنان بالثناء المثلثة آبن عبد الله بن الأزد .

وقال شيخ الشرف النسابة : عكَّ بن عدنان بالنون . وقال الأقطسي النسابة :
 عكَّ بن الحارث بن عدنان بن عبد الله بن الأزد ، وكلَّ من كان منهم بالشام ومصر
 واليمن والمغرب فهم «قيمون» على نسبهم في عدنان .
 وأما الذئب بن عدنان فيزعمون أن الأوس والخزرج من ولده . قال عباس بن
 مرداس :

وعكَّ بن عدنان الذين تلَّبوا ۞ ينسآن حتى طردوا كلَّ مطرِد
 نرجع . وعمود النسب من عدنان في آتبه معسدة بن عدنان ، وأتمه مهسدة بنت
 اللهم الجرهمية .
 قال النسابةون في أولاده لصلبه فقالوا : إن ولده أحد عشر رجلا ، وقالوا : ثمانية ،
 وزاد آخرون ، وقال قوم : لم يكن له غير زار .
 قال : فالذي أورد له أحد عشر ولدا قال : والعقب من معد بن عدنان : عبيد
 الرماح أعقب ، وعبيد وجنادة وعبيد وقبضة ، وقيل : بل اسمه قصص أنقرض ، وقبضة
 وعبيد أعقب ، وشط وعوف وسنام وقبضاعة ، قال العلماء : وكلهم أنتموا في اليمن
 وغيرها إلا زارا . وقد قيل : إن حيدان هذا هو أبو مهرة : القبيلة . وقال النسابةون :
 والقحط أعقب ، وسنام أعقب ، وحبيب والضحالك أعقب ، وأود أعقب : أولاد
 معد .
 فلما عبيد الرماح فانتسب في بني مالك بن كنانة ، ومنهم كان إبراهيم بن عريق
 صاحب اليمامة .

وأما سنام بن معد فإنه انتسب في سعد العشيرة بن مالك في اليمن .

وأما حَيْدَةُ بن معدٍّ فانتسب في الأشعرين .

وأما الضحى بن معدٍّ فانتسب في مالك بن كنانة .

وأما أود بن كعب فانتسب في مذحج .

وأما قَتَصُ فاقترض عقبه، وقيل : كان منهم النعمان بن المنذر .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : ذوالقرنين عبد الله بن الضحالك

بن معد بن عدنان .

ترجم . وعمود النسب من معد بن عدنان في أبنة نزار بن معدٍّ وأمه مُعَاذَةُ بنت

جَوْشَم الجهمية، ومنه غير مُضر الذي هو عمود النسب ثلاث بطون : ربيعة الفرس

وإياد وأنمار : بنو نزار . والصريحان من ولد إسماعيل عليه السلام : مُضر الجهماء

وربيعة الفرس . وقولهم : ربيعة الفرس ومضر الجهماء، فزعموا أنه لما مات نزار قسم

بنوه ميراثه وأقسموا عليه ؛ وكان له فرس، مشهور فضله في العرب فأصابه ربيعة

فقيل : ربيعة الفرس ؛ وكان له ناقة حمراء، مشهورة الفضل بين العرب فأصابها مضر

فقيل : مضر الجهماء ؛ وكان له جَنَّةٌ عظيمة يطعم فيها الطعام فأصابها إياد ؛ وكان له

قدح كبير يسقى فيه اللبن إذا أطعم فأصابه أنمار . هذا أحد ما قيل في ذلك ،

وسند ذكر ما قيل في قصة ميراث نزار وما آتفق لأولاده مع الأئمة الجهمي في أمثال

العرب في حرف الهجزة وفي قولهم : "إن العصا من العصية"، وهو في الباب الأول

من القسم الثاني من هذا الفن في أول السفر الثالث من كتابنا هذا إن شاء الله

تعالى .

(١) كذا في الأصل والخط : جَوْشَم .

نرجع . فاما أنمار بن زرار فلها أعلبت في اليمن ، قال : كذا روينا عن شيوخنا في النسب ومن قال : إنها أعلبت في اليمن يقول فيه : إن ختم وبجيلة أبنا أنمار بن زرار، ولما لحقا باليمن وأنسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن القوث ابن النيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

- وأما إباد بن زرار وهي القبيلة التي يرجع إليها كل إبادي، فلها نخدان : بنو دُعَيْم .
 ابن إباد، وبنو زهر بن إباد؛ ومن زهر بنو حذافة بن زهر : عشيرة في إباد، إليها ينسب الحذاقيون .

- وأما ربيعة القرس بن زرار بن معد، فأعقب من ثلاثة أبطن : أسد، وهو البطن الأعظم من ربيعة، وضبيعة بن ربيعة، وأكلب . وضبيعة يقال له : ضبيعة الأضخم :
 لأنه كان مائل الفم . ومن أكلب أنفاذ : منها لصلبه : هرير وعوف ومعن ومهشمر .
 ١٠ . وجيلة .

والعقب من ضبيعة بن ربيعة بن زرار من ثلاث قبائل : جُلِّي وعوف وبدر : بنو أحس بن ضبيعة؛ ومن بني جُلِّي : بنو مجع الشعوب : ربيعة بن سلمة بن سعد بن بلال ابن هُثَّة بن حرب بن وهب بن جُلِّي : بطن .

- وأما أسد بن ربيعة فله ثلاث بطون : أفصى بن دُعَيْم بن جديلة بن أسد،
 ١٥ وعقرة ابن اللهازم بن أسد، وأسمه عمرو، وعمرة بن أسد؛ وإلى عقرة ينسب كل عقرى عرك النون .

والعقب من عقرة بن أسد بن ربيعة بن زرار نخدان : وهما أسلم ويقدم : أبنا يدكر
 ابن عقرة بن أسد . فن أسلم نخدان : بنو صباح، وهو قراليل والبار، وبنو حُلان :

أبى العتيك بن أسلم . ومن يقدم بن يذكّر نخذان : تيم ونصر : أبنا يقدم . ومن بنى
تيم : بنو هسيم بن عبد العزى بن ربيعة بن تيم بن يقدم .

والعقب من عميرة بن أسد بن ربيعة بن زار نخذان : هما مبشر وعدى : أبنا
عميرة بن أسد بن ربيعة .

• وأما أفضى بن دعى بن جديلة بن أسد، فنه بطنان : هنب وعبد القيس : أبنا
أفضى بن دعى بن جديلة ؛ وإلى عبد القيس هذا ينسب كل عبقسى .

والعقب من عبد القيس بن أفضى بن دعى بن جديلة بن أسد من أفضى بن
عبد القيس ، واللبود بن عبد القيس . والعقب من أفضى بن عبد القيس من لكيز بن
أفضى وش بن أفضى . فن لكيز بن أفضى ثلاث عشائر : وديعة وصباح ونكرة .
• فن ولد نكرة بن لكيز بن أفضى بن عبد القيس : دهن بن عذرة بن منبه بن نكرة بن لكيز
• ابن أفضى بن عبد القيس ؛ وليس دهن هذا نخذ عمارة الدهنى ، إنما نخذه دهن
التي في بجيلة .

والعقب من وديعة بن لكيز بن أفضى بن عبد القيس بن أفضى بن دعى من
عمرو بن وديعة ودهن بن وديعة وغنم بن وديعة .

• والعقب من عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفضى — و قال لولده : العمور —
أعمار وعجل ومحارب والدليل : أولاد عمرو بن وديعة .

والعقب من هنب بن أفضى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة من قاسط
• ابن هنب وعمرو بن هنب ، فن ولد عمرو بن هنب هذا : عتيب بن عمرو ، ومن
عتيب في دهن : نخذ ، وخفاجة : أبى عتيب .

والعقب من قاسط بن هنب من النمر بن قاسط؛ واليه ينسب كل نمرى، وعمرو وهو عُقَيْلة بن قاسط: قبيلة، ومعاوية بن قاسط في عاملة، ووائل بن قاسط: البطن الأعظم من قاسط.

فالعقب من النمر بن قاسط من نيم الله ويقال: نيم اللات، وأوس مناة: أبى النمر؛ ومن النمر بن قاسط: بنو الضَّعْيَان وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن نيم الله ٥ ابن النمر. واليه كانت الرئاسة واللواء والحكومة والمِرْبَاع. وقيل له الضَّحِيان لأنه كان يحكم بين العرب في الضُّحَى.

وأما وائل بن قاسط بن هنب، فأعقب من أربع أبطن: تغلب بن وائل: البطن المشهورة، إليها يرجع كل تغلبيّ معدّي. (وفي قضاة أيضا تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحلاف بن قضاعة جد بنى كلب)، وبكر بن وائل، وعُزَين وائل ساكنة النون كما يُنسب في نزار إلى عترة بن أسد كل عتريّ بحركة النون، وعمرو بن وائل. ١٠ فن عتزين وائل بن قاسط ثلثان: وهما رقيدة بن عترة وأراشة بن عترة، وفيهما عترة أنفاذ وعشائر.

والعقب من بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من الحارث وعلى ويشكر وجشم وبَدَن: بنى بكر؛ وإلى على هذا يُنسب كل علويّ في نزار؛ وإلى يشكر هذا يُنسب كل يشكريّ. ١٥ والعقب من يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من ثلاث قبائل لصلبه: وهم حرب وكثانة وكعب؛ فأعقب حرب بن يشكر من جشم وذُهل: ولدى كثانة بن حرب؛ ومن بنى جشم بن حرب: بنو عَصِيم بن سعد بن عمرو بن جشم؛ وبنو الجُمَيْر: حُبَيْب بن كعب بن جشم، وإلى جشم هذا يُنسب كل جشميّ في نزار.

وأعقب كنانة بن يشكر من ذبيان بالكسر بند ذبيان عن أبيه هو: ألقم، وأعقب ذبيان من نخذ وائل وعامر: أبى ذبيان بن كنانة بن يشكر. فمن بنى عامر بن ذبيان: بنو جشم بن عامر: نخذ يقال لهم: الجشميون أيضا.

وأما بنو علي الوائلي فالعقب من علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أنعمى
 ٥ ابن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة من صعب بن علي وحده، وإليه يرجع كل
 صعي في نزار، والعقب من صعب من ثلاث بطون: عكابة والحيم ومالك: أولاد
 صعب بن علي بن بكر بن وائل، فأعقب مالك بن صعب في بني زئنا بن مالك:
 نخذ، وإليه ينسب كل زئاني.

وأما الحيم بن صعب، فأعقب من حنيفة بن لحيم: البطن المشهورة، ومن مجل
 ١٠ ابن الحيم.

قال الزبير بن بكار: وحنيفة امرأة نُسب إليها ولدها: وهي حنيفة بنت كاهل بن
 أسد بن خزيمه. فأعقب حنيفة من ثلاث قبائل: الدؤل بن حنيفة: القبيلة المشهورة
 في بني حنيفة، ويقال في النسبة إليه: دؤلي كذا بند النسبة إلى دؤل كذا، وعامر
 ابن حنيفة وعدى بن حنيفة، وفيهم عدة عشائر وقبائل، والعزوة إلى حنيفة تنفي
 ١٥ عنها، منها بنو يربوع بن الدؤل بن حنيفة إليه ينسب كل يربوعي: وهم قبيلة خولة
 بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع المذكور أم أبي القاسم
 محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بابن الحنفية، وهو الذي قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لعلي "سيولد لك ولد وقد تحبته آسمي وكنيتي".

(١) كذا بالأصل وفي كتاب المأوف لابن عتبة: "الحيم" بالحيم المسببة.

قال : ولعبيد بن ثعلبة بن يربوع غير سامة نحس أنفأذ لصلبه : مَسْلَمَةٌ وشَيَان وزيد ووهب وأرقم ؛ ولم يمدد في بني مَسْلَمَةَ المذكور : عمرو بن معدى كرب بن الحارث بن مسلمة ، إليه يُنسب كثر الدولة حامى أسوان .

وأما عجل بن لحيم فأعقب من أربع أبطن : وهى سعد وكعب وهم قليل ، وربعة وضبعة أولاد عجل ؛ وإليه ينسب كل عجلي . وفيهم عدة أنفأذ وعشائر ، وإلى ضُبَيْعَةَ يُنسب كل ضُبُعِي .

وأما عكابة بن صعب بن على فأعقب من بطنين : ثعلبة وفيه العدد ، وقيس : (١١٨) أبى عكابة .

والعقب من ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على من خمسة : قيس من اللّهَازم : (١٠) بطن ، ومالك وتيم الله من اللّهَازم : قبيلة أولاد ثعلبة بن عكابة ، وشَيَان وذُهل وهما الذُهلان : أبنا ثعلبة ؛ وإلى شَيَان هذا يرجع كل شَيَانِي ، وإلى ذهل يرجع كل ذُهَلِي . فأما قيس ابن ثعلبة فأعقب من ضُبَيْعَةَ وسعد : أبنيه لصلبه . والعقب من ضُبَيْعَةَ ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة من ربعة وهو مُحْذَر ، وإليه يرجع كل مُحْذَرِي ، وسعد وتيم وعُباد ومالك : بطن .

وأعقب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة من سبع أنفأذ : وهم الحارث وذُهل وعدى (١٥) ومالك وعامر وزيقان وحَاطِبَةُ ومن بنى مالك بن تيم الله : بنو عَاشِ بن مالك أنفأذ . فأما شَيَان بن ثعلبة بن عكابة فأعقب من ثلاث بطون لصلبه : ذهل ، وإليه يرجع الذُهَلِيّون ، وتيم وثعلبة ؛ وثعلبة هذا : هو الفخذ الذى يُنسب إليه ويرجع أبو الصقر محمد بن إسماعيل وزير المعتد . وفيه يقول ابن الرومى الشاعر :

قالوا: أبو الصقر من شيان، قلت لهم: * كَلَّا لَعَمْرَى وَلَكِنْ مِنْهُ شِيَانٌ
وَكَمَّ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنٍ لَهُ شَرَفًا * كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ

وأعقب ذهل بن شيان من أولاده لصلبه: وهم مرة، وإليه يرجع المزبون
الشيانيون وأبو ربيعة ومُحَلَّمٌ وصُبحُ والحارث وعمرو: وهو جذرة وعوف وعبد غنم،
ومن ولد أبي ربيعة بن ذهل: المزدلف: وهو عمرو بن أبي ربيعة: نخذ كبيرة.

وفي مرة بن ذهل بن شيان عدة أخفاد: وهم سعد وذُبّ وسيار وكثير وجندب
وبُخَيْرٌ وجساس ونضلة وهام: قبيلة الأحلاف أولاد مرة. قال: وهام بن مرة
أبن ذهل هو بيت ذهل وقعد نفهم. وأعقب لصلبه الأحلاف من مازن وعوف
وثعلبة نحسين بيتا، وعمرو وعائشة والأسعد وحبيب: هؤلاء هم الأحلاف ومرة
وعبد الله والحارث.

وأما ذهل بن ثعلبة وهو أحد الدهليين فنه بطنان لصلبه: شيان وعامر، فأعقب
شيان بن ذهل بن ثعلبة من سبع أخفاد لصلبه: وهم سندوس ومازن وعمرو الأعشى
وعبداء ومالك وعامر وزيد مائة. وإلى سدوس هذا ينسب كل سدوسي. ومن
ولد مازن هذا: أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان
بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن. وإليه أيضا ينسب أبو عثان
المازني النحوي وكل مازني، وفي مذحج في بني سليم: زبيد مازن المعروفة.

نعود إلى باقي نسب وائل.

وأما تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب، وأسم تغلب دثار وكان أكثرهم نصارى،
فالتغلب منه في ثلاث أخفاد لصلبه: عمران دم قليل، وأوس وغنم، وفيه العدد

(١) ك: لا أصل وفي خط المنزف لأن تسمية: مبيع.

والبيت ؛ ومن قبائل غم الخنثاقون : بكر ورزاح ومالك وعدى : بنو معاوية
 ابن عمرو بن غم بن تغلب ، والأرقام الستة : جشم ومالك وعمرو والحارث ومعاوية
 وتعلبة : أولاد بكر بن حبيب بن غم بن عمرو بن تغلب ، ومن جشم هذا : بنو
 عطيف مجزئة بن حارثة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب : رهط سيف الدولة
 ابن حمدان . فهذا نهاية الاختصار في نسب بني نزار .

وعمود النسب منه في آفته مضر بن نزار ، وأمه سودة بنت عكّ العدنانية . ومنه
 غير عمود النسب وهو الياس ابنه قيس بن عيلان بن مضر ، وأسم عيلان : الناس ،
 وهو أخو الياس . ويقال : قيس عيلان بن مضر ، وعيلان حاضن كان قيس فُنسبَ
 إليه كما نُسب غير واحد من العرب إلى الحضنان : كسعد هذيم حضنه هذيم فُنسب
 إليه ؛ والصحيح : أن عيلان بن مضر ، وأسمه الناس ، وقبيلاه . وقد قيل
 في الناس : الناس بتثنية السين .

ذكر نسب قيس و بطونها

والعقب من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثلاثة نفر :
 خَصَفة وسعد وعمرو . وقال قائلون : وبَر بن قيس وإنه ولد طوائف من البربر ،
 وفي ذلك خلاف عند النسابين .

فالعقب من خَصَفة هذا من بطنين : عكرمة ومُحارب ابني خَصَفة بن قيس .
 وقيل : إن خَصَفة بن عكرمة غلب أسماء عليه فُنسب إليها كما قيل في خندف . أعقب
 عكرمة بن خَصَفة من منصور بن عكرمة : البيت الأول من بني قيس ، فيه المعدد ،
 وسعد بن عكرمة وأبى مالك وعامر : بني عكرمة . أعقب منصور بن عكرمة من هوازن

أبن المنصور : القبيلة المشهورة ، ومن سُلَيم بن منصور : القبيلة المشهورة ، وسلامان
أبن منصور : قبيلة ، ومازن بن منصور : قبيلة .

- فاما هوازن فأعقب من بكر بن هوازن لا غيره وأعقب بكر بن هوازن من ثلاث
أنفاذ : معاوية بن بكر ، وفيه العدد وقسي وهو ثقيف ، وأسمه منه بن بكر ، وإليه
يرجع كل قفقي ، وسعد بن بكر ، وإليه يرجع كل سعدى من عشيرة حليلة بنت
أبي ذؤيب السعدية : طثر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي حليلة بنت
أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن ثحينة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصبة بن نصر
ابن سعد المذكور ، وأسم زوجها وهو والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الرضاعة : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قصبة بن نصر بن
سعد ، وكنيته أبو كبشة ، وبه كانت العرب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
أبن أبي كبشة . وقيل في أبي كبشة [أقوال] منها أن جده لأخته السيدة أمنة بنت
وهب بن عبد مناف بن زهرة كان يكنى أبا كبشة فنسبوه إلى ذلك ليتمه وموت
أبيه . وكان أيضا عمرو بن زيد أبو أسد التجارى أبو سلمى بن عبد المطلب جد
النبي صلى الله عليه وسلم يكنى : أبا كبشة . وقيل : بل لخطوا لقولهم : أبا كبشة .
يعنون أبا كبشة جرير بن غالب بن الحارث ، وهو أبو قبيلة أم وهب بن عبد مناف
والد أمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن قتيبة : إنه كان يبعد الشعرى دون
العرب ، فلما جامع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة الله دون عبادة الأصنام ، شهوه
في شذوذهم عنهم بشذوذ بعض أجداده من قبل أنه عبادة الشعرى وأنفصاله منهم .
وأما معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ،
فأعقب من ميمصة بن معاوية : القبيلة العظمى ، وجشم بن معاوية ، وإليه ينسب

كَلَّ جَشْمَى فِي هَوَازِنَ . وَلَهُ ثَلَاثُ أَنْفَازٍ : عُصِمَةُ وَزِقَاتُ وَبَنُو جَشْمٍ وَنَصْرُ
 أَبْنِ مَعَاوِيَةَ جَدُّ النَّصْرِيِّينَ الْقَيْسِيِّينَ . وَمِنْهُ نَخْدَانُ : بَنُو دِهْمَانَ وَبَنُو عَوْفٍ : أَبْنَى نَصْرٍ ،
 وَبَجْشُ بْنُ مَعَاوِيَةَ : نَخْدُ ، وَسَيَّارُ بْنُ مَعَاوِيَةَ : نَخْدُ ، وَكَلَّابُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَمِنْجَابُ
 أَبْنِ نَعَاوِيَةَ ، وَعَمْرُو بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَأُدْحِيَّةُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَدُحْيَةُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَدَحْوَةُ
 ٥ أَبْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَالسَّبَّاقُ : وَهُوَ يَعِيشُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَعَوْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَجَحَّاشُ بْنُ
 مَعَاوِيَةَ : هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَنْفَازُ قَلِيلِ الْعَدَدِ ، يُقَالُ لَهُمْ : الْهَوَازِنِيُّونَ .

وَأَمَّا صَعْمَعَةُ بْنُ مَعَاوِيَةَ فَأَعْقَبَ لَصْلِبَهُ عَامِرُ : الْقَبِيلَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَصَرَّةٌ : وَهْمُ
 سَلُولٍ ، وَكُلُّ سَلُولِيٍّ يَنْسَبُ إِلَى صَرَّةٍ هَذَا ، وَأُمُّ وَلَدِهِ سَلُولُ الشَّيْبَانِيَّةِ : وَهِيَ سَلُولُ
 ابْنَةِ شَيْبَانَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ ثَعْلَبَةٍ ، وَوَلَدُهُ عَشْرَةُ أَنْفَازٍ : وَهْمُ عَمْرُو وَضَبِيعَةُ وَنَهَارُ وَنُجَيْمٌ :
 ١٠ وَهُوَ أَعْيَاءُ ، وَغَاضِرَةُ وَعُدَيَّةُ وَجَابِرُ وَمَعَاوِيَةُ وَجَنَى وَدَهَى . وَبَاقِي وَلَدِ صَعْمَعَةَ لَصْلِبِهِ
 قِبَاثِلُ صَخَارَ : عَبْدِ اللَّهِ وَعَائِدُ وَعَمْرُو وَقَيْسُ وَكَبِيرُ وَسَيَّارُ وَمَسَاوِرُ وَزَيْلِيَّةُ وَرَبِيعَةُ
 وَغَالِبُ وَوَائِلُ وَمَازِنُ وَعَوْفُ وَمَتَجُورُ وَالْحَارِثُ : نَحْمَسُ عَشْرَةُ قَبِيلَةٍ ، وَفِي هَذِهِ
 الْقَبَائِلُ : بَنُو عَادِيَّةَ وَبَنُو صُدَيَّةَ بِالضَّمِّ ، فَأَمَّا بَنُو عَادِيَّةَ فَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ عَادِيَّةَ وَالْحَارِثُ .
 وَأَمَّا بَنُو عَدِيَّةَ فَهِيَ أُمُّ قَيْسِ عَدِيَّةَ وَعَوْفُ عَدِيَّةَ . وَالْأَمْرُ بْنُ صَعْمَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ
 ١٥ تُعَزَّى الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْأَكْرَادِ . وَمِنْ النِّسَابِينَ مَنْ ذَكَرَهُمْ إِلَى كَرْدٍ بَنِ مُرْدٍ بَنِ
 عَمْرُو بْنِ صَعْمَعَةَ الْمَذْكُورِ . وَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَهُمْ إِلَى أَكْرَادٍ بَنِ فَارِسَانَ بْنِ أَهْلَوَانَ بْنِ
 إِدْرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَعَلَيْهِ اعْتَمَدُوا . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : كَرْدُ بْنُ مُرْدٍ بَنِ يَافِثَ
 ٢٠ أَبْنِ نُوحٍ .

وَأَمَّا عَامِرُ بْنُ صَعْمَعَةَ فَأَعْقَبَ مِنْ أَرْبَعِ بَطُونٍ : وَهْمُ نَمِيرٍ وَسُوءَةُ وَهْلَالُ
 وَرَبِيعَةُ .

فأما نعيم بن عامر - واليه يُنسب كل نعيم - ففيهم عتة أنفاذ : بنو المقشب : وهو ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نعيم ، وبنو خولقة بن عبد الله بن الحارث ابن نعيم ، وبنو أسقع : وهو مالك بن عامر بن نعيم .

وأما سواة بن عامر بن صمصمة فثمة عتة أنفاذ : منها بنو حبيب بن سواة وبنو جساس بن سواة وبنو حرثان بن سواة .

وأما هلال بن عامر بن صمصمة فالبطن المشهور ، وقد نزلوا المغرب من تلمسان إلى طرابلس ، فأعقب هلال من إحدى عشرة قبيلة وهم أولاده لصلبه .

أولم البيت المقثم عبد الله ونهيك وربعة وعائدة وعبد مناف وروية وصخر وشعبة وشعبة وناشرة وحضرة .

وفي هلال عتة أنفاذ وعشائر : كزغبة ورياح وفادع والأيح وجوثة ، وقوة وغيرهم .

فأعقب عبد الله : وهو البطن الأول من بني هلال من ثلاث أنفاذ : روية ابن عبد الله وجوثة وحارثة : آبي عبد الله ، فأعقب روية بن عبد الله من أربع عشائر : زغبة ورياح وهزوم ومعاوية : بني روية بن عبد الله ، فن بن الهزم بن روية بن عبد الله : ميمونة بنت الحارث بن حزن بن يجر بن الهزم بن روية بن عبد الله أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن بني رباح : بنو نجدة بن علي ابن فادع : نفذ أعقب ، إليه يرجع جنادة بن كامل مقثم بن هلال .

وأما نهيك بن هلال فأعقب من خمس قبائل لصلبه : وهم معشر وأبو ربيعة وأبو معاوية وسهل وأبو جشم .

وأما عبد مناف بن هلال فأعقب من أربع قبائل : الحارث وعمرو وربيعة
ويَعْمَر : بنى عبد مناف لصلبه . فمن بنى ربيعة بن عبد مناف بن هلال : قزة بن
عمرو بن ربيعة : فخذ مشهورة كبيرة ، إليه يرجع كل قزى . ومن بنى عمرو بن
عبد مناف بن هلال : زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف
أم المساكين زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين . فهذا مختصر قبائل هلال .
وأما ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فأعقب من خمس قبائل : وهم الحارث
وكليب وعامر وكلاب وكعب : بنوه لصلبه .

أما الحارث بن ربيعة فأعقب من نخذين لصلبه : عوف وعُوف .
وأما كليب بن ربيعة فأعقب من خمس أنفاد لصلبه : أبان وجهم وجشم وخلف
ومسروق .

وأما عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فأعقب من أربع أنفاد لصلبه : عمرو
وصوف والبيضاء ومعاوية .

وأما كلاب بن ربيعة بن عامر فأعقب من عشر أبطن ، قال الشاعر :
وإن كلاباً هذه عشر أبطن * وأنت برىء من قبائلها العشر
يعنى يَحْمَر بن ذى الجوشن الضَّبَّائِي ، والعشر أبطن لصلب كلاب : وهم جعفر
وأبو بكر وأسمه عبيد ، ومعاوية : وهو الضَّبَّاب بن كلاب وعامر وربيعة والأضبط
وعمر وعبدة الله ورؤاس " قيل : بالفتح وواو بدل الهمز " ، وكعب .

فأما جعفر بن كلاب فأعقب من أربعة أنفاد لصلبه : مالك والأحوص وخالد
وعُتْبَة ، وفيهم عدة عشائر .

وأما أبو بكر عبيد بن كلاب فأعقب من ثلاثة أنفاد لصلبه : عبد وكعب وعبد الله ، فأما عبد بن أبي بكر فن العشائر التي لصلبه : بنو قُرط وبنو قُرَيْط .

وأما كعب بن أبي بكر فن العشائر التي لصلبه : بنو بحش بن كعب .

وأما عبد الله بن أبي بكر فن عشائره لصلبه : بنو المجنون : وهو ربعة بن عبد الله .

وأما معاوية بن كلاب وهو الضباب فله ثلاث عشرة قبيلة : وهم صَبَّ ومُضَبَّ وضباب ، ولأجلهم عرف هذا البطن أعني بني معاوية بالضباب ، وحَسِيل وحِجَل وعمر وأنس والأعور وزفر وأيس ومالك وربعة وزهير : أولاد عمرو بن معاوية . ومن ولد الأعور هذا شمر بن شُرْحَيْبِل بن الأعور قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه .

وأما عامر بن كلاب فله أربع قبائل لصلبه : وهم بنو الأصم ، وهم قليل ، وبنو كعب وهو البيت من عامر بن كلاب وطريف بن عامر وعقيل بن عامر . فأعقب كعب بن عامر من الوحيد : وهو عامر بن كعب ، من أنفاده : خالد بن ربعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب ، منه أم البنين بنت حِرَّام بن خالد المذكور زوج علي بن أبي طالب ، وهي أم آية العباس السقاء ، عرف بذلك لأنه سقى الحسين الماء بركبلا .

وأما ربعة بن كلاب فله ثلاثة أنفاد لصلبه : وهم يَحْيَى وعبيد وقيل أبو نعيم .

وأما الأضبط بن كلاب فله : بنو وُبر بن الأضبط ، ومن بني وُبر سبع عشائر : وهم وهب الأكبر وهب الأصغر وواهب وإهاب ووهبان وخالد وأبو ربعة : أولاد وُبر بن الأضبط .

وأما عمرو بن كلاب فله نخذان : قنيل وأبو عوف : آباء عمرو بن كلاب .

وأما عبد الله بن كلاب فأعقب من ثلاثة أنفاد : عامر وعمرو والصموت : أولاده لصلبه . ومن عشائر الصموت بن عبد الله : ضبيعة الأغر بن عبد الله ابن الصموت .

① وأما رؤاس بن كلاب فأعقب من ثلاثة أنفاد : يجاد ويبيد وعبد : أولاده لصلبه ؛ ومن يبيد : عفيف بن يبيد : نخذ ؛ وإلى رؤاس هذا ينسب كل رؤاسي .
وأما كعب بن كلاب فأعقب من أربعة لصلبه : عامر ووهب وربعة وأوس .
فهذا مختصر بني كلاب وأبطنها — نعود إلى باقي ولد ربعة بن عامر .

وأما كعب بن ربعة بن عامر فأعقب من ستة أبطن لصلبه : وهم جدّة بن كعب : البطن المشهورة ؛ إليها يرجع كل جدّي ؛ وفيها عدّة قبائل وعشائر ، وحبيب ابن كعب : البطن المشهورة ؛ إليها يرجع كل حبيبي ؛ وفيها أنفاد ، وعبد الله بن كعب ١٠ منه العجلان بن عبد الله : بطن ، وربعة بن عبد الله ، ونهم بن عبد الله ؛ وفيهم أنفاد ، وقشير بن كعب ، وإليه يرجع كل قشيري ؛ وفيها عدّة أنفاد وعشائر ، والحريش بن كعب ، وإليه يرجع كل حرشي : كعب الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش الحرشي الصحابي وغيره ، وعقيل بن كعب : البطن المشهورة ، إليها يرجع كل عقيلي بالضم . والعقب من عقيل بن كعب : بن ربعة ١٥ ابن عامر من خفاجة بن عمرو بن عقيل : البطن المشهورة ، وعبد الله وربعة ومعاوية وعمار وعيادة ؛ كل هؤلاء أبطن . والعقب من خفاجة من أحد عشر نخذاً لصلبه : وهم بنو معاوية دى القرّج : نخذ ، وبنو كعب دى النؤيرة ، وبنو الأقرع : نخذ ، وبنو كعب الأصغر ، وبنو عامر ، وبنو مالك ، وبنو الهيثم ، وبنو الوازع ؛

إليه ينسب كل وازعي، وبنو عمرو، وبنو حزن، وبنو خالد. والفخذ العظمى من بنى عقيل بعد بنى خفاجة : بنو يزيد بنم هاء. بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة : عشيرة الأمير أبي المنيع شرف الدولة محمد بن مرداس، ودرج شرف الدولة، وهو ملك العرب .

فهذا مختصر من نسب بنى عقيل. وهؤلاء هوازن وهم بكر، والله سبحانه وتعالى أعلم .
وأما سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان : وهو البطن المشهورة، فأعقب من بهثة بن سليم، وأعقب بهثة من خمسة أنفاذ لصلبه : معاوية وعوف وأمرئ القيس والحارث وثلبة . ومن بنى أمرئ القيس بن بهثة : بنو عصية بن خفاف بن أمرئ القيس : بطن .

وأما محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب ثخين لصلبه : طريف وجسر، ويقال لبني جسر : بنو علي لأن العقب من جسر بن محارب في علي بن جسر لا غير .

انقضى ذكر بنى خصفة بن قيس بن عيلان .

وأما سعد بن عيلان فأعقب من بطنين لصلبه : وهما غطفان، ومنبه : وهو أعصر، والعقب من ريث بن غطفان من أربع أبطن لصلبه : بنيض وهازن وأشجع وإليه يرجع كل أشجعي، وأهون : بنو ريث .

والعقب من بنيض بن ريث [من حبس وذبيان] وهما القيلتان المشهورتان .
وذكر بعض النسابين أنمار بن بنيض منهم أبو كبشة الأتماري . وقيل : إن أبا كبشة الأتماري إنما هو من مذج .

والعقب من عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان من نخذين : قَطِيعَة وَوَرَقَة
أبى عيس .

والعقب من قَطِيعَة بن عيس من الحارث ، ومُعْتَمِر : قَبِيلَة قَلِيلَة ، وعوف : قَبِيلَة ،
وغالب : قَبِيلَة الْحَطَلِيَّة ، وَمُرَيْطَة : قَبِيلَة من ولد خالد بن سنان بن أهل الرُّم بن جابر
أبن غيث بن مريرة .

والعقب من الحارث بن قَطِيعَة بن عيس من حِرْوَة وعامر ووازن : قَبِيلَة وَذَكْوَان
وَشَدَاد : بنى الحارث بن قَطِيعَة . ومن مازن بن الحارث أنفاذ : منهم جَذِيمَة بن
رَوَاحَة بن ربيعة بن مازن : نخذ ؛ إليه يرجع الجذميون بالميم : منهم عشيرة بنى زهير
أبن جذيمة فى آخرى .

وأما ذبيان بن بغيض ، فأعقب من فزارة : البطن المشهورة ، وسعد ؛ فأعقب
فزارة بن ذبيان من مرة وظالم ورومى ، دَرَج وَشَمْع وعدي ووازن : أولاد فزارة ؛
وفيم قبائل وعشائر وأنفاذ .

وأما سعد بن ذبيان فمن بطونه المزويون : بنو مرة بن عوف بن سعد ، وفيم
أنفاذ ، وبنو عقال بن سعد : نخذ ، وبنو بَحَالَة بن ثعلبة بن سعد وبنو نجب بن
ثعلبة وبنو رزام بن ثعلبة .

وأما عبد الله بن غطفان بن سعد فأعقب منه فى هيئة بن عبد الله وقُطَيْبَة وعدي
وعُدرة وكلب وباعث وشبابة وغنم وعوف ومنبه ؛ عشرة أنفاذ .

وأما أعصر : وهو منبه بن سعد بن قيس فأعقب من باهلة : وهم ولد مالك بن
أعصر ، وهى باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة أخت بَحَالَة بن مذحج ؛ ولد سعد

أَبْنُ مَالِكِ بْنِ يَعْصُرٍ وَمَعْنُ بْنُ مَالِكِ بْنِ بَعْصَرٍ فَنَلَبَّ أَسْمَها عَلَيْهِمَ وَنُسَبُوا إِلَيْهَا ؛
وَكُلُُّ بَاهِلِيٍّ يَنْسَبُ إِلَى بَاهِلَةَ وَهِيَ وَلَدُ مَالِكِ بْنِ أَعْصَرِ بْنِ مَعْنِ بْنِ مَالِكِ ، وَغَنِيٌّ
أَعْصَرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ أَعْقَبَ مِنْ غَنَمٍ وَجَمْعُهُ ، إِلَيْهَا يَنْسَبُ كُلُّ غَنَوِيٍّ وَالطُّفَاوَةِ ،
أَسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ أَعْصَرٍ إِلَيْهِ يَنْسَبُ الطُّفَاوِيُّونَ ، وَعَاصِرُ بْنُ أَعْصَرٍ .

وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ ، فَهُوَ بَطْنَانُ لَصْلِبِهِ : وَهُمَا عَدَوَّانُ وَأَسْمُهُ الْحَارِثُ ،
وَقَهْمٌ : أَبْنَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ ؛ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ عَدَوَّانُ : لِأَنَّهُ عَدَا عَلَى أَخِيهِ فَنَهْمُ قَتْلِهِ .
وَفَهْمُ وَعَدَوَّانُ يُقَالُ لَهَا : جَدِيلَةُ قَيْسٍ ، وَهِيَ أُمُّهُمْ جَدِيلَةُ بِنْتُ مَرْءٍ مِنْ أَدَ : أُخْتُ
تَمِيمٍ مِنْ مَرْءٍ . وَمِنْ قِبَائِلِ عَدَوَّانَ : بَنُو يَشْكُرَ وَبَنُو دَوْسَ : أَبْنَى عَدَوَّانَ : الْقَيْلَتَانِ
الْمَشْهُورَتَانِ .

هَذَا آخِرُ مَخْتَصَرِ نَسَبِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ بْنِ مَضَرَ .

فَنَرْجِعُ إِلَى عُمُودِ النِّسَبِ ، وَعُمُودِ النِّسَبِ مِنْ مَضَرَ فِي أَبْنِهِ :

الْيَاسُ بْنُ مَضَرَ بْنِ نَزَارٍ

وَأُمُّهُ الرِّبَابُ بِنْتُ إِيَادِ الْمَعْدَنِيَّةِ ؛ وَمِنْهُ غَيْرُ عُمُودِ النِّسَبِ (وَهُوَ مُدْرِكَةٌ) بَطْنُ وَاحِدٍ
وَهُوَ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَاسِ ؛ قَالَ : لِأَنَّ قَعَةَ بْنَ الْيَاسِ فِيهِ خِلَافٌ كَثِيرٌ ، وَأَكْثَرُ مَشَائِخِ
النِّسَبِ يَذْكُرُونَ أَنَّهُ دَرَجٌ وَلَا عَقَبَ لَهُ ؛ وَذَكَرَ آخَرُونَ : أَنَّهُ أَبُو خُرَاعَةَ ، وَخُرَاعَةُ لَيْسَتْ
بِأَبٍ وَلَا أُمٍّ وَإِنَّمَا هُمْ أَنْخَضَعُوا مِنْ مَضَرَ إِلَى الْيَمَنِ بِيَطْنِ مَرْءٍ ، وَذَلِكَ حِينَ أَقْبَلَ بَنُو
عَمْرُو بْنِ عَاصِرٍ يَرِيدُونَ الْحِجَازَ ؛ أَلَا تَرَى قَوْلَ عَوْنِ بْنِ أَبِي يُوَيْبِ الْأَنْصَارِيِّ :
وَلَا هَبْطًا بَطْنِ مَرْءٍ تَخْزَعَتْ^١ خُرَاعَةُ مَنَا فِي حُلُولِ كَرَاكِ

حَتَّى كُلُّ وَادٍ مِنْ تَهَامَةٍ وَأَحْتَمَتْ^٢ بِهَمِّ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَفِي السَّانِ أَنَّ الْقَائِلَ : حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ .

وقد أوردنا نسب خزاعة في بنى عمرو بن عامر ماء السماء العسائر في نسب اليمن،
ومن قبائل طابخة بن الياس نخس : بنو مر بن أد بن طابخة . وبنو ضبة بن أد
أبن طابخة ، وبنو عمرو ، وبنو نخيس ، وبنو عبد مناة : أولاد أد بن طابخة .

- فأما بنو مر بن أد بن طابخة ، فنه بنو تميم بن مر ، وبنو ثعلبة بن مر : طاعنة
من الشعيرة ، وبنو صوفة : وهم ولد النوث : وهو الربيط بن مر وبكر بن مر من
الشعيرة ، وحمارب بن مر ، فهم عدة أنخاذ وقبائل . وقبائل تميم : وهم ثلاث : زيد مناة
والخارث وعمرو : أولاد تميم لصلبه . فن قبائل زيد مناة بن تميم : تهشل بن دارم
أبن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وبنو سدوس بن دارم : قبيلة .
وبنو عبد الله بن دارم : منهم عطارد : قبيلة حاجب بن زُرارة بن عدس (وكل من عداه
يفتح الدال) أبن زيد بن عبد الله بن دارم مجوس ، وبنو أبان بن دارم : قبيلة . وبنو
١٠ ثعلبة بن ربوع بن حنظلة : قبيلة . وبنو كليب بن ربوع : قبيلة . وبنو رياح بن
ربوع : قبيلة . وبنو غُدانة بن ربوع : قبيلة . وبنو جارية بن سليط بن ربوع .
وبنو البراجم : وهم طليم وعمرو وقيس وغالب وكلفة : أولاد حنظلة بن مالك ؛
فهؤلاء بنو حنظلة بن مالك ؛ سموا برّاجم لتجمعهم كالأصابع . ثم قبيلة الجوع :
وهم ولد ربيعة بن مالك بن زيد مناة ؛ والكرثوسان من بنى زيد مناة : معاوية وقيس
١٥ أبن مالك بن زيد مناة بن تميم . ومن زيد مناة : بنو سعد بن زيد مناة ، منه عدة
قبائل ، منهم قبائل الأبناء : وهم عبشمس وعؤافة وعوف وجشم ومالك وعمرو : بنو
سعد بن زيد مناة . ومن بنى سعد بن زيد مناة : بنو الحرام : وهو من الخُدعة بن كعب
أبن سعد ، وبنو حمان بن عبد المزّى بن كعب بن سعد ، وبنو الأعرج : وهو الخارث

ابن كعب بن سعد، وبنو قُرَيْح بن عوف بن كعب بن سعد، وبنو بَهْلَةَ بن عوف ابن كعب. وبنو رَيْثِق بن عوف بن كعب، وبنو عطار بن عوف بن كعب قليلون.

ومن قبائل كعب بن سعد المذكور: بنو مِثْر بن عبيد بن مُعَاصٍ: وهو الحارث ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهم المِثْرِيُّونَ. ومن بني زيد مناة: بنو أَسْرَى القيس بن زيد مناة. له عدد ومدد. منه ثلاثة أنحاذ: بنو عُصَيَّة وبنو مالك وبنو الحارث: أولاد أَسْرَى القيس المذكور. ومن بني زيد مناة. بنو عامر الصميص بن زيد مناة، فهؤلاء بنو زيد مناة بن تميم.

وأما الحارث بن تميم فنه شقرة بن الحارث: قبيلة، اسمه معاوية، وتسمى شقرة ببيت قاله:

وقد أحل الرح الأصم كُؤُوبُهُ ، به من دماء القوم كالشِقَرَاتِ

والشقرات: شقائق النعمان. والنعمان: الدم، وافته أعلم.

وأما عمرو بن تميم فنه سبعة أنحاذ، وهم بنو مالك وبنو العنبر وبنو الهجيم وبنو أسيد وبنو الحِطَّة: وهو الحارث. وبنو القُليب: وهو أَلْبَةُ [رزن عِلْبَة] وكعب: بنو عمرو ابن تميم، وولى كعب هذا البيت قبل قريش.

فأما مالك بن عمرو بن تميم فنه أنحاذان: مازن، منهم أَوْفَى بن مَطَر المازني جلي العرب، والحِرْمَاز: وهو الحارث بن مالك. فمن بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم: أنحاذ بن مازن: أنحاذ قليلون، ورَأْلَان بن مازن: قبيلة، وحرُوص بن مازن، ووزام بن مازن: قليل، وخرأعي بن مازن: قليل.

وأما بَلْعَنَبر بن عمرو بن تميم فأعقب من ثلاثة: كعب وجندب ومالك: أولاد

العنبر، وكل بَلْعَنَبري ينسب إلى بَلْعَنَبر هذا: وهي قبيلة مشهورة.

وأما بلهَجَم بن عمرو بن تميم وهو المُجَيْم فأعقب من خمسة : عامر وسعد وعمرو
وربيعة وأنصار . ويقال لبلعبر وبلهَجَم : الخَبَطَات ^(١) . وكذلك أخوهما الحارث
الخَبِيطُ وهو الذي عُرفوا بذلك من أجله ، يقال : إنه أكل خَبَطًا فَبُسمِيَ به ^(٢) .

وأما أُسَيْدُ بن عمرو بن تميم فأعقب من ستة لصلبه : عقيل ونمير وجروة : قبيلة ،
وعمره والحارث . فمن بنى جروة بن أُسَيْد بن هند بن أبي هالة : نَبَاشُ بْنُ زُرَّارة
أَبْن وَقْدان بن حبيب بن سلامة بن غوي بن جروة بن أُسَيْد بن عمرو بن تميم :
وربب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأمه خديجة بنت خويلد .

وأما الحارث الخَبِيط بن عمرو بن تميم فمِنه قبيلة سعد بن الحارث ، وهي قبيلة
الخَبِيطَات ، ومثادة بن الحارث الخَبِيط ونضلة بن الحارث الخَبِيط : فهؤلاء بنو تميم
في مَر بن أَذ بن طابخة .

وأما بنو ضبة بن أَذ فثلاث قبائل : سعد وسُعيد وباسل . ولسعد وسعيد المثل
السائر "أسعد أم سُعيد" . أما سعيد بن ضبة فقليل عددهم . وأما سعد بن ضبة
فأعقب من اثنين : ثعلبة وبكر : أبني سعد ؛ فأما ثعلبة بن سعد ، فمن قبائلها : بنو
مسعود بن دُبْلَة بن نُعَيْم بن قُرَامة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد : قبيلة يُنسب
إليها كَلَى مسعودي ، وبنو ميذول بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة

(١) كذا في الأصل الكويريل بإعجام الخاء . والصواب بالمهملة كما في كتب الأنساب واللفظة ، أنظر

القاموس واللسان في مادة : ح ب ط .

(٢) إنه أكل خبطاً فسُمِيَ به كذا في الأصل ، وجاء في القاموس : أن الذين سمو بهذا الأسم هم سرية

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) جاعرا في الطريق حتى أكلوا الخبط وهو الورق المضروب بالخياط

بجفف ويطحن ، فسما سُرِيَّة الخبط أو جيش الخبط وعليه يكون كاسم الحارث الخبط الجاء المهمل .

آبن سعد : قبيلة . ومن بنى بكر بن سعد بن ضبة : صبح وبخاله : آبنأ ذهل بن مالك
آبن بكر بن سعد : نخذان ، وعائذة ^(١) بن مالك بن بكر بن سعد : نخذ ، ونصر بن عبد الله
آبن بكر بن سعد : نخذ .

وأما باسل بن ضمة فإنه خرج مغاضيا لآبيه فوقع بأرض الديلم فتزوج امرأة من
الديلم . فولدت له الديلم بن باسل : جد القبيلة المشهورة ؛ ومن رجالها في الجاهلية :
زيد الفوارس بن حصين . وفي الإسلام آبن شُرمة القاضي . وأعقب من الديلم ^(١١١)
نخذان : الأبيض بن معاوية بن الديلم ، ومجير بن معاوية بن الديلم . فأعقب الأبيض
آبن معاوية من الضحالك ولار وشهريار وإيران وتاشر : أولاد الأبيض بن معاوية .
آبن ديلم من بهرام بن الضحالك ؛ وفيروز وزر بوران وريانوس : أربعة أعقاب . وأعقب
ريانوس بن الضحالك من قابوس بن ريانوس . وأعقب قابوس من شاه مرد .
وأعقب لار بن الأبيض من كامباد بن لار . وأعقب كامباد من آبنه جور .
وأعقب مجير بن معاوية بن ديلم من باسل بن تيداذما ، فأعقب تيداذما من دادوه .
فهذه النهاية في اختصار نسب الديلم ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما عمرو بن أذ بن طابجة فهو مَزِينة ، ومزينة أمه : وهي بنت كلب بن وبرة
آبن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة ، وكل مَزَنٌ ينسب إلى مزينة
هذا . ومن مزينة : عثمان وأوس : ولدا عمرو ؛ فن عثمان بن عمرو بن أذ بن طابجة
بطنان : عدا ولاطيم : آبنأ عثمان . ومن مزينة : النعمان بن مقرن وزهير بن
أبي سلمى ؛ وليس في العرب سلمى بالضم سواه ، ورؤبة بن العجاج . قال رسول الله

(١) وردت في بعض كتب الأنساب بالذال المهملة وفي بعضها بالذال المعجمة فخطبه .

صلى الله عليه وسلم! "أسلم وغفار ومزينة وجهينة (أو قال : من كان من جهينة)
خير من بنى تميم وبنى عامر بن صعصعة ومن الخلفين أسد وغطفان".

وأما عبد مناة بن آذ بن طابخة فنه ثور أطلح بن عبد مناة : بطن — رهط
سفيان الثوري رحمه الله ، (وأطلح جبل) ، وبنو الرباب : ولد تميم بن عبد مناة
وعدى بن عبد مناة وعوف بن عبد مناة : سُمُوا الرِّبَابَ : لأنهم غمَسُوا أيديهم في رُبِّ
إذ تحالفوا على بنى تميم .

قال : ومن النسباين من يجعل الرباب بنى تميم وعدى ونور وعُكَل : وهم بنو
عبد مناة وضيبة بن آذ .

فأما عدى بن عبد مناة ، فإنه ينسب كل عدوى ليس من عدى قريش ، ومنهم :
١٠ أبو قتادة العدوي : تابعي ، وإلى عوف بن عبد مناة ينسب كل عوفي ، ومنهم :
عطية العوفي . قال : وشيخ الشرف النسابة يقول : إن عكلاً هو عوف بن وائل
أبى قيس بن عوف بن عبد مناة ، وعُكَل : أمة لامرأة من حمير يقال لها : بنت
ذى اللخثة ، تزوجها عوف بن وائل ، فولدت له جشاً وسعداً وطياً ، ثم هلكت ،
فحصنت عُكَل ولدها فغلبت عليهم ونُسبوا إليها .

وأما تميم بن عبد مناة بن آذ بن طابخة ففخذة : عمرو بن الحارث بن التميم بن
١٥ عبد مناة وعبه العدد .

انقضت خندف فلترجع الى عمود النسب من الياس في آبنه :

مدركة بن الياس بن مضر

وأسمه عمرو ، وأمه خندف : وهى ليل بنت حلوان القضاية ؛ وإنما سُمى مدركة :
٢٠ لان أباه الياس خرج متجعجا ، ومعه أهله وماله ، فدخلت بين إبله أرنب ، فنفرت

الإبل . نخرج أولاد الياس ، فأدركها عمرو ، فسماه أبوه الياس : مدركة ؛ ونخرجت ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أمه تهول فقال لها الياس : مالك تخدقين ؟ والخذقة : المرولة ، فسُميت خندف ، ونخرج عامر بن الياس أخو مدركة في طلب الأرنب فاصطادها وطبخها ، فقال له أبوه الياس : أنت طابخة ، ورأى عمرا أخاهما قد أقمع في الظلة فهو يخرج رأسه منه ، فقال له أبوه الياس : أنت قعة .

ومن مدركة غير عمود النسب : بنو هذيل بن مدركة ، ومن هذيل : بطنان لصلبه : بنو ليحان وسعد ؛ ومن قبائل سعد بن هذيل : بنو خنعة بن سعد ، وبنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ؛ منهم : عبد الله بن مسعود ابن غافل بن حبيب بن شمع بن قار بن غزوم بن صاهلة الصحابي : أحد القراء رضي الله عنه . ومن شعراء هذيل : أبو ذؤيب الهذلي وأبو كبير وأبو المنذر وغيرهم .

وعمود النسب من مدركة في أبنة خزيمه بن مدركة ، وأمه سلمى بنت اسلم القضاعية ؛ ومنه غير كثرة عمود النسب قبيلتان : وهما الهون وأسد . فاما الهون ابن خزيمه ، فأعقب من عَصَل والدِّيش أبي بليغ بن الهون ، وهم القارة : سُموا قارة : لأن يعمر بن عوف بن الشداخ أحد بني ليث لما أراد أن يفرقهم في بطون كثرة ، قال رجل منهم : دعونا قارة لا تنفرونا فنحفل مثل إجحال الظليم فسموا قارة : وهم رماة العرب وفيهم قيل "قد أنصف القارة من رامها" وسبب هذا المثل أن رجلين ألقيا ، أحدهما من القارة ، فقال القاري للأخر : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سأبقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال خصمه : قد آخرت المراماة ، فقال القاري :

١٥٠

قد أنصف القارة من راماما * إنا إذا ما فُتقنا فلقاها
* نرد أولاهنا على آخرها *

ثم أترع له بهما فصل فؤاده؛ وقيل غير ذلك .

- ومن أسد بن خزيمه أربع عشائر : بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان : بنى أسد .
فمن دودان : بنو عمرو بن دودان : قبيلة : وهم وجوه بنى أسد ؛ منهم : زينب
بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن
خزيمة ؛ تزوجت النبي صلى الله عليه وسلم : وهى بنت عمته أسمية بنت عبد المطلب .
وبنو سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : قبيلة . من شعرائهم : بشر بن أبى خازم
الوالي الجاهلي . وبنو قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : قبيلة ، منهم : نخذ بنى
نصر بن قعين ، ومنهم بنو قعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة
أبن دودان : قبيلة . وبنو أعيان بن طريف : قبيلة ، وبنو قيس بن طريف : قبيلة ،
وبنو كعب بن عمرو بن قعين : قبيلة ، وبنو سؤاعة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن
دودان : نخذ ، وبنو ناشرة بن نصر بن سؤاعة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان .
وعمود النسب من خزيمه بن مدركة فى آبنه كنانة بن خزيمه ، وأنه عوانة بنت سعد
القيسية . وبنو كنانة أول عرب تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه .
ومن بنى كنانة غير عمود النسب وهو النضر : خمس قبائل لصبله : بنو عبد مناة
وعمر و عامر وملكان ومالك منهم : بنو حداد بن مالك بن كنانة : نخذ .
فأما عبد مناة بن كنانة ، فمنهم : بنو بكر وبنو عامر وبنو مرة : بنى عبد مناة ،
ومن بنى بكر بن عبد مناة : بنو الذئيل بن بكر بن عبد مناة : رهط أبى الأسود الدؤلى :

وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر
المذكور: وهو تلميذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النحو، ويقال في النسبة
إلى هذا الفخذ: دؤلى مهموز مفتوح.

ومن بني بكر: بنو الحارث بن بكر: نخذ، وبنوليث بن بكر: نخذ، منهم: بنو
حدج بن ليث بن بكر نخذ، وبنو صمرة بن بكر: نخذ. منهم: بنو غفار بن مليل بن
صمرة بن بكر: رهط أبي ذر النفاري: وهو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن
مليل بن صمير بن حرام بن غفار، وقد آخض أبو ذر النفاري رضي الله عنه.
وأما عامر بن عبد مائة بن كنانة، فنه: قين بن عامر: قبيلة أهل النضير،
قطهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.

١٠. وأما مرة بن عبد مائة بن كنانة، فنه: بنو مدلج بن مرة: قبيلة سراقة بن مالك
ابن جهمم وهم المدبليون، قالوا: وهم قافة العرب وأعلامهم بالزجر والقيافة.

وأما عمرو بن كنانة، فهم العمريون. وأما عامر بن كنانة، فهم العامريون، وأما
ملكبان بن كنانة فهم الملكانيون، وأما مالك بن كنانة فنه في الحارث، ومن الحارث
في ثعلبة، ومن ثعلبة في نخذين: بنو عامر وبنو غنم. أما غنم فنه: فراس بن
غنم: وهم الفراسيون. ومن بني غنم: أم رومان بنت عامر بن عويمر بن
عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم: وهي أم
عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

١٥. ومن عامر عشيرتان: بنو محمد بن عامر بن ثعلبة المخدجيون، وبنو ققيم بن
عدي بن عامر النساء. فهؤلاء أنفاذ كنانة، والله أعلم.

وعمود النسب من كنانة بن خزيمعة في آبنه النضر بن كنانة، وأسمه قيس، وأمه برة بنت مرّ الأديّة، والنضر : الذهب ، وكان له : يخلد بن النضر، منه : بدر بن الحارث بن يخلد الذي سُميت به بدر بدوا . قال : وليس له ولد باق .
والعقب من النضر بن كنانة في آبنه عمود النسب وهو :

مالك بن النضر

وأمه عكرشة بنت صدوان القيسية ، ولا عقب لمالك إلا من عمود النسب وهو آبنه :

فهر بن مالك

وهو قريش ، وأمه جندلة بنت عامر الجرمية ، وكلّ من لم يلده فهر فليس بقريش . وقد قيل في تسميته بقريش أقوال : منها أنه أمّ دابة في البحر، وأنه أمّ للقبيلة، وأحسن ما قيل فيه : إن التقريش : التفتيش ، فكان يقريش عن خلة كلّ ذي خلة فيسدها بفضله : فمن كان محتاجا أغناه، ومن كان عاريا كساه، ومن كان طريدا آواه، ومن كان خائفا حماه، ومن كان ضالّا هده . قال الحارث بن حلزة الهشكري عفا الله تعالى عنه :

أهبها الناطق المقروش عفا ٥ عند عمرو، وهل لذلك بقاء؟

وقيل : المقروش : التجمع ، وتسميت قريش لتجمعها، فإنها لما تجمعت بمكة وجمعت خصال الخير سُميت قريشا، وتسمى أيضا الخمس من الحماسة ، وذلك أنها تجمعت في دينها فقالت : لا نطوف بالبيت عراة ، ولا تسلأ نساؤنا سمنّا، ولا تنزل وبرّا ، ولا نخرج إلى عرفات، ولا نزال حرمنا، ولا نعظم غيره، ولا نطوف بين الصفا والمروة .

وكانوا يقفون بالمزدلفة ومن سواهم من العرب يقال لهم : الحلة : كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون : نكرم البيت أن نطوف فيه بثيابنا التي آجرتنا فيها الآثام .

قال : ومن بنى فهر غير غالب عمود النسب : بنو الحارث بن فهر وبنو محارب
أبن فهر . فمن بنى الحارث بن فهر : قيس بن الخلج^(١) بن الحارث . ويقال : الخلج
بلاد قيس ، سمو بذلك : لأنهم نزلوا الخلج بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم
السلام . منهم آل هرمة الشاعر : وهم هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر
أبن صبيح بن عدى بن قيس .

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة أمين هذه الأمة : وهو عامر بن عبد الله
أبن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر ، لا عقب له .

ومن بنى محارب بن فهر : ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن حبيب بن
شيبان بن محارب بن فهر وهو القائل :

ويح بنو الحرب العوان نشبها * وبالحرب شميننا فنحن محارب

وعمود النسب من فهر بن مالك في أبنه غالب بن فهر وأمه ليل بنت الحارث
الهذلية ، منه نغذ واحد غير عمود النسب ، وهم الأقرميون : ولد تميم بن غالب .

والأردم : الناقص الذنن ، وهم قليل وقد ولدوا في العرب ولادات . وعمود النسب من
غالب بن فهر في أبنه لؤي بن غالب ، وأمه حاتكة بنت محمد الكنانية النضرية ، وقيل
بل هي سلمى بنت عمرو الخزاعية ؛ وهو تصغير اللأى وهو ثور الوحش مهموز ،
وقال أبو حنيفة : اللأى البعرة ، وقيل لؤي تصغير لأى وهو البطء : تقيض المجلة .

(١) وردت في القاموس بضمين وفي كتاب الحارث لأبن قتيبة بفتحين اللام .

وأنشد أبو أسامة :

فدونكم بني لؤي أحاكم * ودونك مالكا يا أم عمرو

وقال ابن دريد : هو مشتق من لواء الجيش وهو مهموز ، وإن كان من لؤي

الرملة فهو مقصور ، قال امرؤ القيس :

* بسقط اللوى بين النخول نحويل *

واللوى : أعوجاج في ظهر الفرس . قال : ومن قبائل بني لؤي غير كعب عمود

النسب : بنو عامر وبنو أسامة وبنو خزيمة : وهم عائلة قريش وسعد ، وإليه ينسب

بنو نابتة بنت النون رضيها : وهي أُم سعد بن لؤي ؛ بها يعرفون ، وإليها ينسبون ، وقيل :

نسبوا إلى حاضنة لهم اسمها نابتة من بني القين بن جسر بن شيع الله ، ويقال : سبع الله

أبن الأسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحلاف بن قضاعة . والحارث بن لؤي ،

وعوف وجشم : أولاد لؤي .

فأما عامر بن لؤي ، فنهزم ابن أم مكتوم الأعمى الذي نزل فيه ((عيس وتولى))

وهو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؛ وأسمه عمرو بن قيس بن زائدة

أبن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن مُعَيْص بن عامر بن لؤي ؛ ومنهم عمرو

أبن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، الذي قتله علي بن أبي طالب

يوم الخندق .

وأما بنو أسامة بن لؤي ، فيزعم من نسب بنى ناجية إلى قريش أنهم يلقون بنى لؤي

عند أسامة بن لؤي ، وقد كان علي بن أبي طالب سيّاهم حين أقاموا على النصرانية

ثم باعهم فيمن يريد ، فاشتراهم مصقلة بن هبيرة الشيباني بمائة ألف درهم ، فقتل منها

ثلاثين ألفاً وأعتقهم ، فأخذ عليّ عتقهم ، وهرب مصقلة ببقية المال إلى معاوية .
وقد قيل عن عليّ إنه قال : ما أعقب عني سامة بن لؤي .

وأما نخزيمة بن لؤي ، فإنه ينسب القوم الذين يزعمون أنهم عائدة قريش . قال :
وشيخ الشرف بن أبي جعفر النسابة يدفعهم عن النسب ، وهم قوم تكثر بهم معاوية
فدخلهم في قريش ، وعائدة هي أبنة النخس بن خثعم بن خثعم ، بها يعرفون : وهم
بنو الحارث بن مالك بن عبيد بن نخزيمة بن لؤي ، وعائدة أم الحارث هذا ، ويقال :
الحارث بن مالك بن عوف بن حرب بن نخزيمة بن لؤي ، وهم بمالك خمس أخاخذ
من عوف : بنو جذيمة ، وبنو عامر ، وبنو سلامة ، وبنو معاوية : أولاد عوف ،
وعائدة مع بني كعب بن ذهل بن شيان ، بأديتهم مع بأديتهم ، وحاضرتهم مع
حاضرتهم يد واحدة .

فلترجع إلى عمود النسب ، وهو من لؤي بن غالب في أبنه :

كعب بن لؤي بن غالب

وأمنه مارية بنت كعب القضاعية ، ومنه غير مائة عمود النسب وهما بطنان :
بنو عدى وبنو هصيص ، فأما بنو عدى ، فمنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ابن
نضيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب .
وسعيد بن زيد بن نضيل المذكور أحد العشرة . ومن بني عدى : عبد الله بن مطيع
ابن الأسود بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج بن فتح العيين رضيها ، بن عدى بن كعب ،
وهو وأبوه من الصحابة ، وهو الذي أمره أهل المدينة حين أخرجوا بني أمية منها
في وقعة الحرة .

وأما بنو هُصَيْص بن كعب فثمة ثلثان : بنو جَمح وبنو سهم : أبى عمرو بن هُصَيْص .

فأما بنو سهم : فثمة عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص .

وأما بنو جَمح ، فثمة عثمان بن مظعون بن حُبَيْب بن وهب بن حُذافة بن جَمح : هاجر .
الهجرتين وشهد بدراً . ومنهم صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة المذكور ،
كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ”أبا وهب“ ، ومنهم أبو عذورة : أوس بن معين
آبن لؤذان بن سعد بن جَمح ، مؤذن المسجد الحرام لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
ويرجع إلى عمود النسب وهو كعب بن لؤى في آفته :

مرة بن كعب

١٠

وأثمة وحشية بنت شيان الفهرية . ومنه غير كلاب الذى هو عمود النسب : بطنان
وهما : بنو تيم ، منهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ويكنى بعتيق ، آبن عثمان بن
عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة : صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأُنيسه فى النار بنص القرآن بقوله تعالى ﴿ تَانِي آتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي النَّارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ آلهَ مَعَنَا ﴾ فشهد له القرآن بصحبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتأهيك بذلك شرفاً ، وصهره ، وخليفته صلى الله عليه وسلم ورضى عن
أبى بكر وأرضاه .

ومن بنى تيم : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أحد
العشرة ، وبنو قِظَّة بن مرة ، منهم : أم سلمة الصديقة : زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،

وهي بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة ،
وخالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الملقب بسيف الله .
قال وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقا ولا غربا ، وإن أنتمى
إليهم أحد فهو مبطل في آتئائه ، وكل من آذع إلى ، فقد كذب . قال الشريف :
وكان شيخنا الفقيه مجلى بن جميع بن نجاء الشافعي قاضي مصر يدعى إليه ، وهو على
كتبه بخطه وشافهنا به ولا صحة لذلك

وعمود النسب من مرة بن كعب في أبته :

كلاب بن مرة بن كعب

وأمة هند بنت بهز بن حكيم . وقيل عروة . ومنه غير قصي عمود النسب :
بطن واحد : وهم زهرة بن كلاب ، منهم : السيلة أمينة بنت وهب بن عبد مناف ،
ابن زهرة : أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث
ابن زهرة : أحد العشرة ، وسعد بن أبي وقاص .

ويرجع عمود النسب منه في أبته قصي بن كلاب بن مرة .

وأمة فاطمة بنت سيل الأزدية ، وأسمه زيد ، ويدعى مجما : لجمعه أمر قريش
بالحنتين وأول من جمع يوم الجمعة . وقيل : إنما سُمي قصي "مَجْمًا" : لأنه لما
أخرج نخاعة من مكة ورأى أنه من صريح ولد إسماعيل عليه السلام ، وأنه أحق
من نخاعة بالبيت الحرام ، وبيدار الندوة ، وجعل بابها إلى البيت الحرام ، وتجمعت
قريش بمكة ، فسمى بذلك "مَجْمًا" ، لأنه جمعهم ولم يجعل معهم غيرهم ، وكان
يجمعهم في دار الندوة .

وأما الرحلان ، فأول من ستهما هاشم : فكان يرحد في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبيشة إلى النجاشي فيكرمه ، ويرحد في الصيف إلى الشام إلى غزرة ، و بها وربما وصل إلى أقرة ويدخل على قيصر فيكرمه ، وقد قال ابن الزبيرى :

عمرو الملا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مستون عياف

سُئِلَتْ إليه الرحلان كلاهما : * سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وأما أول من جمع يوم الجمعة فهو كعب بن لؤى ، وكان يُسمى : يوم العروبة ؛ فكان يجمعهم ويعظمهم ويقيمهم على اتباع نبي من صلبه .

وإنما سمي قصياً : لأن أنه فاطمة بنت سعد بن سيل لما قصصت به مع زوجها ربيعة بن جذام القضاعى ، فأحلبها إلى بلاده من أرض عُدرة من بلاد الشام سمي بذلك ، قال : ومنه غير عمود النسب وهو عبد مناف بطنان : بنو أسد بن عبد العزى ١٠ ابن قصي ، وبنو عبد الدار بن قصي .

فأما بنو أسد ، فمنهم خديجة بنت خويلد بن أسد : زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد أحد العشرة وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما بنو عبد الدار بن قصي ، فمنهم المحببة ، فيهم : بنو شيبه بن عثمان بن أبي طلحة

عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار . وفي بني عبد الدار : هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال . وهى مسألة فى النسب يُمتحن بها من يدعى علم النسب : يقال له : من علم فى بني قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم هاشم بن عبد مناف غير هاشم بن عبد مناف بن قصي ؟

نرجع إلى عمود النسب من قصي بن كلاب فى آيته :

(١) يلاحظ القارئ أن قافى البيتين غير متجانسين والرب يغفلون ذلك فى أشعارهم ، ويسمى "الإتواء" وهو اختلاف إعراب القوافى .

عبد مناف بن قصي

- وأُمّه حَبِيّ بنت حُلَيْل الخزاعية ، وأسمه المغيرة والقمر . ومنه غير هاشم عمود النسب ثلاث بطون : بنو المطلب : وهو العيص ، وبنو عبد شمس وبنو نوفل : أولاد عبد مناف ، فمن بنى عبد شمس : أُمّية الأصغر ، يقال لولده : العَبَلَات : لأن أُمّ أُمّية هذا عَبَلَة بنت عبيد من البراهم بن تميم ، وبنو أُمّية الأكبر بن عبد شمس ، منهم : ذو النورين : عثمان بن عفّان بن العاص بن أُمّية بن عبد شمس أحد العشرة وزوج أبا بتي النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنه . ومن بنى عبد شمس : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُقْبِلُ عليه في صهارته خيرا . ومن بنى عبد المطلب بن عبد مناف : وهط بن عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب البدرى ، أقرض ، وشافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب جد الشافعى رضى الله عنه : وهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع . ومن بنى نوفل : جُبَيْر بن مطعم ابن عدى بن نوفل ، وكان ممن قام في أمر الصحيفة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكر له ذلك ، وهم يد مع بنى أُمّية .
- وعود النسب من عبد مناف في أبنه هاشم بن عبد مناف ، وأُمّه عاتكة بنت مِرّة السلميّة ، وأسمه عمرو المَلَأ ، وتُسمى هاشما لكرمِه وهشمه الثريد في الجديب مبتدأ بذلك ، أقرض جميع ولده من الذكور إلا عمود النسب عبد المطلب ، وكان له أسد ابن هاشم ، منه : فاطمة بنت أسد أُمّ عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ وهى أول هاشمية تزوّجت هاشميا فولدت له ؛ وأقرض أسد إلا منها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هى أُمّى بعد أُمّى . والعقب من هاشم في أبنه :

عبد المطلب بن هاشم

وأمه سلمى بنت زيد النجارية : وهو شَيْبَةُ الحمد ، أعقب من غير عبد الله عمود النسب من بنى أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب والعباس بن عبد المطلب والحارث بن عبد المطلب وأبا لهب بن عبد المطلب وهو عبد العزى .

- فأما بنو أبي طالب فهم ثلاث بطون : بنو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب :
وهم العلويون ، وبنو جعفر الطيّار : وهم الجعفريون ، وبنو عَقِيل بن أبي طالب :
وهم العقيليون .

- فالعَلَوِيُّونَ خمس أنفاد : بنو الحسن بن عليّ ، وبنو الحسين بن عليّ ، وبنو محمد بن الحنفية : وهم المحمديون ، وبنو العباس السقاء بن عليّ : سَمِيَ بذلك لأنه كان قد سبق أخاه الحسين الماء بالقرب في الطّف ، وبنو عمر الأطراف بن عليّ .
- وفي كلّ نفد منهم عشرة عشائر .

- وأما الجعفريون فتلاث أنفاد : بنو عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ،
وهم الزينبيون ، لأن أم عليّ هذا زينب بنت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنت عليّ رضي الله عنه ، وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ،
وبنو إسماعيل العِرضيّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . والعرض : موضع
- بالمدينة . وفي كلّ نفد عشرة عشائر .

وأما العقيليون ، فضحّان : بنو محمد ومسلم : أبني عبد الله الأحول بن محمد بن عَقِيل بن أبي طالب : فهؤلاء بطون بنى طالب .

وأما العباسيون ، فبطنان : بنو عبد الله الحَبَر ومَعْبُد : أبني العباس بن عبد المطلب .

فأما عبدالله، فنه ثمانى أنفاد: بنو عبدالله وأقرض، وبنو عيسى، وبنو عبد الصمد، وبنو داود، وبنو إسماعيل، وبنو صالح: صاحب الشام، وبنو سليمان: صاحب البصرة، وبنو محمد الكامل: جد الخلفاء أولاد علي السجاد بن عبد الله بن العباس. وأما معبد، فنه نغدان: بنو داود ومحمد: آبنى إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس: فهؤلاء بنو العباس بن عبد المطلب . .

وأما الحارث بن عبد المطلب، فنه ثلاث أنفاد: وهم الحارثيون: بنو ربيعة، وبنو نوفل، وبنو أبي سفيان: أولاد الحارث بن عبد المطلب: فهؤلاء بنو الحارث. وأما أبو لهب عبد العزى، فنه نغدان: بنو عتبة وبنو معتب: ولدى أبي لهب، وعمود النسب الشريف في عبدالله بن عبد المطلب، وأمه أمنة بنت عمرو المخزومية، ولا عقب لمعبد الله بن عبد المطلب إلا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محمد النبي العربي، آبن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي آبن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (وأسمه قيس) آبن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان آبن آد بن أدد بن اليسع بن الميمس بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيسار بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم آبن تارح: وهو آذر بن ناحور آبن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر: وهو هود النبي عليه السلام، وهو جاع قيس ويمن ونزار وخندف بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام آبن لَمَك بن مَتُوشَلُخ بن أَخْنُوخ: وهو إدريس النبي عليه السلام آبن يَارَد بن مَهْلَئِيل

(١) في التوراة: مَتُوشَلُخ .

(٢) في التوراة: مَهْلَئِيل .

أَبْنُ قَيْثَانَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ شَيْثُ بْنُ أَبِي الْبَشْرِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَلَى
سَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَجْمَعِينَ .

نَسَبُ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى * نَوْرًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودًا
وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ ، أَهْبَطْنِي فِي صُلْبِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَهَلَنْتِي فِي صُلْبِ
نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَقَذَفَنِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلْنِي مِنَ الْأَصْلَابِ
الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ ، حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَيْوِينَ لَمْ يَلْتَقِ عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ» .
وَالِى هَذَا أَشَارَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ حَيْثُ يَقُولُ :
مِنْ قَبْلِهَا طَلَبْتُ فِي الْجَنَانِ ، وَفِي * مُسْتَوْدِعٍ ، حَيْثُ يُخَصِّفُ الْوَرَقُ
فَمُ هَبَطْتُ الْبِلَادَ ، لَا بُشْرَ * أَنْتَ ، وَلَا مُضْغَةً ، وَلَا عَاقِ
بِلَ نَطْفَةٍ ، تَرْكُبُ السَّفِينَ وَقَدْ * أَلْجَمُ نَسْرًا وَأَهْلَهُ ، الْفَرْقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِيمٍ * إِذَا مَضَى عَالَمٌ ، بَدَأَ طَبَقُ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَسْعَدِ الْخَلْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ
وَسَلَامِكَ عَدَدَ خَلْقِكَ ، وَأَجْرَ لَطْفِكَ فِي أُمُورِنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ !

كُلُّ الْجُزْءِ الثَّانِي


مِنْ كِتَابِ نَهَايَةِ الْأَرَبِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ ،

يَتْلُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ الْجُزْءِ الثَّالِثِ : «الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْفَنِّ الثَّانِي فِي الْأَمْثَالِ»

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلِّمْ عَلَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ

مطابق کوستانسواس و شرکاء
ه شارح و کتاب الکترونیک بالظاهر - ۹۰۱۸
الظاهر

 Bibliotheca Alexandrina



0381352